

وزارة المعارف العمومية

المنتخب

من أدب العرب

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندري أحمد أمين علي الجارم

عبد العزيز البشري الدكتور أحمد ضيف

وزارة المعارف العمومية

المنتخب

من أدب العرب

الجزء الأول

للسنة الأولى الثانوية

جمعه وشرحه

على الجازم

احمد امين

احمد الاسكندري

الدكتور احمد ضيف

عبد العزيز البشرى

١٩٥٤

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد علي النياوي

5

١	الشيخ عبد الرحمن الجبرتي
١	من كتاب (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) عند الكلام على الحملة الفرنسية
٣	الشيخ حسن المطار ..
٣	من كتاب له في التحية
٤	رفاعة بك رافع الطهطاوى
٤	من كلام له في حب الوطن
٥	عبد الله باشا فكرى
٥	كتاب له في التحية والشوق
٦	من كتاب له ينتقد فيه بعض أحوال معاصريه
٩	السيد عبد الله فديم
٩	من رسالة له تعتمد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من أى الذكر الحكيم
١٠	السيد جمال الدين الأفغانى
١٠	كتابه إلى عبد الله باشا فكرى يعتب عليه
١٢	أديب إسحاق
١٢	أوربا والشرق
١٣	نجيب الحداد
١٣	ما كتبه في إرضاء الناس
١٣	من كلامه الجارى مجرى الحكم
١٤	مصطفى بك نجيب
١٤	وصفه نظارة وشكره من أهداها
١٦	الشيخ محمد عيده
١٦	القرآن (من رسالة التوحيد)
١٨	وصفه نهج البلاغة
٢١	إبراهيم بك المويلحى
٢١	شكواه - بلسان حاج - ما رأى في إحدى السنين من فتك الوباء بالحجاج
٢٤	من كتاب له يشكو ناسا من معاصريه
٢٤	الشيخ إبراهيم اليازجى
٢٤	تمزية بعض أصدقائه
٢٦	كتابه إلى صديق له يشكر له صنيعا

٢٦	مصطفى باشا كامل
٢٦	من خطبة له في تجميع أبناء الوطن
٢٩	من خطبة له ألقاها في الاسكندرية في الاعتزاز بالوطن
٣١	الشيخ أحمد مفتاح
٣١	كتاب في التهادى
٣٢	الشيخ على يوسف
٣٢	ما كتبه تحت عنوان « لا تعصب في مصر »
٣٥	الشيخ حمزه فتح الله
٣٥	كتابه إلى بعض الأفاضل يطلب مودته
٣٦	حفي بك ناصف
٣٦	كتابه إلى السيد توفيق البكرى يعتب عليه إهماله لإياه في مجلس
٤٠	كتابه إلى الشيخ على اللبثي يشكره على هدية عنب
٤٢	كتابه يعزى به كبيراً في ولده
٤٣	السيد مصطفى لطفي المنفلوطى
٤٣	نفس الشاعر
٤٥	الشاعر
٤٧	سعد زغلول باشا
٤٧	نداؤه إلى الأمة المصرية عقب عودته إلى مصر صدر سنة ١٩٢١ م
٤٩	محمد بك المويلحي
٤٩	كتابه إلى منيف باشا وزير المعارف التركية يعزیه في ابنته
٥٤	وصف الصباح (من كتابه : حديث عيسى بن هشام)
٥٥	وصف الأهرام
٥٦	مصطفى صادق الرافعي
٥٦	وصف البلاغة النبوية

(ب) الشعر

الكتاب
٥٨
٥٨	ما كتبه على ظاهر ديوان صديق له من الشعراء يداعبه
٥٩	ما قاله متغزلاً
٥٩	الشيخ حسن المطار
٥٩	ما قاله متغزلاً
٦٠	وقوله متغزلاً أيضاً
٦١	وصف بركة الأزبكية
٦١	السيد على الدرويش
٦١	رثاؤه صديقه المرحوم الشيخ على الغلبان
٦٢	الشيخ شهاب
٦٢	من قصيدته التي أنشأها لتكثب حول جامع القلعة

٨٣	قوله يخاطب ناظر الحقاينة وقد نقله إلى قنا
٨٦	سؤاله المرحوم حسين رشدي باشا أن يمد خدمته لما أشرف على الإحالة إلى المعاش
٨٦	قوله في التحضر على ضياع علمه بموته
٨٧	ولي الدين يكن
٨٧	ويل للناس من الناس
٨٨	معارضته قصيدة المحصرى (يا ليل الصب متى غده)
٩٠	إسماعيل صبرى باشا
٩٠	من قوله في إيثار الموت على الحياة
٩٠	مناجاته الدواة
٩١	قوله يتمنى الموت
٩١	قوله في وصف لقاء صديق
٩٢	قال في ساعة التوديع
٩٢	قال متغزلاً
٩٣	قال متغزلاً أيضاً
٩٣	ومن قوله متغزلاً أيضاً
٩٤	من قوله في التصوف
٩٤	رثاؤه عمر ابن المرحوم الشيخ على يوسف وقد مات صغيراً
٩٥	قوله يحمس المصريين على لسان فرعون
٩٦	قال في مسامحة الصديق
٩٦	الشيخ محمد عبد المطلب
٩٦	من قصيدة له بعيد النيروز سنة ١٩١٩ م يفخر بمصر ويعدد مآثرها
٩٧	من قصيدة له في المعلم
٩٨	حافظ إبراهيم
٩٨	وصف الشمس
١٠٠	ما قاله على لسان اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها
١٠٢	غادة اليابان
١٠٦	شوقي
١٠٦	من قصيدة له يصف فيها دمشق
١٠٧	قوله متغزلاً
١٠٧	قوله متغزلاً أيضاً
١٠٨	وصفه الطبيعة في طريقه إلى الآستانة قادماً من أوروبا
١١٠	وصفه الطيارة
١١٠	من قصيدة له دعاها « الأندلس الجديدة »
١١١	من روائع حكمه وما جرى من شعره مجرى الأمثال

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فقد عدلت وزارة المعارف مناهج الأدب العربي ، كما أخذت غيرها بفنون التعديل . وكان تاريخ الأدب يُدرس في المدارس الثانوية مبتدئاً من حيثُ يبتدىء الأدب ، ويظلُّ مسترسلاً إلى هذا العصر الذي نعيش فيه . فاجتمع رأيها على أن يبدأ تدريسه في هذه المدارس من هذا العصر لأن أدبه هو الحاضر لهم ، الملابس لحسهم ، المترجم عما يحيط بهم . فإذا انتهوا منه ، ترقّوا إلى العصر الذي فوقه ، فإنه أدنى إليهم ، وأخضر من سواه لهم . هكذا . وكذلك وضعنا كتاب : « تاريخ الأدب العربي » ، وعلى هذا النحو حررناه . ولقد دعا ذلك ، بالضرورة ، إلى تغيير الوضع فيما كنا قد اخترناه من النصوص الأدبية في كتاب : « المنتخب من أدب العرب » وخاصة بعد إذ فُرض تاريخ الأدب ، وفي هذه المناهج الجديدة ، على طلاب السنتين : الأولى ، والثانية . ولم يكن لهما فيه حظ كبير ولا صغير .

وقد أخرجنا هذا المنتخب الجديد في أربعة أجزاء ، لكل سنة

من سني التعليم الثانوي جزء مقسوم .

وقد حرصنا أشد الحرص ، في هذا الكتاب أيضاً ، على أمرين نرى أن
لهما خطراً عظيماً :

(الأوّل) أن تكون النصوص التي نختارها لكلِّ عصرٍ من عصور
الأدب العربيّ مرآة صافية ، وصورة صادقة واضحة للحياة الأدبية في هذا
العصر ، على اختلاف فروعها ، وافتراق نزعات الشعراء والكتّاب والأدباء
فيها ، بحيث يستطيع المعلم أن يعتمد عليه في تصوير ما يدرّس للمتعلمين من
تاريخ الأدب ، ويستطيع المتعلمون أن يجدوا فيه مصداقاً ما يسمعون من
الأساتذة ، ويقرءون من الكتب من حقائق هذا التاريخ .

(الثاني) أن يكون ما اخترناه ، على صحة تمثيله للعصور الأدبية ، وصدق
تصويره لشخصيات الأدباء ، ومذاهبهم في الأدب ، في جملة جميلة راقية ،
وجزلاً رائعاً ، خفيف الموقع من الأسماع ، لطيف المسلك إلى النفوس ،
يستطيع أن يبعث في قلوب الشباب حب لغتهم وأدبها ، ويرغبهم في الاستزادة
منهما ، والتفقه فيهما : وتوخّيناً ، إلى ذلك كلّه ، أن يكون جُلُّ ما اخترناه
من الشعر والنثر سهلاً يسيراً ، يلائم حالة الشباب وطاقاتهم .

على أننا : فوق هذا ، ضبطنا الجزء الأوّل بالشكل الكامل ، وتوسّلاً إلى
أخذ المبتدئين بالمنطق الصحيح للجديد عليهم من فصيح العربية ، كما تحرّيناً
شرح كلِّ ما يغربُ عليهم من مفردات اللغة ، حتى لا تختلط المعاني على أذهانهم
على أنه كلما علت بهم السنون تخفّفنا من هذا وهذا بقدر ، طوعاً لسنة التدريج .
ونحن نرجو أن نكون قد وفّقنا من ذلك إلى ما قصدناه ، والله وحده
ولى التوفيق .

عصر النهضة الحديثة

(١) النثر

١ — الشيخ عبد الرحمن الجبرتي^(١)

قال في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» عند الكلام على الحملة الفرنسية سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف :

وهي أولُ سِنِي المَلّاحِمِ^(٢) العظيمة ، والحُوادثِ الجَسِيمة^(٣) ، والوقائعِ النَّازِلَةِ ، والنوازلِ الهائلة ، وتَضَاعُفِ الشرور ، وترادفِ الأمور^(٤) ، وتوالى المِحَنُ ، واختلالُ الزَّمنِ ، وانعِكَاسُ المطبُوعِ ، وانقلابُ الموضوعِ ، وتَتَابُعِ الأهوالِ ، واختِلَافِ الأحوالِ ، وفَسَادُ التَّدبيرِ ، وحُصُولُ التَّدْمِيرِ ، ومُغْصَمِ الخرابِ ، وتَوَاتُرِ الأسبابِ : « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ » .

(١) هو مؤرخ مصري ، ولد بمصر وتعلم بالأزهر . ونسبته إلى جبرت وهي الزيلع في بلاد الحبشة . عينه نابليون حين احتلاله مصر كاتباً في الديوان وكان مفتي الحنفية في عهد محمد علي باشا ؛ وأشهر مؤلفاته التاريخ المعروف باسمه ، قيد فيه حوادث مصر سنة ١١٠٠ هـ إلى سنة ١٢٣٦ هـ . وقد مات سنة ١٢٤٠ هـ . بعد أن كُفِ بِصره من كثرة البكاء على ابن له قتل .

(٢) الملاحم : جمع ملاحمة ؛ وهي الحرب العظيمة .

(٣) الجسيمة : العظيمة

(٤) ترادف : تتابع .

في يوم الأحد العاشر من شهر محرم الحرام من هذه السنة ، وردت مكاتبات على يد الشعاع من ثغر الإسكندرية ، ومضمونها أن في يوم الخميس ثامنهِ حضرَ إلى الثغر عدَّةُ رَّاكِبٍ من رَّاكِبِ الإنجليز ، وَوَقَفَتْ عَلَى الْبُعْدِ بِحَيْثُ يَرَاهَا أَهْلُ الثَّغْرِ ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ حَضَرَ خَمْسَةَ عَشَرَ رَكْبًا أَيْضًا ، فَانْتَظَرُوا أَهْلُ الثَّغْرِ مَا يُرِيدُونَ ، وَإِذَا بِقَابِقٍ صَغِيرٍ وَاصِلٍ مِنْ عِنْدِهِمْ وَفِيهِ عَشْرَةٌ أَنْفَارٍ فَوَصَلُوا الْبَرَّ واجتمعوا بكبار البلد ، والرئيسُ إِذْ ذَاكَ فِيهَا وَالْمَشَارُ إِلَيْهِ بِالْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ ، السيد محمد كريم الآتِي ذِكْرُهُ ، فَكَلَّمُوهُمْ وَاسْتَخْبَرُوهُمْ عَنْ غَرَضِهِمْ ، فَأَخْبَرُوا أَنَّهُمْ إِنْكَازِ ، حَضَرُوا اللَّتَفْتِيشَ عَلَى الْفَرَنْسِيِّسِ لِأَنَّهُمْ خَرَجُوا بِعِمَارَةٍ^(١) عَظِيمَةٍ ، يُرِيدُونَ جِهَةً مِنَ الْجِهَاتِ ، وَلَا نَدْرِي أَيْنَ قَصْدُهُمْ ، فَرُبَّمَا دَهْمُوكُمْ ، فَلَا تَقْدِرُونَ عَلَى دَفْعِهِمْ ، وَلَا تَتِمَكَّنُوا^(٢) مِنْ مَنَعِهِمْ ، فَلَمْ يَقْبَلِ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ كَرِيمٌ مِنْهُمْ هَذَا الْقَوْلَ ؛ وَظَنَّ أَنَّهَا مَكِيدَةٌ ، وَجَاوَبُوهُمْ بِكَلَامٍ خَشِنٍ ؛ فَقَالَتْ رُسُلُ الْإِنْكَازِ : نَحْنُ نَقِفُ بِمَرَاكِبِنَا فِي الْبَحْرِ ، مُحَافِظِينَ عَلَى الثَّغْرِ ، لَا نَحْتَاجُ مِنْكُمْ إِلَّا الْإِمْدَادَ بِالْمَاءِ وَالزَّادِ بِشَمَنِهِ ، فَلَمْ يُجِيبُوهُمْ لَدَئِكَ ، وَقَالُوا : هَذِهِ بِلَادُ السُّلْطَانِ ، وَلَيْسَ لِلْفَرَنْسِيِّسِ وَلَا غَيْرِهِمْ عَلَيْهَا سَبِيلٌ فَادْهَبُوا عَنَّا ، فَعِنْدَهَا عَادَتْ رُسُلُ الْإِنْكَازِ ، وَأَقْلَعُوا فِي الْبَحْرِ ، لِيَمْتَارُوا^(٣) مِنْ غَيْرِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ، وَلِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ؛ ثُمَّ إِنَّ

(١) يريد أسطولاً .

(٢) هكذا في الأصل ، والصواب : ولا تتمكنون .

(٣) ليحلبوا الميرة ؛ وهي الزاد .

أَهْلَ الشَّعْرِ أَرْسَلُوا إِلَى كَاشِفِ الْبُحَيْرَةِ لِيَجْمَعَ الْعُرَبَانِ ، وَيَأْتِي مَعَهُنَّ لِلْمَحَافَظَةِ
بِالشَّعْرِ ، فَلَمَّا قُرِئَتْ هَذِهِ الْمَكَاتِبَاتُ بِمَضَرَّ حَصَلَ بِهَا اللَّفْظُ الْكَثِيرُ مِنْ
النَّاسِ ، وَتَحَدَّثُوا بِذَلِكَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، وَكَثُرَتِ الْمَقَالَاتُ^(١) وَالْأَرَاخِيفُ^(٢).

٢ — من كتاب للشيخ حسن العطار^(٣)

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَحْسَنَ وَشْيٍ^(٤) رَقْمَتُهُ^(٥) الْأَقْلَامُ ، وَأَبْهَى زَهْرٍ تَفَتَّحَتْ
عَنْهُ الْأَكْثَامُ^(٦) عَاطِرُ سَلَامٍ يَفُوحُ بِعَبِيرٍ^(٧) الْمَحَبَّةِ نَفْحُهُ^(٨) وَيُشْرِقُ
فِي سَمَاءِ الطُّرُوسِ^(٩) صَبْحُهُ .

سَلَامٌ كَزَهْرِ الرُّوضِ أَوْ نَفْحَةِ الصَّبَا

أَوِ الرَّاحِ تَجَلَّى فِي يَدِ الرَّشَاءِ الْأَلْمَى^(١٠)

(١) المقالات : الأقوال .

(٢) الأراخيف : الأقوال يقال على جهة التخيل والظن أو الكذب والادعاء .

(٣) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر ، وزار أهم الممالك الإسلامية ،
وصار بعد محرراً للوقائع المصرية أول ظهورها ، ثم صار شيخاً للأزهر الشريف وكان ، على علمه ؛ شاعراً
كاتباً بليفاً ؛ توفي سنة ١٢٥٠ هـ .

(٤) الوشْي : المحسن بالألوان . يريد به هنا : زخرفة الكلام .

(٥) رَقْمَتُهُ : خطته .

(٦) الْأَكْثَامُ : جمع كم بكسر الكاف وتشديد الميم وهو غلاف الزهرة التي تنشق منه .

(٧) الْعَبِيرُ : أخلاط من الطيب .

(٨) نَفْحُهُ : رائحته .

(٩) الطُّرُوسُ : الأوراق ، واحدها طرس بكسر الطاء .

(١٠) الرَّاح : الحُر تَجَلَّى : بالبناء المجهول تكشف وتدار مشرفة . الرَّشَاءُ : ولد الظبية

والألمى : المسود الشفة ؛ وهذه الصفة من مظاهر الحس عند العرب .

سَلَامٌ عَاطِرُ الْأُرْدَانِ^(١) ، تَحْمِلُهُ الصَّبَا سَارِيَةً عَلَى الرَّندِ^(٢) وَالْبَانَ^(٣) ، إِلَى
مَقَامِ حَضْرَةِ الْمُخْلِصِ الْوَدَادِ ، الَّذِي هُوَ عِنْدِي بِمَنْزِلَةِ الْعَيْنِ وَالْفُؤَادِ ،
صَاحِبِ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ ، حِلْيَةِ الزَّمَانِ الَّذِي حَلَّى بِهَا مِعْصَمَهُ وَجِيدَهُ .

٣ — رفاة بك رافع الطهطاوى^(٤)

من كلام له فى حُبِّ الوطن :

إِنَّ حُبَّ الْوَطَنِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَمِنْ طَبْعِ الْأَحْرَارِ إِحْرَازُ الْحَنِينِ إِلَى
الْأُوطَانِ . وَمَوْلِدُ الْإِنْسَانِ عَلَى الدَّوَامِ مَحْبُوبٌ ، وَمَنْشَوُّهُ مَأْلُوفٌ لَهُ وَمَرْغُوبٌ .
وَلِأَرْضِكَ حُرْمَةٌ وَطَنِيهَا ، كَمَا لَوَالِدَتِكَ حَقٌّ لَبَنِيهَا . وَالكَرِيمُ لَا يَخْفُو
أَرْضًا بِهَا قَوَابِلُهُ^(٥) ، وَلَا يَنْسَى دَارًا فِيهَا قَبَائِلُهُ . فَإِنِّي وَإِنْ أَلْبَسْتَنِ الْمَحْرُوسَةَ
نِعْمًا ، وَرَفَعْتَ لِي بَيْنَ أُمَثَالِي عِلْمًا^(٦) . وَكَانَتْ أُمُّ الْوَطَنِ الْعَامَّةُ ؛ وَوَلِيَّةُ
الْآلَاءِ وَالْإِنْعَامِ ، وَأَحِبُّهَا حُبًّا جَمًّا ، لِأَنَّهَا وَلِيَّةُ النِّعَمِ . وَقَضَيْتُ فِيهَا الْأَرْبَعِينَ
مُجَاوِرًا « كَرَامَ السَّجَايَا وَالْبُحُورِ الطَّوَامِيَا » . فَلَا زِلْتُ أَتَشَوَّقُ إِلَى وَطَنِي

(١) الأردن : جمع ردن بضم الراء ؛ وهو طرف الكرم .

(٢) الرند : نباته طيب الرائحة .

(٣) البان : شجر معتدل القوام يستخرج من حبه دهن طيب .

(٤) ولد بطهطا ؛ مدينة بديرية جرجا ؛ ورنى بالأزهر وفرنسا ؛ وشغل مناصب تعليمية وسواها
وألف عدة كتب . وهو على الجملة من بناء النهضة الحديثة فى العلم والأدب . وتوفى سنة ١٢٩٠ هـ .

(٥) القوابل : جمع قابلة . وهى التى تتلقى الولد عند ولادته .

(٦) العلم بفتحيتين : الراية ؛ يريد أنها أعظمت شأنه وأكرمت محله .

الْخُصُوصِيَّ وَاتَّشَوَّفُ^(١) ؛ وَاتَّطَلَّعُ إِلَى أَخْبَارِهِ السَّارَّةِ وَاتَّعَرَّفَ . وَلَا أُسَاوِي
بَطْهَاطَا الْخُصْبَةِ سِوَاهَا ، فِي الْقِيَامِ بِالْحُقُوقِ وَإِكْرَامِ مَثْوَاهَا .

مَنَازِلُ لَسْتُ أَهْوَى غَيْرَهَا مُقَيَّتٌ حَيًّا يَعُمُّ ، وَخُصَّتْ بِالتَّحِيَّاتِ^(٢)
وَأَمْنَحُهَا زَمَنًا بَعْدَ زَمَنِ الزِّيَارَةِ ، وَأَجِدُّ فِيهَا مِنْ هَبَاتِ الْحُكُومَةِ
الْعِمَارَةِ ، وَأَبْذُلُ فِي مَحَبَّتِهَا النَّفِيسَ لِتَحْصِيلِ الْأَرَاذِيِّ لِلزَّرْعِ وَالْعَرَسِ ،
وَأَفْتَحِرُ بِهَا كَمَا افْتَحَرَ عَصَامٌ بِالنَّفْسِ^(٣) ، وَأُنْشِدُ قَوْلَ الْحَافِظِ كَمَالَ الدِّينِ
الْأَذْفُوِيَّ .

أَحِبُّ إِلَى أَرْضِ الصَّعِيدِ وَأَهْلِهِ وَيَزْدَادُ وَجْدِي حِينَ تَبْدُو قِبَابُهَا
وَتَذْكُرُهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ مُهْجَتِي فَتَجْرِي دُمُوعًا إِذْ يَزِيدُ التَّهَابُهَا

٤ - لعبد الله باشا فكري^(٤)

سَلَامٌ يُعْبَرُ عَنِ الْوِدَادِ طِيبَ عَمِيرِهِ^(٥) ، وَيُخْبِرُ عَنْ إِخْلَاصِ الْفَوَادِ لَطْفُ
تَعْبِيرِهِ ، وَثَنَاءٌ عَلَى مَحَاسِنِ تِلْكَ الشَّمَائِلِ^(٦) ، أَرْقُ مِنْ نَسَمَاتِ الشَّمَائِلِ^(٧) ، وَتَحِيَّةٌ

(١) تشوف إلى الشيء : تطامع إليه في شغف .

(٢) الحيا : المطر . يدعو لها بالخصب والرخاء .

(٣) يشير إلى قول الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والإقداما
وصيرته ملكا هاما

(٤) انظر ترجمته في الشعر .

(٥) عمير الزهر : رائحته الطيبة .

(٦) الخلايا والسجايا .

(٧) جمع شمال : اسم ريح .

بِهَيْئَةٍ تُبَاهِي الْخُمَالِ^(١) ، بِنَفَحَاتٍ أَوْزَادِهَا^(٢) ، وَأَدْعِيَةٌ مَرْضِيَّةٌ جَمَلَتْهَا الْأَلْسِنَةُ
خَيْرَ أَوْزَادِهَا^(٣) ، وَسُؤَالٌ عَنِ الْمَزَاجِ الزَّاهِرِ ، وَصَحَّةُ الْخَاطِرِ الْبَاهِرِ ، لَا زِلْتُمْ
مَحَلَّ نِعْمَةٍ يَتَّصِلُ عَلَى مَدَى الْأَيَّامِ بِقَاوُهَا ، وَيَزِيدُ عَلَى مَرِّ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ
بِهَاوُهَا وَلَا بَرَحَتْ تُغُورُ الْإِقْبَالِ إِلَيْكُمْ بَوَاسِمِ ، وَرِيَّاحُ الْأَمَالِ لَدَيْكُمْ
نَوَاسِمِ^(٤) .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ بِي مِنَ الْأَشْوَاقِ ، مَا تَضَعِفُ عَنْ حَمَلِهِ إِلَى حِمَاكُمْ الْأَوْرَاقِ ،
وَمِنَ التَّأْسُفِ عَلَى مَا حُرِمْتُهُ مِنْ لِقْيَاكُمْ ، وَالتَّلَهُّفِ إِلَى مَطَالَعَةِ أَنْوَارِ مُحْيَاكُمْ
مَا يَقْصُرُ عَنْ وَصْفِهِ لِسَانُ الْبِرَاعَةِ^(٥) ، وَيُقْتَصَرُ دُونَ وَصْفِهِ بَيَانُ الْبِرَاعَةِ ،
وَيَضِيقُ عَنْهُ نِطَاقُ الْعِبَارَةِ ، وَلَا يَنْفَسِحُ لَهُ مَيْدَانُ الْإِشَارَةِ .

ومن كتاب له أيضاً إلى بعض أصحابه :

كَتَبْتُ وَالْذَهْنَ فَاتِرُ^(٦) ، مِنْ وَهْنِ الدَّفَاطِرِ ، وَالتَّبْيِضِ وَالتَّسْوِيدِ وَالتَّقْيِيدِ
وَالْتَّسْدِيدِ ، وَالتَّرَجُّمَةِ وَكَثْرَتِهَا ؛ وَالْهَمَّةِ وَفَقْرَتِهَا ، وَالْمَاهِيَّةِ^(٧) وَقِلَّتِهَا ، وَالنَّفْسِ
وَذِلَّتِهَا ، وَرَاتِبِي لَا يَكْفِي أُجْرَةَ الْبَيْتِ ، وَلَا يَفِي ثَمَنَ الْمَاءِ وَالزَّيْتِ ، وَبِالْأَمْسِ
وَعَدَ الْوَكِيلُ بِالزِّيَادَةِ وَاعْتَذَرَ الْيَوْمَ بِالْأَصِيلِ^(٨) عَلَى الْعَادَةِ ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ حَصَلَتْ

(١) الخُمَال : جمع خَيْلَةٍ وَهِيَ الشَّجَرُ الْكَثِيرُ الْمَلْتَفُ .

(٢) الْأَوْرَاد : الْوُرُودُ .

(٣) الْأَوْرَاد : مَا يَتْلُوهُ النَّاسُ مِنَ الْأَذْكَارِ .

(٤) نَسَمَتِ الرِّيحُ : تَهَرَّكَتْ وَهَبَتْ .

(٥) الْبِرَاعَةُ : الْقَلَمُ ؛ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ : الْقِصَّةُ .

(٦) لَفْتَرَةُ : الضَّعْفُ ؛ فَالْذَهْنُ الْفَاتِرُ : الْمُنْعَبُ الْمَكْدُودُ .

(٧) الْمَاهِيَةُ فِي اصْطِلَاحِ الْمَنَاطِقَةِ : حَقِيقَةُ الشَّيْءِ ؛ وَاسْتَعْمَلَهَا الْعَامَّةُ بِمَعْنَى الْمُرْتَبِ .

(٨) الْأَصِيلُ : يُرِيدُ بِهِ الرَّئِيسُ .

زِيَادَةُ فَلَزِيدٍ وَعَمَرُو ، إِلَى آخِرِ الزَّمَرِ ، وَلِلَّهِ الْأَمْرُ . أَحْوَالٌ مُتَبَدِّدَةٌ ، وَنُفُوسٌ
مُتَبَلِّدَةٌ ، وَأَشْغَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ ، وَإِخْوَانٌ خُؤَانٌ ^(١) ، وَخِلَآنٌ غِيْلَانٌ ، وَرِفَاقٌ ،
وَمَا أَجْمَلَ الْفِرَاقَ ! وَقَلْتُ :

إِلَامٌ أَغَانِي الصَّبْرَ وَالْدهْرُ غَادِرٌ وَحَتَّى مَتَى أَشْكُو وَمَالِي عَادِرٌ
وَلَوْ أَنِّي أَشْكُو عَظَائِمَ شِدَّتِي لَمُنِيتُ ، لَرَقَّتْ لِي الْعِظَامُ النَّوَاحِرُ
وَسَأَلْتُ عَنْ فُلَانٍ وَفُلَانٍ ، وَهَيَّانَ بْنِ بَيَّانٍ ^(٢) ، مِمَّنْ يَنْتَسِبُ لِلْعِلْمِ وَأَهْلِهِ ،
وَيَتَظَاهَرُ بِشِعَارِ فَضْلِهِ ، وَلَوْ كَانَ الْعِلْمُ بِلِجِيَّةٍ تَعْظُمُ وَأُطْوَلُ ، وَشَوَارِبُ
تُحَفُّ وَتُسْتَأْصَلُ ، وَعُمُيُونَ عَلَى مَا بَهَا مِنْ غَمَصٍ وَرَمَصٍ تُكَحَّلُ . . . فَهُمْ
أَعْلَمُ مَنْ أَقَلَّتْهُ الْغُبْرَاءُ ، وَأَفْقَهُ مَنْ أَظَلَّتْهُ الْخَضِرَاءُ ^(٣) ، وَإِنْ كَانَ لِلْعِلْمِ غَيْرُ هَذِهِ
الْآلَاتِ فَمَا لَهُمْ سِوَى هَذِهِ الْحَالَاتِ . . يَا قَوْمَ : أَهَذَا النُّحُوْ وَإِعْرَابُهُ ، وَالصَّرْفُ
وَأَبْوَابُهُ وَالْعَرْمُوضُ وَأَوْزَانُهُ وَأَبْجُرْمُهُ ، وَالْمَعَانِي وَإِنْشَاؤُهُ وَخَبَرُهُ ، وَالْبَيَانُ
وَفَرَائِدهُ وَالْبَدِيعُ وَشَوَاهِدُهُ وَهَذِهِ الْعُلُومُ الْمَوْضُوعَةُ ، وَالْأَسْفَارُ الْمَحْمُولَةُ ،
وَالدَّرُوسُ الْمَأْهُولَةُ ^(٤) ، وَالْأَصْوَاتُ الْمَهْمُولَةُ ، لِحَرْدِ مَعْرِفَةٍ ضَرَبَ زَيْدٌ لِعَمَرُو ،
وَقَتَالَ خَالِدٌ لِبَكْرٍ . وَأَنَّ قَالَ أَصْلُهَا قَوْلٌ ، ثُمَّ لَا يَدْرِي مَا حَصَلَ ، وَالطَّوِيلُ
مِنْ فِعُولِنِ مَفَاعِيلَيْنِ ، ثُمَّ لَا يَعْلَمُ ، كَيْفَ يُنْظَمُ ، وَالْفَصْلُ وَالْوَصْلُ ، وَلَا أَصْلَ
وَلَا فَصْلَ ، وَالْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ ، وَلَيْسَ لَهَا مَجَازٌ ، وَالتَّوْرِيَّةُ وَالْجِنَاسُ ، مِمَّا يُحْفَظُ

(١) خُؤَانٌ : جَمْعُ خَائِنٍ .

(٢) هَيَّانُ بْنُ بَيَّانٍ : اسْمٌ لِمَنْ لَا يَعْرِفُ وَلَا يَعْرِفُ أَبُوهُ :

(٣) الْخَضِرَاءُ : السَّمَاءُ .

(٤) الْعَاصَةُ بِالتَّلَامِيذِ .

وَلَا يُقَاسُ إِذَا وَاللَّهِ تَكُونُ تِلْكَ الْفُنُونُ ، مِنْ أَفَانِينَ^(١) الْجُنُونُ ، وَيَكُونُ
الْمِيلُ إِلَيْهَا ، وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهَا ، عَمَلًا حَابِطًا^(٢) ، وَشُغْلًا سَاقِطًا ، وَهَوَسًا حَاطِلًا ،
وَوَسْوَاسًا بَاطِلًا ، وَيَكُونُ وَاضِعُوهَا أَسَاءُوا النَّاسَ ، وَأَخْطَأُوا الْقِيَاسَ ، وَبَنَوْا
عَلَى غَيْرِ أُسَاسٍ ، كَيْلًا إِنَّمَا وَضَعُوهَا هَذِهِ الْقَوَاعِدَ ، وَشَرَعُوهَا لِلنَّاسِ تِلْكَ الْمَوَارِدَ^(٣) ،
لِيَتَكَلَّمُوا بِكَلَامِ الْعَرَبِ مِثْلَ مَا تَكَلَّمْتُمْ وَيَفْهَمُوا مِنْ أَلْفَظِهَا كَالَّذِي فَهَمْتُمْ
وَيُتَرَجِّمُوا عَنْ سَرَائِرِ الضَّمَائِرِ كَمَا تَرْجَمْتُمْ ، وَيَنْثُرُوا وَيَنْظِمُوا كَمَا نَثَرْتُمْ وَنَظَّمْتُمْ .
وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْعَرَبُ الَّتِي أَوْدَعَ اللَّهُ الْفَصَاحَةَ لِسَانِهَا ، وَشَرَّفَ بِسَيِّدِنَا
النَّبِيِّ وَالْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ مَكَانَهَا ، تَتَكَلَّمُ بِهِ هَذِهِ اللُّغَةُ الْعَلِيَّةُ ، عَلَى الْفِطْرَةِ الْأَصْلِيَّةِ ،
وَالسَّجِيَّةِ الْجَبِلِيَّةِ ، مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْقَوَاعِدِ وَالْأُصُولِ ، وَتِلْكَ الْأَبْوَابِ ، وَالْفُصُولِ ،
وَكَانَتْ تَعْتَدُ الْبَلَاغَةَ مَبْلَغَ عُلَاهَا ، وَتَعْتَقِدُ الْفَصَاحَةَ مِنْ حَاسَنِ حُلَاهَا ؛ إِلَى
أَنْ خَلَفَ هَذَا الْخَلَفَ ، فَظَنُّوا تِلْكَ الْوَسَائِلَ مَقَاصِدَ ، لَيْسَ بَعْدَهَا غَايَةٌ لِقَاصِدَ ،
وَحَسِبُوا هَذِهِ الْكُتُبَ تُقْصَدُ لِدَاتِهَا ، وَيُكْتَفَى بِالتَّعَبُّدِ بِكَلِمَاتِهَا ، فَوَقَفُوا
عِنْدَهَا ، وَلَمْ يَتَجَاوَزُوهَا ، لَمَّا بَعْدَهَا ، وَاتَّخَذُوا الْأَدَبَ وَرَاءَهُمْ ظَهْرِيًّا^(٤) ، وَجَعَلُوا
النَّظْمَ وَالنَّثْرَ شَيْئًا فَرِيًّا^(٥) .

(١) أفانين : أنواع .

(٢) حابطا : باطلا .

(٣) الموارد : مواضع الماء يستقى منها . شرعوها . فتجوها .

(٤) أى نبذوه .

(٥) أى إغما .

٥ - السيد عبد الله النديم^(١)

من رسالة طويلة ، تعمّد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من آي الذكر الحكيم :
لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، اشْتَبَهَ المُرَاقِبُ^(٢) بِاللَّاهِ^(٣) ، واستَبْدَلَ الحُلُوَّ بِالْمُرِّ ،
وقَدَّمَ الرَّقِيقُ عَلَى الحُرِّ ، وبيَعَ الدُّرَّ بِالخَزَفِ^(٤) والخَزْءَ^(٥) بِالخَشَفِ^(٦) ، وأظهرَ
كلُّ لَيْثٍ كِبَرَهُ ، إن في ذلكَ لَعِبْرَةٌ : سَمْعًا سَمْعًا ، فالوشاةُ إن سَعَوْا لَا يَمْقُلُوا ،
وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحَمَّدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَكَيْفَ تَشْتَرُونَ مِنْهُمْ القَارَ^(٧) فِي صِفَةِ
العَنْبَرِ ، وَقَدْ بَدَتْ البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، وَكَيْفَ
تَسْمَعُ الْأَحْبَابُ لِمَنْ نَهَى مِنْهُمْ وَزَجَرَ ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ^(٨)
عَجِبْتُ لَهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا دَارَنَا وَهُمْ عَنْهَا مَعْرُضُونَ . فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَانِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا
يَرْكُضُونَ^(٩) . وَأَنْتَ يَا عَزِيزَ الْعَالِيَا ، وَوَحِيدَ الدُّنْيَا ، قَدْ يَبَنْتُ لَكَ فِعْلُهُمْ .

(١) انظر ترجمته في الشعر .

(٢) يريد بالمراقب : من يراقب الله تعالى ويخشى عذابه .

(٣) اللاه : اللاهي ؛ وهذا جناس .

(٤) الخزف : الفخار .

(٥) الخز يفتح الحاء : الحرير يخلط بالصوف .

(٦) الخشف : الردى ، من الصوف .

(٧) القار : الزفت .

(٨) ازدجره كزجره : منعه ونهاه .

(٩) البأس . القوة . وركض : جرى وعدا .

فَبِمَا رَحْمَةٍ (١) مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ . وَلَكِنْهُمْ صَمَعُوا فِي عَمِيمٍ طَوْلِكَ (٢) ، وَلَوْ كُنْتَ
فُظًّا (٣) غَلِظَ الْقَلْبُ لَا نَفُخُوا مِنْ حَوْلِكَ . أَتَرَاهُمْ يَعْقِلُونَ كَلَامَكَ أَمْ يَفْهَمُونَ ؟
لَعَمْرُكَ (٤) إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٥) . لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَذَرُونَ بِهَا لِلْحَسَدِ
قِرَارًا ، لَوْ أُطْلِعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَمِنْهُمْ فِرَارًا . كَيْفَ يَسْعَى الْعَاذِلُ بَيْنَ النَّدِيمِ
وَالْفِهْ ، وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ (٦) مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ . فَيَا سَادَتِي : دَعُونِ
مِنَ الْمُعْجَبِ وَالْمُطْرَبِ ، لَيْسَ الْبَرُّ أَنْ تُؤَلُّوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ
وَالْمَغْرِبِ . وَاجْعَلُوا سَيْفَ ثَبَاتِكُمْ لِلْعُدَّالِ مَسْلُولا ، وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ
الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا .

٦ — السيد جمال الدين الأفغانى (٧)

كتب إلى عبد الله باشا فكرى يعتب عليه وقد بلغه أن رجلاً ذمّه أمام
الحديو على مسمع من فكرى باشا فسكت ولم يدافع عنه (٨) :
مولاي ! إِنْ نَسَبْتُكَ إِلَى هَوَادَةٍ فِي الْحَقِّ وَأَنْتَ — تَقَدَّسَتْ جِبِلَّتُكَ (٩) —
فُطِرْتَ عَلَيْهِ وَتَخَوَّضُ الْعَمَرَاتِ إِلَيْهِ : فَقَدْ بَعْتَ يَقِينِي بِالشك ؛ وَإِنْ تَوَهَّمْتُ فَيْكَ

(١) فيما رحمة : فبرحة ؛ وما للتوكيد .

(٢) طوولك بفتح الطاء : لإحسانك .

(٣) الفظ : الجافى النفس السيء الخلق .

(٤) لعمرك بفتح العين وسكون الميم وضم الراء : وحياتك .

(٥) يعمهون : يتحيرون .

(٦) النذر بضمين : جمع نذير بمعنى الإنذار .

(٧) هو محمد بن صفر ولد في أسعد آباد وتنقل في بلاد الهند وأفغانستان ، ثم رحل إلى الآستانة ؛ ثم
نق منها فجاء مصر ونفخ فيها من روحه ؛ وأسس نهضة إصلاحية في الدين والسياسة وتلمذ له فيها الشيخ
محمد عبده وغيره ، نفي من مصر ؛ ثم قصد باريس وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة « العروة الوثقى »
ثم دعى إلى الآستانة وبهامات سنة ١٣١٥ هـ .

(٨) قد تبين للسيد بعد ذلك أن فكرى باشا دافع عنه في ذلك المقام أبلغ دفاع .

(٩) أى طهر أصلك وطبعك .

حَيْدَانَا^(١) عَنِ الرَّشْدِ ، وَجَوْرًا عَنِ الْقَصْدِ ، وَأَنَا مُوقِنٌ أَنَّكَ لَا زِلْتَ عَلَى السَّدَادِ
غَيْرَ مُفْرَطٍ وَلَا مُفْرِطٍ^(٢) فَقَدْ اسْتَبَدَلْتُ عِلْمِي بِالْجَهْلِ - وَلَوْ قُلْتُ : إِنَّكَ مِنَ
الَّذِينَ تَأْخُذُهُمْ فِي الْحَقِّ لَوْمَةٌ لَا أُمْ ، وَتَصُدُّهُمْ عَنِ الصِّدْقِ خَشْيَةً ظَالِمٍ ، وَأَنْتَ
تَصْدَعُ بِهِ^(٣) غَيْرَ وَإِنْ وَلَا ضَجِرٍ ، وَلَوْ أَلَبَّ^(٤) الْبَاطِلُ الْكَوَارِثَ الْمُرْدِيَّةَ ،
وَأَجْرِي عَلَيْكَ الْخُطُوبَ الْمُوَبِّقَةَ ، لَكَذَّبْتُ نَفْسِي وَكَذَّبَنِي مَنْ يَسْمَعُ مَقَاتِي
لَأَنَّ الْعَالِمَ وَالْجَاهِلَ وَالْفَظْنَ وَالْعَبِيَّ كُلَّهُمْ قَدْ أَتَجَمَعُوا عَلَى طَهَارَةِ سَجِيَّتِكَ .
وَتَقَاوَةِ سَرِيرَتِكَ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْفَضَائِلَ حَيْثُ أَنْتَ ، وَالْحَقُّ مَعَكَ أَيْنَمَا
كُنْتُ ، لَا تُفَارِقُ الْمَكَارِمَ وَلَوْ اضْطَرَرْتُ وَأَنْتَ مُجْبُولٌ عَلَى الْخَيْرِ لَا يَحُومُ
حَوْلَكَ شَرٌّ أَبَدًا ، وَلَا تَصْدُرُ عَنْكَ نَقِصَةٌ قَصْدًا ، وَلَا تَهِنُ^(٥) فِي قَضَاءِ حَقٍّ ،
وَلَا تَنِي عَنْ شَهَادَةِ صِدْقٍ - وَمَعَ هَذَا وَهَذَا وَذَاكَ إِنَّكَ مَعَ عِلْمِكَ بِوَاقِعِ
أَمْرِي ، وَعِرْفَانِكَ بِسَرِيرَتِي وَسَرِّي ، أَرَاكَ مَا ذُذْتُ عَنْ حَقٍّ كَانَ وَاجِبًا
عَلَيْكَ حِمَايَتُهُ ، وَلَا صُنْتَ عَهْدًا كَانَتْ عَلَيْكَ رِعَايَتُهُ ، وَكَتَمْتَ الشَّهَادَةَ وَأَنْتَ
تَعْلَمُ أَنِّي مَا أَضْمَرْتُ لِلْخَدِيوِ وَلَا لِلْمُضَرِّيِّينَ شَرًّا ، وَلَا أَسْرَرْتُ لِأَحَدٍ فِي خَفِيَّاتِ
ضَمِيرِي ضَرًّا ، وَتَرَكْتَنِي وَأَنْيَابَ النَّذْلِ اللَّائِمِ (فُلَانٍ) حَتَّى نَهَشَنِي نَهْشَ
السَّبْعِ الْهَرَمِ الْعِظَامِ ، ضَغِينَةً مِنْهُ عَلَى السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ اللَّقَائِيَّ وَإِغْرَاءً مِنْ أَعْدَائِي
أَحْزَابِ (فُلَانٍ) ، مَا هَكَذَا الظَّنُّ بِكَ ، وَلَا الْمَعْرُوفُ مِنْ رُشْدِكَ وَسَدَادِكَ

(١) الحيدان : الميل .

(٢) الإفراط في الشيء : المغالاة في الأخذ فيه . والتفريط : إهماله كل الإهمال .

(٣) تصدع به : تَجَهَّرَ بِهِ .

(٤) أَلَبَّ : جمع .

(٥) تَهِنَ : تَضَعَفَ .

وَلَا يُطَاوَعُنِي إِسَانِي - وَإِنْ كَانَ قَلْبِي مُدْعِنًا بِعُظْمِ مَنَزِلَتِكَ فِي الْفَضَائِلِ ،
مُقَرَّرًا بِشَرَفِ مَقَامِكَ فِي الْكَمَالَاتِ - أَنْ أَقُولَ : عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ إِلَّا أَنْ ،
تَصْدَعَ بِالْحَقِّ ، وَتَقِيمَ الصَّدْقَ ، وَتُظْهِرَ الشَّهَادَةَ إِزَاحَةً لِلشُّبْهَةِ ، وَإِدْحَاضًا
لِلْبَاطِلِ ، وَإِخْزَاءً لِلشَّرِّ وَأَهْلِهِ ، وَأَظْنُكَ قَدْ فَعَلْتَ أَدَاءَ لِفَرِيضَةِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ ،
ثُمَّ إِنِّي يَا مَوْلَايَ أَذْهَبُ الْآنَ إِلَى لَنْدُنَ وَمِنْهَا إِلَى بَارِيسَ مُسَلِّمًا عَلَيْكُمْ ،
وَدَاعِيًا لَكُمْ - وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى أَخِي الْفَاضِلِ الْبَارِئِ أَمِينِ بِكَ

جمال الدين الأفغانى

٨ صفر سنة ١٣٠٠

٧ - لأديب إسحاق^(١)

أوروبا والشرق

كتب تحت هذا العنوان :

قَضَى عَلَى الشَّرِّقِ أَنْ يَهْبِطَ بَعْدَ الارتفاعِ ، وَيَذِلَّ بَعْدَ الارتفاعِ^(٢)
وَيَكُونُ هَدَفًا^(٣) لِسِهَامِ الْمُطَامِعِ وَالْمُطَالِبِ ، تَعَبَتْ بِهِ أَيْدِي الْأَجَانِبِ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . فَمِنْهُمْ مَنْ يُغِيرُ عَلَيْهِ بِحِجَّةِ الْغَيْرَةِ عَلَى الْإِنْسَانِيَّةِ ، وَمِنْهُمْ
مَنْ يَتَدَاخَلُ فِيهِ بِدَعْوَى إِقَامَةِ الْمَدَنِيَّةِ . وَلَمْ نَرِ مِنْهُمْ مَنْ صَدَقَ فِي دَعْوَاهُ ،
بَلْ كُلُّهُمْ تَابِعٌ فِي ذَلِكَ قَصْدُهُ وَهَوَاهُ .

(١) ولد بدمشق وتعلم في مدارس المرسلين العربية والفرنسية ، وأجاد الأدب العربي واشتغل بالسياسة
والصحافة وأنشأ جريدة مصر واتصل بجمال الدين الأفغانى . وتوفي سنة ١٨٨٥ م . ويمتاز أسلوبه
بالإرسال الممزوج بالسجع مع السهولة .

(٢) الامتناع : الرفعة والتمنع على صروف الزمن أن تنال منه شيئاً .

(٣) الهدف : بفتحين مرمى السهام .

٨ — نجيب الحدّاد^(١)

كتب في إرضاء الناس :

« عبارة لو وُضِعَتْ في كُتُبِ اللُّغَةِ لَكَانَتْ أُخْتِ الْمُسْتَحِيلِ فِي الْمَعْنَى ،
وَمُرَادِفِ النَّجْمِ فِي الْبُعْدِ ، وَشَبَّهَ الْكَبْرِيتَ الْأَحْمَرَ^(٢) فِي النُّدْرَةِ وَالْقِلَّةِ . وَإِنْ
شُدَّتْ فَقُلْ : إِرْضَاءُ النَّاسِ كَلِمَةٌ تُقَالُ ، وَلَا تُخَالُ ، حَتَّى يُصَاغَ مِنْ الْخَاتَمِ
خَلْخَالٌ . وَمَنْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُرْضِيَ الْوَاحِدَ الْفَرْدَ فِي جَمِيعِ أَخْلَاقِهِ ، كَيْفَ
يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُرْضِيَ الْجَمِيعَ ؟ ... » .

ومن كلامه الجارى مجرى الحكم :

مَنْ جَارَ عَلَى صِبَاهٍ ، جَارَتْ عَلَيْهِ شَيْخُوخَتُهُ .

مَهْمَا اجْتَهَدَتِ الْمَرْأَةُ فِي أَنْ تُقَلِّدَ الرَّجُلَ ، فَجُلُّ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا

لَا تَصِيرُ رَجُلًا ، وَلَا تَعُودُ أُمْرًا !

مَنْ غَرِيبَ طَبَائِعِ الْإِنْسَانِ أَنَّهُ يُحِبُّ الْعَدَالََةَ مَظْلُومًا ، وَيُكْرَهُهَا

ظَالِمًا ، وَيَطْلُبُ الْحُرِّيَّةَ مَرْءُوسًا ، وَيُنْكِرُهَا رَئِيسًا !

(١) كاتب رقيق ، وشاعر مجيد ، اشتغل بالتحريض في الصحف ، وترجمة الروايات ، وأسلوبه رصين ،

والفاظه مختارة .

(٢) الكبريت الأحمر : يضرب به المثل في القلة والندرة .

٩ - مصطفى بك نجيب^(١)

كتب يصف نظارة ويشكر من أهداها :

وَرَدَ الْكِتَابُ الْمُطَرَّزُ بِحُلَى الْكَرَمِ ، الْمُحَلَّى بِجَمِيلِ النِّعَمِ ، وَاسْتَلَمْتُ^(٢)
الْهَدِيَّةَ ، فَسَلَمْتُ يَدَهُ أَهْدَيْتُهَا ، وَحُفِظَتْ السَّجَايَا الَّتِي لِمَحَاسِنِ الْأَعْمَالِ
هَدَيْتُهَا ، وَدَامَتْ رَحَابٌ لِمِثْلِ هَذِهِ الْحُسَنَاتِ فِيهَا مَجَالٌ ، وَلِلْمُحْسِنَاتِ بِهِاءٌ
وَجَمَالٌ ، وَلِلْأَمَالِ مَحْطٌ رَحَالٌ ؛ وَلِلْمَقَاصِدِ كَعْبَةٌ إِقْبَالٌ ، وَطَابَتْ نَفْسُ تَعَالَى اللَّهِ
أَنْ تُثَامِلَهَا نَفْسُ عَصَامٍ^(٣) ، فَإِنَّهَا نَسَخَتْ آيَةَ الْكُرِّ وَالْإِقْدَامِ ، بِآيَةِ الْجُودِ
وَالْإِكْرَامِ ، وَفَعَلَتْ فِي الْقُلُوبِ بِالْعَطَاءِ وَالنَّوَالِ ، مَا قَصَّرَتْ عَنْهُ الرِّمَاحُ
الطُّوَالِ ، وَتَأَمَّلْتُهَا فَأَرَتْنِي مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَأُظْهِرْتُ مِنْ مُحَاسِنِ الْمَنَاطِرِ
مَا أَضْمَرْتُ ، وَقَرَّبْتُ كُلَّ مَنْظُورٍ بَعِيدٍ ، وَتَلَّتْ (فَكَشَفْنَا عَنْكَ
غَطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ)^(٤) ، وَصَفَا وَقْتِي بِصَفَائِهَا ، فَلَمْ أَشْتَهُ شَيْئًا
إِلَّا جَمَعْتُ بَيْنَهُ وَيَنِّي ، وَصَحَّ عَلَيْنَا قَوْلُ الْقَائِلِ : (رَأَيْتُ بِعَيْنِيهَا وَرَأَتْ

(١) هو مصطفى بن محمد نجيب . شاعر كاتب ، يمتاز بسهولة الأسلوب ، ورشاقة العبارة ، وإيراد أروع النكات في شعره ونثره . وقد نشأ في معية الحديوي ؛ ثم تحول إلى وزارة الداخلية فشغل فيها مناصباً كبيراً حتى مات رحمه الله ، وهو صاحب رسائل « أحلام الأحلام » وكتاب « حماة الإسلام » الذي نشر منجماً في جريدة اللواء . وتوفي سنة ١٣٢٠ هـ .

(٢) لقد جرى الكاتب أهل العصر في استعمال هذه الكلمة ؛ والاستلام لا يكون إلا للحجر الأسود .

(٣) اسم رجل أنشأ نفسه ويضرب به المثل ؛ قال النابغة الذبياني يمدحه :

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الكر والإقداما

* وصيرته ملكا هاما *

(٤) حديد : قوى نفاذ .

بِعَيْنِي) ، ثم سَرَّحْتُ نَظْرِي فِي الْأَطْلَالِ وَالرُّسُومِ ^(١) حَتَّى نَظَرْتُ نَظْرَةً
فِي النُّجُومِ ، فلم تُخَفِ عَنِّي شَجَرًا وَلَا مَدْرًا ^(٢) وَلَا نَجْمًا ، وَلَا قَرًّا :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا

بِهَاءٍ ، يُخَيِّلُ لِي أَنَّهَا صِيغَتْ مِنْ ضِيَاءٍ ، فَلَوْ كَانَتْ فِي يَدِ ذَلِكَ الظَّمَانِ
— أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ — لَمَا كَانَ يَحْسِبُ أَنَّ السَّرَّابَ مَاءً ، اسْتَغْرَبَتْهَا الْعُقُولُ
حَتَّى صَارَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ فِيهَا نَظَرٌ ، وَاطَّلَعَتْ عَلَى تَفَاوُتِ النَّاسِ لَجَاءَتْ لِكُلِّ
بَصَرٍ بِقَدَرٍ ، وَنَالَ بِهَا كُلُّ قَصْدٍ وَمَرَامٍ ، وَاسْتَوَى عِنْدَهَا « أَعْمَى وَأَعْمَى
مِمَّ ذُو بَصَرٍ وَزَرْقَاءُ ^(٣) الْيَمَامَةِ » ، فَلَوْ كَانَتْ عَيْنًا لَكَشَفَتْ حَقَائِقَ
الضَّمَائِرِ ، وَنَظَرَ بِهَا تَقَلُّبُ الْقُلُوبِ وَحَقِيقَةُ الْبَصَائِرِ . شَهِدَ لَهَا الْجَمْعُ بِالْفَضْلِ
لَمَّا ظَهَرَ لِكُلِّ إِنْسَانٍ لَدَيْهَا حَالَةٌ ضَعْفِهِ ، وَعَظَمَ مِقْدَارَهَا كُلُّ فَرْدٍ وَرَفَعَهَا
— رَغْبَةً مِنْهُ أَوْ رَغْمًا — عَلَى أَنْفِهِ ، وَلَا عَيْبَ فِيهَا غَيْرَ أَنِّي نَظَرْتُ بِهَا
فِي سَمَاءِ فَضْلِكَ الْبَاهِرِ ، وَأُفُقِ شَرَفِكَ الطَّاهِرِ ، فلم يَنْكَشِفْ لِي بِهَا إِجْوَدَاءُ
آخِرٍ ، لَا زَالَ كَرَمِكَ بِعَمِيدٍ أَحَدُهُ عَلَى كُلِّ نَازِلٍ وَبَاصِرٍ ، وَفَضْلُ مَنْهَايِكَ
غَايَةً تَقْصِدُهَا الْأَوَائِلُ وَالْآوَاخِرُ .

(١) الأطلال والرسوم مابقي من آثار الديار بعد أن تركها أهلها .

(٢) المدر : التراب المتلبد ؛ أو الطين .

(٣) امرأة يمانية يقال لأنها كانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام .

١٠ - للشيخ محمد عبده^(١) « من رسالة التوحيد »

القرآن

جاءنا الخبر المتواتر الذي لا تتطرق إليه الريبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في نشأته وأُمِّيَّته على الحال التي ذكرنا ، وتواترت أخبار الأمم كافة على أنه جاء بكتاب قال إنه أنزل عليه ، وأن ذلك الكتاب هو القرآن المكتوب في المصاحف المحفوظ صدور في من عني بحفظه من المسلمين إلى اليوم

كتاب حوى من أخبار الأمم الماضية ما فيه معتبر^(٢) للأجيال الحاضرة والمستقبل ؛ نقب على الصحيح منها ، وغادر الأباطيل التي ألحقها الأوهام بها ، ونبه على وجوه العبرة فيها . حكى عن الأنبياء ما شاء الله أن يقص علينا من سيرهم ، وما كان بينهم وبين أممهم ، وبرأهم مما رامهم به أهل دينهم المعتقدون برسالاتهم . أخذ^(٣) العلماء من الملل المختلفة على ما أفسدوا من عقائدهم ، وما خلطوا في أحكامهم ، وما حرفوا^(٤) بالتأويل في كتبهم ، وشرع للناس أحكاماً تنطبق على مصالحهم ، وظهرت الفائدة في العمل بها والمحافظة عليها ، وقام بها العدل ، وانتظم بها شمل الجماعة

(١) ولد الشيخ العالم الأديب محمد عبده في مجلة نصر إحدى قرى مديرية البحيرة ، ودرس بالأزهر العلوم العقلية والأدبية والدينية ، واتصل بهالة الدين الأفغاني ، وكان أكثر الناس انتفاعاً به ، ثم نفي عقب الثورة العربية ؛ ولكنه عاد إلى مصر وتولى التدريس والقضاء في المحاكم الأهلية ثم الإفتاء مجتهداً محققاً وقد توفي سنة ١٣٢٣ هـ بعد أن ترك آثاراً ثمينة وطبقة من أئمة الطبقات المصرية .

(٢) معتبر : عبرة وموعظة .

(٣) أخذ : حسب .

(٤) التحريف : التغيير ؛ ووضع شيء مكان شيء .

ما كانت عِنْدَ حَدِّ مَا قَرَّرَهُ^(١) ، ثم عَظُمَتِ الْمَضَرَّةُ فِي إِهْمَالِهَا وَالْانْحِرَافِ
عنها أو البُعْدِ بها عن الرُّوحِ الذي أودعته^(٢) ففَاقَتْ بِذَلِكَ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ
الْوَضْعِيَّةِ^(٣) كما يَتَبَيَّنُ لِلنَّاظِرِ فِي شَرَائِعِ الْأُمَمِ . ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِكْمِ
ومواعظ وآداب تَخْشَعُ لَهَا الْقُلُوبُ ، وَتَهْشُ^(٤) لاسْتِقْبَالِهَا الْعُقُولُ ، وَتَنْصَرِفُ
وَرَاءَهَا الْهَمَمُ ، انْصِرَافُهَا فِي السَّبِيلِ الْأَمِّ^(٥) .

نَزَلَ الْقُرْآنُ فِي عَصْرِ اتَّفَقَ الرُّوَاةُ وَتَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ عَلَى أَنَّهُ أَرُقِيَ
الْأَعْصَارَ عِنْدَ الْعَرَبِ وَأَغْزَرُهَا مَادَّةً فِي الْفَصَاحَةِ ، وَأَنَّهُ الْمُمْتَازُ بَيْنَ جَمِيعِ
مَا تَقَدَّمَهُ بِوَفْرَةِ رِجَالِ الْبَلَاغَةِ ، وَفُرْسَانِ الْخُطَابَةِ ، وَأَنْفُسُ مَا كَانَتْ
الْعَرَبُ تَتَنَافَسُ فِيهِ مِنْ ثَمَارِ الْعَقْلِ ، وَنَتَائِجِ الْفُطْنِ وَالذِّكَاةِ هُوَ الْغَلَبُ^(٦)
فِي الْقَوْلِ ، وَالسَّبْقُ إِلَى إِصَابَةِ مَكَانِ الْوِجْدَانِ مِنَ الْقُلُوبِ ، وَمَقَرُّ الْإِذْعَانِ
مِنَ الْعُقُولِ ، وَتَفَانِيهِمْ فِي الْمُفَاخَرَةِ بِذَلِكَ مِمَّا لَا يُحْتَاجُ إِلَى الْإِطَالَةِ فِي بَيَانِهِ .
تَوَاتَرَ الْخَبَرُ كَذَلِكَ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْحِرْصِ عَلَى مُعَارَضَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالتَّمَسُّكِ بِمُؤَسَّسَاتِهِ الْوَسَائِلِ قَرِيبِهَا وَبَعِيدِهَا ، لِإِبْطَالِ دَعْوَاهُ ، وَتَكْذِيبِهِ
فِي الْإِخْبَارِ عَنِ اللَّهِ ، وَإِتْيَانِهِمْ فِي ذَلِكَ عَلَى مَبْلَغِ اسْتِطَاعَتِهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ
الْمُلُوكُ الَّذِينَ تَحْمِلُهُمْ عِزَّةُ الْمُلْكِ عَلَى مُعَانَدَتِهِ ، وَالْأُمَرَاءُ الَّذِينَ يَدْعُوهُمْ

(١) يريد مادامت فاعلة على حدوده ، عاملة بأحكامه .

(٢) أودعته : حفظت فيه .

(٣) الشرائع الوضعية : القوانين التي تسنها الحكومات .

(٤) تهش : ترتاح وتسر .

(٥) الأمم بفتح الهمزة والميم : البين الواضح .

(٦) الغلب : التغلب .

السلطانُ إلى مناوَأَتِهِ^(١) وَالْخُطْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابُ الَّذِينَ يَشْمَخُونَ
بِأَنُوفِهِمْ عَنْ مُتَابَعَتِهِ ، وَقَدْ اشْتَدَّ جَمِيعُ أَوْلَئِكَ فِي مُقَاوَمَتِهِ^(٢) ، وَانْهَالُوا
بِقُوَاهُمْ عَلَيْهِ اسْتِكْبَارًا عَنِ الْخُضُوعِ ، وَتَمَسُّكَ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ
أَذْيَانِ آبَائِهِمْ ، وَحِمِيَّةٍ^(٣) لِعَقَائِدِهِمْ وَعَقَائِدِ أَسْلَافِهِمْ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُخْطِئُ
آرَاءَهُمْ ، وَيُسِفُهُ أَحْلَامَهُمْ^(٤) ، وَيَحْتَقِرُّ أَصْنَافَهُمْ ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَا لَمْ تَعْهَدُهُ
أَيَّامُهُمْ ، وَلَمْ تَخْفُقْ لِمِثْلِهِ أَعْلَامُهُمْ ، وَلَا حُجَّةَ لَهُ بَيْنَ يَدَيِ ذَلِكَ كُلِّهِ
إِلَّا تَحْدِيثَهُمْ^(٥) بِالْإِتْيَانِ بِمِثْلِ أَقْصَرِ سُورَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْكِتَابِ ، أَوْ بَعْشَرِ
سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ، وَكَانَ فِي اسْتِطَاعَتِهِمْ أَنْ يَجْمَعُوا إِلَيْهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفُصَحَاءِ
وَالْبُلَغَاءِ مَا شَاءُوا لِيَأْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ مِثْلِ مَا أَتَى بِهِ لِيُبْطِلُوا الْحُجَّةَ ،
وَيُفْحِمُوا^(٦) صَاحِبَ الدَّعْوَةِ .

جَاءَنَا الْخَبَرُ الْمُتَوَاتِرُ أَنَّ مَعَ طُولِ زَمَنِ التَّحَدُّيِ ، وَجَلَّاجِ^(٧) الْقَوْمِ
فِي التَّمَدُّيِ ، أُصِيبُوا بِالْعَجْزِ ، وَرَجَعُوا بِالْخَيْبَةِ ، وَحَقَّتْ لِلْكِتَابِ الْعَزِيزِ
الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا عَلَى كُلِّ كَلَامٍ .

وله يصف نهج البلاغة :

أَوْفَى لِي حُكْمُ الْقَدَرِ بِالْإِطْلَاعِ عَلَى كِتَابِ «نَهْجِ الْبَلَاغَةِ» صُدْفَةً بِلَا تَعْمَلِ
أَصْبَتْهُ عَلَى تَغْيِيرِ حَالٍ^(٨) ، وَتَبْلُبِلُ بِالِ ، وَتَزَاحِمُ أَشْغَالٍ^(٩) ، وَعُطْلَةٌ مِنْ أَعْمَالٍ ،

(١) مناوَأَتِهِ : محاربتِهِ .

(٢) مُقَاوَمَتِهِ : صَدَدُهُ .

(٣) الْحِمِيَّةُ : الْغَبْرَةُ .

(٤) الْأَحْلَامُ : جَمْعُ حِلْمٍ ؛ وَهُوَ الْعَقْلُ .

(٥) التَّحَدُّيُ : طَلَبُ الْإِتْيَانِ بِالشَّيْءِ مَعَ إِظْهَارِ الْعَجْزِ عَنْهُ .

(٦) يُفْحِمُونَهُ : يُجْعَلُونَهُ يَعْيَا مِنْ النُّطْقِ وَالْمُقَاوَمَةِ .

(٧) الْجَلَّاجُ : هُنَا — الْمَتَابَعَةُ .

(٨) تَبْلُبِلُ الْبَالُ : اضْطِرَابُهُ .

(٩) الْأَشْغَالُ : جَمْعُ شُغْلٍ ؛ وَهُوَ مَا يَشْغُلُ النَّفْسَ بِأَيِّ تَزَاحِمِ الْهَمُومِ وَشَوَاغِلِ النَّفْسِ .

خَسِيبَتُهُ لِلتَّسْلِيَةِ ، وَجَعَلَتْهُ لِلتَّخْلِيَةِ . فَتَصَفَّحْتُ بَعْضَ صَفَحَاتِهِ ، وَتَأَمَّلْتُ مُجَلَّاتَهُ مِنْ عِبَارَاتِهِ ، مِنْ مَوَاضِعَ مُخْتَلَفَاتٍ ، وَمَوَاضِيَعٍ مُتَفَرِّقَاتٍ . وَكَانَ يُخَيِّلُ لِي فِي كُلِّ مَقَامٍ أَنَّ حُرُوبًا شَبَّتْ وَغَارَاتٍ شَدَّتْ ، وَأَنَّ لِلْبَلَاغَةِ دَوْلَةً وَلِلْفَصَاحَةِ صَوْلَةً ، وَأَنَّ لِلْأَوْهَامِ عَرَامَةً ^(١) ، وَلِلرَّيْبِ دَعَارَةً ^(٢) . وَأَنَّ جَحَافِلَ الْخَطَابَةِ ^(٣) ، وَكِتَابِ الدَّرَابَةِ ^(٤) ، فِي عُقُودِ النِّظَامِ ، وَصُفُوفِ الْإِنْتِظَامِ ، تُنَافِعُ ^(٥) بِالصَّفِيحِ ^(٦) الْأَبْلَجِ ^(٧) ، وَالْقَوِيمِ الْأَمْلَجِ ^(٨) وَتَمْتَلِجُ ^(٩) الْمَهْجِ ^(١٠) ، بِرَوَائِعِ الْحُجَجِ . وَتَفْلُ دَعَارَةَ الْوَسَاوِسِ ، وَتُصِيبُ مَقَاتِلَ الْخَوَانِسِ ^(١١) . فَمَا أَنَا إِلَّا وَالْحَقُّ مُنْتَصِرٌ ، وَالْبَاطِلُ مُنْكَسِرٌ ، وَمَرْجُ الشَّكِّ فِي مُخُودٍ ، وَهَرَجٍ ^(١٢) الرَّيْبِ فِي رُكُودٍ ، وَأَنَّ مُدَبِّرَ تِلْكَ الدَّوْلَةِ ، وَبَاسِلَ تِلْكَ الصَّوْلَةِ هُوَ حَامِلُ لَوَائِهَا الْغَالِبُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، بَلْ كُنْتُ كُلَّمَا انْتَقَلْتُ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ أَحْسُ بِتَغْيِيرِ الْمَشَاهِدِ ، وَتَحَوُّلِ الْمَعَاهِدِ :

- (١) عَرَامَةٌ — بفتح العين — : شدة وشراسة .
 (٢) الدَّعَارَةُ — بفتح الدال وكسر ها — الفجور وسوء الخلق .
 (٣) الجَحَافِلُ : جمع جحفل — بفتح الجيم — وهو الجيش الكثير .
 (٤) الْكِتَابُ : جمع كتيبة — بفتح الكاف — وهي القطعة من الجيش .
 (٥) الدَّرَابَةُ — بفتح الدال — : الفصاحة .
 (٦) تُنَافِعُ : تدافع .
 (٧) الصَّفِيحُ : السيوف ؛ وأراد بها هنا : المفرد .
 (٨) الْأَبْلَجُ : الأبيض اللامع .
 (٩) يَرِيدُ بِالْقَوِيمِ الْأَمْلَجِ : الرمح المعتدل الأسمر .
 (١٠) تَمْتَلِجُ : تمتص .
 (١١) الْمَهْجُ : جمع مهجة — بضم الميم — وهي دم القلب .
 (١٢) لَعَلَّهُ يَرِيدُ بِالْخَوَانِسِ مَا يَجُولُ فِي النَّفْسِ مِنْ خَوَاطِرِ السُّوءِ .
 (١٣) لِلْمَرْجِ — بفتح الراء — القلق والاضطراب ؛ وإنما تسكن الراء إذا قرنت بالهـرج . والهـرج — بسكون الراء — الفتنة .

فَتَارَةً كُنْتُ أَجِدُنِي فِي عَالَمٍ يَعْمُرُهُ مِنَ الْمَعَانِي أَرْوَاحٌ عَالِيَةٌ فِي حُلَلٍ مِنَ
 الْعِبَارَاتِ الزَّاهِيَةِ ، تَطُوفُ عَلَى النُّفُوسِ الزَّاكِيَةِ ^(١) ، وَتَدْنُو مِنَ الْقُلُوبِ
 الصَّافِيَةِ ، تُوحِي إِلَيْهَا رَشَادَهَا وَتُقَوِّمُ مِنْهَا مُنَادَهَا ^(٢) ، وَتَنْفُرُ بِهَا عَنْ مَدَاحِضِ
 الْمُنْزَالِ ^(٣) ، إِلَى جَوَادِ ^(٤) الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ ، وَطَوْرًا كَانَتْ تَنْكَشِفُ لِي الْجَمَلِ
 عَنْ وُجُوهِ بَاسِرَةٍ ^(٥) ، وَأَنْيَابٍ كَاشِرَةٍ وَأَرْوَاحٍ فِي أَشْبَاحِ النُّمُورِ ، وَتَخَالِبِ
 الذُّسُورِ ، وَقَدْ تَحَفَّزَتْ لِلْوَثَابِ ، ثُمَّ انْقَضَتْ لِلَاخْتِلَابِ ، تَخَلَّبَتْ الْقُلُوبَ عَنْ
 هَوَاهَا ، وَأَخَذَتْ الْخَوَاطِرَ دُونَ مَرَمَاهَا ، وَأَغْتَالَتْ فَاسِدَ الْأَهْوَاءِ ، وَبَاطَلَ
 الْأَرَاءِ . وَأَخْيَانًا كُنْتُ أَشْهَدُ أَنَّ عَقْلًا نُورَانِيًّا ، لَا يَشْبَهُ خَلْقًا جُسْدَانِيًّا ،
 فَصَلَ عَنِ الْمَوْكِبِ الْإِلَهِيِّ ^(٦) ، وَاتَّصَلَ بِالرُّوحِ الْإِنْسَانِيِّ ، تَخْلَعُهُ عَنْ غَاشِيَاتِ
 الطَّبِيعَةِ وَسَمَّا بِهِ إِلَى الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى ، وَنَمَّا ^(٧) بِهِ إِلَى مَشْهَدِ النُّورِ الْإِجْلِيِّ ،
 وَسَكَنَ بِهِ إِلَى عِمَارِ جَانِبِ التَّقْدِيسِ ، بَعْدَ اسْتِخْلَاصِهِ مِنْ شَوَائِبِ التَّلْبِيسِ
 وَأَنَاتِ ^(٨) كَأَنِّي أَسْمَعُ خَطِيبَ الْحُكْمَةِ ، يُنَادِي بِأَعْلِيَاءِ الْكَلِمَةِ ، وَأَوَّلِيَاءِ
 أَمْرِ الْأُمَّةِ ، يُعَرِّفُهُمْ مَوَاقِعَ الصَّوَابِ وَيُبَصِّرُهُمْ مَوَاضِعَ الْارْتِيَابِ وَيُحَذِّرُهُمْ
 مَزَالِقَ الْاضْطِرَابِ ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى دَقَائِقِ السِّيَاسَةِ ، وَيَهْدِيهِمْ طَرِيقَ
 الْكِيَاسَةِ ، وَيَرْتَفِعُ بِهِمْ إِلَى مَنْصَبَاتِ ^(٩) الرِّيَاسَةِ ، وَيُصْعِدُهُمْ شَرَفَ التَّدْيِيرِ ،
 وَيُشْرِفُ بِهِمْ عَلَى حُسْنِ الْمَصِيرِ .

(١) الزَّاكِيَةُ : الْمُطَهَّرَةُ . (٢) الْمُنَادُ : الْمُعَاوِدُ .

(٣) الْمَدَاحِضُ : جَمْعُ مَدْحَضَةٍ — بَفَتْحِ الْمِيمِ — وَهِيَ الْمَزَالِفَةُ وَالْمَزَلَّةُ .

(٤) الْجَوَادُ — بِتَشْدِيدِ الدَّالِ — جَمْعُ جَادَةٍ ؛ وَهِيَ مَعْظَمُ الطَّرِيقِ أَوْ وَسْطُهُ .

(٥) بَاسِرَةٌ : مُتَقَبِّلَةٌ . (٦) فَضْلُهُ عَنْهُ — بِصِيغَةِ الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ — خَرَجَ عَنْهُ . (٧) نَمَّا بِهِ : ارْتَفَعَ .

(٨) أَنَاتٌ : أَوَاقَاتٌ . (٩) الْمَنْصَبَاتُ : جَمْعُ مَنْصَبَةٍ — بِكَسْرِ الْمِيمِ — وَهِيَ الْكَرْسِيُّ .

١١ - إبراهيم بك المويلحي^(١)

يَشْكُرُوْا بِلِسَانٍ حَاجٍّ مَا رَأَى إِحْدَى السَّنِينَ فِي الْحَجِّ مِنْ فَتْكَ الْوَبَاءِ^(٢)
بِالْحُجَّاجِ وَإِهْمَالِ السُّلْطَاتِ شَأْنَهُ وَشَأْنَهُمْ

ترجمت إلى التركية وعرضت على السلطان عبد الحميد :

كَذَا فَلْيَجْلُ^(٣) الْخُطْبُ وَلْيَفْذَحْ^(٤) الْأَمْرُ وَلَيْسَ لَعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُدْرُ
يقول الشاعر البيت الجزل من الشعر لغرض له حقير ، ثم يتركه ويأتي
من بعده مَنْ يَضَعُهُ مَوْضِعَهُ اللَّائِقَ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَانِ . وَإِنَّ هَذَا الْبَيْتَ
لَا يَحِلُّ مَحَلُّهُ فِي رِثَاءِ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ ، وَإِنَّمَا يَقَالُ لِيُبَكِّي بِهِ مَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ
فِي مَكَّةَ هَذَا الْعَامِ ، وَلَا غَرْوُ^(٥) أَنْ تَرْتَعِدَ الْيَدُ وَيَقِفَ الْقَلَمُ ، وَيَتَلَعَّمِ اللِّسَانُ
عِنْدَ وَصْفِ مَا فَعَلَتْهُ الْمَنِيَّةُ حِينَ قَامَتْ تَفَتُّكَ فِي الْأَرْوَاحِ ، وَتَهْتَكِ فِي
الْأَشْبَاحِ^(٦) ، حَتَّى فُرِشَتْ الْأَزَقَةُ بِالْمَوْتِ ، وَأَقَامَتْ مِنْهُمْ كُثْبَانًا^(٧) تَشْهَدُ
عَلَى عَجْزِ الْقَوْمِ عَنْ تَدَارُكِ الْأُمُورِ .

(١) أصل أجداده من مرفأ المويلح ببلاد العرب ؛ وقد انحدروا إلى مصر من زمان بعيد . وقد نشأ إبراهيم في بيت حسب وغنى ، وكان أبوه من كبار التجار يتجر في الحرير ؛ فنزع إبراهيم ، مع معالجته التجارة ، إلى الأدب فقرأ كثيراً من كتب المتقدمين ، وكان من أوائل من استظهروها ؛ حتى برع في الأدب ؛ وحذق الفرنسية والتركية ، وجود التاريخ القديم والحديث ، واتصل بالأفاضل المبرزين في عصره وشرع لونا من البيان يجمع بين جزالة الأسلوب وخفولة اللفظ ، وبين الوقوع على المعاني الغريبة ؛ والاستشهاد بالأمثلة الدقيقة ، فكان في بيانه نسيج وحده ، وهو يعد بحق من أوائل من بعثوا النهضة الأدبية في العصر الحديث . وقد أصدر جريدة نزهة الأفكار ، ثم جريدة مفتاح الشرق وحرر فيها وفي كثير من الصحف التي كانت قائمة في عهده . وتوفي سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٣ هـ) .

(٢) الوباء : المرض العام ينزل بالبلد فيصيب أهلها ويتفشاهم .
(٣) فليجل : فليعظم .
(٤) فذح الأمر : ثقل وصعب احتماله . (٥) لا غرو : لا عجب .
(٦) المراد من الأشباح هنا : الأجسام .
(٧) الكشبان : جمع كشيبة . وهو التل من الرمال .

ولقد رأيتُ من المناظر المدهشة ما تتصاغر عنده عَظِيْمَاتُ النَّوَابِ ،
وتتضاءل لديه جَسِيْمَاتُ الْمَصَائِبِ ، فمن ذلك أنِّي رأيتُ شابًّا عليه شَارَةُ^(١)
الحِشْمَةِ وَالنَّجَابَةِ ، يَتَخَبَّطُ فِي التُّرَابِ وَلَا يَسْتَطِيعُ إِيْشَارَةً وَلَا كَلَامًا ، وَإِنَّمَا
كَانَ يَطْلُبُ بَعِيْنِيْهِ الْمَمْلُوءَتَيْنِ بِالْدَّمْعِ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ أَحَدُ الْمَارَّةِ فَدَنَوْتُ مِنْهُ
فوجدتهُ قد مات . فأبكاني موتهُ غريبًا عَنْ أَهْلِهِ وَقَوْمِهِ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ
الْمُوَلِّمَةِ ، فَطَلَبْتُ بِالْأَجْرَةِ مَنْ يَدْفِنُهُ فَلَمْ أَجِدْ أَحَدًا ، عَلَى إِفْرَاطِ حُبِّ الْمَالِ
فِي هَذَا الْبَلَدِ . فَكُتِبَتْ وَرَقَةٌ وَأُرْسِلَتْهَا إِلَى قَاضِي مَكَّةَ أَسْأَلُهُ الْمَعُونَةَ عَلَى
دَفْنِ هَؤُلَاءِ الْغُرَبَاءِ الْمَطْرُوحِينَ تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ فِي الطَّرِيقِ ، فَأُجَابَنِي بِأَنْ
هَذَا لَا يَعْلَقُ^(٢) بِشَيْءٍ مِنْ وَظِيْفَتِهِ ، وَلَا يَخْصُهُ الْإِسْتِغَالُ بِهِ إِفْسَاطٌ عَنْ غَيْرِهِ
مِنْ أَصْحَابِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ^(٣) ، فوجدتهم قد طَارَوْا إِلَى الطَّائِفِ وَتَرَكُوا مَكَّةَ
لِلْقَتْلِ الْعَامِّ .

وَبَيْنَمَا أَنَا حَيْرَانٌ فِي وَسْطِ هَذِهِ الْمَقْبَرَةِ الْمَكْشُوفَةِ ، إِذْ لَاحَتْ مِنِّي التِّفَاقَةُ^(٤)
إِلَى الْمَوْتِ فَرَأَيْتُ وَلَيْتَنِي لَمْ أَرَ ، امْرَأَةً اخْتَلَفَتْهَا الْمَنِيَّةُ مِنْ بِنْتٍ لَهَا صَغِيرَةٌ
لَمْ تَبْلُغْ سِنَّ التَّمْيِيزِ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْمَوْتِ ، وَقَدْ شَرَعَتْ تِلْكَ الصَّغِيرَةُ تُحَرِّكُ
أُمِّهَا بِيَدَيْهَا لِإِيقَازِهَا ، وَتَبْكِي لِعَدَمِ إِجَابَتِهَا ، بَعِيُونٌ تَقَسَّمَتْ نَظَرَاتُهَا بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ ، وَتَعْدُّهَا فِي خِلَالِ تِلْكَ النَّظَرَاتِ الْمُبْهِمَةِ أَنَّهَا لَا تَعُودُ لَشَيْءٍ كَانَتْ
نَهَتْهَا عَنْهُ ، بِعِبَارَاتٍ تَسْتَخْرِجُ الْخُنُوَّ^(٥) وَالشَّفَقَةَ مِنَ الْقُلُوبِ الصَّخْرِيَّةِ .

(١) الشارة : العلامة والدلالة . (٢) يعلق : يتصل . أى ليس من شأنه .

(٣) المراد أهل التصرف في الأمور ، وهم رجال الحكومة . (٤) الخنو : الحنان .

فَأَمْسَكَتُ بِالْبَيْتِ وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَصِفَ لَكَ كَيْفَ فَصَلْتُمَهَا عَنْ رَمَّةٍ ^(١) أُمِّهَا ،
وكيف كان حالها وحال مَنْ يَرَاهَا عِنْدَ آخِرِ نَظَرَةٍ نَظَرَتْهَا إِلَى وَالِدَتِهَا وَكَافَلَتْهَا ^(٢)
ثُمَّ قَفَلْنَا إِلَى جُدَّةَ مُشْتَتَيْنِ ، فَعَلِمْنَا أَنَّ الدَّوْلَةَ قَدْ أَرْسَلَتْ وَابُورًا لِنَقْلِ
الْحُجَّاجِ ، وَلَيْتَهَا لَمْ تُرْسَلْ فَإِنَّ قِبْطَانَ الْوَابُورِ كَانَ أَشَدَّ قَسْوَةً عَلَى الْحُجَّاجِ
مِنَ الْمَوْتِ : أَمْرٌ أَوَّلًا بِإِلْقَاءِ قَسَمٍ مِمَّا كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْأَزْوَادِ ^(٣) . فِي الْبَحْرِ
يَدْعَوِي الْمَحَافِظَةَ عَلَى الصَّحَّةِ . ثُمَّ أَخَذَ يَبِيعُ لَهُمْ ثَانِيًا ، وَهُمْ فِي اللَّجَّةِ ^(٤) مِمَّا
اخْتَكَرَهُ مِنَ الْقُوتِ ، يَبِيعُ الْقَحْطَ الْيُوسُفِي ^(٥) . وَلَمَّا لَمْ يَبْقَ مَعَهُمْ مِنَ النَّقْدِ
شَيْءٌ ، شَرَعَ يَبِيعُ لَهُمْ بِمَا مَعَهُمْ مِنَ الْهَدَايَا وَالسَّبَّحِ ، وَكَانَ الْجَبَّارُ لَا يُحِبُّ أَنْ
يَسْمَعَ بِمَرِيضٍ فِي السَّفِينَةِ ، وَلِهَذَا اضْطُرَّ كَثِيرٌ أَنْ يَكْتُمُوا أَمْرَاضَهُمْ .
وَمَا زِلْنَا مَعَهُ عَلَى شِفَا ^(٦) الْخَطَرِ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا إِلَى الطُّورِ ، فَلَقِينَا هُنَاكَ مِنْ
كِبَرِيَاءِ الْأَطِبَّاءِ وَعَظَمَتِهِمْ مَا تَمَنَّيْنَا لَهُ أَنْ نَكُونَ طُعْمًا ^(٧) لِلْحَيْتَانِ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا
يَأْنِفُونَ أَنْ يَمَسُّوا أَيْدِيَ الْحُجَّاجِ بِأَيْدِيهِمْ ؛ وَكَانُوا يَكْتَفُونَ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ ^(٨)
إِلَيْهِمْ . وَكَثِيرٌ أَمَا كَانُوا يَمْتَرِضُونَ عَلَى الْحُجَّاجِ . فَاعْتَقَدْتُ أَنَّ الْخَيْرَ أَنْ تَفْعَلَ
إِلَى السَّمَاءِ ، وَأَنَّ الْأَرْضَ أَصْبَحَتْ قَاعًا صَفْصَفًا ^(٩) مِنْ نَوْعِ الْإِنْسَانِ ، وَأَنَّ
الَّذِينَ نَرَاهُمْ هُمْ شَيَاطِينُ عَلَى صُورَةِ الْبَشَرِ ؟

(١) الرمة : الجملة . (٢) الكفالة : التي تكفله وتقوم على أمره .

(٣) الأزواد : جمع زاد . وهو ما يتخذ من الطعام للسفر .

(٤) أى فى عرض البحر . (٥) القحط الذى أصاب مصر ، وذكر فى القرآن فى سورة يوسف .

(٦) الشفا : حرف كل شيء . (٧) الطعم : الطعام .

(٨) النظر الشرر : هو النظر بجانب العين دليلا على الإعراض أو الغضب .

(٩) الصفصف : المستوى المظلم . والمراد : أنها خالية لا أحد بها .

وَقُصَارَى الْقَوْلِ إِنَّا فِي زَمَنِ أَصْبَحَ الْقَابِضُ عَلَى دِينِهِ فِيهِ كَالْقَابِضِ عَلَى
الْجَرِّ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

ومن كتاب له :

« أَكْتُبُ كِتَابِي هَذَا إِلَيْكَ ، وَنَفْسِي تَنْظُرُ إِلَى نَفْسِكَ فِي عُلوِّهَا
وَارْتِفَاعِهَا نَظَرَ السُّلْحَفَةِ إِلَى الْأَجْدَلِ ^(١) فَوْقَ شُرُفَاتِ الْمَجْدَلِ ^(٢) ، وَتُحَدِّثُنِي :
لَوْ مُدَّتْ لِي طَرِيقُ قَضْبَانِهِ مِنَ الذَّهَبِ لَا الْحَدِيدَ وَمَرَّ كِبَاتُهُ مِنْ أَلْيَاقِيَّتِ ،
وَسَائِقُ آلَتِهِ جِبْرَائِيلُ ، لِيُبَلِّغَنِي بَلَدًا أَسَاكِنُ فِيهِ هَوَلاءَ الْقَوْمِ ، لَفَضَّلْتُ
الْجُلُوسَ حَيْثُ أَنَا الْآنَ ، أَكْتُبُ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ تَحْتَ ظِلِّ هَذِهِ الشَّجَرَةِ
لَا أَظْلِمُ وَلَا أَظْلَمُ ! »

١٢ — الشيخ إبراهيم اليازجي ^(٣)

كتب يعزى بعض أصدقائه :

مَنْ عِلْمٌ أَنَّ الْقَضَاءَ وَاقِعٌ ، وَأَنَّ الْأَعْمَارَ رَهَائِنُ الْمَصَارِعِ ^(٤) ، فَلَمْ يَصْحَبْ
دَهْرُهُ عَلَى غَرَّةٍ ^(٥) ، وَلَمْ يَفْتَرِ ^(٦) ، مِنْ الْأَقْدَارِ بِفَتْرَةٍ ^(٧) ، لَمْ تَكْبُرْ عَلَيْهِ الرِّزِيَّةُ ^(٨)

(١) الأجدل : الصقر .
(٢) المجدل : بكسر الميم وفتح الدال : القصر .
(٣) يعد إبراهيم اليازجي من خير علماء اللغة والنحو والأدب في هذا العصر . أصدر باسمه مجلتي
البيان والضياء . وله مؤلفات محكمة في علوم اللغة والنقد اللغوي . توفي سنة ١٣٢٤ هـ .
(٤) المصارع : المهالك .
(٥) الغرة : بكسر الغين : الغفلة .
(٦) يفتّر : يسكن .
(٧) الفترة بفتح الفاء : الهدنة وما بين النوبتين من الحمى .
(٨) الرزية : المصيبة .

إِذَا اغْتَالَتْ ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَى السَّلَامَةِ وَإِنْ طَالَتْ ^(١) ؛ فَإِنَّ لِلدَّهْرِ رَقْدَةً
وَهَبَةً ^(٢) ، وَإِنَّ لِلْيَالِ كَمَنَةً ^(٣) وَوَثْبَةً . وَمِثْلَكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِي الْأُمُورِ
وَمَصَايِرَهَا ^(٤) ، وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِرَهَا . وَإِنَّمَا الْمَوْتُ طَوْرٌ مِنْ
أَطْوَارِ الْوُجُودِ ، وَآخِرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي الْمَوْجُودِ . وَلَا أَزِيدُكَ عِلْماً بِالْكَوْنِ
وَشَرَائِعِهِ ، وَالْكَائِنِ وَطَبَائِعِهِ . إِنَّمَا هِيَ ذِكْرِي لِمَنْ فَجَأَهُ الرُّزْءُ فَشَغَلَهُ ، وَحَلَّ
بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءُ فَأَذْهَلَهُ . وَحَسْبِي مِنَ التَّعْزِيَةِ عِلْمِي بِمَا عِنْدَكَ مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ
الْمُبَاحِ ، وَمِنَ النَّاسِيَةِ ^(٥) مَا تَعَلَّمُهُ مِنْ حَالِ مُخَاطَبِكَ وَهُوَ سَائِلُ الْجِرَاحِ .
وَمَا أَخْلَقَنِي ^(٦) بَأَنْ أَقُولَ : إِنَّ رُزْءَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجَنًا عَلَى أَشْجَانِي ^(٧) ،
وَنَكَأً ^(٨) مَا تَمَائَلُ ^(٩) مِنْ قَرَحَةٍ أَحْزَانِي . وَلَكِنِّي قَدْ صَيَّرَنِي الدَّهْرُ إِلَى
حَالٍ لَا تَعْمَلُ فِيهَا حَالٌ ، وَلَا أُبَالِي مَعَهَا بِسَلَمٍ وَلَا قِتَالٍ ، فَكَأَنَّمَا إِلَيَّ عَنَى
أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ :

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ ^(١٠) حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ ^(١١) مِنْ نِبَالٍ ^(١٢)
فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْني سِهَامُ تَكَسَّرَتْ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ ^(١٣)

(١) يريد أن من صاحب الزمان على حذر ولم يأمن له ، وإن طال أمد السلامة ، لم تعظم عليه المصيبة إذا حلت لأنها دائماً داخلية في حسابه .

(٢) الهبة بتشديد الباء المفتوحة : النهوض من النوم .

(٣) يريد بالسكنة السكون .

(٤) مصاير الأمور : غاياتها .

(٥) الناسية : التصيير والتعزية .

(٦) ما أخلقني : ما حقني وأولاني .

(٧) الشجن بفتح الشين والجيم : الهم والحزن ، وجمعه أشجان .

(٨) نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرأ .

(٩) تمائل : قارب البرء .

(١٠) الأرزاء : جمع رزء ، وهو المصيبة .

(١١) الغشاء : الفطاء .

(١٢) النبال : جمع نبلة ، وهي السهم .

(١٣) النصال : جمع نصل بفتح النون وسكون الصاد ، وهو حديدة السهم وطره .

وكتب إلى صديق له :

مَهْمَا زِدْتَنِي مِنْ جَمِيلِكَ الْمَأْلُوفِ ، وَصَنِيعِكَ ^(١) الْمَعْرُوفِ . فَمَا أَزِيدُكَ عَلَى
مَا يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُ حَالِي مِنَ الْاعْتِرَافِ بِتَطَوُّلِكَ ^(٢) ، وَالثَّنَاءِ عَلَى تَفَضُّلِكَ ،
لَا سِيَّما فِيمَا أَبْدَيْتَ مِنَ الْحَفَاوَةِ ^(٣) وَاللُّطْفِ فِي جَانِبِ أَخِي وَأَخِيكَ النَّازِلِ
فِي كَنْفِ ^(٤) تَذْيِيرِكَ ، أَلَمْ يَكُنْ كَوْلِي إِلَى حُسْنِ رَأْيِكَ ، وَهِيَ يَدٌ ^(٥) لَكَ حَمَلْتُ
جَمِيهَا عَلَى عَاتِقِي ^(٦) فَوْقَ مَا أَثْقَلْتَهُ أَيْدِيكَ السَّابِقَةُ ، وَأَلْطَافُكَ ^(٧) السَّالِفَةُ .
وَإِنِّي لَأُمِلُّ لَهُ بِمُوَازَرَتِكَ ^(٨) نَجْحًا لَا يَعْتَرِضُهُ إِخْفَاقٌ مَسْعَى ، وَفَوْزًا
لَا يَصْدُرُ ^(٩) عَنْهُ طَيْشٌ رَأَى . وَأَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ وَلَهُ السَّلَامَةَ وَالتَّوْفِيقَ بَعْنَهُ ^(١٠)
وَطَوُّهُ ^(١١) .

١٣ - مصطفى باشا كامل ^(١٢)

من خطبة له :

أَيُّهَا السَّادَةُ : إِنَّكُمْ بِاجْتِمَاعِكُمْ الْيَوْمَ هَذَا الْجَمَاعَةَ الْوَطَنِيَّةَ تَرْفَعُونَ
كَثِيرًا مِنْ مَقَامِ الْوَطَنِيَّةِ الْمِصْرِيَّةِ وَتُخَفِّفُونَ مِنْ آلامِ مِصْرٍ الْعَزِيزَةِ الَّتِي قَاسَتْ

(١) الصنيع المكرمة . (٢) التطول : التفضل .

(٣) الحفاوة بالرجل : لإكرامه وإظهار السرور به .

(٤) الكنف بفتح الكاف والنون : الظل والجانب . والمراد هنا : الرعاية .

(٥) اليد : النعمة . (٦) العاتق : ما بين المنكب والعنق .

(٧) الألفاظ ، جمع لطف ، بفتح اللام والطاء ، وهو الإحسان والإتحاف .

(٨) المؤازرة : المعاونة . (٩) يصدر عنه : أى لا يكون منه .

(١٠) المن : المنة . (١١) الطول : الفضل .

(١٢) خطيب وسياسي وزعيم مصري ، تعلم الحقوق واشتغل بالسياسة ، وانصرف إلى مقاومة الاحتلال
الانجليزي بخطبه ومقالاته وكتبه . أنشأ جريدة اللواء وجريدتين أخريين : إحداها بالفرنسية ، والأخرى
بالانجليزية . وتنقل في بلدان أوروبا داعياً للوطن وكان فصيحاً مؤثراً في كتابته وخطابته ، مات شاباً
سنة ١٣٢٦ هـ (سنة ١٩٠٨ م) .

وَتَقَاسَى أَشَدَّ الْعَذَابِ عَلَى مَشْهَدٍ مِنْكُمْ يَا أَعَزَّ بَنِيهَا وَيَا نُخْبَةَ أُنْجَابِهَا . فَكُلُّ
اجْتِمَاعٍ وَطَنِيٍّ تَذْكُرُ فِيهِ مَصْرُ وَيَطَالِبُ بِحَقُوقِهَا ، وَيُعْلِنُ أُنْبَاؤَهَا
إِخْلَاصَهُمْ لَهَا ، هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مَرْهَمٌ لِجِرَاحِهَا وَدَوَاءٌ لِدَائِهَا فَاذْكُرُوهَا
مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّ فِي ذِكْرِهَا ذِكْرَ آلامِهَا ، وَذِكْرَ آلامِهَا تَجْرُّ حَتْمًا إِلَى
ذِكْرِ عَوَامِلِ الشِّفَاءِ . اذْكُرُوهَا كَمَا يَذْكُرُ الْوَلَدُ الْخُنُونُ أُمَّهُ الشَّفِيقَةَ ، وَهِيَ
عَلَى سَرِيرِ الْمَرَضِ وَالْعَنَاءِ . اذْكُرُوهَا بِآلامِهَا وَإِنْ كَانَ غَيْرُكُمْ يَذْكُرُ بِلَادَهُ
بِمَجْدِهَا وَرِفْعَةِ شَأْنِهَا . اذْكُرُوهَا فَإِنَّكُمْ مَا دُمْتُمْ مُقَدَّرِينَ لِمَصَائِبِهَا عَارِفِينَ
بِحَقِيقَةِ آلامِهَا ، دَامَ لَأَمَلٌ وَطِيدًا^(١) فِي سَلَامَتِهَا وَدَامَ الرَّجَاءُ . اذْكُرُوهَا ،
فَمَنْ الْمُسْتَحِيلُ أَنْ يَرَى الْعَاقِلُ النَّارَ فِي دَارِهِ ، وَالِدَاءُ فِي شَخْصِ أُمِّهِ ، وَيُهْمِلُ
النَّارَ وَيُهْمِلُ الدَّاءَ . . . ١

ثُمَّ قَالَ وَهُنَاكَ فِئَةٌ مِنَ الْمَصْرِيِّينَ لَا أَنْكُرُ إِخْلَاصَ رِجَالِهَا لِلْوَطَنِ
الْعَزِيزِ ، وَلَكِنْ أَنْكُرُ عَلَيْهِمُ الْيَأْسَ الَّذِي يَتَظَاهَرُونَ بِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ
وَفِي كُلِّ مَكَانٍ . فَهَمَّ مَا عَمِلُوا وَلَا يَعْمَلُونَ لِلْبِلَادِ عَمَلًا نَافِعًا ، وَلَكِنَّهُمْ جَعَلُوا
الْيَأْسَ عِلَّةَ عَدَمِ الْعَمَلِ وَعِلَّةَ الْكَسَلِ ! فَإِنْ سَأَلْتَهُمْ لِمَ لَا تَقُومُونَ بِعَمَلٍ
عُمُومِيٍّ نَافِعٍ لِلْبِلَادِ ؟ أَجَابُوكَ « نَحْنُ يَأْسُونَ مِنْ مُسْتَقْبَلِ الْوَطَنِ ، مُعْتَقِدُونَ
إِظْلَامَ الْأَيَّامِ الْآتِيَةِ » فَبِاللَّهِ كَيْفَ يَسْتَطِيعُ طَبِيبٌ أَنْ يَحْكُمَ عَلَى عَالِيلٍ بِعَدَمِهِ
لِشِفَاءٍ قَبْلَ أَنْ يَفْحَصَ دَاءَهُ وَيُعْطِيَهُ الدَّوَاءَ ؟ عَلَى أَنَّا نَرَى الْكَثِيرَ مِنْ
لِأَطِبَاءٍ لَا يَبْشُرُ أَبَدًا مِنْ شِفَاءِ الْمَرِيضِ حَتَّى فِي آخِرِ لَحْظَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ . فَكَيْفَ

(١) وَطِيدًا : ثَابِتًا قَوِيًّا

يَيْئَسُ رَجَالٌ مِنْ بَنِي مِصْرَ مِنْ مُسْتَقْبَلِ الْبِلَادِ ؟ وَهُمْ إِنْ كَانُوا قَدْ خَبَرُوا دَاءَ
مِصْرَ فَيَعْلَمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُمْ إِلَى الْيَوْمِ مَا قَدَّمُوا لَهَا الدَّوَاءَ .

كَيْفَ نَيْئَاسٌ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ ، وَالْمُسْتَقْبَلُ بِيَدِ اللَّهِ وَخُذْهُ ، وَكَثِيرًا مَا تَأْتِي
الْحَوَادِثُ بِخِلَافِ الْمُنْتَظَرِ وَبَغَيْرِ حِسَابٍ ؟

هِيَ النُّفُوسُ الصَّغِيرَةُ الَّتِي يُخْلَقُ عِنْدَهَا الْأَمَلُ بِكَلِمَةٍ أَوْ بِتِلْغَرَفٍ ! ثُمَّ
يَسْتَوِلِي عَلَيْهَا الْيَأْسُ بِكَلِمَةٍ أَوْ بِتِلْغَرَفٍ ! أَمَّا النُّفُوسُ الْعَالِيَةُ الْكَبِيرَةُ
فَيَدُومُ فِيهَا الْأَمَلُ مَا دَامَ الدَّمُ فِي الْعُرُوقِ وَمَا دَامَتِ الْحَيَاةُ .

وَأَيُّ حَيَاةٍ تَرْضَاهَا النُّفُوسُ الشَّرِيفَةُ مَعَ الْيَأْسِ ، أَيْجَمَعُ الْمَرْءُ فِي جِسْمٍ
وَاحِدٍ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ؟ إِذَا الْيَأْسُ مَوْتُ حَقِيقٌ وَأَيُّ مَوْتٍ ؟

كَيْفَ نَيْئَاسٌ وَنَحْنُ جَمِيعًا عَالِمُونَ بِأَنَّ مَا يَظْهَرُ طَوِيلًا فِي حَيَاةِ الْأَفْرَادِ
هُوَ قَصِيرٌ فِي حَيَاةِ الشُّعُوبِ ، فَعَشْرٌ مِنَ السَّنَوَاتِ فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ طَوِيلَةٌ
حَقًّا ، وَلَكِنَّهَا فِي حَيَاةِ الْأُمَّةِ قَصِيرَةٌ جَدًّا ، عَلَى أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْيَائِسُونَ مُعْتَقِدِينَ
بِصَحَّةِ أَفْكَارِهِمْ ، فَمَارَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا فِي الْأُمَّةِ بِوِظَيفَةٍ تَنْبِيطُ هَمِّ الْأَمَلِينَ ،
وَالْأَمَلُونَ فِي الْبِلَادِ كَثِيرُونَ ، بَلِ الْأُمَّةُ كُلُّهَا مُؤَمِّلَةٌ خَيْرًا فِي الْمُسْتَقْبَلِ . وَإِنْ
لَمْ تَظْهَرْ إِلَى الْآنَ أَعْمَالُ الْأَمَلِينَ فَسَتَظْهَرُ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَسَتَرَى الْأُمَّةَ الْمِصْرِيَّةَ
وَأُمَمَ الْعَالَمِ أَجْمَعٍ أَنَّ لِلْوَطَنِ الْمِصْرِيِّ أَبْنَاءَ مُخَاصِينَ يَقْدَرُونَ الْوَطَنِيَّةَ قَدَرَهَا ،
وَيَعْرِفُونَ لِمِصْرَ حُقُوقَهَا .

وَلَا غَرْوَ فَإِنَّ سُبُلَ خِدْمَةِ الْوَطَنِ عَدِيدَةٌ ، وَإِنْ أَهْمَّهَا إِعْلَانُ الْحَقِيقَةِ
فِي كُلِّ بَلَدٍ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ . فَالْحُرِّيَّةُ بِنْتُ الْحَقِيقَةِ ، وَمَا انْتَشَرَتِ الْحَقِيقَةُ
فِي أُمَّةٍ إِلَّا وَارْتَفَعَتْ كَلِمَتُهَا ، وَعَلَا شَأْنُهَا . فَالْحَقِيقَةُ نُورٌ سَاطِعٌ إِذَا
انْتَشَرَ اخْتَفَى الظُّلْمُ وَالظُّلُمَةُ ، وَانْتَشَرَتِ الْحُرِّيَّةُ وَالْعَدْلُ . فَكَمَا أَنَّ الْأَفْرَادَ
لَا تُسَلَبُ حُقُوقُهُمْ ، وَلَا يَتَعَدَّى الْأَصْوَصُ عَلَى أُمَّتِهِمْ ، إِلَّا فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ
الْحَالِكِ ، فَكَذَلِكَ شَأْنُ الْأُمَمِ ، لَا تُسَلَبُ حُقُوقُهَا ، وَلَا يَتَعَدَّى الْعَدُوُّ عَلَى
أَمْلَاكِهَا إِلَّا إِذَا كَانَتِ الْحَقِيقَةُ مُجْهُولَةً فِيهَا ، وَكَانَتْ هِيَ عَائِشَةً فِي الْجَهْلِ
وَالظُّلَامِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ أَلَقَاهَا بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ فِي ٢٢ أَكْتُوبَرِ سَنَةِ ١٩٠٧ م :

« بِلَادِي ! بِلَادِي ! لَكَ حُبِّي وَفُؤَادِي ، لَكَ حَيَاتِي وَوُجُودِي ، لَكَ دَمِي
وَنَفْسِي ، لَكَ عَقْلِي وَلِسَانِي ، لَكَ لُبِّي وَجَنَانِي ، فَأَنْتِ أَنْتِ الْحَيَاةُ ، وَلَا حَيَاةَ
إِلَّا بِكَ يَا مِصْرُ !

« يَقُولُ الْمُجْهَلَاءُ وَالْفُقَرَاءُ فِي الْإِذْرَاكِ إِنِّي مُتَهَوِّرٌ ^(١) فِي حُبِّهَا ، وَهَلْ
يَسْتَطِيعُ مِصْرِي أَنْ يَتَهَوَّرَ فِي حُبِّ مِصْرٍ ؟ إِنَّهُ مَهْمَا أَحَبَّهَا ، فَلَا يَبْلُغُ الدَّرَجَةَ
الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا جَمَاحُهَا وَجَلَالُهَا وَتَارِيخُهَا ، وَالْعِظَمَةُ اللَّائِقَةُ بِهَا .

« أَلَا أَيُّهَا اللَّائِمُونَ ! انْظُرُوا هَا وَتَأَمَّلُوا هَا ، وَطُفُّوا هَا ، وَاقْرَءُوا صُحُفَ مَاضِيهَا
وَاسْأَلُوا الزَّائِرِينَ لَهَا مِنْ أَطْرَافِ الْأَرْضِ : هَلْ خَلَقَ اللَّهُ وَطَنًا أَعْلَى مَقَامًا ،

(١) التهور : الوقوع في الأمور بغير مبالاة ، ويريد به هنا : التهاك والمبالغة والإفراط .

وَأَسْمَى شَأْنًا، وَأَجْمَلَ طَبِيعَةً، وَأَجَلَّ آثَارًا، وَأَغْنَى تَرْبَةً^(١)، وَأَضْفَى سَمَاءً،
وَأَعَذَبَ مَاءً، وَأَدْعَى لِلْحُبِّ وَالشَّغَفِ^(٢) مِنْ هَذَا الْوَطَنِ الْعَزِيزِ؟

أَسْأَلُوا الْعَالَمَ كُلَّهُ يُجِيبُكُمْ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: إِنَّ مِصْرَ جَنَّةِ الدُّنْيَا، وَإِنَّ
شَعْبَهَا الَّذِي يَسْكُنُهَا وَيَتَوَارَثُهَا لَا أَكْرَمَ الشُّعُوبِ إِذَا أَعَزَّهَا، وَأَكْبَرُهَا
جِنَايَةً عَلَيْهَا وَعَلَى نَفْسِهِ إِذَا تَسَامَحَ فِي حَقِّهَا، وَسَلَّمَ أَرْمَتَهَا^(٣) لِلْأَجْنَبِيِّ.

إِنِّي لَوْ لَمْ أُولَدْ مِصْرِيًّا لَوَدِدْتُ أَنْ أَكُونَ مِصْرِيًّا؟

قَدْ يَرَى السُّفَهَاءُ وَالطَّائِشُونَ أَنَّ الْأَنْتِسابَ لَشَعْبٍ مُسْتَعْبَدٍ كَالشَّعْبِ
الْمِصْرِيِّ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِإِنْسَانٍ، وَلَكِنْ أَيْ شَرَفٍ يَطْمَعُ فِيهِ الْخُرُّ أَكْبَرُ
مِنْ الْعَمَلِ لِأَحْيَاءِ الْأُمَّةِ الَّتِي سَمَقَتْ الْأُمَمُ كَافَّةً فِي الْعِلْمِ وَالْمَدَنِيَّةِ وَالْأَدَبِ؟
أَيُّ رِفْعَةٍ يَسْعَى الشَّرِيفُ إِلَيْهَا أَسْمَى مِنْ إِنْهَاضِ شَعْبٍ كَانَ أَسْتَاذَ الشُّعُوبِ
الْبَشَرِيَّةِ، وَمُرَبِّي الْعَالَمِ كُلِّهِ أَيْ سُودِدِ^(٤) تَرْمِي النُّفُوسُ الْأَبِيَّةُ إِلَيْهِ
أَعْلَى مِنْ إَخْرَاجِ الْوَطَنِ الْمِصْرِيِّ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَإِخْلَالِهِ الْمَحَلَّ
الْأَوَّلَ بَيْنَ الْأَوْطَانِ الْأُخْرَى الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّجَنَةِ^(٥) الْحَالِكَةِ^(٦) يَوْمَ
كَانَتْ بِلَادُنَا مَشْرِقًا لِلْعَرَفَانِ؟

(١) التربة: التراب ويراد بها الأرض وجودتها.

(٢) الشغف: شدة الحب وتمسكه.

(٣) الأزمة: جمع زمام، وهو الحيل تقوده، والمراد بأمره مصر هنا: شئونها العامة.

(٤) السودد: الشرف والمجد.

(٥) الدجنة: الظلمة.

(٦) الحالكة: الشديدة الظلام.

لَيْتَ شِعْرِي ^(١) ! أَيُّ لَذَّةٍ وَسَمَادَةٍ وَمُكَافَأَةٍ يَطْلُبُهَا الْوَطَنِيُّ الْمِصْرِيُّ
أَكْبَرَ مِنْ اشْتِرَاكِهِ فِي هَذَا الْعَمَلِ الْخَطِيرِ الَّذِي هُوَ أَجَلُ عَمَلٍ يَرَاهُ الْعَالَمُ
فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِينَ ؟

إِنَّ الْمَكْسَبَ الْأَدَبِيَّ لِلْوَطَنِيِّ الْمِصْرِيِّ مِنْ هَذِهِ الْخِدْمَةِ يَرْبُو عَلَى
أَتْعَابِهِ ^(٢) وَمَجْهُودَاتِهِ بِكَثِيرٍ .

١٤ — الشيخ أحمد مفتاح ^(٣)

كتب في التَّهَادِي :

الْهَدِيَّةُ (غَمْرَكَ اللَّهُ بِالْمَعْرُوفِ) تَبْسُطُ يَدَ الْمَوَدَّةِ وَتَدِرُّ أَخْلَافَ
الْقُرْبِ ^(٤) ، وَتَغْرِسُ بَيْنَ الْمُتَحَابِّينَ مِنَ الْأَنْتِلَافِ ، بِقَدَرِ مَا تَقْطَعُ بَيْنَهُمَا مِنْ
شَجَرِ الْخِلَافِ . وَمَا أَنَا فِيْمَا أُهْدِيهِ إِلَيْكَ إِلَّا كَمُسْتَبْضِعٍ تَمَرًا إِلَى أَرْضِ
خَيْبَرَ ^(٥) ، أَوْ كَالْوَاهِبِ الْمَاءَ لِلْبَحْرِ ، وَالضَّوْءَ لِلْبَدْرِ ، وَالْمُلْكَ لِسُلَيْمَانَ ،
وَالْمَالَ لِقَارُونَ ، وَالْحِلْمَ لِأَخْنَفَ ، وَالذِّكَاءَ لِإِيَّاسٍ وَالتَّفْسِيرَ لِابْنِ عَبَّاسٍ .
وَمَا ذَاكَ إِلَّا كِتَابٌ كَمَا تَرَاهُ ضَرْبَ فِي الْإِحْكَامِ بِسَهْمٍ ، وَوَعَى مِنَ الْأَحْكَامِ
مَا خَلَتْ مِنْهُ مُفْعَمَاتُ الْأَسْفَارِ ؛ وَمُوجَزَاتُ الرِّسَائِلِ ، فَهُوَ كَمَا قِيلَ :
« كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا » :

(١) ليت شعري : ليتنى أشعر . (٢) أتعاب : جمع تعب .

(٣) يتصل نسبه بالعرب ؛ نشأ بمصر ودرس بالأزهر : وعنى بالأدب ، ثم دخل دار العلوم حتى إذا
خرج منها اشتغل في الصحافة والتدريس بدار العلوم . وكانت وفاته سنة ١٣٢٩ هـ . وله عدة مؤلفات ،
وطريقته في الكتابة تخضع للسجع القصير مع القصد في استعمال البديع .

(٤) الإدراج : الإكثار من اللين . والأخلاف : جمع خلف ؛ وهو لذوات الخلف كاللدى للإنسان .
والقرب : الصلات . والمعنى أن الهدايا تقوى صلة الأخ بأخيه .

(٥) استبضع تمرًا . جملة بضاعة — وأرض خيبر مشهورة بالتمر ، ومنها يصدر .

تَزِينُ مَعَانِيهِ الْفَاظَةُ وَأَلْفَاظُهُ زَانِثَاتُ الْمَعَانِي
عَلَى أَنِّي وَإِنْ تَطَلَّعْتُ عَلَيْكَ ، وَسُقْتُ لَكَ هَذَا الْكِتَابَ مُزْدِلِفًا^(١) إِلَى
جَنَابِكَ الرَّحْبِ ، وَمَقَامِكَ الْأُسْنَى^(٢) ، فَقَدْ أَصَبْتُ كِبِدَ الصَّوَابِ ، وَوَضَعْتُهُ
حَيْثُ بَعَرُهُ أَهْلُوهُ ، وَتَقَبَّلَهُ مِنْ بَازِلِهِ عَالِمُوهُ ، عِلْمًا بِأَنَّكَ عِمَادُ الْعُلُومِ ،
وَأَسَاسُ الْفَضَائِلِ ، لَا تُغَادِرُ شَارِدَةً إِلَّا وَعَيْتَهَا ، وَلَا نَادِرَةً إِلَّا رَوَيْتَهَا ، وَإِلَّا
لَوْ كَانَ يُهْدَى عَلَى قَدْرِي وَقَدَّرَ كُمُو لَكُنْتُ أُهْدِي لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا

١٥ - الشيخ علي يوسف^(٣)

كتب تحت عنوان « لا تعصّب في مصر » :

التَّعَصُّبُ بِالْمَعْنَى الْمَعْرُوفِ فِي الْغَرْبِ عَنْ أَهْلِ الشَّرْقِ ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى
عِنْدَ الْمَسِيحِيِّينَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ، هُوَ انْبِثَاطُ رُوحِ الْعَدَاءِ وَالْبَغْضَاءِ مِنَ الْآخَرِينَ
ضِدَّ الْأَوَّلِينَ ، انْبِثَاطًا يَحْمِلُ عَلَى الْاِعْتِدَاءِ عَلَيْهِمْ حِينَئِذٍ .
التَّعَصُّبُ بِهَذَا الْمَعْنَى رَذِيلَةٌ مِنَ الرَّذَائِلِ الَّتِي يَنْهَى عَنْهَا الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ ،
وَالْقَوَائِنُ الْأَجْتِمَاعِيَّةُ ، وَفِي نَظَرِ الْأَوْرُبِيِّينَ هُوَ التَّوَحُّشُ الَّذِي يَفْتِكُ بِنَفُوسِ
الْأَنْبِيَاءِ كَلَمًا ثَارَ ثَأْرُهُ ، أَوْ أَشْبَهَ بِالْعَوْلِ الْكَاشِرِ^(٤) الَّذِي يَنْدَفِعُ بِعِمَايَةٍ
فَيَقْتَرِسُ كُلَّ مَا فِي طَرِيقِهِ مِنْ نَفُوسِ الْبَشَرِ .

(١) ازدلف إليه : تقرب .

(٢) الأسنى : الأرفع .

(٣) أصله من بلدة بلفورة بمرجا ، نشأ نشأة دينية ، ودرس بالأزهر ، ولكنه عني بالأدب ،
وخرج صحفياً بارعاً ذا أسلوب قوى رائع ظهر في « التّويد » صحيفته المصرية الإسلامية . ونال منزلة سامية
بقوة أسلوبه ، وشدة نفسه ، وذكاء جنانه توفي سنة ١٣٣١ هـ .

(٤) الذي يكشر عن أنيابه .

التَّعَصُّبُ عَلَى هَذَا مَجْمُوعُ أَرْوَاحٍ شَرِّيرَةٍ لَا نِظَامَ لَهَا فِي ثَوَرَانِهَا وَعُدُونِهَا،
نَعْمُودُ بِاللَّهِ أَنْ تُرْزَأَ أُمَّةٌ بِهَذَا الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ ^(١).

قالوا إِنَّ الْمَصْرِيِّينَ مُتَعَصِّبُونَ تَعَصُّبًا دِينِيًّا . وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَ
الْمُخَالَفَةَ لَهُمْ فِي الدِّينِ كَرَاهَةً عَمِيَاءَ يَعْتَدُونَ عَلَيْهِمْ بِرُوحِ الْبَغْضَاءِ الْمُتَنَاهِيَةِ ،
كَلَّمَا سَنَحَتْ لَهُمْ فُرْصَةُ الْاِفْتِرَاسِ أَوْ اسْتَفْزَمَتْهُمْ صَاحِحٌ .

فِي الْبِلَادِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ أَدْيَانٌ مُخْتَلِفَةٌ يَتَجَاوَرُ أَهْلُهَا فِي الْمَنَازِلِ ،
وَيَتَشَارَكُونَ فِي الْمَرَافِقِ ^(٢) ، وَيَتَنَافَسُونَ فِي الْأَعْمَالِ ، فَلَمْ تَكُنْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ
وَالْأَقْبَاطِ تِلْكَ الرُّوحُ الشَّرِّيرَةُ . وَلَوْ كَانَتْ فِي فِطْرَةِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ فِطْرَةِ
الْفَرِيقَيْنِ لِلْاِشْتِاقِ ^(٣) الْأَكْثَرِيَّةُ الْأَقْلِيَّةُ فِي عُصُورٍ مَضَتْ ، وَخُصُوصًا
فِي عُصُورٍ كَانَتْ الْجَهَالَةُ فِيهَا سَائِدَةً ، وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَّامِ مِنَ الْمَمَالِكِ
وغيرهم يَبْذُرُونَ بَذُورَ الْبَغْضَاءِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ لِالْخِدْمَةِ دِينِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ ،
وَلَكِنْ لِأَغْرَاضٍ شَتَّى مَنَشُوءُهَا الشَّهَوَاتُ وَالْمَطَامِعُ . وَلَكِنَّ التَّوَارِيخَ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفَرِيقَيْنِ عَاشَا عَلَى الْوِثَامِ ^(٤) وَالسَّلَامِ فِي كُلِّ الظُّرُوفِ أَوْ أَكْثَرِهَا .
وَقَدْ عَلَى الْقَطْرِ الْمِصْرِيِّ مِنْذُ أَوَّلِ عَهْدِ الْمَرْحُومِ مُحَمَّدٍ عَلَى بَاشَا الْكَبِيرِ وَفُودٍ
مِنْ كُلِّ الطَّوَائِفِ الْمَسِيحِيَّةِ ، غَرْبِيَّةٍ وَشَرْقِيَّةٍ : مَنْ أَرْمَنَ وَأَرْوَامَ وَسُورِيَّيْنَ
وَفَرَنْسَاوِيَّيْنَ وَطَلِيَانِيَّيْنَ وَإِنْكَلِيزَ وَنَمْسَاوِيَّيْنَ وَأَمْرِيكَانِيَّيْنَ : مِنْ بَرُوتِستَانْتِ

(٢) المرافق : يريد شؤون المعاش .

(٤) الوثام : الوباء .

(١) ترزأ : تصاب .

(٤) أى أفتتها .

وَكَاثُولِيكَ وَأَرْثُوذَكْسَ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عُلَمَاءِ وَتُجَّارٍ وَصُنَّاعٍ وَعَمَلَةٍ^(١) وَهَمَلٍ^(٢) مُتَشَرِّدِينَ ، فَلَقِيَ الْكَلْبُ فِي مِصْرَ صَدْرًا رَحِيمًا .

كَانَ مِنْهُمْ الْمُوظَّفُونَ فِي كُلِّ مَصْلُحَةٍ حَتَّى تَوَلَّى نَوْبَارُ بَاشَا رِيَاسَةَ النُّظَارِ فِي مِصْرَ ، وَكَانَ قَاعُ قَامِ خَدِيو ، وَرئيسَ الاحتفال بموكب المحمل الشريف ، فَهَلْ يَوْجَدُ فِي أُمَّةٍ غَيْرِ الْأُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ مِثْلُ هَذَا التَّسَاهُلِ فَيَرَأْسَ اخْتِفَالًا دِينِيًّا مَسِيحِيًّا مُسْلِمًا أَوْ غَيْرُ مَسِيحِيٍّ ؟ .

وَكَانَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ^(٣) الْأَسَاتِذَةُ وَالْمُعَلِّمُونَ وَنُظَارُ الْمَدَارِسِ وَالْمُكْتَشِفُونَ ، فَهَلِ الْأُمَّةُ الَّتِي تُرَبِّي أبنَاءَهَا عَلَى أَيْدِي الْأَسَاتِذَةِ مِنْ غَيْرِ دِينِهَا ، تُعَدُّ مُتَعَصِّبَةً ؟ . وَكَانَ التُّجَّارُ عَلَى مَا يُحِبُّونَ مِنَ الرُّحْبِ وَالسَّعَةِ وَحُسْنِ الْقَبُولِ ، فَضَرَبُوا فِي الْبِلَادِ بِمَتَاجِرِهِمْ مِنْ غَتٍّ وَسَمِينٍ ، وَجَيِّدٍ وَرَدِيٍّ وَخَالِصٍ وَمَغْشُوشٍ ، حَتَّى صَارَتْ مِصْرُ مِنْ أَوْسَعِ أَسْوَاقِ مَتَاجِرِ أَوْرَبَا وَمَعَامِلِهَا الَّتِي وَجَدَتْ إِقْبَالَ مِنَ الْأُمَّةِ هَائِلًا^(٤) .

وَهَؤُلَاءِ بَعْضُ الْأَجَانِبِ يُقِيمُونَ الْأَكْوَاخَ الصَّغِيرَةَ الْحَقِيرَةَ لِبَيْعِ الْخُمُورِ الرَّدِيئَةِ فِي كُلِّ قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْقَطْرِ ، مَهْمَا سَحَقَتْ^(٥) وَقَلَّ عَدْدُهَا ، أَوْ يُرَبُّونَ الْخَنَازِيرَ وَيُثْرَمُونَ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَكُونَ الصُّعْلُوكُ مِنْهُمْ فِي بَضْعِ سَنَوَاتٍ صَاحِبَ الْقَرْيَةِ وَمَزَارِعِهَا وَمُدَايِنَ أَهْلِهَا وَسَيِّدُهُمْ ، فَهَلِ هَؤُلَاءِ هُمُ الْمُتَعَصِّبُونَ الَّذِينَ يُخْشَى مِنْ شَرِّهِمْ فِي وَادِي النَّيْلِ عَلَى الْأَوْرُبِيِّينَ ؟ .

(١) عملة : جمع عامل .
(٢) الهمل : من لا عمل لهم ولا رياسة عليهم .
(٣) أى من العلماء غير المسلمين .
(٤) الهائل يريد بها هنا : العظيم ، أو الكبير . وأصلها : من هال يهول : إذا راع وأفزع ، وكان الإقبال لعظمه يهول ويروع .
(٥) سحقت : بعدت .

١٦ — كتب المرحوم الشيخ حمزة فتح الله^(١)

إلى بعض الأفاضل يطلب وده

كما أن شَغَفَ^(٢) الجنان^(٣) ، بالحُسن والإحسان ، تكون دَاعِيَتُهُ المُشَاهِدَةَ
وتَسْرِيحَ الانْظَارِ فِي مُحْيَا^(٤) الكمال ، وَمُجْتَلَى^(٥) الجمال . فَتَرَى الْعَيْنُ مِنْ تِلْكَ
الْفِرَّةِ^(٦) مَا يَمْلَأُهَا قُرَّةٌ^(٧) ، فَكَذَلِكَ السَّمْعُ يَسْتَدْعِي هَذَا الشَّغْفَ ، فَيَتَأَثَّرُ
الْفُؤَادُ بِمَا يُشْنَفُ^(٨) الْأُذُنَ بِمَا تُهْدِيهِ إِلَيْهِ طَرَائِفُ^(٩) الْأَخْبَارِ ، حَتَّى كَأَنَّ حَاسَتِي
السَّمْعِ وَالْبَصَرِ فِي ذَلِكَ صِنُوان^(١٠) ، بَلْ أَخَوَانُ ، فِي هَيْكَلِ هَذَا الْجُثْمَانِ^(١١) .

أَلَا وَإِنَّ مُحَاسِنَ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ لَمَّا سَارَتْ بِهَا الرُّكْبَانُ ، وَأَثْنَى عَلَيْهَا
كُلُّ لِسَانٍ ، مَا بَيْنَ أَخْلَاقِ أَبْهَى مِنَ الرُّوضِ النَّضِيرِ^(١٢) وَأَعْرَاقِ^(١٣) أَشْهَى
مِنْ عُذِيبِ النَّمِيرِ^(١٤) قَدْ اخْتَلَّتْ مِنْ فُؤَادِي لَا أَقُولُ مَنَزَلًا رَحِيبًا ، وَلَا وَادِيًا
خَصِيْبًا ؛ بَلْ مَنَزَلَةً شَمَاءَ^(١٥) وَدَارَةً^(١٦) عَلِيَاءَ^(١٧) . وَأَوْجًا بِطَوَالِهَا السَّعِيدَةَ يَسْعُدُ

-
- (١) ولد بالإسكندرية ودرس بالأزهر وأجاد اللغة ونحوها ، واشتغل بالصحافة في تونس ومصر .
ثم مدرسا ومفتشاً بالمعارف ، وقد توفي سنة ١٩١٨ م .
- (٢) الشغف : شدة الحب . (٣) الجنان بالفتح : القلب .
- (٤) المحيا بضم الميم وتشديد الياء : الوجه . (٥) مجتلا : منظره
- (٦) الفرة : الوجه .
- (٧) قرت العين : جف دمعها وبردت من السرور . والاسم منه الفرة بضم القاف .
- (٨) يشنف الأذن : يطربها وأصله من لبس الشنف وهو القرط .
- (٩) الطرائف : الأحاديث المستملحة . (١٠) الصنوان : الأخوان الشقيقان .
- (١١) الجثمان بضم الجيم : الجسم . (١٢) النضير : الحسن .
- (١٣) الأعراق هنا : بمعنى الطباع والصفات . (١٤) النمير : الكثير من الماء .
- (١٥) شماء : عالية . (١٦) الدارة : الدار ، ويريد بها المسكنة
- (١٧) الأوج : العلو .

وَيَلُوخُ بِهَا مِنْ ذِكْرِهِ كُلِّ حِينٍ فَرَقَدَ^(١) . فَلَمْ أَنْشَبْ^(٢) أَنْ قَدَّمْتُ كِتَابِي
هَذَا لِمَوْلَايَ بَيْنَ يَدَيِ اللِّقَاءِ عَلَيْهِ أَنْ يَسْمَحَ بِهِ الزَّمَانُ ، وَتُشْعِرَ^(٣) عَنْهُ اللَّيَالِي
وَالْأَيَّامَ ، لِيُتَّاحَ^(٤) لِي رَيِّ الْفُؤَادِ بِمَا أَرَوِيهِ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ الْخَلِيلِ الَّذِي سَمَّاهُ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَيْدَ الْخَيْرِ ، وَقَالَ لَهُ : مَا وَصِفَ لِي أَحَدٌ فَرَأَيْتُهُ
إِلَّا وَجَدْتُهُ دُونَ مَا وَصِفَ لِي سِوَاكَ ، وَإِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ (الْحِلْمُ
وَالْأَنَاءَةُ^(٥)) مُقْتَدِيًا بِالْإِمَامِ مُحَمَّدٍ جَارٍ^(٦) اللَّهُ فِي تَقْدِيمِ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ
عَلَى مَا أَنْشَدَهُ إِيَّاهُ الشَّرِيفُ ابْنُ الشَّجَرِيِّ أَوَّلَ مَا لَقِيَهُ ، وَكَانَا قَدْ تَحَابَبَا بِالسَّمَاعِ :
كَأَنْتَ مُسَاءِلَةُ الرَّكْبَانِ تُخْبِرُنَا عَنْ جَابِرِ بْنِ رَبِيعٍ أَطِيبِ الْخَبَرِ
حَتَّى اجْتَمَعْنَا فَلَا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ أُذُنِي بِأَحْسَنَ مِمَّا قَدْ رَأَى بَصَرِي

١٧ — المرحوم حَفْنَى بَك نَاصِفٌ^(٧)

كُتِبَ إِلَى الْفَاضِلِ السَّيِّدِ تَوْفِيقِ الْبَكْرِى شَيْخِ مَشَايخِ الطَّرِيقِ الصُّوفِيَّةِ :
كِتَابِي إِلَى السَّيِّدِ السَّنَدِ وَلَا أَجْشُمُهُ^(٨) الْجَوَابَ عَنْهُ فَذَلِكَ مَا لَا أَنْتَظِرُهُ
مِنْهُ ، وَإِنَّمَا أَسْأَلُهُ أَنْ يَنْشَطَ إِلَى قِرَاءَتِهِ ، وَيَتَنَزَّلَ إِلَى مُطَالَعَتِهِ ، وَلَهُ الرَّأْيُ
بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُجَاسِبَ نَفْسَهُ وَيُزَكِّيَهَا ، وَيَحْكُمُ عَلَيْهَا أَوْ لَهَا .
فَقَدْ تَنْفَعُ الَّذِي كَرَى إِذَا كَانَ هَجْرُهُمْ دَلَالًا ، فَأَمَّا إِنْ مَلَّأَ فَلَا نَفْعًا

(١) الفرقد : نجم قريب من القطب الشمالى ؛ وهما فرقدان .

(٢) لم أنشب : لم ألبث .

(٣) تشعر : تكشف .

(٤) يتاح لى . يتهيأ لى .

(٥) الأناة : الوقار والحلم .

(٦) هو الإمام الزمخشري العالم المفسر المشهور .

(٧) أقرأ ترجمته فى شعره .

(٨) أجشمة الأمر : كلفه إياه .

زُرْتُ السَّيِّدَ ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّ شَوْقِي إِلَى لِقَائِهِ ، كَجِرْصِي عَلَى بِقَائِهِ ، وَكَافِي^(١)
بِشُهُودِهِ^(٢) ، كَشَفَنِي^(٣) بِوُجُودِهِ ، فَقَدْ بَعُدَ وَاللَّهِ عَهْدُ التَّلَاقِ ، وَطَالَ أَمَدُ
الْفِرَاقِ ، وَتَصَرَّم^(٤) الزَّمَانُ ، وَأَنَا مِنْ رُؤْيَيْتِهِ فِي حَرَمَانٍ ، فَقِيلَ لِي : إِنَّهُ خَرَجَ
لِتَشْيِيعِ^(٥) زَائِرٍ ، وَهُوَ عَمَّا قَلِيلٍ حَاضِرٌ ؛ فَانْتَظَرْتُ رُجُوعَهُ ؛ وَتَرَقَّبْتُ طُلُوعَهُ ،
وَلَمْ أَزَلْ أَعُدُّ اللَّحَظَاتِ ، وَأَسْتَطِيلُ الْأَوْقَاتِ حَتَّى بَرَزَتْ الْأَنْوَارُ ؛ وَارْتَجَّ
صَحْنُ الدَّارِ^(٦) وَظَهَرَ الْاسْتَبْشَارُ عَلَى وُجُوهِ الزُّوَّارِ ، وَجَاءَ السَّيِّدُ فِي مَوْكِبِهِ ،
وَجَلَّالَةِ مَحْتَدِهِ^(٧) وَمَنْصِبِهِ ، فَقُمْنَا لِاسْتِقْبَالِهِ ، وَهَيَّئْنَا^(٨) بِكَمَالِهِ ؛ فَمَرَّ يَتَعَرَّفُ
وُجُوهَ الْقَوْمِ حَتَّى حَازَانِي ، وَكَبَّرَ عَلَى عَيْنِهِ أَنْ تَرَانِي ؛ فَغَادَرَنِي وَمَنْ عَلَى
يَسَارِي ، وَأَخَذَ فِي السَّلَامِ عَلَى جَارِي ، وَجَرَّ السَّلَامُ الْكَلَامَ ، وَتَكَرَّرَ
الْقُعُودُ وَالْقِيَامُ ، وَأَنَا فِي هَذِهِ الْحَالِ أَوْهُمْ جَارِي ، أَنَّى فِي دَارِي ، وَأُظْهِرُ لِلنَّاسِ
أَنَّ شِدَّةَ الْأُلْفَةِ ، تُسْقِطُ الْكَفَّةَ ؛ وَمَرَّ السَّيِّدُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَمَامِي ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ ، وَمِنْ الْغَرِيبِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَدْرِكْ مَا فَاتَ ، وَأَغْرَبُ مِنْهُ أَنَّهُ اسْتَخْلَصَ
لِنَفْسِهِ مِنَ الْمَجْلِسِ أَرْبَعَةً ؛ وَدَعَانِي إِلَى الْحُجْرَةِ فَدَخَلُوا مَعَهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْقِيَامُ ،
وَالْإِمْسَاكُ عَنِ الْكَلَامِ .

تَمْرُونِ الدِّيَارِ وَلَمْ تَعُوجُوا كَلَامُكُمْوَا عَلَى إِذْنِ حَرَامٍ^(٩)

(١) الكلف بفتحين : الحب الشديد .

(٢) شهوده : رؤيته .

(٣) الشغف كالكلف .

(٤) تشييعه : توديعه .

(٥) المحتد : الأصل .

(٦) عاج : مال ، أى لم تميلوا إلى .

(٤) تصرم الزمان : انقضى .

(٦) صحن الدار : ساحتها .

(٨) الهيئنا : الصوت الحقي .

وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ مَكَانَتِي عِنْدَ السَّيِّدِ لَا تُنْكَرُ ، وَأَنَّ عَهْدِي لَدَيْهِ
لَا يُخْفَرُ^(١) ؛ فَإِذَا أَنَا لَسْتُ فِي الْعَبْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ^(٢) وَغَيْرِي عِنْدَ السَّيِّدِ كَثِيرٌ ،
وَذَهَابُ صَاحِبٍ أَوْ أَكْثَرٍ عَلَيْهِ يَسِيرُ .

وَمَنْ مَدَّتِ الْعَلِيَا إِلَيْهِ يَمِينَهَا فَأَكْبَرُ إِنْسَانٌ لَدَيْهِ صَفِيرٌ

وَلَا أَدْعِي أَنِّي أُوَارِي السَّيِّدَ (صَانَهُ اللَّهُ) فِي عُلُوِّ حَسَبِهِ ، وَأَدَانِيهِ فِي عِلْمِهِ
وَأَدَابِهِ ، أَوْ أَقَارِبُهُ فِي مَنَاصِبِهِ وَرُتَبِهِ ، أَوْ أَكَاثِرُهُ فِي^(٣) فَضَّتِهِ وَذَهَبِهِ ، وَإِنَّمَا
أَقُولُ يَذْبَعِي لِلْسَّيِّدِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِسَمَاعِ الْأَغَانِي وَالْأَذْكَارِ ،
وَشُهُودِ الْأَوَانِي عَلَى مَائِدَةِ الْإِفْطَارِ ، وَبَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِلسَّلَامِ ، وَتَأْيِيدِ جَامِعَةِ
الْإِسْلَامِ ، وَأَنْ يَفَرِّقَ بَيْنَ مَنْ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ اسْتِخْلَاصًا لِلْخِلَاصِ^(٤) وَمَنْ يَتَرَدَّدُ
لِجَابَةِ لَدَعْوَةِ الْإِخْلَاصِ ، وَأَلَّا يَشْتَبِهَ عَلَيْهِ طَلَابُ الْفَوَائِدِ^(٥) بِطُلَّابِ الْعَوَائِدِ ،
وَقُنَاصُ الشُّوَارِدِ^(٦) بِنُقَبَاءِ الْمَوَالِدِ ، وَرُؤَادُ الطَّرَفِ^(٧) بِأَرْبَابِ الْحَرْفِ .

فَمَا كُلُّ مَنْ لَا قَيْتَ صَاحِبَ حَاجَةٍ وَلَا كُلُّ مَنْ قَابَلَتْ سَائِلَاتُ الْعُرْفَا^(٨)

(١) خفر عهده : نقضه .

(٢) يقال : هو لا في العبر ولا في النفير ؛ أى أنه لا قيمة له ولا يحسب له أى حساب .

(٣) كآثره : فاخره بكثرة المال .

(٤) الخلاص بكسر الخاء : ما انتفى عنه الغش من الذهب والفضة أو الزبد . والمراد به هنا ما يقدم من الصدقة ونحوها .

(٥) العوائد : جم عائدة وهي المنفعة .

(٦) يريد بالشوارد غرائب اللغة ونوادير الأدب .

(٧) الطرف بضم الطاء وفتح الراء : جمع طرفة بضم الطاء ، وهي الجديد الحسن المتخير .

(٨) العرف : الجود والمعروف .

فَإِنْ حَسُنَ عِنْدَ السَّيِّدِ أَنْ يُغْضَى عَنْ بَعْضِ الْأَجْنَاسِ ، فَلَا يَحْسُنُ أَنْ
يُغْضَى عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ .

وَلَا أُرُومُ بِحَمْدِ اللَّهِ مَنَزَلَةً غَيْرِي أَحَقُّ بِهَا مِنِّي إِذَا رَامَا
وَأِنَّمَا أَصُونُ نَفْسِي عَنِ الْمَهَانَةِ وَالضَّعَةِ ، وَلَا أَعْرِضُهَا لِلضِّيقِ وَفِي الدُّنْيَا سَعَةً .
وَأُكْرِمُ نَفْسِي إِنِّي إِنْ أَهَنْتُهَا وَحَقَّقْتُ لَمْ تَكْرُمَ عَلَيَّ أَحَدٌ بَعْدِي
فَلَا يُصَمِّرُ ^(١) السَّيِّدُ مِنْ خَدِّهِ ، فَقَدْ رَضِيتُ بِمَا أَلْزَمَنِي مِنْ بُعْدِهِ ،
وَلَا يَغُضُّ ^(٢) مِنْ عَيْنِهِ ، فَهَذَا فِرَاقُ يَدْنِي وَبَيْنِهِ ، وَلَيْتَ خَذَنِي صَاحِبًا مِنْ بَعِيدٍ ،
وَلَا يُكَلِّمَنِي إِلَى يَوْمِ الْوَعِيدِ ^(٣) .

كَلَانَا غَنَى عَنْ أَخِيهِ حَيَاتِهِ وَنَحْنُ إِذَا مِثْنَا أَشَدُّ تَفَانِيَا
وَمِنِّي عَلَى السَّيِّدِ السَّلَامُ ، عَلَى الدَّوَامِ ، وَمُبَارَكٌ إِذَا لَبِسَ جَدِيدًا ، وَكُلَّ
حَامٍ وَهُوَ بِخَيْرٍ إِذَا اسْتَقْبَلَ عِيدًا ، وَمَرَحَى ^(٤) إِذَا أَصَابَ ، وَشَيْعَتُهُ السَّلَامَةُ
إِذَا غَابَ ، وَقُدُومًا مُبَارَكًا إِذَا آبَ ، وَبِالرَّفَاءِ وَالْبَيْنِ ^(٥) إِذَا أَعْرَسَ ^(٦)
وَبِالطَّالِعِ الْمُسْعُودِ إِذَا أَنْجَبَ ^(٧) ، وَرَحِمَهُ اللَّهُ إِذَا عَطَسَ ، وَنَوْمَ الْعَافِيَةِ إِذَا
نَعَسَ ، وَصَحَّ نَوْمُهُ إِذَا أُسْتَيْقِظَ ، وَهَنِيئًا إِذَا شَرِبَ ، وَمَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ

(١) صعر الرجل خده : أماله كبرا وتبها .

(٢) يغض عينه : يغمضها .

(٣) يوم الوعيد : يوم القيامة .

(٤) مرحى بفتح الميم وسكون الراء وفتح الحاء : كلمة تقال مدحا لمن يصيب الرمية .

(٥) بالرفاء والبنين : دعوة لمن يتزوج بالانثام واستيلاد الأولاد .

(٦) أعرس : تزوج .

(٧) أنجب : ولد له ولد .

إِذَا رَكِبَ ، وَلَنِمَّ صَبَاحُهُ إِذَا انْفَجَرَ الْفَجْرُ ، وَسَعِدَ مَسَاوُهُ إِذَا أَذَّنَ الْعَمْرُ ،
وَبَخَّ بَخَّ (١) إِذَا نَثَرَ (٢) وَلَا فُضَّ فُوهُ (٣) إِذَا شَعَرَ (٤) ، وَأَجَادَ وَأَفَادَ إِذَا خَطَبَ ،
وَأَطْرَبَ وَأَغْرَبَ إِذَا كَتَبَ ، وَإِذَا حَجَّ الْبَيْتَ فَحَجًّا مَبْرُورًا ، وَإِذَا شَيَّعَ
جَنَازَتِي فَسَعِيًّا مَشْكُورًا .

وكتب إلى الشيخ علي الليثي رحمه الله يشكره على هدية عنب :

وَصَلِّ يَا مَوْلَايَ إِلَى هَذَا الطَّرَفِ ، مَا خَصَصْتَ بِهِ الْعَبْدَ مِنَ الطَّرَفِ (٥)
« قَفَصٌ » مِنْ عَنَبٍ كَاللُّوْلُؤِ فِي الصَّدَفِ ، تَتَأَلَّقُ عَنَاقِيدُهُ كَأَنَّهَا مِنْ صِنَاعَةِ
« النَّجَفِ » (٦) وَلَعَمْرُ الْحَقِّ (٧) إِنَّهَا تَحْفَةُ مَنْ أَحَلَّى التَّحْفَ ، لَا يُعْتَرَى عَلَى
مِثْلِهَا إِلَّا بِطَرِيقِ « الصَّدَفِ » فَقَابِلُنَاهُ لَنَّمَا بِالْأَفْوَاهِ ، وَرَشْفًا بِالشِّفَاهِ .
وَأَحْتَفِينَا (٨) بِقُدُومِهِ كُلِّ اخْتِفَاءٍ ، وَلَمْ نَفْرُطْ فِي حَبَّةٍ عِنْدَ اللَّقَاءِ ؛
بَلْ حَلَلْنَا لَهُ الْحَبِي (٩) ، وَقُلْنَا لَهُ أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ، وَأَوْسَعْنَاهُ عَضًا
وَلَنَّمَا ، وَتَنَاوَلْنَاهُ تَجْمِيشًا (١٠) وَضَمًّا ؛ وَحَفِظْنَا فِي صُدُورِنَا سِرَّهُ الْمَكْنُونِ ،
وَطَوَيْنَاهُ فِي غُضُوفِ الْبُطُونِ ، فَطَرَبَتْ مِنْ تَعَاطِيهِ الْأَرْوَاحُ ،

(١) بَخَّ : كلمة يقال عند استحسان الشيء والإعجاب به .

(٢) نثر : أرسل القول منشورًا .

(٣) لافض فوه : لاخلأ من أسنانه . دعوة توجه لمن يجيد القول .

(٤) شعر : قال الشعر . (٥) يريد بالطرف : التحف .

(٦) النجف : كلمة مولدة . (٧) لعمر الحق : قسم بالحق .

(٨) احتفى به احتفاء : أكرمه وأظهر السرور به .

(٩) يقال فلان من تحل له الحبي ، أى يقابل بالإجلال والإعظام . والحبي : جمع حبة وهي ما يجمع به
مابين الظهر والساق من حبل ونحوه .

(١٠) جمشه تجميشاً : قرصه ولعبه .

وَلَا غَرَوْ^(١) فَهُوَ أَصْلُ الرَّاحِ^(٢) . وَانْتَشَيْنَا^(٣) وَلَمْ نَحْمِلْ وَزْرًا ، وَنَمِلْنَا^(٤) وَلَمْ نَذُقْ طَعْمًا مُرًّا . فَهُوَ كَبِيَانٌ مُهْدِيهِ سِحْرُهُ وَلَكِنَّهُ حَلَالٌ ، وَلَعِبٌ إِلَّا أَنَّهُ كَمَالٌ .

وَكَانَ الْآخَرَىٰ بِهَذَا الْعِنَبِ أَنَّ يُنَاطُ^(٥) بِالنَّحُورِ ، أَوْ تُزَيَّنَ بِهِ الصُّدُورُ ؛ فَهُوَ إِلَّا الْأَوَّلُ وَلَكِنَّهُ سَلِمَ مِنْ سِجْنِ الْبَحَارِ ، وَمَا هُوَ إِلَّا الدُّرُّ لَكِنْ لَيْسَ فِيهِ صُغَارٌ^(٦) .

وَمَنْ كُنْتَ بِحُجْرًا لَهُ يَا عَلِيُّ لَا يَلْقُطُ الدُّرَّ إِلَّا كُبَارًا^(٧) وَمَا ضَرَّهُ أَنْ ضَمَّهُ الْقَفْصُ ، (حِصَّةٌ مِنَ الْخَصَصِ^(٨)) فَإِنَّ كَرِيمَ الطَّيْرِ يُودَعُ فِي الْأَقْفَاصِ ، وَالْقَلْبُ لَيْسَ لَهُ مِنْ حَنَائِيَا الضُّلُوعِ خَلَاصٌ . فَلَا بُدَّعَ أَنْ تُسْتَقَلَّ فِي حَبَاتِهِ حَبَاتُ الْقُلُوبِ ، وَيُسْتَمْلَحَ فِي جَنْبِ حَلَاوَتِهِ رُضَابٌ^(٩) الْمَحْبُوبِ . وَكَأَنَّ الْإِرْيَاءَ لَمَّا أَخَذَتْ شَكْلَهُ ، فَغَرَ الْهَلَالُ فَاهُ^(١٠) لِعِنُقُودِهَا يُرِيدُ أَكْلَهُ ، فَهُوَ يُطَارِدُهَا فِي السَّمَاءِ ، وَيَأْخُذُ عَلَيْهَا الطَّرِيقَ مِنَ الْوَرَاءِ . وَهِيَ تَجْرِي مِنَ الْأَمَامِ ، خَافَةَ الْإِتِهَامِ . هَذَا لِمُجَرَّدِ تَشَابِهِ فِي الشَّكْلِ

(٢) الراح : من أسماء الحمر .

(٤) نمل : سكر .

(٦) الصغار بضم الصاد : الصغير .

(١) لا غرو : لا عجب .

(٣) انتشى : سكر .

(٥) يناط : يعلق .

(٧) الكبار بضم الكاف : الكبير .

(٨) الحصاة في الأصل : النصيب واستعملها المحدثون في معنى الفترة من الزمن يريد وقتنا من الأوقات

(١٠) فغره فاه : فتحه .

(٩) الرضاب بضم الراء : الريق .

فَكَيْفَ بِالْثَرِيَّا ، لَوْ أَشْبَهَتْهُ حَلَاوَةٌ وَرِيًّا^(١) ! فَلِلَّهِ تِلْكَ الْعَنَاقِيدُ مَا أَشَدَّ
تَأَلُّقَهَا^(٢) ، وَأَصْنَى مَاءِهَا ، وَأَحْسَنَ رَوْقَهَا . مِنْ كُلِّ عُنُقُودٍ تَخَالُهُ عُمُودُ الصُّبْحِ^(٣)
أَحَاطَتْ بِهِ الدَّرَارِيُّ ، أَوْ غَضِنَ الْبَانِ^(٤) تَعَلَّقَتْ بِهِ الْقَمَارِيُّ^(٥) .

وكتب يعزى كبيراً (لعله الشيخ على يوسف رحمه الله في ولده) :
خَفَّفَ اللَّهُ لَوْعَتِكَ^(٦) ، وَأَرْقَأَ^(٧) دَمْعَتِكَ ، وَجَنَّبَكَ الْجُزَعَ^(٨) ، وَوَقَاكَ
الْهَلَعَ^(٩) . وَالْهَمَكَ الصَّبْرَ ، وَأَجْزَلَ لَكَ الْأَجْرَ وَرَزَقَكَ مِنَ الْبَنِينَ ، فِي مُسْتَقْبَلِ
السِّنِينَ ، مَا تَقَرُّ^(١٠) بِهِ عَيْنَاكَ ، وَيَقْوَى بِهِ عَنَّاكَ^(١١) ، وَأَنْتَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
فِي قُوَّةٍ وَبَقِيَّةٍ مِنَ الْفُتُوَّةِ^(١٢) ثَمَكْنُكَ مِنَ الْأُبُوَّةِ ، لِخَيْرِ الْبُنُوَّةِ . عَلَى أَنَّ لَكَ
فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ ، وَضُرُوبِ الْكِيَاسَةِ^(١٣) ، فِي هَذِهِ الْبِلَادِ ، أَلْوَانًا مِنَ الْأَوْلَادِ ،
وَأَثَارًا كُبْرَى ، تَضُمَّنُ لَكَ الذِّرَى ، وَتَجْمَعُ لَكَ عَلَى مَدَى السِّنِينَ لِسَانَ
صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

(١) الرى بالكسر : الشبع من الماء .

(٢) تألقها : بريقها .

(٣) عمود الصبح : ضوؤه .

(٤) البان : شجر يضرب المثل بأغصانه في اعتدال القوام .

(٥) القمارى بفتح القاف وكسر الراء : جمع قرى بضم القاف ، وهو نوع من الحمام حسن الصوت .

(٦) اللوعة : حرقه الحزن .

(٧) أرقأ دمعته : جففها .

(٨) الجزع : أشد الحزن .

(٩) الهلع : الجزع من المصيبة .

(١٠) قرت العين : بردت من السرور .

(١١) العنا : الجانب .

(١٢) الفتوة : قوة الشباب .

(١٣) الكياسة : الفطنة وصحة الرأى .

١٨ - السيد مصطفى لطفي المنفلوطي^(١)

نفس الشاعر

« قطعة من رواية الشاعر ، يخاطب فيها سيرانو
ليريه الذي ينصحه بحسن السياسة والمداواة »

أَتُرِيدُ أَنْ أَعْتَمِدَ فِي حَيَاتِي عَلَى غَيْرِي ، وَأَنْ أَضَعَ زَمَامَ نَفْسِي فِي يَدِ
عَظِيمٍ مِنَ الْعُظَمَاءِ ، أَوْ نَبِيلٍ مِنَ النُّبَلَاءِ ، يَصْطَنِعُنِي وَيَحْتَبِينِي^(٢) وَيَكْفِينِي
مُسُونَةَ عَيْشِي ، وَيَحْمِلُ عَنِّي هُمُومَ الْحَيَاةِ وَأَثْقَالَهَا ، فَيَكُونُ مَثَلِي مَثَلِ شَجَرَةٍ
« اللَّبْلَابِ » لَا عَمَلَ لَهَا فِي حَيَاتِهَا سِوَى أَنْ تَلْتَفَّ بِأَحَدِ الْجَذُوعِ تَلْمَعُ^(٣)
قَشْرَتُهُ ، وَتَعْتَصُ مَادَّةَ حَيَاتِهِ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ تَعْتَمِدَ فِي حَيَاتِهَا عَلَى نَفْسِهَا ! .
ذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ .

أَتُرِيدُ أَنْ أَحْمِلَ نَفْسِي عَلَى عَاتِقِي ، كَمَا يَحْمِلُ الدَّلَالُ سَلْمَتَهُ ، وَأَدُورُ بِهَا
فِي الْأَسْوَاقِ مُنَادِيًا عَلَيْهَا : مَنْ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ وَالْأَثْرِيَاءُ^(٤) ، وَالْوُزَرَاءُ
وَالْعُظَمَاءُ ، وَأَصْحَابُ الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ ، يَتَتَاعُ نَفْسًا بِذِمَّتِهَا وَضَمِيرِهَا ، وَعَوَاطِفِهَا
وَمَشَاعِرِهَا ، بِلُقْمَةِ عَيْشٍ ، وَجُرْعَةِ مَاءٍ ؟ .

(١) نشأ السيد المنفلوطي بمنفلوط وتعلم بالأزهر . واشتغل محرراً بالوَيْد . ثم اتصل بالمرحوم سعد باشا
زغلول فألحقه بالمعارف ثم الحفانية . وكان كاتباً رقيق القول بحكم الفسح . يجيد تصوير الشعور الحزينة
وله شعر قليل توفي سنة ١٣٤٣ هـ تاركاً آثاراً علمية جميلة

(٢) يحتبيني : يختارني

(٣) لعق الشيء : أخذه بطرف لسانه

(٤) الأثرياء : جمع ثرى وهو من عنده مال كثير .

أَتُرِيدُ أَنْ تَسْتَحِيلَ قَامَتِي إِلَى قَوْسٍ مِنْ كَثْرَةِ الْأَنْحِنَاءِ وَأَنْ تَهْدَلَ أَجْفَانِ مِنْ كَثْرَةِ الْإِطْبَاقِ وَالْإِغْضَاءِ ، وَأَنْ تَجْتَمَعَ فَوْقَ رُكْبَتِي طَبَقَةٌ مَمِيكَةٌ مِنْ كَثْرَةِ السُّجُودِ وَالْجُلُثُو^(١) بَيْنَ أَيْدِي الْعُظَمَاءِ ! .

أَتُرِيدُ أَنْ يَكُونَ لِي لِسَانَانِ : لِسَانٌ كَاذِبٌ أَمْدَحُ بِهِ ذَلِكَ الَّذِي صَنَعَنِي وَاجْتَبَانِي ، وَلِسَانٌ أُعَدِّدُ بِهِ عُيُوبَهُ وَسَيِّئَاتِهِ . وَأَنْ يَكُونَ لِي وَجْهَانِ : وَجْهٌ رَاضٍ عَنْهُ ، لِأَنَّهُ يَذُودُ عَنِّي وَيَحْمِينِي ، وَوَجْهٌ سَاخِطٌ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ يَسْتَعْبِدُنِي وَيَسْتَرْقِنِي ؟
ذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ !

أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ حُرًّا طَلِيقًا ، أَضْحَكُ كَمَا أَشَاءُ ، وَأَبْكِي كَمَا أُرِيدُ ، وَأَحْتَفِظُ بِنَظَرِي سَلِيمًا وَصَوْنِي رَنَانًا ، وَخَطَوَاتِي مُنْتَظِمَةً ، وَرَأْسِي مَرْفُوعًا وَقَوْلِي صَرِيحًا ، أَنْظِمُ الشُّعْرَ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَخْتَارُهَا ، وَفِي الشَّأْنِ الَّذِي أُرِيدُهُ فَإِنْ أَعْجَبَنِي مَا وَرَدَ عَلَيَّ مِنْهُ فَذَلِكَ ، وَإِلَّا تَرَكَتُهُ غَيْرَ آسِفٍ عَلَيْهِ ، وَأَخَذْتُ فِي نَظْمِ غَيْرِهِ ، بَدَلًا مِنْ أَنْ أَتَوَسَّلَ إِلَى الطَّابِعِينَ أَنْ يَنْشُرُوهُ ، وَالْأَدَبَاءُ أَنْ يُقَرِّطُوهُ ، وَالْمُمَثِّلِينَ أَنْ يُمَثِّلُوهُ ، وَالْعُظَمَاءُ أَنْ يُنَوِّهُوا بِهِ وَيَرْفَعُوا مِنْ شَأْنِهِ !
أُرِيدُ أَنْ أَعِيشَ حُرًّا طَلِيقًا ، أُنَاضِلُ مَنْ أَشَاءُ ، وَأُجَادِلُ مَنْ أَشَاءُ ، وَأَنْتَقِدُ مَنْ أَشَاءُ ، وَأَنْ أَقُولَ كَلِمَتِي الْخَيْرَ وَالشَّرَّ لِلْأَخْيَارِ وَالْأَشْرَارِ فِي وَجْهِهِمْ ، لَا مُتَمَلِّقًا أَوْلَئِكَ ، وَلَا خَاشِيًا هَؤُلَاءِ .

(١) جثا الرجل يجثو : جلس على ركبتيه

(٢) أناضل : أدافع وأغالب

وكتب أيضا :

الشاعر

إِنَّمَا يَشْقَى فِي هَذَا الْعَالَمِ أَحَدُ ثَلَاثَةٍ : حَاسِدٌ يَتَأَلَّمُ لِمَنْظَرِ النِّعَمِ
الَّتِي يُسَبِّغُهَا اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَنِعَمُ اللَّهِ لَا تَنْفَدُ وَلَا تَفْنَى . وَطَمَّاعٌ
لَا يَسْتَرِيحُ إِلَى غَايَةٍ مِنَ الْغَايَاتِ حَتَّى تَنْبَعِثَ نَفْسُهُ وَرَاءَ غَايَةٍ غَيْرِهَا ؛
فَلَا تَفْنَى مَطَامِعُهُ ، وَلَا تَنْتَهَى مَتَاعُهُ . وَمُقْتَرِفٌ جَرِيعةٌ مِنْ جَرَائِمِ
الْعَرَضِ وَالشَّرَفِ ، لَا يُفَارِقُهُ خَيَالُهَا حَيْثُمَا حَلَّ وَأَيْنَمَا سَارَ ، وَمَا أَنْتَ
يَا سَيِّدِي بِوَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ ، فَمِنْ أَيِّ بَابٍ مِنَ الْأَبْوَابِ يَتَسَرَّبُ الشَّقَاءُ
إِلَى قَلْبِكَ .

أَنْتَ شَاعِرٌ يَا مَوْلايَ ، وَقَلْبُ الشَّاعِرِ مِرْآةٌ تَتَرَاءَى فِيهَا صُورُ
الْكَائِنَاتِ ، صَغِيرُهَا وَكَبِيرُهَا ، دَقِيقُهَا وَجَلِيلُهَا ؛ فَإِنْ أَعْوَزَتْكَ ^(١) السَّعَادَةُ
فَفَتِّشْ عَنْهَا فِي أَعْمَاقِ قَلْبِكَ ؛ فَقَلْبُكَ الصُّورَةُ الصَّغِيرَى لِلْعَالَمِ
الْأَكْبَرِ وَمَافِيهِ .

السَّمَاءُ جَمِيلَةٌ ؛ وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدْرِكَ سِرَّ جَمَالِهَا ؛
وَيَخْتَرِقَ بِنَظَرَاتِهِ أَدِيمَهَا ^(٢) الْأَزْرَقَ الصَّافِي ؛ فَيَرَى فِي ذَلِكَ الْعَالَمِ الْمُلَوَّى
النَّائِي مَا لَا تَرَاهُ عَيْنٌ ، وَلَا يَحْتَدُّ إِلَيْهِ نَظَرٌ .

(١) أعوزتك : احتجت إليها .

(٢) الأديم : الجلد . وأديم الأرض والسماء : ما ظهر منها .

وَالْبَحْرُ عَظِيمٌ وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَشْعُرُ بِعَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ ، وَيَرَى
فِي صَفْحَتِهِ الرَّجْرَاجَةَ^(١) الْمُرْجَّجَةَ^(٢) صُورَ الْأَمِّ الَّتِي طَوَّاهَا ، وَالْمُدُنَ الَّتِي
مَحَّاهَا ، وَالذُّوُلَ الَّتِي أَبَادَهَا وَهُوَ بَاقٍ عَلَى صُورَتِهِ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ ،
وَلَا يَبْلَى^(٣) عَلَى الْمُصُورِ وَالْأَيَّامِ .

وَاللَّيْلُ مُوَحِّشٌ^(٤) وَالشَّاعِرُ هُوَ الَّذِي يَسْمَعُ فِي سُكُونِهِ وَهُدُوءِهِ
أَنِينَ الْبَاكِينَ ، وَزَفَرَاتٍ^(٥) الْمُتَأَلِّمِينَ ، وَأَصْوَاتَ الدُّعَاءِ الْمُتَصَاعِدَةِ إِلَى
آفَاقِ السَّمَاءِ ، وَيَرَى صُورَ الْأَحْلَامِ الطَّائِفَةِ بِمُضَاجِعِ النَّائِمِينَ ، وَخَيَالَاتِ
السَّمَادَةِ أَوِ الشَّقَاءِ الْهَائِئِمَّةِ^(٦) فِي رُءُوسِ الْمَجْدُودِينَ^(٧) وَالْمَحْدُودِينَ^(٨) .
الشَّاعِرُ يَرَى الْجَمَالَ فِي كُلِّ شَيْءٍ يَتَنَاوَلُهُ سَمْعُهُ وَبَصَرُهُ ، حَتَّى فِي الزَّهْرَةِ
الذَّابِلَةِ ، وَالنَّدْتَةِ الْخَائِلَةِ^(٩) ، وَالنَّحْلَةِ الطَّائِرَةِ ، وَالْفَرَّاشَةِ الْخَائِمَةِ^(١٠) ، وَفِي
مَدَارِجِ^(١١) النَّمَالِ وَأَفَاحِيصِ^(١٢) الْقَطَا^(١٣) وَالنُّوَى^(١٤) الْمُتَهَدِّمِ ، وَالْجُدَثِ الْبَالِي ،
وَالشَّبَحِ الْمُخِيفِ ، وَالْخَيَالِ الرَّائِعِ ، وَفِي الضُّفْدَةِ الْمُتْلِقَةِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ،

(٢) المترجعة : المهتزة المضطربة .

(١) الرجراجة : المتحركة المتماوجة .

(٣) بلى المسمى : تهيأ للفناء .

(٤) موحش : مظلّم يبعث على الوحشة والانقباض

(٥) زفر الرجل : أخرج نفسه مع مده إياه ؛ من ضيق وحزن .

(٦) الهائمة : الطائفة .

(٧) المجدودون : جمع مجدود ، وهو ذو الحظ الموفق .

(٨) المحدودون : جمع محدود ؛ وهو ضد المجدود .

(٩) الخائلة : المتغيرة .

(١٠) الخائمة : أى التى لا تفتأ تدور حول النار والنور .

(١١) المدارج : جمع مدرج . موضع الدروج . وهو المسمى .

(١٢) الأفاحيص جمع أفحوص بضم المهملة . وهو الموضع الذى تفحص القطة التراب عنه لتبيض فيه .

(١٣) القطا : جمع قطة . وهى طائفة فى حجم الحمام .

(١٤) النوى : الحفرة التى تحفر حول الخيام ليذهب فيها السيل .

وَالدُّودَةُ الْمُتَمَدِّدَةُ فِي بَاطِنِ الصَّخْرِ ، فَهُوَ مِنْ خَيَالِهِ الْوَاسِعِ فِي نِعْمَةٍ دَائِمَةٍ
لَا تَنْفَدُ وَلَا تَبْلَى .

أَنْتَ كَالطَّائِرِ السَّجِينِ فِي قَفَصِهِ ، فَمَزَّقَ عَنْ نَفْسِكَ هَذَا السَّجْنَ الَّذِي
يُحِيطُ بِكَ ، وَطَرَهُ بِجَنَاحَيْكَ فِي أَجْوَاءِ هَذَا الْعَالَمِ الْمُنْبَسِطِ الْفَسِيحِ ، وَتَنَقَّلَ
مَا شِئْتَ فِي جَنَبَاتِهِ وَأَكْنَفِهِ ^(١) ، وَاهْتَفَ ^(٢) بِأَغَارِيدِكَ ^(٣) الْجَمِيلَةِ فَوْقَ قِمَمِ ^(٤)
جِبَالِهِ ، وَرَعَّوَسِ أَشْجَارَهُ ، وَضَفَافٍ ^(٥) أَنْهَارَهُ ، فَأَنْتَ لَمْ تُخْلَقْ لِلْسَّجْنِ وَالْقَيْدِ
بَلْ لِلْهَيْفِ وَالتَّغْرِيدِ .

١٩ — سعد زغلول باشا ^(١)

وَجَّهَ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا النِّدَاءَ إِلَى الْأُمَّةِ الْمِصْرِيَّةِ عَقِبَ عَوْدَتِهِ إِلَى مِصْرٍ
فِي صَدْرِ سَنَةِ ١٩٢١ م :

رَحَّبَتِ الْأُمَّةُ بِعَوْدَةِ نُوَابِهَا تَرْحِيبًا فَاقَ كُلَّ تَرْحِيْبٍ ، وَأَعْجَزَ وَصَفَ
كُلَّ كَاتِبٍ وَخَطِيبٍ ، فَقَدْ أَتَى أَفْرَادُهَا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِدَافِعٍ مِنْ ضَمَائِرِهِمُ
النَّيِّرَةِ ، وَبَاعَثَ مِنْ شُعُورِهِمُ الْحَيِّ ، تَرْتَعِشُ أَعْصَابُهُمْ حِمَاسَةً ، وَتُخَفِّقُ قُلُوبُهُمْ
بِالْوَطَنِيَّةِ الصَّادِقَةِ ، لِلْإِتِّفَافِ حَوْلَ مَنْ اتَّخَذُوهُمْ رَمَزَ أَمَانِيَّتِهِمْ وَعُنْوَانَ مَبَادِيئِهِمْ .

(١) أَكْنَفُهُ : نَوَاحِيهِ . (٢) هَتَفَ : مَدَّ صَوْتَهُ .

(٣) الْأَغَارِيدُ : جَمْعُ أَغْرُودَةٍ . وَهِيَ غَنَاءُ الطَّائِرِ .

(٤) الْقِمَمُ : جَمْعُ قِمَّةٍ وَهِيَ أَعْلَى الْجَبَلِ . (٥) ضَفَافٌ : جَمْعُ ضَفَّةٍ . وَضَفَّةُ النَّهْرِ : جَانِبُهُ .

(٦) يَعِدُ سَعْدُ زَغَلُولُ بَاشَا زَعِيمَ الْخُطَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي عَصْرِهِ — دَرَسَ فِي الْأَزْهَرِ دَرَاةَ اسْتِقْلَالِيَّةٍ
أَعَدَّتْهُ لِيَكُونَ كَاتِبًا نَافِئًا وَمُحَامِيًا بَارِعًا وَقَانُونِيًّا قَدِيرًا كَانَ زَعِيمَ النُّهْضَةِ السِّيَاسِيَّةِ حَتَّى تَوَفَّى سَنَةَ ١٩٢٧ م .

وَلَقَدْ رَأَيْتِ آيَاتِ الْحِكْمَةِ وَالْكَرَامَةِ وَالثَّبَاتِ تَتَجَلَّى فِيمَا اسْتَقْبَلْنَا بِهِ مِنْ
مَظَاهِرِ الْفَرَجِ الْبَاهِرِ — تِلْكَ الصِّفَاتُ الَّتِي تَضُمُّنُ لِلشُّعُوبِ تَقَدُّمَهَا وَالْأَمَمَ
سَعَادَتَهَا . وَشَعَرْتُ مِنْ قُبُلَاتِ التَّرْحِيبِ الَّتِي غَمَرُونَا بِهَا بِحَرَارَةِ قَلْبٍ يَخْفِقُ
فِي جِسْمِ شَعْبٍ عَظِيمٍ . وَقَدْ اشْتَرَكَ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ فِي أَنْ يُمْلُوا عَلَى
الْمَجْمُوعِ وَكُلٌّ فَرْدٍ وَاجِبُهُ نَحْوُ الْوَطَنِ الْعَزِيزِ ، وَأَجْمَعَ الْكُلُّ عَلَى مُطَابَقَتِنَا
بِمَوَاصِلَةِ السَّيْرِ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي سَنَّهُ الْحَقُّ الْقَوِيمُ .

وَإِنَّ الشَّرَفَ وَالْكَرَامَةَ وَالْإِخْلَاصَ لَوْطَنِنَا الْمُقَدَّسِ لِمِمَّا يُوجِبُ
عَلَيْنَا طَاعَةَ هَذَا الْأَمْرِ الْكَرِيمِ ، وَالنِّزَامَ هَذَا الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ .

إِنَّا نَشْكُرُ الْبِلَادَ جَمِيعَهَا ، قَرِيبَهَا وَبَعِيدَهَا ، عَلَى حُلَّةِ الثَّقَةِ ^(١) الَّتِي
زَيَّنَتْهَا بِهَا ، وَنُقَسِّمُ بِالْوَطَنِ وَشَعَائِرِهِ ^(٢) الْمُقَدَّسَةِ — وَيُشَارِكُنَا فِي هَذَا
الْقَسَمِ الْعَظِيمِ أَصْحَابُنَا الْمُخْلِصُونَ فِي جِهَادِهِمْ — أَنَّنَا لَا نَدْخِرُ شَيْئًا مِنْ وَسْعِنَا
لِتَحْقِيقِ هَذِهِ النِّقَّةِ الْغَالِيَةِ ، وَلَا نَتَحَوَّلُ لِحُلْطَةٍ وَاحِدَةٍ عَنِ الْغَرَضِ الَّذِي
وَضَعْنَاهُ نُصَب ^(٣) عُيُونِنَا حَتَّى نَصِلَ إِلَيْهِ .

إِنَّا لَمْ نَعُدْ إِلَّا لِنُقَوِّيَ بِعَزَائِمِ مُوَاطِنِينَا الْكَرَامِ عَزَائِمَنَا ، وَنَشُدَّ أَزْرَانَا
بِاتِّحَادِهِمِ الْمَتِينِ ، وَنَتَمَتَّعَ بِمِرْآةٍ بَعْدَ طَوِيلِ هَذِهِ الْغَيْبَةِ ، وَنَتَأَكِّدَ مِنْ أَنَّ
الِاشْتِرَاكَ فِي الْمَفَاوِضَاتِ الرَّسْمِيَّةِ الَّتِي دَعَتْنَا الْوِزَارَةُ الْجَدِيدَةُ لَهُ مُتَّفَقٌ مَعَ
الْمَبَادِي الَّتِي وَضَعَتْهَا الْأُمَّةُ ، وَعَاهَدْنَاهَا عَلَى احْتِرَامِهَا ، وَمَعَ الْخُلُطَةِ الَّتِي رَسَمَتْهَا

(١) الحلة : الثوب . (٢) الشعائر : العلامات والمعالم . (٣) نصب عيوننا : أمامها .

وَتَعَهَّدْنَا بِمُتَابَعَتِهَا ، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ أَنْ نَخْدُمَ بِلَادَنَا بِالِاتِّفَاقِ
مَعَ كُلِّ هَيْئَةٍ مُسْتَعِدَّةٍ لِأَنْ تَسْتَرْشِدَ بِإِرَادَةِ الْأُمَّةِ ، وَعَامِلَةٍ عَلَى تَحْقِيقِ
غَايَتِهَا السَّامِيَةِ .

لَمْ يَبْقَ عَلَيْنَا إِلَّا أَنْ يَعُودَ كُلُّ مِنَّا إِلَى عَمَلِهِ ، وَيُقْبَلَ عَلَى شَأْنِهِ : فَالْتِمِيزُ
إِلَى مَدْرَسَتِهِ ، وَالْفَلَاحُ إِلَى مَزْرَعَتِهِ ، وَالصَّانِعُ إِلَى مَصْنَعِهِ ، وَالتَّاجِرُ إِلَى مَتَجَرِّهِ ،
وَالْكَاتِبُ إِلَى مَكْتَبِهِ ، وَالْمَرْأَةُ إِلَى إِدَارَةِ بَيْتِهَا ، وَعَلَى الْكُلِّ مِنْ غَنِيٍّ وَفَقِيرٍ
أَنْ يُبَاشِرَ عَمَلَهُ ، مُرَاقِبًا أَعْمَالَنَا ، رَاضِعًا نُصَبَ عَيْنِيهِ الْمُقْصِدَ الْأَسْمَى ،
وَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ يَزِيدُ بِمَا يَعْمَلُ فِي كُنُوزِ الْوَطَنِ كَنْزًا ، وَيَضُمُّ إِلَى قُوَاهُ قُوَّةً .
إِلَى الْعَمَلِ جَمِيعًا لِنَرْفَعَ مَنَارَ الْوَطَنِ وَنُعَلِيَ كَلِمَتَهُ ، وَلِنُخَيِّ مِصْرُ .

٢٠ — محمد بك المويلحي^(١)

كتب من مصر إلى منيف باشا وزير المعارف في تركيا يعزيه في ابنته :
إِلَى الْوَزِيرِ الَّذِي تَرْتَعِشُ بِنَظَرَةٍ مِنْهُ عُقْدُ السِّيَاسَةِ حَتَّى تَنْحَلَّ مِنْ شِدَّةِ
الْارْتِجَافِ ، وَالْأَمِيرِ الَّذِي يَنْتَعِشُ بِهِ سُرُورًا دَسْتُ^(٢) الرِّيَاسَةِ ، حَتَّى يَتِيَهُ عَلَى
الْأَسْلَافِ ، وَالْفِيلَسُوفِ الَّذِي تَفَرَّعَتْ عَنْهُ أُصُولُ الْحُكْمِ ، وَالْهُمَامِ الَّذِي أَعْيَا

(١) هو ابن المرحوم إبراهيم بك المويلحي . أخذ الأدب عن أبيه ، واتصل بكبار أئمة العلم والأدب
في عصره . وحقق التركية وطائفة من اللغات الأوروبية . وعمتاز قلمه بصفاء الديباجة ، وانصاعة اللفظ ،
وتلاحم النسيج ، ومثانة السجع ، وقد أوتي من البراعة في فنون الوصف ما لا يتعلق فيه بغيره . وله
(حديث عيسى بن هشام) وكان قد نشر منجماً في جريدة « مصباح الشرق » التي كان يحررها مع أبيه
توفي سنة ١٩٣٠ .

(٢) الدست : السكرسى .

النجوم أن تباريه في علو الهمم ، والرَّفِيعُ الَّذِي سَارَتْ عَنْهُ أَمْثَالُ الْمَجْدِ الْمُؤْتَلِّ (١) ،
وانتَشَرَ عَلَى السَّمَارِ (٢) حَدِيثُ فَضْلِهِ الْمُرْتَلِّ :

إِلَى قُطْبِ (٣) الدُّنْيَا الَّذِي لَوْ بِفَضْلِهِ مَدَحْتُ بَنَى الدُّنْيَا كَفَتَهُمْ فَضَائِلُهُ
مِنْ عِبْدٍ لِدَوْلَتِهِ ، لَهُ الشَّرَفُ الْأَسْنَى بِهَذِهِ النِّسْبَةِ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَالْفَخْرُ الْأَعْلَى
بِذَلِكَ وَأَفَانِيْنُ التَّيِّهِ (٤) . دَهْمُهُ خَيْرُ الْمُصَابِ الَّذِي أَنْقَضَ (٥) ظَهْرَهُ ، وَأَرْضَى
دَهْرَهُ (٦) ، عَلَى أَنْ الْمَوْتَ — أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ الْمَجْدِ بِطُولِ بَقَائِكَ ، وَأَدَامَ رَوْنَقَ
الْفَضْلِ بِدَوَامِكَ — بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الطَّبِيعَةِ لَا مَفْرَّ لِلْإِنْسَانِ مِنْ وَلُوجِ فِيهِ ،
وَعَوْنٌ مِنْ أَعْوَانِ الْحَيَاةِ لَا بُدَّ لِلْحَيِّ مِنْ تَوَافِيهِ (٧) . وَاسْمُ الْحَيَاةِ لَا مَعْنَى لَهُ بِغَيْرِ
اسْمِ الْمَوْتِ ، وَلَفْظُ الْعَيْشِ مُتَضَمِّنٌ لِلْفَظِّ الْفَوْتِ (٨) . وَلَقَدْ قِيلَ لِحَكِيمٍ مِثْلَكَ :
مَا سَبَبُ مَوْتِ فُلَانٍ . قَالَ : كَوْنُهُ (٩) ، فَعَجِيبٌ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ مُكْلَهُ
وَحَزْنُهُ . وَإِنِّي أَتَقَنَّ أَنْ مَوْلَايَ الْوَزِيرَ مَا تَجَاسَرَ أَنْ يَلْمَسَ أَذْيَالَهُ رَسُولُ الْحَزْنِ
وَالْأَسَى ، وَلَا عَارِضَ نَوْرَ حَكْمَتِهِ عَارِضٌ مِنْ ظُلْمَةِ ذَاكَ الدُّجَى (١٠) ، وَمَا تَسَنَّى

(١) الْمُؤْتَلِّ : الْأَصِيلُ الثَّابِتُ .

(٢) السَّمَارُ : الْمَتَسَامِرُونَ ، الْمُتَحَدِّثُونَ لَيْلًا . وَفِي اللَّيْلِ يَجْتَمِعُ النَّاسُ عَادَةً لِتَحَدِّثِ .

(٣) قُطْبُ الشَّيْءِ . مَدَارُهُ وَمَلَاكِهِ الَّذِي يَعْمَلُ بِهِ . وَقُطْبُ الْقَوْمِ : سَيِّدُهُمُ الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهِ أَصْرُهُمْ .

(٤) التَّيِّهِ : الْكَبِيرُ وَالْحَيَاءُ .

(٥) أَنْقَضَ ظَهْرَهُ : أَثْقَلَهُ .

(٦) كُلُّ أَصْرٍ يَحْسَبُ دَهْرُهُ عَامِلًا عَلَى لِيْذَائِهِ يَرْضِيهِ أَنْ يَتَوَالَى عَلَيْهِ الضَّرَرُ ، وَيَنْزِلُ بِهِ الْمَكْرُوهُ .

(٧) تَوَافَى إِلَى الْمَسْكَانِ : حَضَرَ لِيْهِ .

(٨) الْفَوْتُ : الْهَلَاكُ .

(٩) كَوْنُهُ : أَى حَيَاتِهِ .

(١٠) الدُّجَى : الظُّلْمَةُ .

لِطَفِيلٍ الْفَزَعُ أَنْ يَتَلَمَّظَ^(١) عَلَى مَائِدَةِ حِلْمِهِ بَعْدَ ارْتِقَاءِ هَضْبَاتِهِ^(٢) ؛ وَلَا طَمَعٍ أَشْمَعِي^(٣) الْجَزَعُ فِي اسْتِجْدَاءٍ مِنْ مَعْدِنٍ وَقَارِهِ وَثَبَاتِهِ .

لَسَكِنَّمَا الْفَقِيدَةُ الَّتِي اخْتَارَتْ رُوحَهَا فِدَاءً لِبَنَاتِ مَعَالِيكَ وَمَجْدِكَ ، وَرَضِيَتْ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهَا زَكَاةً لِكُنُوزِ فَضَائِكَ وَسَعْدِكَ ، تَسْتَوْجِبُ مِنْ جِهَتَيْنِ لَا مِنْ جِهَةٍ ، أَنْوَاعَ الْأَسْفِ ، وَيَذْبَغِي لَهَا إِرْسَالُ الدَّمْعِ الْمُنْذَرِ^(٤) ، وَاخْتِرَاقُ الْكَبِدِ عَلَيْهَا مِنْ طَرَفَيْنِ لَا مِنْ طَرَفٍ - الْأَوَّلُ : أَنْ الْوَرْدَةَ قَدْ اقْتُطِفَتْ قَبْلَ إِبَانِهَا^(٥) ، وَانْتَزَعَتْ مِنْ أَفْنَانِهَا^(٦) قَبْلَ أَوَانِهَا ، وَاقْتَنِصَتْ الظُّبْيَةَ مِنْ خَمَائِلِهَا ؛ قَبْلَ اسْتِكْمَالِ مَخَايِلِهَا^(٧) ؛ وَاخْتُطِفَتْ الْحَمَامَةُ مِنْ وَكْرِهَا قَبْلَ أَنْ يُطَوَّقَ جَيْدُهَا وَيَنْتَظِمَ نَشِيدُهَا ، وَاقْتُصِفَ الْغُصْنُ قَبْلَ إِثْمَارِهِ ، وَأَنْمَحَقَ^(٨) الْهَلَالُ قَبْلَ إِبْدَارِهِ . وَحِينَ الْبَدُءُ فِي دَوْرٍ مِنْ أَذْوَارِهِ ، وَشُعَاعُ أَمَلٍ لَفَّ عَلَيْهِ السَّحَابُ رِدَاءَهُ ، وَسَاعَةُ سُرُورٍ نَبَذَهَا حَسَدُ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي وَرَاءَهُ :

إِنِ الْفَجِيعَةَ بِالرِّيَاضِ نَوَاضِرًا لِأَجَلٍ مِنْهَا بِالرِّيَاضِ ذَوَابِلًا

(١) تَلَمَّظَ الْفَعْلُ : تَذَوَّقَ مِنْهُ قَلِيلًا .

(٢) هَضْبَاتُ : جَمْعُ هَضْبَةٍ وَهِيَ الْمَسْكَنُ الْمُرْتَفِعُ .

(٣) أَشْمَعِي : اسْمُ رَجُلٍ يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الطَّمَعِ .

(٤) الْمُنْذَرُ : السَّائِلُ .

(٥) إِبَانُ الْفَعْلُ : أَوَّلُ وَقْتِهِ . أَيْ قَبْلَ اكْتِمَالِ نَضْرَتِهَا .

(٦) جَمْعُ فَنٍّ وَهُوَ الْغُصْنُ الْمُسْقِمُ .

(٧) مَخَايِلُهَا : صِفَاتُهَا وَحِمَاسَتُهَا .

(٨) أَنْمَحَقَ : اضمحل وانمحق .

والثاني : لأني لستُ من رأي من ينسب إلى النبي أنه قال : « نِعَمَ
الْحَتْنُ الْقَبْرِ ^(١) » ، ولا من رأي العرب حينَ تَتَبَجَّحُ بِمُصَاهَرَةٍ ^(٢) الْقُبُورِ ،
وَهَضْمِ حَقِّ الْإِنَاتِ وَتَفْضِيلِ الذُّكُورِ . ولا أراني من مذهب الشيخ
المعري ^(٣) وَمَنْ قَبْلَهُ حيث يقول :

وَدَفْنٌ ، وَالْحَوَادِثُ فَاجِعَاتٌ لِإِحْدَاهُنَّ إِحْدَى الْمُسْكِرُمَاتِ ^(٤)

ولا من جانب الفرزدق ويروى عنه :

وَأَهْوَنُ مَفْقُودٍ إِذَا الْمَوْتُ نَالَهُ عَلَى الْمَرْءِ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ تَقَنَّعًا
وَلَا أَلْتَفْتُ لِنَاحِيَةِ الْبُحْتَرِيِّ وَيُنْشِدُ لَهُ :

وَلَعَمْرِي مَا الْعَجَزُ عَنْ عَدِي إِلَّا أَنْ تَبَيَّتَ الرِّجَالُ تَبَكَّى النِّسَاءُ ^(٥)

فَسَيَّانَ فِي حِكْمِ الطَّبِيعَةِ مُقَنَّعٌ ^(٦) بِلَامَةِ الْحَدِيدِ ^(٧) فِي الْهَيْجَاءِ ^(٨) ، وَمُقَنَّعَةٌ
بِلَامَةِ ^(٩) الْحَرِيرِ مِنَ النِّسَاءِ . وَإِنَّمَا الْفَضْلُ يَنْتَهِمَا لِمَنْ جَاءَ بِالْعَاقِبَةِ الْحُسْنَى ،
وَلِمَنْ قَلَّ ضَرَرُهُ وَأَتَى بِالنَّفْعِ الْأَسْنَى ^(١٠) ، وَشَتَّانَ فِي حِكْمِ الْإِنْسَانِيَّةِ بَيْنَ

(١) الحتن : زوج الابنة

(٢) كان العرب يكرهون البنات خشية العار ، وربما دفنوا البنت حية . وقد أبطال الإسلام ذلك .

(٣) هو أبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف .

(٤) هذا البيت من قصيدة له كلها تهجين للمرأة وازدراء بها .

(٥) من قصيدة له يمزى فيها عن بنت توفيت .

(٦) تقنع الشيء لبسه .

(٧) اللامة : الدرع ، وهو ما يتقى به المحارب سلاح عدوه .

(٨) الهيجاء : الحرب .

(٩) أي لايسة ثوب حرير .

(١٠) الأسنى : الأرفع .

قَائِدٍ لِلْجَيْشِ مُعَلِّمٌ^(١) ، وَعَذْرَاءُ تُطَرِّزُ فِي ثَوْبِهَا وَتُنَمِّمُ^(٢) . ذَاكَ يُشِيرُ بِنَانِهِ
لِتَيْتِيمِ الْأَطْفَالِ وَلِتَخْرِيبِ الْبِلَادِ ، وَتِلْكَ يُشِيرُ بِنَانِهَا لِحَبَّاتِ الْقُلُوبِ بِعَقْدِ الْوَدَادِ .
وَفَرَقٌ عَظِيمٌ بَيْنَ يَدِ مَخْضَبَةٍ بِالْدمَاءِ ، وَأُخْرَى مَخْضَبَةٌ بِالْحَنَاءِ ، وَبَيْنَ مَنْ يَحْتَضِنُ
الْأَطْفَالَ وَيُرِيِّيهِمَا وَبَيْنَ مَنْ يُسْتَتُّهَا وَيُعَذِّبُهَا ، وَبَيْنَ كَفِّ لَاحِلِيَّةٍ لَهَا إِلَّا السَّيُوفُ
الْبَوَاتِرُ ، وَأُخْرَى إِنَّمَا حَلِيَّتُهَا الْخَوَاتِمُ وَالْأَسَاوِرُ ، وَكَمْ جَلَبَتِ تِلْكَ مِنْ فِطَائِعِ
مَشْهُورَةٍ ، وَكَمْ لِهَذِهِ مِنْ يَدٍ بَيْضَاءٍ مَشْكُورَةٍ :

وَلَيْسَ الْخُمْسُ^(٣) ضَارِبَةً بِسَيْفٍ نَظِيرَ الْخُمْسِ ضَارِبَةً بِدُفٍّ
أَبَاغَى حَظَّهُ بِقَنَاءٍ^(٤) وَخَيْلٍ كَبَاغِيهِ بِنُؤَالٍ وَحَفٍّ^(٥)

وَمَوْلَايَ — أَعَزَّ اللَّهُ الْفَضْلَ بِوُجُودِهِ — يَعْلَمُ حِكَايَةَ إِخْدَى الْعَذَارَى
مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِذْ رَدَّتْ بِوَقْفَةٍ مِنْهَا أَمَامَ الْجَيْشِ غَرْبٌ^(٦) الْجَيْشِ عَنْ
قَصْدِهِ ، وَأَدْخَلَتْ سَيْفَ الْقَاهِرِ الْجَبَّارِ فِي غَمْدِهِ ، وَنَجَّتْ قَوْمَهَا مِنَ الْخُرَابِ ،
وَأَقْدَتَهُمْ مِنَ أَلِيمِ الْعَذَابِ ؛ حَتَّى قَالَ عَبْدُ اللَّهِ قَصِيدَةً فِي ذَلِكَ ؛ مِنْهَا :

نَحْنُ قَوْمٌ تُذَيِّبُنَا الْأَعْيُنُ النَّجْـلُ^(٧) عَلَى أَنَّكَ مُذَيِّبُ الْحَدِيدَا
طَوْعَ أَيْدِي الْغَرَامِ تَقْتَادُنَا الْغَيْـدُ^(٨) وَتَقْتَادُ بِالطَّعَامِ الْأَسْوَدَا

-
- (١) معاق عليه صوف ملون في الحرب .
(٢) تنم الشيء : زخرفه وزينه .
(٣) يريد الأصابع الخمس .
(٤) القنا : الرماح .
(٥) النؤال : الحشب الذي يلف عليه الثوب وكان النسج من صنيع النساء ، والحف من حفت المرأة وجهها من الشعر : أزالته .
(٦) غرب الشيء : حده ، والمراد : رده عن وجهه .
(٧) النجل : جمع نجلاء ، وهى العين الواسعة الحسنة .
(٨) الغيد : جمع غيداء ، وهى اللينة الأعطاف .

والأخرى التي لها ما يُعْاثِلُ ذلك مع أحد مُلوكِ الفُرس وهو يُحَارِبُ قَوْمَهَا في بلاد يَهُودَا أثناءَ الزَمَنِ الأوَّلِ ، إلى غير ذلك من هَذِهِ الوقائع .

هذا ما قَوَّى وَقَعَ المصيبةَ فِينَا ، وأَمَدَّ^(١) جيوشَ الهُمومِ عَلَيْنَا . أمَّا مَوْلَايَ الوزيرُ فما يُبْعِدُ الأَسْفَ مِنْهُ ، وَيُزِيلُ الكَدَرَ عَنْهُ ، عِلْمُهُ بِضَوْءِ حِكْمَتِهِ ، وَنُورِ فِلَسْفَتِهِ ، أَنَّهُ مَا فَقَدَ تِلْكَ الْفَقِيدَةَ ، وَمَا صَارَتْ عَنْهُ بَعِيدَةً ، فَهُوَ يَسْتَنْشِقُهَا فِي رَوَائِحِ الْأَزْهَارِ ، وَيَرَاهَا فِي أَغْصَانِ الْأَشْجَارِ ، وَيَسْمَعُ صَوْتَهَا فِي صَوْتِ الْأَطْيَارِ ، وَتَمُرُّ عَلَيْهِ فِي رِيحِ الصَّبَا^(٢) مِنْ لِيَالِي الرَّيِّعِ ، وَيُشَاهِدُهَا فِي كُلِّ شَكْلِ لَطِيفٍ أَوْ بَدِيعٍ .

أَلْهَمَنَا اللهُ عَلَيْهَا جَزِيلَ الصَّبْرِ ، وَأَلْبَسَ مَوْلَايَ الْوَزِيرَ ثَوْبَ الْأَجْرِ ،
إِنْ شَاءَ اللهُ .

وقال في وصف الصباح (من كتابه : حديث عيشي بن هشام) :

جَلَسْنَا نَتَجَادِبُ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ ، مِنْ قَدِيمٍ فِي الزَّمَانِ وَحَدِيثٍ ، إِلَى أَنْ صَارَتِ اللَّيْلَةُ فِي أُخْرِيَاتِ الشَّبَابِ ، وَاسْتَهَانَتْ بِالْإِزَارِ وَالنَّقَابِ ، ثُمَّ دَبَّ الْمَشِيبُ فِي فَوْدِهَا^(٣) ، وَبَانَ أَثَرُ الْوَضَحِ^(٤) فِي جِلْدِهَا ، فَعَبِثَتْ بِالْعُقُودِ وَالْقَلَائِدِ ، مِنْ الْجَوَاهِرِ وَالْفَرَائِدِ ، وَنَزَعَتْ مِنْ صَدْرِهَا كُلَّ مَنْشُورٍ وَمَنْظُومٍ

(١) جاء إليها بالمدد .

(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق .

(٣) الفود : الشعر الذي في جانب الرأس مما يلي الأذنين من الأمام .

(٤) وضع الجلد : ما يصيبه من البرص ونحوه . ويكنى الكاتب به عن ضوء الصبح .

مِنْ دُرِّ الْكَوَاكِبِ وَلَالِ النُّجُومِ ، وَأَلْقَتْ بِالْفَرْقَدَيْنِ^(١) مِنْ أُذُنَيْهَا ،
وَحَلَعَتْ خَوَاتِيمَ الثَّرَيَّا^(٢) مِنْ يَدَيْهَا ، ثُمَّ إِنَّهَا مَزَّقَتْ جِلْبَابَهَا ، وَهَتَكَتْ
حِجَابَهَا ، وَبَرَزَتْ لِلنَّاظِرِينَ عَجُوزاً شَمْطَاءً^(٣) ، تَرْتَعِدُ مُتَوَكِّئَةً عَلَى عَصَا
الْجُوزَاءِ^(٤) ، وَتُرَدِّدُ آخِرَ أَنْفَاسِ الْبَقَاءِ ، فَسَتَرَهَا الْفَجْرُ بِمِلَإَتِهِ الزَّرْقَاءِ ،
وَوَدَّرَجَهَا^(٥) الصُّبْحُ فِي أَرْدِيَّتِهِ الْبَيْضَاءِ ، ثُمَّ قَبَرَهَا فِي جَوْفِ الْفَضَاءِ ، وَقَامَتْ
عَلَيْهَا بَنَاتُ هَدِيلٍ^(٦) ، نَائِمَةً بِالتَّسْجِيعِ وَالتَّرْتِيلِ ، ثُمَّ انْقَلَبَ الْمَأْتَمُ فِي الْحَالِ
عُرْسٍ اجْتِلَاءً ، وَتَبَدَّلَ النَّحِيبُ بِالْغِنَاءِ ، لِإِشْرَاقِ عُرُوسِ النَّهَارِ ، وَإِسْفَارِ
هَلِيكَةِ الْبَدُورِ وَالْأَقْتَارِ .

وقال في وصف الأهرام :

وَقَفْنَا هُنَاكَ مَوْقِفَ الْإِجْلَالِ وَالْإِعْظَامِ ، قُبَالَةَ ذَلِكَ الْعَلَمِ^(٧) الَّذِي يَطَاوِلُ
الرَّوَابِي وَالْأَعْلَامِ ، وَالْهَضْبَةَ الَّتِي تَعْلُو الْهَضَابَ وَالْآكَامَ^(٨) ، وَالْبِنْيَةَ^(٩) الَّتِي
تَشْرِفُ عَلَى رَضْوَى وَشَمَامِ^(١٠) ، وَتُبْلِي بِبِقَائِهَا جَدَّةَ اللَّيَالِي وَالْآيَّامِ ، وَتَطْوِي تَحْتَ
ظِلَالِهَا أَقْوَاماً بَعْدَ أَقْوَامٍ ، وَتُفْنِي بِدَوَامِهَا أَعْمَارَ السِّنِينَ وَالْآيَّامِ ، خَلَقَتْ
ثِيَابُ الدَّهْرِ وَهِيَ فِي ثَوْبِهَا الْقَشِيبِ ، وَشَابَتْ الْقُرُونُ وَأَخْطَأَ قَرْنُهَا وَخُطُ
الْمَشِيبِ ، مَا بَرِحَتْ ثَابِتَةً تُنَاطِحُ مَوَاقِعَ النُّجُومِ ، وَتَسْخَرُ بِثَوَاقِبِ الشُّهُبِ

(١) الفرقدان : نجمان قريبان من القطب الشمالى ، يهتدى بهما فى الليل ، وقد شبههما بالقرط
فى أذن المرأة .

(٢) مجموع كواكب .

(٣) الجوزاء : برج فى السماء .

(٤) بنات هديل : الحمام .

(٥) الآكام : جمع أكمة ، وهى التل .

(٦) رضى وشمام : جبلان .

(٧) مسمى البياض فى شعرها .

(٨) درجها : طولها .

(٩) قبالة : أمام وتجاه . والعلم : الجبل .

(١٠) البنية : البناء .

وَالرُّجُومَ ، وَتَحَدَّثَ حَدِيثَ الْمَشَاهِدَةِ وَالْعِيَانِ ، مَا تَعَاقَبَ الْفَتَيَانُ ^(١) ، وَتَنَاقَبَ
الْمَلَوَانِ عَنْ قُدْرَةِ هَذَا الْإِنْسَانِ ، فِي بَدَائِعِ الصَّنْعِ وَالْإِتْقَانِ وَتُنْبِي
عَنْ قُوَّةِ هَذَا الضَّعِيفِ الضَّئِيلِ ، فِي إِقَامَةِ مِثْلِ هَذَا الْأَثَرِ الْجَلِيلِ ، وَكَيْفَ
لِهَذَا الْفَانِ الْبَائِدِ ، أَنْ يَصْدُرَ عَنْهُ مِثْلُ هَذَا الْبَاقِي الْخَالِدِ - وَجَلَّ صُنْعُ
الْقَدِيرِ الْخَالِقِ ، فِي تَصْوِيرِ هَذَا الْحَيَوَانِ النَّاطِقِ ، حَيْثُ جَعَلَهُ مَصْدَرًا
لِلْأَعْمَالِ الْمُتَنَافِضَةِ ، وَالْأَفْعَالِ الْمُتَغَايِرَةِ الْمُتَعَارِضَةِ ، فَبَيْنَمَا تَرَاهُ يَصْعَدُ إِلَى
أَجْرَامِ السَّمَاءِ وَعَوَالِمِهَا ، وَيَبْحَثُ بِفِكْرِهِ فِي رُسُومِهَا ، وَمَعَالِمِهَا ، وَيَسِيرُ
بِعِلْمِهِ فِي أَنْحَاءِهَا وَمَنَازِلِهَا ، وَيَهْتَدِي لِحَسَابِ أَقْصَارِهَا وَكَوَاكِبِهَا ، إِذْ تَرَاهُ
يَعْتُرُ عَثْرَةً بِرَجْلِهِ ، فَيَكُونُ فِيهَا مُنْتَهَى أَجَلِهِ ، أَوْ يَكْبُو فِي طَرِيقِهِ ،
فَيَغْصُ بِرِيقِهِ . ذَاكَ الَّذِي كَبُرَ وَصْفُهُ ، وَعَظُمَ وَحَقُّهُ ، وَعَزَّ وَذَلُّهُ ، وَكَثُرَ
وَقَلُّهُ ، وَصَعِدَ وَهَبَطَ ، وَعَلَا وَسَقَطَ ، وَصَلَحَ وَفَسَدَ ، وَعَرَفَ وَجَحَدَ ،
وَسَعَدَ وَشَقِيَ ، وَفَنِيَ وَبَقِيَ ، وَسُبْحَانَ الْقَاهِرِ فَوْقَ عِبَادِهِ .

٢١ - مصطفى صادق الرافعي ^(٢)

قال يصف البلاغة النبوية :

هَذِهِ الْبَلَاغَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ الَّتِي سَجَدَتْ الْأَفْكَارُ لِآيَاتِهَا ، وَحَسَرَتْ ^(٣)

(١) الفتیان والمولان . الليل والنهار .

(٢) عني في مطلع حياته بالشعر ، فأخرج ديواناً في ثلاثة أجزاء ، ثم تجرد للنثر ، فأجاد فيه ، وترك
النظم إلا في النادر وهو قوى التوليد المعاني ، بالغ التجويد للألفاظ ، واسع الاطلاع على الأدب العربي ،
وقد كان شديد الغيرة على العروبة ، وكان يكثر من المجازات والتشبيهات ، ويتخير من الألفاظ الجزل
والفخم . توفي سنة ١٩٣٧ م

(٣) حسرت العقول : ارتدت ونجذات .

الْعُقُولُ دُونَ غَايَاتِهَا . لَمْ تُصْنَعْ ، وَهِيَ مِنَ الْإِحْكَامِ كَأَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ ، وَلَمْ
يُتْكَلَّفْ لَهَا ، وَهِيَ عَلَى الشَّهْوَةِ بِعِيدَةٍ مَمْنُوعَةٍ ^(١) .

أَلْفَافُ النُّبُوَّةِ يَحْمُرُهَا قَلْبٌ مُتَّصِلٌ بِجَلَالِ خَالِقِهِ ، وَيَصْقُلُهَا لِسَانٌ نَزَلَ
عَلَيْهِ الْقُرْآنُ بِحَقَائِقِهِ ، فَهِيَ إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَحْيِ ، وَلَكِنَّهَا جَاءَتْ
مِنْ سَبِيلِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنْهُ دَلِيلٌ ، فَقَدْ كَانَتْ هِيَ مِنْ دَلِيلِهِ .

مُحْكَمَةُ الْفُضُولِ ، حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عُرْوَةٌ مَفْضُولَةٌ ، مُحَذُوفَةٌ الْفُضُولِ .
حَتَّى لَيْسَ فِيهَا كَلِمَةٌ مَفْضُولَةٌ .

وَكَأَنَّمَا هِيَ فِي اخْتِصَارِهَا وَإِفَادَتِهَا ، نَبْضُ قَلْبٍ يَتَكَلَّمُ ، وَإِنَّمَا هِيَ
فِي سُمُوِّهَا وَإِجَادَتِهَا ، مَظْهَرٌ مِنْ خَوَاطِرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

إِنْ خَرَجَتْ فِي الْمَوْعِظَةِ ، قُلْتُ : أَنِينُ مِنْ فُؤَادٍ مَقْرُوحٍ ، وَإِنْ
رَأَعَتْ بِالْحِكْمَةِ ، قُلْتُ : صُورَةٌ بَشَرِيَّةٌ مِنَ الرُّوحِ فِي مَنْزِعٍ ^(٢) يَلِينُ
فَيَنْفِرُ بِالْذُّمِّ ، وَيَشْتَدُّ ^(٣) ، فَيَنْزُو ^(٤) بِالْذِّمَاءِ .

وَإِذَا أَرَاكَ الْقُرْآنُ أَنََّّهُ خِطَابُ السَّمَاءِ لِلْأَرْضِ ، أَرَاكَ هَذَا أَنَّهُ كَلَامُ
الْأَرْضِ بَعْدَ السَّمَاءِ .

(١) أى تمتنع على من يحاول محاكاتها .

(٢) منزع — هنا — : أسلوب .

(٣) ينفر بها : يذمها

(٤) ينزو : يثب .

(ب) الشعر

١ - الخشاب^(١)

كتب علي ظاهر ديوان صديق له من الشعراء يداعبه :

قل للرئيس أبي الحسين محمد خذن المعالي والسرى الأنجد^(٢)
والخاذق الفطن اللبيب أخى الذكا واللوزعى الألمعى الأوحده^(٣)
ألزمت نفسك فى القريض مذهباً ذهببت بشعرك فى الحضيض الأوهده^(٤)

كدّرت منه بما صنعت مجوره فعدت مشارع لیس ينحوها صدی^(٥)
فإذا نظمت فكن لنظمك ناعداً نقد البصير بذهنك المتوقد
أولافدع تكليف نفسك واسترخ من قولهم ما شعره بالجد
ولئن عنت^(٦) عليك فيما قلته فلقد بذلت النصيح للمسترشد

(١) هو الأديب الشاعر الكاتب السيد إسماعيل الخشاب ، ظهر قبيل احتلال الفرنسيين مصر وامتدت به الحياة إلى أول عصر محمد على باشا الكبير وقد توفي سنة ١٢٣٠ هـ وله ديوان شعر مطبوع بالآستانة

(٢) الخدن بكسر الخاء وسكون الدال : الحبيب والصاحب ، والسرى : السيد الشريف السخى .
(٣) اللوزعى : الذكى الذهن . والألمعى : الذكى المتوقد الذكاء .

(٤) القريض : الشعر . والحضيض : القرار من الأرض عند أسفل الجبل ؛ والأوهده : العظيم الانخفاض والمراد أن شعره نزل إلى أسفل الدرك ، وقد صرف (مذاهب) لضرورة الشعر .

(٥) كدر الماء : أذهب صفاءه بالطين ونحوه . والمشارع جمع مشرع بفتح الميم وهو مورد الماء وينحوها يقصدها . والصدى بفتح الصاد وكسر الدال : الشديد المعش .

(٦) عنت : قسوت ، والمسترشد : طالب الرشده والهداية .

وقال متغزلاً :

يَا شَقِيقَ الْبَدْرِ نُورًا وَسَنَى وَأَخَا الْغُصْنِ إِذَا مَا أُنْعَطَفَا^(١)
بِأَبِي مِنْكَ جَبِينًا مُشْرِقًا لَوْ بَدَا لِلنَّيِّرِينَ أَنْكَسَفَا^(٢)
يُنْفِيتِي مِنْكَ رُضَابٌ وَرَضَا وَعَلَى الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا الْعَفَا^(٣)

٢ - الشيخ حسن العطار^(٤)

قال يتغزل :

أَعَنَ الْمَحَبُّ ثَنَّاكَ عَنْهُ وَجِيبُهُ ؟ أَمْ قَدْ دَعَاكَ إِلَى الْبِعَادِ رَقِيبُهُ ؟^(٥)
هَجَرَ الْكَرَى لَمَّا هَجَرَتْ وَوَاصَلَتْ هُ شُجُونُهُ وَازْدَادَ فِيكَ نَحِيبُهُ^(٦)
لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا فِي هَوَاكَ ، وَإِنَّمَا قَدْ كَانَ بِالْهَجْرَانِ مِنْكَ نَصِيبُهُ
أَفْقَرْتَهُ مِنْ حُسْنِ وَصْلِكَ بَعْدَ مَا جَادَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهُ وَنَسِيبُهُ^(٧)
لَوْ لَلْقَا عَطْفَتَكَ مِنْهُ شَكَايَةٌ رَقَّتْ وَدَمَعَتْ طَافِحُ شَوْبُوبُهُ^(٨)
لَرَأَيْتَ جِسْمًا كَالْخِلَالِ مِنَ الضَّنَا وَلَهَيْبَ قَلْبٍ مُقْلَتَاهُ تُذِيئُهُ^(٩)

(١) السنى : الرفعة أو الضوء . وانعطف : مال وانثنى .

(٢) بأبى : أفدى بأبى . والنيران : الشمس والقمر .

(٣) الرضاب (بضم الراء) : الريق المرشوف . والعفاء : الهلاك .

(٤) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر ، وزار أهم الممالك الإسلامية ، بوسار بعد محررا للوقائع المصرية أول ظهورها . ثم صار شيخا للأزهر الشريف . وكان على علمه شاعرا كاتباً بليفاً ؛ توفي سنة ١٢٥٠ هـ .

(٥) وجيبه : اضطرابه وخفقان قلبه .

(٦) الشجون جمع شجن بفتحين : الهموم والأحزان . والنحيب : البكاء الشديد .

(٧) النسيب : رقيق الشعر فى الغزل .

(٨) عطفتك : أمالك وإليه وحببتك . الشؤبوب بضم الشين : الدفعة من المطر وجمعه شأبيب .

(٩) الخلال : يريد بها الأعواد الدقيقة التى يتخلل بها . والضنا : الضعف والهزال .

صِلُهُ لَتَسْتَبْقَى بِهِ الرَّمَقَ الَّذِي لَوْلَا الْأَمَانِ مَا بَقِيَ مَوْهُوبُهُ^(١)
الزَّمْتُ نَفْسِي الصَّبْرَ فِيكَ تَأْسِيًّا والصَّبْرُ أَصْعَبُ مَا يُقَادُّ نَجِيْبُهُ^(٢)
وَبُلِيتُ مِنْكَ بِكُلِّ لَاحٍ لَوْ تَبَدَّدَ دَى نَحْوِ طَوْدٍ أَثْقَلَتْهُ كَرْوَبُهُ^(٣)

أَفَلَا رَأَيْتَ لِمَاشِقٍ لَعَبَتْ بِهِ أَيْدَى الْمُنُونِ وَنَازَعَتْهُ خُطُوبُهُ^(٤)
أَنْتَ النَّعِيمُ لَهُ وَمَنْ عَجَبٍ تُعَذُّ ذِبُهُ ، وَتُمْرُضُهُ وَأَنْتَ طَبِيبُهُ

وقال متغزلا :

أَنَا رَاضٍ مِنْكَ يَا كُلَّ الْمُنَى بِالَّذِي تَهَوَّى عَلَى حُكْمِ الْفَرَامِ
لَسْتُ أَبْغَى مِنْ زَمَانٍ حَاجَةً غَيْرَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا وَالسَّلَامِ

وقال يصف بركة الازبكية :

بِالْأَزْبَكِيَّةِ طَابَتْ لِي مَسَرَّاتُ وَلَدَّ لِي فِي بَدِيعِ الْأَنْسِ أَوْقَاتُ
حَيْثُ الْمِيَاهُ بِهَا وَالْفُلُكُ سَاجِدَةٌ كَأَنَّهَا لِبُدُورِ الْحُسْنِ هَالَاتُ^(٥)

(١) الرَّمَقُ : بفتحين بقية الحياة يقول : لأنك وهبته بقية من الحياة فلا تقض عليها بالهجر ، بل استبقها بالوصل .

(٢) التَأْسَى : التصبر والتعزى . والنَجِيبُ : البعير الكريم .

(٣) اللَاحِى : الشاتم العائب والطود بفتح الطاء وسكون الواو . الجبل العظيم . كَرْوَبُهُ مصائبه الشديدة

(٤) رَتْنِي لَهُ : رق له وعطف عليه . المنون : الموت .

(٥) الْفُلُكُ — بضم الفاء وسكون اللام : السفينة ولفظ جمه كلفظ مفرده . والمراد بـ (الزهر)

بضم الزاى : النجوم المشرقة .

(٦) الْهَالَاتُ : جمع هالة ، وهى الدائرة التى ترى حول القمر .

والماء حين سَرَى رَطْبُ النسيم به وحلَّ فيه من الأدواح زَهْرَاتُ^(١)
كسابغاتِ درُوع فوقها نُقْطُ من فِضَّةٍ ، واحمرَّ أَرُ الوَجْه طَعْنَاتُ^(٢)

٣ — السيد علي الدرويش

قال يرثي صديقه الشيخ علي الغلباني :

أَفِرُّ مِنَ الْمُحْتَوَمِ ، وَهُوَ مُطَارِدِي وَهَلْ أَمَلِي إِلَّا حَبَالُ الْمَصَايِدِ^(٤)
وَأَرْصُدُ أَفْقَ الْوَهْمِ وَالْأَمَلِ الشَّهْيِ وَرَائِدُ مَوْتٍ كَأَمْنٍ فِي وَرَائِدِي^(٥)
وَوَثِقْتُ بِأَمَالِي ، وَلَمْ تَفْ مَرَّةً وَلَا ثِقَةً لِي بِالنَّذِيرِ الْمُعَاهِدِ
فَأَسْتَبْعِدُ الْمَعْلُومَ ، وَهُوَ مُقَارِبِي وَأَسْتَقْرِبُ الْمَجْهُولَ ، وَهُوَ مُبَاعِدِي
وَمَنْ عَتَمَنِي خَلْتُ التَّجَاهُرَ خَافِيًا بَغْشَ زُيُوفٍ عَدَّهَا كُلَّ نَاقِدٍ^(٦)
أَحَازِرُ مَرَأَى النَّاسِ لَا إِلَهَ فِي الْهَوَى وَعِنْدَهُمْ تَفْصِيلُ نَقْصِي وَزَائِدِي
لَأَمَارَتِي بِالسَّوِّ مُسْتَعْبِدٌ وَلِي مُدَاهَنَةٌ فِي اللَّهِ ، صُورَةٌ قَابِدٍ^(٧)
أُبَالِغُ فِي الْإِسْرَافِ حَتَّى كَأَنِّي لَمَيِّتٌ غَدًا ، لَكِنِّي لِي حِرْصٌ خَالِدٍ

(١) الأدواح : جمع دوحة بفتح الدال ، وهي الشجرة العظيمة .

(٢) الدروع : جمع درع وهي القميص من زرد الحديد يلبسه المحارب يتقي به سلاح العدو . والدروع السابغات : الطويلة الضافية . والشاعر يشبه البركة وما يملؤها من الزبد والفقايع بالدروع الضافية ترصع بالفضة ، ويشبه الورد فيها بالدم من آثار الطعنات .

(٣) هو السيد علي أفندي الدرويش بن حسن المصري ، كان أديبا شاعرا ولوعا في شعره ونثره بالحسنات البديعية للغاية القصوى وهو أبرع من علم في التواريخ الشعرية ، وله ديوان شعر كبير . وتوفي سنة ١٢٧٠ هـ .

(٤) المحتوم : الحادث الذي لا مفر من وقوعه .

(٥) ورائد موتي : وطالب موتي . ورائد : جمع وريد . وهو عرق في العنق .

(٦) عتمني : العته بفتح العين نقص العقل بلا جنون . زيوف : جمع زيف بفتح فسكون وهو الدرهم المغشوش . يقول : ومن نقص عقلي وقصور تفكيري ظننت أن الجهر بالأمور الباطلة المغشوشة التي راج غشها على الناس أمرها خاف على الله .

(٧) أمارتي بالسوء : نفسي . المداهنة في الله : أن تظهر له خلاف ما تبطن . يقول : لأنني مستعبد لنفسي خاضع لملوها ولكنني أظهر خلاف ما أبطن نفاقا ومداهنة ، فأظهر بصرة العابد الطائم ، على حين أجاري نفسي وأخضع لها في الخفاء .

٤ - الشيخ شهاب^(١)

قال من قصيدته التي أنشأها لتكتب حول « جامع القلعة » :

عَرْمُوسُ كُنُوزٍ قَدْ تَحَلَّتْ بِمَسْجِدِ	مُكَلَّلَةٌ تِيَجَانُهَا بِالزَّبَرَجَدِ
أَمِ الْجَنَّةِ الْمَبْنِي عَلَى قُصُورِهَا	بِأَنْهَاجِ يَأْقُوتٍ وَأَبْهَى زُمُرْدِ
أَمِ الْمَكْرُمَاتِ الْأَصْفِيَّةِ أَبْدَعَتْ	هَيُولَى أَعَاجِيبِ بِصُورَةِ مَسْجِدِ ^(٢)
هُوَ الْفَلَاحُ الْأَعْلَى تَنْزَلَ وَأُزْدَهَى	بِزُهرِ الدَّرَارِي جَامِعًا كُلَّ فَرْقَدِ
أَلَا إِنَّ تَجْدِيدَ الْعَجِيبِ مِنَ الْبِنَا	يُؤَكِّدُ تَأْسِيسَ اقْتِدَارِ الْمُجَدِّدِ
فَدَعِ قَصْرَ عُمْدَانٍ وَأَهْرَامَ هُرْمُسِ	وَإِيوَانَ كِسْرَى إِنْ أَرَدْتَ لَتَهْتَدِي
وَدَعِ إِرْمًا ذَاتَ الْعِمَادِ وَنَحْوَهَا	وَعَرْشًا لِبَلْقِيسٍ كَصَرْحِ مُمَرَّدِ
وَدَعِ أُمُومَى الشَّامِ وَأَنْزِلْ بِمِصْرِنَا	وَبَادِرِ إِلَى هَذَا بِإِيْمَاءِ مُرْشِدِ ^(٣)
فَلَوْ عُدِّدْتَ فِي الْكَوْنِ بَدْءَ بَدَائِعِ	لَكَانَ بِهِ خَتْمٌ لِدَاكِ التَّعَدُّدِ
كَأَنَّ اللَّيَالِي أُلُودَاتِ عَجَائِبَا	أَصْبَنَ بِعَقْمٍ بَعْدَ هَذَا التَّوَلَّدِ ^(٤)

(١) هو شهاب الدين محمد بن إسماعيل المسكي الأصل المصري المنشأ . كان شاعراً متأدباً موسيقياً ، اشتغل في الكتابة بالوقائع المصرية أول ظهورها مساعداً للشيخ حسن العطار ، ثم كان رئيساً لإنشائها بعد وفاته . وله ديوان شعر . ومن أجل مؤلفاته سفينته التي حفظت كثيراً مما كانت تتغنى به العامة في عصره وقبله . وتوفي سنة ١٢٧٥ هـ .

(٢) الأصفية : نسبة إلى آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام ، والهيولى عند القدماء . الطينة التي خلق منها العالم .

(٣) يريد بأُمُومَى الشام : جامع دمشق العظيم .

(٤) يقول كأن الليالي التي تلد العجائب أصببت بعد بناء هذا الجامع بعقم ، فكان آخر مولود من عجائبها لروعته وإعجاز هندسته . وفي البيت إشارة لقول الشاعر القديم :
والليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبة

هـ - الشيخ ناصيف اليازجي^(١)

قال في الغزل :

حَوَاكَ وَقَدْ حَلَلْتَ بِكُلِّ قَلْبٍ فُؤَادُ لَمْ يَحُلَّ بِهِ سِوَاكَ
نَزَلْتَ بِهِ عَلَى طَلَلٍ تَفَانِي وَلَسْتُ بِمَنْ عَلَى طَلَلٍ تَبَاكِي^(٢)
أَطَعْتَ الْعَازِلِينَ بِقَتْلِ صَبٍّ يُرِيدُ الْقَتْلَ لَكِنْ عَنْ رِضَاكَ
تَعَزُّ كَرَامَةً ، وَيَهْوُونَ ذُلًّا فَتَأَنَّفُ أَنْ يَقُولَ : دَمِي فِدَاكَ

وقال :

كُفَّ عَنِّي لَا أَبَاكَ قَدْ تَبَيَّنَّا مَحَالَكَ^(٣)
قَدْ عَرَفْنَاكَ وَإِلَّا فَمَتَى نَعْرِفُ حَالَكَ
قَدْ مَضَى لِي بِكَ عَصْرٌ حَامِلًا فِيهِ مَلَالَكَ
حَسْبُ قَلْبِي مِنْكَ جَوْرٌ كَادَ مِنْهُ يَتَهَالَكَ
وَكَفَانَا مَا اخْتَمَلْنَا مِنْكَ فَاسْتَدْعِ اخْتِمَالَكَ
سَتَرَى النَّادِمَ مِنَّا وَيُسِيءُ اللَّهُ فَلَاكَ

(١) هو ناصيف بن عبد الله اليازجي ، شاعر من كبار الأدباء والمثقفين ، له بحوث مختلفة في فقه اللغة وله كتاب « مجمع البحرين » ، وهو مجموعة مقامات مثل مقامات الحريري ، وكتب أخرى في النحو ، وتوفي سنة ١٢٨٧ هـ .

(٢) الطلل : الشاخص من آثار منزل قديم . يقول : نزلت بقلبي على أثر بال من شدة الوجد والوله ، تفانى فيك غراما ، ولكنك لم تبك عليه ولم ترق له ، شأن الذين يشهدون الآتار البالية فيأسفون عليها .

(٣) المحال بكسر الميم الحديعة والكيد .

وقال من قصيدة يرثي بها صديقاً له :

قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ الْبُشْرَى بِرُؤْيَتِهِ لَجَاءَنِي غَيْرُ مَا قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ
إِنْ كَانَ قَدْ فَاتَ شَهْدُ الْوَصْلِ مِنْهُ فَقَدْ رَضِيتُ بِالصَّبْرِ لَكِنْ كَيْفَ أَصْطَبِرُ
أَحَبُّ شَيْءٍ لِعَيْنِي حِينَ أَذْكَرُهُ دَمْعٌ وَأَطْيَبُ شَيْءٍ عِنْدَهَا السَّهَرُ
هَذَا الصَّدِيقُ الَّذِي كَانَتْ مَوَدَّتُهُ كَالْكُوْثَرِ الْعَذْبِ لَا يَفْتَأُ لَهَا كَدَرُ^(١)
لَا غَرْوَ إِنْ أَحْزَنَ الزَّوْرَاءُ مَصْرَعُهُ مَحْزَنُهُ فَوْقَ لُبْنَانٍ لَهُ قَدَرُ^(٢)

وقال يرثي صديقاً آخر له :

الْمَوْتُ يُخْتَارُ النَّفِيسَ لِنَفْسِهِ مِنَّا كَمَا نَخْتَارُ نَحْنُ فَمَا أَعْتَدَى
قَدْ نَالَ مِنَّا دُرَّةٌ مَكْنُونَةٌ كَانَتْ لِبَهْجَتِهَا الدَّرَارَى حُسْداً
كَنَزٌ ذَخَرْنَا لَنَا فَاغْتَالَهُ لَيْسَ الْمَنِيَّةُ خَاطِفاً مُتَمَرِّداً^(٣)

وقال يرثي طيباً من أصدقائه :

قَدْ كَانَ فِي طَيِّهِ لِلنَّاسِ مَنْفَعَةٌ فَإِذَا أَتَى الْمَوْتُ ذَاكَ الطَّبَّ مَا نَفَعَا
وَكَانَ يُبْرِئُ مِنَ النَّاسِ الْجِرَاحَ فَهَلْ يُبْرِئُ جِرَاحَ فُؤَادٍ بَعْدَهُ أَنْصَدَا^(٤)
صَارَتْ إِلَى اللَّهِ تِلْكَ النَّفْسُ تَارِكَةً جِسْمًا يُرَى فِي رَأْبِ الْأَرْضِ مُضْطَجِعَا
كُلٌّ إِلَى أَصْلِهِ قَدْ عَادَ مُنْقَلِبًا فَانْحَطَّ هَذَا وَهَذَا طَارَ مُرْتَفِعَا^(٥)

(١) يفتأها : يخالطها فيقضى عليها .

(٢) الزوراء : مدينة حلب .

(٣) فاغتناله : فقتله خفية .

(٤) انصدع : انشق . وهذا كناية عن شدة وقع المصيبة عليه .

(٥) يقول : قد رجع جسمه وروحه إلى أصلهما بعد موته ، فالروح ارتفع إلى الله في السماء والجسم عاد إلى تراب الأرض الذي خلق منه في الأصل .

٦ - السيد علي أبو النصر^(١)

قال يتحسر على فراق أحبابه :

لَقَدْ ذَهَبَ النَّوَى بِجَمِيلِ صَبْرِي وَأَوْدَعَ فِي حُشَاشَتِي الْوُلُوعَا^(٢)
وَأَلْبَسَنِي الْأَسَى خِلْعَ التَّمَنَّى وَالزَمَنِي التَّذَلُّ وَالْخُضُوعَا^(٣)
وَنَارُ الشَّوْقِ أَغْرَاهَا غَرَامِي عَلَى كَبِدِي فَقَوَّمتِ الضُّلُوعَا^(٤)
وَلِي قَلْبٌ ثَقَلْبُهُ شُجُونِي وَتَمَنَعَهُ السَّكِينَةُ وَالْمُجُوعَا^(٥)
يَبِيتُ مَعَ الْأَحِبَّةِ حَيْثُ كَانُوا وَيُصْبِحُ رَاجِعًا مِنْهُمْ رُجُوعَا
يَرَى أَضْغَاثَ أَحْلَامِ الْأَمَانِي حَقَائِقَ لَا يَزَالُ بِهَا وُلُوعَا^(٦)
تَطُوفُ بِهِ الْحَوَادِثُ وَهُوَ لَا يَ كَانَتْ الْوَهْمُ أَلْبَسَهُ دُرُوعَا
وَرُبَّ مُكَابِدٍ عَانِي خُطُوبَا وَمُفْرَدٌ عَزَمِهِ عَزَّ الْجُمُوعَا^(٧)
وَقَائِلَةٌ : إِلَامَ تَحْنُ شَوْقَا إِلَى حَيٍّ أَحَلَّ بِكَ الْهُلُوعَا^(٨)

(١) هو الشريف العالم الشاعر الزجال ، أصله من منفوط بأسيوط ، درس بالأزهر وبرع في الأدب واتصل بالبيت الحديوي من عهد محمد علي باشا الكبير إلى عهد توفيق باشا وبعد شعره متوسطا ، وله ولع بالتاريخ الشعري ، وقد توفي سنة ١٢٩٨ هـ .

(٢) النوى : البعد والفرقة ، والحشاشة بضم الحاء : بقية الروح . والولوع بفتح الواو : شدة العشق

(٣) الأسى : الحزن والهم . خلع : جمع خلعة بكسر فسكون ، وهي الثوب الذي يعطى منحة .

(٤) يريد أن نار الشوق لشدتها جعلت أضلاعه مستقيمة بعد أن كانت منحنية .

(٥) المجوع : النوم في الليل .

(٦) أضغاث الأحلام : المختلطة المتبسة . والولوع بفتح الواو : الشديد الولع ، وهو الحب .

(٧) عز الجموع : غلبها .

(٨) الحى : منازل القوم . والهلع بضم الهاء . الجزع .

فَقُلْتُ لَهَا : وَقِيتِ الْبَاسَ ؛ إِنِّي
أَبْعَدَ فَرَاغِهِمْ تَرْتَاخُ رُوحِي
فَهُمْ رُوحِي وَرَيْحَانِي وَرَاحِي
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

نُورُ زَاهِي الرُّوضِ أَمْ نُورُ الصَّبَاحِ
وَنَجْمٌ تَزْدَهِي فِي أَفْقِهَا
لَا وَلَا بَلْ بَدْرٌ ثُمَّ يَنْجَلِي
بُحْيَا يَزْدَرِي شَمْسَ الضُّحَى
وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَتَغَزَلَا :

رِسَالَةٌ مِنْ كَلَفٍ عَنِيدٍ
بَلَّغَهُ الشَّوْقُ مَدَى الْمَجْهُودِ
وَاهَا عَلَيْهِ كَمْ بِهِ مِنْ وَجْدٍ
حَيَاتِهِ فِي قَبْضَةِ الصَّدُودِ
مَا فَوْقَ مَا يَلْقَاهُ مِنْ مَزِيدٍ

(١) البأس : الشدة . الهلوع : بفتح الهاء الشديد الجزع .

(٢) تلوع : تمسها حرقه الحزن .

(٣) الراح : الحر ، ونزوعا : ميلا .

(٤) الندامى : جمع نديم ، وهم القوم يجتمعون للشراب . الاغتباقي : الشرب بالعشى . والاصطباح : الشرب في الصباح .

(٥) الحيا : الوجه . يزدري : يحتقر . تعيا : تملج .

(٦) كلف : مشتاق .

(٧) مدى المجهود : نهاية الجهد ، يقول إن الشوق بلغ به غاية لا يستطيع احتماله بعدها :

جَارَ عَلَيْهِ حَاكِمُ الْغَرَامِ فَدَقَّ أَنْ يُدْرِكَ بِالْأَفْهَامِ^(١)
 فَلَوْ أَتَاهُ طَارِقُ الْحَمَامِ لَمْ يَرَهُ مِنْ شِدَّةِ السَّقَامِ^(٢)
 إِلَّا إِذَا صَدَّرَهُ فِي الْبُرْدِ

لَهُ اهْتِزَازٌ وَارْتِيَاخٌ وَطَرَبٌ لَوْجُهُ مِنْ أَوْرَثِهِ طَوْلَ الْكَرْبِ^(٣)
 فَهَلْ سَمِعْتُمْ فِي الْأَحَادِيثِ الْعَجَبِ بَيْنَ مُنَاهِ قَرَبُ مَنْ مِنْهُ الْعَطَبُ
 وَمَنْ رَأَى الْغَىَّ بِدِيلِ الرُّشْدِ

مَا الْمُذْرُ فِي السُّلُوءِ عَنْ غَزَالٍ مَنْقُطِعِ الْأَقْرَانِ وَالْأَشْكَالِ
 تَسْتَخْلِفُ الشَّمْسُ لَدَى الزَّوَالِ ضِيَاءَ خَدْيِهِ عَلَى اللَّيَالِي^(٤)
 فَصَارَ نُورُ الْبَدْرِ غَيْرَ مُجْدِي^(٥)

وكتب إلى بعض أصحابه :

حُرُوفٌ وَوُدِّي وَسَائِلُ وَالْدَّمْعُ جَارٍ وَسَائِلُ^(٦)
 وَلَوْعَاتِي وَشُجُونِي تَضِيقُ عَنْهَا الرِّسَائِلُ^(٧)

(١) الأفهام : العقول .

(٢) الحمام بكسر الحاء : الموت .

(٣) الكرب بضم ففتح : المصائب التي تكرب النفس .

(٤) نور خديه يخلف الشمس بعد المغيب فيطلع على الليالي ساطعا فينيرها .

(٥) غير مجدي : غير نافع .

(٦) وسائل (الأولى) جمع وسيلة . أما الثانية فالواو حرف عطف و « سائل » اسم فاعل من :

صالح يسأل .

(٧) اللوعة : حرقة الهوى . والشجون : جمع شجن بفتحين ، وهو الهم والحزن .

لِي فِي هَوَاكُمُ غَرَامٌ - طَوْلَ الْمَدَى - غَيْرُ زَائِلٍ
 لَمَّا هَجَرْتُمْ وَبَانَتْ صَبَابَتِي لِلْعَوَازِلِ ^(١)
 دَخَلْتُ دَارَ أَصْطَبَارِي خَرَجْتُ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ ^(٢)
 فَقُلْتُ لِلْعَيْنِ : جُودِي بِالْمُرْسَلَاتِ الْهُوَامِلِ ^(٣)
 وَقَدْ أَمَرْتُ يَرَاعِي نَخْطُ مَا أَنَا قَائِلٍ ^(٤)
 وَحُبُّكُمْ فِي ضَمِيرِي سِوَاهُ زُورٍ وَبَاطِلٍ
 وَمَذْحُكُمْ - كُلَّ وَقْتٍ - فَرَائِضٍ لَا نَوَافِلَ ^(٥)
 وَإِنْ سَأَلْتُمْ فَإِنَّ بِشُكْرِكُمْ لَا أُمَاطِلَ ^(٦)
 أَوَاخِرُ الشَّوْقِ عِنْدِي إِلَى لِقَاكُمْ أَوَائِلِ

(١) الصبابة : شدة العشق .

(٢) جعل للاصطبار داراً دخل فيها ثم خرج لم يستفد شيئاً .

(٣) المرسلات : أى الدعوى المرسلات ، أى الجاريات . والهوامل : الفائضات بالدموع .

(٤) اليراع - فى الأصل - القصب ، والمزمار ينفخ فيه راعى الإبل أو الغنم ، ثم استعير للافلام .

(٥) الفرائض : ما يجب على الإنسان القيام به حتماً . والنوافل : ما يقوم به الإنسان طلباً للثواب وليس

محتوماً عليه فعله ، وأكثر ما تستعمل فى الصلاة .

(٦) أماطل : أتراخى وأسوف .

٧ - صفوت الساعاتي^(١)

قال رحمه الله يرث الأديب الشيخ حسن قويدر :

يَا شَمْسَ فَضْلَ فَدَتِكَ الشُّهْبُ قَاطِبَةٌ إِذْ عَنكَ لَا أَنْجُمُ تُغْنِي وَلَا شُهْبُ
لَمَّا أَصَابَكَ لَا قَوْسٌ وَلَا وَتَرٌ سَهْمُ الْمَنِيَّةِ كَادَ الْكَوْنُ يَنْقَلِبُ
مَا حِيلَةُ الْعَبْدِ وَالْأَقْدَارُ جَارِيَةٌ الْعُمْرُ يُوْهَبُ وَالْأَيَّامُ تُنْتَهَبُ
لَوْ افْتَدَتِكَ الْمَنَايَا عِنْدَ مَا فَتَكَتْ بِخَيْرِنَا لَفَدَتِكَ الْعُجْمُ وَالْعَرَبُ
سَقَى ضَرِيحَكَ غَيْثَ الْعَفْوِ مَنْسَكِبًا وَلَا أَرَاتُوتُ بَعْدَكَ الْأَغْصَانُ وَالْعَذَبُ^(٢)
وَلَا اسْتَهْلَتْ عِيُونَ الْقَطْرِ بَاكِئَةً إِلَّا عَلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِنَا الثُّوبُ^(٣)
أَمْسَتْ لِفَقْدِكَ عَيْنُ الْعِلْمِ سَائِلَةً تَرْجُو الشِّفَاءَ وَأَنْيَ يَنْجَحُ الْطَلَبُ^(٤)
بَكَتْ عَلَيْكَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَاضْطَرَبَتْ

كَأَنَّمَا نَالَهَا مِنْ حَزْنِهَا طَرَبُ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَنَّ لَدَى نِصْفِ النَّهَارِ ضِيَاءَ الشَّمْسِ يَحْتَجِبُ

(١) هو محمود صفوت بن مصطفى أغا ، شاعر مصري ، ولد بالقاهرة وتعلم بها ، واتصل بشريف مكة فإلزمه في بعض وقائع وصفها في شعره ، ثم استخدم في المعية ثم في مجلس أحكام الجيزة والقلوبية . واشتهر بالساعاتي لبراعته في فن الساعات ، ولكن لم يحترفه ؛ وكان حلو الحديث حسن المحاضرة ؛ مات سنة ١٢٩٨ هـ .

(٢) الغيث : المطر . المذهب بفتح العين : الأغصان أيضاً .

(٣) القطر بفتح القاف : المطر . وأنوب بضم النون وفتح الواو : المصائب وأحدثها نوبة .

(٤) في هذا البيت استخدام ، فإن (سائلة) بمعنى فائضة بالدمع ، وفي قوله ترجو أعاد عليها الضمير .

بمعنى السؤال .

لَوْ كَانَ يَدْرِي فَوَادِي يَوْمِ نَكْبَتِهِ كَانَ الْفِدَاءَ وَهَذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ
بِالرَّغْمِ مِنِّي حَيَاتِي بَعْدَ مَضْرَعِهِ سَيَّانَ فُرْقَةٍ مِّنْ أَحْبَبْتُ وَالْعَطَبُ^(١)

٨ - عبد الله باشا فكري^(٢)

كتب إلى أحمد فارس الشدياق ردًا على قصيدة له :

تَفْدِيكَ نَفْسُ شَجِّ عَلِيلِ آسَى عَزَّ الدَّوَاءُ لَهُ وَحَارَ الْآسَى^(٣)
أَضْنَاهُ طُولُ أَسَاهُ حَتَّى إِنَّهُ يَحْكِي لِفَرْطِ ضَنْأِهِ ذَاوِي الْآسِ^(٤)
هَزَّتْهُ سَارِيَةُ النَّسِيمِ ، وَقَدْ جَرَتْ بِشَذَا فَرُوقَ أَرِيحَةَ الْأَنْفَاسِ^(٥)
فَكَانَ فِي طَيِّ الشَّمَالِ إِذَا انْتَنَى مِنْ نَشْرِهَا طَرَبًا ، شَمُولَ الْكَاسِ^(٦)
وَكَانَهَا حَمَلَتْ إِلَى رِسَالَةٍ غَرَاءَ جَاءَتْ مِنْ أَغْرَ مُوَاسِي^(٧)
كَمَلِيحَةٍ عَذْرَاءَ وَافَتْ صَبَّهَا مِنْ بَعْدِ طَوْلِ تَعَذُّرٍ وَشَمَاسِ^(٨)
يَفْتَرُ مَبْسُمَهَا بِحُسْنِ حَدِيثِهَا عَنْ سِحْرِ قَاتِنِ جَفْنِهَا النَّعَاسِ^(٩)

(١) بعد مصرعه : بعد موته . العطب : الهلاك .

(٢) هو الكاتب الشاعر المترجم عبد الله باشا فكري بن محمد أفندي بليغ ، ولد بمكة ودرس بالأزهر ، وأجاد التركية والعربية ؛ وقد ترقى في المناصب حتى وصل إلى معية المفطور له سعيد باشا فإسماعيل باشا ؛ وكان يكتب عنهما مكانات كانت تعد نموذجاً متبعاً في المكاتبات الديوانية ، وكان كاتباً بليغاً يتأثر البديع والحوارزمي بالتزام السجع القصير والمحسنات البديعية . وقد توفي سنة ١٣٠٧ هـ .

(٣) الشجى : المعلوم ، الحزين . والآسى كذلك . عز الشيء : ندر وصعب الحصول عليه . الآسى : الطبيب .

(٤) أضناه : أسقمه وأهزله . أساه : حزنه . ذاوى : ذابل . الآس : نوع من الزهر .

(٥) الشذا : قوة طيب الرائحة . فروق بفتح الفاء : من أسماء القسطنطينية ؛ وأريحية : طيبة الريح .

(٦) الشمال : يريد بها ريح الشمال . والشمول بفتح الشين : من أسماء الحر .

(٧) الغراء : الحسناء . والأغر : السيد الشريف . والمواسى : المساعد للمعاون .

(٨) صباها : عاشقها . والتعذر : التمتع . والشماس بكسر الشين : النفور والإباء .

(٩) يفتَر : ينكشف . والمبسم : الفم . والنعاس : الشديده الفتور .

تَذْنُو فَيَطْمَعُ عَاشِقُهَا أَنْسَهَا وَيُشِيرُ عِزُّ دَلَالِهَا بِإِيَّاسٍ^(١)
أَوْ رَوْضَةٍ فَيَحْءَ حَيَّاهَا الْحَيَا مِنْ صَوْبِ مَحْلُولِ الْعُرَى رَجَّاسٍ^(٢)
وقال يتنزل :

كَتَبْتُ وَلَوْ لَا دَمْعُ عَيْنِي سَائِلُ تَلَطَّى جَوَابِي مِنْ تَلْهَبِ أَنْفَاسِي^(٣)
وَعِنْدِي مِنَ الْأَشْوَاقِ مَا لَمْ يَبْخُ بِهِ لِسَانُ يَرَّاعٍ فِي مَسَامِعِ قِرطَاسٍ^(٤)
وَلِي مِنْ تَبَارِيحِ الْهَوَى وَشُجُونِهِ أَحَادِيثُ تُلْهِى الشَّرْبَ عَنْ لَذَّةِ الْكَاسِ^(٥)
وَلَوْ كُنْتُ مِنْ دَهْرِي أَنَا لَمْ مَارَبِي لَسَرْتُ لَكُمْ سَعْيًا عَلَى الْعَيْنِ وَالرَّاسِ

وكتب إلى السيد عبد الهادي الأياري يعتذر عن عدم إجابة دعوة

لم تصل إليه :

يَا مَنْ بَدِيعُ حُلَاةٍ تَرَى الْبَدِيعَ وَتُنْسِي^(٦)
وَأَفَتْ عَقِيلَةَ نَظْمٍ تَتْلُو فَصَاحَةَ قُسٍّ^(٧)
كَالْبَدْرِ لَاحَ سَنَاهُ مِنْ بَعْدِ مَغْرِبِ شَمْسٍ
فَغَادَرْتَنِي صَرِيحًا نَشْوَانَ مِنْ غَيْرِ كَأْسٍ

(١) الإيَّاس : اليأس . أى ييأس من أن تواصلهم .

(٢) الحيا : المطر . ويريد محلول العرى : المطر التزير الذى لا يحجبه شيء . والرجاس :

الشديد الصوت .

(٣) تلطى : التهب واحترق . ويريد بالجواب الصحيفة التى ضمنها خطابه .

(٤) اليراع : يريد القلم . والقرطاس : الصحيفة التى يكتب فيها .

(٥) تباريح الهوى : حرقته . والشجون جمع شجن بفتح الشين والجيم : وهو الهم والحزن .

والشرب بفتح الشين : الشاربون .

(٦) البديع فى الشطر الثانى هو بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات المشهورة والأسلوب المسجع ،

من كتاب القرن الرابع الهجرى .

(٧) قس بن ساعدة الإيادى الخطيب الجاهلى .

فَمَنْ بِالْعَفْوِ إِنِّي مِنْهُ عَلَى غَيْرِ يَأْسٍ
وَإِنْ عَتَبْتَ خَفَى وَمَا أُبْرِي نَفْسِي

٩ - الشيخ على الليثي^(١)

قال يرثي محمود باشا الفلكي وقد صادف أن تهاوت نيازك ليلة وفاته :

أَرَى النَّيَّازِكَ عَنْ سَامٍ مِنَ الْفَلَكَ	مَذْعُورَةٌ أَصْبَحَتْ تَصْبُو إِلَى الدَّرَكِ ^(٢)
كَالطَّيْرِ فَاجَأَهَا الْبَازِي وَأَذْهَلَهَا	فَخَا كَتِ الْبَرْقِ وَانْقَضَتْ عَنْ الْحُبِّكَ ^(٣)
نَعَمْتُ إِلَيْنَا الرَّئِيسُ الْجَهْدِيُّ ، وَقَدْ	قَالَتْ تَعَزَّوْا فَمَا حَيٌّ بِمُتَّكِ ^(٤)
يَا نَفْسُ هَذَا مُصَابٌ قَدْ أَصَابَ فَمَا	أَبْقَى فُوَادَ صَبُورٍ غَيْرَ مُرْتَبِكٍ
أَلَيْسَ نَسْرُ سَمَاءِ الْعِلْمِ قَدْ عَلِقَتْ	كَفُّ الْمُنُونِ بِهِ فَانْحَازَ فِي الشَّرِّكَ ^(٥)
الصَّبْرَ يَا نَفْسُ ، وَأَسْتَبْقَى مَنَايِحَهُ	أَوْ فَالْتَّصَبَّرَ إِنْ تَبَغَى الْهُدَى فَلَكَ ^(٦)
حَلَّ الْقَضَاءِ وَنَاعَى الْمَجْدَ أَرَخْنَا	قَدْ مَاتَ مُحَمَّدُ بَاشَا الْمَسْنَدُ الْفَلَكَ
١٣٠٣	١٧١ ١٨٥ ٣٠٤ ٩٨ ٤٤ ١٠٤

(١) هو الشاعر الكاتب المحاضر المنادى ، شاعر الخديو إسماعيل باشا فتوفيق باشا . ظهر بالشعر والأدب وصار في معية إسماعيل باشا ؛ ولما خلفه توفيق أبقى عليه فأخلص له الشيخ ، وخاصة أيام الثورة ، وشعره متوسط ؛ وتوفي سنة ١٣١٣ هـ .

(٢) النيازك : جمع نيزك بفتح النون : شعلة ترى على شكل الرمح ، وهو من الشهب المتساقطة ؛ والدرك : أسفل السفلى .

(٣) البازي : نوع من الصقور . ويريد بالحبك السماء .

(٤) الجهد : الناقد العارف بتميز الجيد من الرديء ؛ ومترك بتشديد التاء وفتح الراء : متروك

(٥) علقت به : تعلقت . والمنون : الموت . والشرك : حبال الصائد .

(٦) المنايح : يريد بها جمع مناحة ، وهي موضع البكاء على الميت ، والمراد بها هنا البكاء نفسه .

وقال في عقب الثورة المرامية (من قصيدة طويلة) :

كُلُّ حَالٍ لِحُصْدِهِ يَتَحَوَّلُ فَالزَّمِ الصَّبْرَ إِذْ عَلَيْهِ الْمُعْوَلُ^(١)
يَا فُؤَادِي اسْتَخِرْ فَمَا الشَّأْنُ إِلَّا مَا بِهِ مَظْهَرُ الْقَضَاءِ تَنْزَلُ
رُبَّ سَاعٍ لِحُفَّتِهِ وَهُوَ مِمَّنْ ظَنَّ بِالسَّعْيِ لِلْعُمَلَا يَتَوَصَّلُ^(٢)
قَدَرُهُ غَالِبٌ وَسِرُّهُ الْخَفَايَا فَوْقَ عَقْلِ الْأَرِيبِ مَهْمَا تَكْمَلُ
غَايَةُ الْعَقْلِ حَسْرَةٌ وَعَقَالُ وَاللَّيْبُ الذَّكِيُّ مَنْ قَدْ تَأَمَّلُ
كَيْفَ نَسَى وَحَادِثَاتُ اللَّيَالِي فَاجَأَتْنَا بِكَارِثٍ لَيْسَ يُحْمَلُ
أَذْهَبَتْ أَنْفُسًا وَغَالَتْ نَفِيسًا وَذَوَى مَرْبَعِ الْخُطُوطِ وَأَتَحَلُ^(٣)
وَإِذَا الْمَرْءُ كَانَ بِالْوَهْمِ يَنْبِي فَخَيَالُ الظُّنُونِ مَا قَدْ تَمَثَّلُ
وَنَحْ قَوْمٍ سَمِعُوا لِإِذْرَاكِ أَمْرٍ دُونَ إِذْرَاكِ الْجِبَالِ تُزَلْزَلُ
مَا أَصْرُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَضْرُّوا بِأَنْاسٍ مِنْ نَابِهِ أَوْ مُعْقَلُ^(٤)
ذَاكَ يَسْمَعِي عَلَى التَّقِيَّةِ خَوْفًا وَسِوَاهُ يَسْمَعِي لِكَيْمَا يُجَمَلُ
لَوْ أَصَابُوا الرَّشَادَ عِنْدَ ابْتِدَاءِ كَانَتْ الْغَايَةُ الْجَمِيلَةَ أُمَثَلُ

(١) عليه المعول : عليه المعتمد في الشدة .

(٢) الحنف : الهلاك .

(٣) أحمل : أجذب . يريد أن حادِثات الثورة أضاعت الأرواح والنفائس من مال ومتاع .

وأصبحت الخطوط لا يرجى منها خير ولا أمل .

(٤) أصرروا عليه : عزموا وثبتوا على عزمهم .

(٥) التقية : التقى : وهو الخشية والخذل .

وقال يصف السفينة وهو عائد من برلين :

أَصْبَحَ الْوَقْتُ بِاسْمًا بِالشُّرُورِ كَأَنِّي سَامَ الرَّيِّعِ وَقْتُ الزُّهُورِ
أَيْنَ أَلْقَى ظَرِيفَ طَبْعٍ لَطِيفًا كَيْ نُدِيرَ الْحَدِيثَ مِثْلَ الْخُمُورِ
فَوْقَ ظَهْرِ السَّفِينِ نُحْسِنُ وَصْفًا حَيْثُ يَجْرِي عَلَى صَفَاءِ الْبُحُورِ
وَتَرَاهُ يَخْتَالُ وَهُوَ مَعْنَى وَيَنْحُهُ كَمْ يَجْرُ ذَيْلُ الْفَخُورِ^(١)
ذَيْلُهُ يَرْسُمُ الْمَجْرَةَ مُجْبَا بَيْنَ مَوْجٍ يُضِيءُ مِثْلَ الْبُدُورِ^(٢)

١٠ — السيد عبد الله نديم^(٣)

قال يتغزل :

سَلَوْهُ عَنِ الْأَرْوَاحِ فَهِيَ مَلَاعِبُهُ وَكُفُّوا إِذَا سَلَ الْمُهَنْدَ حَاجِبُهُ
وَعُودُوا إِذَا نَامَتْ أَرَاقِمُ شَعْرِهِ وَوَلُّوا إِذَا دَبَّتْ إِلَيْكُمْ عَقَارِبُهُ^(٤)
وَلَا تَذْكُرُوا الْأَشْبَاحَ ؛ بِاللَّهِ ؛ عِنْدَهُ فَلَوْ أَتَلَفَ الْأَرْوَاحَ مَنْ ذَا يُطَالِبُهُ
أَرَاهُ بِعَيْنِي وَالدُّمُوعُ تَكَاتِبُهُ وَيُحْجَبُ عَنِّي وَالْفُؤَادُ يُرَاقِبُهُ

(١) المعنى بضم الميم وفتح العين وتشديد النون المفتوحة : التعب المكثور . وويحه : رحمة له .
والفخور بفتح الفاء : الكثير التفاخر .

(٢) المجرة بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة : نجوم كثيرة لا يحيزها البصر ، بل يراها كبقعة بيضاء .
(٣) يعد السيد عبد الله نديم في مقدمة الخطباء العراقيين ، وكان لا يجارى في سرعة البديهة وشدة
التأثير في سامعيه بالعامة وغيرها ، وبعد متأثراً بجمال الدين الأفغانى كالشيخ محمد عبده ، وله مع ذلك
شعر ونثر جيدان . توفى بالقسطنطينية سنة ١٨٩٦ م .

(٤) الأراقم : أخبت الحيات ، واحدها أرقم ، والعقارب هنا شعر الأصداء ، شبه بها لانمطافه ،
كأذاها على العين .

فَهَلْ حَاجَةٌ تُدْنِي الْحَبِيبَ لِسَبِّهِ سِوَى زَفْرَةٍ تَتْنِي الْحَشَا وَتُجَاذِبُهُ ؟
فَلَا أَنَا مِمَّنْ يَتَّقِيهِ حَبِيبُهُ وَلَا أَنَا مِمَّنْ بِالصُّدُودِ يُعَاتِبُهُ
فَلَوْ أَنَّ طَرْفِي أَرْسَلَ الدَّمْعَ مَرَّةً سَفِيرًا لِقَلْبِي مَا تَوَالَتْ كِتَابَتُهُ (١)

١١ - الشيخ نجيب الحداد (٢)

وقال الشيخ نجيب الحداد يمدح مصر والمصريين :

يَا أَرْضَ مِصْرَ تَحِيَّةً وَسَلَامَ وَسَقَاكَ مِنْ صَوْبِ الْغَمَامِ رُكَامَ (٣)
بَلْ أَنْتِ غَانِيَةٌ عَنِ الْمَطَرِ الَّذِي يَهْمِي ، فَإِنَّ النَّيْلَ فِيكَ غَمَامَ (٤)
نَهْرٌ تَبَارَكَ مَآوُهُ ، فَتَكَادُ أَنْ تَمْحَى بِطُورِ مِيَاهِهِ الْآثَامَ (٥)
وَيَكَادُ لَوْ رَشَفَ الْعَلِيلُ زُلَالَهُ يَشْفَى الْعَلِيلُ وَتَذْهَبُ الْأَسْقَامَ (٦)
يُحْيِي الْبِلَادَ بِمَائِهِ ، فَكَأَنَّهُ الْـرَّوْحُ الَّتِي تَحْيَا بِهَا الْأَجْسَامَ (٧)

-
- (١) السكتائب : جمع كتيبة بفتح الكاف ، وهي القطعة من الجيش .
(٢) نشأ الشيخ نجيب الحداد نشأة أدبية ، فصار شاعراً رقيقاً وكاتباً بليغاً له روايات شتى تأليفاً وترجمة . توفي سنة ١٨٩٩ م .
(٣) وسقاك : الخبر هنا للدعاء ، فهو يتمنى لأرض مصر الرى والسقيا من الغمام . صوب الغمام : نزوله ، والغمام : السحاب . والركام (بضم الراء) : المتركم بعضه فوق بعض .
(٤) الغانية : الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة ، أو ذات المال الذى تستغنى به عن الغير . والمراد هنا أنها غنية بوفر مائها الذى يتدفق من النيل عن المطر . ويهمى : يسقط غزيراً .
(٥) تبارك مآؤه : خصه الله بالبركة والخير . تمحى : تزال . الآثام : الذنوب .
(٦) رشف : امتص الماء بشفتيه قليلاً قليلاً . والعليل : المريض . والماء الزلال (بضم الزاى) : العذب الصافى .
(٧) يحيى البلاد : يبعث الحياة فى أهلها وزرعها وطيرها وسائر مائها الذى لا ينقطع . والروح : سر الحياة فى الجسم . يريد أن النيل روح مصر وسر حياتها ، ولولاه لأصبحت صحراء يابسة .

إِنَّ شَابَهُ كَدَّرَ فَنَى أَكْدَارِهِ صَفَوْهُ وَفِي فَيْضَانِهِ إِنْعَامٌ^(١)
 أَرْضٌ إِذَا لَمْ يَعْلُ فِي أَرْجَائِهَا عِلْمٌ فَإِنَّ كِرَامَهَا أَغْلَامٌ^(٢)
 لَبِسَتْ مِنَ الْمَجْدِ التَّلِيدِ مَطَارِفًا وَلَهَا مِنَ الْمَجْدِ الطَّرِيفِ وَسَاءٌ^(٣)
 وَتَعَانَقَتْ وَالْفَخْرَ مِنْ قَدِيمٍ كَمَا قَدْ عَانَقَتْ أَلْفَ الْكِتَابَةِ لَامٌ^(٤)
 مَجْدٌ بِهِ هَرَمَ الزَّمَانُ وَلَمْ يَزَلْ غَضًّا وَقَدْ شَهِدَتْ بِهِ الْأَهْرَامُ^(٥)
 هَرَمَانِ زَانَا صَدَرَ مَصْرَ فَأَشْبَهَا نَهْدَيْنِ زَانَهُمَا سَنَى وَتَمَامٌ^(٦)
 نَهْدَانِ كَانَ الدَّهْرُ يَرْضَعُ مِنْهُمَا إِنَّ الزَّمَانَ لِمَجْدِ مَصْرَ غُلَامٌ^(٧)
 أَرْضُ الْفَرَاعِنَةِ الَّذِينَ بَنَوْا لَهَا فِي الدَّهْرِ مَا لَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامُ
 بُنْيَانُ عَزٍّ فِي الشُّطُورِ مُخَلَّدٌ وَبِنَاءُ مَجْدٍ فِي الصُّخُورِ يُقَامُ

(١) شابه : خالطه . ويريد بأكداره ما يحمله من الغرين (العلم) إبان الفيضان ، فإن فيه زيادة في خصب الأرض ونماؤها : وهذا ما عبر عنه بالصفو ليقابل به الأكدار . إنعام : أى وفي فيضانه نعمة وخير للوطن .

(٢) العلم بفتحين : الجبل الطويل . والأعلام : جمع علم بفتحين وهو سيد القوم . يريد أن مصر إذا خلت أرضها من الجبال الضخمة العظيمة فإن فيها السادة العظماء من رجالها .

(٣) التلید : القديم . المطارف : جمع مطرف بكسر الميم وفتح الراء ، وهو الثوب من الحرير . والطريف : الجديد . والوسام شارة الفخر . وقد صرف (مطارف) لضرورة الشعر .

(٤) يريد أن الفخر لازمها من قديم الزمان لما فاض به تاريخها من حضارة سبقت بها الأمم . (٥) هرم : شاب وكبرت سنه . غضا : ناضرا . والمراد أن مجد مصر مرت عليه الأزمان الطويلة فأهرمها وهو ما زال في عنفوان شبابه ونضرتة .

(٦) النهدي (بفتح النون) : التدي وجمه نهود . والسنى (بفتح السين والنون) : الضوء . والتام (بثلاث التاء) : الكمال .

(٧) يقول إن هرمى مصر كانا في العصور الغابرة بمثابة نهدين يرضع منهما الزمن . يكفى بذلك عما كانت عليه مصر من حضارة وعظمة في الوقت الذى كان فيه العالم كالطفل لجهاته وتأخره .

لَا بَدْعَ إِنْ بَقِيَتْ مَا تَرَاهُمْ فَقَدْ بَقِيَتْ جُسُومُهُمْ وَهُنَّ رِمَامٌ^(١)

١٢ - مصطفى بك نجيب^(٢)

قال يشكر بعض الأدباء على ساعة أهداها إليه :

مَتَّعَنَا أَخٌ كَرِيمٌ حَسَبًا وَحَاتِمِي مَحْتَدًا وَنَسَبًا^(٣)
بِسَاعَةٍ مِنْ خَيْرِ مَا قَدْ جَلَبَا مَا إِنْ رَأَتْ عَيْنٌ لَهَا مُضْطَرَبًا^(٤)
تَمَشَى مَعَ الزَّمَانِ سَيْرًا عَجَبًا لَا تُخْطِئُ الْوَقْتَ وَلَوْ تَذَبَّدَا^(٥)
كَأَنَّ بِالنَّجْمِ لَهَا مُنْتَسَبًا وَبِذُكَا لُحْمَةٍ وَنَسَبًا^(٦)
حَتَّى إِذَا وَقْتُ الزَّوَالِ وَجَبَا وَرَامَتِ الشَّمْسُ لَهَا مُنْقَلَبًا^(٧)
رَأَيْتَ فِيهَا الْعَقْرَبَيْنِ عَقْرَبَا

(١) لا بدع : لا غرابة ولا عجب . رمام : جمع رمة بكسر الراء وتشديد الميم المفتوحة وهى الجسم البالى . يقول لا غرابة فى بقاء آثارهم من أهرامات ومعابد ، فهذه جُسُومُهُمْ وهى رهن البلى ، ما زالت باقية لم تندثر بفضل نبوغهم وتقدمهم فى فن التحنيط .

(٢) هو ابن محمد نجيب ، أديب إدارى ، وكاتب شاعر مقل ، صاحب كتاب (حجة الإسلام) ؟ ومقالات (أحلام الأحلام) ؟ توفى سنة ١٣٢٠ هـ .

(٣) حاتمي : نسبة إلى (حاتم الطائي) الذى ضرب به المثل فى الكرم ، وهو من أجواد العرب . والمحتد : الأصل .

(٤) مضطربا : تقدما أو تأخرا عن السير الطبيعى للزمن .

(٥) تذبذب : اضطرب وخرج عن حركته الطبيعية فى السير .

(٦) ذكاء (بضم الذال) : الشمس ، ولحمة (بضم اللام) : قرابة .

(٧) وقت الزوال : هو الوقت الذى يزول فيه الظل حين تصل الشمس إلى كبد السماء ، أى فى

الساعة الثانية عشر تماما .

وكتب على يد مروحة :

إِذَا يَدٌ لَعِبَتْ بِي قَابَلَتْهَا بِهَوَاهَا
مَزَجْتُ لُطْفَ نَسِيمِي بِلُطْفِ رِيَّا مُنَاهَا^(١)
فَزَادَهَا الرِّيحَ وَجَدًا وَزَادَهَا الْوَجْدُ آهًا^(٢)
جَاءَتْ لِتَبْرُدَ شَوْقًا فَزِدْتُ مِنْهَا جَوَاهَا^(٣)

١٣ — محمود باشا سامى البارودى^(٤)

قال فى الفخر وهو من قصيدة طويلة :

سِوَايَ بَتَحْنَانَ الْأَغَارِيدِ يَطْرُبُ وَغَيْرِي بِاللَّذَاتِ يَلْهُو وَيُعْجَبُ^(٥)
وَمَا أَنَا مِمَّنْ تَأْسِرُ الْخُمُرُ لُبَّهُ وَيَمْلِكُ سَمْعِيهِ الْيَرَاعُ الْمُثَقَّبُ^(٦)
وَلَكِنْ أَخُوهُمْ إِذَا مَا تَرَجَّجَتْ بِهِ سَوْرَةٌ نَحْوَ الْعَلَا رَاحَ يَدَابُ^(٧)

(١) الريا : (بفتح الراء وتشديد الياء) الريح الطيبة ، كأنما رويت من الطيب والعطور فى مسراها مؤنث ريان . والمنى : جمع منية بضم الميم وتسكين النون ، وهى ما تتمناه النفس من خير .

(٢) وجداً : صباية وشوقاً . وآها : تأوها من فرط الحنين .

(٣) لتبرد لتلمس برداً من شدة حرارتها . والجوى شدة الوجد .

(٤) هو محمود سامى باشا بن حسن هسنى بك البارودى . أحد زعماء الثورة العربية ؛ ولد سنة ١٢٥٦ هـ . وتعلم بالمدرسة الحربية ، وترقى فى مناصب الجيش وغيرها حتى رأس النظائر قبيل الثورة العربية ، ونفى بعدها إلى سرانديب ، ثم عاد إلى مصر ، وبها مات سنة ١٣٢٢ هـ . والبارودى عصامى فى نشأته الأدبية الماعرة ، يعد شعره صورة مقاربة للفحول السابقين : جزل الأسلوب ضخمة المعانى ، متنوع الفنون له ديوان ومختارات .

(٥) التحنان بفتح التاء : الحنين . والأغاريد : جمع أغرودة بضم الهمزة ، غناء الطائر . ويعجب

بالشئء بالبناء للمجهول : يسر منه .

(٦) يريد بسمعيه أذنيه . واليراع : القصب الذى يزمر به الراعى ، واحدته يراعة . والمثقب :

ذو الثقوب التى تعين النافخ على الصفير ، وتنوع الألحان .

(٧) الهم — هنا : الهممة . وترججت به : مالت به ، ويريد بالسورة النزعة القوية .

نَفَى النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ نَفْسُ أَبِيَّةٍ
لَهَا بَيْنَ أَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَطْلَبٌ^(١)
وَمَنْ تَكُنْ الْعَلِيَاءُ هِمَّةَ نَفْسِهِ
فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهَا مُحِبَّبٌ
إِذَا أَنَا لَمْ أُعْطِ الْمَكَارِمَ حَقَّهَا
فَلَا عَزَّي خَالٌ وَلَا ضَمَنِي أَبٌ

خُلِقْتُ عِيُوفًا لَا أَرَى لِابْنِ حُرَّةٍ
عَلَى يَدَا أُغْضَى لَهَا حِينَ يَفْضَبُ^(٢)
فَلَسْتُ لِأَمْرِ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقِّعًا
وَلَسْتُ عَلَى شَيْءٍ مَضَى أُنْتَبِ^(٣)
أَسِيرُ عَلَى نَهْجٍ يَرَى النَّاسُ غَيْرَهُ
لِكُلِّ أَمْرٍ فِيمَا يُحَاوِلُ مَذْهَبُ^(٤)
وَإِنِّي إِذَا مَا الشَّكُّ أَظْلَمَ لَيْلُهُ
وَأُمَسْتُ بِهِ الْأَحْلَامُ حَيْرَى تَشَعَّبُ^(٥)
صَدَعْتُ حَفَافِي طُرَّتِيهِ بِكَوْكَبٍ
مِنَ الرَّأْيِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ الْمَغِيبُ^(٦)

وقال يتشوق وهو في المنفى :

رُدُّوا عَلَى الصَّبَا مِنْ عَصْرِي الْخَالِي
وَهَلْ يَعُودُ سَوَادُ اللَّيْمَةِ الْبَالِي^(٧)
لَمْ يَذَرِ مَنْ بَاتَ مَسْرُورًا بِلَذَّتِهِ
أَنِّي بِنَارِ الْأَسَى مِنْ هَجْرِهِ صَالِي^(٨)

- (١) الأسنة : جهم سنان ، وهو نصل الرمح .
(٢) العيوف بفتح العين : الشديد الأنفة . واليد : النعمة . أغضى لها : أطبق جفني ذلا وندما .
(٣) أنتب : أغضب .
(٤) المذهب : الطريقة .
(٥) الأحلام : العقول . وتشعب أى تختلف وتفرق .
(٦) حفافا الشيء : جانباه . الطرة : الناصية ، يقول إنه إذا أشكل الأمر وتغيرت فيه العقول أناره رأى كالسكوك في وضوحه وإشراقه .
(٧) اليممة بكسر اللام وتشديد الميم : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، هو يريد شعر الرأس على الإطلاق ، ويريد بالبالى الذى تغير لونه فيبيضه المشيب .
(٨) الأسى : الحزن . يصلى النار من باب علم ، وصلّى بها فهو صال : قاسى حرها أو احترق بها .

يا غاضِبِينَ عَلَيْنَا هَلْ إِلَى عِدَةٍ بِالْوَصْلِ يَوْمٌ أَنْغَى فِيهِ إِقْبَالِي^(١)
غَيْبُكُمْ فَأَظْلَمَ يَوْمِي بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ وَسَاءَ صُنْعُ اللَّيَالِي بَعْدَ إِجْمَالِ^(٢)
فَالْيَوْمَ لَا رَسَنِي طَوْعُ الْقِيَادِ وَلَا قَلْبِي إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا بِمَيَّالِ^(٣)
أَيُّتُ مُنْفَرِدًا فِي رَأْسِ شَاهِقَةٍ مِثْلَ الْقَطَايِ فَوْقَ الْمَرْبِإِ الْعَالِي^(٤)

وقال يرثى أباه لما ناهز العشرين :

لَا فَارِسَ الْيَوْمَ يَحْمِي سَرَحَةَ الْوَادِي طَاحَ الرَّدَى بِشَهَابِ الْحَرْبِ وَالنَّادِي^(٥)
مَاتَ الَّذِي تَرَهَّبُ الْأَقْرَانُ صَوْلَتَهُ وَيَتَّقِي بِأَسَهُ الضَّرْعَاةُ الْعَادِي^(٦)
مَضَى وَخَلَّفَنِي فِي سِنٍّ سَابِعَةٍ لَا يَرَهَّبُ الْخَصْمُ لِإِرَاقِي وَإِرْعَادِي^(٧)
فَإِنْ أَكُنْ عِشْتُ فَرْدًا بَيْنَ أَصِرَّتِي فَهَآنَا الْيَوْمَ فَرْدٌ بَيْنَ أَنْدَادِي^(٨)

(١) العدة بكسر العين وفتح الدال : الوعد . وأنغى الصبي : كلمه بما يعجبه ويسره .

(٢) الإجمال : الإحسان .

(٣) الرسن بفتح السين : الحبل الذي تقاد به الدابة .

(٤) يريد بالشاهقة الجبل المرتفع . والقطاي بفتح القاف وضمها : الصقر . والمربأ : المكان الذي

يقف فيه من يرقب .

(٥) السرحة بفتح السين : الشجرة العظيمة يستظل فيها . والمراد : محمي حرمه . وطاح به : أهلكه

والردى بفتح الدال : الموت . والشهاب : الكوكب ، يريد أنه كان كالكوكب في انقضاضه على عاريه ، كما كان في مجتمع القوم زيتهم كالكوكب أيضا في تألقه .

(٦) الأقران : جمع قرن بكسر القاف ، وهو المناظر في الشجاعة وغيرها . صولته : سطوته وبطشه

في النضال . والضرعامة : الأسد . والعمادي : الصائل .

(٧) إبراق وإرعادي : تهديدي ووعيدي .

(٨) يريد بأصرته : أهل قرابته ومودته .

ومن قصيدة له يرثي بها زوجته ، وقد ماتت في مصر وهو لا يزال
في منفاه :

لَا لَوْعَتِي تَدَعُ الْفَوَادَ ، وَلَا يَدِي تَقْوَى عَلَى رَدِّ الْحَبِيبِ الْغَادِي ^(١)
يَا دَهْرُ ! فِيمَ جَفَعْتَنِي بِحُلَيْلَةٍ كَانَتْ خُلَاصَةً عِدَّتِي وَعَتَادِي ^(٢)
إِنْ كُنْتُ لَمْ تَرْحَمْ ضَنَايَ لِبُعْدِهَا أَفَلَا رَحِمْتَ مِنَ الْأَسَى أَوْلَادِي ^(٣)
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْ يُسَامَ أَخُو الْأَسَى رَغَى التَّجَلُّدَ ، وَهُوَ غَيْرُ جَمَادٍ ^(٤)
هَيْهَاتَ بَعْدَكَ أَنْ تَقَرَّ جَوَانِحِي أَسْفًا لِبُعْدِكَ ، أَوْ يَلِينَ مِهَادِي ^(٥)
وَلَهَى عَلَيْكَ مُصَاحِبُ لَمْسِيرَتِي وَالذَّمْعُ فِيكَ مُلَازِمٌ لِيُوسَادِي ^(٦)
فَإِذَا أَنْتَبَهْتُ فَأَنْتِ أَوَّلُ ذِكْرَتِي وَإِذَا أَوَيْتُ فَأَنْتِ آخِرُ زَادِي ^(٧)

وقال يصف الحرب :

وَلَمَّا تَدَاعَى الْقَوْمُ وَاشْتَبَكَ الْقَنَا وَدَارَتْ ، كَمَا تَهْوَى عَلَى قُطْبِهَا الْحَرْبُ ^(٨)
وَزَيْنَ لِلنَّاسِ الْفِرَارُ مِنَ الرَّدَى وَمَاجَتْ صُدُورُ الْخَيْلِ وَالْأَتَهَبَ الضَّرْبُ

(١) اللوعة : ألم الفراق ، والغادى : الزاهب ، من غدا يندو إذا ذهب في الصباح ، والمراد هنا من الغادى : الزاهب عن الدنيا .

(٢) العدة ، والعتاد : ما يعد للمرء لشأنه ، يريد أنها كانت سنده في الحياة وعونه .

(٣) الضنا : الضعف والسقم ، والأسى : الحزن .

(٤) سامه الأمر : كلفه إياه ، والرعى : المراعاة .

(٥) تفر : تهدأ ، والجوانح : الأضلاع ، مفردها : جانحة ، والمهاد : الفراش .

(٦) الوله : أشد الحزن ، والمسيرة : السير ، والمراد بها هنا العمر والحياة ، أى أن حزنه سيصاحب أيام حياته ، والوساد : المحنة والمتسكأ .

(٧) انتبهت : استيقظت ، والذكرة : الذكر ، وأويت : دخلت فراشي ، والزاد : ما يتزود به .

(٨) تداعى القوم : دعا بعضهم بعضاً للقتال ، والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح ، وشبه الحرب بالرحى في دورانها على قطبها .

وَدَارَتْ بِنَا الْأَرْضُ الْفَضَاءَ كَأَنَّا
صَبَرْتُ لَهَا حَتَّى تَجَلَّتْ سَمَاوُهَا
سُقَيْنَا بِكَأْسٍ لَا يُفِيقُ لَهَا شَرِبُ^(١)
وَإِنِّي صَبُورٌ إِنْ أَلَمَّ بِالْخُطْبِ^(٢)

وقال يصف الفراق :

مَحَا الْبَيْنَ مَا أَبْقَتْ عُمُونَ الْمَهَامِي
عَنَاءٍ وَيَأْسٍ وَاشْتِيَاقٍ وَغُرْبَةٍ
فَإِنْ أَكُفَّرْتُ الدِّيَارَ فَلِي بِهَا
بَعَثْتُ بِهِ يَوْمَ النَّوَى إِثْرَ لَحْظَةٍ
فَهَلْ مِنْ فَتَى فِي الدَّهْرِ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
وَلَمَّا وَقَفْنَا لِلْوَدَاعِ وَأَسْبَلْتُ
أَهْبْتُ بِصَبْرِي أَنْ يَعُودَ فَعَزَّيْ
وَسَبَّحْتُ وَلَمْ أَقْضِ اللَّبَانَةَ مِنْ سِنِّي^(٣)
أَلَا شَدَّ مَا أَلْقَاهُ فِي الدَّهْرِ مِنْ غَبْنٍ^(٤)
فَوَادُ أَضَلَّتْهُ عُمُونَ الْمَهَامِي عَنِّي^(٥)
فَأَوْقَعَهُ الْمَقْدَارُ فِي شَرِكِ الْحُسْنِ^(٦)
فَلَيْسَ كَلَانَا عَنْ أَخِيهِ بِمُسْتَعْنٍ
مَدَامِغُنَا فَوْقَ التَّرَائِبِ كَالْمَزْنِ^(٧)
وَنَادَيْتُ حِلْمِي أَنْ يَثُوبَ فَلَمْ يُغْنِ^(٨)

(١) الشرب بفتح الشين : الشاربون .

(٢) تجلت سماؤها : يريد ذهب شدتها ، وصبور : كثير الصبر ، وألم بتشديد الميم : نزل ، والخطب : الشدة والأمر العظيم .

(٣) البين : البعد والفرقة ، والمهامي : جمع مهامة ، وهي البقرة الوحشية يضرب بها المثل في جلال العميون ، واللبانة : الحاجة في غير فاقة ، والسن : العمر ، ولبانة الشباب : ما يقتضيه من لهو ومرح .

(٤) العناء : التعب والمشقة ، وألا شد : ما أشد ، والغبن : يريد به الظلم .

(٥) أضلته : يريد شغلته .

(٦) النوى : البعد ، وإثر لحظة : عقب لحظة ، واللحظة : النظرة بمؤخر العين ، والمقدار : قدر الله ، والشرك : حيلة الصيد .

(٧) أسبلت الدموع : أرسلت وهمت ، والترائب : جمع تريبة ، وهي عظمة الصدر ، والمراد بها هنا الصدر ، والمزن : المطر .

(٨) أهاب به : دعاه ، وعزني : غلبني ، والحلم : العقل ، ويثوب : يرجع ، وبغني : يفيد .

وَمَا هِيَ إِلَّا خَاطِرَةٌ ، ثُمَّ أَقْلَعَتْ
فَكَمْ مُهْجَةٍ مِنْ زَفَرَةِ الْوَجْدِ فِي لَظَى
وَمَا كُنْتُ جَرَّبْتُ النَّوَى قَبْلَ هَذِهِ
وَلَكِنِّي رَاجَعْتُ حِلْمِي وَرَدَّني
وَلَوْلَا بُنْيَاتٌ وَشَيْبٌ عَوَاطِلُ
بِنَاعِنِ شُطُوطِ الْحَى أَجْنَحَةُ السُّفْنِ^(١)
وَكَمْ مُقْلَةٍ مِنْ غَزَرَةِ الدَّمْعِ فِي دَجْنِ^(٢)
فَلَمَّا دَهَشْتَنِي كِدْتُ أَقْضَى مِنَ الْحُزْنِ^(٣)
إِلَى الْحُزْمِ رَأَى لَا يَحُومُ عَلَى أَفْنِ^(٤)
لَمَّا قَرَعْتَ نَفْسِي عَلَى فَائِتِ سِنِّي^(٥)

١٤ - حَفْنِي بِكَ نَاصِفِ^(٦)

قال مخاطب ناظر الحقاينة وقد نقله إلى « قنا » :

رَقِيتَنِي حِسًّا وَمَعْنَى
وَجَعَلْتَ رَأْسَ الْخَاسِدِ
وَجَعَلْتَ سُدَّةَ مَنْزِلِي
فَلِصْنُكَ الشُّكْرُ الْمُنَى
يَنْ بِمَضَرٍّ مِنْ قَدَمِي أَذَى
مِنْ أَسْقُفِ الْهَرَمَيْنِ أَسْنَى^(٧)

(١) أقلع عن المسكان : تحول عنه ، وشطوط : جمع شط ، وهو جانب البحر ، والحى : منازل القوم ، وأجنحة السفن : أشرعتها .

(٢) المهجة : دم القلب ، ويراد بها هنا القلب ، الزفرة : النفس الشديد الحار ، والظى : لهب النار والمقلة : العين ، وغزرة الدمع : كثرته ، والدجن : الظلمة .

(٣) دهشتني : أصابتني ، وأقضى : أموت ، من قضى الرجل يقضى .

(٤) راجعت : استرددت ، والحلم : العقل ، وحام على الشيء : دار به ، والأفن : سوء الرأي .

(٥) البنيات : جمع بنية ، وهي البنت الصغيرة ، والفائت : ما لم يدركه الإنسان ، وقرع السن ، كناية عن الندم ، يقول : لولا بناته الصغار ، ولولا من يعولهم من أهله المسنين الذين لا كسب لهم ما ندم على شيء .

(٦) هو القاضي الفاضل والشاعر الكاتب الأستاذ محمد حفني ناصف ، ولد ببركة الحج من أعمال القايونية ، ودرس بالأزهر ودار العلوم ، فخرج نايبة نابهاً ، شغل مناصب القضاء والتدريس بالمدارس والجامعة ، فكان مثال الفضل والبراعة وحسن الفكاكة وسرعة البديهة ، يمتاز أساوبه بالجزالة في النثر والسهولة في الشعر ، توفي سنة ١٩١٩ م .

(٧) سدة المنزل (بتشديد الدال) : عتبة بابه .

أَسْكَنْتَنِي فِي بُقْعَةٍ فِيهَا غَدَوْتُ أَعَزَّ شَأْنًا
أَرَدُ الْمَشَارِعَ سَابِقًا وَالسَّبْقُ عِنْدَ الْوَرْدِ أَهْنًا^(١)
وَأَزُورُ آثَارَ الْمُلُوكِ لَكَ ، وَكُنْتُ قَبْلَ بِهَا مُعْنَى^(٢)
بَلَدٌ إِذَا حَلَّتْ بِهِ قَدَمَاكَ قُلْتُ حَلَلْتُ حِصْنًا
جَبَلُ الْمُقَطَّمِ حَوْلَهُ مُتَعَطِّفٌ كَالثُّونِ حُسْنًا^(٣)
هَيْهَاتَ أَنْ يَصِلَ الْعَدُوُّ (م) لَهُ ، وَيُدْرِكَ مَا تَمَنَّى

قَالُوا : شَخَصْتَ إِلَى قِنَا يَا مَرْحَبًا « بَقْنَا » وَ « إِسْنَا »
قَالُوا : سَكَنْتَ السَّفْحَ قَدْ تٌ وَحَبَّذَا بِالسَّفْحِ سُكْنَى
قَالُوا : « قِنَا » حَرٌّ ، فَقَدْ تٌ : وَهَلْ يَرُدُّ الْحُرَّ قِنَا ؟^(٤)
سِرُّ الْحَيَاةِ حَرَارَةٌ لَوْلَاهُ مَا طَيْرٌ تَفَنَّى
كَلًّا ! وَلَا زَهْرٌ تَبَسَّ سَم ، لَا وَلَا غُصْنٌ تَثْنَى !
تَتَدَفَّقُ الْأَنْهَارُ مِنْ حَرٍّ ، وَتَرْجِي الرِّيحُ مُزْنًا^(٥)
هَا قَدْ أَمِنْتُ الْبَرْدَ وَالْ بُرْدَاءَ ، وَالْقَلْبُ أَطْمَأَنَّ^(٦)

(١) أَرَدُ الْمَشَارِعَ : آتَيْهَا اللَّارْتَوَاءَ ، وَالْمَشَارِعَ : جَمْعُ مَشْرَعٍ وَهُوَ الْمَنْهَلُ يَرُدُّهُ الظِّهَاءُ .

(٢) مُعْنَى : كَلَفًا (بِكْسَرِ اللَّامِ) مُشْتَقًّا .

(٣) مُتَعَطِّفٌ : مَنْحَنٌ كَالْقَوْسِ .

(٤) الْقِنَ : الْعَبْدُ الرَّقِيقُ ، وَفَاعِلٌ يَرُدُّ يَعُودُ عَلَى (حَرٍّ) بِفَتْحِ الْهَاءِ ، يَقُولُ وَهَلْ يَصِيرُ حَرٌّ قِنَا الرَّجُلُ الْحُرَّ هَبْدًا رَقِيقًا .

(٥) الْمَزْنُ : الْمَطَرُ ، وَاحِدَتُهُ مَزْنَةٌ بِضَمِّ الْمِيمِ وَسُكُونِ الزَّيِّ .

(٦) الْبُرْدَاءُ : الثَّقَلَاءُ ، جَمْعُ بَارِدٍ وَهُوَ الْإِنْسَانُ الْمُتَبَلِّدُ الْإِحْسَاسَ .

وَوُقيتَ أَمْرَاضَ الرُّطُو بَقَ ، واستَرَقَ الرِّيحَ وَهْنًا^(١)
أَلْقَى الهَوَاءَ فَلَا أَهًا بُ لِقَاءَهُ : ظَهَرًا وَبَطْنًا
وَأَنَامَ غَيْرَ مُدَثِّرٍ شَيْنًا إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّا
قَدْ خَفَّتِ النَّفَقَاتُ إِذْ لَا أَشْتَرَى صُوفًا وَقُطْنًا
وَفَرَّتْ مِنْ مَنْ الْوَقُو د النِّصْفَ أَوْ نِصْفًا وَهِنًا
فَالشَّمْسُ تَكْفُلُ رَاحَتِي ؛ فَكَأَنهَا أُمِّي وَأَخِي
فَإِذَا بَدَتْ لِي حَاجَةٌ فِي الْغُسْلِ أَلْقَى الْمَاءَ سُخْنًا
أَوْ رُمْتُ طَبَخًا أَوْ عَلَا جَ الْخُبْزِ أَلْقَى الْجَوْ فُرْنَا
سُكِنَى الْقُرَى تَدَعُ السَّفِي هَ مُوَكَّلًا بِالْمَالِ مُضْنَى
أَيُّ الْمَلَاهِي فِيهِ يَص رَفُ مَالِهِ وَمَتَى وَأَنَى ؟
كُلُّ أَمْرٍ تَلْقَاهُ مِنْ بَعْدَ الظَّهِيرَةِ مُسْتَكِنًا^(٢)
وَيَرَى الْغَرِيبَ السَّعَرَ أَيْ سَرَ حَالَةً ، وَأَخَفَّ غَبْنًا
يَجِدُ الْحَلِيبَ بِمَيْنِهِ لَبَنًا ، وَيُلْفِي السَّمْنَ سَمْنًا
عَشْ فِي الْقُرَى رَأْسًا ، وَلَا تَسْكُنُ مَعَ الْأَذْنَابِ مُدْنَا
وَدَعِ الْجَزِيرَةَ وَالْمَهَا وَالْجِسْرَ وَالظَّبْيَ الْأَغْنَا^(٣)
وَاسْلُ الْأَغَانِي وَالْعَوَا نِي ، وَاسْأَلِ الرَّحْمَنَ عَدْنَا

(١) استرق الرِّيح : سرى رقيقاً ناعماً ، الوهن يسكون الماء : الضعف .

(٢) مستكناً : مخبئاً .

(٣) الظبي الأغن : الذي في صوته غنة بضم الفين وتعدد النون المفتوحة .

(٤) اسل : فعل أمر من سلا بمعنى ترك ونسى ، الغواني : جم غائبة وهي الحسان التي غنيت بجمالها عن غيره . وعدن يسكون الدال : جنة عدن .

ولما أشرف على الإحالة على المعاش ببلوغ الستين ، كتب إلى المرحوم حسين رشدي باشا ، وكان يومئذ رئيساً للوزارة ، يسأله أن يمدّ في أجل خدمته ، في مفاكحة غاية في الظرف والرقّة :

صَاحِبَ الدَّوْلَةِ يَا شَيْخَ الْوِزَارَةِ حَاجَتِي إِنْ شِئْتَ تُقْضَى بِإِشَارَةٍ
نَالَهَا قَبْلِي أُلُوفٌ لَمْ أَكُنْ دُونَهُمْ عِلْمًا وَلَا أَذْنَى إِدَارَةٍ
نَاهَزَ السِّتِينَ عُمْرِي إِنَّمَا لَمْ أَزَلْ جَمَّ الْقُوَى جَمَّ الْجِدَارَةِ^(١)
وَإِذَا لَمْ يَشْكُ مِثْلِي عِلَّةٌ هَلْ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنْ يُلْزَمَ دَارَةٌ
إِنْ تَرَكِي خِدْمَةَ الْأَوْطَانِ مَعَ طُولِ مَا مَارَسْتُ فِي الدُّنْيَا خَسَارَةً
وَحَيَاتِي كُلُّهَا قَضَيْتُهَا تَارَةً فِي الْمَدْلِ وَالتَّعْلِيمِ تَارَةً^(٢)

وقال يتحسّر على ضياع علمه بموته :

أَتَقْضَى مَعِيَ إِنْ حَانَ حَيَّتِي تَجَارِبِي وَمَا نِلْتُهَا إِلَّا بِطُولِ عَنَاءٍ^(٣)
وَأَبْذُلُ جُهْدِي فِي اكْتِسَابِ مَعَارِفٍ وَيَفَنِي الَّذِي حَصَلَتْهُ بِفَنَائِي^(٤)
وَيَحْزُنِي أَلَّا أَرَى لِي حِيلَةً لِإِعْطَائِهَا مَنْ يَسْتَحِقُّ عَطَائِي^(٥)
إِذَا وَرَثَ الْجُهَالُ أَبْنَاءَهُ غَنِيً وَجَاهًا ، فَمَا أَشَقَى بَنِي الْعُلَمَاءِ^(٦)

(١) ناهز : قارب ، والجم بتشديد الميم : الكثير . والجدارة : الأهلية والاستحقاق .

(٢) وإن كانت نشأة الشاعر الأولى في الأزهر ، ثم في دار العلوم فقد ولي القضاء في المحاكم الأهلية مدة ليست بالقصيرة .

(٣) تقضى : تموت وتفتي . وحان حيتي : جاء أجلي . والتجارب : ما يستفيد المرء من خبرة في ممارسته لشؤون الحياة ، مفردتها تجربة . والعناء : الجهد والمشقة .

(٤) حصلته : جهته :

(٥) العطاء : ما يجوز به المرء على غيره . ويريد أن ما حصله من العلم لا يستطيع أن يهبه لمن لا يستحقه كما يوهب المال مثلاً .

(٦) الجاه : علو المنزلة ، ورفعة القدر .

١٥ - ولي الدين يكن^(١)

وَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

يُرِيدُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا هَنَاءَ وَيَأْبَى أَنْ يَجُودَ بِهِ الزَّمَانُ
حَيَاةَ حَارِبَتِهِمْ مُنْذُ كَانَتْ وَحَظُّهُ حَارِبُوهُ مُنْذُ كَانُوا
وَأَمَانُ تَغَرُّهُمْ عِجَافٌ وَأَخْذَاتُ تَكْذِبِهَا سِمَانٌ^(٢)
وَكَمْ مِنْ مُسْتَنْبِلٍ لَيْسَ يُعْطَى وَكَمْ مِنْ مُسْتَعِينٍ لَا يُعَانُ^(٣)
تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ فَلَا يَرَاعُ تَوْفِيهَا الشَّكَاةُ وَلَا لِسَانٌ^(٤)
أَمَانًا أَيُّهَا الْخَضَمُ الْمُعَادِي إِذَا دَانَ الْعِدَا وَجَبَ الْإِمَانُ
إِنْ رَغِبُوا إِلَيْكَ رَغِبْتَ عَنْهُمْ لَقَدْ هَانَتْ رَغَائِبُهُمْ وَهَانُوا
يُمْنَى النَّاسُ بَعْضَهُمْ بِخَيْرٍ أَلَا كَذَبُوا عَلَى بَعْضٍ وَمَانُوا
وَدَاعٍ جَاءَ يَدْعُونِي لِنُصِيحٍ وَقَدْ وَهَنَ النَّهْيُ وَوَهَى الْبَنَانُ^(٥)

(١) ولي الدين بن حسن سري بن إبراهيم باشا يكن ، ولد بالآستانة وجاء القاهرة طفلاً وتعلم بها ومال إلى الأدب واشتهر به ، ثم سافر إلى الآستانة وعين في مجلس معارفها ، ثم نفاه السلطان عبد الحميد إلى ولاية سيوارس ، وبعد إعلان الدستور العثماني عاد إلى مصر وأخذ ينشر كتبه ومقالاته ، وله شعر رقيق وكتابة جيدة ، مات سنة ١٣٣٩ هـ

(٢) عِجَافٌ : جمع عَجْفَاءٍ هزيلة ضامرة . وسِمَانٌ : جمع سَمِينَةٍ

(٣) مُسْتَنْبِلٌ : طالب نوالاً أى عطاء . مُسْتَعِينٌ : طالب عوناً .

(٤) اليراع : الأقلام ، المفرد يراعة .

(٥) مانوا : من المين بسكون الياء وهو السكذب .

(٦) وهن : ضعف . النهي : جمع نهية بضم النون وسكون الهاء . وهى : ضعف . البيان :

الطراف الأصابع جمع بنانة .

تَعِبْتُ مِنَ الْكَلَامِ فَلَيْسَ يُجِدِي - كَمَا أَمَلْتُ - نَظْمٌ أَوْ بَيَانٌ
وَكُنْتُ صَبُوءٌ وَتَزَعْتُ عَنْهَا فَهَآنَا لَا أَدِينُ وَلَا أُدَانُ^(١)
وَمَا أَسْنِي عَلَى عَهْدٍ تَقْضَى وَلَكِنْ صُنْتُ عَهْدًا لَا يُصَانُ
ظَلَمْتُ أَمِينَهُ دَهْرًا طَوِيلًا وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي لَا أَخَانُ

وَدَارَ لَا يَزُولُ الْقَتْلُ عَنْهَا كَأَنَّ الْحَرْبَ فِيهَا مِهْرَجَانُ
أَهَابَ بِهَا الْبِرَاعُ فَلَمْ تَجِبْهُ وَنَادَاهَا جَاوَبَتِ السَّنَانُ^(٢)
تَظَلُّ بِهَا السَّوَاعِدُ عَامِلَاتُ يُصَرِّفُهَا ضِرَابٌ أَوْ طَعَانُ
بَكَتْ عَيْنِي الشَّبَابَ وَحِينَ جَفَّتْ مَدَامِعُهَا عَدَا يَبْكِي الْجَنَانُ^(٣)
لَعَمْرِكَ مَا لَدِي نُصِيجُ مَكَانُ وَلَا لِلنُّصِيجِ فِي الدُّنْيَا مَكَانُ
فَدَعْنِي إِنْ آمَالِي اسْتَكَفَّتْ فَلِي شَانٌ وَلِلْآمَالِ شَانُ^(٤)

معارضته قصيدة الحصرى

« يَا لَيْلُ الصَّبِّ مَتَى غَدُهُ »

الْحُسْنُ مَكَانُكَ مَعْبَدُهُ وَاللَّحْظُ فُؤَادِي مَعْمَدُهُ^(٥)
يَا سَيِّدَتِي هَذَا حُرِّي لَمْ يُعْرِفْ قَبْلَكَ سَيِّدُهُ

(١) صَبُوءٌ : من صبا بمعنى مال وأحب
(٢) السنان : نصل الرمح .
(٣) الجنان بفتح الجيم : القلب .
(٤) استكفت : انقطعت وانتهت .
(٥) معمده : مكان غمده شبه اللحظ بالسيف ، والفؤاد بالغمدة الذى يحتويه .

اللَّيْلُ وَطَيْفُكَ يَمُرُّهُ إِنْ كَانَ فُؤَادُكَ يَجِدُهُ
 كَمْ يُوحِي طَرْفُكَ لِي غَزَلاً وَأَنَا فِي شِعْرِي أَنْشِدُهُ
 وَتُسَاجِلُنِي الْأَطْيَارُ هَوًى فِي الدَّوْحِ أَيْتُ أَرَدُّهُ (١)
 لِلصُّبْحِ سَنَاوُكَ أَيْضُهُ لِلَّيْلِ غَرَابِي أَسْوَدُهُ
 أَحْبَبْتُ قَلَاكَ فَطَلَقَهُ عِنْدِي عَذْبٌ وَمُقَيَّدُهُ (٢)
 إِنْ ضَلَّ حَنَانُكَ عَنْ قَلْبِي فَأَنَا بِوُلُوعِي أَرْشُدُهُ
 قَدْ بَاتَ دَلَالُكَ يَخْذُلُهُ وَجَمَالُكَ كَانَ يُؤَيِّدُهُ
 زِيدِي تَيْهَا أَزْدَدَ كَلَفَا كَفَى إِنْ رَثَّ أَجَدُّهُ (٣)
 (شَوْقِي) إِنْ بَنَتْ يُضَاعِفُهُ (صَبْرِي) إِنْ جُرْتُ يُوَكِّدُهُ (٤)
 خِلَانِ مُهْمَا شَمْسَا فَلَاكَ طَرْفِي مَعَ طَرْفِكَ يَرْصُدُهُ (٥)
 فَصَلِّي بِاللَّهِ وَلَوْ حُلُمَا (مُضْنَاكَ جَفَاءَ مَرَقَدُهُ)
 وَعَدِيهِ الْيَوْمَ وَلَوْ كَذِبَا الصَّبُّ يُعَاطِلُهُ غَدُهُ (٦)

(١) تساجله : تباريه ، والدوح : الشجر ، واحدته دوحة يسكون الواو .

(٢) قلاك : هجرك .

(٣) كلفاً : ولوعاً وشوقاً ، يقول : كلما زدت تيهاً ودلالاً أزداد بك هياماً وحباً ، رث : تقادم وبلى

(٤) شوقي : من الشوق ، وهو المعنى الظاهر من السياق . والمراد الحقيقي بلفظه المرحوم شوقي بك أمير الشعراء في العصر الحديث ، بنت : بعدت ، صبرى : من الصبر ، وهو المعنى الظاهر ، والمراد بلفظه المرحوم (إسماعيل باشا صبرى) الشاعر المعروف . جرت : ظلمت ، والجور هنا يراد به الهجر وادعاء النفساني .

(٥) يقول إن «شوقي» و«صبرى» الشاعرين صديقان هما كشمسي فلان يرصدهما طرفي وطرفك لإعلاء إلى سطوع شهرتهما في الشعر وتعلقه بهما .

(٦) يعاطله : يسوقه ويباعده .

١٦ - إسماعيل صبرى باشا^(١)

قال :

إِنْ سَمِئْتَ الْحَيَاةَ فَارْجِعْ إِلَى الْأَرْضِ
 تِلْكَ أُمُّ أَخْنَى عَلَيْكَ مِنَ الْأُمِّ
 لَا تَخَفْ ؛ فَالْمَمَاتِ لَيْسَ بِمَجَاحٍ
 كُلُّ مَيِّتٍ بَاقٍ ، وَإِنْ خَالَفَ الْعُمْدُ
 وَحَيَاةُ الْمَرْءِ اغْتَرَابٌ فَإِنْ مَا
 ضِ تَنْمَ آمِنًا مِنَ الْأَوْصَابِ^(٢)
 مُمُّ الَّتِي خَلَفَتْكَ لِلْأَتْعَابِ^(٣)
 مِنْكَ إِلَّا مَا تَشْتَكِي مِنْ عَذَابٍ
 وَإِنْ مَا نَصَّ فِي غُضُونِ الْكِتَابِ^(٤)
 تَ فَقَدْ عَادَ سَالِمًا لِلْثَّرَابِ^(٥)

وقال يناجى الدواة :

يَا دَوَاةُ اجْعَلِي مَدَادَكَ وَزْدًا
 وَلَيْكُنْ كَالزَّمَانِ حَالًا وَحَالًا
 لَوْ فُودِ الْأَقْلَامُ حِينًا فَحِينًا^(٦)
 تَارَةً آسِنًا وَأُخْرَى مَعِينًا^(٧)

(١) ولد لإسماعيل صبرى باشا سنة ١٨٥٤ م . وتعلم بالمبتديان والتجهيزية والإدارة ، ثم أرسل إلى فرنسا ، فدرس الحقوق هناك وشغل في مصر مناصب القضاء ، وجعل يترقى فيها إلى أن صار وكيل الحفانية ؛ وقد شغف بالأدب لذاته ، وكان لرقعة طبعه وظهوره على الأدب الفرنسى أثر في رقة شعره وحسن ابتكاره وجمال نقده ، له أسلوب عذب وحسن بصيرة وجمال فني ؛ مات سنة ١٩٢٣ م .

(٢) الأوصاب : جمع وصب بفتحين ، المرض والوجع الدائم . ورجوعه إلى الأرض . لأنه خالق من ترابها .

(٣) أخنى : أعطف وأرفق ، والأم الأولى : الأرض . والثانية : الأم الحقيقية ذات الولد . والأتعاب

جمع ، تعب .

(٤) في غضون الكتاب : في أثنائه . هذا البيت بمثابة التذليل على البيت الذى قبله ، فإنه قرر في ذلك البيت أن الموت لا يعجو من الإنسان شيئاً ، اللهم إلا آلامه وأوجاعه . وفي هذا البيت يقول : إن كل ميت هو في الواقع حي ، وإن كان الموت معروفاً بأنه عدم الحياة ، وذلك كشأن العنوان إذا خالف في الواقع ما نص عليه في صلب الكتاب .

(٥) هذا البيت جار مجرى البيت الذى قبله ، وهو من أغر الشعر وأروع .

(٦) الورد بكسر الواو : الماء الذى يورد .

(٧) الآسن : الراكد المتغير . والمعين بفتح الميم : الماء الجارى . يطلب إلى المداد أن تكون حاله كحال الزمان فى سعيه ونحسه ، وفى صفوه وكدره .

أَكْرَمِي الْعِلْمَ وَأَمْنَجِي خَادِمِيهِ مَاكَ الْغَالِي النَّفِيسَ الشَّيْنَا
وَابْذُلِي الصَّافِيَ الْمُطَهَّرَ مِنْهُ لِهُدَاةِ السَّرَائِرِ الْمُرْشِدِينَ
وَإِذَا الظُّلُمُ وَالظَّلَامُ اسْتَعَانَا يَوْمَ نَحْسِ بَاجْهَلِ الْجَاهِلِينَ
وَاسْتَمَدَّا مِنَ الشُّرُورِ مَدَادًا فَاجْعَلِيهِ مِنْ قِسْمَةِ الظَّالِمِينَ
وَإِذَا مُهْجَةُ الْحَمَائِمِ أَسَدَتْ نُقْطَةً سِرَّهَا الزَّكِيُّ الْمُصُونَا^(١)
فَاجْعَلِيهَا عَلَى الْمَوَدَّاتِ وَقَفًا وَهَبِيهَا رَسَائِلَ الشَّيْقِينَا^(٢)
فَإِذَا لَمْ يَكُنْ بِقَلْبِكَ إِلَّا مَا أَعَدَّ الْإِخْلَاصُ لِلْمُخْلِصِينَ
فَاجْعَلِيهِ حَظِّي لَا كُتُبَ مِنْهُ شَرَحَ حَالِي لِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ^(٣)

وقال رحمه الله :

يَا مَوْتَ خُذْ مَا أَبْقَيْتُ إِلَّا أَيَّامُ وَالسَّاعَاتِ مِنِّي
يَبْنِي وَيَبْنِيكَ خَطْوَةٌ إِنَّ تَخْطُهَا فَرَجَتْ عَنِّي

وقال :

وَلَمَّا التَّقِينَا قَرَّبَ الشُّوقُ جُهْدَهُ شَجِيئِينَ فَاضًا لَوْعَةً وَعِتَابًا^(١)
كَأَنَّ صَدِيقًا فِي خِلَالِ صَدِيقِهِ تَسَرَّبَ أَثْنَاءَ الْعِنَاقِ وَغَابَا

(١) المهجة : دم القلب . والحمام : جمع حمامة . وأسدت هنا بمعنى استودعت . وذلك لأن الحمام معروف بالوداعة واللاطف وطهر القلب .

(٢) المودات بفتح الميم والواو وتشديد الدال : جمع مودة . الشيقين : المشتاقين .

(٣) حظي : نصيبي .

(٤) شجيين : حزينين من شدة الشوق . مثني شجى (بتشديد الياء) . اللوعة : حرقه الوجد .

وقال في ساعة التوديع :

أَتَرَى أَنْتَ خَاذِلِي سَاعَةَ التَّوَدُّعِ
وَيْكَ ؛ قُلْ لِي ، مَتَى أَرَاكَ يَجْنِبِي
لَسْتُ بَعْضَ الْحَدَاةِ بَلْ أَنْتَ بَعْضِي
سَاعَةَ الْبَيْنِ قِطْعَةٌ أَنْتِ قُدَّتْ
لَا تُخَيِّنِي ! رُوحِي الْفَدَاءَ لِمَا حَيَا
دِيحِ يَا قَلْبُ فِي غَدٍ أَمْ نَصِيرِي ؟
رَاضِيًا عَنْ مَكَانِكَ الْمَهْجُورِ ؟
قِفْ قَلِيلًا ؛ فَلَسْتُ بِالْمَاجُورِ ^(١)
لِلْمُحِبِّينَ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ^(٢)
كَ غَدَا مِنْ صَحِيفَةِ الْمَقْدُورِ ^(٣)

وقال يتغزل :

أَبْشِكِ مَا بِي فَإِنْ تَرَحَّمِي
وَأَشْكُو النَّوَى مَا أَمَرَ النَّوَى
وَأَخْشَى عَلَيْكَ هُبُوبَ النَّسِيمِ
وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ بَرَهَةٍ
رَحِمْتَ أَخَا لَوْعَةٍ مَاتَ حُبًّا ^(٤)
عَلَى هَائِمٍ إِنْ دَعَا الشَّوْقُ لَبًّا ^(٥)
وَلِنْ هُوَ مِنْ جَانِبِ الرَّوْضِ هَبًّا
مِنْ الْعُمُرِ لَمْ تَلْقِنِي فِيكَ صَبًّا ^(٦)

- (١) الحداة بضم الحاء : جمع حاد ، الذي يسوق الإبل ويعنى لها . يريد من قلبه أن يثبت في مكانه الذي هجره ليسير في ركاب الأحبة ويعنيهم ، وذلك كناية عن دوام خفقانه . وهو من المبالغات البديعة .
(٢) البين : البعد والفراق . وقدت قطعت .
(٣) حان الشيء يحين : قرب وقته . يقول : لا تقتربي يا ساعة الفراق ، رُوحِي فداء لمن يحوكم غداً من الزمن .
(٤) اللوعة : حرقه الحزن والهوى . وأخوها : صاحبها .
(٥) النوى : البعد والفرقة . والهائم : العاشق .
(٦) البرهة : بضم الباء وفتحها القطعة من الزمن . وهو يريد بها هنا القطعة القصيرة . الصب : العاشق الشديد العشق .

تَمَالَى نُجَدُّ زَمَانَ الْهَنَاءِ وَتَنَهَبَ لِيَالِيَهُ الْغُرَّ نَهَبًا^(١)
تَمَالَى أَذَقَ بِكَ طَعْمَ السَّلَامِ وَحَسَنِي وَحَسْبُكَ مَا كَانَ حَرْبًا^(٢)

وقال يتغزل :

يَا رَاحَةَ الْقَلْبِ يَا شُغْلَ الْفُؤَادِ صَلِي مُتَمِيمًا أَنْتِ فِي الْحَالَيْنِ دُنْيَاهُ^(٣)
زِينِي النَّدَى وَسِيلِي فِي جَوَانِبِهِ لُطْفًا يَمُّ رَعَايَا اللَّطْفِ رِيَّاهُ^(٤)
رِيْحَانَةُ أَنْتِ فِي صَحْرَاءِ مُجْدِبَةٍ مِنَ الرِّيَاحِينَ حَيَّانَا بِهَا لُلهُ
إِنْ غَابَ سَاقِي الْطَّلَا أَوْ صَدَّ، لَا حَرْجُ هَذَا جَمَالُكَ يُغْنِينَا مُحْيَاهُ^(٥)

وقال متغزلاً :

أَقْصِرْ فُؤَادِي فَمَا الَّذِي كَرَى بِنَافِعَةٍ وَلَا بِشَافِعَةٍ فِي رَدِّ مَا كَانَا^(٦)
سَلَا الْفُؤَادُ الَّذِي شَاطَرْتَهُ زَمَنًا حَمَلَ الصَّبَابَةَ فَأَخْفَقَ وَخَذَكَ الْآنَا^(٧)

(١) الفر : جمع غراء بتشديد الراء : يريد الحسان .

(٢) السلام : ضد الحرب . ويريد بالسلام القرب والتواصل ، وبالحرب البعد والتنافر . وهذا شبيه

بقول العباس بن الأحنف

تعالى نجدد دارس العهد بيننا كلانا على طول الجفاء ملوم

(٣) المتيم ، الذي استئذله الحب . وفي الحالين ، أى في حال الوصل والهجر .

(٤) الندى ، بتشديد الياء . النادى . والريا بفتح الراء وتشديد الياء : الريح الطيبة الزكية .

(٥) الطلا بكسر الطاء : المحر . والحيا يضم الميم وتشديد الياء المفتوحة : الوجه .

(٦) أقصر : كف وأقلم

(٧) سلا : هجر ونسى . يريد بالفؤاد فؤاد التي كانت تبادله الحب . والصباغة بفتح الصاد : العشق .

هَلَّا أَخَذْتَ لِهَذَا الْيَوْمِ أَهْبَتَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْبِحَ الْأَشْوَاقُ أَشْجَانًا^(١)
لَهْفِي عَلَيْكَ قَضَيْتُ الْعُمَرَ مُقْتَحِمًا فِي الْوَصْلِ نَارًا وَفِي الْهَجْرَانِ نِيرَانًا^(٢)

ومن قوله في التَّصَوُّفِ :

يَا رَبِّ : أَيْنَ تُرَى تُقَامُ جَهَنَّمُ لِلظَّالِمِينَ غَدًا وَلِلْفُجَّارِ ؟
لَمْ يُبْقِ عَفْوُكَ فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ شِبْرًا خَالِيًا لِلنَّارِ
يَا رَبِّ : أَهْلَنِي لِفَضْلِكَ وَاكْفِنِي شَطَطَ الْعُقُولِ وَفِتْنَةَ الْأَفْكَارِ
وَمُرِ الْوُجُودَ يَشْفُ عَنْكَ لِكَيْ أَرَى غَضَبَ اللَّطِيفِ وَرَحْمَةَ الْجَبَّارِ^(٣)
يَا عَالِمَ الْأَسْرَارِ حَسْبِيَ مَحْنَةٌ عِلْمِي بِأَنَّكَ عَالِمُ الْأَسْرَارِ^(٤)
أَخْلَقَ بِرَحْمَتِكَ الَّتِي تَسْمَعُ الْوَرَى أَلَّا تَضِيقَ بِأَعْظَمِ الْأَوْزَارِ^(٥)

وقال يرثي « عمر » ابن المرحوم الشيخ علي يوسف وقد مات صغيراً :

يَا مَالِي الْعَيْنِ نُورًا وَالْفُؤَادَ هَوًى وَالْبَيْتَ أَنْسَا ، تَمَهَّلْ يَهَا الْقَمَرُ^(٦)
لَا تُخَلْ أَفْقَكَ ، يَخْلُفُكَ الظَّلَامُ بِهِ وَالزَّمْ مَكَانَكَ ، لَا يَحُلُّ بِهَ الْكَدَرُ^(٧)

(١) الأهبة بضم الهمزة وسكون الهاء : العدة . تقول : اتخذت للأمر أهبتة أي هيأت له أسبابه .
والأشجان : الموم والأحزان ، وأحدها شجن ، يقول : هلا حسبت حساب هذا اليوم يوم القطيعة
والهجران ، فأعددت له عدته قبل أن تندفع في تيار العشق ، فلا ينقلب ما كنت تجده من الشوق
هموماً وأحزاناً بما تعاني من القطيعة .

(٢) اقتحم النار : أي رمى بنفسه فيها ، وهجم عليها .

(٣) شف الشيء : يشف من باب ضرب : رق فظهر ما وراءه . اللطيف : المراد به هنا الذات
الإلهية وكذلك الجبار .

(٤) المحنة : البلية والمصيبة ، يقول : يكفيني مصيبة علمي بأنك تعلم السر وما يخفى ، لأنك مطلع
على آتائي وأوزاري .

(٥) أخلق به أن يفعل كذا : أي ما أحقه بفعله ؛ الأوزار : جمع وزر بكسر الواو وهو الإثم .

(٦) الهوى : الحب .

(٧) يخلفك : يحل محلك ، ولا يحل : لا يحل ، وقد فك الإدغام لضرورة الشعر .

فِي الْحَيِّ قَلْبَانِ بَاتَا ، يَا نَعِيمَهُمَا ،
 وَأَعْيُنٌ أَرْبَعٌ تَبْكِي عَلَيْكَ أَسَى
 وَمِنْ بُكَاءِ الشَّكَاكِ : السَّيْلُ وَالْمَطَرُ^(١)
 يَرْوَحُ فِيهِ وَيَغْدُو نَفْحُهَا الْعَطَرُ^(٢)
 إِلَّا كَمَا عَاشَ فِي أَكْثَامِهِ الزَّهَرُ^(٣)
 فَاَرْحَلْ تُشِيعُكَ الْأَرْوَاحُ جَارِعَةً
 فِي ذِمَّةِ اللَّهِ بَعْدَ الْقَبْرِ يَا عُمَرُ^(٤)

وله يحمس المصريين على لسان فرعون :

لَا الْقَوْمُ قَوِيٌّ وَلَا الْأَعْوَانُ أَعْوَانِي
 وَلَسْتُ إِنْ لَمْ تُؤَيِّدْنِي فَرَاعِنَةً
 إِذَا وَنَى يَوْمَ تَحْصِيلِ الْعَلَا وَانِي^(٥)
 مِنْكُمْ بِفِرْعَوْنَ حَالِي الْعَرْشِ وَالشَّانِ^(٦)

لَا تَقْرَبُوا النَّيْلَ إِنْ لَمْ تَعْمَلُوا عَمَلًا فَمَا وَهُ الْعَذْبُ لَمْ يُخْلَقْ لِكَسَلَانِ

- (١) الحى : منازل القوم ، ويريد به بيت أبيه ، والقلبان : قلب والده وقلب والدته . وبانعيمهما : أى فى حال حياة ولدهما ؛ وقضيت : مت ، وتستمر : تلتهم .
- (٢) الأعين الأربع : عينا أبيه ، وعينا أمه . والأسى : الحزن . والشكالى : جمع ثاكل وهو الذى يفقد ولده . والمعنى أن أعين والديك تبكى من الحزن لفقدك ، ودموع الفاقدين أولادهم تشبه السيل والمطر فى تدفقه وانهماره .
- (٣) كان ريحانة واحدة ، لأنه لم يكن لوالديه غيره . النفخ : الرائحة . والعطر بفتح العين وكسر الطاء الطيب الرائحة .
- (٤) مختصراً أى قصيراً ، والأكمام : جمع كم بكسر الكاف ، وهو الغلاف الذى يحيط بالزهرة ، وهو لا يلبث أن يفشق ، فتخرج الزهرة ، ويضرب بالزهر المثل فى قصر العمر .
- (٥) تشيعك : تودعك ، وجازعة : شديدة الحزن .
- (٦) الأعوان : جمع عون وهو النصير ، وونى : فتر وضعف ، وتحصيل العلا : نيل محامد الأمور .
- (٧) العائن : الأمر ، والمراد الذى عظم أمره ، وسمت منزلته .

وقال في مسامحة الصديق :

إِذَا خَانَنِي خِلٌّ قَدِيمٌ وَعَقْنِي وَفَوَّقْتُ يَوْمًا فِي مَقَاتِلِهِ سَهْمِي^(١)
تَعَرَّضَ طَيْفُ الْوُدِّ يَبْنِي وَيَبْنِي فَكَسَّرَ سَهْمِي فَأَنْثَنَيْتُ وَلَمْ أَرْمِ

١٧ — الشيخ محمد عبد المطلب^(٢)

قال في احتفال الأمة المصرية بعيد النيروز سنة ١٩١٩ م ، يفخر بمصر

ويعدد ما أثرها من قصيدة طويلة :

لَنَا ذِرْوَةُ الْمَجْدِ الَّذِي تَحْتَ ظِلِّهِ تَنَاسَلَتِ الْأَحْقَابُ وَاعْتَمَلَ الدَّهْرُ^(٣)
لَنَا آيَةُ الْأَهْرَامِ يَتَلَوُّ قَدِيمَهَا حَدِيثُ اللَّيَالِي فَهِيَ فِي فَمِهَا ذِكْرُ
مَلَأْنَا بِهَا لَوْحَ الْوُجُودِ مَنَاقِبًا إِذَا مَا خَلَا عَصْرُ تَلَاهُ بِهَا عَصْرُ^(٤)
وَلِلْعَلَمِ مِنْ آثَارِنَا فِي جِبَالِنَا عَلَى الدَّهْرِ آيَاتُ بِهَا يَنْطِقُ الصَّخْرُ

(١) عقه : عصاه ولم يرب به ، وفوق السهم بتشديد الواو المفتوحة : جعل الوتر في فوقه عند الرمي والفوق بضم الفاء : هو رأس السهم ، يريد أنه إذا عصاه ولم يرب به سدد إلى مقاتله السهم ، كناية عن إيذائه والكيده له .

(٢) هو محمد بن عبد المطلب بن واصل ، ولد ببلدة « باصونة » إحدى قرى مديرية جرجا ، وأبواه عربيان ينتميان إلى أسرة تتصل بعشيرة من عشائر جهينة التي هي إحدى بطون قضاة ؛ تعلم في الأزهر ، وتخرج في دار العلوم ، وقد كان مدرسا للعلوم العربية بها كان واسع الاطلاع على المحفوظ من قصائد العرب المطولة ، شديد العصبية لسلف هذه الأمة وقوادها وعلمائها وشعرائها ، شديد الغيرة على العربية والإسلام ، وتميز شعره بجزالة الألفاظ ، ومتانة التراكيب ، وقوة القافية . وقد تغنى في شعره بأعلام البادية ومعالمها حتى لقب بالشاعر البدوي . على أن شعره قد حوى موضوعات عصرية شتى كوصف الحرب الكبرى وحديث السياسة المصرية وغيرها . ومات سنة ١٩٣١ م . عن ستين عاما . وله ديوان مطبوع .

(٣) اعتمل الدهر : اضطرب .

(٤) مناقب : جمع منقبة أى مفعرة .

وَلِلْمَلِكِ مِنَّا كُلُّ أَرْوَعٍ نُظِّمَتْ
وَمِنَّا الَّذِي سَاقَ الْأَسَاطِيلَ شُرَعًا
لَنَا كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ مَدَنِيَّةٍ
لَنَا فِي الْوَرَى حَقُّ الْمَعْلَمِ لَوْ رَعَوْا
إِذَا اعْتَزَّ قَوْمٌ بِالْحَدِيدِ سَمَتْ بِنَا
بَنِينَا عَلَى آدَابِ عَيْسَى وَأَحْمَدٍ
كَلَانَا عَلَى دِينٍ بِهِ هُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَا يَحْسَبَنَّ النَّاسُ أَنَّا تَزَلْزَلْتُ
عَلَى تَاجِهِ الْأَفْلَاحُ وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ^(١)
عَلَى الْبَحْرِ يَسْتَحْيِي لِصَوْنِهَا الْبَحْرُ^(٢)
بِهَا تَعْمُرُ الْأَمْصَارُ وَالْبِلَادُ الْقَفَرُ^(٣)
لَنَا ذِمَّةٌ وَالْدَّهْرُ شِيَمَتُهُ الْغَدْرُ
مَكَارِمُ فِي طَيِّ الزَّمَانِ لَهَا نَشْرُ^(٤)
مَنَازِلَ عِزٍّ دُونَهَا يَقَعُ النَّشْرُ^(٥)
وَلَكِنَّ خِذْلَانِ الْبِلَادِ هُوَ الْكُفْرُ
بِنَا قَدَمٌ أَوْ مَسٌّ وَخَدَتْنَا الضَّرُّ

وقال من قصيدة له في المعلم :

بَنِي مِصْرَ مَا بَالُ الْمَعْلَمِ كَاسِفًا
سَبِيلُ النَّبِيِّينَ الْكَرَامِ سَبِيلُهُ
سَلُّوا عَنْهُ جُنْحَ اللَّيْلِ كَمْ بَاتَ مُتَعَبًا
سَلُّوا عَنْهُ عَيْنًا قَرَّحَ الشَّهْدُ جَفْنَهَا
يُرَى النَّاسُ فِيهَا يَكْبُرُونَ وَيَصْغُرُ^(٦)
يَعْمُ بِهِ الدُّنْيَا صَبَاحًا فَتَقْمُرُ^(٧)
تَنَامُ حَوَالِيَهُ النُّجُومُ وَيَسْهَرُ^(٨)
يَخُطُّ عَلَيْهَا فِي الظَّلَامِ وَيَسْطُرُ

(١) الأروع : السيد الشهم .

(٢) شرعاً : ضاربات بأشرعتها في الجو . الصولة : البطش .

(٣) البلد القفر : الحال من النبات .

(٤) يريد أن لنا تاريخاً مجيداً مطويًا في السنين الحالية تنشر أخباره على الأيام وهو مبعث العزة فينا

كما يعتز غيرنا بالاختراعات الحديثة . (٥) النسر : طائر جارح لا يقع إلا على القمم العالية .

(٦) كاسفاً : حزينا .

(٧) النبيين : جمع نبي . هموز نبي . فتقمر : يريد فتضيء .

(٨) جنح الليل : ظلامه . تنام النجوم : يريد تقيب .

سَلُّوا عَنْهُ جَسَماً بَاتَ بِالسُّقْمِ نَاحِلَا
سَلُّوا عَنْهُ أَسْفَارًا قَضَى اللَّيْلَ بَيْنَهَا
سَلُّوا عَنْهُ قَلْبًا بَاتَ يَخْفِقُ رَحْمَةً
فَإِنْ مَدَّ لِلدُّنْيَا يَدًا يَسْتَمِدُّهَا
فِيَا وَيْحَهُ كَمْ يَشْتَكِي فِي حَيَاتِهِ
وَلَمْ تَحْيَ إِلَّا بِالْمُعَلِّمِ أُمَّةٌ
فَإِنْ لَمْ يَطْبُ بِالْعَيْشِ نَفْسًا وَلَمْ يَكُنْ
رَأَيْتَ شَبَابًا يُطْفِئُ الْجَهْلُ نُورَهُ
فَلَا الْبُرْءَ مَا مُولَ وَلَا هُوَ يُعْذَرُ
غَرِيبًا عَنِ الدُّنْيَا وَأَهْلُوهُ حُضْرُ^(١)
عَلَى فِتْيَةٍ مِنْ حَوْلِهِ تَتَضَوَّرُ^(٢)
لَهُمْ ، عَنْهُ وَلَّتْ وَهَى غَضْبَى تَشْزُرُ^(٣)
وَكَمْ يَتَلَقَّى مِنْ بَلَاءٍ فَيَصْبِرُ
وَلَا سَادَ إِلَّا بِالْمُعَلِّمِ مَعْشَرُ
لَهُ بَيْنَ أَهْلِيهِ الْمَقَامُ الْمَوْقَرُ
وَنَشْتًا إِذَا هَمُّوا إِلَى الْمَجْدِ قَصَّروا^(٤)

١٨ - حافظ إبراهيم^(٥)

قال يصف الشمس :

لَا حَ مِنْهَا حَاجِبٌ لِلنَّاطِرِينَ
وَحَتَّ آتِهَا آتِهُ
فَنَسُوا بِاللَّيْلِ وَضَاحَ الْجَبِينِ^(٦)
وَتَبَدَّتْ فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ

(١) أسفاراً : كتباً ، جمع سفر بكسر السين . حضر : جمع حاضر .

(٢) تتضوَّر : تتلوى من الجوع .

(٣) يستمدُّها : يطلب منها المدد أى المعونة . تشزُر بحذف إحدى التاءين : تنظر إليه بغضب وازدراء .

(٤) النَّش : جمع ناشئ وهو الصغير .

(٥) هو المرحوم حافظ بك إبراهيم ، ولد حوالى سنة ١٨٧٢ م . وتعلم فى المدرسة الحربية ، ثم تخرج ملازماً وسافر إلى السودان ، ثم أُحيل إلى المعاش ، ثم عين رئيساً للقسم الأدبى بدار الكتب ، وتوفى سنة ١٩٣٢ م . وكان شاعراً جيد الأسلوب ، قوى اللفظ ، موثقاً فى الاجتماعيات ، ملهماً للشعور الوطنى بما يفشى من قصائده السياسية .

(٦) وضاح الجبين : القمر .

نَظَرَ إِبْرَاهِيمُ فِيهَا نَظْرَةً فَأَرَى الشَّكَّ وَمَا ضَلَّ الْيَقِينُ ^(١)
 قَالَ : ذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَتَ قَالَ : (إِنِّي لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ) ^(٢)
 وَدَعَا الْقَوْمَ إِلَى خَالِقِهَا وَأَتَى الْقَوْمَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ^(٣)
 رَبِّ إِنَّ النَّاسَ ضَلُّوا وَغَوَوْا وَرَأَوْا فِي الشَّمْسِ رَأْيَ الْخَاسِرِينَ
 خَشَعَتْ أَبْصَارُهُمْ لَمَّا بَدَتْ وَإِلَى الْأَذْقَانِ خَرُّوا سَاجِدِينَ
 نَظَرُوا آيَاتِهَا مُبْصِرَةً فَمَعَصَوْا فِيهَا كَلَامَ الْمُرْسَلِينَ
 نَظَرُوا بَدَرَ الدُّجَى مِرَاتِهَا تَتَجَلَّى فِيهِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ .
 ثُمَّ قَالُوا : كَيْفَ لَا نَعْبُدُهَا هَلْ لَهَا فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ قَرِينٌ ؟
 هِيَ أُمُّ الْأَرْضِ فِي نِسْبَتِهَا هِيَ أُمُّ الْكَوْنِ وَالْكَوْنُ جَنِينٌ ^(٤)
 هِيَ أُمُّ النَّارِ وَالنُّورِ مَعًا هِيَ أُمُّ الرِّيحِ وَالْمَاءِ الْمَعِينِ ^(٥)
 هِيَ طَلَعُ الرُّوضِ نَوْرًا وَجَنَى هِيَ نَشْرُ الْوَرْدِ ، طِيبُ الْيَاسْمِينِ ^(٦)
 هِيَ مَوْتُ وَحَيَاةٌ لِلوَرَى وَضَلَالٌ وَهُدًى لِلْغَابِرِينَ
 صَدَقُوا لِكِنَّهُمْ مَا عَلِمُوا أَنَّهَا خَلَقُ سَيِّئِلَى السَّنِينِ

(١) إبراهيم : لغة في إبراهيم ، وهو نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام ؛ ويشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى في القرآن في سورة الأنعام عن إبراهيم عليه السلام ؛ قال تعالى : « فلما رأى الشمس بازغة الآية : وقوله : « فأرى الشك » ملح ؛ أى أظهر لقومه أنه شاك في الإله لى يهديهم إليه وهو متيقن وجوده .
 (٢) أفلت : غابت .
 (٣) السلطان : الحجة .
 (٤) يشير بقوله : « هِيَ أُمُّ الْأَرْضِ » ، إلى ما يقال من أن الأرض كانت جزءا من الشمس ثم انفصلت عنها وبرد ظاهرها بتطاؤل الزمن .
 (٥) المعين : النافع من العيون .
 (٦) يريد « بالطلع » : ما يبدو من الثمرة في أول ظهورها . ونور النبات بفتح النون : زهره .
 والجنى : ما يجنى من الشجر . ونشر الورد : رائحته المنتشرة منه .

أَ إِلَهٌ لَمْ يُنَزَّ ذَاتَهُ عَنْ كُفُوفٍ ، بِئْسَ زَعَمُ الْجَاهِلِينَ
إِنَّمَا الشَّمْسُ وَمَا فِي آيَاهَا مِنْ مَعَانٍ لَمَعَتْ لِلْعَارِفِينَ
حِكْمَةً بِالْفَةِ قَدْ مَثَلَتْ قُدْرَةَ اللَّهِ لِقَوْمٍ غَافِلِينَ

وقال على لسان اللغة العربية تنمى حظها بين أهلها :

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَاحْتَسَبْتُ حَيَاتِي (١)
رَمَوْنِي بِعَقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي عَقُمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي (٢)
وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِرَأْسِي وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ
فَيَا وَيْحَكُمْ أَبَلَى وَتَبَلَى مُحَاسِنِي فَيَا وَيْحَكُمْ أَلَمْ تَكُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي
وَمَا صَنَعْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعَظَاتِي (٤) وَتَنَسَّقُ أَتْمَاءَ لِمُخْتَلَعَاتِ
فَهَلْ سَاءَلُوا الْغَوَاصَ عَنْ صَدَفَاتِي وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاتِي (٥)
أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي (٦)

(١) رجعت لنفسي : أى تأملت . والخصاء : الرأى والعقل . واحتسبت حياتي : عددتها عند الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية لى عدت لى نفسى وفكرت فيما آل إليه أمرى ، فأسأت الظن بقدرتى ، وكنت أصدق ما رمونى به من القصور ، وناديت الناطقين بى أن ينصرونى فلم أجدهم سميماً ، فادخرت حياتى عند الله .

(٢) العداة : الأعداء . يقول : اتهمونى بأنى لا ألد على حين أنى فى ريعان شبابى . وليتنى كنت كما قالوا فلا يحزننى قولهم . ويكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجودها .

(٣) يريد « بالعراس » الألفاظ المجلوة الحسنة . ووأد البنت : دفعها حية .

(٤) الآى : جمع آية .

(٥) الأساة : جمع الآسى : وهو الطيب .

(٦) تكلونى : تتركونى . وتحين : تحل .

أَرَى لِرَجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتٍ^(١)
 أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجِزَاتِ تَفَنُّنًا فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
 أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ يُنَادِي بِأَدَى فِي رَيْعِ حَيَاتِي^(٢)
 وَلَوْ تَزْجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَالَمُهُمْ بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتٍ^(٣)
 سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا يَعْزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَايَ^(٤)
 حَفَظْنَ وَدَادِي فِي الْبَلَى وَحَفَظْتُهُ لَهْنٌ بِقَلْبٍ دَائِمِ الْحَسَرَاتِ
 وَفَاخَرَتْ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطَرِّقٌ حَيَاءً بِتِلْكَ الْأَعْظَمِ النَّخِرَاتِ^(٥)
 أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجُرَائِدِ مَزْلَقًا مِنْ الْقَبْرِ يُدْنِي بِنِي بِغَيْرِ أُنَاةٍ^(٦)
 وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مَصْرٍ ضَجَّةً فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّاحِحِينَ نُعَايَ^(٧)
 أَيَهْجُرُنِي قَوْمِي - عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ - إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُؤَاةٍ^(٨)
 سَرَتْ لَوْثَةُ الْأَفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتٍ^(٩)

- (١) يقال : هو في منعة ، أي في قوم يمنعونه ويحمونه .
 (٢) الناعب : الصوت بما هو مستكره . وريع الحياة : أيام الشباب والقوة .
 (٣) زجر الطير : هو أن ترمى الطائر بحصاة أو تصيح به ، فإن ولاك في طيرانه ميامنه تفاعلت به خيراً ، وإن ولاك مياسره تطايرت منه . والعثرة : السقوط . والشتات : التفرق . يقول : لو استنبأتم الغيب بزجر الطير ، كما كان يفعل العرب ، لعلمتم مايجر دفتي هليكم من السقوط والانحلال .
 (٤) القنائة : الرمح . ولينها : كناية عن الضعف . ويريد « بالأعظم » من دفن في الجزيرة من العرب الأولين .
 (٥) النخيرات : البالية المتفتنة .
 (٦) المزلق : مكان الانزلاق ، أي السقوط والزلال . والأناة : التأني والإبطاء . ويريد وصف لغة الجرائد إذ ذاك بالضعف .
 (٧) النعاة : جمع ناع ، وهو المخبر بالموت .
 (٨) لم تتصل برواة . أي لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التي تحفظها من الغير كما هو الشأن في العربية . ويشير إلى تلك اللغة المرقعة التي كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة ؛ وكان ذلك في سنة ١٩٠٣ .
 (٩) اللوثة بالضم : عدم الإبانة . ولعاب الأفاعي : سمها . والفرات : الماء العذب .

جَاءَتْ كَثُوبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً مُشَكَّلَةً الْأَلْوَانِ مُخْتَلَفَاتِ
إِلَى مَعْشَرِ الْكِتَابِ وَالْجَمْعِ حَافِلٌ بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شِكَايِ^(١)
فَإِمَّا حَيَاةٌ تَبْعَثُ الْمَيِّتَ فِي لَبْلَى وَتُنْبِتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي^(٢)
وَإِمَّا مَمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ مَمَاتٌ لِعَمْرَى لَمْ يُقَسَّ بِمَمَاتِ

ومن قصيدة له دعاها « غادة اليابان » ضمَّنها غرامه بغادة يابانية ؛ وأشاد
بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب بينها وبين روسيا :

لَا تَلُمُ كَفِّي إِذَا السَّيْفُ نَبَا صَحَّ مِنِّي الْعَزْمُ وَالْدَّهْرُ أَبِي^(٣)
رُبَّ سَاعٍ مُبْصِرٍ فِي سَعْيِهِ أَخْطَأَ التَّوْفِيقَ فِيمَا طَلَبَا
مَرْحَبًا بِالْخُطْبِ يَبْلُونِي إِذَا كَانَتِ الْعُلْيَاءُ فِيهِ السَّبَبَا^(٤)
عَقَّنِي الدَّهْرُ وَلَوْلَا أَنَّنِي أَوْثَرُ الْحُسْنَى عَقَقْتُ الْأَدْبَا^(٥)
إِيهِ يَا دُنْيَا عَدِسِي أَوْ فَابِسِمِي لَا أَرَى بَرَقَكَ إِلَّا خُلْبَا^(٦)
أَنَا لَوْلَا أَنْ لِي مِنْ أُمَّتِي خَاذِلًا مَا بَتُّ أَشْكُو النُّوبَا
أُمَّةٌ قَدْ فَتَّ فِي سَاعِدِهَا بَغْضُهَا الْأَهْلَ وَحُبُّهَا الْغُرَبَا^(٧)

(١) الشكاة : الشكوى .

(٢) تبعث الميت : تحييه . والرموس : القبور ، الواحد رمس . والرفات : كل ما تسكس ويلى ، يريد ما بقى من الجسد بعد الموت .

(٣) نبا السيف : كل وارتد . (٤) يبلوني : يختبرني .

(٥) عقه : ترك الإحسان إليه ولم يبر به . يقول إن الدهر لم ينصفني ، والجاني على هو أدبي ، ولولا أنني أوتر الإحسان لهجرت الأدب الذي كان سبباً في شقائي .

(٦) البرق الخلب : الذي يطعم الناس في مطره ويخلفهم .

(٧) فت في ساعدها : عبارة يكتن بها عن الإضعاف وإيهان القوى .

تَعَشَّقُ الْأَلْقَابَ فِي غَيْرِ الْعَلَا وَتُقَدِّى بِالنُّفُوسِ الرُّتَبَا
وَهِيَ وَالْأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا تَعَشَّقُ اللَّهُوَّ وَتَهْوَى الطَّرَبَا^(١)
لَا تُبَالِي لَعِبِ الْقَوْمِ بِهَا أَمْ بِهَا صَرَفُ اللَّيَالِي لَعِبَا^(٢)
لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً ذَاتَ شَجْوٍ وَحَدِيثًا عَجَبَا^(٣)
كُنْتُ أَهْوَى فِي زَمَانِي غَادَةً وَهَبَ اللَّهُ لَهَا مَا وَهَبَا^(٤)
ذَاتَ وَجْهِ مَزَجَ الْحُسْنُ بِهِ صُفْرَةً تُنْسِي الْيَهُودَ الذَّهَبَا
حَمَلْتُ لِي ذَاتَ يَوْمٍ نَبَا لَا رَعَاكَ اللَّهُ يَا ذَاكَ النَّبَا
وَأَتَتْ تَخْطِرُ وَاللَّيْلُ فَتَى وَهَلَالُ الْأُفُقِ فِي الْأُفُقِ حَبَا^(٥)
ثُمَّ قَالَتْ لِي بِشَعْرِ بِاسِمٍ نَظَمَ الدَّرَّ بِهِ وَالْحَبِيبَا^(٦)
نَبِّئُونِي بِرَحِيلٍ عَاجِلٍ لَا أَرَى لِي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا^(٧)
وَدَعَانِي مَوْطِنِي أَنْ أُغْتَدِي عَانِي أَقْضَى لَهُ مَا وَجَبَا^(٨)
نَذْبَحُ الدُّبَّ وَنَفْرَى جِلْدَهُ أَيَّظُنُّ الدُّبَّ إِلَّا يُغْلَبَا^(٩)

- (١) والأحداث تستهدفها : أى أن حوادث الدهر تجعلها هدفاً لها ترميه .
(٢) يريد « بالقوم » : الإنجليز . وصروف الليالي : غيرها ونوائبها ، أى أنها لا تعبأ بحوادث الزمان تصيبها من المحتلين أو من الدهر .
(٣) يقال شجاء شجواً ، إذا هيج أحزانه وشوقه .
(٤) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .
(٥) والليل فتى : أى فى أوله . وشبه الهلال فى أول طلوعه بالطفل الذى يحبو فى مهده .
(٦) الحبيب : الفقايع التى تعلو سطح الماء ، شبه بها الأسنان فى بياضها .
(٧) المنقلب : العودة والرجوع .
(٨) أغتدى : أى أبادر مبكرة للدفاع عنه .
(٩) الدب : رمز تعرف به روسيا ، كما تعرف انجلترا بالأسد ، واليابان بالثنين ، وألمانيا بالنسر .
ونفري : نشق ويشير بهذا البيت إلى الحرب التى نشبت بين اليابان وروسيا فى ليلة ٩ فبراير سنة ١٩٠٤ م . وانتهت بالصلح فى يوم ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥ م .

قلتُ وَالْأَلَامُ تَفَرَّى مُهْجَتِي وَيَاكَ ، مَا تَصْنَعُ فِي الْحَرْبِ الظُّبَا^(١)
 مَا عَهْدُنَاهَا لِظُنِّي مَسْرَحًا يَتَغَيَّ مَلْهُى بِهِ أَوْ مَلْعَبًا
 لَيْسَتْ الْحَرْبُ نُفُوسًا تُشْتَرَى بِالتَّمَنَّى أَوْ عُقُولًا تُسْتَبَى^(٢)
 أَحْسِبْتُ الْقَدَّ مِنْ عُدَّتِهَا أَمْ ظَنَنْتُ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشَّبَا^(٣)
 فَسَلِّبْنِي ، إِنِّي مَارِسْتُهَا وَرَكِبْتُ الْهَوَلَ فِيهَا مَرْكَبًا^(٤)
 وَتَقَحَّمتُ الرَّدَى فِي غَارَةٍ أَسْدَلَ النَّقْعُ عَلَيْهَا هَيْدَبًا^(٥)
 قَطَّبْتُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطْبًا^(٦)
 جَالَ عِزْرَائِيهِ لِي فِي أَنْحَائِهَا تَحْتَ ذَاكَ النَّقْعِ يَمْشِي الْهَيْدَبِي^(٧)
 فَدَعَيْهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا وَأَزَمِي يَا ظَبِيَّةَ الْبَانِ الْخَبَا^(٨)
 فَأَجَابَتْنِي بِصَوْتٍ رَاعِي وَأَرْتَنِي الظُّبَى لَيْثًا أَغْلَبَا^(٩)
 إِنْ قَوْمِي اسْتَعَذَبُوا وَرَدَ الرَّدَى كَيْفَ تَدْعُونِي إِلَّا أَشْرَبَا ؟

- (١) الظبا : الأطباء . وقصر لضرورة الشعر .
 (٢) تستبي : تؤسر بالحرب .
 (٣) القد : القامة . والشبا : جمع شباة ، وهي حد السنان .
 (٤) مارسها : أى اشتركت فيها .
 (٥) تقحمت الردى : رميت بنفسى فى غمرته . والنقع : الغبار . والهيدب : السحاب المتدلى من أسافله . وإثارة الغبار وكثرته وارتفاعه فى الحرب ، كناية عن شدتها وكثرة الكر والفر فيها .
 (٦) التقطيب : العبوس . والضمير فى (قطب) للغارة .
 (٧) الهيدبى (بالهمزة والمهملة) : نوع من المشى فيه جد . ويشير بهذا البيت إلى كثرة ما تخطفه عزرائيل فى هذه الحرب .
 (٨) البان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، تألفه الأطباء . والخبأ (بالقصر) : الخباء (بالمد) وقصر لضرورة الشعر . وهو فى الأصل : البيت من وبر أو صوف ، ويريد به البيت عامة .
 (٩) راعى : أفزعنى ، والأغلب من السباع : الغليظ الرقبة وهى علامة القوة . يقول لأنها غضبت من تنقصه لها وأنها لا تصلح للحرب فأجابته بصوت أفزعه لشدته وقسوته واستحالت من ظي وادع إلى أسد قوى .

أَنَا يَا بَانِيَّةَ لَا أَنْشَى عَنْ مُرَادِي أَوْ أَذُوقَ الْعَطْبَا^(١)
 أَنَا إِنْ لَمْ أَحْسِنِ الرَّمَى وَلَمْ تَسْتَطِعْ كَفَّايَ تَقْلِيبَ الظُّبَا^(٢)
 أَخْذُمُ الْجَرْحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ وَأُوَاسِي فِي الْوَغَى مَنْ نُكِبَا^(٣)
 هُكْذَا (الميكادو) قَدْ عَلَّمَنَا أَنْ نَرَى الْأَوْطَانَ أُمَّا وَأَبَا^(٤)
 مَلِكٌ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا
 وَإِذَا مَارَسَتْهُ الْفَيْتَةُ حَوْلًا فِي كُلِّ أَمْرٍ قُلُبَا^(٥)
 كَانَ وَالتَّاجُ صَغِيرَيْنِ مَعًا وَجَلَّالُ الْمُلْكِ فِي مَهْدِ الصَّبَا
 فَغَدَا هَذَا سَمَاءٌ لِلْعُمَلَا وَغَدَا ذَلِكَ فِيهَا كَوْكَبَا
 بَعَثَ الْأُمَّةَ مِنْ مَرْقَدِهَا وَدَعَاَهَا لِلْعُمَلَا أَنْ تَدَّأَبَا^(٦)
 فَسَمَتْ لِلْمَجْدِ تَبْغَى شَأْوُهُ وَقَضَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَارَبَا^(٧)

(١) العطب : الهلاك .

(٢) الظبا : جمع ظبة (بضم الأول) وهي حد السيف أو السنان .

(٣) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلبة .

(٤) الميكادو : لقب لملك اليابان .

(٥) الحول : الشديد الاحتيال ، لا تؤخذ عليه طريق إلا نفذ في أخرى . والقلب : البصير بتقلب

الأمور .

(٦) تدأب : تجدد في طلبها .

(٧) الشأو : الغاية .

١٩ - شوقي^(١)

قال من قصيدة له يصف فيها دمشق :

آمَنْتُ بِاللَّهِ وَاسْتَشْنَيْتُ جَنَّتَهُ دَمَشْقُ رَوْحٍ وَجَنَّاتُ وَرِيحَانُ
قَالَ الرَّفَاقُ وَقَدْ هَبَّتْ خَمَائِلُهَا الْأَرْضُ دَارُهَا (الفيحاء) بُسْتَانُ^(٢)
جَرَى وَصَفَّقَ يَلْقَانَا بِهَا (بَرْدَى) كَمَا تَلَقَّاكَ دُونَ الْخُلْدِ رِضْوَانُ^(٣)
دَخَلْتُهَا وَحَوَاشِيَهَا زُمُرُودَةٌ وَالشَّمْسُ فَوْقَ الْجُبْنِ الْمَاءِ عَقِيَانُ^(٤)
وَالْحَوْرُ فِي (دُمِّرٍ) أَوْ حَوْلَ (هَامَتِهَا) حُورٌ كَوَاشِفُ عَنْ سَاقٍ وَوَلَدَانُ^(٥)
و (رَبُوءَةٌ) الْوَادِ فِي جَلْبَابٍ رَاقِصَةٍ السَّاقُ كَاسِيَةٌ وَالنَّحْرُ عُرْيَانُ
وَالطَّيْرُ تَصْدَحُ مِنْ خَلْفِ الْعُيُونِ بِهَا وَلِلْعُيُونِ كَمَا لِلطَّيْرِ الْخَنَانُ
وَأَقْبَلْتُ بِالنَّبَاتِ الْأَرْضُ مُخْتَلِفًا أَفْوَاهُهُ فَهُوَ أَصْبَاغُ وَأَلْوَانُ^(٦)

(١) هو أحمد شوقي بك ابن أحمد شوقي بك ولد بالقاهرة ونشأ فيها . على أن أصله ، كما يحدث هو عن نفسه ، عربي تركي يوناني ، جر كسي . وكانت نشأته في كنف بيت الملك ، وقد تقدم في العلم حتى دخل مدرسة الحقوق صغير السن . فلبث فيها سنتين ، ثم أنشأ بها قسم للترجمة فلبث فيه سنتين آخرين وحصل على الإجازة النهائية ، ثم أوفده المرحوم الحديو توفيق على نفقته إلى فرنسا ليدرس الحقوق والآداب فلما عاد ألحقه بمعينه ، فلبث في المعية الحديوية حتى نشبت الحرب العظمى في سنة ١٩١٤ فترك مصر وعاش في أسبانيا ، ثم عاد إلى مصر .

وهو أشهر شعراء هذا العصر ، ومن أطولهم نفساً ، وأكثرهم تصرفاً في فنون الشعر حتى لقد اصطلاح جمهور الأدباء في العالم العربي على تلقيبه « بأمير الشعراء » . توفي إلى رحمة الله في سنة ١٩٣٢ م .

(٢) الفيحاء : دمشق .

(٣) بردى : نهر دمشق .

(٤) اللجين بضم اللام وفتح الجيم : الفضة . والعقيان : الذهب الخالص .

(٥) دمر : ضاحية دمشق . الحور الأولى : شجر عظيم يشبه السرو . والحور الثانية : جمع حوراء .

وهي المرأة في عينها حور ، أى شدة بياضها مع شدة سوادها ، والمراد بالحور : الحسان .

(٦) أفواهه : جمع فوف بالضم ، نوع من الثياب . والمراد هنا الزهر .

وَقَدْ صَفَى (بَرَدَى) لِلرَّيْحِ فَابْتَرَدَتْ
لَدَى سُيُورٍ حَوَاشِيهِمْ أَفْنَانُ^(١)
ثُمَّ انْتَنَتْ لَمْ يَزُلْ عَنْهَا الْبَلَالُ وَلَا
جَفَّتْ مِنَ الْمَاءِ أَذْيَالُ وَأَرْدَانُ^(٢)

وقال يتغزل :

تَأْتِي الدَّلَالُ سَجِيَّةً وَتَصَنُّعًا
وَأَرَاكَ فِي حَالٍ دَلَالِكَ مُبْدَعًا
تَهْ كَيْفَ شِدَّتْ فَمَا الْجَمَالُ بِحَاكِمٍ
حَتَّى يُطَاعَ عَلَى الدَّلَالِ وَيُسْمَعَا
لَكَ أَنْ يُرَوِّعَكَ الْوُشَاةُ مِنَ الْهَوَى
وَعَلَى أَنْ أَهْوَى الْغَزَالُ مُرَوِّعًا
قَالُوا : لَقَدْ سَمِعَ الْغَزَالُ لِمَنْ وَشَى
وَأَقُولُ : مَا سَمِعَ الْغَزَالُ وَلَا وَعَى
أَنَا مَنْ يُحِبُّكَ فِي نِفَارِكَ مُؤَنِّسًا
وَيُحِبُّ تِيهَكَ فِي نِفَارِكَ مُطْمَعًا
قَدِّمْتُ بَيْنَ يَدَيَّ أَيَّامَ الْهَوَى
وَجَعَلْتُهَا أَمَلًا عَلَيْكَ مُضِيْعًا
وَصَدَّقْتُ فِي حُبِّي وَلَسْتُ مُبَالِيَا
أَنْ أُمْنَحَ الدُّنْيَا بِهِ أَوْ أُمْنَعَا

وقال يتغزل أيضا :

رُدَّتْ الرُّوحُ عَلَى الْمُضْنَى مَعَكَ
أَحْسَنُ الْأَيَّامِ يَوْمٌ أَرْجَعَكَ^(٣)
مَرًّا مِنْ بَعْدِكَ مَا رَوَّعَنِي
أَتَرَى يَا حُلُوُّ بُعْدِي رَوَّعَكَ ؟
كَمْ شَكَوْتُ الْبَيْنَ بِاللَّيْلِ إِلَى
مَطْلَعِ الْفَجْرِ عَسَى أَنْ يُطْلِعَكَ
وَبَعَثْتُ الشُّوقَ فِي رِيحِ الصَّبَا
فَشَكَا الْحُرْقَةَ مِمَّا اسْتَوْدَعَكَ

(١) ابتردت : اغتسلت .

(٢) البلال : أى البلال . أردان : جمع ردن بضم الراء (وسكون الدال) وهو السكم .

(٣) ضنى الرجل على وزن علم : مرض فتمكن منه الضعف والهزال .

يَا نَعِيمِي وَعَذَابِي فِي الْهَوَى بِمَذُولِي فِي الْهَوَى مَا جَمَعَكَ ؟
 أَنْتَ رُوحِي ، ظَلَمَ الْوَاشِي الَّذِي زَعَمَ الْقَلْبَ سَلَا أَوْ ضَيَّعَكَ ^(١)
 مَوْقِعِي عِنْدَكَ لَا أَعْلَمُهُ آه لَوْ تَعْلَمُ عِنْدِي مَوْقِعَكَ
 أَرْجَفُوا أَنَّكَ شَالِكٌ مُوجِعٌ لَيْتَ لِي فَوْقَ الضَّنَا مَا أَوْجَعَكَ
 نَامَتِ الْأَعْيُنُ إِلَّا مُقَلَّةً تَسْكُبُ الدَّمْعَ وَتَرْغَى مَضْجَعَكَ

وقال يصف الطبيعة في طريقه إلى الأستانة قادماً من أوربا :

تِلْكَ الطَّبِيعَةُ قَفٌّ بِنَا يَا سَارِي حَتَّى أُرِيكَ بَدِيعَ صُنْعِ الْبَارِي
 الْأَرْضُ حَوْلَكَ وَالسَّمَاءُ اهْتَزَّتَا لِرَوَائِعِ الْآيَاتِ وَالْآثَارِ
 مِنْ كُلِّ نَاطِقَةِ الْجَلَالِ كَأَنَّهَا أُمُّ الْكِتَابِ عَلَى لِسَانِ الْقَارِي ^(٢)
 دَلَّتْ عَلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ فَلَمْ تَدْعُ لِأَدَلَّةِ الْفُقَهَاءِ وَالْأَخْبَارِ ^(٣)
 مِنْ شَكٍّ فِيهِ فَنظَرَةٌ فِي صُنْعِهِ تَمْحُو أَثِيمَ الشَّكِّ وَالْإِنْكَارِ

كُشِفَ الْغَطَاءُ عَلَى الطَّرُولِ وَأَشْرَقَتْ مِنْهُ الطَّبِيعَةُ غَيْرَ ذَاتِ سِتَارٍ
 شَبَّهْتُهَا (بِلَقَيْسَ) فَوْقَ سَرِيرِهَا فِي نَضْرَةٍ وَمَوَاكِبَ وَجَوَارِي

(١) سلا : سلاك أى نسيك .

(٢) أم الكتاب : فاتحته .

(٣) الأخبار : جمع خبر وهو العالم وقيل الصالح من العلماء .

أَوْ (بَابِن دَاوِدَ) وَوَاسِعٍ مُلْكِهِ وَمَعَالِمٍ لِلْعِزِّ فِيهِ كِبَارٌ^(١)
هُوجُ الرِّيحِ خَوَاشِعٌ فِي بَابِهِ وَالطَّيْرُ فِيهِ نَوَاقِسُ الْمُنْقَارِ^(٢)

قَامَتْ عَلَى صَاحِي الْجَنَانِ كَأَنَّهَا رِضْوَانُ يُزْجِي الْخُلْدَ الْأَبْرَارِ^(٣)
كَمْ فِي الْجَنَائِلِ؛ وَهِيَ بَعْضُ إِمَائِهَا مِنْ ذَاتِ خَلْخَالٍ وَذَاتِ سَوَارِ^(٤)
وَحَسِيرَةٍ عَنْهَا الثِّيَابُ وَبَضَّةٌ فِي النَّاعِمَاتِ تَجُرُّ فَضْلَ إِزَارِ^(٥)
وَضُحُوكِ سَنٍّ تَمَلُّ الدُّنْيَا سَنِي وَغَرِيقَةٍ فِي دَمْعِهَا الْمُدْرَارِ
وَوَحِيدَةٍ بِالنَّجْدِ تَشْكُو وَخَشَةَ وَكَبِيرَةٍ الْأَتْرَابِ بِالْأَغْوَارِ^(٦)

وَلَقَدْ تَمَرُّ عَلَى الْغَدِيرِ تَخَالُهُ وَالنَّبْتُ مِرَاةَ زَهَتْ بِإِطَارِ^(٧)
حُلُوِّ التَّسْلُسِ مَوْجُهُ وَخَرِيرُهُ كَأَنَّمِلٍ مَرَّتْ عَلَى أَوْتَارِ
سَدَّتْ سَوَاعِدَ مَائِهِ وَتَأَلَّقَتْ فِيهَا الْجَوَاهِرُ مِنْ حَصَى وَجِمَارِ^(٨)
يَنْسَابُ فِي مُخْضَلَّةٍ مُبْتَلَةٍ مَنَسُوجَةٍ مِنْ سُنْدُسٍ وَنُضَارِ^(٩)

- (١) المعالم : جمع معلم وهو ما يستدل به على الطريق من أثر ونحوه .
(٢) هوج : جمع هوجاء ، والريح الهوجاء التي لا تستوى في هبوبها وتقلع البيوت .
(٣) الصاحي : السكان البارز - يزجي : يسوق ويستحث .
(٤) الإماء : الجواري .
(٥) الإزار : الملحفة وكل ماستر .
(٦) النجد : ما ارتفع من الأرض . الغور : القعر من كل شيء .
(٧) إطار الشيء : كل ما أحاط به والمعنى أن الغدير بما استدار على حافته من الزهر كأنه مرآة لها إطار .
(٨) جمار : جمع جرة وهي الحصى .
(٩) اخضل الشيء : صار نديا بليلا . النضار : الذهب .

زَهْرَاءُ عَوْنِ الْعَاشِقِينَ عَلَى الْهَوَى
قَامَ الْجَلِيدُ بِهَا وَسَالَ كَأَنَّهُ
وَتَرَى السَّمَاءَ ضَحَى وَفِي جُنْحِ الدُّجَى
فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ سَلَكَتَ وَمَذْهَبِ
مُخْتَارَةَ الشَّعْرَاءِ فِي آذَارِ
دَمْعِ الصَّبَابَةِ بَلَّهْ غَضْنَ عَذَارِ
مُنْشَقَّةً عَنْ أَنْهَرٍ وَبِحَارِ^(١)
جَبَلَاتٍ مِنْ صَخَرٍ وَمَاءٍ جَارِ

وقال في وصف الطيارة ، وهذا من أروع الكلام :

نِصْفُهُ طَيْرٌ وَنِصْفُهُ بَشَرٌ
حَمَلَ الْفَوْلَاذُ رِيشًا وَجَرَى
وَجَنَاحٌ غَيْرِ ذِي قَادِمَةٍ
وَذَنَابِي ، كُلُّ رِيحٍ مَسَّهَا
يَتَرَاءَى كَوْكَبًا ذَا ذَنْبٍ
فَإِذَا جَارَ الثُّرَيَّا لِاتَّرى
يَا لَهَا إِحْدَى أَعَاجِبِ الْقَضَاءِ
فِي عَنَانَيْنِ لَهُ : نَارٌ وَمَاءٌ
كَجَنَاحِ النَّحْلِ مَصْنُوعٍ سَوَاءٍ
مَسَّهُ صَاعِقَةٌ مِنْ كَهْرَبَاءٍ
فَإِذَا جَدَّ فَسَهْمًا ذَا مَضَاءٍ
جَرَّ كَالطَّائِفِ ذَيْلَ الْخَيْلِ

ومن قصيدة له دعاها : (الأندلس الجديدة) :

يَا أُخْتَ أُنْدَلُسٍ عَلَيْكِ سَلَامٌ
نَزَلَ الْهَلَالُ عَنِ السَّمَاءِ فَلَيْسَتْهَا
أَزْرَى بِهِ وَأَزَالَهُ عَنْ أَوْجِهِ
قَدَرْتُ يَحُطُّ الْبَدْرُ وَهُوَ تَمَامٌ^(٣)
هَوَتْ الْخِلَافَةُ عَنْكَ وَالْإِسْلَامُ^(٢)
طُوِيَتْ وَعَمَّ الْعَالَمِينَ ظُلَامٌ

(١) الدجى : الظلمة أو سواد الليل .

(٢) يا أخت أندلس : يخاطب مدينة أدرنة وقد كانت من أمهات المدن العثمانية في مقدونية وبها مقابر كثيرين من سلاطين آل عثمان ، جاءت الأنباء بغلبة البلغار عليها في الحرب سنة ١٩١٣ بعد أن أبليت حاميتها في الدفاع عنها بلاء حسناً .

(٣) أزرى به : وضع من شأنه . الأوج : العلو .

جُرْحَانِ تَمْضِي الْأُمْتَانِ عَلَيْهِمَا : هَذَا يَسِيلُ وَذَاكَ لَا يَلْتَأَمُ^(١)
 بِكَمَا أُصِيبَ الْمَسَامُونَ وَفِيَكَمَا دُفِنَ الْيَرَاعُ وَغُيِبَ الصَّمْصَامُ^(٢)
 لَمْ يُطَوِّ مَا تَمُّهَا ، وَهَذَا مَا تَمُّ مَا بَيْنَ مَصْرَعَيْهَا وَمَصْرَعِكَ انْقَضَتْ^(٣)
 خَلَّتِ الْقُرْمُونُ كُلَّيْلَةً وَتَصَرَّمَتْ فِيمَا نُحِبُّ وَنَكْرَهُ الْأَيَّامُ^(٤)
 وَالذَّهْرُ لَا يَأْلُو الْعَمَالِكِ مُنْذِرًا دَوْلُ الْفُتُوحِ كَأَنَّهَا أَحْلَامُ^(٥)
 فَإِذَا غَفَلْنَا فَمَا عَلَيْهِ مَلَامُ^(٦)

مَقْدُونِيَا ، وَالْمَسَامُونَ ، عَشِيرَةٌ كَيْفَ الْخَوُولَةُ فِيكَ وَالْأَعْمَامُ^(١)
 أَتَرَيْنَهُمْ هَانُوا ، وَكَانَ بِمِزْهِمْ وَعُلُوُّهُمْ يَتَخَايَلُ الْإِسْلَامُ^(٢)
 إِذْ أَنْتِ نَابُ اللَّيْثِ ، كُلُّ كَتِيبَةٍ طَلَعَتْ عَلَيْكَ فَرِيسَةٌ وَطَعَامُ^(٣)
 مَا زَالَتْ الْأَيَّامُ حَتَّى بُدِّلَتْ وَتَغَيَّرَ السَّاقِي ، وَحَالَ الْجَامُ^(٤)

- (١) جرحان : أحدهما خروج أدرنة من أيدي المسلمين ، والثاني خروج الأندلس من أيديهم .
 الأمتان هم العرب أيام نكبة الأندلس ، وترك أيام ضياع أدرنة .
 (٢) اليراع : يريد القلم ، والصمصام : السيف .
 (٣) لم يطو ما تمها : أي ما تم الأندلس .
 (٤) خلت : مضت . تصرمت : انقضت .
 (٥) لا يألو : لا يقصر ولا يبطل .
 (٦) مقدونيا : اسم الإقليم الذي تقع فيه أدرنة . العشيرة : قبيلة الرجل . الخوولة : نسبة إلى الحال كالعمومة وهي النسبة إلى العم .
 (٧) يتخايل : يتبغتر .
 (٨) إذ أنت ناب الليث : أي مثل الليث في أنه يخوف لا يمكن الوصول إليه . الكتيبة : الجيش ، وقيل القطعة منه . والمعنى أن الإسلام كان يتخايل بهز أبنائه في مقدونيا حينما كانت ممتنعة على العدو كامتناع الليث على من يريده ، وحينما كانت تفتي دونها جيوش الأعداء .
 (٩) حال : تحول من حال إلى حال . والجام : إناء من فضة تسقى فيه الخمر .

أَرَأَيْتَ كَيْفَ أُدِيلَ مِنْ أَسَدِ الشَّرِّى وَشَهِدْتَ كَيْفَ أُبَيِّحَتِ الْآجَامُ^(١)
 زَعَمُوكَ هَمًّا لِلْخِلَافَةِ نَاصِبًا وَهَلِ الْمَمَالِكُ رَاحَةً وَمَنَامًا^(٢)
 وَيَقُولُ قَوْمٌ : كُنْتُ أَشَامَ مَوْرِدٍ وَأَرَاكَ سَائِفَةً عَلَيْكَ زَحَامُ
 وَيَرَاكَ دَاءَ الْمُلْكِ نَاسُ جَهَالَةٍ بِالْمُلْكِ مِنْهُمْ عِلَّةٌ وَسَقَامُ
 لَوْ آثَرُوا الْإِصْلَاحَ كُنْتَ لَعَرْشِهِمْ رُكْنًا عَلَى هَامِ النُّجُومِ يُقَامُ^(٣)
 وَهُمْ يُقَيِّدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهِ وَقِيُودُ هَذَا الْعَالَمِ الْأَوْهَامُ
 صُورُ الْعَمَى شَتَّى ، وَأَقْبَحُهَا إِذَا نَظَرْتُ بَغَيْرَ عِيُونِنِ الْهَامُ
 وَلَقَدْ يُقَامُ مِنَ السُّيُوفِ ، وَلَيْسَ مِنْ عَثَرَاتِ أَخْلَاقِ الشُّعُوبِ قِيَامُ

ومن روائع حكمه ، وما جرى من شعره مجرى الأمثال . قوله :

وَإِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمُوهُ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا

وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ فَاقْتُمْ عَلَيْهِمْ مَا تَمَّا وَعَوِيلاً

وَمَا السَّلَاحُ لِقَوْمٍ كُلِّ عُدَّتِهِمْ حَتَّى يَكُونُوا مِنَ الْأَخْلَاقِ فِي أَهَبِ

(١) أدبل منها : صارت مغلوقة بعد أن كانت غالبة . والشرى : مكان تكثر فيه الأسود .
 الآجام : جمع أجهم ، وهو الشجر الملتف تألفه الأسود أيضاً .

(٢) الهم الناصب : المتعب .

(٣) لو آثروا الإصلاح : أى لو اختاروه . الهام : جمع هامة ، وهى رأس كل شىء .

عَلَى الْأَخْلَاقِ خُطُّوا الْمَلِكَ وَابْنُوهَا فَلَيْسَ وَرَاءَهَا لِلْعَزِّ رُكْنٌ

وَلَيْسَ بِعَامِرٍ مُبْنِيَانُ قَوْمٍ إِذَا أَخْلَقَهُمْ كَانَتْ خَرَابًا

وَلَا الْمَصَائِبُ إِذْ يُرْمَى الرَّجَالُ بِهَا بِقَاتِلَاتٍ إِذَا الْأَخْلَاقُ لَمْ تُصَبِّ

أَعْلِمْتَ أَشْرَفَ أَوْ أَجَلٍّ مِنَ الَّذِي يَبْنِي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُقُولًا ؟

وَلَيْسَ بِالْفَاضِلِ فِي نَفْسِهِ مَنْ يُنْكِرُ الْفَضْلَ عَلَى رَبِّهِ

مَا أَضْعَبَ الْفِعْلَ لِمَنْ رَامَهُ وَأَسْهَلَ الْقَوْلَ عَلَى مَنْ أَرَادَ

رَبٌّ إِنْ شِئْتَ فَالْفَضَاءُ مَضِيقٌ وَإِذَا شِئْتَ فَالْمَضِيقُ فَضَاءٌ

* وَاسْتَقِيمُوا يَفْتَحِ اللَّهُ لَكُمْ بَابًا فَبَابًا *

وَالْجَهْلُ مَوْتُ فَإِنْ أُوتِيَتْ مُعْجِزَةٌ فَأُبْعَثُ مِنَ الْجَهْلِ أَوْ فَأُبْعَثُ مِنَ الرَّجَمِ

صَلِّحْ أَمْرَكَ لِلْأَخْلَاقِ رَجْعُهُ فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِمِ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ

* الْمَوْتُ بِالزَّهْرِ مِثْلُ الْمَوْتِ بِالْفَحْمِ *

تم بعون الله تعالى طبع هذا الكتاب في يوم السبت ٢٢ ذى الحجة
سنة ١٣٧٣ هـ (الموافق ٢١ أغسطس سنة ١٩٥٤ م) بمطابع
دار الكتاب العربي لصاحبها ومديرها محمد حلمى المنياوى

وزارة المعارف العمومية

المنتخب

من أدب العرب

الجزء الثاني

للسنة الثانية الثانوية

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندري أحمد أمين علي الجارم

عبد العزيز البشري الدكتور أحمد ضيف

١٩٥٣

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي النياوي

فهرس

صفحة

التنوخى :

- قال يصف الليل والنجوم ... ١١
وقال أيضاً في هذا المعنى ... ١١
وقال في وصف رسالة ... ١٣
الدينورى :

- قال يشكو ولده ... ١٢
وقال أيضاً في شكوى الكبير ... ١٣
ابن المنجم :

- قال في الشكوى والتوجع ... ١٣
الضبي :

- قال يصف الليل والسهر ... ١٣
أبو الفضل الميكالى :

- قال في التوجع وشكوى الدهر ... ١٤
وقال في وصف النرجس ... ١٥
الأبيوردى :

- قال في الشكوى ... ١٥
وقال أيضاً يستحث على اقتفاء أثر الآباء
الكرام ... ١٦
الطغرائى :

- قال يصف الغدير ... ١٦
وله في الأعداء والحساد ... ١٧
ومن لاميته للشهورة في الحكم ... ١٨

صفحة

العصر العباسى الثانى

الأدب فى خراسان والعراق

(١) الشعر

الشرىف الرضى :

- ١ قال يتغزل ...
وقال من نسيب قصيدة يمدح بها الملك
بهاء الدين البويهى ... ٢
وقال يمدح الخليفة القادر بالله العباسى
فى أحد مجالسه ... ٣
وقال يفتخر من قصيدة يمدح بها أهل
البيت ... ٤
وقال فى صغره ... ٥

مهيار الديلى :

- ٦ قال فى الفخر بقومه فارس وبالإسلام
وقال من قصيدة فى التشوق ... ٧
وقال من قصيدة فى الحكمة والشكوى
وقال من قصيدة كتب بها إلى صديق له
وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين
أبا الحسن ويهنته بالمهرجان ... ٩

أبو سعد الكاتب :

- ١٠ قال فى الشوق إلى بغداد ...
ابن لنكك :
١١ قال فى الهجاء ...

صفحة	صفحة
٢٥	١٨ وقال يرثي مؤيد الملك وقد مات مقتولا
٢٥ وقال أيضاً في المداولة بين الراحة والتعب	١٩ وقال يرثي زوجته
٢٦ وقال في جواب كتاب	١٩ وقال في أعدائه
٢٦ وقال أيضاً في هذا الغرض	السهروردي :
الناشي الأصغر :	٢٠ قال في الفلسفة والتصوف
٢٦ قال في معاملة الصديق	الرفاعي :
الأبهري :	٢٠ من قوله في العشق الصوفي
٢٧ قال في الحكم	السري الرفاء :
صدر :	٢١ قال يصف مجلسا
٢٧ قال يصف كتيبة	وقال يصف الروض والجو في يوم ظهر
وقال يستهدي مداداً ويصف الدواة	٢٢ فيه قوس قزح
٢٨ والقرطاس والقلم	٢٢ وقال يعاتب صديقاً أفشى له سرّاً
السلامي :	الجرجاني :
٢٩ قال يصف نهراً نبتت عليه أشجار الرمان	٢٣ قال يمدح الوحدة ويندم مخالطة الناس
(ب) النثر	الصائبي :
أولاً - النثر الفني	٢٣ قال يهجو
ابن العميد :	الصاحب بن عباد :
٣٠ من كتاب له في التهديد واللوم	٢٣ قال يندم الثماتة
٣١ وكتب إلى أبي عبد الله الطبري	الخوارزمي :
الصاحب بن عباد :	٢٤ قال يوصي بتخير الأصدقاء
٣٢ رقعة منه إلى القاضي أبي بشر الجرجاني	ابن نباتة السعدي :
وله ؛ فصل من كتاب إلى ابن العميد	٢٤ قال يصف فرساً أدهم
٣٣ جواباً لكتاب إليه في وصف البحر	٢٥ وقال يعزى صمصام الدولة في أبيه

صفحة

- وقال يذكر قيام شبيب العقيلي وكان
 ٥٦ خارجا على كافور
 وقال يوم عرفة وقد خرج من مصر
 ٥٨ فاراً من كافور إلى الكوفة
 وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند
 ٦٠ إزماعه السفر إلى مصر
 وقال في الحكمة
 ٦٣ وقال من قصيدة يمدح بها كافورا ...
 ٦٤ وقال في وصف الحياة والناس ...
 ٦٥ أبو فراس :
 قال في الشكوى والعتاب
 ٦٦ وقال في الحكم
 ٦٧ وقال يشكو حاسديه ويندم فعلهم ...
 وقال في وصف كتاب ورد عليه من
 صديق له
 ٦٧ وقال من قصيدة ينوه فيها بشجاعته ...
 ٦٨ وكتب وهو في أسر الروم إلى سيف
 الدولة
 ٦٩ وقال من قصيدة بعث بها إليه من
 الأسر يعاتبه على تباطئه في فكاه
 ٧١ أبو العلاء المعري :
 قال في الفخر
 ٧٢ وقال يصف ديكا
 ٧٥ وقال في وصف ليلة
 ٧٦ وقال يرثي فقيها حنفيا
 ٧٧ وقال يفتخر
 ٧٨ وقال من قصيدة تتضمن كثيراً من
 خاص آرائه
 ٨٠ وقال يصف الحياة الدنيا
 ٨٢ وقال في هذا المعنى
 ٨٢

صفحة

- الخوارزمي :
 كتب إلى قاضي سجستان حين نكبه
 ٣٤ أميرها
 البديع الهمداني :
 كتب يعتذر من إنابته رسوله عن شخصه
 ٣٧ المقامة القريضية
 ٣٨ ثانياً — النشر العلبي التأليف
 ابن جني :
 ٤٢ قطعة من كتابه الخصائص
 الجرجاني :
 ٤٣ فصل من كتابه دلائل الإعجاز ...
 الحريري :
 ٤٤ فصل من كتابه درة الغواص
 المسعودي :
 ٤٥ قطعة من مقدمة كتابه التنبيه والإشراف
 الماوردي :
 ٤٧ فصل من أدب الوزير
 ابن حمدون :
 فصل من تذكراته في السياسة والآداب
 الملكية
 ٤٨ الأدب في مصر والشام
 (١) الشعر
 المتنبّي :
 ٥٠ قال في صباه من قصيدة
 ٥١ وقال من قصيدة يصف حرباً
 وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة
 وينذكر محاربه للروم
 ٥٣

قال في الحكمة	٨٣	ابن الفارض :
وقال يصف التدين الكاذب	٨٣	قال من قصيدة ٩٢
وقال في انطباع الناس على الشر	٨٣	عمار الينى :
وقال في رأى الناس وخبرهم	٨٤	قال من قصيدة يصف فيها داراً ... ٩٣
كشاجم :		القاضى الفاضل :
قال يشكو الحظ والزمن	٨٤	قال من قصيدة خمرية وصف فيها
وقال يهجو عوادة	٨٤	بلاغته ٩٥
وقال يتغزل	٨٥	ابن فلاح :
أبو الفرج البغواء		قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال ٩٧
قال يصف كتنية وقائدها	٨٥	وقال مرتجل وقد خر السقف عليه
عبد المحسن الصورى		من أثر مطر هائل ٩٨
قال يهجو من ضافه	٨٦	وقال يصف فوارة ٩٩
وقال في وصف جميل يسبح في ماء	٨٦	وقال يصف الشمس وهى غاربة
تميم بن المعز الفاطمى العبيدى :		في النيل ٩٩
قال يصف قوارة في بستان	٨٧	ابن النبيه المصرى :
وقال أيضا في الفخر	٨٧	قال يصف الحياة والموت ٩٩
وقال في الغزل	٨٨	وقال يتغزل ١٠٠
أبو الحسن التهامى :		ابن مطروح :
قال يرثى ابناً له مات صغيراً	٨٨	قال يصف حسناء تسير بليل ... ١٠٠
على بن النعمان :		وقال يتغزل ١٠٠
قال في وصف صديق	٩١	البهاء زهير :
أبو الحسن على بن عبد الرحمن :		قال في الشكوى ١٠١
قال في الهجاء	٩١	وقال في عتاب الحبيب والتشوق إليه ١٠١
الحسن بن الزبيرى الأسوانى :		وقال في التغزل ١٠٢
قال يشتاق إلى نهر بردى بالشام	٩١	وقال يتغنى بأرض الوطن : مصر
		العزيزة ١٠٣

بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي :

قال في الصبابة والتحزن ... ١١٢

وقال في الروض ... ١١٤

الشاب الظريف :

قال من قصيدة في الشكوى والحكمة ١١٤

وقال في الغزل ... ١١٤

وقال في زيارة الحبيب ... ١١٥

وقال في الغزل ... ١١٥

وقال فيما يجد العاشق وما يصنع ... ١١٥

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر ١١٦

وقال في الغزل ... ١١٦

سراج الدين الوراق المصري :

قال في شكر الله على نعمائه ... ١١٧

وقال في لوم النفس على المعصية ... ١١٧

وقال في الترفع ... ١١٧

وقال في الحنين الى الأحباب ... ١١٨

نصير الدين الحماي المصري :

قال بصف شخصا ... ١١٨

وقال في ذم داره ... ١١٨

عمر بن الوردى :

قال في مدح شهاب الدين فضل الله ١١٩

وكتب إلى القاضي جمال الدين يوسف

معاتباً له ... ١٢٠

صفي الدين الحلبي :

من ملحه ... ١٢١

وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون

عند كسر الخليج ... ١٢١

وقال يهنئ المؤيد بالقدوم إلى الصيد ١٢٣

(ب) النثر

أولاً - النثر الفني :

أبو الفرج الببغاء :

من كتاب يهنئ فيه بولاية عمل ... ١٠٤

ومن كتاب له في التهنئة بعيد ... ١٠٤

من كتاب في التهنئة بمولودة ... ١٠٤

علي بن خلف :

كتب في الدعوة إلى وليمة ... ١٠٥

القاضي الفاضل :

قال يصف مدينة آمد ... ١٠٦

ابن الصيرفي :

فصل له من كتاب بشارة بالسلامة ١٠٧

ابن قادوس :

فصل له من منشور مما كان ينشر على الناس

بوفاء النيل في الدولة الفاطمية ... ١٠٨

ثانياً - النثر العلمي التأليفي

المعري :

من قوله في مقدمة اللزوميات ... ١٠٩

ابن شداد :

فصل من كتابه : النوادر السلطانية

والمحاسن اليوسفية ... ١١٠

عصر المماليك والعثمانيين

(١) الشعر

شمس الدين محمود الكوفي :

قال في رثاء بغداد ... ١١٢

ابن دقيق العيد :

- ١٣٣ قال يتمتع الجمع بين الشباب والمشيبي
١٣٣ وقال في الشكوى ...
١٣٣ وقال في بعض الوزراء ...

بجير الدين بن تميم :

- ١٣٤ قال يصف روضاً ...
١٣٤ قال في وكيل بدار القاضي بدمشق
١٣٤ وقال في روضة ...
وكتب إلى كمال الدين النجار وكيل
بيت المال بدمشق ...
١٣٥ وقال في رثاء صديق له اسمه قطب
الدين ...
١٣٥ وقال في التشوق ...
١٣٥ وقال في الغزل ...
١٣٥ وقال في ليلة سكر ...
١٣٦ وقال يهجو ...
١٣٦ وقال يمدح النرجس ...
١٣٦ وقال في روضة ...

الشهاب الخفاجي البباسي :

- ١٣٧ قال يتغزل ...
السيد عبد الرحيم :

- ١٣٨ قال يصف ضعفه ...
١٣٨ وقال يشكو من الأصدقاء ...
١٣٨ وقال يصف الصداقة الحق ...
١٣٨ وقال في لثيم ابتداء بالتحية ...
١٣٩ وقال في الحكمة ...

محمد بن القاسم الحلبي :

قال يحيب الشهاب الخفاجي على قصيدته

- ١٣٩ التي تقدمت ...

وقال يحرض الأمير نور الدين على ملتي

- ١٢٤ المغول وحرهم ...
١٢٥ وقال في فرس أدهم محجل ...
١٢٥ وقال في وصف عود طرب ...

جمال بن نباتة المصري :

- ١٢٥ قال يرثي ولداً له مات صغيراً ...
وقال يمدح السلطان الأفضل ويعزيه
في والده ...
١٢٩ وقال في بالناصر حسن ...

صفي الدين بن قرناص الحموي :

- ١٢٩ قال يصف روضاً ...
١٣٠ وقال يصف نهراً ...
علي بن محمود المبارك :

- ١٣٠ قال يذم داره سكناه ...

ابن سعيد المغربي :

- ١٣١ قال يصف الجيزة ...

محمد بن سليم المصري :

- كتب إلى سراج الوراق في حمار له
سقط في برقات ...

ابن الجنان :

- ١٣٢ قال يصف روضاً على نهر ...

محمد بن الحسين :

- ١٣٢ قال في نوح الحمام ...

محمد بن الحسن الصائغ العروضي :

- ١٣٣ قال يتشوق وهو بمصر إلى دمشق

صفحة	صفحة
القاضي محي الدين بن عبد الظاهر :	أحمد بن العلقمي :
من كتاب كتبه إلى صاحب اليمن ١٥٢	قال يتمدح ... ١٤٠
الإمام ابن حبيب الحلبي :	عبد الرحمن بن عماد الدين :
من كتاب نسيم الصبا ... ١٥٤	قال في الموت وطلب الرحمة ... ١٤١
شهاب الدين محمود الخفاجي :	الأمير محمد بن منبجك :
المقامة السامانية ... ١٥٦	قال متغزلاً ... ١٤١
ثانياً — النثر العلمي	ابراهيم بن المبلط :
الشيخ كمال الدين الدميري :	قال من قصيدة طويلة في الغزل ... ١٤٢
قطعة من كتابه حياة الحيوان ... ١٦١	نور الدين العسيلي :
ابن خلدون :	قال يصف دولاباً ... ١٤٣
فصل من مقدمته ... ١٦٣	الأستاذ الإمام أبو المواهب البكري :
المقرئزي :	قال يصف يوم مرج ... ١٤٥
من خطبة كتابه المواعظ والاعتبار ١٦٥	الشيخ عبد الله الشبراوي :
شمس الدين محمد النواجي :	قال في السيد عبد القادر نقيب ... ١٦
من كتابه حلبة الكميت ... ١٦٦	الأشراف ... ١٤٦
ابن خلكان :	وقال متشوقاً إلى مصر ... ١٤٧
من كتابه وفيات الأعيان ... ١٦٧	(ب) النثر
الديار بكري :	أولاً — النثر الفني
فصل من كتاب الخميس في أحوال	الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك
أنفس نفيس ... ١٦٨	الصفدي :
الشيخ شهاب الدين الألبشيبي :	قال يصف بستاناً ... ١٤٨
قطعة من كتابه المستطرف ... ١٧٢	القلقشندي :
	من رسالة له عن الملك الناصر برقوق
	إلى صاحب فاس ... ١٥١

العصر العباسي الثاني

الأدب في خراسان والعراق

(١) الشعر

١ - الشريف الرضي^(١)

قال يتغزل :

يا ظبية البان ترعى في خائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك^(٢)
الماء عندك مبدول لشاربه وليس يرؤيك إلا مدمعى الباكي^(٣)
هبت لنا من رياح الغور رائحة^(٤) بعد الرقاد عرفناها برياك^(٥)
ثم انثنينا إذا ما هزنا طرب^(٦) على الرحال تعلقنا بذكراك
سهم أصاب وراميه بذى سلم^(٧) من بالعراق ، لقد أبعدت مرمك^(٨)

(١) هو الحسن محمد بن الحسين الرضي العلوي نقيب أشرف بغداد وأشعر بني هاشم توفي سنة ٤٠٦ هـ .

(٢) البان : شجر من أشجار البادية تشبه بأغصانه قامات الملاح في الاعتدال واللين .
والخائل : جمع خيلة وهي الأشجار الملتفة الأغصان الناعمة الأوراق .

(٣) المدمع : مجرى الدمع في العين .

(٤) الغور : البلاد المنخفضة عن نجد وجبال الحجاز . وهي المسماة تهامة على ساحل البحر الأحمر . ورائحة : أى ريح ممسية . والريا : الرائحة الطيبة .

(٥) ذو سلم : موضع بالحجاز قرب مكة .

حَكَّتْ لِحَاظُكَ مَا فِي الرَّيِّمِ مِنْ مُلَحٍّ يَوْمَ الْلِقَاءِ ، وَكَانَ الْفَضْلُ لِلْحَاكِي ^(١)
كَأَنَّ طَرَفَكَ يَوْمَ الْجِزْعِ يُخْبِرُنِي ^(٢) بِمَا طَوَى عَنْكَ مِنْ أَسْمَاءٍ قَتْلَاكَ ^(٣)
أَنْتَ النِّعِيمُ لِقَلْبِي وَالْعَذَابُ لَهُ فَمَا أَمَرَكَ فِي قَلْبِي وَأَحْلَاكَ
عِنْدِي رِسَائِلُ شَوْقٍ لَسْتُ أَذْكُرُهَا لَوْلَا الرَّقِيبُ لَقَدْ بَلَّغْتُهَا فَكَ

وَقَالَ مِنْ نَسِيبِ قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا الْمَلِكَ بَهَاءَ الدَّوْلَةِ الْبُؤَيْهِيَّ وَأَنْفَذَهَا إِلَيْهِ وَهُوَ
فِي الْبَصْرَةِ ، وَقَدْ فَتَحَهَا فِي آخِرِ سَنَةِ ٣٩٤ هـ :

أَلْهَاكِ عَنَّا رَبَّةَ الْبُرْقِيعِ مَرَّةً الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعِ ^(٣)
أَنْتِ أَعْنَتِ الشَّيْبَ فِي مَفْرَقِ مَعَ الْإِيَالِ ، فَصَلِّي أَوْ دَعِي ^(٤)
يَا حَاجَةَ الْقَلْبِ أَلَمْ تَرْضَحِي جَنَایَةَ الدَّمْعِ عَلَى مَدْمَعِي ؟
لَوْلَا ضَلَالَاتُ الْهَوَى لَمْ يَكُنْ عِنَانُ قَلْبِي لَكَ بِالْأَطْوَعِ ^(٥)
كَيْفَ طَوَى دَارَكَ ذُو صَبُوءٍ عَمْدِي بِهِ يَطْرَبُ لِلْمَرْبَعِ ^(٦)
كَانَ يَرَى نَاضِرُهُ سُبَّةً أَنْ مَرَّةً بِالْدَارِ وَلَمْ يَدْمَعِ ^(٧)

(١) الرِّيمُ : الظبي الخالص البياض .

(٢) الْجِزْعُ : موضع بالحجاز قرب الطائف .

(٣) أَمْرٌ مِنَ الْعَمْرِ : فَيَكُونُ عَمْرُهُ يَوْمَئِذٍ ٣٤

(٤) الْمَفْرَقُ : وَسَطُ الرَّأْسِ ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يَفْرُقُ عَنْهُ الشَّعْرُ . أَيْ أَنْ حَبِكَ أَهْمَنِي

فَجَعَلَ الشَّيْبَ يَسْرِعُ فِي رَأْسِي فَوْقَ فِعْلِ الْإِيَالِ بِهِ .

(٥) الْعِنَانُ بِالْكَسْرِ : سَيْرُ اللَّجَامِ ، أَيْ : لَوْلَا حَبِي إِيَاكَ لَمْ يَكُنْ قَلْبِي طَوْعًا لَكَ .

(٦) طَوَى دَارَكَ : مَرَّ بِهَا وَحَازَهَا . وَالْمَرْبَعُ الْمَكَانُ الَّذِي يَنْزِلُ بِهِ وَقْتُ الرَّبِيعِ ، وَيُرَادُ

بِهِ هُنَا الدَّارُ مَطْلُوقَةٌ . وَيَطْرَبُ هُنَا : بِمَعْنَى يَحْزَنُ وَيَشْجُو .

(٧) السُّبَّةُ هُنَا : الْعَارُ . وَالْمُرَادُ بِالنَّاضِرِ : الْعَيْنُ .

يا حبيذا منك خيالٌ سرى فدلّه الشوقُ على مضجعي
باتَ يعطيني جنى ظلمه وبِتْ ظمآنٌ ولم أنقع^(١)

وقال يمدح الخليفة القادر بالله العباسي في أحد مجالسه :

لله يوم أطلعتك به العـلا علما يزاولُ بالعيون ويرشق^(٢)
لما سمت بك غرة مرموقة كالشمس تبهرُ بالضياء وتومق^(٣)
وبرزت في بُرد النبيّ ، وللهدي نورٌ على أسرار وجهك مشرق^(٤)
وكان دارك جنة حصباؤها الجادى أو أنماطها الإستبرق^(٥)
في موقف تغضى العيونُ جلالة فيه ويعثرُ بالكلام المنطق^(٦)
والناس : إما راجع متهيّب مما أرى ، أو طالع متشوّق
مالوا إليك محبة ، فتجمعوا ورأوا عليك مهابة ، فتفرّقوا

(١) الظلم : تلالؤ أسنان الثغر ، وجنى الظلم يريد به ريق المحبوبة . ولم أنقع : أى لم أروظمى .

(٢) العلم : الجبل . ويزاول : يطلب .

(٣) الغرة : الوجه : ومرموقة : تتجه الأنظار إليها . وتبهر : تغلب . وتومق : تحب وتعشق

(٤) الأسرار : خطوط الوجه ، واحدها : سرر .

(٥) الحصاء : الحصى . والجادى : الزعفران . والأنماط : جمع نمط ، وهو البساط ، والإستبرق : ثياب حريرية .

(٦) تغضى : تغمض .

وقال يفخر من قصيدة يمدح بها أهل البيت :

لِغَيْرِ الْعُلَا مَنِّي الْقَلَى وَالتَّجَنُّبُ^(١) وَلَوْلَا الْعُلَا مَا كُنْتُ فِي الْحُبِّ أَرْغَبُ^(١)
 إِذَا اللَّهُ لَمْ يَعْذِرْكَ فِيمَا تَرَوُهُ فَمَا النَّاسُ إِلَّا عَاذِلٌ وَمُؤَنَّبُ^(٢)
 مَلَكَتْ بِحِلْمِي فُرْصَةً مَا اسْتَرْقَقَهَا مِنْ الدَّهْرِ مَفْتُولُ الذَّرَاعَيْنِ أُغْلِبُ^(٢)
 فَإِنْ تَكَ سَنَى مَا تَطَاوَلَ بَاعُهَا فَلِي مِنْ وَرَاءِ الْمَجْدِ قَلْبٌ مُذْرَبُ^(٣)
 فَحَسْبِيَ أَنِّي فِي الْأَعَادَى مُبْغِضٌ وَأَنِّي إِلَى غُرِّ الْبُلُوغِ إِلَى مُحِبِّ^(٣)
 وَلِلْحِلْمِ أَوْقَاتٌ ، وَلِلْجَهْلِ مِثْلُهَا وَلَكِنْ أَيَّامِي إِلَى الْحِلْمِ أَقْرَبُ^(٤)
 يَصُولُ عَلَى الْجَاهِلُونَ ، وَأَعْتَلَى وَيُعْجَمُ فِي الْقَاتِلُونَ ، وَأُعْرَبُ^(٥)
 يَرُونَ احْتِمَالِي غُصَّةً ، وَيَزِيدُهُمْ لَوَاعِجَ ضَعْفٍ أَنَّنِي لَسْتُ أَغْضَبُ^(٦)
 وَأَعْرِضُ عَنْ كَأْسِ النَّدِيمِ كَأَنَّمَا وَمِیْضُ غَمَامٍ غَائِرُ الْمَزْنِ خُلْبُ^(٧)
 وَقَوْرٌ ، فَلَا الْأَلْحَانَ تَأْسَرُ عَزَمَتِي وَلَا تَمَكُرُ الصَّهْبَاءُ بِي حِينَ أَشْرَبُ^(٧)
 وَلَا أَعْرِفُ الْفَحْشَاءَ إِلَّا بِوُصْفِهَا وَلَا أَنْطِقُ الْعَوْرَاءَ وَالْقَلْبُ مُغْضَبُ^(٧)

-
- (١) القلى : البغض والكراهة والهجر . أى لولا أننى أحب المعالى لما كان لى رغبة فى أى حب
 (٢) استرققها : يريد نالها وحصل عليها . والأغلب : يريد القوى الذى يغلب خصمه . أى
 أننى أنال بالحلم ما لا يناله القوى الشجاع بقوته وشجاعته .
 (٣) المذرب : المحدد الماضى .
 (٤) الجهل هنا : الجفاء والغلظة والإسراع إلى المعاقبة والانتقام .
 (٥) الجاهلون هنا : الحقى الذين لا عقل لهم ولا رأى . والإعجام ضد الإبانة ، أى أن
 أولئك الجاهلين الحقى يعتقدون على ولكن قدرى يرتفع ، ويقولون عنى كلاما كأنه لسخفه
 معجم غير بين ولكننى أعرب وأبين بقولى الواضح ، وفعلنى الصالح .
 (٦) لواعج : جمع لاعج ، وهو المحرق . أى أن ترى الغضب يزيدهم أضغانا محرقة فى صدورهم
 (٧) الوميض : لمعان البرق . والغمام : السحاب . والمزن الغائر : السحاب الناهب .
 والخلب : الخادع وهو صفة للوميض .

تَحَلَّمَ عَنْ كَرِّ الْقَوَارِصِ شَيْمَتِي كَأَنَّ مُعِيدَ الذَّمِّ بِالْمَدْحِ مُطْنِبٌ^(١)
لِسَانِي حَصَاةً يَقْرَعُ الْجَهْلَ بِالْحِجَا إِذَا نَالَ مِنِّي الْعَاظَةُ الْمُتَوَثِّبُ^(٢)
وَلَسْتُ بِرَاضٍ أَنْ تَمَسَّ عِزِّي فَضَالَاتُ مَا يُعْطَى الزَّمَانُ وَيُسْلَبُ^(٣)
غَرَائِبُ آدَابٍ حَبَانِي بِحِفْظِهَا زَمَانٌ وَصَرَفُ الدَّهْرِ نِعَمُ الْمُؤَدِّبِ^(٤)

وقال في صغره :

سَتَعْلَمُونَ مَا يَكُونُ مِنِّي إِنْ مَدَّ مِنْ ضَبْعِي طَوْلُ سَنِي^(٥)
أَدْعُ الدُّنْيَا ، وَلَمْ تَدْعُنِي يَلْعَبُ بِي عَنَاؤُهَا الْمَعْنَى^(٦)
وَسِعَتْ أَيَّامِي وَلَمْ تَسْغِنِي أَفْضَلُ عَنْهَا ، وَتَضِيقُ عَنِّي^(٧)

(١) تحلم ، أصلها تتحلم ، حذف إحدى التاءين ، والقوارص : الشتائم الشديدة .
والشيمة : السجية والخصلة ، أى أن كريم طبعى يأبى على إلا أن أقابل تكرار ذمى بالحلم ،
حتى كأن مكرر ذمى يطيل فى مدحى .

(٢) الحصاة هنا : العقل والجهل : الحمق . والعاضه : الذى يكذب على المرء فى وجهه .
أى أنى إذا آذانى متوثن على ذمى بالكذب فى وجهى ، لم أقابله بالمثل ، ولم أبسط فيه لسانى ،
بل أحلم عليه ، وأجعل لسانى عقلا يفكر ولا يتكلم

(٣) الفضلات فى الأصل : البقايا . ويريد بها هنا : الملاذ الدنيوية . أى أنها لا تثيننى
عن معالى الأمور ، فلا يحزننى ما أفقد من هذه الملاذ ، ولا يسرنى ما أنال منها .

(٤) صرف الدهر : نوائبه وحوادثه .

(٥) الضبع : العضد . أى إن كبرت سنى ، واشتد عضدى

(٦) المعنى : المرهق الشاق أى أترك الدنيا يلعب بى عناؤها وهى لم تتركى .

(٧) وسعت أيامى : اتسعت لها واستنفدتها . وأفضل . أزيد . أى أن همى تتسع لأيام
حياتى ، حتى تستنفدها ، ثم تزيد عليها ، فالأيام تضيق عن كل ما أريد ، إذ أن همى أبعد مدى منها .

لم أنا مثلُ العاطنِ المُنينِ أَسحبُ بُردىَ ضَرَجٍ وأُفَن^(١)
 ولي مضاءَ قطْ لم يُخَنِّي : ضميرُ قلبي ، وضميرُ جَفَنِي^(٢)
 راض بما يُضوى الفتي وَيُضَي أسسُ آبائي وسوفُ أبني^(٣)
 قد عزَّ أصلي ويعزُّ غُصني غنيتُ بالمجد ولم أستغن

٢ - مَهْيَارُ الدَّيْلَمِي^(٤)

قال في الفخر بقومه فارس وبالإسلام :
 أُعْجِبْتُ بِى بَيْنَ نادى قومها أمُّ سَعْدٍ ، فمضتُ تسألُ بى
 سَرَّها ما علمتُ من خَلْقٍ فأرادتُ علمها ما حسَبى ؟
 لا تَخَالى نَسَباً يَخْفُضُنِي ، أنا من يُرْضِيكَ عندَ النَّسَبِ
 قَوْمى استولوا على الدهرِ قَتَى ، ومَشَوْا فوق رُءُوسِ الحِقَبِ
 عَمَّوْا بِالشَّمْسِ هَامَاتِهِمْ ، وبنوا أَيْمَاتِهِمْ بِالشَّهْبِ
 وأبى كسرى علَا إِيوانُهُ أينَ فى الناسِ أبٌ مثْلُ أبى ؟

(١) العاطن : الجمل المبارك بجانب الماء . والمبين : المقيم ، والكريه الرائحة . والضرع
 الدل والضعف . والآفن : سوء الرأى ، أى لم أقيم فى دارى مثل الجمل المقيم فى المبارك
 الكريه الرائحة ؟ أما آن لى أن أنشط فى طلب المجد ولا أجر ثوب استضعاف وثوب
 رأى غير سديد ؟

(٢) المضاء : النفوذ والإصابة ؛ أى أن قلبي ونظري ثاقبان فى معرفة الأمور .

(٣) يضوى : يجعله نحيفاً هزيل الجسم .

(٤) هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الديلمي ، كان مجوسياً يتكسب بالكتابة فى
 الدواوين ، تخرج على الشريف الرضى فى الشعر حتى كاد يرق قوله عن قوله ، وأسلم على يده
 وتشيع بمذهبه وغلا فى التشيع .

قد قَبَسْتُ المجدُ من خير آبٍ ، وقَبَسْتُ الدِّينَ من خيرِ نَبِيٍّ
وَضَمَمْتُُ الفخرُ من أطرافه : سُودِدَ الفُرْسُ ، ودين العرب

وقال من قصيدة في التشوق :

يا نَسِيمَ الصُّبْحِ مَنْ كَاطَمَةٍ شَدَّ ما هَجَّتْ الجوى والبرحا^(١)
الصبا — إن كان لابد — الصبا إنَّها كانت لقلبي أروحا^(٢)
يا نَدَاماي بسلعٍ ! هل أرى ذلك المَغْبِقِ والمُصْطَبِحا؟^(٣)
فاذكرونا مثل ذكرانا لكم ؛ رَبِّ ذكري قَرَّبْتُ مَنْ نَزَحَا^(٤)
واذكروا صَبَاً إذا غَنَى بكم شَرِبَ الدَّمْعَ وعاف القدحا

وقال من قصيدة في الحكمة والشكوى :

خَلِيلُكَ من صَمَا لَكَ في البِعادِ وجارُكَ من أذَمَّ على الوداد^(٥)
وحظُّكَ من صديقِكَ أن تَرَاهُ عَدُوًّا في هَوَاكَ لمن نَعَادِي
وَرُبَّ أَيْحِ قِصَى العَرَقِ ، فيه سُلُوٌّ عن أخيك من الولاد^(٦)
فلا تَغْرُرْكَ ألسنةُ رطابٍ بطائنهِنَّ أ كِبَادُ صَوَادِي^(٧)

(١) كاطمة : موضع من بلاد العرب بقرب البصرة على ساحل خليج فارس . والبرحا : مقصور البرجاء بالمد ، وهى شدة الألم .

(٢) الصبا : ريح مهبها جهة الشرق . وأروح : أجلب للراحة .

(٣) سلع : جبل بالمدينة . والمغبق : مكان الغبوق ، أى الشرب مساء . والمصطبيح : مكان الاصطباح أى الشرب صباحا .

(٤) نزح : بعد .

(٥) أذم : أعطى عهداً وذمة على الوداد .

(٦) قصى العرق : أى بعيد النسب . والولاد : الولادة .

(٧) رطاب : رطوبة تنطق بالكلام اللين . وصواد : عطشى ، أى ملتهبة من الحقد .

وعش إِمَا قَرِينَ أَخٍ وَفِيٍّ أَمِينِ الْغَيْبِ ، أَوْ عِيشَ الْوَاحِدِ^(١)
فإني بَعْدَ تَجَرُّبِي لِأَمْرِ أَنْسْتُ — وَلَا أُغْشِكُ — بِانْفِرَادِي
تُرِيدُ خَلَائِقُ الْأَيَّامِ مَكْرَأَ لِيَتَفَصَّبَنِي عَلَى خُلُقِي وَعَادِي^(٢)
وَتَغْمِزُنِي الْخُطُوبُ تَظُنُّ أَنِّي أَلِينُ عَلَى عَرَائِكِهَا الشَّدَادِ^(٣)
وَمَا شِهْلَانُ تُشْرِقُ قُنَّتَاهُ بِأَحْمَلٍ لِلنَّوَائِبِ مِنْ فَوَادِي^(٤)
تُغْرِبُ فِي تَقَلُّبِهَا اللَّيَالِي عَلَى بَكْلِ طَارِقَةٍ نَادٍ^(٥)
إِذَا قُلْتُ : أَكْتَفَتْ مِنِّي ، وَكَفَّتْ نَزَتْ بِالْدَّاءِ ثَائِرَةَ الْعَدَادِ^(٦)
رَعَى سَمَنُ الْحَوَادِثِ فِي هُزَالِي كَأَنَّ صَلَاحَهُنَّ عَلَى فَسَادِي
فَيَوْمًا فِي الذَّخِيرَةِ مِنْ صَدِيقِي وَيَوْمًا فِي الذَّخِيرَةِ مِنْ تِلَادِي^(٧)
يَذُمُ النَّوْمَ دُونَ الْحَرَصِ قَوْمٌ وَقُلْتُ لِرَقْدَتِي عَنْهُ : حَمَادٍ^(٨)
وَمَا كَانَ الْغَنَى إِلَّا يَسِيرًا لَوْ أَنَّ الرِّزْقَ يَبْلُغُهُ أَجْتِهَادِي
وَقَالَ مِنْ قَصِيدَةٍ كَتَبَ بِهَا إِلَى صَدِيقٍ لَهُ مِنْ أَوْلَادِ الرُّسَاءِ يَسْتَعِينُهُ عَلَى أَبِيهِ فِي حَاجَةٍ :
إِلَى وَزَرٍ أَحْطُ بِهِ ثِقَالًا مِنْ الْأَمَالِ وَهُوَ لَهَا مَالٌ^(٩)
رَضِينَا — وَالْعُدَاةُ لَهَا غَضَابٌ — سَجَايَا^(١٠) فَيْكَ أَعْطَاكَ الْكَمَالُ^(١١)

- (١) أمين الغيب : أى لا يقول فيك شراً حين يغيب عنك . والوحيد : أى التوحيد والافراد .
(٢) أى تريد خلائق الأيام أن تغلبني على أخلاقي وعاداتي وتسلبني إياها ، وتقهرنى على تغييرها .
(٣) العرائك : جمع عريكة ، وهى الطبيعة .
(٤) شهلان : جبل . والقنة : أعلى الجبل ؛ أى أن جبل شهلان لا يتحمل ما يتحمله قلبه
من النوائب . (٥) أى تأنى بالعرائب . والطارقة : الداهية . والنآد : العظيمة .
(٦) نزت : وثبت . وثائرة العداد ، مهتاجة فى عودتها ورجوعها .
(٧) أى فيوما تفقدنى صديقاً ؛ ويوما تفقدنى مالا .
(٨) حماد : كلمة مبغية على الكسر ، أى حمداً وشكراً ، أى أنه يحمد بعده عن الحرص
وزهده فى الجشع ، وإن كان ذلك يذمه قوم . (٩) ملجأ ومعتصم .
(١٠) سجايا : أخلاق ، جمع سجية . (١١) أى أعطاك الكمال إياها .

إذا اختلف الحدود فظلت يوماً
من النجباء يرضى السلم منهم
نموك^(١) فأشبهه الضرغام^(٢) شبل^(٣)
وكنت ابناً لوالده معيناً
ولمّا لم تحب فيك الأمانى
وآنس^(٨) منك يوم برقت غيثاً
شمايل^(١١) طاب مغرسها فطابت
تعدّهم ، استوى عمّ وخال
نفوساً ليس يابها القتال
وقايس^(٤) اليد اليمنى الشمال
وبعضهم لوالده عيال^(٥)
رحى بك حيث لم تنب^(٦) النصال^(٧)
دموع سحابه أبدأ سجال^(١٠)
كما هبت على الرّوض الشمال^(١٢)

وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن ويهنته بالمهرجان :

هل عند هذا الطلل الساحل
أصمّ ! بل يسمع ! لكنه
وقفت فيه شبحاً مائلاً
ولا ترى أعجب من ناحل
من جلد يُجدى على سائل^(١٣)
من البلى فى شغل شاغل^(١٤)
مرتقداً من شبح مائل :^(١٥)
يشكو ضناً الجسم إلى ناحل^(١٦)

-
- | | |
|---|--------------------------------------|
| (١) رفعوا نسبك إليهم | (٢) الأسد |
| (٣) ابن الأسد : | (٤) ساوتها . |
| (٥) ثقل . | (٦) تتباعد وتتجافى . |
| (٧) السيوف ، جمع نصل . | (٨) أبصر . |
| (٩) لمعت ، يريد : ظهرت صغيراً : | (١٠) فائضة . |
| (١١) أخلاق . | (١٢) الريح التى تهب من ناحية القطب . |
| (١٣) الماحل : الجذب المقفر . | |
| (١٤) البلى : القدم والريثة . | |
| (١٥) مرتقداً : أى طالبا للرفد ، وهو العطاء ، والمراد به هنا إفادته بأخبار أحبته . | |
| (١٦) الناحل : السقيم الهزيل . | |

لَهْفَكَ يَا دَارُ ! وَلَهْفِي عَلَى قَاطِنِكَ الْمُحْتَمِلِ الزَّائِلِ ^(١)
 قَلْبِي لِلْأَحْزَانِ بَعْدَ النَّوَى ، وَأَنْتِ لِّلْسَافِي وَالنَّاسِخِلِ ^(٢)
 مِثْلُكَ فِي السُّقْمِ ، وَلِي فَضْلَةٌ بِالْعَقْلِ ، وَالْبَلْوَى عَلَى الْعَاقِلِ
 يَا أَهْلَ نَعْمَانَ اسْمَعُوا دَعْوَةً إِنَّ أَسْمَعَتِكُمْ مِنْ لَوَى عَاقِلِ ^(٣)
 هَلْ زَوْرَةٌ تُنْتَعِنَا مِنْكُمْ وَهَنًا بِمِعَادِ الْكَرَى الْبَاطِلِ ؟ ^(٤)
 أَمْ هَلْ لِّجَسْمٍ قَاطِنٍ أَنْ يَرَى عَوْدَةَ قَلْبٍ مَعَكُمْ رَاحِلِ

٣ - أَبُو سَعْدِ الْكَاتِبِ ^(٥)

قال في الشوق إلى بغداد :

فَدَى لَكَ يَا بَغْدَادُ كُلُّ مَدِينَةٍ مِنْ الْأَرْضِ حَتَّى خِطَّتِي وَدِيَارِيَا
 فَقَدْ سَرْتُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا وَطَوَّفْتُ خَيْلِي بَيْنَهَا وَرَكَابِيَا
 فَلَمْ أَرْ فِيهَا مِثْلَ بَغْدَادَ مَنْزِلًا وَلَمْ أَرْ فِيهَا مِثْلَ دَجَلَةَ وَادِيَا
 وَلَا مِثْلَ أَهْلِهَا أَرْقَ شِمَانِلًا وَأَعَذِبَ أَلْفَاظًا وَأَحْلَى مَعَانِيَا
 وَكَمْ قَائِلٌ لَوْ كَانَ وَذُكَ صَادِقًا لِبَغْدَادٍ لَمْ تَرْحَلْ . فَكَانَ جَوَابِيَا :
 (يُقِيمُ الرِّجَالُ الْمُسْرُونَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُقْتَرِينَ الْمَرَامِيَا) ^(٦)

(١) القطين : أى من كان مقبلاً . والمحتمل : الذى حمل رحله وانتقل .

(٢) يريد بالسافى والناخل : الريح .

(٣) نعمان : مكان . وكذلك : لوى عاقل .

(٤) الوهن : نحو نصف الليل .

(٥) هو أبو سعد الكاتب على بن محمد أحد كتّاب بني بويه ، توفى سنة ٤١٤ هـ .

(٦) المقتر : المحتاج . والمرامى المطارح البعيدة . وهذا البيت لشاعر قديم .

٤ - ابن لنسك^(١)

قال في الهجاء :

وَعُصْبَةٌ لَمَّا تَوَسَّطْتَهُمْ صَارَتْ عَلَى الْأَرْضِ كَالْخَاتَمِ
كَأَنَّهُمْ مِنْ سُوءِ أَفْهَامِهِمْ لَمْ يَخْرُجُوا بَعْدُ إِلَى الْعَالَمِ
يَضْحَكُ إِبْلِيسُ إِذَا رَأَاهُمْ لِأَنَّهُمْ عَارَوْهُ عَلَى آدَمِ^(٢)

٥ - التنوخي^(٣)

قال يصف الليل والنجوم :

رُبَّ آتِلٍ قَطَعَتْهُ كَصُدُودٍ وَفِرَاقٍ مَا كَانَ فِيهِ وَدَاعُ
مُوحَشٍ كَالثَّقِيلِ تَقْدَى بِهِ الْعَيْنُ ، وَتَأْتِي حَدِيثَهُ الْأَسْمَاعُ
وَكَأَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهُ سُنَنِ لَاحَ يَلِينُهُنَّ ابْتِدَاعُ
وَكَأَنَّ السَّمَاءَ خِيْمَةً وَشَى وَكَأَنَّ الْجُوزَاءَ فِيهَا شِرَاعُ
كَأَنَّ لَيْلًا فَصَيَّرَتْهُ نَهَارًا كُتِبَتْ تَكْبِيتُ الْعَدَا وَرَقَاعُ
وقال أيضاً في هذا المعنى :

وليلة مُشْتَقٍ كَأَنَّ نَجْمَومَهَا قَدْ اغْتَصَبَتْ عَيْنَ الْكَرَى ، وَهِيَ نُومُ
كَأَنَّ عُمُونَ السَّاهِرِينَ لَطُومَهَا إِذَا شَخَصَتْ الْأَنْجَمُ الزُّهْرُ الْأَنْجَمُ
كَأَنَّ سَوَادَ اللَّيْلِ - وَالْفَجْرُ ضَاكُ يُلُوحُ وَيَخْفَى - أَسْوَدُ يَتَبَسَّمُ

(١) هو أبو الحسن محمد الشهير بابن لنسك شاعر البصرة وأجلى أهل زمانه بالقطعات

(٢) راءهم : رآهم .

(٣) هو القاضي التنوخي أبو القاسم علي بن محمد أحد قضاة بني بويه ونديم الوزير المهلب

وقال في وصف رسالة :

وَإِنِّي كَتَابُكَ مَثَلًا وَإِنِّي بِمَقْصُودٍ بَشِيرٍ
وَكُنْهُ الْإِقْبَالَ جَاءَ أَوْ الشِّفَاءَ أَوْ النُّشُورَ
وَكُنْهُ شَرْخٌ ^(١) الشَّبَا بَ وَعِيشُهُ الْغَضُّ الْنَضِيرُ
وَإِنِّي وَعِيرٌ ^(٢) اللَّيْلُ وَالْقَفَّةُ الرِّكَابُ لَا تَسِيرُ
فَأُضَاءَ لِي مِنْ كُلِّ فَجٍّ ^(٣) مِنْهُ فَجْرٌ مُسْتَمِيرُ
وَارْتَدَّ طَرْفُ الدَّهْرِ عَنْ نِيٍّ وَهُوَ مَطْرُوفٌ ^(٤) حَسِيرٌ ^(٥)
وَرَأَيْتُ أَفْلَاكَ السَّرُورِ بِكُلِّ مَا أَهْوَى تَدُورُ
وَفَضَضْتُهُ فَكَانَهُ أَثْوَابٌ وَشَيْءٌ ^(٦) أَوْ حَبِيرٌ ^(٧)
وَكُنْهُ لَيْلٌ يَلُوحُ خُ خَلَالَهُ صُبْحٌ مُنِيرٌ

٦ - الدينوري ^(٨)

قال يشكو ولده :

رَبَّيْتُهُ وَهُوَ فَرَّخٌ لَا نَهْوُضَ لَهُ وَلَا شَكِيرٌ وَلَا رِيشٌ يُوَارِيهِ ^(٩)
حَتَّى إِذَا ارْتَأَشَ ، وَاشْتَدَّتْ قَوَادِمُهُ وَقَدْ رَأَى أَنَّهُ آتَتْ خَوَافِيهِ ^(١٠)
مَدَّ الْجَنَاحَيْنِ مَدًّا ، ثُمَّ هَزَّهُمَا وَطَارَ عَنِّي ، فَقَلَّبَنِي فِيهِ مَا فِيهِ

(١) أول .

(٢) قافلة .

(٣) طريق .

(٤) طرفت العين : أصيبت بشيء ، فهي تدمع .

(٥) كليل .

(٦) نوع من الثياب منقوش .

(٧) ثياب يمنية .

(٨) هو أبو القاسم الدينوري عبد الله بن عبد الرحمن أحد رؤساء الأدباء ورءوس

الكتاب بخراسان . (٩) الشكير : الريش أول ما ينبت ، أو الزغب .

(١٠) ارتأش : تمكن من النهوض . والقوادم : كبار الريش في مقدم الجناح .

والخوافي : صغار الريش ، وهي التي تختفي تحت القوادم .

وقال أيضاً في شكوى الكبير :

عشتُ من الدهر ما كَفَانِي ومراً ما مرَّ من زَمَانِي
وقد حَنَنْتَنِي وَقَوَّسْتَنِي تسعٌ وتسعون وأثنان
وقد سُمْتُ الحَيَاةَ مَمَّا أَلْقَى من الذُّلِّ والهَوَانِ
وَمِنْ أَخٍ كُنْتُ أُرْتَجِيهِ لحادث الدهر قد قَلَانِي ^(١)
وَمِنْ غُلَامٍ إِذَا يُنَادِي تَصَامَمَ النَّذْلُ وهو دَانِي ^(٢)
مُدْمِدُّمٌ لَا أَرَاهُ إِلَّا مُقَطَّبَ الْوَجْهِ مَا رَأَانِي ^(٣)

٧ - ابن المنجم ^(٤)

قال في الشكوى والتوجع :

هو الدهرُ لم تُبدِعْ عَلَيَّ صُرُوفَهُ ولم يَأْتْ شَيْئاً لَمْ أَكُنْ أُنْحِيْلُهُ ^(٥)
وما رَاغَنِي الْمَكْرُوهُ إِذْ هُوَ عَادَتِي لَدَيْهِ ، وَلَسَكُنْ رَاغَ قَلْبِي تَعَجَّلُهُ
تَعَجَّلَ حَتَّى كَادَ آخِرُ فَعْلِهِ يَجِيءُ ، وَلَمَّا يَنْقَطِعْ بَعْدُ أَوَّلُهُ

٨ - الضُّبِّي ^(٦)

قال يصف الليل والسهر :

رُبَّ لَيْلٍ سَهْرَتُهُ مُفَكِّراً فِي امْتِدَادِهِ

-
- (١) قَلَانِي : أَبْغَضَنِي وَكَرِهَنِي .
(٢) تَصَامَمَ : تَصَنَعَ الصَّمَمَ ، أَيْ أَغْلَقَ أُذُنَهُ عَنْ نِدَائِي .
(٣) الدَّمْدَمَةُ : التَّكَلُّمُ فِي غَضَبٍ ، وَمَا رَأَانِي : كَلَّمَارَأَانِي .
(٤) هُوَ أَبُو الْحَسَنِ بْنِ الْمُنْجَمِ مِنَ الْأَدْبَاءِ فِي الدَّوْلَةِ الْبُيُوتِيَّةِ .
(٥) أَبْدَعَ : أَنْشَأَ وَخَلَقَ ، أَيْ لَمْ يَأْتْ بِشَيْءٍ كَانَ مَجْهُولاً . وَصُرُوفُهُ : حَوَادِثُهُ .
(٦) هُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الضُّبِّيُّ أَحَدُ وَزَرَاءِ بَنِي بُيُوتِهِ .

كلما زدت رغيه زادني من سواده
فتبينت انه تائه في رقاده
او تفانت نجومه فبدا في حداده

٩ - أبو الفضل الميكالي^(١)

قال في التوجع وفي شكوى الدهر :

يا دهرُ ما أقساك يا دهرُ لم يحظَ فيكَ بِباطلٍ حرُّ
أما اللثامُ فأنت صاحبهم ولهم عليك العطفُ والنضرُ
يَبْقَى اللثيمُ مَدَى الحياة فلا يرتاعُ منه لحادث صدرُ
تصفو له الدنيا بلا كدرٍ ويُطيعه في عيشه اليسرُ
فراهمُ سهلٌ ، وكوكبهُ سعدٌ ، وغضنُ سروره نضرُ
وعلى الكريم يدٌ يُسلطها منك الجفاء المرُّ والقسرُ
إن نابَ خطبٌ فهو عرضته يفرّيه منه النَّابُ والظفرُ^(٢)
أو يبيعُ معروفًا لديك غدا يُنحى عليه حادثٌ نُكرُ^(٣)
مرعاهُ جذبٌ ، والحظوظُ له حربٌ ، وجانبُ عيشه وعرُ

(١) هو أبو الفضل عبيد الله الميكالي بقية آل الميكال أمراء فارس .

(٢) عرضته : هدفه ، ومرمى ضرباته .

(٣) الحادث النكر : الشديد الذي ينكر لفظاءته .

وجفاهُ شَوْكٌ ، والبُحُورُ لَهُ وَشَلٌّ ، وَحَشَوُ فُؤَادِهِ جَمْرٌ^(١)
 يا دَهْرُ دَعْ ظُلْمَ الْكِرَامِ فَهَمُّ عَقْدٌ لِنَحْرِكَ لَوْ دَرَى النَّحْرُ^(٢)
 سَالَمَهُمْ وَاسْتَبَقَ وَدَّهَمُ فَهَمُ نَجْمُ ظِلَامِكَ الزُّهْرُ

وقال في وصف النرجس :

أَهْلًا بِنَرْجِسٍ رَوْضٍ يَرْهَى بِحُسْنٍ وَطِيبٍ
 يَرْنُو بِعَيْنٍ غَزَالٍ عَلَى قَضِيبٍ رَطِيبٍ
 وفيه مَعْنَى خَفِيٌّ يَزِينُهُ فِي الْقُلُوبِ
 تصحيفه إن نسقت الـ حُرُوفَ بِرَّ حَبِيبٍ^(٣)

١٠ - الأبيوردي^(٤)

قال في الشكوى :

قالوا : هجرتَ الشَّعْرَ قُلْتُ : ضَرُوةٌ بَابُ الْبَوَاعِثِ وَالِدَوَاعِي مُفْلَقٌ
 خَلَّتِ الْبِلَادُ ، فَلَا كَرِيمٌ بِرَهْتَجِي مِنْهُ النِّوَالُ ، وَلَا مَلِيحٌ يُعْشَقُ
 وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ لَا يُشْتَرَى وَمَعَ الْكَسَادِ يُخَانُ فِيهِ وَيُسْرَقُ

(١) الوشل : الماء القليل .

(٢) النحر : موضع القلادة من الصدر .

(٣) التصحيف : التحريف والغلط في قراءة الحروف ، أى أن لفظ « نرجس » لوقريء مصحفاً ولم يكن منقوفاً لكان : بر حبيب : أى عودته وعطفه .

(٤) هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردي الأموى الشاعر المشهور . ولد بأبيورد من بلاد خراسان ومات بأصبهان سنة ٥٥٧ هـ .

وقال أيضاً يستحث على اقتراف الآباء الكرام :

بأبى — وإن عظم الفداء — فَنَ لَّهُمْ فِي جَنَبَيْهِ مُعْتَرِكُ
نَبْهَتُهُ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ وَنَجْوَاهُ فِي الْأَفْقِ تَشْتَبِكُ^(١)
وَمَشَى عَلَى كَسَلٍ ، فَقُلْتُ لَهُ عَثَرْتُ بِكَ الْوَحَادَةَ الرَّمَكُ^(٢)
أَرْضِيَتْ أَمْرًا لَا يَزَالُ بِهِ فِي الذِّلِّ عَرْضُ أَخِيكَ يُنْتَهِكُ ؟
وَالدَّهْرُ يَرْمِي بِالْخُطُوبِ ، وَفِي غُلُوءِهَا الْأَيَّامُ تَنْهَمُكَ^(٣)
مَا نَحْنُ مِنْ سُوقٍ فَتَشْبِيهِهُمْ لَمْ يُتَمَنَّأ إِلَّا أَبُ مَلَكُ
فَانْظُرْ إِلَى الْأَجْدَادِ كَيْفَ سَعَوْا لِلْمَكْرُمَاتِ وَآيَةً سَلَكُوا^(٤)
هَلَّا أَخَذْتَ بِهِدْيِهِمْ ! فَهَمُّ تَرَكُوا الْعُلَاكَ فَارَعَ مَا تَرَكُوا
وَاطْلُبْ مَدَاهِمُ ، لِمَنْهُمْ نَفَرٌ عَاشُوا بِذِكْرِهِمْ ، وَقَدْ هَلَكُوا
وَإِذَا عَجَزْتَ وَلَمْ تَلَمْ بِهِ فَالْعِجْزُ بَعْدَ طِلَابِهِ دَرَكُ^(٥)

١١ — الطُّغْرَانِيُّ^(٦)

وقال مؤيد الدين الطغراني يصف الغدير :

عُجْنَا إِلَى الْجَزْعِ الَّذِي مَدَّ فِي أَرْجَائِهِ الْغَيْمُ بِسَاطَ الزَّهَرِ^(٧)
حَوْلَ غَدِيرٍ مَأْوُهُ الْمُنْتَمِي إِلَى بَنَاتِ الْمُزْنِ يَشْكُو الْخَصَرِ^(٨)

(١) اعتكر الليل : اشتد ظلامه .

(٢) الرمك : اسم جمع لرمكة ، وهى الفرس . والوخادة : السريعة الجرى .

(٣) غلواء الخطوب : شدتها وصولتها .

(٤) السوق : جمع سوقة . وهم الرعية ، أى ما دون الملك .

(٥) الدرك : بلوغ القصد . أى أنك إذا بذلت الجهد سعياً إلى شىء فلم تصبه ، فكأنك

أصبت له لأن على المرء أن يسعى .

(٦) هو مؤيد الدين الأستاذ العميد نحر الكتاب آخر فحول المشرق في الشعر . ومن

شعره لامية العجم المشهورة ، وله ديوان مطبوع قتل في فتنة سياسية سنة ٥١٣ هـ .

(٧) عجنا : ملنا ، والجزع : المتسع المنبت من الوادى أو وسطه ذو الأشجار والنبات .

(٨) المزن : السحاب ، والمراد بالبنات مطرها . والخصر : البرودة في الماء .

لو لاذت الريحُ سَموماً به لا نَقَلِبْتُ وهى نَسِيمُ السَّحَرِ^(١)
 حَصْبَاوَهُ دُرٌّ وَرَضْرَاضُهُ سَحَالَةٌ العَسْجَدِ حَوْلَ الدَّرَرِ^(٢)
 وقد كَسَتْهُ الرِّيحُ من نَسِجِهَا دَرْعًا بها يَلْقَى نِبالَ المَطَرِ^(٣)
 وأَلْبَسَتْهُ الشَّمْسُ من صَبِغِهَا نُورًا به يَخْطِفُ نورَ البَصَرِ
 كأنَّهُ المِرَاةَ مَجْلُوءَةً على بَسَاطٍ أَخْضَرَ قد نُشِرَ

وله فى الأعداء والحساد :

جَاملُ عَدُوِّكَ ما اسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ بِالرَّفَقِ يُطْمَعُ فى صَلاحِ الفَاسِدِ
 واحْذَرُ حَسُودَكَ ما اسْتَطَعْتَ ، فَإِنَّهُ إِنْ نَمْتَ عَنْهُ فَلَيْسَ عَنْكَ بَرَاقِدُ
 إِنْ الحَسُودَ وَإِنْ أَرَاكَ تَوَدَّدًا مِنْهُ أَضُرُّ مِنَ العَدُوِّ الحَاقِدِ
 وَلِرُبَّمَا رَضِيَ العَدُوُّ إِذَا رَأَى مِنْكَ الجَمِيلَ فَصَارَ غَيْرَ مُعَانِدِ
 وَرِضَا الحَسُودِ زَوَالُ نِعْمَتِكَ الَّتِي أُوتِيَتْهَا مِنْ طَارِفٍ أَوْ تَالِدِ^(٤)
 فَاضْبُرْ على غَيْظِ الحَسُودِ فَنَارُهُ تَرْمِي حَشَاءَ بِالْعَذَابِ الخَالِدِ
 أَوْ مَا رَأَيْتَ النَّارَ تَأْكُلُ نَفْسَهَا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الرَّمَادِ الهَامِدِ
 تَضَفُّوْا عَلَى الحَسُودِ نِعْمَةً رَبِّهِ وَيَذُوبُ مِنْ كَمَدٍ فَوْءَادُ الحَاسِدِ

(١) لاذت الريح به : التجأت ومالت إليه . أى أنه لنداء وطيب جوه لوجاءه ريح سموم حارة لبردت وأشبهت نسيم السحر .

(٢) الحصباء : الحصى والرضراض : صفار الحصى . والعسجد : الذهب وسحاله : برادته .

(٣) الدرع : قميص من زرد الحديد يلبس وقاية من سلاح العدو . والنبال : جمع نبل :

وهو السهم .

(٤) الطارف : الجديد المستحدث ، والتالد : القديم المأثور ..

ومن لاميته المشهورة في الحكم :

حُبُّ السلامة يثني هم^(١) صاحبه عن المعالي ويفرى^(٢) المرء بالكسل
فإن جَنَحْتَ إليه فاتخذ نفقاً في الأرض أو سُلماً في الجو فاعتزل
ودع غِمار^(٣) العلا المقدمين على ركوبها واقتنع منهن بالبلل
رضا الدليل بخفض العيش مسكنة والعز عند رسم^(٤) الأينق الدال
إن العلا حدثني - وهي صادة فيما تحدث - أن العز في النقل^(٥)
لو أن في شرف المأوى بلوغ منى لم تبحر الشمس يوماً دارة الحمل^(٦)

وقال يرثي مؤيد الملك وقد مات مقتولا وبقى بالعراء عدة أيام بغير دفن :

ما بعد يومك للحزين الموجه غير العويل^(٧) وأنة^(٨) المتفجع^(٩)
يوم أصيب الدين فيه وعطلت أحكامه ، فكأنها لم تشرع
ومضى الذي كنا نروع^(١٠) بذكره نوب^(١١) الزمان ، فماله من مرجع
من ذا رأى الأسد المدل^(١٢) بيبأسه شلوا^(١٣) طريحا بالعراء^(١٤) البلقع^(١٥)
أعزز^(١٦) على بأن أسرح ناظري في مجمع وسواك صدر المجمع
لهفي^(١٧) عليك المستجير يبتغي وزراً^(١٨) لديك وماله من مفزع

-
- (١) عزم . (٢) يولع . (٣) جمع غمرة وهو الماء الكثير .
(٤) سير . (٥) جمع نقلة بمعنى الانتقال . (٦) أحد بروج الشمس .
(٧) رفع الصوت بالبكاء . (٨) التأوه من الوجع . (٩) المتوجع للمصيبة .
(١٠) تخيف . (١١) مصائب . (١٢) المنكبر .
(١٣) الشلوهنا : بقية البدن . (١٤) الفضاء . (١٥) الأرض القفر .
(١٦) أعزز : فعل تعجب أتى على صورة الأمر ، أى ما أعزه !
(١٧) حسرتي . (١٨) ملجأ .

جَمَحَتْ^(١) بك الهمم التي لا تثنى
 ووقفت حيث السيف يرد متنه
 في موقف بين الصوارم والقنا
 ضاقت بك الدنيا فعمت جوارها
 كل إلى أمد يصير ، فمقَّص^(٥)
 عما تروم من المرام الأمتع^(٢)
 لم ترعد فرقا^(٣) ولم تتخشع
 ضنك^(٤) ويوم للكريهة أشنع
 ونزعت نحو الخلد أكرم منزع
 بالسيف أروح من مريض موجه

وقال يرثى زوجته :

ولم أنسها ، والموت يقبض كفها
 وقد دمعت أجفانها فوق خدها
 وحل من المقدور ما كنت أتقى
 وقيل : فراق لا تلاقى بعده !
 فلو أن نفساً قبل محتوم يومها
 هلال نوى من قبل أن تم نوره
 فوآججاً أنى أحجم اجتماعنا ؟
 ويبسُّطها ، والعين ترنو وتطرق
 جنى نرجس فيه الندى يتفرق
 وحم من المحذور ما كنت أفرق^(٦)
 ولا زاد إلا حسرة وتحرق
 قضت حشرات كانت الروح ترهق^(٧)
 وغصن ذوى فينانه وهو مورق^(٨)
 ويا حسرتى من أين حل التفرق^(٩)

وله في أعدائه :

نكروا على معايبى فحذرته
 ولربما انتقم القى بعدوه
 ونفيت عن أخلاق الأقداء^(١٠)
 والسم أحياناً يكون شفاء

-
- (١) أشرعت . (٢) الصعب على مريده وطالبه . (٣) خوفاً . (٤) ضيق .
 (٥) المقصص : الليت من ضربة أو رمية . (٦) حم الأمر : قضى ووقع وأفرق : أخشى
 (٧) المحتوم : الندى لا مفر منه . يريد أنه لو أن امرأ تقضى عليه حسرته قبل انقضاء
 أجله زهقت روحه من طول ما يتحسر ويحزن لمصابه . (٨) الفينان هنا : الكثير
 الأهداب والورق . (٩) أحم : قدر . يتعجب من اجتماعهما الذى آل إلى فراق ، ويتحسر
 لهذه الفرقة التى ليس بعدها لقاء . (١٠) الأقداء : جمع قذى ، وهو ما يقع فى العين
 من غبار أو غيره من صغار الأشياء ، فيؤذيها ، يريد ما يشوب الأخلاق من الصغائر وما يندم .

١٢ - السَّهْرَوَرْدِي^(١)

قال في الفلسفة والتصوف :

قُلْ لِأَصْحَابِ رَأْيِي مَيِّتًا فَبَكَّوْنِي إِذْ رَأَوْنِي : حَزَنًا
لَا تَظُنُّونَنِي بِأَنِّي مَيِّتٌ لَيْسَ ذَاكَ الْمَيِّتُ وَاللَّهُ أَنَا
أَنَا عُصْفُورٌ ، وَهَذَا قَفْصِي طَرْتُ عَنْهُ ، فَتَخَلَّى رَهْنًا^(٢)
فَاخْلَعُوا الْأَنْفُسَ عَنْ أَجْسَادِهَا فَتَرَوْنَ الْحَقَّ حَقًّا بَيْنَنَا
لَا تَرُعْكُمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ فَمَا هِيَ إِلَّا بِإِنْتِقَالٍ مِنْ هُنَا

١٣ - الرِّفَاعِي^(٣)

من قوله في العشق الصوفي :

إِذَا جَنَّ لَيْلِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِكَ أَنْوَحُ كَمَا نَاحَ الْجَمَامُ الْمَطْوِقُ
وَفَوْقِي سَحَابٌ يَمْطُرُ الْهَمَّ وَالْأَسَى وَتَحْتِي بِحَارٌ بِالْأَسَى تَبْدَقُ
سَأَلُوا أُمَّ عَمْرٍو كَيْفَ بَاتَ أَسِيرُهَا تَفَكُّ الْإِسَارَى دُونَهُ وَهُوَ مُوثَقٌ ؟
فَلَا هُوَ مَقْتُولٌ ، فِي الْقَتْلِ رَاحَةٌ وَلَا هُوَ مَمْنُونٌ عَلَيْهِ فَيُطْلَقُ

(١) هو شهاب الدين عمر السهروردي ، وهذه الأبيات قالها وهو يجود بنفسه لما قتل سنة ٥٨٦ هـ بقلعة حلب ، قتله صلاح الدين لتوهمه أنه يفتن ابنه بالكفر .

(٢) الرهن ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك ، أي : خليت القفص نائبا منابي .

(٣) هو أبو العباس أحمد الرفاعي صاحب الطريقة الرفاعية الصوفية ، المتوفى بقرية أم عبيدة ببطاح البصرة سنة ٥٧٨ هـ .

١٤ - السرى الرفاء^(١)

قال يصف مجلساً اتخذهُ الحسن بن محمد المهلبى وزير معز الدولة ذات ليلة على برك وفوارات رُكزت حولها رماح علق عليها شمع فكانَ ذلك منظرًا حسنًا :

فضلت ليلالى القصف^(٢) ليلتُك التى هى فى المحاسن عادةً حسناء
رقت غياهبها^(٣) فهن غلائل^(٤) وسجت^(٥) جنائبها^(٦) فهن رخاء
بركٌ تحلّت بالكواكب أرضها فارتدَّ وجهُ الأرض وهو سماء
رُفعت إلى الجوزاء^(٧) فوَّاراتها عُمدًا تصاب بصوبها^(٨) الجوزاء
مثلَ القنأ^(٩) الخطى^(١٠) قوِّم مَيْلُهُ وَجَرَتْ عليه الفضة البيضاء
حتى إذا انتشرت جلايب الدجى وتكلفت من دونها الظلماء
فرَّجنها بصحائحٍ إن تعتَلَّ فلهنَّ من ضرب الرقاب شفاء
شمعًا حَمَلَتْ على الرماح رماحه فَقُدُّودُهُنَّ^(١١) وما حَمَلْنَ سِوَاء

(١) هو أبو الحسن السرى بن أحمد الكندى شاعر وصاف مداح نشأ بالموصل ، وكان يتكسب فى صباه برفو الثياب وتطريزها ، ثم نظم الشعر فأجاده ، وقصد سيف الدولة بحلب ، فأقام معه حتى مات سيف الدولة ، ثم قصد بغداد ، فمدح رؤساءها ، ومات بها سنة ٣٦٦ هجرية .

(٢) فضلت : امتازت وفاقت . والقصف : اللهو .

(٣) جمع غيب : الظلمة .

(٤) جمع غلالة : شعار يلبس على الجسد تحت الثياب .

(٥) سكنت .

(٦) جمع جنوب ، وهى ريع حارة .

(٧) الصوب : المطر . يريد ما يتصعد من ماء الفوارات .

(٨) الرماح .

(٩) نسبة إلى الخط وهى بلد بالبحرين تصنع بها الرماح .

(١١) قاماتهن .

وقال يصف الروض والجو في يوم ظهر فيه قوس قزح :

وصاحب يقدهح لى نار السرور بالقدهح^(١)
 فى روضة قد لبست من لؤلؤ الطلّ سُبَح^(٢)
 يالغنا^(٣) حمامها مُغْتَبَقًا^(٤) ومصطبَح^(٥)
 أوقظه بالعزف^(٦) أو يوقظنى إذا صدح^(٧)
 والجو فى مُمَسِّك^(٨) طرازه^(٩) «قوس قزح»^(١٠)
 يبكى بلا حزن كما يضحك من غير فرح

وقال يعاتب صديقاً أفشى له سرّاً :

رأيتك تبدى للصديق نوافذاً عدوك من أمثالها الدهر آمن
 وتكشف أسرار الأخلاء مازحاً ويارب مزح راح وهو ضغائن
 سأحفظ ما بينى وبينك صائناً عهدك إن الحرة للعهد صائن
 وألقاك بالبشر الجميل مداهنًا^(١١) فلى منك خلٍّ - ما عرفت - مداهن
 أُنم^(١٢) بما استودعته من زجاجة ترى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن

(١) إناء يشرب فيه الخمر .

(٢) جمع سبعة وهى خرزات يسبح بها .

(٣) قوله : يالغنا حمامها ! : يعجب من غناء حمامها وحسن صوته .

(٤) وقت اغتباق الخمر ، أى شربها مساء .

(٥) وقت اصطباح الخمر ، أى شربها صباحاً .

(٦) غنى .

(٧) الغناء .

(٨) مطيب بالمسك .

(٩) وشيه .

(١٠) « قوس قزح » : طرائق منقوشة تبدو فى السماء عقب المطر بحمرة وصفرة وخضرة

وغيرها من الألوان . (١١) المداهن : الذى يظهر خلاف ما يضمّر .

(١٢) أنم : أفعل تفضيل من : نم ، أى أفشى .

١٥ - الجرجاني^(١)

قال يمدح الوحدة ، ويذم مخالطة الناس :

ما تَطَعَّمْتُ لَذَّةَ العِيشِ حَتَّى صَرْتُ لِلْبَيْتِ وَالْكِتَابِ جَلِيسًا
لَيْسَ شَيْءٌ أَعَزُّ عِنْدِي مِنَ الْعَدُوِّ ، فَمَا أَبْتَغِي سِوَاهُ أَنْيْسًا
إِنَّمَا الدُّلُّ فِي مُخَالَطَةِ النَّاسِ فَدَعُهُمْ ، وَعِشْ عَزِيزًا رَئِيسًا

١٦ - الصَّابِي^(٢)

قال يهجو :

يَا جَامِعًا خِلَالَ قَبِيحَةٍ لَيْسَ تُحْصَى
نَقَصَتْ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ فَقَدْ تَكَامَلَتْ نَقْصًا
لَوْ أَنَّ لِلْجَهْلِ شَخْصًا لَكُنْتُ لِلْجَهْلِ شَخْصًا

١٧ - الصَّاحِبُ بْنُ عَبَادٍ^(٣)

قال يذم الشماطة :

وَكَمْ شَامَتٍ بَعْدَ مَوْتِي جَاهِلًا يَظَلُّ يُسَلُّ السَّيْفَ بَعْدَ وَفَاتِي
وَلَوْ عَلِمَ الْمَسْكِينُ مَاذَا يَنْفَالُهُ مَنِ الظُّلْمِ بَعْدِي مَاتَ قَبْلَ مَمَاتِي

(١) هو القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٦٦ هـ ، وهو صاحب كتاب « الوساطة بين المتنبي وخصومه » .

(٢) هو أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصَّابِي الحُراني ، كان صابئًا على دين فلاسفة القدماء من اليونان ، وكان جميل العشرة للمسلمين ، وتسكب في الكتابة في دواوين بغداد ؛ وكان رئيس الكتاب بها . وصدرت عنه نقائس الرسائل وله شعر جميل ، ومات سنة ٣٧٤ هـ .

(٣) هو الصَّاحِبُ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبَادٍ ، كاتب المشرق ، ووزير آل بويه . توفي سنة ٣٨٥ هـ .

١٨ - الْخَوَارِزْمِيُّ^(١)

قال يوصى بتخير الأصدقاء :

لا تصحب الكسلان في حاجاته كم صالح بفساد آخر يفسد
عدوى البليد إلى الجليد^(٣) سريعة والجمر يوضع في الرماد فيخمد

١٩ - ابن نباتة السعدي^(٢)

قال يصف فرساً أدهم أغر^(٤) مُحجَّلاً حمله عليه سيف الدولة :

يأبها الملك الذي أخلاقه من خلقه ورؤاؤه^(٥) من رائه^(٥)
قد جاءنا الطرْفُ^(٦) الذي أهديته هاديه^(٧) يعقد أرضه بسمائه
أولايةً ولَّيْتْنَا ؟ فبعثته رُحْمًا سَيْبُ^(٨) العُرف عقد لوائه^(٩)
نَحْتَالُ مِنْهُ عَلَى أَغْرٍ مُحجَّلٍ ماء الدياجي قطرة من مائه
فكأنا لَطَمَ الصَّبَاحُ جبينه فاقتص منه فخاض في أخشائه
متمهلاً ، والبرق من أسمائه متبرقعا ، والحسن من أ كفائه
لا تعلقُ الأَحَاطُ في أعطافه إلا إذا كفكت من غلوائه^(١٠)

(١) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر اللغوي الأديب المؤلف الرحالة المدرس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ .

(٢) الجليد : القوى ، يريد الهمام .

(٣) هو أبو نصر عبد العزيز بن محمد بن نباتة السعدي التيمي أحد فحول الشعراء . توفي سنة ٤٠٥ هـ ببغداد .

(٤) حسن المنظر .

(٥) مصدر راء التي هي مقلوب رأى .

(٦) الكريم من الخيل .

(٧) عنقه . (٨) شعر العرف . (٩) شعر عنق الفرس .

(١٠) كفكت : صرف ومنع ، والغواء : يريد السرعة ، أي لا تراه الأعين إلا إذا

منعه راكبه من سرعة جريانه ، وخفف من شدة عدوه .

قال يعزى صمصام الدولة في أبيه :

رَأَيْتُ الدَّهْرَ يَا صَمَّصَامَ أَذْنَى فَضَائِلِهِ التَّكْرُمُ وَالْحِمَاءُ
فَخَذَ بِنَصِيْبِكَ الْمَوْفُورَ مِنْهُ وَخَلَّ الْحَزْنَ يَا لَقَهَ النِّسَاءُ
عَلَى عَادَاتِهَا جَرَتْ اللَّيَالِي فَلَا بُؤْسَ يَدُومُ وَلَا رَخَاءُ
تَعَزَّ قَقْبَلْ يَوْمَ أَبِيكَ غَالَتْ غَوَائِلُهَا^(١) الْمُلُوكَ وَلَا سِوَاهُ^(٢)
وَكُنْتُ إِذَا السِّیُوفُ نَبَتْ وَكَلَّتْ مَضَيْتْ ، وَمِنْ سَجِيَّتِكَ الْمَضَاءُ
فَإِنْ يَكْ قَدْ طَوَّتْهُ يَدُ اللَّيَالِي فَإِنَّ الصُّبْحَ يَطْوِيهِ الْمَسَاءُ

٢٠ - البُسْتَى^(٤)

قال يعزى بالكرم :

بَيْنَ مَنْ يُعْطَى وَمَنْ يَأْ خُذْ فِي التَّقْدِيرِ عَرَضُ^(٥)
فَيَدُ الْمُعْطَى سَمَاءٌ وَيَدُ الْآخِذِ أَرْضُ
وَعَلَى الْآخِذِ أَنْ يَشْكُرَ ، إِنَّ الشُّكْرَ فَرَضُ

وقال أيضاً في المداولة بين الراحة والتعب :

أَفْذُ طَبْعِكَ الْمَسْكُودُ بِالْهَمِّ رَاحَةٌ يَجْمُ^(٦) وَعَلَّهِ شَيْءٌ مِنَ الْمَرْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أُعْطِيَتْهُ ذَاكَ فَلْيَكُنْ بِمَقْدَارِ مَا تُعْطَى الطَّعَامَ مِنَ الْمَلَحِ

(١) مصائبها ، والضمير للدنيا .

(٢) السواء : المائلة ، أى ولا أقول إن الملوك يماثلون أباك في الشرف والمجد والمنزلة .

(٣) لم تقطع .

(٤) هو أبو الفتح البسقي على بن محمد الكاتب الشاعر ، أحد المولعين بالتجنيس ، وأحد رؤساء الكتاب في الدولة الغزنوية ، والمتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

(٥) يريد بالعرض : البعد والبون .

(٦) يجم : يستريح ، وترجع إليه قوته ونشاطه .

وقال في جواب كتاب :

لما أتاني كتابٌ منك مُبْتَسِمٌ عن كلِّ برٍّ وفضلٍ غيرِ محدودٍ
حكى معانيه في أثناء أسطره آثارك البيض في أحوالي السودِ

وقال أيضاً في هذا الغرض :

ما إن سمعتُ بنواري له ثمرٌ في الوقتِ يمتعُ سَمْعُ المرءِ والبصرا^(١)
حتى أتاني كتابٌ منك مُبْتَسِمٌ عن كلِّ لفظٍ ومعنى يشبه الدررا
وكان لفظُك من لآلئه زهراً ، وكان معناه في أثناءه ثمرا
تسابقاً ، فأصابا القصد في طلق لله من ثمرٍ قد سبق الزهرا^(٢)

٢١ — الناشيء الأصغر^(٣)

قال في معاملة الصديق :

إني ليهجرني الصديقُ تجنُّياً فأريه أن لهجره أسباباً
وأخافُ إن عاتبته أغريته فأرى له ترك العتاب عتاباً
وإذا بكيتُ بجاهلٍ مُتعاقلٍ يدعوا المُحال من الأمور صواباً
أوليتهُ منِّي السكوت ، وربما كان السكوتُ عن الجواب جواباً

(١) النوار : الأبيض من الزهر .

(٢) الطلق : الشوط في الجري ، أى في شوط واحد .

(٣) هو أبو الحسن علي بن عبد الله المعروف بالناشئ الأصغر ، والشاعر البليغ المتوفى

٢٢ - الأبهري^(١)

قال في الحكم :

متى ترغب إلى الناس تكن للناس مملوكا
وإن أنت تخففت على الناس أحبوكا
وإن ثقلت عافوك ومملوك وسبوكا^(٢)
إذا ما شئت أن تُعصى فمُر من ليس يزوجوكا
وسل من ليس يخشاك فيدعى عندها فوكا

٢٣ - صردر^(٤)

قال يصف كتيبة^(٥) :

وفوارس يصلون نيران الوغى مما تشير جيادهم بدخان
جنبوا^(٦) إلى الأعداء كل طمرة^(٧) بنيت مفاصلها على شيطان
طلعوا طلوع الشمس بغير ضوءها هام^(٨) الرثبا ومغابن^(٩) الغيطان
في كل معترك تجيل كئاتهم قدحاً يفوز إذا التقى الجمعان

-
- (١) هو أبو الحسن علي بن مأمون الأبهري ، أحد شعراء الجبل وطبرستان .
(٢) عافوك : كرهوك ورغبوا عنك .
(٣) يدعى : يسيل دمه . أى يلقاك من رد سؤالك بما يكون لفمك كالجرح الدامى .
(٤) هو على بن الحسن ، أحد الشعراء المشهورين ، جمع جودة السبك وحسن المعنى .
توفى سنة ٤٦٥ هـ بطريق خراسان .
(٥) الكتيبة : الجماعة من الخيل ، تكون للاغارة والغزو .
(٦) قادوا .
(٧) الفرس الجواد .
(٨) رموس .
(٩) ما استتر من الأرض .

فاسأل جبال الرُّوم لما طَوَّقُوا أعناقَهُمْ من جمعهم برعان^(١)
تركوا المعارك كالمناحر^(٢) من منى^(٣) وجماجم^(٤) الأعداء كالقُرْبَانِ
فكأُما فرش النَّجِيع^(٥) نلاعها^(٦) ووهادها^(٧) بشقائق النُّعْمان^(٨)

وقال يستهدى مداداً ويصف الدواة والقرطاس والقلم :

إليك أشكو مشياً لاح بارقه^(٩) في فرع دُهْماء^(٩) تجري بالأساطير
كانت مفارقها مسكاً مضمخةً فما لها بُدَّتْ مِنْهُ بكافور^(١٠)
ومُقَلَّةً عُدَّتْ كحلاء مرَّهما^(١١) طول البُكاء على بيض الطَّوامير^(١٢)
يا حبذا هي والأقلامُ واردةٌ فيها وصادرةٌ سُحْمٌ^(١٣) المناقير

(١) جمع رعن ، وهو أنف يتقدم الجبل ، ويطلق على الجيش الذى له فصول كرعان الجبال ، وهو المراد هنا .

(٢) المذابح .

(٣) منسك من مناسك الحج .

(٤) جمع جمجمة وهى عظم الرأس المشتمل على الدماغ .

(٥) الدم .

(٦) جمع تلعة : المرتفع والمنخفض معاً من الأرض ، وأراد هنا المرتفع .

(٧) جمع وهدة وهى المنخفض من الأرض .

(٨) نبت أحمر ، واحدها شقيقة ، سميت بذلك لحمرتها على التشبيه بشقيقة البرق ، وأضيفت إلى النعمان بن المنذر ملك الحيرة لأنه حمى أرضاً فكثرت فيها .

(٩) الدهماء : التامة السواد شبه بها الدواة لما فيها من سواد مدادها ، وأن القلم يجرى منها بالسطور .

(١٠) أى أن هذه الدواة كانت سوداء كالمسك لكثرة مدادها الأسود فأصبحت بيضاء كالـكافور لذهاب مدادها .

(١١) أخلاها من الكحل .

(١٢) جمع طومار وهو الصحيفة .

(١٣) جمع أسحم وهو الأسود .

كأنما كرت^(١) في ناظرى رشاً^(٢) أو في سويداء قلب غير مسرور
 تحوى القراطيس منها روضة أنفاً^(٣) بها مفاخرة الظماء للنور
 فكيف لى بخطاب^(٤) تسترد به من الشبيبة لونا غير مهجور
 لو أن صبغته فاز الشباب بها لما رعى الدهر فؤديه^(٥) بتغيير
 ٢٤ — السلامى^(٦)

قال يصف نهراً نبتت عليه أشجار الرمان :

ونهر ترح الأمواج فيه مراح^(٧) الخيل فى رهج^(٨) الغبار
 إذا اصفرّت عليه الشمس خلنا نمير^(٩) الماء يمزج بالعقار^(١٠)
 كأن الماء أرض من لجين^(١١) مغطاة صفائح^(١٢) من نضار^(١٣)
 وأشجاره محملة كؤوساً تضحك^(١٤) فى أحجار وأخضرار
 إذا أبصرن فى نهر سماء وهبن له نجوم الجلائر^(١٥)

(١) شربت .

(٢) ولد الغزال ، والمراد أنها أخذت من عينيه السواد .

(٣) جديدة ، لم يرعها أحد . (٤) ما يختضب به ، أى يصبغ به الشعر .

(٥) مثنى فود وهو جانب الرأس . يقول : لو أن سواد المداد الذى تبعث به هدية إلى

يظفر بمثله الشاب لعجز الدهر عن أن يصيب الشعر الذى يصبغ به بشيب .

(٦) هو محمد بن عبد الله السلامى من أشهر شعراء العراق ، ولد ببغداد سنة ٣٣٦ هـ .

وقال الشعر فى العشرين من عمره . واتصل بالصاحب بن عباد وبعض الدولة فبلغ عندهما

منزلة حسنة . وتوفى سنة ٤٩٤ هـ .

(٧) نشاط .

(٨) الرهج الغبار نفسه . فالإضافة بيانية .

(٩) الماء الناجع فى الرى . (١٠) الحجر .

(١١) فضة . (١٢) ألواح . (١٣) ذهب .

(١٤) أصله تتضحك ، حذف إحدى التاءين تخفيفاً . (١٥) زهر الرمان .

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى

١ — ابن العميد^(١)

من كتاب له فى التهديد واللوم :

كتابى وأنا مُترجِّحُ بين طَمَعِ فَيْكِ وَيَأْسِ مَنْكَ ، وإِقْبَالِ عَلَيْكَ ، وإِعْرَاضِ عَنْكَ ، فَإِنَّكَ تُدَلُّ^(٢) بِسَاقِ حُرْمَةٍ . وَتَمُتُّ بِسَالِفِ^(٣) خِدْمَةٍ . أَيْسَرُهُمَا يُوجِبُ رِعَايَةَ ، وَيَقْتَضِي مَحَافِظَةَ وَعِنَايَةَ . ثُمَّ تَشْفَعُهُمَا بِحَادِثِ غُلُولِ^(٤) وَخِيَانَةٍ ، وَتَتَّبِعُهُمَا بَأَنَفِ^(٥) خِلَافٍ وَمَعْصِيَةٍ . وَأَدْنَى ذَلِكَ يُحْبِطُ^(٦) أَعْمَالَكَ ، وَيَسْحَقُ كُلَّ مَا يُرْعَى لَكَ ، لَا جَرَمَ أَنِي وَقَفْتُ بَيْنَ مِيلٍ إِلَيْكَ وَمِيلٍ عَلَيْكَ ، أَقْدَمُ رَجُلًا لِيَصِدَّكَ ، وَأَوْخَرُ أُخْرَى عَنْ قَصْدِكَ ، وَأَبْسُطُ يَدًا لِاصْطِلَامِكَ^(٧) وَاجْتِيَا حَكَ ، وَأَثْنِي ثَانِيَةً لَاسْتِبْقَائِكَ وَاسْتِصْلَاحِكَ ، وَأَتَوَقَّفُ عَنْ امْتِثَالِ^(٨) بَعْضِ الْمَامُورِ فَيْكَ . ضَنْفًا بِالنِّعْمَةِ عِنْدَكَ ، وَمُنَافَسَةً فِي الصَّنِيعَةِ^(٩) لَدَيْكَ ، وَتَأْمِيلًا لِفَيْئَتِكَ^(١٠) وَانْصِرَافًا ، وَرَجَاءً لِمِرَاجِعَتِكَ وَانْعَاطَافِكَ ، فَقَدْ يَغْرُبُ^(١١) الْعَقْلُ ثُمَّ يُؤُوبُ . وَيَعْزُبُ^(١٢) اللَّابُ

(١) هو الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهى وصاحب طريقة الشعر المنشور توفى سنة ٣٦٠ هـ .

(٢) الإدلال : الانبساط وفرط الثقة بالمدل عليه .

(٣) تمت : تتوصل وتتصل . (٤) الغلول : الخيانة .

(٥) آنف ، يريد : جديد . (٦) ويحبط : يبطل .

(٧) الاصطلام : الاستئصال ومثله الاجتياح .

(٨) الامتثال ، يريد به الطاعة والإنفاذ .

(٩) الصنعة : الإحسان والتكرم .

(١٠) لفئتك : لرجوعك ، أى إلى الطاعة .

(١١) يغرب : يذهب ويغيب . ويعزب : مثل يغرب .

ثم يثوب . ويذهب الحزم ثم يعود . ويفسد العزم ثم يصلح . ويضع الرأي ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء . وكل غمرة^(١) فإلى انجلاء . وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحتسبه أولياؤك ، فلا بدع أن تأت من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك . وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت مراكبت ، واخترت ما اخترت ، فلا عجب أن تنقبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت ، وسوء ما آثرت . وسأقيم على رسمى^(٢) في الإبقاء والمماثلة ما صلح ، وعلى الاستيفاء^(٣) والمطابقة ما أمكن ، طمعا في إنباتك^(٤) ، وتحكما لحسن الظن بك . فلست أعدم فيما أظاهره من إغذار^(٥) ، وأرادفه من إنذار ، احتجاجا عليك ، واستدراجا لك ، فان يشأ الله يرشدك ، ويأخذ بك إلى حظك ويسدّدك ، فإنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير .

وكتب إلى أبي عبد الله الطبري :

كتابي وأنا بحال لو لم ينقص منها الشوق إليك ، ولم يرتق^(٦) صفوها النزاع^(٧) نحوك ، أعددتها من الأحوال الجميلة ، وأعددت حظي منها في النعم الجميلة ، فقد جمعت فيها بين سلامة عامة ، ونعمة تامة ، وحظيت منها في جسمي بصلاح ، وفي سعيي بنجاح ، لكن ما بقي أن يصفو لي عيش مع بعدى عنك ، ويخلو ذرعي^(٨) مع خلوي منك ، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك .

(١) الغمرة : التغطية بالماء كموجة البحر تغمر الساج ثم تنكشف عنه . والمراد بها هنا المرة من حدوث الشدائد والحن والمصائب .

(٢) الرسم : أي ما رسمه لنفسه من تأجيل مؤاخذاته .

(٣) الاستيفاء : التمهّل والانتظار . (٤) الإنابة : الرجوع عما هو عليه .

(٥) من عمل ينفي عذرك في المعصية ويكفل الرضا عنك .

(٦) يرتق : يكدر . (٧) النزاع نحوك : الميل والشوق إليك .

(٨) يقال : فلان خالي الذرع : أي فارغ القلب من الهموم ، ويراد بالذرع : الطاقة وسعة النفس والخلق .

وكيف أطمع في ذلك وأنت جزء من نفسي ، وناظم لشمل أنسى . وقد حرمت رؤيتك ، وعدمت مشاهدتك . وهل تسكن نفس متشعبة ذات انقسام ، وينفع أنس بيت بلا نظام . وقد قرأت كتابك — جعلني الله تعالى فداءك فامتلات سروراً بملاحظة خطك ، وتأمل تصرّفك في لفظك ، وما أقرّظهما ؛ فكل خصالك مقرّظ عندي . وما أمدحهما ؛ فكل أمرك ممدوح في ضميري وعقدي^(١) وأرجو أن تكون حقيقة أمرك موافقة لتقديري فيك ، فإن كان كذلك^(٢) وإلا فقد غطى هواك وما ألتقى على بصري^(٣) .

٢ — الصاحب بن عباد^(٤)

رقعة منه إلى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني عند وروده باب الري وافداً عليه :

تحدثت الرّكّابُ بسير أروى إلى بلد حطّطُ به خيامي^(٥)
فكدتُ أطيّر من شوقي إليها بقادمة كقادمة الحمام^(٦)
أفحقّ ما قيل أمرُ القادم ، أم ظنّ كأمانيّ الحالم ؟ لا والله ! بل هو دركُ العيان
وإنه ونيل المني سيّان ، فرحباً أيها القاضي براحتك ورّحلك^(٧) ! بل أهلاً بك .

(١) العقد هنا : الاعتقاد أو العهد .

(٢) في الكلام إيجاز حذف ، والتقدير : فإن كان كذلك فحسن .

(٣) هذا شطر بيت تمثل به الكاتب .

(٤) هو كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد ، وزير آل بويه وكاتبهم ، وأحد أعلام البلغاء والكتاب من حلبة ابن العميد في كتابة الشعر المنشور ، توفي سنة ٣٧٥ هـ .

(٥) أروى : اسم امرأة .

(٦) القادمة : واحدة القوادم ، وهي كبار الريش التي في مقدم الجناح .

(٧) الراحلة : ما يصلح من الإبل للرحلة والسفر : والرحل ما يستصحب في الارتحال

من الأثاث .

وبكافة أهلاك ، ويا سرعة ما فاح نسيمُ مشراك ، ووجدنا ريح يوسف من رباك .
 مُخِتَ المطى تَزَلْ غَلَّتْ بِسُقْيَاكَ ، وتزخ عُلَّتْ بِلَقْيَاكَ ، ونصَّ على يوم الوصول
 لنجمله عيداً مشرفاً ، وتخذذه موسمًا ومُعرفاً^(١) وردَّ الغلام ، أسرع من رجع
 الكلام ، فقد أمرته أن يطير على جناح نسر وأن يترك الصبا في عقلٍ وأسر^(٢) :

سقى الله دارات مررت بأرضها فادتك نحوى يا زياد بن عامر
 أصائلُ قرب أرتجى أن أناها بَلَقْيَاكَ قد زخرن حرَّ الهواجر^(٣)

وله فصل من كتاب إلى ابن العميد جواباً لكتابه إليه في وصف البحر :

وصل كتابُ الأستاذ الرئيس صادراً عن شط البحر بوصف ما شاهد من
 عجائبه ، وعان من مراكبه ، وما رآه من طاعة آلاتها للرياح كيف أرايتها ، واستجابة
 أدواتها لها متى نادتها ، وركوب الناس أشباحها والخوفُ بمرأى ومسمع ، والمنون
 بمرقب ومطلع ، والدهرُ بين أخذ وترك ، والأرواحُ بين نجاة وهلاك ، إذا فكروا
 في المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر ، وإذا لاحت لهم غررُ المطالب الكثيرة
 حُبب إليهم الغرر^(٤) . وعرفتُ ما قاله من تمنّيه كوني عند ذلك بحضرته ، وحصولي
 على مساعدته ، ومن رأى بحر الأستاذ كيف يزخر بالفضل ، وتتلطم فيه أمواجُ

(١) المعروف بصيغة اسم المفعول : موقف عرفات ، شبه به قدومه عليه .

(٢) أى يسبق في سرعته ريح الصبا حتى كأنها في جانبه مأسورة . أخذ من قول

امرئ القيس (قيد الأوابد هيكلاً) .

(٣) الأصائل : جمع أصيل ، وهو الوقت بين العصر والمغرب . والهواجر : جمع هاجرة ،

وهي وقت القيظ في وسط النهار .

(٤) الغرر : الهلاك ، يكون من تعريض المرء نفسه له .

الأدب والعلم ، لم يُعْتَبَر على الدهر فيما يُفِيْتُهُ من منظر البحر . ولا فضيلة له عندى
أَعْظَمُ من إكبار الأستاذ لأخواله ، واستعظامه لأهواله ، كما لا شئٌ أبلغ في مفاخره
وأنفس في جواهره ، من وصف الأستاذ له ، فإنى قرأتُ منه الماء السَّلسال^(١)
لا الزلال ، والسَّحَر الحرام^(٢) لا الحلال . وقد علم أنه كتب وما أخطر بفكره ،
سعة صدره^(٣) ، فلو فعل ذلك لرأى البحر وشلاً^(٤) لا يفضُلُ عن التَّبَرُّض^(٥) ،
وتمدأ^(٦) لا يكثرُ عن الترشف^(٧) .

وكم من جبال جئت تشهد أنك الـ جبال ، وبحر شاهد أنك البحر

٣ - الخوارزمي^(٨)

كتب إلى قاضي سجستان حين نكبه أميرها :

إذا ما الدهر جرَّ على أناسٍ كلاكه أناخ بآخرينا^(٩)
فقلْ للشامتين بنا : أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

(١) أى الكلام المتسلسل لا الماء الحقيقي البارد وفيه تفضيل المشبه على المشبه به .

(٢) أى الحرام على غيرك ، فلا يستطيع مجاراتك في إنشائه وقوله : (لا السحر الحلال)

يريد به الإنشاء الذى فى إمكان كثير من البلغاء ممن لا يبلغون شأوا ابن العميد .

(٣) أى جعل سعة صدره تخطر بباله وفكره .

(٤) الوشل : الماء القليل .

(٥) التبرض : التبلىغ بالماء القليل للضرورة .

(٦) التمد : الماء القليل .

(٧) الترشف : الشرب قليلاً قليلاً والامتصاص .

(٨) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف

الرحالة المدرس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ .

(٩) الكلاكل . جمع كلـكل . وهو الصدر ، أى إذا برك الدهر على قوم بصدر أناخ

وبرك أيضاً بعد زمن بآخرين .

أما بعد — أيد الله تعالى القاضى — فإنه لم يُحسن إلى غيره من أساء إلى نفسه ، ولم ينصُرُ أصدقاءه ، من خَذَلَ حَوْبَاءَهُ^(١) ؛ وإنما يُحب المرء أخاه بما فَضَلَ عن محبته لِرُوحه التى له خيرُها ، وعليه ضيُّها . وكانت مُحَنَّةُ القاضى مُحَنَّةً شَمِلَتْ الأنام^(٢) : وَخَصَّتْ الكرام ؛ وَوَجِبَ على كُلِّ مَنْ اشْتَمَ رَوَاحِ العقل ؛ وَمَيَّزَ بين النقصان والفضل ، أن ينفطر لها أَلَمًا ؛ وَأَن يبكى عندها دَمًا . وَخَلَصَ إلى مَنْ ذَلِكَ مَا أَضْحَكَ مَنِ الأعداء ، وَأَبكى لى الأصدقاء ، حتى رَحِمَنِي مَنْ كَانَ يَحْسُدُنِي ، وَحَتَّى عَجِبَ مَنْ جَزَعَنِي مَنْ كَانَ يُصَبِّرُنِي ، وَحَتَّى غَضَضَتْ طَرَفًا طَالَمَا رَفَعْتُهُ ، وَقَبِضَتْ بَنَانًا طَالَمَا بَسَطْتُهُ ، وَحَتَّى عَزَّيْتُ كَمَا يُعَزِّي الشَّكْلَانِ^(٣) وَسُلِّيتُ كَمَا يُسَلِّي اللِّهْفَان .

وأنا بعد ذلك أَسْتَصْغِرُ فعلَ نَفْسِي وهى جَزَعَةٌ هَلِيعَةٌ^(٤) ، وَأَسْتَقِلُّ سَعْيَ عَيْنِي وهى سَخِينَةٌ دَمْعَةٌ^(٥) . وَكَانَ يَجِبُ على مُقْتَضَى هذه الجُمْلَةِ ، وَأَسَاسِ هذه البَنِيَةِ ، أَن أَحْضُرَ مَجْلِسَ القَاضِي فَأُصَابِرَهُ نَهَارًا ، وَأُسَاهِرَهُ لَيْلًا ؛ وَتَكُونُ الحَنَةُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحْمَلَهَا عَنْهُ ، وَيَحْمِلُهَا عَنِّي ؛ وَلَكِنِّي عَلِمْتُ أَن وَالَيْنَا هَذَا رَجُلٌ يَنْظُرُ إِلَى الذَّنْبِ الْخَفِيِّ ، وَيَتَغَابَى عَنِ الْعُذْرِ الْجَلِيِّ . وَلَهُ أُذُنَانِ : وَاحِدَةٌ يَسْمَعُ بِهَا الْبَلَاغَاتِ وهى كَاذِبَةٌ ، وَأُخْرَى يَصْمُ بِهَا عَنِ الْمَعَاذِيرِ وهى صَادِقَةٌ ؛ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَفْوِ نَسَبٌ ، وَلَا لَهُ إِلَى التَّثَبُّتِ طَرِيقٌ وَلَا مَذْهَبٌ . وَلَوْ تَعَرَّضْتُ لِسَخَطِهِ ؛ بَعْدَ مَا عَرَفْتُهُ مِنْ شَطَطِهِ^(٦) ؛ لَتَحَمَلْتُ دُونَهُ الْوِزْرَ

(١) الحوباء : النفس .

(٢) الحنة : الشدة والمصيبة .

(٣) الشكْلَان : الفاقد ولده .

(٤) جزعة هليعة : شديدة الحزن .

(٥) سخينة دمعة : ساخنة من الوجع ، سريعة الدمع .

(٦) شططه : جوره وتعديه الحدود .

في ظلمي ، ولـسـكـنـتُ مُقـدِّمـته إلى ذنبي . ومن قعد تحت الرّيبة ركبته ، ومن تعرّض للظنّة نالته .

ومن دعا الناس إلى ذمه ذمّوه بالحق وبالباطل

وأقل ما كان ينبعثُ من حُضوري أن يثب هذا الجبّارُ وثبةً يصون القاضي عنها ، ويبتدئني بها ، فأكون قد ضرتُ نفسي ، ولم أنفع غيري ؛ فإذا بالحنة قد تضاعفتُ على القاضي ضعفين ، وتكرّرت عليه كرّتين ؛ يرى بوليّ من أوليائه داءً لا يقدرُ على دوائه ، ويرى وقوداً لا يصلُ إلى إطفائه ؛ ويتبين في حالة^(١) متصلة بحاله ثلثة^(٢) لا يمكنُ سدّها ؛ ومحنة لا يستوى له ردّها . فلما ميّلتُ^(٣) بين تخافي آمناً ، وحضوري خائفاً ؛ عدلتُ بين طرفي الرّزية ، ووزنتُ بين مقداري الحنة ، فرأيت أن أميل مع السلامة وأقنّع من العمل بالنيّة ؛ وأغتفر عهدة التفصيل لصحة الجملة ، فغبت وكلّي غير جسمي شاهد ، وتخيّرتُ^(٤) وما أنا إلا مشاهد ، وبعدتُ وقلبي قريب ، وباينت وقلبي سهيم^(٥) ، وأغضيت على عين كلها قذّي^(٦) ، وانطويتُ على صدر كلّ شجّا^(٧) ، وانصرفت بقلب ساخط راض ، وأغضتُ بجفن ضاحك باك ، وقلت :

فإن تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه في القبائل^(٨)

(١) أي في حالي المتصلة المرتبطة بحاله .

(٢) الثلثة : فرجة المكسور أو الهدوم .

(٣) ميل بين الأمرين : رجح بينهما ووازن .

(٤) تخيّر : انحرفت وملت وتنحيت من جهة إلى جهة ، يريد : غبت .

(٥) السهيم : المقاسم لغيره بالسهم ، أي مباين لك منفصل عنك ، ولكن قلبي مشترك

بينى وبينك .

(٦) القذّي : ما يدخل في العين من جسم غريب عنها .

(٧) الشجّا : ما ينشب ويعلق في الخلق من شوكة ونحوها .

(٨) تمثل بهذا البيت ، وهو مقول في خالد بن عبد الله القسري والي العراق للخليفة

هشام ، ثم غضب عليه الخليفة فسجنه ، وأمر بقتله .

ولقد نسجت في ذم الظالم حُللاً لا يبيلها الماء ، ولا يحففها الهواء ،
ولا تغطي عليها الظلمات . والمغبون من احتقب^(١) الإثم ، والغارم من غرم العرض ،
والراجح من محنته فانية ، ومثوبته باقية . ولو أنصف الظالم لكان يعزى ، ولو أنصف
المظلوم لكان يهنى .

جعل الله — تعالى — هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مدد^(٢)
ولا ليومها غد ، وجعل العمل بها آخر عهد القاضى بالعسر ، وخاتمة لقائه لريب
الدهر . ولا حرمه فيما نزل به مثوبة الصابرين ، ولا أخلاه . وفيما بعده من مزيد
للساكرين برحمته .

٤ - البديع الهمداني^(٣)

كتب يعتذر من إنابته رسوله عن شخصه :

يعز عليّ أطل الله بقاء الرئيس . أن ينوب في خدمته قلبي ، عن قدمي ،
ويسعد برويته رسولي ، دون وصولي . ويرد مشرع^(٤) الأنس به كتابي ، قبل
ركابي ، ولكن ما الحيلة والعوائق جمّة ! .

وعليّ أن أسعى وليد س عليّ إدراك النجاح

(١) احتقب الشيء : جعله في حقيقته .

(٢) أى لا يعقبها غيرها .

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين ، الكاتب المترسل ، والشاعر المبدع ، صاحب
المقامات المشهورة . نشأ بهمدان ، ونبغ في الأدب ، وتكسب به لدى الملوك والأمراء ، مات
سنة ٣٩٣ هـ .

(٤) المشرع : مكان ورود الماء .

وقد حضرتُ داره . وقبَّلتُ جداره . وما بى حب الجدران ، ولكن شغفاً
بالقطان^(١) . ولا عشقُ الحيطان ، ولكن شوقاً إلى السكان . وحين عدت العوادي
عنه أملتُ ضمير الشوق على لسان القلم معذراً إلى الشيخ على الحقيقة — لا عن
تقصير وقع ، أو فتور في الخدمة عرض ، ولكني أقول :

إن يكن تركنا لقصدك ذنباً فكفانا ألا نراك عقاباً

المقامة القريضية

وللهمداني مقامات^(٢) معروفة ، وهذه هي المقامة الأولى منها :

حدثنا عيسى بن هشام قال :

طرحتنى النوى مطارحها حتى إذا وطئتُ جرجان الأقصى ، استظهرت
على الأيام بضيايح أجلتُ فيها يد العمارَة ، وأموالٍ وقفتُها على التجارة ، وحانوتٍ
جعلته متابةً ، ورفقة اتخذتها صحابة ، وجعلتُ للدار حاشيتي النهار ، وللحانوت
ما بينهما ، فجلسنا يوماً نتذاكرُ القريض وأهله ، وتلقاؤنا شابٌ قد جلس غير بعيد ،
يُنصتُ وكأنه يفهم ، ويسكتُ وكأنه لا يعلم ، حتى إذا مال الكلام بنا

(١) القطان جمع قاطن ، وهو الساكن بالمكان ، المقيم به . وهذا المعنى مضمون
قول الشاعر :

أمر على الديار ، ديار ، ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

(٢) المقامة . مفعلة من القيام ، يقال : مقام ومقامة . ثم سمي بها المجلس ومكان الاجتماع
ثم اتسع استعمالها حتى سمي بها ما يقال في المجلس من خطبة وموعظة . فقالوا : مقامات الخطباء
ومجالس القصاص . فالمقامة صورة خيالية بين اثنين أو أكثر أو موعظة أو وصف أو بحث
أو غير ذلك من الأغراض الأدبية . وأشهر من صاغوا المقامات : الحريري والهمداني .

مَيْلَةً ، وجرّ الجدال فينا ذيله ، قال : قد أصبتم عذيقه ، ووافقتم جذيله^(١) ، ولو شئت للفظت وأفضت ، ولو قلت لأصدرت وأوردت ، ولجلوت الحق في معرض بيان يُسمِعُ الصمّ ، ويُنزِلُ العصم^(٢) . فقلت : يا فاضل ادن فقد منّيت ، وهات فقد أثنيت ؛ فدنا وقال : من وقف بالديار وعرصاتها ، واغتدى والطير في وُكفاتها ، ووصف الخيل بصفاتها . ولم يقل الشعر كاسبا ، ولم يُجد القول راغبا ؛ ففضل من تفتق للحيلة لسانه ، وانتجع للرغبة بنانه . قلنا : فما تقول في النابذة ؟ قال : ينسب إذا عشق ، ويسلب إذا حنق ، ويمدح إذا رغب ، ويعتذر إذا رهب ، ولا يرمى إلا صائبا ، قلنا : فما تقول في زهير ؟ قال : يُذيبُ الشعر والشعرُ يذيبُهُ ، ويدعو القول والسحرُ يُجيبُهُ . قلنا : فما تقول في طرفة ؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتها ، وكنزُ القوافي ومدينتها ، مات ولم تظهر أسرارُ دفائنه ، ولم تفتح أغلاق^(٣) خزائنه . قلنا : فما تقول في جرير والفرزدق ؟ وأيهما أسبق ؟ قال : جريرٌ أرقُّ شعرا ، وأغزرُ غزرا^(٤) ، والفرزدق أمتنُ صخر^(٥)

(١) العذيق : تصغير العذق (بكسر العين) وهو كباسة الثمر من النخلة . والتصغير هنا للتعظيم ، كذلك الجذيل تصغير الجذل (بكسر الجيم) وهو ما عظم من أصول الشجر بعد ذهاب الفروع ، ومنه المثل : « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » يضرب لمن تباهى بكرمه واشتهار نفعه ، لأنهم يرجون عذق النخلة الكريمة ، أي يربطونه بسعفها لئلا ينقص ، وكانوا يتركون الجذل لتحتك به الإبل .

(٢) العصم : جمع أعصم وهو الوعل ، يكون في الجبال .

(٣) الأغلاق : جمع غلق ، وهو ما يغلق به الباب (الكلون) .

(٤) غزرا . مصدر غزر .

(٥) أي أنه متنوع القوافي .

وأكثرُ فخراً ، إذا نسب أشجى^(١) ، وإذا ثلب أردى ، وإذا مدح أسنى^(٢) .
والفرزدق إذا افتخر أجزاً^(٣) ، وإذا احتقر أزرى ، وإذا وصف أوفى . قلنا :
فما تقول في المحدثين من الشعراء والمتقدمين منهم ؟ قال : المتقدمون أشرفُ
لفظاً ، وأكثر من المعاني حظاً ، والمتأخرون ألطفُ صنْعا ، وأرقُ نسجاً . قلنا :
فلو أريت من أشعارك ، ورويت لنا من أخبارك ! قال : خذهما في معرض
واحد . وقال :

إمّا تروني أنغشى طمرا ^(٤)	مُمْتَطِياً في الصُّرِّ أمراً ^(٥)
مُضْطَبِّناً على الليالى غمرا	ملاقياً منها صُروفاً خُمرا ^(٦)
أقصى أمانى طلوعِ الشعري	فقد غنينا بالأمانى دهُرا ^(٧)
وكان هذا الحرُّ أغلى قدراً	وماء هذا الوجه أغلى سعرا ^(٨)
ضربتُ للسرا قباباً خضرا	في دار دارا وإوان كسرى ^(٩)
فانقلب الدهرُ لبطنٍ ظهرا	وعاد عُرفُ العيش عندى نكرا

(١) لغة في شجاء ، بمعنى : أحزن .

(٢) أسنى : رفع ، أى رفع الممدوح .

(٣) مسهل أجزاً بالهمزة : يعنى كفى وأغنى .

(٤) الطمر : الثوب البالى .

(٥) أمرا إمرا : منكرا عجباً .

(٦) الحر : جمع حمراء ، يريد صروفاً شديدة الوقع .

(٧) الشعري : نجم يطالع في الصيف . ولا يحتاج الفقير العارى فيه إلى دثار

(٨) يريد بالحر . نفسه .

(٩) السرا : السراء وهى : الرخاء . ودارا وكسرى من ملوك الفرس . وإوان كسرى :

جهو عظيم في القصر الأبيض بالمداثن ، وبه كان يسمى القصر كله . وخفف إوان بحذف يائه
لضرورة الشعر .

لم يبق من وفري إلا ذكرى ثم إلى اليوم هلم جراً^(١)
لولا مجوز لي بسر من را وأفرخ دون جبال بصرى^(٢)
قد جلب الدهر عليهم شرًا قتلت ياسادات نفسي صبرا

قال عيسى بن هشام . فأنته ما تاح^(٣) وأعرض عنا فراح . فجعلت أنفيه
وأثبتته ، وأنكره وكأني أعرفه ، ثم دلتني عليه ثناياه ، فقلت : الإسكندري والله !
فقد كان فارقنا خشفاً^(٤) ووافانا جلفاً^(٥) . ونهضت على أثره ، ثم قبضت على
خصره ، وقلت :

أست أبا الفح ؟ « ألم نربك فينا وليداً ، ولبثت فينا من عمرك سنين ؟ »
فأى مجوز لك بسر من رأى ؟ فضحك إلى ، وقال :

ويحك ! هذا الزمان زورُ فلا يغرّك الغرور^(٦)
لا تلتزم حالة ولكن در باليالى كما تدور

(١) الوفري : الغنى وكثرة المال . وذكرى الشيء : التحدث عنه بعد زواله .
(٢) سر من را : اسم لمدينة (سر من رأى) التي بناها المعتصم العباسي . شمال بغداد ،
وبصرى : بلدتان ، واحدة قرب بغداد ، ولعلها هي التي يريد ، والثانية من بلاد حوران
بالشام . يعنى أن له أمّاً أو زوجاً مجوزاً بسر من رأى ، وأولاداً صغاراً بقرب جبال بصرى ،
ولولا هؤلاء لقتل نفسه .

(٣) ما تاح : ما تهيأ وأمكن .
(٤) الخشف : ولد الظبية ، ويريد فارقنا صغيراً .
(٥) الجلف الرجل الجافى .
(٦) الغرور : الدنيا . لأنها تفر بمظاهرها .

ثانيا - النثر العلمى التالىفى

١ - ابن جنى^(١)

قطعة من كتابه « الخصائص » :

باب القول على اللغة وما هى ؟

أما حدثها فإنها أصواتٌ يُعَبَّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضهم . هذا حدثها : وأما اختلافها فلما سذكروه فى باب القول عليها : أمواضعة^(٢) هى ، أم إلهام . وأما تصريحها ومعرفة حُرُوفها فإنها فُعَلَةٌ من لَفَوْتُ أى تَكَلَّمْتُ . وأصلها لُغَةٌ كَكُرْفَةٍ وقلة^(٣) ونُبَّة^(٤) كلها لاماتها واواتٌ ، لقولهم كَرَوْتُ بالكرة ، وقلَوْتُ بالقلة ، ولأنَّ ثبته كأنها من مقلوب ثاب يثوب . وقد دلَّلتُ على ذلك وغيره من نحوه فى كتابى « سر الصناعة » وقالوا : لها لغاتٌ ولُغُونٌ ، ككُرَاتٍ وكُرُونٌ ، وقيل منها : لغى يلغى إذا هذى . قال :

ورُبَّ أسرابٍ حجيجٍ كظَّمٍ عن اللِّغَا ورَفَّتِ التَّكَلُّمُ

وكذلك اللُّغُو ، قال الله سبحانه وتعالى : « وإذا مروا باللغو مرُّوا كراما » أى بالباطل . وفى الحديث : « من قال فى الجمعة صه فقد لغا » أى تكلم . وفى هذا كاف^(٥) .

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى النحوى اللغوى واحد زمانه فى التصريف والبحث فى فقه اللغة وخصائصها (وكان أبوه مملوكا روميا) وله تأليفات كثيرة وتوفى سنة ١٩٢ هـ .

(٢) المواضعة : الاتفاق والاصطلاح . يقال : واضعته على كذا ، اتفقت معه عليه .

(٣) القلة : عودان يلعب بهما الصبيان .

(٤) الثبة : وسط ، يثوب إليه الماء من الجوانب . (٥) أى ما يكفى .

٢ - الجرجاني^(١)

فصل من كتابه « دلائل الإعجاز » :

وإذ قد عرفت هذه الأصول والقوانين في شأن فصل الجمل ووصلها — فاعلم أنا قد حصلنا من ذلك على أن الجمل على ثلاثة أضرب : جملة حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف ، والتأكيّد مع المؤكّد ، فلا يكون فيها العطف البتة ، لشبه العطف فيها — لو عطف — بعطف الشيء على نفسه ، وجملة حالها مع التي قبلها حال الاسم يكون غير الذي قبله إلا أنه يُشاركه في حُكم ، ويدخل معه في معنى : مثل أن يكون كلا الاسمين فاعلاً أو مفعولاً أو مضافاً إليه ، فيكون حقها العطف ، وجملة ليست في شيء من الحالين ، بل سبيلها مع التي قبلها سبيل الاسم مع الاسم لا يكون منه في شيء ، فلا يكون إتياء ولا مُشاركاً له في معنى ، بل هو شيء إن ذكر لم يُذكر إلا بأمر ينفرد به ، ويكون ذكر الذي قبله وترك الذكر سواء في حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأساً ، وحق هذا ترك العطف البتة . فترك العطف يكون إما للاتصال إلى الغاية ، أو الانفصال إلى الغاية ، والعطف لما هو واسطة بين الأمرين ، وكان له حال بين حالين ، فاعرفه .

(١) هو أبو بكر عبد القاهر الجرجاني ، أحد أئمة النحو وضابط علوم البلاغة حتى ليحق أن يكون هو الواضع له على النظام الذي نعرفه ، ولم يزد عليه السكاكي إلا تطبيق المنطق على البلاغة مع بعد ما بينها وتوفي سنة ٤٧١ هـ

٣ - الحريري^(١)

والحريري في كتابه « درة الغواص ، في أوهام الخواص » :
ويقولون : هذا بعد اللثيا والتي ، فيضمون اللام الثانية من اللثيا ، وهو لحن فاحش
وغلط شائن ، إذ الصواب فيها اللثيا (بفتح اللام) لأن العرب خصت أذى والتي
عند تصغيرها وتصغير أسماء الإشارة بإقرار فتحة أوائلها على صيغتها ، وبأن زادت
ألفاً في آخرها عوضاً عن ضم أوّلها ، فقالوا في تصغير الذى والتي : اللذيا واللثيا ،
وفي تصغير ذاك وذلك ذيباك وذيبالك أنشد ثعلب :

بذيبالك الوادى أهيم ، ولم أقل بذيبالك الوادى وذيباك من زهد
ولكن إذا ما حُبَّ شئٌ توأمت به أحرفُ التصغير من شدة الوجد
أراد أن التصغير قد يقع من فرط المحبة ولطف المنزلة . كما يقال : يا بُنى ، يا أُخى .
وقوله : إذا ما حُبَّ شئٌ يعنى به أحبُّ لأنه يقال حُبَّ الشئ وأحبه بمعنى^(٢) ،
كما جاء في المثل السائر : من حُبَّ طَبَّ^(٣) ، إلا أنهم اختاروا أن بنوا الفاعل
من لفظة أحب ، وبنوا المفعول من لفظة حب ، فقالوا للفاعل : مُحَبٌّ ، والمفعول
محبوب ، ليعادلوا بين اللفظين في الاشتقاق منهما ، والتفريع عليهما . على أنه قد سمع
في المفعول محب ، وعليه قول عنتره :

ولقد نزلت فلا تظننى غيره منى بمنزلة المحبِّ المُكْرَم

(١) هو أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري إمام اللغة والأدب والنحو والإنشاء .
توفي سنة ٥٢٢ هـ . وأشهر آثاره « المقامات » المعروفة باسمه .

(٢) أى بمعنى واحد .

(٣) طب هنا : تأتى للامور وتلطف . أى من أحب شيئاً استعمل الأناة والرفق ،
واستخدم الحيلة رغبة في الحصول عليه .

ويقولون إذا أصبحوا : سهرنا البارحة ، وسرّينا البارحة . والاختيار في كلام العرب — على ما حكاه ثعلب — أن يقال مذ لدن الصبح إلى أن تزول الشمس : سرّينا الليلة ، وفيما بعد الزوال إلى آخر النهار : سهرنا البارحة .

ويتفرع على هذا أنهم يقولون من انتصاف الليل إلى وقت الزوال صُبِّحْتَ بخير ! وكيف أَصْبَحْتَ ؟

٤ — المسعودي^(١)

قطعة من مقدمة كتاب « التنبيه والإشراف » :

وقد ذكرنا في كتابنا هذا وما سلف قبله من كتبنا التي هذا سابعها أخبار العالم وعجائبه ، ولم نُخله من دلائل تعضدها ، وبراهين تؤيدها عقلا وخبرا ، وغير ذلك مما استفاض واشتهر ، وشاهد من الشعر على حسب الشيء المذكور وحاجته إلى ذلك . ونحن وإن كان عصرنا متأخراً عن عصر من كان قبلنا من المؤلفين ، وأيامنا بعيدة عن أيامهم فخرجوا إلا نقصّر عنهم في تصنيف نقصده ، وغرض نؤمّه^(٢) ، وإن كان لهم سبق الابتداء ، فلنا فضيلة الاقتداء ، وقد تشترك الخواطر ، وتتفق الضمائر ، وربما كان الآخر أحسن تأليفاً ، وأتقن تصنيفاً لحفكة التجارب ، وخشية التنبع ، والاحتراس من مواقع الخطأ . ومن ههنا صارت العلوم نامية

(١) هو العالم المؤرخ الرحالة البجائية أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ، سليل عبد الله بن مسعود الصحابي صاحب كتاب مروج الذهب . والتنبيه والإشراف ، وهما مطبوعان . وله كثير من الكتب غيرها . توفي سنة ٣٤٦ هـ .

(٢) نؤمّه : نقصد إليه .

غير متناهية لوجود الآخر ما لا يحده الأول ، وذلك إلى غير غاية محصورة ،
ولا نهاية محدودة ، وقد أخبر الله عز وجل بذلك فقال : « وفوق كل ذي علم
عليم » ؛ على أن من شيم كثير من الناس الإطراء للمتقدمين ، وتعميم كتب
السالفين ، ومدح الماضي ، وذم الباقي . وإن كان في كتب المخدثين ما هو
أعظم فائدة وأكثر عائدة^(١) . وقد ذكر أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أنه كان
يؤلف الكتاب الكثير المعاني الحسن النظم فينسبُهُ إلى نفسه فلا يرى الأسماع
تُصفى إليه ولا الإرادات تيمُّ نحوه . ثم يؤلف ما هو أنقص منه مرتبةً وأقل
فائدة ، ثم ينحله عبد الله بن المقفع أو سهل بن هرون أو غيرها من المتقدمين ،
ومن قد طارت أسماؤهم في المصنفين ، فيقبلون على كتبها^(٢) ، ويسارعون إلى نسخها
لا لشيء إلا لنسبتها إلى المتقدمين ، ولما يداخل أهل هذا العصر من حسد من
هو في عصرهم ، ومنافسته على المناقب التي يخص بها ويعنى بتشبيدها . وهذه
طائفة لا يعبأ بها كبار الناس . وإنما العمل على ذوى النظر والتأمل الذين
أعطوا كل شيء حقه من العدل ، ووفّوه قسطه من الحق ، فلم يرفعوا المتقدم
إذ كان ناقصاً ، ولم ينقصوا المتأخر إذ كان زائداً . فمثل هؤلاء تُصنّف الكتب
وتدون العلوم ، وسنذكر الآن الأمم السالفة في سابق الدهر ولغاتهم ومواضع
مساكنهم وغير ذلك .

(١) العائدة : المنفعة .

(٢) الكتب : الكتابة .

٥ - الماوردي^(١)

فصل من أدب الوزير :

الإقدام من مزايا الوزير وصفاته

وأما الشرط الثالث — وهو الإقدام — فهو في السياسة أوفى شرطينها ، وفي لوازرة أكفى نظريها ، لظفر الإقدام ، وخيبة الإحجام . وقد قيل في منشور الحكم : بالإقدام ترتفع الأقدام ، وإنما يجب الإقدام إذا ظهرت أسبابه ، وقصدت أبوابه ، في إبانته ، وعند إمكانه ، كما قال الشاعر :

إذا ما أتيت الأمر من غير بابهِ ضللت وإن تقصدت إلى الباب تهتدى

ثم يجمع بعدها بين حزمه وعزمه ، فالحزم تدبير الأمور بموجب الرأي ، والعزم تنفيذها للوقت المقدّر لها ، فإذا تكاملت شروط الإقدام من هذه الوجوه الأربعة لم يمنع من الظفر إلا عوائق القدر . وقد قيل في قديم الحكم : إذا طلب أثنان حظاً ظفر به أفضلهما ديناً . فإن استويا في الدين ظفر به أفضلهما مروءةً ، فإن استويا في المروءة ظفر به أكثرهما أعواناً ، فإن استويا في الأعوان ظفر به أسعدهما جدّاً . فإن انشلم من شروط الإقدام أحدها صار الإقدام تفريراً يمنع من حزم ذي اللب ، ويصدّ عن الظفر ، ما لم يغلب قدر ، فما الأقدار بقياس معتبر ، وقد قال حكيم الهند : السبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو الذي

(١) هو قاضى القضاة أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ

وهو صاحب كتاب أدب الدنيا والدين ، وكتاب الوزير . وهما مطبوعان ، وله كثير من الكتب غيرها .

يحول بين الحازم وطلبته . وقد قيل ليزرُ جهر : ما أعجبُ الأشياء ؟ قال : نجح الجاهل وإكداء^(١) العاقل . ودخل رجلٌ على عبد الله بن طاهر . فقال له : أيها الأمير ! ما الذى لا يُحتاج فيه إلى عزم ولا حزم ؟ فاستمهله فى جوابه ثلاثة أيام فعاد إليه بعدها ، وسأله فقال له ، الدولة^(٢) ، فقال : صدقت . وما أخرج هذه الكلمة منك إلا الدولة ، ولذلك قيل فى منشور الحكم : الحظ يأتى من لا يأتيه .

٦ — ابن حمدون^(٣)

فصل من تذكرته فى السياسة والآداب الملكية ، وهو فى سياسة الوزراء

والكتاب وأتباع السلطان

قالوا : من صحب الملوك وقرب منهم ، ينبغي أن يكون جامعاً للخلال المحمودة ؛ فأولها العقل ؛ فإنه رأسُ الفضائل ، والعلمُ فإنه من ثمار العقل ، ولا تليق صحبة الملك بأهل الجهل . . والود ، فإنه خلق من أخلاق النفس ، يؤلده العدل فى الإنسان الذى ودّه . والنصيحة ؛ وهى تابعة للود ، وهو الذى يبعث عليها . والوفاء ؛ فإنه شيمة لا تتمُ الصحبة إلا بها . وحفظ السر ، وهو من صدق الوفاء . والعفة عن الشهوات والأموال . والصّرامة ، وهى شدة القلب ، فإن الملوك

(١) أكدى : لم يظفر بحاجته .

(٢) الدولة يريد بها هنا : الحظ . والدولة ما يتداول فيكون لهذا مرة ولذاك أخرى ، فتطلق فى الغلبة والحظ . ودول الأيام : تقلباتها التى تعين الرجل يوماً وتعين عليه يوماً .

(٣) هو كافى الكفاة أبو المعالى بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن على بن حمدون البغدادى الكاتب الأديب صاحب التذكرة فى الأدب والدياسة توفى سنة ٤٩٥ هـ .

لا يصحبهم أولو النكول ، ولا ينالُ الجسمَ من الأمور إلا الشجاع النجد .
والصدق ؛ فإنه من لا يصدق يكذب ، ومضرة الكذب لا تتلافى . وحسن الزى
والهيئة ؛ فإن ذلك يزيد في بهاء الملك . والبشرُ في اللقاء ؛ فإنه يتألف به قلب
من يُلاقيه ، وفي الكلوح^(١) تنفيرٌ عن غير ريبة . والأمانة فيما يُستحفظ . ورعاية
الحق فيما يُستودع . والعدل والإصاف ؛ فإن العدل يُصلح السرائر ، ويجملُ
الظواهر ، وبه يُخاصمُ الإنسان نفسه إذا دعه إلى أمر لا يحسنُ رُكوبه . وينبغي
له أن يجانبَ أصدقاء هذه الخلال ، وألا يكون حسوداً ، فإن الحسد يُفسد ما بينه
وبين الناس ، ولْيُفرّق بين الحسد والمنافسة ؛ فإنهما يشتبهان على من لا يعقل .
وأن يخلو من اللجاج والمحك^(٢) ؛ فإن ذلك يضرُّ بالأفعال إذا وقع فيها اشتراك .
وألا يكون بذاخاً^(٣) ولا متكبراً ، فإن البذخ من دلائل سقوط النفس وشدة
الطيش والبعد عن الصبر .

وينبغي ألا يكون قدماً^(٤) وخجاً^(٥) وَلَا ثَقِيلَ الرُّوح ؛ فإنها صفة لا تليق
بمن يُلاقى الملوك ، وأبدأ تكون سبباً للمقت من غير جُرم ، وبالجملة فالفضائلُ
والأخلاقُ الحمودة كثيرة ، وأولى الناس بطلب غاياتها الملوك ، كما هم الغاية ،
ثم أتباعهم ثم سائر الرعية .

(١) الكلوح : الإفراط في العبوس والكشر عن الأنياب .

(٢) المحك : التمدى في اللجاجة عند المساومة . والمشارة والمنازعة في الكلام .

(٣) البذخ : للتعظيم المتكبر يظهر التعالي على الناس .

(٤) القدم : العاجز عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم .

(٥) الوخم ككتف : الرجل الثقيل .

الأدب في مصر والشام

(١) الشعر

١ - المتنبي^(١)

قال في صباه من قصيدة :

أَرَقُّ عَلَى أَرَقٍ وَمِثْلِي يَأْرَقُ وَجَوَى يَزِيدُ وَعَبْرَةٌ تَتَرَقُّ
جَهْدُ الصَّبَابَةِ أَنْ تَكُونَ كَمَا أَرَى : عَيْنٌ مُسَبَّدَةٌ ، وَقَلْبٌ يَخْفَقُ
مَا لَاحَ بَرَقٌ أَوْ تَرَنَّمَ طَائِرٌ إِلَّا أَنْتَنَيْتُ ، وَلِي فُؤَادٌ شَيِّقُ
جَرَّبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِئُ نَارُ الْغَضَى ، وَتَسْكُلُ عَمَّا يُحْرِقُ^(٢)
وَعَذَلْتُ أَهْلَ الْعَشْقِ حَتَّى ذُقْتُهُ فَعَجِبْتُ كَيْفَ يَمُوتُ مَنْ لَا يَعْشَقُ
وَعَذَرْتَهُمْ ، وَعَرَفْتُ ذَنْبِي أَنِّي عَيَّرْتُهُمْ ، فَلَقَيْتُ مِنْهُ مَا لَقُوا
أَبْنَى أَبِينَا نَحْنُ أَهْلُ مَنَازِلِ أَبْدَأُ غُرَابَ الْبَيْنِ فِيهَا يَنْعَقُ^(٣)

(١) هو أحمد بن الحسين أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم والمعاني الدقيقة والمختصرة . ولد بالكوفة ونشأ بها وتأدب بفصاحة أهل البدو . وقيل إنه اتهم وهو مقيم بينهم بأنه ادعى النبوة ، فسجنه وإلى حمص . ثم خرج من السجن ومدح الرؤساء والأمراء من أهل الشام وخاصة سيف الدولة . ثم فارقه وذهب إلى مصر فمدح كافور الإخشيدي . ثم هجاء ، وفر إلى فارس مارا بالعراق ، فمدح عضد الدولة أعظم ملوك بني بويه ووزيره ابن العميد ، ورجع عنهما بالأموال العظيمة فخرج عليه الأعراب وقتلوه قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ .

(٢) أى ما تنطفئ نار الغضى عنه . والغضى : شجر قوى النار .

(٣) يخاطب عامة البشر لأنهم إخوة من أبيهم آدم : أى نحن أهل منازل لا يلبثون أن يتفرقوا ، وكفى عن الفراق بنعق غراب البين فيهم .

فبكى على الدنيا ، وما من معشر جمعهم الدنيا فلم ينفرقوا
أين الأكرسة الجبارة الالى كنزوا الكنوز ، فباقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه حتى ثوى فحواه لحد ضيق^(١)
خرس إذا نؤا ؛ كأن لم يعلموا أن الكلام لهم حلال مطلق
فالموت آت ، والنفوس نفائس والمستعز بما لديه الأحق
والمرء يأمل ، والحياة شهية ، والشيب أوفر ، والشيبة أنزق
ولقد بكيت على الشباب ولما مسودة ، ولما وجهى رونق^(٢)
حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفنى أشرق^(٣)

وقال من قصيدة يصف حرباً :

أتوك يجرون الحديد كأنما سروا بجياد ما لهم قوائم^(٤)
إذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم^(٥)
خمس يشرق الأرض والغرب زحفه وفي أذن الجوزاء منه زمازم^(٦)

- (١) ثوى الرجل : هلك .
(٢) اللة : الشعر المجاوز شحمة الأذن . ويريد برونق ماء الوجه : النضارة .
(٣) قال هذه القصيدة وهو شاب ، ولكنه يبكى الشباب حذراً من زواله .
(٤) أى لكثرة دروع الحديد عليهم وعلى خيلهم .
(٥) البيض : السيوف أى إذا برقوا بكثرة ما عليهم من الحديد المجلول لم تميز السيوف منهم ، لأن ثيابهم من الحديد أيضاً ، ولأن عمائمهم من الحديد أيضاً : يريد بالثياب الدروع ، والعمائم الخوذ والبيضات .
(٦) الخمس : الجيش . والجوزاء : برج فى السماء . الزمازم : الأصوات المختلفة التى لا تفهم أى أتوك بجيش عظيم يملأ المشرق والمغرب وتصل أصواته إلى السماء .

- (١) تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسَنٍ وَأُمَّةٍ فَمَا تَفْهَمُ الْخُدَّاثُ إِلَّا التَّرَاجِمُ^(١)
 فَلِلَّهِ وَقْتُ ذَوْبِ الْغَشِّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضُبَارِمٌ^(٢)
 تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعُ وَالْقَنَا وَفَرٌّ مِنَ الْفُرْسَانِ مَنْ لَا يُصَادِمُ^(٣)
 وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ^(٤)
 تَمُرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كُلُّمَى هَزِيمَةً وَوَجْهَكَ وَضَاحٌ وَثَغْرُكَ بِاسْمٍ^(٥)
 تَجَاوَزْتَ مَقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّهْيِ إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ : أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ^(٦)
 ضَمَمْتَ جَنَاحِيهِمْ عَلَى الْقَلْبِ ضِمَّةً تَمُوتُ الْخَوَافِيُّ تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ
 بِضَرْبِ أَنْيَالِهَا ، وَالنَّصْرُ غَائِبٌ وَصَارَ إِلَى اللَّبَّاتِ ، وَالنَّصْرُ قَادِمٌ^(٧)
 حَقَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا وَحَتَّى كَانَ السَّيْفُ لِلرَّمْحِ شَاتِمٌ^(٨)

- (١) اللسان : اللغة . والحداث : الجماعة يتحدثون . أى أنه مؤلف من أمم مختلفة
 الألسن : كالروم ، والصقلب ، والبلغار ، والألبان ، وغيرهم .
 (٢) يريد بالغش : الضعاف من الأسلحة والرجال . فأما الأسلحة ففُلت وكسرت ، وأما
 الرجال فهلكوا أو فروا ، فلم يبق إلا صارم قاطع وشجاع قوى . وفسر ذلك بالبيت بعده .
 (٣) أى تقطع ما لا يقطع الدرع من السيوف .
 (٤) أى كأن الردى : وهو الموت . مطبق عليك من جميع النواحي انطباق الجفن على
 العين ، بما لا يجعل للمرء مجالاً للشك فى أن الموت واقع لا محالة ، فكان ينبغي لمن هذه حاله
 أن يفر ، أما أنت فلم تفعل ولم يبصرك الردى وغفل عنك بالنوم فسلمت .
 (٥) كللى : مجروحة مهزومة ، فتكون على وجوهها كآبة وعبوس ، أما أنت فكان
 وجهك وضاحاً وثغرك باسمًا تقابل الموت مستبشراً أنفة بنفسك وشجاعة فى جبلتك .
 (٦) أى كأنك تعرف ما سيكون لك من الظفر .
 (٧) أى لم يكن بين ملاقاتهم ونصرك إلا مقدار ما يهوى السيف من أعلى الهامة إلى
 اللبة ، وهى موضع القلادة من الصدر ، فقبل الضرب كان النصر غائباً ، وبعده
 جاء النصر .
 (٨) الردينيات : الرماح . ومن قاتل بها كان بينه وبين عدوه بعد ، والضرب بالسيف
 شرف . فالشجعان تقاتل بالسيوف ، لأنها لا تنبأ بمقاربة الأعداء

ومن طلب الفتح الجليل فائما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
 نثرهم فوق الأحيدب^(١) نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم
 وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر محاربه للروم ، وبناءه مرعشاً^(٢) :
 فدينك من ربع ، وإن زدتنا كربا فإني كنت الشرق للشمس والغربا
 وكيف عرفنا رسم من لم يدع لنا فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبنا
 نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلّم به ركباً^(٣)
 نذم السحاب الغرّ في فعلها به ونعرض عنها كلما طلعت عتياً^(٤)
 ومن صعب الدنيا طويلاً تقلبت على عينه حتى يرى صدقها كذباً
 وكيف التذاذي بالأصائل والضحا إذا لم يعد ذاك النسيم الذي هباً^(٥)
 ذكرت به وصلاً كان لم أفر به وعيشاً كأني كنت أقطعه وثباً
 وفتانة العينين قتالة الهوى إذا نفت شيوخاً روائحها شباً
 لها بشر الدر الذي قلّت به ولم أر بذراً قبلها قلد الشهباً^(٦)
 فيا شوق ما أبقي ويالي من النوى ويا دمع ما أجرى ! ويا قلب ما أصبى
 لقد لعب البين المشتت بها وبى وزودني في السير ما زود الضباً^(٧)
 ومن تكن الأسد الضواري جدوده يكن ليله صبحاً ومطعمه غضباً

(١) الأحيدب : جبل بجهة بلدة الحدث .

(٢) بلد بالشام قرب أنطاكية .

(٣) الأكوار : جماعة الإبل .

(٤) أي نذم السحاب لأنها عفت آثاره .

(٥) أي الذي هب قديماً أيام كنا نسكنه مع الحبيب .

(٦) البشر : جمع بشرة ، وهي ظاهر الجلد .

(٧) ما زود الضب : أي زودني العدم ، لأن الضب يعيش في البادية بلا ماء أو زودني

الحيرة ، لأنه إذا خرج ضل .

ولست أبالي بعد إدراكى العُلا أكان زائناً ما تناولت أم كسبا
 فربّ غلامٍ علم المجد نفسه كتعلم سيف الدولة الدولة الضربا
 إذا الدولة استكفت به في مُلّة كفاهافكان السيف والكف والقلبا
 تُهابُ سيوفُ الهند ، وهي حدائد فكيف إذا كانت نزاريةً عُرُبا؟^(١)
 ويُرهَبُ نابُ الليث ، والليث وحده فكيف إذا كان الليوثُ له صحبا؟
 ويُخشى عُبابُ البحر ، والبحرُ ساكنٌ فكيف بمن يغشى البلاد إذا عبّا؟^(٢)
 عليهمُ بأسرار الديانات والافى له خطراتٌ تفضح الناس والكتّبا^(٣)
 فبوركت من غيثٍ كان جلودنا به تُنبِتُ الديباج والوشى والعصبا^(٤)
 ومن واهب جزلاً ، ومن زاجرٍ : هلا ، ومن هاتك درعا ، ومن نائر قُصبا^(٥)
 هنيئاً لأهل الثغر رأيك فيهمُ وأنتك حزب الله صرت لهمُ حزبا^(٦)
 وأنتك رُعت الدهر فيها وريبه فإن شكّ فليُحدثُ باحتها خطبا^(٧)

-
- (١) أى أن السيوف تهاب مع أنها حديد لا عقل له ، فكيف يكون حالها في الخوف منها إذا كانت عربية نزارية كسيف الدولة .
- (٢) عب : ماج وتحرك .
- (٣) اللغى : اللغات . أى أنه عليهم بالديانات واللغات ، وله فيها خواطر تفضح العلماء وكتّهم ، لأنهم لم يبلغوا مقداره في العلم .
- (٤) العصب . ضرب من البرود . أى لأنك تخلعها علينا فنلبسها .
- (٥) هلا : لفظ تزجر به الخيل . والقصب : الأمعاء . أى فبوركت من رجل يعطى الجزيل ، وبزجر الخيل للقتال ، ويهتك الدروع بسيفه وسنانه ، ويشق البطون فينثر أمعاءها
- (٦) هنيئاً حال من فعل محذوف ، وهى عاملة الرفع فى رأيك وما عطف عليه .
- (٧) ريب الدهر : صروفه وأحداثه . وضمير فيها يعود على الأرض المفهومة من المقام ، والكلام تحد للدهر .

فيوماً بخيلٍ تطرُدُ الرومَ عنهمُ
سراياك تَتَرى والدُّمُستَقُ هارب
أتى مرعشاً يستقربُ البُعدَ مُقبِلاً
كذا يتركُ الأعداءَ من يكرهُ القنا
وهل ردَّ عنه باللقان وقوفه
مضى بعدَ ما التفَّ الرِّماحان ساعة
ولكنه ولَّى وللطَّعنِ سورة
وخلى العذارى والبطاريق والقرى
أرى كُلَّنا يَبغى الحياةَ لنفسه
حُبُّ الجَبانِ النَّفسَ أوردَه البقا
ويختلفُ الرِّزقان ، والفعلُ واحدٌ ،
فأضحت كأنَّ الشُّور من فوقِ بدنه
تصدُّ الرياحُ الهُوجُ عنها مخافة
وتردى الجيادُ الحردُ فوقَ جبالها

ويوماً بجُودٍ تطرُدُ الفقَرَ والجُدبا
وأصحابه قَتلى وأمواله نُهبى (١)
وأذبرَ إذ أقبلتِ يستبعدُ القربا
ويَقفلُ من كانت غنيمته رُعباً (٢)
صدر العوالى والمطهمة القبا (٣)
كما يَتَلقى الهدبُ فى الرقدة الهدبا (٤)
إذا ذكرتها نفْسُهُ لَمَسَ الجَنبا
وشعثُ النصارى والقرايين والصلبا (٥)
حريصاً عليها مُستهماً بها صِبا
وحُبُّ الشجاعِ النفسَ أوردَه الحربا
إلى أن ترى إحسانَ هذا لذنا ذنبا
إلى الأرضِ قد شقَّ السكواكبُ والتُّربا (٦)
وتفزعُ فيها الطيرُ أن تَلْقَطُ الحبَّ (٧)
وقد نَدَفَ الصَّنبرُ فى طُرُقها العُطبا (٨)

- (١) الدمستق : من الألقاب العظيمة لرؤساء الجيش عند الروم . ونهى : منهوبة .
(٢) يقفل : يرجع :
(٣) اللقان : اسم مكان هناك . والمطهمة القب : الخيل الحسان المضمرة .
(٤) الرماحان : أى رماح هؤلاء ورماح هؤلاء . يريد : الجيشين .
(٥) البطاريق قواد الروم . وأراد بالشعث : الرهبان . والصلب بضم اللام ، جمع صليب وأسكن اللام لضرورة الوزن .
(٦) أى من أعلاه إلى أدناه فقد شق الخ . وقوله : فأضحت أى مرعش .
(٧) تصد : أى تفزع منها . وكذلك الطير تفزع أن تلتقط الحب فيها لصعوبة ارتقاها .
(٨) وتردى : من الرديان وهو ضرب من الجرى . والصنبر : السحاب البارد .
والعطب : القطن .

كفى عجباً أن يعجب الناس أنه بنى مرعشاً ؛ تباً لأرائهم تباً (١)
وما الفرق ما بين الأنام وبينه إذا حذر الحذور وأستصعب الصعبا
لأمر أعدت الخلافة للعدا وسمته دون العالم الصارم العضبا
ولم تفتق عنه الأسنة رحمة ولم تترك الشام الأعادي له حبا
ولكن نفاها عنه غير كريمة كريم النشا ما سب قط ولا سباً (٢)
وجيش يثنى كل طود كأنه خريق رياح واجهت غصنا رطباً (٣)
كان نجوم الليل خافت مغاره فدبت عليها من عجاظته حجباً (٤)
فمن كان يرضى اللؤم والكفر ملكه فهذا الذي يرضى المكارم والريّا

وقال يذكر قيام شبيب العقيلي : وكان خارجاً على كافور فات فجأة وهو
يحاصر دمشق . وقيل : دس عليه كافور من سمه . وقيل : إنه ألقى عليه رحي
من السور ، وهذه القصيدة من المدح المراد به الذم :

عدوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران
ولله سر في علاك ؛ وإنما كلام العدا ضرب من الهذيان
أتلتمس الأعداء بعد الذي رأته قيام دليل أو وضوح بيان ؟
رأت كل من ينوي لك الغدر يبتلى بغدر حياة أو بغدر زمان
برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان (٥)

(١) أي من العجب أن يعجب الناس من بنائه مرعشا كأنهم لم يعرفوا قدرته .

(٢) النشا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سوء .

(٣) يثنى : يميل ، يريد : التغلب عليه . والحريق : الريح الشديدة .

(٤) مغاره : إغارته . والضمير في عجاظته عائد على الليل ، والعجاجة يريد بها الظلام .

(٥) العلات هنا : الأحوال . تقول : قبلت هذا الشيء على علاته ، أي على ما فيه ، أو على

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ : رَفِيقُكَ قَيْسِيٌّ وَأَنْتَ يَمَانِيٌّ (١)
فَإِنْ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ فَإِنَّ الْمَنَایَا غَايَةَ الْحَيَوَانِ (٢)
وَمَا كَانَ إِلَّا النَّارَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تُشِيرُ غُبَارًا فِي مَكَانٍ دُخَانٍ
فَنَالَتْ حَيَاةً يَشْتَهِيهَا عَدُوُّهُ وَمَوْتًا يُشْهِي الْمَوْتَ كُلَّ جَبَانٍ (٣)
نَفَى وَقَعَ أَطْرَافُ الرِّمَاحِ بِرُوحِهِ وَلَمْ يَخْشَ وَقَعَ النُّجُومِ وَالْذَّبَرَانِ (٤)
وَلَمْ يَدْرَ أَنَّ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ مُعَارُ جَنَاحٍ مُحْسِنُ الطَّيْرَانِ (٥)
وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِأُضْعَفِ قَرْنٍ فِي أَذَلِّ مَكَانٍ
أَنْتَهُ الْمَنَایَا فِي طَرِيقٍ خَفِيَّةٍ عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوْلَهُ وَعَيَانٍ
وَلَوْ سَلَكَتْ طَرُقَ السَّلَاحِ لَرَدَّهَا بِطُولِ يَمِينٍ وَأَنْسَاعِ جَنَانٍ
تَقْصِدُهُ الْمَقْدَارُ بَيْنَ صَحَابِهِ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانٍ (٦)
وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشَ الْكَثِيرَ الْتَفَافُهُ عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانٍ

قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَنْكَ أَوَّلُ . وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانِي
فَمَا لَكَ تَحْتَارُ الْقَسَى . وَإِنَّمَا عَنْ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقْلَانِ ؟ (٧)
وَمَا لَكَ تُغْنَى بِالْأَسْنَةِ وَالْقَنَا . وَجَدُّكَ طَعَانٌ بِغَيْرِ سِنَانٍ ؟ (٨)

- (١) لما بين قيس واليمن من العصبية في الشام . (٢) الحيوان : الحياة .
(٣) لأن حياته كانت مقرونة بنصره ، وأن موته كان بالسكينة بلا سابق ألم ولا مرض .
(٤) أى أنه قدر أن يدفع عن نفسه رزايا الأرض ، ولكنه ما حسب حسابا لرزايا
النحوس السماوية من الكواكب أمثال الذبران وهو كوكب نحس كما زعموا .
(٥) شواته : رأسه . (٦) المقدار القدر . (٧) الثقلان : الإنس والجن .
(٨) الأسنة : جمع سنان ، وهو نصل الرمح . والقنا : جمع قناة ، وهى الرمح .
والجد : الحظ .

وَلَمْ تَحْمَلِ السِّيفَ الطَّوِيلَ نِجَادَهُ وَأَنْتَ غَنَى غَنَاهُ بِالْحَدَّانِ؟^(١)
أَرَدْتُ لِي بِجَمِيلًا جُدْتُ أَوْ لَمْ تَجْدُبْهُ فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَتَانِي
لَوْ أُلْفَكَ الدَّوَارُ أَبْغَضْتَ سَعْيَهُ لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ !

وقال يوم عرفة ، وقد خرج من مصر فارًّا من كافور إلى الكوفة يهجوهم وقومه :

عَيْدٌ بِأَيَّةِ حَالٍ عُدْتُ يَا عَيْدُ بِمَا مَضَى أَمْ لِأَمْرٍ فَيْكَ تَجْدِيدُ^(٢)
أَمَّا الْأَحِبَّةُ فَالْيَبِيدُ دُونَهُمْ فَلَيْتَ دُونَكَ بَيْدًا دُونَهَا بَيْدُ^(٣)
لَوْلَا الْعُلَا لَمْ تَجِبْ بِي مَا أَجُوبُ بِهَا وَجَنَاءَ حَرْفٍ وَلَا جَرْدَاءَ قَيْدُودُ^(٤)
وَكَانَ أَطِيبَ مِنْ سَيْفِي مُضَاجَعَةٌ أَشْبَاهُ رَوْنَقِهِ الْغَيْدُ الْأَمَالِيدُ^(٥)
لَمْ يَتْرِكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبْدِي شَيْئًا تُنَيِّمُهُ عَيْنٌ وَلَا جِيدُ
يَا سَاقِيَّ أَخْرَجْ فِي كُثُوسِكَمَا أَمْ فِي كُثُوسِكَا هَمْ وَتَسْهِيْدُ
أَصْخَرَةٌ أَنَا مَالِي لَا تُحَرِّكُنِي هَذِي الْمُدَامُ وَلَا هَذِي الْأَغَارِيدُ
إِذَا أَرَدْتُ كَمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً وَجَدْتُهَا ، وَحَبِيبُ النَّفْسِ مَفْقُودُ^(٦)
مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَعْجَبُهَا أَنِي بِمَا أَنَا بِأَكْ مِنْهُ مُحْسُودُ !

(١) النجاد : حمائل السيف .

(٢) فيك تجديد : أى فيك تجديد لأمر .

(٣) يريد بالأحبة جدته وبعض أهله بالكوفة .

(٤) تجوب : تقطع . والوجناء الناقة العظيمة الحلق الصلبة العضل ، والحرف من النوق : للضمرة . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر . والقيدود : الطويلة الظهر . أى لولا العلا لم تقطع بى الفلاة ناقة ولا فرس .

(٥) يريد بالغيد الأماليد : الجوارى الحسن الناعمات . وأشباه رونقه : أى اللواتى يشبهن السيف فى الرنق . ويروى : معانقة بدل مضاجعة .

(٦) يريد بكيمت اللون : الخمر .

أَمْسَيْتُ أَرْوَحَ مُثْرَ خَازِنَا وَيَدَا أَنَا الْغَنِيُّ ، وَأَمْوَالِي الْمَوَاعِيدُ ^(١)
 إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِينَ ضَيْفُهُمْ عَنِ الْقَرْيِ وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ ^(٢)
 جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الْأَيْدِي وَجُودُهُمْ مِنَ اللِّسَانِ ؛ فَلَا كَانُوا وَلَا الْجُودُ !
 مَا يَقْبِضُ الْمَوْتَ نَفْسًا مِنْ نَفْسِهِمْ إِلَّا وَفِي يَدِهِ مِنْ نَتْنِهَا عُدُ ^(٣)
 أَكَلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ ؟
 صَارَ الْخَصِيُّ إِمَامَ الْآبِقِينَ بِهَا فَالْحَرْثُ مُسْتَعْبِدٌ ، وَالْعَبْدُ مَعْبُودُ
 نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَمَالِهَا فَقَدْ لَشَّمْنَ ، وَمَا تَفَنَّى الْعِنَاقِيدُ ^(٤)
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحَرْثٍ صَالِحٍ بِأَخٍ لَوْ أَنَّهُ فِي ثِيَابِ الْحَرْثِ مَوْلُودُ
 لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ إِنْ الْعَبِيدَ لَا تُجَاسُّ مَنَاكِيدُ
 مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنِ يُسَى بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ مَحْمُودُ
 وَلَا تَوَهَّمْتَ أَنَّ النَّاسَ قَدْ قُتِلُوا وَأَنْ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودُ ^(٥)
 وَأَنْ ذَا الْأَسْوَدَ الْمُسْقُوبَ مِشْفَرُهُ تَطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّعَادِيدُ ^(٦)

-
- (١) أروح : من الراحة . وخازنا ويذا : منصوبان على التمييز . أى أصبحت غنيا ، ولكن يدي وخازني في راحة ، إذ كانت أموالى مواعيد كافور ، وهى وهمية .
- (٢) القرى : ما يقدم للضيف من الطعام . ومحدود : أى ممنوع عن الرحيل عنهم .
- (٣) أى أن الموت إذا جاءهم لقبض نفوسهم جعل فى يده عودا ينشل به أرواحهم من أبدانهم لنتنها تقزرا من مس أبدانهم بيده .
- (٤) النواطير . حافظو الكروم بالطاء والطاء ، ويريد بالنواطير السادة وبالثعالب الأراذل وبشمن : أكلن فوق الشبع .
- (٥) كناه بأبى البيضاء ، وهى كنية العبيد سخريه منه .
- (٦) العضاريط : جمع عضروط ، وهو اللثيم الذى يخدم بطعام بطنه . والرعايد : جمع رعديد وهو الجبان .

جوعاً ن يأكلُ من زادى ويُسكنى لكنى يُقال : عظيمُ القَدْر مقصود
 إن امرأاً أمةٌ حُبلى تُدبرُهُ لمستَضَامٌ سَخِينُ العَيْنِ مفثود^(١)
 وَيَلْمُهَا خُطَةً ! وَيَلْمُ قَابِلَهَا ! لَمَثَلُهَا خُلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ^(٢)
 وَعِنْدَهَا لَذَّةٌ طَعْمِ الْمَوْتِ شَارِبُهُ إن الْمَنِيَّةَ عِنْدَ الذِّلِّ فَنَدِيدُ^(٣)
 مَنْ عَلمَ الْأَسْوَدَ الْخَصِيَّ مَكْرُمَةً ؟ أَقَوْمُهُ الْبَيْضُ أَمْ آبَاؤُهُ الصَّيْدُ ؟
 أَمْ أَذُنُهُ فِي يَدِ النَّخَّاسِ دَامِيَةً أَمْ قَدْرُهُ ، وَهُوَ بِالْفَلَسِّينِ مَرْدُودُ
 أُولَى اللَّثَامِ كَوَيْفِيرٍ بِمَعْذَرَةٍ فِي كُلِّ لَوْنٍ ، وَبَعْضُ الْعَذْرِ تَفْنِيدُ^(٤)
 وَذَاكَ أَنَّ الْفَحُولَ الْبَيْضَ عَاجِزَةً عَنِ الْجَمِيلِ ، فَكَيْفَ الْخَصِيَّةُ الشُّودُ ؟^(٥)

وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند إزماعه السفر إلى مصر :

وَاحَرَّ قَلْبَاهُ مِمَّنْ قَلْبُهُ شَمٌ وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ^(٦)
 مَالِي أَكْتَمْتُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدَّعَى حُبُّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأَمَمِ

(١) مفثود : مصاب في فؤاده . أى إن من يدبره ويسوسه أمثال كافور الخصى العظيم البطن الذى يشبه الأمة الحبلى لسخين العين فاقد العقل .

(٢) ويلمها : أى ويل لأمرها ، فحذفت ألف أم توسعا ، وجعلت مع الويل كأنها كلمة واحدة ولام ويل : إما مرفوعة أو مخفوضة بنقل حركة همزة أم المحذوفة إليها على لغة من يكسر همزة أم ، وهى سب للمكروه . والخطة هنا : الشأن والحال والعيشة . وقوله : لَمَثَلُهَا الخ أى مثل الخلاص منها . والمهرية : النوق المنسوبة إلى بلاد مهرة ، وهى كريمة سريعة السير . والقود : جمع قواد ، وهى الطويلة .

(٣) القنديد : العسل من قصب السكر .

(٤) كويفير : تصغير كافور . والتفنيذ : اللوم والمؤاخذة .

(٥) جمع خصى ، ويجمع أيضاً على خصيان .

(٦) الهاء في قلباه : للسكت ، واتصالها هنا بما قبلها مع أنها موصولة بما بعدها ضعيف أو هو مذهب كوفى . والشيم : البارد . أى ما أشد حرارة قلبى من حب الذى يرد قلبه .

إن كان يجمعنا حبٌّ لغرته فليتَ أنا بقدر الحب نقسم^(١)
 قد زرتُهُ ، وسيوف الهند مُعمدة^(٢) وقد نظرتُ إليه ، والسيوف دَمُ
 فكان أحسنَ خالقِ الله كلمهم^(٣) وكان أحسن ما في الأحسن الشيمُ
 فَوْتُ العدوِّ الذي يعمته ظفَرُ^(٤) في طيِّه أسفٌ في طيِّه نِعمُ
 قد ناب عنك شديدُ الخوفِ واصطنعت^(٥) لك المهابة ما لا تصنعُ البهمُ
 ألزمتَ نفسك شيئاً ليس يلزمها^(٦) ألا تواريهنَّ أَرْضٌ ولا عِلْمُ
 أكلما رُمْتُ جيشاً ؟ فأنثني هرَباً^(٧) تصرَّفتُ بك في آثاره الهممُ ؟
 عليك هزمهم في كلِّ معتركٍ^(٨) وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا
 أما ترى ظفراً حلواً سوى ظفري^(٩) تصالحت فيه بيضُ الهند واللحمُ
 يا أعدلَ الناسِ إلا في معاملتي فيك الخِصامُ ، وأنتَ الخِصمُ والحكمُ
 أعيذها نظراتٍ منك صادقة^(١٠) أن تحسبَ الشجَمَ فيمن شحمه ورمُ
 وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظره إذا استوتْ عنده الأنوارُ والظلمُ
 أنا الذي نظرَ الأعْمى إلى أدبي وأسمعتُ كلماتي من به صمم^(١١)

(١) الغرة : الوجه . أى ليته يرعى كلامنا بقدر حبنا إياه .

(٢) أى أن خدمته في حالتي السلم والحرب .

(٣) أى أن فوت العدو وفراره منك ظفر لك في ضمته أسف على عدم إدراكه وقتله ، ولكن فيه نعم لأنك كفيته .

(٤) البهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع . أى أن خوف الأعداء منك يفعل فيهم ما لا يفعله الشجعان .

(٥) العلم : الجبل . أى تريد ألا يستر أعداءك الفارين مكان يختفون فيه ، وهذا غير لازم ، بل يكفيك فرارهم ، والأبيات الآتية توضح المعنى .

(٦) اللحم : جمع لمة وهى الشعر المجاوز شحمة الأذنين ، يريد الرؤوس .

٨ ٩ ، يريد بكلماته أشعاره .

- أَنَامُ مَلءَ جُفُونٍ عَنْ سُورَدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ^(١)
 وَجَاهِلٍ مَدَّةُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي حَتَّى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ وَفَمُ
 إِذَا رَأَيْتَ نِيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَظَنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ
 وَمُهْجَةٍ مَهْجَتِي مَنْ هُمْ صَاحِبُهَا أَدْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهَرَهُ حَرَمُ^(٢)
 رَجُلَاهُ فِي الرِّكْضِ رَجُلٌ، وَالْيَدَانِ يَدٌ وَفَعَلَهُ مَا تُرِيدُ الْكَفُّ وَالْقَدَمُ^(٣)
 وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ حَتَّى ضَرَبْتُ، وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ
 فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي وَالْحَرْبُ وَالضَّرْبُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
 صَحِبْتُ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا حَتَّى تَعِجَّبَ مِنِّي الْقُورُ وَالْأَكَمُ^(٤)
 يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ وَجَدَانُنَا كُلُّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ^(٥)
 مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمُّ
 إِنْ كَانَ سِرُّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لُجْرَحَ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمُ
 وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَلِكَ مَعْرِفَةً إِنْ الْمَعَارِفُ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمُّ
 كَمْ تَطْلُبُونَ إِنَّا عُمِيَّا فَيُعْجِزُكُمْ وَيَكْرَهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ

- (١) شوارد الأشعار ، سوارثها وذائعاتها : أى أنه ينظمها وينام ، والناس يسهرون لأجلها بحثاً وتقداً واجتلاباً وحفظاً ورواية .
 (٢) أى ورب مهجة حاسد أو عدو مهجتي أنا من همه وقصده ، قد أدركتها وقتلت صاحبها على فرس ظهره أمان وحصن .
 (٣) وصف الفرس بالسرعة والنشاط فقال : رجلاه رجل واحدة ، ويداه يد . يعنى أنه يرفع رجليه معا ويضعهما كذلك . وكذلك يده . وفعله في الجرى يعنى عن الكف التى تحمل السوط وعن القدم التى يستحسها بها .
 (٤) القور : جمع قارة . وهى الأكمة فى الأرض الحرة (البركانية) .
 (٥) الوجدان : الوجود . أى لما فارقناكم كان كل شىء نجده فى حكم العدم .

ما أبعد العيب والنقصان من شرفي ؛ أنا الثريا ، وذان الشيب والهزم
 ليت الغمام الذي عندي صواعقه أرى النوى يقتضيني كل مرحلة
 لئن تركن ضميرًا عن مياميننا إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
 شر البلاد مكان لا صديق به وشر ما قنصته راحتي قنص
 بأى لفظ تقول الشعر زعنفة هذا عتابك إلا أنه مقة
 لا تستقل بها الوخادة الرسم (١)
 ليخدنن لئن ودعتهم ندم (٢)
 ألا تفارقهم فالراحلون هم وشر ما يكسب الإنسان ما يصم
 شهب البزاة سواء فيه والرخم (٣)
 تجوز عندك لا عرب ولا عجم (٤)
 قد ضمن الدر إلا أنه كلم (٥)
 وقال في الحكمة :

إذا غمرت في شرف مرؤم إذا غمرت في شرف مرؤم
 فطعم الموت في أمر حقير فطعم الموت في أمر عظيم
 ستبكي شجوها فرسى ومهرى صفائح دمعها ماء الجسوم (٦)
 قربن النار ، ثم نشان فيها كما نشأ العذارى في النعيم
 وفارقت الصياقل مخلصات وأيديها كثيرات الكلوم (٧)

(١) الإبل السريعة المشى القوية عليه .

(٢) ضمير : جبل يكون على يمين الذهاب إلى مصر من حلب .

(٣) البزاة : جمع باز وهو ضرب من الصقور قوى . والرخم طائر من الجوارح .

(٤) الزعنفة : الطائفة ، وأصل الزعانف : أجنحة السمك ، يشبه به الأرذال

والأوشاب .

(٥) المقة : الحب والعشق .

(٦) يريد بالصفائح السيوف ، ثم أخذ في وصفها الخ .

(٧) الصياقل : جمع صيقل ، وهو الذى يشحن السيوف . والكلوم جمع كلم ، وهو

الجرح أى وأيدي الصياقل كثيرة الجراح من مضائها .

يرى الجبناء أن العجز عقلٌ وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تُغني ولا مثل الشجاعة في الحكيم
وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذُ الاذانُ منه على قدر القرائح والفهوم

وقال من قصيدة يمدح بها كافورا :

أودّ من الأيام ما لا تودّه وأشكو إليها بديننا وهي جنده^(١)
يباعدن حباً يجتمعن ووصله فكيف بحبٍ يجتمعن وصدّه^(٢)
أبي خلقٍ لدنيا حبيباً تديمه فما طلبى منها حبيباً تردّه ؟
وأسرعُ مفعولٍ فعلت تغيراً تكلفُ شيء في طباعك ضده^(٣)
رعى الله عيساً فارقتنا وفوقها مهراً كلها يؤلى بحفنيه خده^(٤)
بوادٍ به ما بالقلوب كأنه وقد رحلوا جيداً تنافرت عقده^(٥)
إذا سارت الأحداجُ فوق نباته تنافوح مسك الغانيات ورندّه^(٥)

(١) أى أود منها ما لا توده من إنصافى وتنوئلى مرادى ، وأشكو إليها فراقنا ، وهي عون من الفراق .

(٢) وصله وصدّه : معطوفان على الضمير في يجتمعن بدون فاصل ، ضرورة . أى يبعدن منها الحبيب المواصل ، فكيف يقربن الحبيب المقاطع ؟

(٣) العيس : الإبل البيض . والمها : جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية تشبه بها المرأة في حسن العينين . ويولى : يمطر ، أى ينزل عليه المطر . والمراد به هنا الدموع ، أى رعى الله إبلا فارقتنا عليها نسوة كالمها كل واحدة منهن تبكى فيسيل دمعها على خدها .

(٤) أى فارقتنا بوادٍ به ما بقلوبنا من الوجد والوحشة ، وكان متزيننا بنزولهن فيه ، فلما رحلن صار كالجيد العاطل من الحلية .

(٥) الأحداج : جمع حدج مركب كالهودج للنساء . والرند : نبات طيب الرائحة بالبادية ، وهو للنار . أى إذا سارت الإبل حاملة لهن في الأحداج تنافوح مسكهن ونبات الرند بالوادي .

وحال كإحداهن رُمْتُ بُلُوغَهَا
وأَتَمُّ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ زَادِ هُمٍّ
فَلَا يَنْجَلِلُ فِي الْمَجْدِ مَا لَكَ كُلُّهُ
وَدَبَّرَهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْجَدُّ كَفَّهُ
فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ
وَلَكِنْ قَلْبًا بَيْنَ جَنَبَيَّ مَالِهِ
يَرَى جِسْمَهُ يُكْسَى شُفُوفًا تَرُبُّهُ
يُكَلِّفُنِي التَّهْجِيرَ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ

وَمِنْ دُونِهَا غَوْلُ الطَّرِيقِ وَبُعْدُهُ (١)
وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وَجَدُهُ (٢)
فَيَنْجَلِلُ مَجْدُهُ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ
إِذَا حَارَبَ الْأَعْدَاءَ ، وَالْمَالُ زَنْدُهُ (٣)
وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وَمُرْكُوبُهُ رَجُلَاهُ ، وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ
مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادٍ أَحَدُهُ
فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهْدُهُ (٤)
عَلَيْكَ مَرَاعِيهِ وَزَادِي رُبْدُهُ (٥)

وقال في وصف الحياة والناس :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا
وَتَوَلَّوْا غِصَّةَ كُلِّهِمْ مِنْذُ
رُبَّمَا تَحْسَنُ الصَّنِيعَ لِأَيَالِيهِ
وَكُنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا بَرِيبَ الدُّ
كَلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَفَاةً

وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا
هـ ، وَإِنْ سَرَّ بَعْضَهُمْ أَحْيَانَا
هـ ، وَلَكِنْ تَكَدَّرُ الْإِحْسَانَا
دَهْرٌ ؛ حَتَّى أَعَانَهُ مَنْ أَعَانَا
رَكِبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاةِ سَفَانَا (٦)

(١) الغول : المشقة . أى : ورب حال كإحدى هذه النسوة في الصعوبة والامتناع
وتعذر الوصول إليهن .

(٢) الوجد : المال والمقدرة .

(٣) الزند : موصل الذراع في الكف ، ومن الزند يستمد الكف قوته .

(٤) الشفوف : جمع شف ، وهو الثوب الرقيق . تربه : تنعمه وتنميه .

(٥) التهجير : السير في الهاجرة وهي نصف النهار . والمهمه المكان الففر . والربد :

جمع أربد يريد بها النعام . أى لا عليك له إلا مرعى البادية . ولا زاد إلا من صيد النعام .

(٦) القناة : الريح . والسنان : رأسه الذي يطعن . وهو النصل .

ومُرَادُ النَّفُوسِ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ تَتَعَادَى فِيهِ ، وَأَنْ تَتَفَانَى
غَيْرَ أَنْ الْفَتَى يُبْلِقِ الْمَنَايَا . كَالْحَاتِ ، وَلَا يُبْلِقِ الْمَوَانَا
وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبْقَى لِحَيٍّ لَعَدَدْنَا أَضْلَلْنَا الشُّجْعَانَ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدُّ فَمَنْ الْعَجْزُ أَنْ تَكُونَ جَبَانًا
كُلُّ مَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا^(١)

٢ - أَبُو فِرَاسٍ^(٢)

قال في الشكوى والعتاب :

وَإِنِّي وَقَوْنِي فَرَّقْتُنَا مَذَاهِبُ وَإِنْ جَمَعْتُنَا فِي الْأَصُولِ الْمَنَاسِبُ
فَأَقْصَاهُمْ أَقْصَاهُمْ مِنْ مَسَاءَتِي وَأَقْرَبُهُمْ مِمَّا كَرِهْتُ الْأَقَارِبُ
غَرِيبٌ وَأَهْلِي حَيْثُ مَا كَرَّ نَظَرِي وَحِيدٌ وَحَوْلِي مِنْ رَجَالِي عَصَائِبُ^(٣)
نَسِيبُكَ مِنْ نَاسَبَتِ الْوُدِّ قَلْبَهُ وَجَارُكَ مِنْ صَافِيَّتِهِ لَا الْمُصَاقِبُ^(٤)
وَأَعْظَمُ أَعْدَاءِ الرِّجَالِ ثِقَاتُهَا وَأَهْوَنُ مِنْ عَادِيَّتِهِ مِنْ تَحَارِبُ
وَمَا الذَّنْبُ إِلَّا الْعَجْزُ يَرْكَبُهُ الْفَتَى وَمَا ذَنْبُهُ إِلَّا حَارَبَتِهِ الْمَطَالِبُ
وَمَنْ كَانَ غَيْرُ السَّيْفِ كَافِلَ رِزْقِهِ فَلِلذِّلِّ مِنْهُ — لَا مَحَالَةَ — جَانِبُ

- (١) أى أن كل شيء صعب لم تصعب به النفس يسهل على النفس أمره إذا أصيبت به .
(٢) هو أبو فراس الحارث بن حمدان التغلبي ابن عم سيف الدولة أمير حاب وممدوح
المتنبي ، كان شاعراً أديباً فارساً . طالماً قاتل الروم بين يدي سيف الدولة أمير حلب ، وأسر
في إحدى وقائعه معهم ، وطال أسره . وكان يكتب إلى سيف الدولة من الكتب والقصائد
في إنقاذه ، وكان يعسر عليه المفاداة ، ثم فك أسره ، وسكن منبج مولياً عليها . ثم قتل
في ثورة قومية سنة ٣٥٧ عن ٣٧ سنة . ويغلب على شعره الفخر والشكوى من الأقارب والعتاب .
(٣) عصائب : جماعات .
(٤) المصاقب : الذى داره بجانب دارك .

وقال في الحكم :

أنفق من الصبر الجميل ، فإنه لم يخش فقراً منفقاً من صبره
والمرء ليس ببائع في أرضه كالصقر ليس بصائد في وكره
وقال يشكو حاسديه ويذم فعلهم :
ومضطغن^(١) لم يحمل السر قلبه
تردى رداء الذل لما لقيته
ومن شرفي ألا يزال يعينني
رمثي عيون الناس حتى أظنها
ولست أرى إلا عدواً محارباً
فهم يطفئون المجد ، والله واقد
وهل يدفع الإنسان ما هو واقع
وهل لقضاء الله في الناس غالب
على طلاب العز من مستقره
إذا الله لم يحرزك مما تخافه
وأخر خير منه عندي المحارب^(٢)
وهم ينقصون الفضل ، والله واهب
وهل يعلم الإنسان ما هو كاسب
وهل من قضاء الله في الناس هارب
ولا ذنب لي إن حاربتني المطالب^(٣)
فلا الدرع مناع ولا السيف قاضب^(٤)

وقال في وصف كتاب ورد عليه من صدق له :

ووارِدٌ مُورِدٌ أنسا يؤكدهُ صدوره عن سليم الورد^(٥) والصدر^(٦)
شدت سحائبه منه على نزه^(٧) تقسم الحسن بين السمع والبصر

(١) منطو على الضغن وهو الحقد .

(٢) يريد الحسود المنافق الذي يبطن له العداوة . (٣) الطلاب : الطلب .

(٤) لم يحرزك : لم يوقك . قاضب : قاطع .

(٥) ورد الماء والمكان : وصل إليه .

(٦) صدر عن المكان وعن الماء : رجع عنه إلى المكان الذي صار إليه .

(٧) جمع نزهة : الأرض المزينة بالنبات .

عُدُوْبَةٌ صَدَرَتْ عَنْ مَنْطِقِ جَدِّدٍ^(١) كَلَمَاءٌ يُخْرِجُ يَنْبُوعًا مِنْ الْحَجَرِ
وَرَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الْفِكْرِ دَجَّجَهَا^(٢) صَوْبٌ^(٣) الْقَرَائِحُ لَا صَوْبٌ مِنَ الْمَطَرِ
كَأَنَّمَا نَشَرْتَ أَيْدِي الرِّبْعِ بِهَا بُرْدًا^(٤) مِنَ الْوَشْيِ^(٥) أَوْ ثَوْبًا مِنَ الْحَبَرِ^(٦)

وقال من قصيدة ينوّه فيها بشجاعته ، وقد أسره الروم وهو يحارب في جيش
ابن عمه سيف الدولة :

أُسِرْتُ وَمَا صَحْبِي بِعُزْلٍ^(٧) لَدَى الْوَغَى وَلَا فَرَسِي مُهْرٌ وَلَا رَبْهُ مُغْمَرٌ^(٨)
وَلَكِنْ إِذَا حُمِّ^(٩) الْقَضَاءُ عَلَى أَمْرِي فَلَيْسَ لَهُ بَرٌّ يَقِيهِ وَلَا بَحْرُ
وَقَالَ أَصِيحْبَانِي : الْفَرَارُ أَوْ الرَّدَى فَقُلْتُ : هُمَا أَمْرَانِ ، أَحْلَاهُمَا مَرُ
وَلَكِنِّي أَمْضَى لِمَا لَا يَعْيُنِي وَحَسْبُكَ مِنْ أَمْرَيْنِ ، خَيْرُهُمَا الْأُسْرُ
يُمْنُونَ أَنْ خَلَوْا ثِيَابِي ، وَإِنَّمَا عَلَى ثِيَابٍ مِنْ دِمَائِهِمْ حَرُ
وَنَحْنُ أَنْاسٌ لَا تَوْسُطُ عِنْدَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرُ
تَهْوُونَ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالَى نُفُوسُنَا وَمَنْ يَخْطُبُ الْحُسْنَاءَ لَمْ يَغْلَهَا الْمَهْرُ

(١) سهل .

(٢) نقشها .

(٣) نزول المطر .

(٤) ثوب مخطط .

(٥) كثير الألوان .

(٦) برد يمان .

(٧) لا رماح معهم . مفردة : أعزل .

(٨) من لم يجرب الأمور .

(٩) نزل .

وكتب وهو في أسر الروم إلى سيف الدولة :

أبى غَرْبَ هذا الدَّهرُ إلا تسرُّعاً ومكنونُ هذا الحُبِّ إلا تَضوُّعاً
فلما استمرَّ الحُبُّ فى غُلُوِّه رَعَيْتُ مع المضياعة الغةَ تَارَعِي (١)
فَحَزَنِي حُزْنَ الهائمِ مُبرِّحاً وسرِّي سرُّ العاشقين مُضِيْعاً
خَلِيلِي : لم لا تَبْكِيَانِي صَبَابَةً أَبْدَلْنَا بالأجرع الفرد أجراً (٢)
علىَّ لمن ضنَّتْ علىَّ جَفُونُهُ غَوَّارِبُ دمعٍ بِشَمَلِ الحَيِّ أَجْمَعِ (٣)
وهبَّتْ شَبَابِي ، والشبابُ مَضْنَةٌ لا لِمَجٍّ من أبناءِ عَمِي أروعا (٤)
أَبَيْتُ مُعْنَى من مخافة عَتْبِهِ وَأَصْبَحُ محزوناً ، وأُمسى مُروِّعاً
فلما مضى عصرُ الشَّيْبَةِ كُلُّهُ وفارقي شرخُ الشَّبابِ فودَّعاً
تَطَلَّبتُ بين العَتَبِ والهَجَرِ فُرْجَةً فحاولتُ أمراً لا يُرامُ مُنْذَمّاً
وصرتُ إذا ما رُمْتُ فى الخيرِ لَدَةً تتبعتها بين الهمومِ تَتْبَعاً (٥)
وهأنَا قد حلَّى الزمانُ مفارقى وتوَحَّنى بالشَّيبِ تاحاً مُرْصَعاً
فلو أننى مُكَنَّتُ فيما أريدُهُ من العيشِ يوماً لم أجد فى موضعا
أما لَيْلَةٌ تَمْضِي ولا بعضُ لَيْلَةٍ أُسْرُ بها هذا الفؤادَ الموحِجاً
أما صَاحِبٌ فَرَّدَ يَدومٌ وفَوْؤُهُ فيُصْنِى لِمَنْ أَصْنَى ، ويرعى لِمَنْ رَعَى
أبى كُلَّ دارٍ لى صديقٌ أودَّه إذا ما تَفَرَّقْنَا حَفِظْتُ وَضِيْعاً

(١) الغلواء : الغلو والمضياعة : الكثير الإضاءة والغر : القليل التجربة . أى فلما زاد الحب ضعفت عزيمة ورعيت مع الحبيب الغفل ما يرعى واتبعته فيما يشاء
(٢) أى هل استبدلتما بالأجرع مكاناً غيره . يريد هل نسيتماني واتخذتما بدلى حبيباً آخر ؟

(٣) أى أنى أبكى على من لا يبكى على بكاء يعم الحى جميعه . يصف نفسه بالوفاء ولو لغير وفى .

(٤) الأروع : السيد الشجاع السريع النجدة .

(٥) يعنى أنه محروم لا يستخرج لذته إلا من بين الهموم .

(٦) أى أنه لم تبق فيه بقية صحة للتمتع .

إذا خفتُ من أخوالى الروم خُطَّةً تخوّفتُ من أعماهى العرب أربعا
وإن أوجعتنى من أعادى شيمَةً لقيتُ من الأحباب أدمى وأوجعا
ولو قد رجوت الله لا ربَّ غيره رجعتُ إلى أعلى ، وأملتُ أوسعا^(١)
لقد قنعوا بعدى من القطر بالندى ومن لم يجد إلا القنوع تقنعا^(٢)
وما مرَّ إنسانٌ فأخلف مثله ولكن يُرجى الناسُ أمرا موقعا^(٣)
تنكر سيفُ الدين لما عتبتُهُ وعرض بي تحت الكلام وقرعا
فقولا له ، يا صادق الودّ إننى جعلتك ممّا رابنى منك مفزعا
ولو أننى أكننتُهُ فى جوانحى لأورق ما بين الضلوع وفرعا^(٤)
فلا تغترر بالناس ، ما كلُّ من ترى أخوك ، إذا أوضعت فى الأمر أوضعا^(٥)
ولا تتقلّد ما يروقُ جماله تقلّد إذا جرّبت ما كان أقطعا^(٦)
ولا تقبلنّ القول من كلِّ قائل سأرضيك مرأى لست أرضيك مسمعا
ولله إحسانٌ على ونعمة والله صنّعٌ قد كفانى التصنعا
أرانى طرق المسكرُمت كما رأى على وأسماى على كل من سعى^(٧)
فإن يكُ بطءٌ مرةً فلطالما تعجّلُ بي نحو الجميل فأسرعا

(١) أى أنى خبت فى رجائى الناس ولو رجوت الله وحده لكنت رجعت إلى أعلى مرتبجى وأملت أوسع مؤمل .

(٢ و ٣) أى أن أهلى ونسوتى قنعوا بغيرى ممن لا يغنى غنائى مع أن من مضى لا يأتى خلف له يساويه . وإنما يعتبر الناس الأمر الواقع فيكتفون بغيرى عند غيبى .

(٤) أورق الشجر : ظهر ورقه ، أى أننى لو تركت عتابى لك فيما أخذته عليك ، وكتمت ذلك فى قلبى ، لجلب كتمانك الحقد والعداوة . فالمسارعة بإظهار المؤاخذه أنفى للشر ، وأدل على المودة والمحبة .

(٥) أوضع فى الأمر : أسرع فيه ، أو أجرى دابته إجراء سريعا .

(٦) ولا تتقلّد ما يروق الخ : أى لا تتقلّد سيفاً جميلاً المنظر غير قاطع .

(٧) وصف الدولة وهو اسمه .

وإن يَجْفُ في بعض الأمور فإنني لأشكره النعمى التي كان أودعا
وإن يستجدّ النّس بعدى فلم يزلْ بذاك البديل المُستجدّ مُمتعاً^(١)

وقال من قصيدة بعث بها إليه من الأسرى عاتبه على تباطئه في فكاهه :

وأبطأ عني والمنايا سريعة	وللموت ظفُرٌ قد أطلّ ونابُ
فإن لم يكن وُدٌّ قريبٌ نَعْدُهُ	ولا نسبٌ بين الرجال قُرَابُ ^(٢)
فأخوط للإسلام ألا يضيعني	ولى عفه فيه حوطة ومناسب ^(٣)
ولكنني راضٍ على كلّ حالةٍ	لعلّ أيّ الحالتين صواب ؟
وما زلتُ أرضى بالقليل محبةً	لديه ، وما دون الكثير حجاب
وأطلبُ إبقاءً على الودّ أرضه	وذكري منى في غيرها وطلاب ^(٤)
كذلك الودادُ الحُض . لا يُرتجى له	ثوابٌ ، ولا يُخشى عليه عقاب
وقد كنت أخشى الهجر والشمل جامع	وفي كلّ يوم لُقيّةٌ وخطاب
فكيف وفيما بيننا مُلكٌ قيصرٍ	وللبحر حوْلَى زخرةٌ وعُبابُ
أمنٌ بعد بذل النفس فيما تريده	أثابُ بمرّ العتب حين أثاب ؟
فليتّك تملّو ، والحياةُ سريرةٌ	وليتّك رَضَى والأناُم غضاب
وليت الذي بيّني وبينك عامرٌ	وبيني وبين العالمين خراب
إذا صحّ منك الودّ فالكلُّ هينٌ	وكلُّ الذي فوق الثّراب تراب

(١) أى وإن يستجد سيف الدولة قائداً ونصيراً آخر بعدى فإنى أدعو له بأن يظل ممتعاً

(٢) القرب : المقارب .

(٣) أى إذا لم ينقذنى الود والنسب فلا أقل من أن يستنقذنى للإسلام فإنى أخوطه

وأنوب عنه فى الدود عنه .

(٤) أى أنى أطلب أرضه إبقاءً على وده . وإلا فإن مجرد ذكرى فى أرض غيرها هو

منية أهلها وطلبتهم .

٣ - أبو العلاء المعري^(١)

قال في الفخر :

أرى العنقاء تكبرُ أن تُصَادَا فعانِدُ من تطيقُ له عنادَا^(٢)
وما نهَّهتُ عن طلب ، ولكن هي الأيام لا تُعطى قيادا^(٣)
فلا تَلُمُ السَّوابق والمطايا إذا غرضُ من الأغراض حادا^(٤)
لعلك أن تُشنَّ بها مُغارا فتنبجح أو تُجشِّمها طرادا^(٥)
مُقارعةً أحيَّتها العوالي مُجنِّبةً نواظرها الرُّقادا^(٦)
تلومُ على تبلُّدها قلوبُ تُكابدُ من معيشتها جهادا
إذا ما النَّارُ لم تُطعم ضراماً فأوشكُ أن تمرَّ بها رَمادا
فظنُّ بسائر الإخوان شراً ولا تأمنُ على سرِّ فُؤادا
فلو خبرتهمُ الجـوزاءُ خبري لما طلعت مخافةً أن تُكادا
تجنَّبْتُ الأنام ؛ فلا أواخى وزدتُ عن العدو ؛ فلا أعادي

(١) أبو العلاء : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التَّنُوخِيُّ المعري الضمير الشاعر الفيلسوف المؤلف . نشأ بالمعرة ودرس على أبيه وأهله صبيّاً ، ثم على علماء حلب وأعلى الشام حتى صار علماً في الاشتهار ، ثم ذهب إلى بغداد ولاقي علماءها ورؤساءها . ومكث فيها فلم يطب له بها العيش ، فرجع إلى منزله ولم يخرج منه ، وانقطع عن الناس وعن أكل كل ذي روح وما يخرج منه . وتشبث بأراء في الشرائع والديانات ونظام الحكم جرت عليه كثيراً من الشبه في عقيدته وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ . بعد أن ترك شعراً كثيراً ومؤلفات عدّة ورسائل مختلفة .

(٢) العنقاء : طائر يعرف باسمه ، ولكنه لا يوجد ولا يرى ، ولأوليين فيه مزاعم شتى .

(٣) نهَّهت : كففت .

(٤) المعنى لا تلم الخيل والإبل إن لم تدرك غرضك ، فلعلك تطلب بها غرضاً آخر وهو شن الغارة .

(٥) المغار : موضع الغارة وموضع الشن : تفرُّبه في الحمل على الأعداء ومطاردتهم من كل جهة .

(٦) الأحجة : جمع حجاج وهو العظم الذي فوق العين وعليه الحاجب . أي تكون الرماح مقارعة لما فوق أعينها .

ولما أن تجهمني مرادى جريت مع الزمان كما أرادا^(١)
وهوتت الخطوب على حتى كاني صرت أمنيحها الودادا
أنكرها ومنبتها فوادى وكيف تنكر الأرض القتادا؟^(٢)
فأي الناس أجعله صديقا وأي الأرض أسلكه أرتيادا ؟
ولو أن النجوم لدى مال نفث كفاي أكثرها أنتقادا
كأني في لسان الدهر لفظ تضمن منه أغراضا بعدا
يكررنني ليفهمي رجال كما كررت معني مستعدا
ولو أني حبيت الخلد فردا لما أحببت بالخلد أنفرادا
فلا هطلت على ولا بأرضي سحائب ليس تنتظم البلادا^(٣)
وكم من طالب أمدى سيلقى دوين مكاني السبع الشدادا^(٤)
يؤجج في شعاع الشمس نارا ويقدح في تلهمها زنادا^(٥)
ويطعن في علای ، وإن شئني ليأنف أن يكون له نجادا^(٦)

(١) تجهمه : تنكر له وعبس . والمراد هنا أنه لما استعصى عليه مراده ، ولم يستطع بلوغ ما يريد ، استسلم لما تريده الأيام .

(٢) القتاد : نوع من الشوك .

(٣) تنتظم : تعم .

(٤) دوين : تصغير دون . والسبع الشداد : السموات . أي : سيجد مسافات شاسعة قبل أن يجد منزلي .

(٥) أي أن من يسابقي ويباريني في المجد لا يدركني ، بل يكون مثله كمثل من يؤجج نارا يكيد بها الشمس .

(٦) شمع النعل : الزمام بين الأصبع الوسطى والى تليها . والنجاد : حمائل السيف .

ويُظهِرُ لِي مودَّتَهُ مَقَالًا وَيُبَغِّضُنِي ضَمِيرًا وَأَعْتَقَادًا
 فَلَا وَأَبْيَكَ مَا أَخْشَى أَنْتَقَاصًا وَلَا وَأَبْيَكَ مَا أَرْجُو أَرْزَادًا !
 لِي الشَّرْفُ الَّذِي يَطَّأُ الثُّرَيَّا مَعَ الْفَضْلِ الَّذِي بَهَّرَ الْعِبَادَا
 وَكَمْ عَيْنٌ تُؤَمِّلُ أَنْ تَرَانِي وَتَفْقَدَ عِنْدَ رُؤْيِي السَّوَادَا^(١)
 وَلَوْ مَلَأَ الشَّهَاءُ عَيْنِيهِ مِنِّي أَبْرَّ عَلَى مَدَى زُحَلٍ وَزَادَا^(٢)
 أَفُلَّ نَوَائِبِ الْأَيَّامِ وَحَدَى إِذَا جَمَعَتْ كِتَابَهَا احْتِشَادَا^(٣)
 وَقَدْ أَثْبَتُ رَجُلِي فِي رِكَابِ جَعَلْتُ مِنَ الزَّمَاعِ لَهُ بَدَادَا^(٤)
 إِذَا أَوْطَأَتْهَا قَدَمِي سُهَيْلٍ فَلَا سُقَيْتُ خُنَاصِرَةَ الْعَهَادَا^(٥)
 كَأَنَّ ظِلْمَاءَهُنَّ بَنَاتُ نَعَشٍ يَرْدُنَ إِذَا وَرَدْنَ بَنَاتُ الثَّمَادَا^(٦)

(١) سواد العين : الحدقة منها ، وبها يكون الإبصار . أى أن الرائى تخفى عليه حين يراه حقيقة ، فكأنه ينظر إليه بعين غير مبصرة . وقد يكون المعنى أن الرائى حين يراه يحقد عليه لما يرى من عظمته ، فتجرك فيه نوازع البغض ، فيعرض عنه .

(٢) السها : نجوم خفية في بنات نعش الصغرى . وليس لها أثر في الحظ والتأثير عند المنجمين كما لزحل . وأبر : فاق وزاد .

(٣) أفل النوائب : أهرمها . والكتائب : جمع كتيبة ، وهى الطائفة من الخيل للحرب .

(٤) الزماع : الشجاعة . والبداد : ما على جانب السرج من اللبد المحشو الذى تقع عليه ساقا الراكب .

(٥) سهيل : نجم يطلع فوق سمت اليمن . وخناصرة : بلدة بالشام . والعهاد : المطر . يقول إذا توجهت مساء اليمن فلا أبالى ما يصيب الشام بعدى .

(٦) بنات نعش : كواكب متفرقة تشاهد جهة القطب الشمالى . والثمد : جمع ثمد ، وهى المياه القليلة تكون تحت الرمل يحفر عنها حفر صغيرة يقرب بعضها من بعض ، أى كأن ركائبي العطاش حين ترد هذه الثمد مثل الكواكب المسماة بنات نعش فى تفرقها .

سَمِعَ جَبُّ مَنْ تَغَشَّمُهَا لَيْالٍ تُبَارِيفَا كَوَاكِبُهَا سُهَادَا^(١)
 كَأَنَّ فِجَاجَهَا فَقَدَتْ حَبِيبَا فَصَيَّرَتْ الظُّلَامَ لَهَا حَدَادَا
 وَقَدْ كَتَبَ الضَّرِيبُ بِهَا سُطُورَا فَخَلَّتْ الْأَرْضُ لَابِسَةً بِجَادَا^(٢)
 كَأَنَّ الزُّبْرَقَانَ بِهَا أُسِيرَا تُجَنَّبُ لَا يُفَكُّ وَلَا يُفَادَى^(٣)
 وَبَعْضُ الظَّاعِنِينَ كَقَرْنِ شَمْسٍ يَغِيبُ فَإِنْ أَضَاءَ الْفَجْرُ عَادَا
 وَلَكِنَّ الشَّبَابَ إِذَا تَوَلَّى فَجْهَلُ أَنْ تَرَوَمَ لَهُ ارْتِدَادَا
 وَأَحْسَبُ أَنَّ قَلْبِي لَوْ عَصَانِي فَعَاوَدَ مَا وَجَدْتُ لَهُ افْتِقَادَا^(٤)

وقال بصف ديكا :

أَيَا « دِيكَ » عَدَّتْ مِنْ أَيْادِيكَ^(٥) صَيِّحَةً بَعَثَتْ بِهَا مَيِّتَ الْكَرَى وَهُوَ نَائِمٌ
 « تَقَتَّ فَقَالَ النَّاسُ » أَوْسُ بْنُ مَغِيرَ^(٦) أَوْ ابْنُ « رَبَّاحٍ »^(٧) بِالْحَلَّةِ قَائِمٌ
 وَفِيكَ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّكْسُ^(٨) غَيْرَةً^(٩) نُصَانُ بِهَا الْمُسْتَضْعَبَاتُ الْكَرَامُ^(١٠)

(١) التغشمر : التعسف .

(٢) الضرب : الصقيع ، وهو الندى يسقط فيصبح أبيض على وجه الأرض ، والبجاد : الكساء المخطط .

(٣) الزبرقان : القمر ، أى كأن القمر أسر في هذه الأرض ، فليس له من فكاك ، فتطلع الشمس .

(٤) افتقاد الشيء : أن تطلبه في غيبته ، أى لم أطلبه حين غاب ، فأسر به حين عاود .

(٥) الأيادي النعم .

(٦) كان مؤذنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الفتح .

(٧) هو بلال الذى كان يؤذن للنبي عليه السلام سفرا وحضرا ، وهو أول من أذن في الإسلام .

(٨) الضعيف الدنى . (٩) الغيرة : الحمية والشجاعة .

(١٠) المستضعبات الكرام ، يريد : الدجاج . والديك يدفع الأذى عما حوله من إناث الدجاج .

يُزَانُ لَدَيْكَ الطَّعْنُ فِي حَوْمَةٍ ^(١) الْوَغَى ^(٢) إِذَا زُيِّدَتْ لِلْعَاجِزِينَ الْمِزَانُ
عَلَيْكَ ثِيَابٌ خَاطَهَا اللَّهُ قَادِرٌ بِهَا رِئَمَتِكَ ^(٣) الْعَاطِفَاتُ الرِّوَامُ
وَتَاجُكَ مَعْقُودٌ، كَأَنَّكَ « هُرْمُزٌ » ^(٤) يُبَاهِي ^(٥) بِهِ أَمْلَاكَهُ ^(٦) وَيُؤَامُّ ^(٧)

وقال في وصف ليلة :

لَيْلَتِي هَذِهِ عَرُوسٌ مِنَ الزَّانِجِ ^(٨) عَلَيْهَا قَلَانْدٌ مِنْ جُحَانٍ ^(٩)
هَرَبَ النَّوْمُ عَنْ جُفُونِي فِيهَا هَرَبَ الْأَمْنُ عَنْ فُؤَادِ الْجَبَانِ
وَكَأَنَّ الْهِلَالَ يَهْوَى الثَّرِيًّا ^(١٠) فَهَمَّا لِلْوَدَاعِ مُعْتَنِقَانِ
وَسُهَيْلٌ كَوْجِنَةُ الْحُبِّ ^(١١) فِي اللَّوْ نَ وَقَلْبُ الْمُحِبِّ فِي الْخَفَقَانِ
يَسْرَعُ اللَّحْمُ فِي أَحْمَارٍ كَمَا تُسْرَعُ فِي اللَّحْمِ مُقَلَّةُ الْغَضْبَانِ
ضَرْجَتُهُ ^(١٢) دِمَاسِيُوفُ الْأَعَادِي فَبَكَتْ رَحْمَةً لَهُ الشَّعْرِيَانِ ^(١٣)
ثُمَّ شَابَ الدُّجَى وَخَافَ مِنَ الْهَجْرِ فَغَطَى الْمَشِيبَ بِالزُّعْفَرَانِ
وَنَضَا ^(١٤) فَجَرَّهُ عَلَى نَسْرِهِ ^(١٥) الْوَا قَعَ سَيْفًا فَهَمَّ بِالطَّيْرَانِ

-
- | | | |
|--------------------------|--------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) ميدان | (٢) الحرب | (٣) عطفك عليك |
| (٤) الكبير من ملوك العجم | (٥) يفاخر | (٦) ملوكه |
| (٧) يوافق | (٨) أي يماثل الملوك في لبسهم التيجان | |
| (٩) جبل من السودان | (١٠) نجم في السماء | (١١) سهيل : نجم . والحب . والحبيب . |
| (١٢) لطخته | (١٣) نجمان | (١٤) جرد |
| (١٥) أحد النجوم | | |

وقال من قصيدة يرثي بها فقيها حنفياً ، وهي في ديوانه « سقط الزند » :

غَيْرُ مُجْدٍ فِي مِلَّتِي وَاعْتِقَادِي نَوْحُ بَاكِ ، وَلَا تَرْتَمُ شَادٍ^(١)
 وَشَبِيهٌ صَوْتُ النِّعَى إِذَا قِيدَ سَـ بِصَوْتِ الْبَشِيرِ فِي كُلِّ نَادٍ
 أَبَكْتَ تِلْكَمُ الْجَمَاعَةُ أَمْ غَدَّ تَ عَلَى فَرْعِ غُصْنِهَا الْمَيَّادِ
 صَاحُ : هَذِي قُبُورُنَا تَمَلَّا الرَّحَى بَ فَأَيْنَ الْقُبُورُ مِنْ عَهْدٍ عَادٍ ؟
 خَفَّفَ الْوُطْءَ مَا أَظُنُّ أَدَمَ أَلْ أَرْضٍ إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ^(٢)
 وَقَبِيحٌ بَنَّا وَإِنْ قَدَّمَ الْعَهْدَ دُ هَوَانُ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ
 سَرَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ فِي الْهَوَاءِ رُؤْيَدًا لَا اخْتِيَالًا عَلَى رُفَاتِ الْعِبَادِ
 رَبِّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لَحْدًا مَرَارًا ضَا حَكَ مِنْ تَزَا حَمِ الْأَضْدَادِ
 وَدَفِنٍ عَلَى بَقَايَا دَفَيْنَ فِي طَوِيلِ الْأَزْمَانِ وَالْآبَادِ
 فَاسْأَلِ الْفَرَقْدَيْنِ عَمَّنْ أَحْسَا مِنْ قَبِيلٍ وَأَنْسَا مِنْ بِلَادِ^(٣)
 كَمْ أَقَامَا عَلَى زَوَالِ نَهَارٍ وَأَنَارَا لِمُدْجٍ فِي سَوَادِ^(٤)

(١) أى صائح من الطيور .

(٢) أديم الأرض : ظهرها .

(٣) الفرقدان : نجمان واضحيان في بنات نعش الصغرى (الدب الأصغر) . القبيل : الجماعة وأنس الشيء أبصره .

(٤) المدج : السارى في الليل . والفرقدان ليس لهما طلوع وأقول ، فهما مضيئان ثابتان إنما يدوران حول القطب الشمالى وحده .

تَعَبُ كُلُّهَا الْحَيَاةَ فَمَا أَعُ
إِنَّ حُزْنَاً فِي سَاعَةِ الْمَوْتِ أَضْعَا
خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَا
ضَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ الـ
جَبُّ إِلَّا مَنْ رَاغِبٌ فِي ازْدِيَادِ
فُ سُرُورٍ فِي سَاعَةِ الْمِيلَادِ
أُمَّةٌ يَحْسِبُونَهُمُ لِلنَّفَادِ
لِ إِلَى دَارِ شَقْوَةٍ أَوْ رِشَادِ
جَسْمٍ فِيهَا ، وَالْعِيشُ مِثْلُ الشَّهَادِ

وقال يفتخر :

أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنَا فَاعِلٌ ،
أَعْنَدِي ، وَقَدْ مَارَسْتُ كُلَّ خَفِيَّةٍ
أَقْلُ صُدُودِي أَنْتِ لَكَ مُبْغِضٌ
إِذَا هَبَّتِ النَّسْكَبَاءُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
تَعْدُ ذُنُوبِي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةٍ
كَأَنِّي إِذَا طَلْتُ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ
وَقَدْ سَارَ ذِكْرِي فِي الْبِلَادِ ؛ فَمَنْ لَهِمْ
يُهِمُّ اللَّيَالِي بَعْضُ مَا أَنَا مُضْمِرٌ
وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْآخِرَ زَمَانُهُ
عَقَافٌ ، وَإِقْدَامٌ ، وَحَزْمٌ ، وَنَائِلٌ
يُصَدِّقُ وَاشٍ أَوْ يُخَيِّبُ سَائِلٌ ؟
وَأَيْسَرُ هَجْرِي أَنْتِ عَنْكَ رَاحِلٌ ^(١)
فَأَهْوَنُ شَيْءٍ مَا تَقُولُ الْعَوَازِلُ ^(٢)
وَلَا ذَنْبَ لِي إِلَّا الْعَمَلُ وَالْفَضَائِلُ
رَجَعْتُ وَعِنْدِي لِلْأَنَامِ طَوَائِلُ ^(٣)
بِإِخْفَاءِ شَمْسِ ضَوْوِهَا مِتْكَامِلٌ ؟
وَيُثْقَلُ رَضْوَى دُونَ مَا أَنَا حَامِلٌ ^(٤)
لَا تَبِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ

(١) يخاطب لأمته بقوله : لا أرضى فيك بالصدود دون الإبغاض لك ، ولا بالهجر دون الارتحال عنك .

(٢) النسكباء : الريح تهب بين مهبي ريحين . أي إذا بعدت عنكم ، وأصبح بيني وبينكم فراغ تهب فيه الرياح فلا أبالي بقول العواذل .

(٣) طلت فقت وسموت . والطوائل : الترات ، أي كأن لهم ثأرا عندي يطلبونه .

(٤) رضوى : جبل بين المدينة وينبع ، يضرب الشعراء بعظمه المثل .

وَأَغْدُوْا وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ صَوَارِمٌ وَأَسْرَى؛ وَلَوْ أَنَّ الظَّلَامَ جَحَافِلٌ (١)
وَأِنِّي جَوَادٌ لَمْ يُحَلِّ لِحَامُهُ وَنِضُوْ يَمَانٍ أَغْفَلَتْهُ الصَّيَاقِلُ (٢)
وَأِنْ كَانَ فِي لُبْسِ الْفَتَى شَرَفٌ لَهُ فَمَا السَّيْفُ إِلَّا غَمْدُهُ وَالْحَمَائِلُ
وَلِي مَنْطِقٌ لَمْ يَرْضَ لِي كُنْهَ مَنْزِلِي عَلَى أَنِّي بَيْنَ السَّمَائِ كَيْنٍ نَازِلٌ (٣)
لَدَى مَوْطِنٍ بِشَتَاقِهِ كُلُّ سَيِّدٍ وَيَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْمُتَنَاوِلُ
وَمَا رَأَيْتُ الْجَهْلَ فِي النَّاسِ فَاشِيًا تَجَاهَلْتُ حَتَّى قِيلَ: إِنِّي جَاهِلٌ
فَوَاعْجِبَا! كَمْ يَدَّعِي الْفَضْلَ نَقْصٌ وَوَأَسْفَا! كَمْ يُظْهِرُ الْمَقْصَافَ فَاضِلٌ
وَكَيْفَ تَنَامُ الطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا وَقَدْ نُصِبَتْ لِلْفَرْقَدَيْنِ الْحَبَائِلُ (٤)
يُنَافِسُ يَوْمِي فِي أَمْسَى تَشْرِفًا وَتَحْسُدُ أَشْحَارِي عَلَى الْأَصَائِلِ
وَطَالَ اعْتِرَافِي بِالزَّمَانِ وَصَرَفُهُ فَلَوْلَانِ عَضْدِي مَا تَأَسَّفَ مَنُذَكْبِي
إِذَا وَصَفَ الطَّائِيَّ بِالْبَخْلِ مَادِرٌ وَعَيَّرَ قُسًا بِالْفَهَاهَةِ بَاقِلٌ (٥)
وَقَالَ السَّهْلُ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ خَفِيَّةٌ وَقَالَ الدُّحَى: يَا صَبِيحُ لَوْ أَنَّكَ حَائِلٌ (٦)

(١) الصوارم: السيوف، والجحافل: جمع جحفل وهو الجيش العظيم وغدا: سار في الصباح وسرى: سار في الليل.

(٢) نضويمان: يريد سيف يميني مهمل، أنضاه الترك وأصداه.

(٣) السماكان: الرامح والأعزل نجمان في السماء.

(٤) الوكنات: جمع وكنة، وهي موضع نوم الطير. والحبائل: جمع حباله، وهي الشبكة تنصب لصيد الطائر، يقول: إذا كان مثلي في فضله وعلوه الذي يشبهه بعلو النجوم في السماء. يكيد له الناس ولا يتورعون عن سبه وتنقصه، فكيف يسلم من المكائد من يقل عني، وليس له منعتي ومتى ناله الناس النجوم بالأذى لم يأمن الطير على نفسه.

(٥) بان: انفصل. والمنكب: مجتمع رأس الكتف والعضد. والزند: موصل طرف الذراع في الكف.

(٦) يريد بالطائي حاتما. ومادر: يضرب به المثل في البخل، وقس بن ساعدة: أحد خطباء الجاهلية وفصحائها، وباقل يضرب به المثل في العي.

(٧) السها: نجوم خفية في بنات نعش الصغرى.

وطاوت الأرض السماء سفاهة وفاخرت الشهب الحصى والجفادل
فيا موت زُر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدى إن دهرك هازل
إذا أنت أعطيت السعادة لم تبَل وإن نظرت شزراً إليك القبائل^(١)
فإن كنت تبغى العز فابغ توسطاً فعند التناهى يقصر المتناول
توقى البدور النقص وهى أهلة ويدركها النقصان وهى كوامل

وقال فى ديوانه « لزوم ما يلزم » ؛ وهى قصيدة تتضمن كثيراً من
خاص آرائه :

غدوت مريض العقل والدين فالتقى لتسمع أنباء الامور الصحاح
فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالماً ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح^(٢)
وأبيض أمات أرادت صريحة لأطفالها دون الغواني الصرائح^(٣)
ولا تفجعن الطير وهى غوافل بما وضعت فالظلم شر القبائح
ودع ضرب النخل الذى بكرت له كواسب من أزهار نبت فوائح^(٤)
فما أحرزته كى يكون لغيرها ولا جمعة للندى والمنائح^(٥)
مسحت يدي من كل هذا فليتني أبهت لشأنى قبل شيب المسائح^(٦)

(١) لم تبَل : أى لم تبال : وهذا الفعل قد يشد عن حكم المنقوص المجزوم فيعامل معاملة
الثلاثى الأجوف فى الشعر فتحذف عينه بعد حذف لامه للجزم ويسكن ما قبل آخره . والنظر
الشزر ، نظر بمؤخر العين غضبا .

(٢) الغريض : الطرى من اللحم وغيره . أى لا تأكل السمك ونحوه ولا ذبائح الدواب .

(٣) الأبيض : اللبن . والأمات : لغة فى الأمهات ، أو : الأولى خاصة بالحيوان :
والأخرى للناس . والغواني الصرائح : الخالصات الحسن .

(٤) الضرب : العسل

(٥) الندى : الجود والكرم . والمنائح جمع منيحة ، وهى ما تعطى فضلاً وتكرماً .

(٦) المسائح : جمع مسيحة ، وهى ذرابة الشعر .

بَنِي زَمَنِي هَلْ تَعْلَمُونَ سِرَّائِي ؟ وَلَكِنِّي بِهَا غَيْرُ بَاطِحٍ
سَرِيَّتِي عَلَى غَيٍّ ؛ فَهَلَا اهْتَدَيْتُمْ بِمَا خَبَّرَتْكُمْ صَافِيَاتُ الْقَرَائِحِ
وَصَاحَ بِكُمْ دَاعِيَ الضَّلَالِ ، فَمَا لَكُمْ أَجَبْتُمْ عَلَى مَا خَيَّلَتْ كُلَّ صَاحِحٍ ؟^(١)

فَإِنْ تَرَشَّدُوا لَا تَخْضِبُوا السَّيْفَ مِنْ دَمٍ وَلَا تُلْزِمُوا الْأُمِّيَالَ سَبْرَ الْجَرَاحِ^(٢)
وَيُعْجِبُنِي دَابُّ الَّذِينَ تَرَهَّبُوا سَوَى أَكْلِهِمْ كَذَّالِ الْفُؤُوسِ الشَّحَائِحِ
وَأَطِيبُ مِنْهُمْ مَطْعَمًا فِي حَيَاتِهِ سُعَاةَ حِلَالٍ بَيْنَ غَادٍ وَرَاحٍ
فَمَا حَبَسَ النَّفْسَ الْمَسِيحُ تَعَبُدًا وَلَكِنْ مَشَى فِي الْأَرْضِ مَشْيَةً سَاحِحٍ
يُعَيِّبُنِي فِي التُّرْبِ مَنْ هُوَ كَارَةٌ - إِذَا لَمْ يُعَيِّبُنِي - كَرِيهُهُ الرَّوَّاحِ^(٣)
وَمَنْ يَتَوَقَّى أَنْ يُجَاوِرَ أَعْظَمًا كَأَعْظَمِ تِلْكَ الْمَالِكَاتِ الطَّرَاحِ
وَمَنْ شَرُّ أَخْلَاقِ الْأُنَاسِ وَفَعْلِهِمْ خَوَارُ النَّوَاعِي وَالتَّيْدَامُ النَّوَاعِ^(٤)
وَأَصْفَحُ عَنْ ذَنْبِ الصَّدِيقِ وَغَيْرِهِ لَسْكَنَى بَيْتِ الْحَقِّ بَيْنَ الصَّفَاحِ^(٥)
وَأَزْهَدُ فِي مَدْحِ الْفَقِي عِنْدَ صَدَقِهِ فَكَيْفَ قَبُولِي كَاذِبَاتِ الْمَدَاحِ

(١) على ما خيلت : أي كما اتفق دون إمعان فكر وتدبر .

(٢) الأميال : جمع ميل ، وهو : الرود يقاس به عمق الجرح . وسبر الشيء : امتحانه واختباره . ينهى على الحرب والقتل وما يتبعهما من معالجة الجراح .

(٣) أي إذا لم أصب برائحة كريهة أو غيرها تخنقني فأموت ، فإنني لا بد ميت بانقضاء أجلي المحتوم ، ويومئذ يدفنني من هو كاره ذلك على الرغم منه .

(٤) النواعي : جمع ناعية . والتدَامُ النَوَائِحُ : ضربهن صدورهن في النياحة . والأنيس يريد به الناس .

(٥) بيت الحق : القبر .

وما زالت النفس اللجوجُ مطيَّةً إلى أن غدت إحدى الرذايا الطلائح^(١)
وما ينفع الإنسان أن غمَّأماً تسحَّ عليه تحت إحدى الضرائح^(٢)
ولو كان في قُربٍ من الماء رغبةً لنافسَ ناسٌ في قُبور البطائح^(٣)

وقال في ديوانه « لزوم ما لا يلزم » يصف الحياة الدنيا :

أصاح : هي الدنيا تُشابه ميَّتةً ونحن حواليا الكلاب النوايح^(٤)
فمن ظلَّ منها آكلاً فهو خاسرٌ ومن عادَ عنها ساعياً فهو راجع^(٥)
ومن لم تُبيَّته الخطوبُ فإنَّه سيَصْبَحُه من حادث الدهر صابح^(٦)

وقال في هذا المعنى :

دنياك دارٌ إن يكن شهادها عقلاء لم يبكوا على غيَّابها
قد أظهرت نوباً تزيد على الحصى عدداً وكم في ضئبها وعيَّابها^(٧)
تفريهم بسـيوفها وتكبهم برماحها وتناهم بصيَّابها^(٨)
ما الظافرون بعزها ويسارها إلا قريباو الحال من خيَّابها

-
- (١) الرذايا . جمع رذية ، وهى الضعيفة الهزيلة من الحيوان ، وكذلك معنى الطلائح .
(٢) ينكر على الناس دعاءهم الموتى بالسقيا .
(٣) البطائح جمع بطيحة ، وهى المسيل الواسع .
(٤) الساعب : الجائع .
(٥) بيته : فاجأه ليلاً ، أى : إذا تركته المصائب ليلاً لم تتركه نهارة ، فلا مفر منها .
(٦) الضبن : ما بين الكشح والإبط . والعياب : جمع عيبة ، وهى ما تجمع فيه الثياب يريد أن فى أحضانها وطواياها نواب تزيد على ما أظهرت .
(٧) تفريهم : تشقههم وتقطعهم ويريد بالصياب : السهام الصائبة .

وقال أيضاً :

قد فاضت الدنيا بأدناسها على برآياها وأجناسها
وكلُّ حيٍّ فوقها ظالمٌ وما بها أظلمُ من ناسها

وقال في الحكمة :

نهاني عقلي عن أمورٍ كثيرةٍ وطبعي إليها بالغريرة جاذب
ومما أدام الرزءُ تكذيبُ صادقٍ على خبرةٍ منّا، وتصديقُ كاذبٍ !

وقال أيضاً :

ضحكنا وكان الضحكُ منّا سفاهةً وحقُّ لسكان البرية أن يبئكوا
يُحطّمنا ريب الزمان كأننا زُجاجٌ، ولكن لا يُعاد له سبك

وقال يصف التدين الكاذب :

سبّح ، وصلّ ، وطُفَّ بمكة زائراً سبّعين لا سبّعاً فلست بفاسك
جهل الديانة من إذا عرضت له أطاعه لم يُلف بالمتماسك^(١)

وقال في انطباع الناس على الشر :

لو يفهمُ الناسُ ، لو أبناؤهم جلبوا وبيعَ بالفلس ألف منهم كسدوا^(٢)
فويحهمُ بئس ما ربّوا وما حضنوا فهي الخديعة والأضغان والحسدُ
وهكذا كان أهل الأرض مذفطروا فلا يظنّ جهولُ أنهم فسدوا

(١) أي : ليس كل العبادة أن تصلي وأن تحج ، فهذا جزء منها لا بد أن يتم بإمساك النفس من أن تطمح فيما هو غير حقها .

(٢) يتعنى لو علم الناس أن أبناءهم لو كانوا عبيداً يجلبون وعرض للبيع ألف منهم بفلس ما اشتراهم أحد .

وقال في مرأى الناس ومخبرهم :

يَحْسُنُ مَرَأَى لِبَنَى آدَمَ وَكُلُّهُمْ فِي الذَّوْقِ لَا يَعْذِبُ
مَا فِيهِمْ بَرٌّ وَلَا نَاسِكٌ إِلَّا إِلَى نَفْعٍ لَهُ يُجَذَّبُ
أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ لَا تَظْلُمُ النَّاسَ وَلَا تَكْذِبُ

٤ - كشاجم^(١)

قال يشكو الحظ والزمن :

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَالَ النَّاسُ حَظَّهُمُ وَاخْطَأْتَنِي مَعَ أَسْتَحْقَاقِهَا الرُّتَبُ
وَعَاقَنِي عَنْ طَلَابِهَا أُصَيْبِيَّةٌ يَا بَنَى فِرَاقَهُمُ الْإِشْفَاقُ وَالْحَدَبُ^(٢)
وَلِي قَوَادِمُ لَوْ أَنِّي حَذَفْتُ بِهَا لِأَهْضَمْتَنِي ، وَلَسَكُنْ أَفْرُخِي زُغَبُ^(٣)
وَمَا التَّمَجُّبُ لَوْ أَنِّي ظَفَرْتُ بِهَا بَلْ فِي تَنَكُّبِهَا الْأَوَاءُ ، يَا عَجَبُ !^(٤)
فَإِنْ يَكُنْ أَدَبٌ مِنْ رُتَبَةٍ عَوْضًا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ الْعِلْمُ وَالْأَدَبُ

وقال يهجو عواده :

حَاءَتْ بُعُودٌ مِثْلَهَا نَاقِرٍ كَأَنَّهُ نَقْنَقَةٌ الضَّفْدَعُ
مُضْطَرِبُ الْأُوتَارِ مَنْقُوضُهَا مَسْتَقْبِحُ الْمَدْفَعِ وَالْمَقْطَعِ^(٥)
يُودُّ مَنْ يَسْمَعُ أَصْوَاتِهِ لَوْ فَقَدَ السَّمْعَ ؛ فَلَمْ يَسْمَعْ
وَأَقْبَلَتْ تَضْرِبُ غَيْرَ الَّذِي نَسَمِعَ ، وَالنَّفْعَةَ لَمْ تُتْبِعْ^(٦)
كَأَنَّمَا نَسَمَةٌ تَأْلِفُهَا مِثْلَتْ مُخْتَلِفُ الْأَضْلَعِ^(٧)

- (١) هو محمود بن الحسين الكاتب الشاعر أحد وصافي الطبيعة والمتوفى سنة ٣٢٠ هـ .
وكان من خدام سيف الدولة .
(٢) أصيبية : تصغير صبية ، جمع صبي .
(٣) الأفرخ : جمع فرخ ، وهو ولد الطائر . والزغب بسكون الغين : جمع أرغب ،
وحركها الشاعر لضرورة الوزن . والأزغب : الذي ظهر أول شعره أو ريشه ، يريد أبناءه
الصغار .
(٤) الأواء : الشدة .
(٥) أي الضرب في ابتدائه وفي انتهائه .
(٦) أي تخلط نعمة بأخرى .
(٧) أي أن حركة يدها بنقل الأوتار لا تنتج ما تسمعه . وما تسمعه ليس من نعمة واحدة .

وقال يتغزل .

جَعَلْتُ إِلَيْكَ الْهَوَى شَفِيحاً ، فلم تَسْمَعِ
وناديتُ مستطعفاً رضاك ، فلم تَسْمَعِ
أتاركني مُدْنِفاً أخا جَسَدٍ مُوجِع
ومغـرـريتي والدموعُ قد أحرقتْ مَدَمِي^(١)
أحينَ سَلَبْتَ الْفُؤَا دَ بالنَّظَرِ الْمُطْمَعِ
جَفَوْتُ وَأَقْصَيْتَنِي فَهَلَّا وَقَلْبِي مَعِي ؟

٥ - أبو الفرج البغواء^(٢)

قال يصف كَتِيبةً وقائدها :

ومَوْشِيَةٌ بِالْبَيْضِ وَالزَّغْفِ وَالْقَنَا مُحَيَّرَةٌ الْأَعْطَافَ بِالضَّمَرِ الْقَبِ^(٣)
بعيدة ما بَيْنَ الْجُنَاحَيْنِ فِي الشَّرَى قَرِيبَةٌ مَا بَيْنَ السَّكَمَيْنِ فِي الضَّرَبِ
من السَّالِبَاتِ الشَّمْسِ ثَوْبَ ضِيَائِهَا ثَوْبٌ تَوَلَّى نَسَجَهُ عَثِيرُ التُّرْبِ^(٤)
يُعَاتِبُ نَشْوَانُ الْقَنَا صَابِي الظُّبَا إِذَا التَّقْيَا فِيهَا ، عَلَى قِلَّةِ الشَّرْبِ^(٥)

(١) الدمع : مجرى الدمع من العين .

(٢) هو عبد الواحد بن نصر الخزومي المعروف بالبغواء الشاعر المشهور والكاظم الجيد . كان من كتاب سيف الدولة وشعرائه . وهو ممن يجيد وصف المعارك الحربية . وعمر بعد سيف الدولة فساج في أكثر بلاد الشرق ومات سنة ٣٩٨ هـ . وله ديوان شعر .

(٣) الزغف : جمع زغفة ، وهي الدرع اللينة الواسعة أو الرقيقة الحسنة السلاسل ، ويقال درع زغف ودرع زغف أيضاً . شبه الكتيبة وما في وسطها من الأسلحة المختلفة البراقة وما يحيط بها من الخيل بثوب موشى مجر الحوافي . (٤) العثير : الغبار .

(٥) أي تعاتب فيها الرماح السيوف على قلة شربها من دم الأعداء لاستعمال السيوف دونها بتقارب المتقاتلين لشجاعتهم .

أَعَادَتْ عَلَيْنَا اللَّيْلَ بِالنَّقْعِ وَالضُّحَى وَرَدَّتْ عَلَيْنَا الصُّبْحَ فِي اللَّيْلِ بِالشَّهْبِ
تَبَلَّجُ عَنْ شَمْسِي زَارٍ وَيَعْرُبِ وَتَفَرُّ عَرَطُودِيْ عَلَا تَغْلِبُ الْغُلْبُ (١)
مُوقِرَةً يَقْتَادُ ثَنِي زِمَامَهَا بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ الْكَرِيهَةِ فِي الْحَرْبِ
أَصَحَّ اعْتِزَامًا مِنْ خَوْنٍ عَلَى قَلِي وَأَنْفَذَ حُكْمًا مِنْ غَرَامٍ عَلَى صَبِّ

٦ عَبْدُ الْمُحْسَنِ الصُّوْرِي (٢)

قال يهجو بعض من ضافه (٣) :

وَأَخِ مَسَّهْ نَزُولِي بِقَرَحٍ مِثْلَمَا مَسَّنِي مِنَ الْجُوعِ قَرَحُ
قِيلَ لِي : إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ وَالْفَقْرُ يَعْتَرِبُهُ بِجُحْلٍ وَشُحِّ
بِتُ ضَيْفًا لَهُ كَمَا حَكَمَ اللَّهُ رُ ، وَفِي حُكْمِهِ عَلَى الْحَرْبِ قُبْحُ
قَالَ لِي إِذْ نَزَلْتُ ، وَهُوَ مِنَ السَّكْرِ رَاةً وَالْهَمُّ طَفْحٌ لَيْسَ بِصَحْوِ :
لَمْ تَغْرَبْتَ ؟ قُلْتُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ه ، وَالْقَوْلُ مِنْهُ نُصْحٌ وَنُجْحُ
سَافِرُوا تَغْنَمُوا . فَقَالَ : وَقَدْ قَا لَ تَمَامَ الْحَدِيثِ : صُومُوا تَصْحُوا ؟

وقال في وصف جميل يسبح في ماء :

رَأَيْتُ مَا لَمْ يَرَهُ رَاءِ مَاءٌ غَدَاً بِسَبْحٍ فِي مَاءِ
أَوَّمَاتٌ مَّا لَالِحَظَ إِلَى جَسَمِهِ فَكَادَ أَنْ يُذَيِّبَهُ إِيْمَائِي

-
- (١) أى اجتمع فيها الزاريون والقحطانيون من العرب ، وتغلب وهي قبيلة سيف الدولة وتسمى تغلب الغلباء لشجاعها ، ويجمع الغلباء على الغلب .
(٢) هو عبد المحسن بن محمد من أهل صور من ساحل الشام ، شاعر مجيد وصاف متغزل مات سنة ٤١٩ هـ .
(٣) ضافه : نزل عليه .

٧ - تميم بن المعز الفاطمي العبيدي^(١)

قال يصف قوّارة في بستان :

وقاذفة بالماء في وسط بركة
إذا أنبقت بالماء سلته منضلاً
قد ألحفت ظلاً من الأيك سجسجا^(٢)
وعاد عليها ذلك النصل هو دجا^(٣)
تُحاول إدراك النجوم بقذفها
كان لها قلباً على الجوّ مخرجا

وقال أيضاً في الفخر :

أتى الكميّ فلا أخاف لقاءه
وأكره في صدر الخميس معانقا
ويزيدني كلّ الخطوب تعظماً
وعلمت أخلاق الزمان فلم أضق
وكما يملّ الدهر من إعطائه
وكما يمرّ لمعشر بسعادة
فإذا رماك بشدة فأصبر لها
وسلّ الليليّ عن نفاذ عزيمة
تخبرك عني أنني لم ألقها
أصبحت لا أشتاق إلا للندي
وإذا السيوف قطعن كلّ ضريبة
ويقلّ إقدامي شباً الحدّان^(٤)
للموت حين يفرّ كلّ جبان^(٥)
وتسلّط الأيام عزّ مكان
ذرّعا بأيامي وغدر زمان
فكذا ملأته من الحرمان
فكذا يكرّ لمعشر بهوان
فلسوف يأتي بعدها بليان^(٦)
وسلّ الحوادث عن ثبات جناني
بين العزائم واهن الأركان
أبدأ ولا أهوى سوى الإحسان
قطّع السيوف القاطعات لسان^(٧)

(١) هو أبو علي الأمير تميم بن معد المعز لدين الله الفاطمي باني القاهرة لم يكن ولي عهد أبيه لأن العهد كان لأخيه نزار وله شعر رقيق وكان في الفاطميين كابن المعتز في بني العباس توفي سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) السجسج : الذي لا حرق فيه ولا برد .

(٣) المنصل : السيف كالنصل . الهودج : محل له قبة كانت النساء تركب فيه .

(٤) الكميّ : الشجاع المقاتل . والشبا جمع شبابة : وهي : الحد .

(٥) الخميس : الجيش .

(٦) الليان : اللين والرخاء .

(٧) الضريبة : المضروب .

وقال في الغزل :

شبهتها بالبدر فاستضحكتُ وقابلتُ قَوْلِي بالنُّكْر
وسمَّهتُ قَوْلِي ؛ وقالت : متى سَمَّجْتُ ؟ حتى صرتُ كالْبَدْرِ !
والبدرُ لا يرنو بعين كما أرنو ، ولا يبسمُ عن ثَغْرِ
ولا يُمِيطُ المرط عن ناهدٍ ولا يَشُدُّ العَقْدَ في نَحْرٍ (١)
من قَاسَ بالبدر صِفَاتِي فلا زال أسيراً في يَدَي هَجْرِي !

٨ — أبو الحسن التهامي (٢)

قال يرثي ابناً له مات صغيراً :

حُكْمُ المَنِيَّةِ في البرية جار ما هذه الدنيا بدار قَرَار
بيننا يُرَى الإنسانُ فيها مُخْبِراً حتى يرى خَبِراً من الأخبار
طُبعت على كَدْرِ ، وأنت تريدُها صَفْواً من الأَقْدَار والأَكْدَار
ومكَلَّفُ الأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِها مُتَطَلِّبٌ في الماءِ جَذْوَةَ نار
فإذا رجوتَ المستحيلَ فإنما تَبْنِي الرجاءَ على شفير هَار (٣)

(١) المرط : كساء من صوف ونحوه يتخذ إزاراً .

(٢) هو أبو الحسن علي بن محمد التهامي . أصله من بلاد العرب من تهامة . جاب الأقطار وطوّف البلاد ومدح الرؤساء في الشام وباديتها ، وأقام بينهم ، وبعثوه جاسوساً إلى القاهرة على الفاطميين ، فقبضوا عليه وسجنوه ثم قتلوه سنة ٤١٦ هـ . وكان مليح الشعر بدويه ، وذاعت مرثيته هذه وكانت سبب اشتهاه .

(٣) الشفير : حافة الشيء وطرفه . وهار : منهار ، أي فإنما تبني الرجاء على حافة كشيء منهار ، فلا يستقر بناء ، أي لا يتحقق رجاء .

فالعيشُ نَوْمٌ والمنيةُ يَظْظَةُ والمرءُ بينهما خيالٌ سار
والنفسُ إن رضيتُ بذلك أو أبتُ مُنْقَادَةٌ بِأَزْمَةِ المَقْدَارِ (١)
فاقضُوا مَا رَبَّكُمْ عَجَالًا إِنَّمَا أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ الْأَسْفَارِ
وترا كضوا خيلَ الشَّبابِ ، وحاذروا أن تَسْتَرِدَّ فَإِنَّهُنَّ عَوَارِ (٢)
فالدهرُ يَخْدَعُ بِالْمُنَى ، وَيَغُصُّ إِنْ هَنَى ، وَيَهْدِمُ مَا بَنَى بِبِوَارِ (٣)
ليس الزمانُ وَإِنْ حَرَصْتَ مُسَالِمًا خَلَقَ الزمانُ عداوةً الْأَحْرَارِ

يا كوكبًا ما كان أقصر عمره وكذلك عمرُ كواكبِ الْأَسْحَارِ (٤)
وهلال أيام ماضى لم يستدرْ بدرًا ، ولم يُنْهَلْ لوقتِ سِرارِ (٥)
عجل الخسوفُ عليه قبل أوانه فحماه قبل مظنة الإبدارِ
واستلَّ من أترابه وَلِدَاتِهِ كالمقلة استلَّت من الْأَشْفَارِ (٦)
فكان قلبى قَبْرِه ، وكأنه فى طِيَّه سِرٍّ من الْأَسْرَارِ
إِنْ يُحْتَقَرُ صِغَرًا فَرُبَّ مُفْخَمٍ يَبْدُو ضئيلُ الشَّخْصِ لِلنُّظَارِ
إِنَّ الْكَوَاكِبَ فى عُلوٍّ مَحَلِّهَا لَتَرى صَغَارًا وهى غيرُ صَغَارِ

-
- (١) المقدار : ما يقدره الله من شأن .
(٢) وترا كضوا خيل الشباب : أى اعملوا فيه وانعموا قبل أن يسترد فإنه عارية .
(٣) أغصه : أذاقه الغصة ، وهى الهوان والحزن .
(٤) الكواكب التى تظهر على الشرق فى السحر كالزهرة فى قسم من فصول السنة
وكمطارد كذلك قصيرة مدّة الظهور ، لأن الشمس تطلع عقب طلوعها فينسحبها ضوءها .
(٥) استدارة البدر : فى وسط الشهر ، وسراره : أى خفاؤه جملة يكون فى آخر ليلة
من الشهر . هى التى يظهر بعدها الهلال الجديد .
(٦) الأتراب واللدات : من يولدن فى زمن واحد .

وَلَدُ الْمُعَزَّى بَعْضُهُ ؛ فَإِذَا انْقَضَى بَعْضُ النَفَى فَالْكُلُّ فِي الْآثَارِ
أَبْكِيهِ ، ثُمَّ أَقُولُ مَعْتَذِرًا لَهُ : وَفَقَّتْ حِينَ تَرَكْتَ الْأُمَّ دَارِ
جَاوَرْتُ أَعْدَائِي ، وَجَاوَرُ رَبِّهِ شَتَّانَ بَيْنَ جِوَارِهِ وَجِوَارِي
أَشْكُو بِعَادِكَ لِي ، وَأَنْتَ بِمَوْضِعِ لَوْلَا الرَّدَى لَسَمِعْتَ فِيهِ سِرَارِي (١)
وَالشَّرْقُ نَحْوَ الْغَرْبِ أَقْرَبُ شُقَّةً مِنْ بَعْدِ تِلْكَ الْخُمْسَةِ الْأَشْبَارِ (٢)
هِيَهَاتَ قَدْ عَلِقَتْكَ أَشْرَاكُ الرَّدَى وَاعْتَاقَ عَمْرُكَ عَائِقُ الْأَعْمَارِ
وَلَقَدْ جَرَيْتَ كَمَا جَرَيْتُ لِنَايَةِ فَبَلَغْتَهَا وَأَبُوكَ فِي الْمَضَارِ
فَإِذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْطِقِي وَإِذَا سَكَتُ فَأَنْتَ فِي إِضْمَارِي
أُخْفِي مِنَ الْبُرْحَاءِ نَارًا مِثْلَمَا يُخْفِي مِنَ النَّارِ الزَّنَادُ الْوَارِي (٣)
وَأُخَفِّضُ الزَّفَرَاتِ ، وَهِيَ صَوَاعِدُ وَأُكْفِكُ الْعَبْرَاتِ ، وَهِيَ جَوَارِ
وَشَهَابُ زَنْدِ الْحُزْنِ إِنْ طَاوَعْتَهُ وَارٍ ، وَإِنْ عَاصَيْتَهُ مَتَوَارِ (٤)
وَأُكْفُ نِيرَانَ الْأَسَى ، وَلَرْبَمَا غُلِبَ التَّصَبُّرُ ، فَارْتَمَتْ بِشَرَارِ
ثُوبُ الرِّيَاءِ يَشْفُ عَمَّا تَحْتَهُ فَإِذَا التَّحَفْتُ بِهِ فَايَاكَ عَارِ

(١) السمرار : المسارة ، أى الكلام بهمس . والمعنى أنه لولا الموت لسمع ولده صوته وهو يتكلم خافتاً ، فهو في قبره قريب منه ، ولكن الموت يجعل هذه المسافة القريبة شقة شاسعة ومكاناً نائياً .

(٢) الخمسة الأشبار : مسافة بعد اللحد عن ظاهر الأرض .

(٣) البرحاء : الحزن المبرح . والوارى : المتقد بالنار .

(٤) الزند : العود الأعلى الذى يقتدح به النار . وورى الزند : خرجت ناره ، فهو وار .

٩ — علي بن النعمان^(١)

قال في وصف صديق :

صديقٌ لي لَهُ أدبٌ صداقةٌ مثله نَسْبُ
رعى لي فوق ما يُرعى وأوجب فوق ما يَجِبُ
فلَوْ نُقِدتْ خِلائقُهُ لَبُهِرَجَ عِنْدَهَا الذَّهَبُ

١٠ — أبو الحسن علي بن عبد الرحمن^(٢)

قال في الهجاء :

وذى حَرْصٍ تَرَاهُ يَلُمُّ وَفَرًّا لَوَارِثُهُ ، وَيَدْفَعُ عَنْ حِمَاهُ^(٣)
ككلب الصيد: يُمَسِّكُ وَهُوَ طَاوٍ فَرِيَسَتَهُ لِيَأْكُلَهَا سِوَاهُ^(٤)

١١ — الحسن بن الزبير الأسواني^(٥)

قال يشق إلى نهر بردى بالشام :

بِاللَّهِ يَارِيحُ الشَّامِ لِي إِذَا اشْتَمَلَتِ الرُّوحُ مُبْرِدًا^(٦)
وَحَمَلَتْ مِنْ نَشْرِ الْخَزَا حَيًّا فَاغْتَدَى لِلنَّدَى نِدَا^(٧)
وَنَسَجَتْ مَا بَيْنَ الْفُصُوفِ نَ ، إِذَا اعْتَنَقْنَ هَوَى وَوُدًّا

-
- (١) هو القاضي أبو الحسن علي بن النعمان ، قاضي العزيز الفاطمي ، توفي سنة ٣٧٤ هـ .
(٢) هو الشهير بابن يونس المنجم المصري من فلكي المصريين زمن الفاطميين ، توفي سنة ٣٩٩ هـ .

- (٣) الوفير : المال الكثير . (٤) طاو : جوعان .
(٥) هو القاضي المذهب الحسن بن الزبير من كبار الأدباء والشعراء في دولة الفواطم المصريين ، توفي سنة ٥٦١ هـ . (٦) الروح : النسيم .
(٧) الخزامى : نبت عبق الزهر . والنشر : الشذا . والنند : نبت طيب الرائحة .

وهزنتِ عند الصُّبحِ من أجياها للزَّهرِ عقدا
فلأتِ صفحةً وجهه حتى أكتسى آسا ووردا
فكأنما ألفت فيه هـ منها صدغاً وخدا :
مرى على بردى ، عسا هـ يزيد في مسراكِ بُرداً (١)
نهرٌ كَنَصَلِ السِّيفِ تَكُ سو مِثْنُهُ الأزهارُ غمدا
صقلته أنفاسُ النسـ يم بمرهنَّ ، فليس يصدأ (٢)
أحبابنا ما بالكم فينا من الأعداء أعدى
وحياة حُبِّكم ، بترُّ بة وصلِكم ما خنت عهداً (٣)

١٢ — ابن الفارض (٤)

قال من قصيدة :

أبق لي مقلةً لعلَّ يوماً قبل موتى أرى بها من رآكا
أين منى مارمتُ؟ هيهات! بل أي ن لعيني بالاحظ لثم ثراكا
وبشيري لو جاء منك بعطف ووُجودي في قبضتي قلت هاكا

(١) البرد بضم الراء : جمع بريد ، وهى مسافة كل منزلة لحيل البريد ، وسكن الراء للشعر .

(٢) يصدأ : يصدأ . وخفف الهمزة لضرورة القافية .

(٣) أقسم أولاً بحياة حبه لمعشوقه ، ثم أقسم بتربة مواصلة المعشوق له ، أى أنه لما لم

يوصله صار حكم الوصل كالميت المدفون في قبر ، فهو يخلف به إجلالا .

(٤) هو أبو حفص عمر بن علي بن مرشد أحد كبار الصوفية وأبلغ شعرائها وأولعهم

بالجناس وأنواع البديع . ولد ومات بالقاهرة ، وله ديوان شعر مشروح . وأصل آبائه من

حماة . توفى سنة ٦٣٢ هـ .

قد كفى ما جرى دماً من جفونٍ لى قرحى ! فهل جرى ما كفاكا
فأجر من قلاك فيك معى قبل أن يعرف الهوى يهواكا
بانكسارى بذاتى بخضوعى بافتقارى بفاقتى لغناكا
لا تكلنى إلى قوى جلدٍ خا ن ؛ فإنى أصبحت من ضعفاكا
كنت تجفو ، وكان لى بعض صبر أحسن الله فى اصطبارى غناكا !
كم صُدودٍ عساك ترحمُ شكوا ي ، ولو باستماع قولى : عساكا !
شنع المر جفون عنك بهجرى وأشاعوا أنى سلوتُ هواكا
ما بأحشائهم عشقتُ ، فأسلو عنك يوماً . دع بهجروا ! حاشاكا (١)
كيف أسلو ؟ ومقلتي كلما لا ح بريقٌ تلقيتُ للقاكا
كلُّ من فى حماك يهواك لكن أنا وحدى بكل من فى حماكا

١٣ — عمارة اليمنى (٢)

قال من قصيدة يصف فيها داراً :

أنشأت فيها للعيون بدائعاً دقت فأذهل حسنها من أبصرا
فمن الرخام : مُسَيِّراً ومُسَهِّماً ومُنَمِّناً ومُدْرَهماً ومُدْزِراً (٣)

(١) يهجروا : يقولوا باطلاً وقبيحاً من الكلام .

(٢) هو نجم الدين أبو محمد عمارة الحكيم ، من أهل اليمن ، دخل مصر مؤدباً رسالة من أمير مكة إلى الخليفة الفائز الفاطمى ، فأعجبته مصر فأقام بها ، وأكرمه ملوكها ، فلما أباد صلاح الدين الأيوبي ملك الفاطميين فى مصر دبر عمارة مع شيعة الفاطميين المكاييد لإعادة دولتهم ، وعلم بهم صلاح الدين فصلبهم وفيهم عمارة سنة ٥٦٩ هـ .

(٣) المسير : المخطط . والمنعم : المزخرف . والسهم والدرهم والمدر : ما فيه صور السهم والدرهم والدنانير .

وسَقَّيْتُ مِنْ ذَوْبِ النَّضَارِ سُقُوفَهَا حَتَّى يَكَادُ نُضَارُهَا أَنْ يَقْطُرَا (١)
 لَمْ يَبْقَ نَوْعٌ صَامِتٌ أَوْ نَاطِقٌ إِلَّا غَدَا فِيهَا الْجَمِيعُ مُصَوَّرَا
 فِيهَا حَدَائِقُ لَمْ تَجْدْهَا دِيمَةً : كَلَّا وَلَا نَبَتٌ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى (٢)
 لَمْ يَبْدُ فِيهَا الرُّوضُ إِلَّا مُزْهَرًا وَالنَّخْلُ وَالرُّمَّانُ إِلَّا مُثْمَرَا
 وَالطَّيْرُ مَذْوَقَتْ عَلَى أَغْصَانِهَا وَثَمَارُهَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنْقُرَا
 وَبِهَا مِنَ الْحَيَوَانِ كُلِّ مُشَبَّهٍ لَيْسَ الْحَرِيرُ الْعَبْقَرَى مُصَوَّرَا
 لَا تَعْدَمُ الْأَبْصَارُ بَيْنَ مَرْوَجِهَا لَيْثًا وَلَا ظَبْيًا بُوْجْرَةَ أَعْفَرَا (٣)
 أُنِسْتُ نَوَافِرُ وَحْشِهَا لِسَبَاءِهَا فَظَبَاؤُهَا لَا تَتَّقِي أَسَدَ الشَّرَى (٤)
 وَكَأَنَّ صَوْلَتَكَ الْخُفَيْفَةَ أَمَّنْتَ أَسْرَابُهَا إِلَّا تَخَافُ فَتُدْعَرَا
 وَبِهَا زَرَافَاتٌ كَأَنَّ رِقَابِهَا فِي الطُّولِ أَلْوِيَّةٌ تَوْثُمُ الْعَسْكَرَا
 نَوْبِيَّةُ الْمُنْشَا تُرِيكَ مِنَ الْمَهَا رَوْقًا ، وَمِنْ بُرُلِ الْمَهَارَى مَشْفَرَا (٥)
 جُبِلَتْ عَلَى الْإِقْمَاءِ مِنْ أَعْجَازِهَا فَتَخَالُهَا فِي التَّيِّهِ تَمْشِي الْقَهْقَرَى

(١) النضار : خالص الذهب .

(٢) الديمة : المطر يدوم

(٣) وجرة : اسم مكان ببلاد العرب كبير بين البصرة ومكة تسكنه الوحش من

الظباء وغيرها .

(٤) الثرى : مأسدة بقرب الكوفة .

(٥) الروق : القرن والمهاري : جمع مهيبة وهي الناقة المنسوبة إلى بلاد مهرة شرق

حضر موت أى أنها أشبهت بقر الوحش في القرون ، وأشبهت الإبل في المشافر .

١٤ - القاضى الفاضل (١)

قال من قصيدة خيرية وصف فيها بلاغيته وتلاعب فيها بالمعاني مفتخراً :
 قضى نَحْبَهُ الصَّوْمُ بعد المطال وأطلق من قَيْدِ فِئْرِ الهِلَالِ (٢)
 وروّض كاتب جنبي اليمين وأنعب كاتب جنبي الشِّمالِ (٣)
 فدع ضيقة مثل شدِّ الإِسارِ إلى فُرْجَةٍ مثل حلِّ العقالِ
 وقمّ هاتِها مثل ذَوْبِ النُّضارِ وموج البحار وطعم الزُّلالِ (٤)
 جزى الله عني عروس الدَّوالِ ولا أخطأَتْها كُثُوسُ العَزَالِ (٥)
 بما أطعمت من لَذِيذِ الثَّمارِ وما ألْبست من نَسِيجِ الظَّلالِ
 وما سَلَّست من مُذَابِ الشُّرورِ وما خَفَضْتَ من جَواحِ التَّغَالِ (٦)
 فكم زَخَرْتَ جَنَّةً للعَذابِ وكم رَفَعْتَ قَبَساً للضَّلالِ (٧)

(١) هو عبد الرحيم بن علي البيهقي اللخمي . ولد بعسقلان ونشأ ببلاد فلسطين حيث أتم بالعربية والأدب ثم كتب في الاسكندرية في دواوينها ثم ظهر فضله فنقل إلى القاهرة زمن العاضد ولما استولى صلاح الدين على مصر كان بمنزلة وزير له ووزير بعده لابنه العزيز وتوفي سنة ٥٩٦ هـ .

(٢) قضى نَحْبَهُ : يريد انقضى شهر الصيام وكان بقاؤه مقيداً بإهلال هلال شوال فلما أهل انطلق من قيده وذهب .

(٣) ولما ذهب روح بذهابه عن الملك الموكل بكتابة حسناتي عن يميني ، وأنعب الملك الموكل بكتابة سيئاتي عن يساري لأن حسنات رمضان كانت كثيرة وسيئات شوال وما يليه ستكون في العدد أكثر من حسنات رمضان .

(٤) أي هات الحجر في لون الذهب مزبدة كهوج البحر باردة كالماء الزلال .

(٥) الدوالي : عنب أسود غير حالك ، يدعو لكرمة هذا العنب . والعزالي : جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية والقربة ونحوها . يريد بها عزالي السحاب . دعا لها بالسقيا بسبب أنها تطعم الناس من ثمرها وتظللهم بعرائشها الخ .

(٦) التغالي : المغالة .

(٧) يشير إلى آثار الحجر في عقل شاربها وما يصوره له من أفانين التخيلات .

أَغَالِطُ بِالسَّكَّاسِ حُكْمَ الزَّمَانِ فَيَوْمٌ عَلَى وَيَوْمٌ بِمَا لِي (١)
 فَجَاءَتْ بِمَا فِي عُيُونِ النِّسَاءِ وَمَرَّتْ بِمَا فِي رُءُوسِ الرِّجَالِ (٢)
 وَأَسْأَلُو الْغَزَالَ بِهَا إِذَا أَرَى بِكَاسَاتِهَا دَمَ ذَاكَ الْغَزَالِ
 وَسُكْرَانٍ كَرَّرَ مِنْ سُكْرِهِ زَمَانٌ عَلَى كُلِّ عَقْلٍ مُمَالٍ
 فَسُكْرُ الشَّبَابِ وَسُكْرُ الشَّرَابِ وَسُكْرُ الصَّدُودِ وَسُكْرُ الْوَصَالِ
 فَلَا تَذْكُرَنَّ عُهُودَ الْوَصَالِ فَمَهْدِي بِهَا وَاللَّيَالِي لِيَالِي
 وَلَمْ أَبْكْ عَهْدًا رَجَاءَ الرُّجُوعِ وَلَكِنْ أَجَدَّهُ بِالصَّقَالِ (٣)
 بَعَثَنَ اللَّيَالِي بِبَأْسٍ جَدِيدٍ عَلَى قَدِيمَا فَجَاسَتْ خِلَالِي (٤)
 فَمَا جَاءَ عَنْ مَنْطِقِي ذَمُّ جَانِ وَلَا جَاءَ عَنْ جَوْهَرِي ذَمُّ حَالِي (٥)
 وَلَمْ أَسْتَغْنِ تَحْتَ ظِلِّ الْخَطُوءِ بِجَرِّ جَرَّةِ الْبَزْلِ تَحْتَ الرَّحَالِ (٦)
 خَشِنْتُ لِحَالِ كَشُوكِ الْقِتَادِ وَلِنْتُ لِأُخْرَى كَشُوكِ السِّيَالِ (٧)
 وَلَسْتُ لِسَانًا لَذُلِّ السُّؤَالِ وَمَا زِلْتُ صَدْرًا لِعَزِّ السُّؤَالِ (٨)
 حَدِيثٌ يُنَاجِي فُرُوعَ السَّحَابِ وَأَصْلٌ يُنَاجِي أَصُولَ الْجِبَالِ

(١) أَيُّ وَيَوْمٌ يَأْتِي بِمَا هُوَ لِي أَيُّ بِفائدة لِي .

(٢) فَجَاءَتْ السَّكَّاسِ بِمَا فِي عُيُونِ النِّسَاءِ مِنَ التَّكْسِرِ وَالْفَتُورِ ، وَمَرَّتْ الْحُ . أَيُّ وَذَهَبَتْ بِمَا فِي رُءُوسِ الرِّجَالِ مِنَ الْعَقْلِ .

(٣) أَيُّ وَلَمْ أَبْكْ عَهْدًا مِنْ هَذِهِ الْعُهُودِ رَجَاءً أَنْ يَعُودَ كَمَا كَانَ وَلَكِنِّي أَصْقَلُهُ بَعْدَ مَا قَدِمَ بِوَصْفِي لَهُ وَبَكَائِي عَلَيْهِ .

(٤) إِمَّا أَنْ يَعُودَ ضَمِيرُ بَعَثَنَ عَلَى الْعُهُودِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، وَإِمَّا عَلَى رَأْيٍ مِنْ يَلْحَقُ عَلَامَةَ الْجَمْعِ بِالْفِعْلِ عِنْدَ إِسْنَادِهِ لِلْجَمْعِ الظَّاهِرِ .

(٥) أَيُّ أَنِّي لَا أَذْمُ أَحَدًا جَانِيًا كَانَ أَوْ حَالِيًا بِالْفَضِيلَةِ .

(٦) الْبَزْلُ : الْجَمَالُ الْمُسْنَدُ ، أَيُّ لَا أَصِيحُ كَجَرِّ جَرَّةِ الْبَزْلِ .

(٧) السِّيَالُ : جَمْعُ سِيَالَةٍ ، وَهُوَ نَبَاتٌ لَهُ شَوْكٌ أَيْبُضٌ طَوِيلٌ ، إِذَا نَزَعَ خَرَجَ مِنْهُ سَائِلٌ مِثْلُ اللَّابَنِ ، وَهُوَ يَلِينُ لِنَازَعِهِ عَلَى الْعَكْسِ مِنَ الْقِتَادِ ، وَهُوَ شَجَرٌ صَلْبٌ لَهُ شَوْكٌ كَالْإِبْرِ وَلَا يَسْتَطَاعُ نَزْعُ شَوْكِهِ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ وَاحْتِمَالٍ أَذَى .

(٨) أَيُّ أَنِّي لَا أَسْأَلُ النَّاسَ وَلَكِنْهُمْ يَسْأَلُونَنِي .

١٥ - ابن قلاقس (١)

قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال :

سافر إذا ما شئت قدرا سار الهلالُ فصار بدرا
والماء يكسب ما جرى طيباً ، ويخبث ما استقرا
وبنقل الدُر القـ ية بُدلت بالبحر تحرا
وصلاً إذا امتلأت يدا ك فإن هما خلقتا فهجرا (٢)
فالبدر أنفق نوره لما بدا ثم استسرا (٣)
حركات عيسك ما أردت مهاد عيشك أن تقرا (٤)
فالهد أسكن للصبي بحيث جاء به ومرا
إمّا تريني شاحب الـ وجفنت قد ألبست طمرا (٥)

(١) هو أبو الفتح نصر الله بن عبد الله الشهير بابن قلاقس اللخمي الإسكندري الملقب بالقاضي الأعز . كان شاعراً مجيداً رحالاً مداحاً دخل المغرب وصقلية : ومدح أمراءها كما مدح أعيان دولة الفاطميين ثم ذهب إلى اليمن ومدح ملوكه . ومات بعيناب ، وكان مرسى السفن المقلعة من مصر على بحر القلزم ، الأحمر ، إلى الحجاز ، سنة ٤٨٦ هـ .

(٢) وصلا : أى صل وصلا ؛ والمعنى أبق في بلدك .

(٣) أنفق نوره : أى لقي محبة وإعجاباً . وهو من أنفق القوم ، إذا راجت تجارتهم .

(٤) حركات عيسك . أى اعمل حركة لعيسك إذا أردت قراراً لعيشك ، أى أن الغنى

بالسعي دائماً ، فسكن الصبي في مهده إذا اهتز وجاء به إلى ناحية ومر إلى أخرى .

(٥) الطمر : الثوب البالي .

فوقائع الأيام تحـ رج أهلها شعثاً وغُبراً
مدّت إلى الأربعين يداً ، وقد قهرتُ عشرًا
واستحدثتُ في لمّتي نَقَطًا ، فهـلا كنّ حِبراً (١)
ما قلتُ : أفّ ! فإنّها شرّ بأفّ يعود جحراً
وكفالك أنى إن نظر ت لها نظرتُ النجم ظهراً (٢)
كان الشبابُ الغضُّ لـ لا فاستنار الشيبُ فجراً
ولئن تقلب بي الزمانُ كما اشتهى بطناً وظهرًا
فبها قتلتُ صروفه وقتلته جلدًا وخبرًا
غاض الوفاء ، وفاض ما الغدر أنهاراً وغدرا
فانظر بعينك هل ترى عُرفا وليس تراه نُكُرا ؟
خلق جري من آدم في نسله ، وهلمّ جرّا
ومروعى بالبحر يحسبُ أننى أرتاعُ بحرا
أو ما درى أنى يتسـ هيل المصاعب منه أدرى ؟

وقال مرتجلا وقد خر السقف عليه من أثر مطر هائل :

ولمّا بدا ركبُ السحاب تسوّقه حداة الرياح الهوج وهى تُزجج (٣)
ركنت لبّيت أستجنّ من الحياء به ، وإذا غيث من السقف يقطر (٤)
فلا فرق ما بين السحاب وبينه سوى أن ذا صافٍ ، وذاك مكدرّ

(١) اللّمة : الشعر المجاور شحمة الأذن .

(٢) أى إن نظرت إلى الشعرات البيض في لمّتي اسودت الدنيا في عيني وكأننى أنظر

النجوم في الظهر ، مأخوذ من المثل العامى « يريه النجوم في الظهر » .

(٣) الهوج : جمع هوجاء وهى الريح الشديدة التى لا تستوى فى هبوبها بل تتناوح .

(٤) استجن : استتر . والحياء : المطر .

وقال يصف فوّارة :

وسمهم فوّارة إذا انبعثتْ
عَاوَدَتِ الجوَّ يجتدى أرضه
كأنها خَيْمَةٌ مَكَلَّةٌ
عمودها من سبائك الفضة

وقال يصف الشمس وهي غاربة في النيل :

أنظر إلى الشمس فوق النيل غاربةً
واعجب لما بعدها من حُجرة الشفق
غابتْ ، وأبدتْ شُعاعاً منه يخلفها ؛
كأنها احترقتْ بالماء في الفرق !
وللهلال ، فهل وافى لينقذها
في إثرها زورقاً قد صيغ من ورق ؟ (١)

١٦ — ابن النبيه المصرى (٢)

قال يصف الحياة والموت :

الناسُ للموت كَخَيْلِ الطَّرَادِ
فالسابقُ السابقُ منها الجَوَادِ
واللهُ لا يدعو إلى داره
إلا مَنْ استصلحَ من ذى العبادِ
والموتُ نَقَادٌ على كَفِّهِ
جواهر يختارُ منها الجِيَادِ
والمرءُ كالظِّلِّ ؛ ولا بُدَّ أنْ
يَزُولَ ذاك الظِّلُّ بعدَ امتدادِ
لا تصلحُ الأرواحُ إلا إذا
سَرَى إلى الأجساد هذا الفسادِ
أرغمتْ يا موتُ أنوفَ القنَا
ودُسَّتْ أعناقُ السيُوفِ الحِدادِ (٣)

(١) الورق : الفضة .

(٢) هو أبو الحسن على بن محمد الشهير بابن النبيه المصرى صاحب الشعر الرقيق والغزل البديع . كان من خدام بنى أيوب ملوك الشام والجزيرة من أقارب صلاح الدين . واختص منهم بالملك الأشرف موسى الملقب بشاه أرمن توفى بنصيبين من مدن الجزيرة سنة ٦١٩ هـ . عن نحو ٦٠ سنة .

(٣) القنّاة : جمع قنّاة وهي الرمح .

وقال يتغزل من قصيدة :

أفديه إن حفظ الهوى أو ضيَّعاً مَلَكَ الفؤاد فمأسى أن أصنعا ؟
 من لم يَذُقْ ظُلمَ الحبيب كظلمه حُلُوا فقد جَهِلَ المحبةَ وادَّعى (١)
 يأبىها الوجهُ الجميلُ تدارك الصُّ برَ الجميلَ فقد عفا وتضعَّضعا
 هل في فؤادك رحمةٌ لم تيمِّ ضَمَّتْ جوانحه فؤاداً مُوجَّعا ؟
 هل من سبيل أن أبُتَّ صبا بتي أو أشتـكى بلواي أو أتوجَّعا ؟
 إني لأستحي كما عودتني بسوى رضاك إليك أن أنشفعا

١٧ — ابن مطروح (٢)

قال بصف حسناء تسير بليل :

وما أنسَ لا أنسَ المليحةَ إذ بدَّتْ دُجِّي فأضاء الأفقُ من كل موضع
 فحدثتُ نفسي أنها الشمسُ أشرقتْ وأنى قد أوتيتُ آيةَ يوشع (٣)

وقال يتغزل :

يا من لبستُ عليه أثواب الضنى صُفْراً موشعةً بِحُمْرِ الأدمع (٤)
 أدركُ بقيةَ مُهْجَةٍ لو لم تَذُبْ أسفاً عليك نفيتها عن أضلعي

(١) الظلم بالفتح : بريق ثغر الأسنان وحسنه

(٢) هو جمال الدين يحيى بن عيسى الشهير بابن مطروح من أهل صعيد مصر . ولد بأسبوط ونشأ بقوص ، واتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب وخدمه بالكتابة ، وكان زميلاً للهاء زهير . ثم اعتزل الخدمة ومات سنة ٦٤٩ هـ .

(٣) يوشع هو صاحب موسى عليه السلام ، وقد وقفت له الشمس في قصة معروفة .

(٤) ثوب موشع : فيه خطوط وطرائق .

وقال أيضاً :

مَلَكُ السَّالَاحِ تَرَى العَيُورَ نَ عَلَيْهِ دَائِرَةٌ يَطَّقُ (١)
وَمُخَيَّمٌ بَيْنَ الضُّلُوعِ وَفِي الفَوَادِ لَهُ سَبَقُ (٢)

١٨ - البهاء زهير (٣)

قال في الشكوى :

لَيْتَ شِعْرِي هَلْ زَمَانِي بَعْدَ ذَا البُخْلِ يَجُودُ ؟
مَا أَرَى الشَّدَّةَ إِلَّا كَمَا مَرَّتْ تَزِيدُ
يَنْقَضِي يَوْمٌ فَيَوْمٌ فِي حَدِيثٍ لَا يُفِيدُ
فَمَتَى الْيَوْمُ الَّذِي أَبْغَى فِيهِ مَا أُرِيدُ ؟

وقال في عتاب الحبيب والتشوق إليه :

يَعَاهِدُنِي : لَا خَانَتِي ! ثُمَّ يَنْكُثُ وَأُحْلِفُ لَا كَلِمَتُهُ ! ثُمَّ أُحْنَتُ
وَذَلِكَ دَأْبِي لَا يَزَالُ وَدَأْبُهُ فِيمَا مَعَشَرَ النَّاسِ اسْتَمَعُوا وَتَحَدَّثُوا
أَقُولُ لَهُ : صَلِّئْ ! يَقُولُ : نَعَمْ ، غَدَا ! وَيَكْسِرُ جَهَنَّمَ هَازِنًا بِي وَيَعْبَثُ !
وَمَا ضَرَّ بَعْضَ النَّاسِ لَوْ كَانَ زَارِنِي ! وَكُنَّا خَلُونَا سَاعَةً نَتَحَدَّثُ
أُمُولَايَ ؛ إِنِّي فِي هَوَاكَ مَعْذَبٌ ! وَحَتَامَ أَبْقَى فِي الْعَذَابِ وَأَمْكُثُ
فَخَذَ مَرَّةً رُوحِي تُرْحَنِي ؛ وَلَمْ أَكُنْ أَمُوتُ مَرَارًا فِي النَّهَارِ وَأُبْعَثُ (٤)

(١) اليطق : كلمة تركية ، ومعناها : جماعة من الجند يبيتون حول خيمة الملك يحرسونه.

(٢) السبق : خيمة الملك .

(٣) هو بهاء الدين زهير بن محمد الملهبي الصالحى . ولد قرب مكة . وجاء مصر ، ونشأ

بقوص نشأة أدبية واتصل بالملك الصالح المتقدم ذكره فكان عند رئيس ديوان الإنشاء (بمنزلة وزير) . وتوفي سنة ٥٦ هـ .

(٤) يقال : أخذ الشيء مرة ، أى دفعة واحدة .

وإني لهذا الضيم منك لحاملٌ ومنتظر لطفاً من الله يحدث !
أعيذك من هذا الجفاء الذي بدا خلائتك الحسنی أرقُّ وأدمتُ (١)
تردد ظنُّ الناس فينا وأكثروا أقاويل : منها ما يطيبُ ؛ ويخبث
وقد كرمتُ في الحب مني شمائلي ويسأل عني من أراد ويبحث !

وقال في التغزل ؛ وتلاعب بالتورية والطباق ، ومراعاة النظر :

غيري على الشَّلوان قادرٌ وسوای في العشاق غادر
لي في الغرام سريرةٌ والله أعلم بالسرائر
ومُشَبَّه بالفضن قد بي لا يزال عليه طائر
حلَّو الحديث ؛ وإنَّها لحلاوة شقت مرائر (٢)
أشكو وأشكر فعله فاعجب لشاك منه شاكر ؟
لا تُنكروا خفقان قد بي ، والحبيب لدى حاضر
ما القلب إلا داره ضربت له فيها البشائر
يا تاركی في حُبِّه مثلاً من الأمثال سائر
أبدأ حديثي ليس بأُ منسوخ إلا في الدفاتر
يا ليل ما لك آخره يُرجى ولا للشوق آخر
يا ليل طُلْ يا شوق دُم ؛ إني على الحالين صابر
لي فيك أجرٌ مجاهد إن صبح أن الليل كافر (٣)
طرفي وطرف النجم فيه لك كلاهما ساه وساهر

(١) المكان الدمث : اللين السهل . ودمانة الأخلاق : رقتها .

(٢) المرائر : جمع مرارة ، وهي هنة شبه كليس لازقة بالكبد .

(٣) في كافتورية من الكفر ، أى أن له أجر المجاهد الذى يقتل كافراً ، لأن الشاعر

يقطع الليل كله ساهراً . أو من قولهم : الليل كافر ، أى سائر .

يَهْنِيكَ بِدْرُكَ حَاضِرٌ يَالَيْتَ بِدْرِي كَانَ حَاضِرٌ^(١)
 حَتَّى يَبِينَ لِنَظَرِي مِنْ مَنَّهُمَا زَاهٍ وَزَاهِرٌ
 بِدْرِي أَرْقُ مُحَاسِنَا وَالْفَرْقُ مِثْلُ الصَّبْحِ ظَاهِرٌ^(٢)

وقال يتغنى بأرض الوطن : مصر العزيزة :

سَقَى وَادِيًا بَيْنَ الْعَرِيشِ وَبَرْقَةٍ مِنْ الْغَيْثِ هَطَّالُ الشَّائِبِ هَيَّانُ^(٣)
 وَحَيَّا النِّسِيمُ الرُّطْبُ عِنَّا إِذَا سَرَى هُنَالِكَ أَوْطَانًا إِذَا قِيلَ أَوْطَانُ
 بِلَادٍ مَتَى مَا جِئْتَهَا جِئْتَ جَنَّةً لَعِينِكَ مَنَّا كُلُّ مَا شِئْتَ رِضْوَانُ^(٤)
 تَمَثَّلُ لِي الْأَشْوَاقُ أَنَّ تَرَابَهَا وَحَصْبَاءَهَا مَسَكٌ يَفُوحُ وَعِيقِيَانُ^(٥)
 فَيَا سَاكِنِي مِصْرَ تَرَاكُمُ عَلَمُكُمْ بَأَنِّي مَالِي عَنْكُمْ الدَّهْرُ سُلُوفَانُ ؟
 وَمَا فِي فَوَادِي مَوْضِعٍ لِسِوَاكُمْ وَمَنْ أَيْنَ فِيهِ ؟ وَهَوَّ بِالشَّوْقِ مَلَّانُ
 عَسَى اللَّهُ يَطْوِي شُقَّةَ الْبُعْدِ بَيْنَنَا فَتَهْدَأُ أَحْشَاءُ وَتَرْقَأُ أَجْفَانُ
 عَلَى لَذَاكَ الْيَوْمِ صَوْمٌ نَذَرْتُهُ وَعِنْدِي - عَلَى رَأْيِ التَّصَوُّفِ - شُكْرَانُ

-
- (١) بدر العشوق : هو الكوكب المضيء بالليل . وبدر الشاعر : هو المعشوق .
 (٢) في الفرق تورية : فرق الشعر ، و فرق ما بين الأمرين .
 (٣) الشَّائِب : جمع شؤبوب ، وهى الدفعة من المطر . الهتان : المنصب المتتابع .
 (٤) الرضوان : الرضا .
 (٥) العقيان . الذهب الخالص .

(ب) النثر

أولا — النثر الفنى

١ — أبو الفرج البیضاء

من كتاب يهنئ فيه بولاية عمل :

« سيدى — أيدى الله — أرفع قدراً ، وأنبه ذكراً ، وأعظم نبلاً ، وأشهر فضلاً ، من أن تهنته بولاية ، وإن جل خطرها ، وعظم قدرها ، لأن الواجب تهنته الأعمال بفائض عدله ، والرعية بمحمود فعله ، والأقاليم بآثار سياسته ، والولايات بسنات كياسته . فعرفه الله بمن يقوله ، ورعاه فى سائر ما استرعاه ، ولا أخلاه من التوفيق فيما يعانىه ، والتسديد فيما يبرمه ويمضيه . . . » .

ومن كتاب له فى تهنته بعيد :

« . . . عرفك الله يُمن هذا العيد وبركته ؛ وضاعف لك إقباله وسعادته ، وأحياك لأمثاله فى أسبغ النعم وأكملها ، وأفسح المدد وأطولها ، وأشرف الرتب وأرفعها ، وأعز المنازل وأيفعها . وحرس منحتك من المحذور ، ووقى نعمتك من عثرات الدهور . . . » .

وله من كتاب فى التهنته بمولودة :

« . . . ومولانا — أيدى الله ، مع كمال فضله ، وتناهى عقله ، وحدة فطنته وثاقب معرفته — أجل من أن يجهل مواقع النعم الواردة من الله تعالى عليه ، أو أن يتسخط مواهبه الصادرة إليه ، فيرمقها بنواظر الفكر ، ويسلك بها غير

مذاهب الشكر ، وقد اتصل بالملوك خبر المولودة — كرم الله غرتها ، وأطال مدتها وعرف مولانا البركة بها ، وبلغه أمله فيها — وما كان من تغيره عند انضاح الخبر ، وإنكار ما اختاره له سابق القدر . فعجب الملوك من ذلك واستنكره من مولانا وأنكره ، اضيق العذر في مثله عليه . وقد علم مولانا أنهم أقرب إلى القلوب . وأن الله تعالى بدأ بهم في الترتيب . فقال جل من قائل : « يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ أَلَدًا كُورًا » . وما سماه الله هبة فهو بالشكر أولى ، وبحسن التقبل أخرى . وَلَكُمْ نَسَبٌ أَفْذَنُ ، وشرف استحدثن ، من طرق الإصهار ، والانصال بالأخيار . والملمس من الذكر نجابته ، لا صورته وولادته . وَلَكُمْ ذَكَرُ الْأُنْثَى أَكْرَمُ مِنْهُ طَبْعًا ، وأظهر منه نفعًا . فمولانا يصور الحال بصورتها ؛ ويجدد الشكر على ما وهب الله منها ؛ ويستأنف الاعتراف له تعالى بما هوَ الأشبه ببصيرته والأولى بمثله إن شاء الله تعالى . »

٢ — علي بن خلف^(١)

كتب في الدعوة إلى وليمة :

« رَقَعَتِي — أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي — ومجلسي بمن حله من خدمه ، وتركه من صانع كرمه ؛ فَلَاكُ مَزِينٌ بِأَنْجُمِهِ . فَإِنْ رَأَى أَنْ يُطْلَعَ فِيهِ بَدْرًا يَطْلُوعُهُ ؛ وَيَنْتَقِلُ قَدَمُهُ إِلَيْهِمْ ؛ وَيُكَمِّلُ نَقَصَهُمْ بِتَمَامِهِ ، وَيُضَيِّفُ ذَلِكَ إِلَى تَلِيدِ إِنْعَامِهِ — فعل ، إن شاء الله تعالى . »

(١) من كتاب الإنشاء في الدولة الفاطمية ، وله في مصطلح الإنشاء كتاب « مواد البيان » وكثيراً ما ينقل عنه صاحب صبيح الأعشى .

٣ - القاضى الفاضل

وقال القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى رحمه الله يصف مدينة آمَدَ (١) من رسالة جاء فيها :

وَأَمْدُ ذِكْرُهَا بَيْنَ الْعَالَمِ ، مُتَعَالَمٌ (٢) ، وَطُلُمَا صَادَمَ جَانِبَهَا مِنْ تَقَادَمِ (٣) ، فَارْجَعَ عَنْهَا مَقْدُوعًا (٤) أَنْفُهُ وَإِنْ كَانَ فَحْلًا ؛ وَفَرَّ عَنْهَا فَرِيدًا بِهِمَّةً وَإِنْ اسْتَصْحَبَ خَيْلًا وَرَجُلًا (٥) . وَرَأَى حَجَرَهَا فَقَدَّرَ أَنَّه لَا يُفَكُّ لَهُ حَجَرٌ (٦) ؛ وَسَوَادُهَا (٧) فَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَنْسَخُهُ فَجْرٌ ؛ وَحِمِيَّةَ أَنْفِ أَنْفَتِهَا ، فَأَعْتَقَدَ أَنَّهُ لَا يَسْتَجِيبُ لَزَجَرٍ : مِنْ مُلُوكٍ كُلِّهِمْ قَدْ طَوَى صَدْرَهُ عَلَى الْغَلِيلِ (٨) إِلَى مُوَرِّدِهَا ؛ وَوَقَفَ وَقْفَةَ الْحُبِّ السَّائِلِ فَلَمْ يَفْزَ بِمَا أُمِّلَ مِنْ سُؤَالٍ مَعَهَا .

(١) وهى بلدة قديمة مبنية على مرتفع من الأرض حصينة تعد من أكبر مدن ديار بكر . وتسمى الآن مدينة ديار بكر باسم ولايتها كما تسمى القاهرة بمصر ، والهضبة : القى بنيت عليها سوداء ولذلك يسميها الترك « قره آمَد » أى آمَد السوداء .

(٢) متعالم : معروف مشهور .

(٣) أى من تقادم من الفاتحين .

(٤) قَدَعَ أَنْفَ الْفَحْلِ : ضَرَبَ أَنْفَهُ لِيَكْفَهُ عَنِ النَّوْقِ إِذَا كَانَ غَيْرَ كَرِيمٍ خَشِيَةَ أَنْ تَلَدَ

منه غير نجائب .

(٥) الخيل هنا : الفرسان . والرجل : الرحالة « البيادة » .

(٦) الحجر : الحبس والحصار .

(٧) وسوادها : أى سواد هضبتها المبنية هى عليها .

(٨) الغليل : العطش ، يريد الرغبة فى فتحها .

٤ — ابن الصيرفي (١)

ومن الكتابة السلطانية فصل له من كتاب بشارة بالسلامة في ركوب الخليفة
الفاطمي إلى مصلى العيد :

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عيد النحر سنة كذا وكذا ؛ وهو
يوم أظهر الله فيه قوة الدولة واقتدارها ، وأوجب فيه — رغبة ورهبة — مسارعة
النفوس المتخالفة إلى الطاعة وابتدارها ؛ وذلك أن عساكر أمير المؤمنين توجهت
إلى قصوره الزاهرة عند انفجار الفجر ، وحافظت على ماتحرزه من كريم الثواب
وجزيل الأجر واستنزلت الرحمة بروية إمام الأمة وعدت الإخلاص في خدمته
من أوفى الحرمات وأقوى الأذمة (٢) ، وأقامت إلى أن برز أمير المؤمنين والأنوار
الساطعة طواعيه ، ومهابته تمنع كل طرف من استقصاء تأمله وتدافعه ، وقصد
المصلى في كتاب الجبة (٣) ومواكب للتعظيم مستوجبة ، وعزة تتبين في الشئال
والصفحات ، وقوة يشهد بطيب وصفها أرج النفعات ، قد غدت عددها محكمة
وخيوها مطهمة (٤) ، وذوابلها (٥) إذا ظمئت (٦) كانت مقومة ، وإذا رويت (٧)
عادت محطمة . تتقلد صفائح متى انتضيت أنصفت من الجائر الخائف ، ومتى
اقتضبت (٨) عملا كان اقتضاها مبيضا للصالحين . وفي ظلها معاقل للأئدين ،

(١) هو أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي كان من
شيوخ الكتاب في دواوين الدولة الفاطمية ، وله عدة مؤلفات منها قانون ديوان الرسائل
طبع بمصر . وينقل عنه صاحب صبح الأعشى كثيراً من الكتب الديوانية . مات سنة ٥٤٢ هـ

(٢) الأذمة جمع ذمام ، وهي الحق والحرمة .

(٣) الكتبية : الجيش ، ولجة : كثير الجلبة والأصوات لكثرة عددها .

(٤) المطهم : التام البارح الجمال من كل شيء .

(٥) الدوابل : الرماح الذابلة القنا ، أي الجافة القصب .

(٦) ظمئت هنا : جفت وصلبت .

(٧) وإذا رويت ، أي من دماء الأعداء عادت بعد الحرب محطمة لكثرة ما طعن بها .

(٨) في اقتضبت تورية من الاقتضاب بمعنى الاقتطاع ، أو بمعنى الخروج من غرض إلى

آخر في الشعر أو الكتابة .

وبحدها مصارع المنايدين . وهى للدماء هوارق ، وللهامات فوالق ، ولستغلق البلاد
مفتاح ، ولستفتحها مغالق . ولما انتهى إلى المصلّى قضى الصلاة أحسن قضاء ، وأداها
أفضل تأدية ، واستنزل رحمة لم تزل بصلاته متمادية ، وانتهى إلى المنبر فرقيبه ، وخطب
خطبة من استخلفه الله فكان مراقبه ومتيقه ، ووعظ أبلغ وعظ ، وأبان عما للعامل
في نصحه في الدنيا والآخرة من فائدة وحظ ، وعطف على الأضاحى المعدة له ، فنحرتها
جاريا في الطاعات على فعلها المتمادى ، وأضحت تتوقع التكميل وإنجاز وعده في الأعادى ،
فالله يقضى بتصديقه ويمنّ بتخيله وتحقيقه . وعاد إلى قصوره المكرومة مشكورا سعيه ،
مضمونا نفعه ، مرضيا فعله ، مشمولا عبيده منه بما هو أهله . أعلمك أمير المؤمنين ذلك ،
فاعلم هذا واعمل به وكتب في اليوم المذكور .

هـ - ابن قادوس^(١)

فصل له من منشور مما كان ينشر على الناس بوفاء النيل في الدولة الفاطمية :
« النعم وإن كانت شاملة للأمم فإنها متفاضلة الأقدار والقيم ، فأولاها بشكرٍ تنشرُ
في الآفاق أعلامه ، واعتداد نُحُكَمُ بإدراك الغايات أحكامه ، نعمة يشترك في النفع
بها العباد ، وتبدو بركتها على الفائق والصامت والجماد ، وتلك النعمة : النيل
المصرى^(٢) الذى تبرز به الأرض الجرز^(٣) فى أحسن الملابس وتظهر حلل الرياض
على القيعان والبسابس^(٤) ، وترى الكنوز ظاهرة للعيان ، متبرجة بالجواهر واللاجين
والعقيان فسبحان من جعله سبباً لإنشار الموات ووفر به مواد الأرزاق والأقوات » .

(١) هو القاضى كافى الكفاة محمود بن أسعد قادوس من رؤساء باب الإنشاء فى
الدولة الفاطمية .

(٢) تمييز عن نيل الفرات ، وهو خليج منه .

(٣) الأرض الجرز : التى أكل نباتها ، ولم يصبها مطر ، فلم تنبت ثانية . أوهى الأرض
التى لا تنبت .

(٤) البسابس : القفار الخالية .

ثانياً — النثر العلمى التأليفى

١ — المعرى

من النثر العلمى التأليفى قول أبى العلاء فى مقدمة الازوميات :

« ... وقد كنت قلت فى كلام لى قديم : « إني رفضت الشعر رفض السَّقْب غرسه (١) ، والرأل تريكته (٢) ، والغرض ما استجيز فيه الكذب ، واستعير على نظامه بالشبهات ، فأما الكائن عظة للسامع ، وإيقاظاً للمتوسن (٣) ، وأمرأ بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جهلوا على الغش والمكر فهو — إن شاء الله مما يلتمس به الثواب . وأضيف إلى ما سلف من الاعتذار أن من سلك فى هذا الأسلوب ضعف ما ينطبق به من النظام ، لأنه يتوخى الصادقة ، ويطلب الكلمة البرة . ولذلك ضعف كثير من شعر أمية بن أبى الصلت الثقفى ومن أخذ بِضَرِيَّة (٤) من أهل الإسلام . ويروى عن الأصمعى كلام معناه : أن الشعر باب من أبواب الباطل ، فإذا أريد به غير وجهه ضعف . وقد وجدنا الشعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبائح ، وزينوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ، ونعوت الخيل والإبل وأوصاف الحجر ، وتسببوا إلى الجزالة بذكر الحرب ، واحتلبوا أخلاف (٥) الفكر — وهم أهل مقام وخفض — فى معنى ما يدعون أنهم يعانون : من حيث الركائب ، وقطع المفاوز ، ومراس (٦) الشقاء .

(١) السقب : ولد الناقة الذكر عقب ولادته ، والغرس : جليدة رقيقة تظهر على وجهه عند ولادته .

(٢) الرأل : فرخ النعامة . والتريكة : البيضة بعد أن يخرج منها الفرخ . وقد قال هذه الجملة فى مقدمة ديوانه : سفظ الزند .

(٣) المتوسن : النائم . (٤) أى بطريقته ومذهبه .

(٥) الأخلاف : جمع خلف بكسر الخاء ، وهى حمة ضرع الناقة .

(٦) المراس : الممارسة والمعاناة .

وهذا حين أبدأ بترتيب النظم ، وهو مائة وثلاثة عشر فصلاً ، لكل حرف أربعة فصول ، وهى على حسب حالات الروى من ضم وفتح وكسر وسكون ، وأما الألف وحدها فلها فصل واحد لأنها لا تكون إلا ساكنة ، وربما جئت فى الفصل بالقطعة الواحدة أو القطعتين ، لتكون قضاء حقِّ للتأليف . وبالله التوفيق .

٢ - ابن شداد^(١)

فصل من كتابه « النوادر السلطانية ، والمحاسن اليوسفية » :

« كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام العدو ، فيسرقون من الرجال ، وكان من قصتهم أنهم أخذوا ذات ليلة طفلاً رضيعاً له ثلاثة أشهر ؛ وساروا به حتى أتوا إلى خيمة السلطان ، وعرضوه عليه ، وكان كل ما يأخذونه يعرضونه عليه ، ويعطيهم ما أخذوه .

« ولما فقدته أمه باتت مستغيثة بالويل والثبور طول الليل ، حتى وصل خبرها إلى ملوكهم ، فقالوا : إنه رحيم القلب ، وقد أذن لك بالخروج ، فأخرجى وأطلبه منه ، فإنه يردّه عليك . فخرجت تستغيث إلى اليك ، فأخبرتهم بواقعها فأطلقوها وأنفذوها إلى السلطان ، فلقيته وهو راكب ، وأنا فى خدمته ، وفى خدمته خلق عظيم ، فبكت بكاء شديداً ، ومرّغت وجهها فى التراب . فسأل عن قصتها ، فأخبروه ، فرق لها ودمعت عينه ، وأمر بإحضار الرضيع ، فوجدوه قد بيع

(١) هو القاضى بهاء الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ هـ . وكان من خاصة صلاح الدين ابن أيوب ، وملازمى ركابه .

في السوق ، فارتده ، وأمر بدفع ثمنه إلى المشتري ، وأخذه منه ، ولم يزل واقفاً
حتى أحضر الطفل وسلم إليها ، فأخذته وبكت بكاء شديداً . وضمته إلى صدرها
والناس ينظرون إليها ويبكون ، وأنا واقف في جملتهم ، فأرضعته ساعة .
ثم أمر لها ، فحملت على فرس ، وألحقت بمسكروهم مع طفاها . فانظر إلى
هذه الرحمة الشاملة لجنس البشر » .

عصر الماليك والعتانين

(١) الشعر

١ - شمس الدين محمود الكوفي

قال في رثاء بغداد :

إن لم تقرَّح أدمعي أجفاني من بعدِ بعدكم - فما أجفاني (١)
إنسان عيني مذ تناءت داركم ما راقه نظرٌ إلى إنسان (٢)
ياليتهى قد ميتٌ قبل فراقكم ولساعة التوديع لا أحياني
ما لي وللأيام شتت خطبها شملي ؟ وخلاي بلا خلان
ما للمنازل أصبحت لأهلها أهلي ، ولا جيرانها جيران
وحياتكم ما حلها من بعدكم غير البلى والهدم والنيران
ولقد قصدت الدار بعد رحيلكم ووقفت فيها وقفة الحيران
وسألتها لكن بغير تكلم فتكلمت لكن بغير لسان
ناديتها يا دار ؛ ما صنع الألى كانوا هم الأوطار في الأوطان ؟ (٣)
أين الذين عهدتهم ولعزمهم ذلاً تخر مَعاقِدُ التيجان ؟
كانوا نجوم من اقتدى فعليهم يبكي الهدى وشعائر الإيمان

(١) أجفى ، أفعل تفضيل من جفا الرجل يحفو ، أى : غلظ وثقل .

(٢) إنسان العين : سوادها .

(٣) الأوطار . جمع وطر ، وهو البقية والغرض .

قالت : غدوا لما تبدد شملهم وتبدلوا من عزهم بهوان
كدم ألفِ صَادرٍ أُرْذلَ موضع أبداً ويخرجُ من أعزِّ مكانٍ
أفنتهمُ غيرَ الحوادثِ مثلما أفنت قديماً صاحبَ الإيوان^(١)
لما رأيتُ الدارَ بعدَ فراقهم أضحت مُعْطَلَةً من السكان
مازلتُ أبكيهم وألثمُ وخشةً لجلالهم مُتَهَدِّمِ الأركان
حتى رننى لى كلُّ من : ما وجدُّه وجدى ، ولا أشجانه أشجاني
أترى تعود الدارُ نجمسنا كما كنا بكلِّ مسرَّةٍ وتهانى ؟
إذ نحن نغتنمُ الزمانَ ونجتنى بيد الأمانِ قُطوفَ كلِّ أمانٍ^(٢)

٣ - بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي^(٣)

قال فى الصبابة والتحزن :

وتنبهت ذاتُ الجناحِ بسُحرة بالواديَّينِ فنبهت أشواق^(٤)
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن يعقوب والألحان عن إسحاق^(٥)
قامت تطارحني الغرام جهالة من دون صحبى بالحمى ورفاقى
أنى تُبارينى جوِّى وصبابة وكأبةً وأسىً وفيض مآق
وأنا الذى أُملى الجوى من خاطرى وهى التى تُملئ من الأوراق^(٦)

- (١) صاحب الإيوان : كسرى ، والإيوان قصره المشهور .
(٢) الأمان (الأولى) : الأمن والدعة . والأمانى (الثانية) : جمع أمنية .
(٣) من أشهر شعراء عصر المماليك بالشام . وكان سهل الشعر عذبة يستخدم المحسنات البديعية مات سنة ٦٨٠ .
(٤) ذات الجناح : الحمامة . والسحرة : قبيل الفجر .
(٥) الورقاء : الحمامة . يعقوب : أبو يوسف صاحب القصة المذكورة فى القرآن الكريم عليهما السلام ، وإسحاق أبو يعقوب عليه السلام ، وإسحاق بن إبراهيم الموصلى وهو المراد .
(٦) الأوراق : أوراق الأشجار التى تعلوها الحمامة وفى الكلمة تورية واضحة .

وقال في الروض :

الروض أحسن ما رأيْتُ إذا تكاثرت المومُ
تحنُّو على غصُونه ويرقُّ لى فيه النسيمُ

٣ — الشاب الظريف^(١)

قال من قصيدة له في الشكوى والحكمة :

أبت رِقَّتِي إِلَّا الذى يقتضى الهوى وعزى إِلَّا ما أقتضى الرأى والعقلُ
فوا عجباً أئى خَفِيتُ ، ولم أبنِ وقد راح مملوءاً بى الحزنُ والسَّهْلُ ؟
طريدٌ ولى مأوى ، مُباحٌ ولى حمى وحيدٌ ولى صَحبٌ ، غريبٌ ولى أهلُ
سأجهدُ : إمَّا للمنايا ، أو الثمَنِ قُصاراى : إمَّا النَّصرُ ، أو ماجنى النَّصلُ^(٢)
فإن لم تصانِي هَمَّتِي بمطالبي ولم يَنْتَسِجْ للشَّيبِ فى لِمَتِي غزلُ
فلا نظرت عيني ، ولا فاه مِقْوَلِي ولا بطشت كَفِّي ، ولا سعت الرِّجلُ
ومن عرف الأمر الذى أنا عارفٌ رأى كُلىَّ صعب كُلىَّ إدراكه سهلُ
خذ العِزَّ من أىِّ الوجوه رأيتَه فلا خير فى عيش يكونُ به الذُّلُ
والمرء من داعى الطبيعة قائِدٌ إذا لم يذُدْهُ دونه الحِلْمُ والنُّبْلُ
من التُّرب هذا الطبع ، والنفس من غُلا فللمرء أن يدنو والمرء أن يعلو
وقال فى التغزل :

يا ساكناً قلبى المَعْنَى وليس فيه سِوَاكَ ثانى
لأىِّ مَعْنَى كسرت قلبى وما التقي فيه ساكنان^(٣)

(١) هو محمد بن سليمان التلمسانى المولود بمصر سنة ٦٦١ هـ . والمتوفى ٦٩٥ هـ .
ويمتاز شعره بالركة وجمال الصياغة .

(٢) قُصاراى : أى غايى ، وبين النصر والنصل جناس غير تام . ويريد بما يجنيه
التصل الموت .

(٣) فى قوله كسرت قلبى تورية ، والمقصود : إيذاء القلب بالهجر ، ويورى لذلك
بالكسرة المعروفة للتخلص فى التقاء الساكنين : وكذلك فى قوله : ساكنان : يريد محبوبين .

وقال في زيارة الحبيب :

ولقد أتيتُ إلى جنابك قاضياً بالآثم للعتبات بعض الواجب (١)
وأُتيتُ أقصد زورةً أحياء بها فرُددت — يا عيني — هناك بمحاجب (٢)

وقال في الغزل :

بدا وجهه من فوق أشمر قدّه وقد لاح من سُودِ الذوائب في جنح
فقلت عجيباً كيف لم يذهب الدُّجى وقد طلت شمس النهار على رمح ؟ (٣)

وقال فيما يجد العاشق وما يصنع :

لا تُخفِ ما فعلت بك الأشواق واشرح هواك فكلُّنا عُشاق
فمضى يُعِينُكَ من شكوت له الهوى في حمله ، فالعاشقون رفاق
لا تجز عنّ ، فليست أول مُغرم فتسكت به الوجفات والأحداق
واصبر على هجر الحبيب فربما عاد الوصالُ وللهوى أخلاق (٤)
كم ليلة أسهرت أحداق بها وجداً وللأفكار بي إحداق (٥)
يا ربّ قد بعدَ الذين أحبهم عني وقد ألف الفراق فراق
واسودّ حظي عندهم لما سرى فيه بنار صباقتي إحراق
عُربُ رأيتُ أصحَّ ميثاق لهم ألا يصحّ لديهم ميثاق

(١) الجناب : الناحية والكتف .

(٢) كذلك التورية هنا في كلمة حاجب .

(٣) يقصد بالدُّجى : الشعر الأسود الذوائب . وشمس النهار : الوجه ، والرمح : القد :

(٤) أى من أخلاق كل معشوق أن يهجر دلالاً وتجنياً ، ثم يصل بعد ذلك .

(٥) أحداق به : أحاط . أى أن الأفكار كانت تحيط بي وتساورنى .

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر :

- ومعشر لم تزل للحرب يبيضهم
 حمراً الخدود وما من شأنها الخجل (١)
 إذا انتضوها برؤفاً صيرت سحبا
 يسيل من جانبيها عارض هطل (٢)
 يثنى حديث الوغى أعطافهم طرباً
 كأن ذكر المنايا بينهم غزل (٣)
 كم نار حرب بهم شبت وهم سحج
 وأرض قوم بهم فاضت ، وهم شعل (٤)
 ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما
 ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدول
 أغر ما أبدت السحب الحيا سوى
 تقصيرها عن مداه حين ينهمل (٥)
 أوحى إلى كل قرطاس بلاغته
 سحر البيان ، ومن أقلامه الرسل
 سمر ترؤفك رأى العين عارية
 ومن بديع معانيه لها حل
 من كل معتدل كالميل إن رمدت
 عين المعالي ففيها نفسه كحل (٦)
 فللعدة لديه كل ما حذروا ؛
 وللعفاة عليه كل ما سألوا
 أضحت يدها لعقد الجود واسطة ،
 فليس يدري لجود بعدها عطل (٧)

وقال في الغزل ، وسلك مسلك الرسائل السلطانية في الافتتاح بدعاء خاص :

أعز الله أنصار العيون وخلد ملك هاتيك الجفون
 وضاعف بالفتور لها اقتداراً ، وإن تك أضعفت عقلي وديني

- (١) البيض : السيوف وجعلها حمراً الخدود لما يسيل فوقها من دماء الأعداء .
 (٢) أنتضى السيف : أسله من غمده . والعارض : السحاب ، ويقصد به إلى كثرة ما يسيل من دماء أعدائهم .

- (٣) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب .
 (٤) وهم سحج أى فى الكرم ، وهم شعل ، أى كالنار فى استئصال أعدائهم .
 (٥) الحيا : المطر أو مقصور الحياء ، فى البيت تورية وحسن تعليل .
 (٦) الميل : حديدة أو نحوها يكتحل بها . والنقس : المداد . والكحل : مصدر كل .
 (٧) الواسطة من القلادة : الجوهرة فى وسطها ، وهى أجود الجواهر . والعطل : الخلو من الحلية .

وأَبَقَى دَوْلَةَ الأعْطَافِ فِينَا ، وَإِنْ جَارَتْ عَلَى قَلْبِي الطَّعِينِ
وَأَسْبَغَ ظِلًّا ذَاكَ الشَّعْرُ مِنْهُ عَلَى قَدِّ بِهِ هَيْفُ الْغُصُونِ
وَصَانَ حِجَابَ هَاتِيكَ الثَّنَايَا وَإِنْ ثَنَيْتِ الْفَوَادِ إِلَى الشَّجُونِ
حَمَلْتُ نَسْهَدِي وَالشَّيْبَ : هَذَا عَلَى رَأْسِي . وَذَاكَ عَلَى عُمُومِي

٤ - سراج الدين الوراق المصري الكاتب الشاعر

المولود سنة ٦١٥ هـ المتوفى سنة ٦٩٥ هـ

قال في شكر الله على نعمائه :

إِلَهِي لَقَدْ جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَّةً فَشُكْرًا لِنِعْمِكَ الَّتِي لَيْسَ تُكْفَرُ !
وَعُمِّرْتُ فِي الْإِسْلَامِ فَازِدْتُ بِهِجَّةً وَنُورًا لَذَا قَالُوا ، السَّرَاجُ الْمُعَمَّرُ (١)
وَعَمَّ نُورُ الشَّيْبِ رَأْسِي فَسَرَّنِي وَمَا سَاءَ لِي أَنْ السَّرَاجُ مُنَوَّرُ

وقال في لوم النفس على المعصية :

يَا خَجَلْتِي وَصَحَائِفِي سَوْدَ غَدَتِ وَصَحَائِفُ الْأَبْرَارِ فِي إِشْرَاقِ
وَمُؤْنِحِي لِي فِي الْقِيَامَةِ قَالَ لِي : أَكْذَا تَكُونُ صَحَائِفُ الْوَرَّاقِ ؟ (٢)

وقال في الترفع :

أَصُونُ أَدِيمَ وَجْهِي عَنْ أَنْاسٍ لِقَاءَ الْمَوْتِ عِنْدَهُمُ الْأَدِيبُ (٣)
وَرُبُّ الشَّعْرِ عِنْدَهُمْ بَغِيضٌ وَلَوْ وَافَى بِهِ لَهُمْ حَبِيبُ (٤)

(١) البهجة : الحسن .

(٢) الوراق : موزق الكتب . وهنا تورية ظاهرة .

(٣) الأديم : البشرة .

(٤) حبيب : اسم أبي تمام الشاعر المشهور ، والحبيب : المحبوب ، ففي الكلمة تورية .

وقال في الحنين إلى الأحباب :

وَقَفْتُ بِأَطْلَالِ الْأَحَبَّةِ سَائِلًا ودمعى يسقى ثم عهداً ومعهداً^(١)
وَمِنْ مَجْبَرٍ أَنِّي أُرَوِّى دِيَارَهُمْ وحظى منها حين أسألها الصدى^(٢)

٥ - نصر الدين الجامى المصرى المتوفى سنة ٧١٢ هـ

قال :

رَأَيْتُ شَخْصًا آكِلًا كَرْشَةً وهو أخو ذوقٍ ، وفيه فطن^(٣)
وَقَالَ : مَا زِلْتُ مُحِبًّا لَهَا ، قلتُ : من الإيمان حبُّ الوطن !

وقال في ذم داره :

وَدَارٍ خَرَابٍ بِهَا قَدْ نَزَلْتُ ولكن نزلتُ إلى السابعة^(٤)
طَرِيقٌ مِنَ الطُّرُقِ مَسْلُوكَةٌ محجَّتُها للورى شاسِعة^(٥)
فَلَا فَرْقَ مَا بَيْنَ أَنِّي أَكُونُ بها ، أو أكونُ على القارعة^(٦)
تَسَاوَرُهَا هَفَوَاتُ النَّسِيمِ فتُصْفى بلا أذنٍ سامعه^(٧)
وَأَخْشَى بِهَا أَنْ أُقِيمَ الصَّلَاةَ فتُسْجَدُ حِيْطَانُهَا الرَّاكِعَ
إِذَا مَا قَرَأْتُ : « إِذَا زَلَزْتُ » خَشِيتُ بَأَن تَقْرَأُ : « الْوَاقِعَ »

-
- (١) العهد والمعهد : المنزل الذى لا يزال القوم إذا انتأوا عنه رجعوا إليه .
(٢) الصدى : الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها ، والصدى أيضا : العطش .
(٣) الفطن : الفطنة .
(٤) نزلت (الأولى) : حلت . ونزلت (الثانية) : هويت وسقطت ، والسابعة ، أى الأرض السابعة .

- (٥) المحجة : جادة الطريق . شاسعة : بعيدة .
(٦) قارعة الطريق : أعلاه . وقارعة الدار : ساحتها ، والمراد هنا قارعة الطريق .
(٧) تساورها : توافيها .

٦ — عمر بن الوردى^(١)

قال فى مدح شهاب الدين بن فضل الله :

أُقْتَلُ بين جدِّك والمُزاح	بِذِيْل جَفْوَنِكَ المُرْضى الصَّحاح ^(٢)
يَكْدُرُنِي نَوَاكُ ، وَأَنْتَ صَافٍ	وَيُسْكِرُنِي هَوَاكُ ، وَأَنْتَ صَاحِي
وَأَبْكِي لِلْغَرَامِ ، وَأَنْتَ لَاهٍ	وَأَعْذِرُنِي الْأَوَامِ ، وَأَنْتَ لَاحِي ^(٣)
فَمَا لِإِسْرَاحِ دَمْعِي مِنْ إِسَارٍ	وَمَا لِإِسَارِ وَجْدِي مِنْ سِرَاحِ ^(٤)
وَمَا لِصَبَاحِ وَجْهِكَ مِنْ مَسَاءٍ	وَمَا لِمَسَاءِ شَعْرِكَ مِنْ صَبَاحٍ
رِضَاكَ إِلَى رِضَايِكَ لِي دَلِيلٌ	أَلَيْسَ كِلَاهُمَا رُوحِي وَرَاحِي؟ ^(٥)
وَلِي لِحْظٌ بِطَيْرٍ إِلَيْكَ شَوْقًا	فَمَا قَدْ طَارَ مَبْلُولُ الْجَنَاحِ !
وَوَجْهِكَ فَوْقَ قَدِّكَ عَرَفَانِي	بِإِثْمَارِ الْبُذُورِ مِنَ الرَّمَاكِ ^(٦)
لَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ سَرِّي وَدَمْعِي	لَقِيَ بَيْنَ اسْتِقَارٍ وَأَفْتِضَاحِ ^(٧)
يَحِقُّ لِمَنْ لَحَانِي فِيكَ ذِمِّي	وَحَقٌّ لِكَاتِبِ السَّرِّ أَمْتِدَاحِي ^(٨)
وَلَسْتُ سِوَى ابْنِ فَضْلِ اللَّهِ أَغْنِي	شَهَابُ الدِّينِ ذِي الْغُرْرِ الْمَلَّاحِ

(١) ولد بالمعرة سنة ٦٨٩ هـ ومات بحلب سنة ٧٤٩ هـ . وكان شاعرا نحويا فقيها مؤرخا قاضيا .

(٢) المُرْضى : الفوائز الناعسات والصحاح الجميلات ليس فيها مرض . وبين اللفظين : طباق

(٣) الأوام : العطش ودوار الرأس .

(٤) أى فما لدمعى ما يوقف سيله ، وليس ما يخلصنى من الوجد .

(٥) الرضاب : الريق . والراح الحجر .

(٦) الرماح : القدود .

(٧) اللقي : المطروح من الشيء .

(٨) لحانى : عابى ولامنى .

له قلم بفضل الله يحيا لنا يحيى به بعد أنتزاح
فما أدري انقشاً فوق طرس يُطرزُ أم مساءً في صباح ؟
أشدُّ من القضاء مضاء أمرٍ وأجرى في الخطوب من الرياح
فخذها بنت ليلتها عروساً تزف إليك كالخود الرِّداح (١)
وما أنا شاعرٌ حاشا علوى ولست أرى التكبب بامتداح
فلى من أنعم الرحمن مالٌ يصون عن احتياج وأجتياح
ولم أقصد بمدحك غير رد أروض به الزمان عن الجراح

وكتب إلى القاضي جمال الدين معاتباً له على قصد الرحلة :

علام أردت تهجرني علاماً وتوقظ بالنوى إبلاً نياماً ؟
لعلك يا جليد القلب تبغى رحيلاً يورثُ الدمع أنسجاماً (٢)
فهل لا قيتَ في حلب هُموماً فتزُمع عن نواحيها أهتماً ؟
فلا تأخذ دمشق لها بديلاً أغيظاً ذاك منك أم أنتقاماً ؟
وإن تك بالفرق لا تبالي فهذا يمنع العين المناما
وإن ترحل لنيل غنى فسهل غناك هنا إذا أمسكت عاماً
وإن ترحل تريد تمام جاء فيه ؛ إني أحذرك التَّما
وإن ترحل رجاء لاشتهار فكم من شهرة توهم العظاما
أقم في الأهل في رغد وطيب بأمرى ، واغتم ذاك اغتناما

(١) الرِّداح : البدينة . والخود : الفتاة الغضة .

(٢) القلب الجليد ، الغليظ الشديد : وانسجام الدمع : انصبابه .

٧ - صفى الدين الحلى (١)

من مآجحه :

إنما الحيزبون والدردبيس والطخا والنقاخ والعلطبيس (٢)
لغة تنفير المسمع منها حين تروى وتشمز النفوس
وقبيح أن يذكر النافر الوخ شي منها ويترك المأنوس (٣)
أين قولى : هذا كتيب قديم ومقالى عققل قدموس (٤)
خل للأصمى جوب الفيا فى فى نشاف تحف فيه الروس (٥)
إعما هذه القلوب حديد ولذيد الألفاظ مغناطيس

وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون عند كسر الخليج :

خلع الربيع على غصون ألبان حللاً فواضها على الكئبان (٦)
ونمت فروع الدوح حتى صاغت كفل الكتيب ذوائب الأغصان (٧)

(١) هو عبد العزيز بن على شاعر الجزيرة نشأ بالحلة من مدن الفرات ، وتأدب وأجاد الشعر وخدم ملوك الدولة الأرتقية . وزار مصر ومدح السلطان الناصر بن قلاوون . وتوفى ببغداد سنة ٧٥٠ هـ .

(٢) الحيزبون : العجوز أو التى لا خير فيها . الدردبيس : العجوز الفانية والداهية . والطخاء : السحاب المرتفع . النقاخ : الماء البارد العذب الصافى . العلطبيس : الأملس البراق .

(٣) الوحشى من الألفاظ : الغريب غير المسألوف .

(٤) العققل : الكتيب المتراكم . قدموس : قديم .

(٥) الفيا فى : مفردتها فيفاء ، وهى المفاضة لاء فيها . جوب الفيا فى : قطعها . ونشاف جمع نشفة مثلثة النون ، وهى حجارة الحرة . وهى سود كأنها محترقة .

(٦) الكئبان : جمع كئيب ، وهو التل من الرمل .

(٧) الكفل بفتحيتين : العجز .

وتتوَجَّتْ هَامُ الغُصُونِ ، وضَرَّجَتْ خَدَّ الرِّياضِ شَقَائِقُ النُّعْمَانِ
وتنَوَّعَتْ بُسْطُ الرِّياضِ ، فزَهَرُهَا مَتَبَّانُ الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ :
من أبيض يَتَّقِي ، وأَصْفَرُ فَاقِع ، أو أَزْرَقُ صَافٍ ، وأَحْمَرُ قَائِي
وَالظِّلُّ يَسْرِقُ فِي الْجُمَائِلِ خَطْوَهُ وَالغُصْنُ يَخْطُرُ خَطَرَةَ النُّشْوَانِ (١)
وكَأَنَّمَا الْأَغْصَانُ سَوْقُ رَوَاقِصٍ قَدْ قَيَّدَتْ بِسَلْسِلِ الرِّيحَانِ (٢)
وَالشَّمْسُ تَنْظُرُ مِنْ خِلَالِ فُرُوعِهَا نَحْوَ الْخَدَائِقِ نِظْرَةَ الْغَيْرَانِ (٣)
وَالطَّلَعُ فِي خَلَلِ السِّكَامِ كَأَنَّهُ حُلُلٌ تَفْتَقُّ عَنْ نُحُورِ غَوَافِي (٤)
وَالْأَرْضُ تُعْجَبُ كَيْفَ تَضْحَكُ وَالْحَيَا يَبْكِي بِدَمْعٍ دَائِمٍ أَلْهَمَلَانَ (٥)
فَأَصْرَفَ هُمُومَكَ بِالرِّبْعِ وَفَضْلِهِ ؛ إِنْ الرِّبْعُ هُوَ الشَّبَابُ الثَّانِي
أَيُّ ؟ وَقَدْ صَفَّتِ الْمِيَاهُ وَزَخَرِفَتْ جَنَاتُ مِصْرَ ، وَأَشْرَقَ الْهَرَمَانُ ،
وَأَخْضَرَ وَادِيَهَا ، وَحَدَّقَ زَهْرُهُ وَالنَّيْلُ فِيهِ كَكَوْثَرِ بَجْنَانِ
وَبِهِ الْجَوَارِي الْمُنْشَاتُ ، كَأَنَّهَا عِنْدَ الْمَسِيرِ تَهْمُّ بِالطَّيْرَانِ
وَالْمَاءُ يُسْرِعُ فِي التَّدْفُقِ كُلَّمَا عَجَلَتْ عَلَيْهِ يَدُ النَّسِيمِ الْوَافِي (٦)

-
- (١) الْجُمَائِلُ : جمع حميلة ، وهي رملة تنبت الشجر . يَخْطُرُ : يتأيل . النُّشْوَانُ : السكران .
(٢) سَوْقُ رَوَاقِصٍ ، مفرد السَّوْقِ : ساق ، وهي : ما بين الركبة والقدم .
(٣) الْغَيْرَانِ : شديد الغيرة .
(٤) الطَّلَعُ : طلع النخلة . وَالْخَلَلُ بفتح الحاء : الفرجة بين الشيئين والجمع خلال ،
وَالسِّكَامُ : وعاء الطلع . الْغَوَافِي : جمع غافية ، وهي التي غنيت بحسنها عن الحلى .
(٥) الْحَيَا : المطر . وَالْهَمَلَانُ : الجريان .
(٦) الْوَافِي : الضعيف .

حتى إذا كُسِرَ الخليجُ وقُسمتْ أمواهُ لُجَّتِه على الخُلجانِ
ساوى البلادُ كما تُساوى فى الندى بين الأنامِ مَوَاهِبُ السلطانِ
ملكٌ إذا اكتحلَ الملوكُ بنوره خَرُّوا لهيبته إلى الأذقانِ (١)
قد عَزَّ دينُ محمدٍ بِسَمِيهِ وسما بُنْصَرته على الأذيانِ
شاهدته فشهدتْ لقمانُ الحجا ونظرتْ كسرى العدلُ فى الإيوانِ (٢)
ورأيتُ منه سماحةً وفصاحةً أعدى بفيضهما يدى ولسانى (٣)
وقال يهنى المؤيد بالقُدوم من الصيد :

مرحباً بالحيا لكلِّ جديب لا عَدْمنا نواله وظلاله (٤)
ملكُ الجود والثنا والمعالى والسجيات كلها والأصالة
رُقَّتْ حُلَّةُ الرياضِ فحلفنا أنْ رَوْضاً قد أَسْتَعَارَ خِلاله
وَأَبْتَغَى الأفقَ للعلا فحسبنا أنه يُنْعَلُ الجِوَادَ هلاله (٥)
جاء من صيده السعيد كبدراً ما رأى الطَّرْفُ فى السَّناء مثاله (٦)
كم غزالٍ رَمَى ؛ فلو أَمَّنَ الشَّهْ سَ من الخوفِ ما تسمَّتْ غزاله (٧)

-
- (١) الأذقان : مفردة ذقن ، وهى فى الإنسان تجمع لحية .
(٢) الحجا : العقل ، يريد لقمان الحكيم .
(٣) أعدى : من العدوى ، يريد أ كسب يده سماحة ولسانه فصاحة مثل سماحة الملك المدوح وفصاحته .
(٤) الحيا : المطر . النوال : العطاء .
(٥) ينعل الجواد هلاله : يجعل الهلال نعلا للجواد .
(٦) السناء : الرفعة .
(٧) الغزالة : اسم من أسماء الشمس ، والمعنى أن الملك كلف صيد الغزالان ، فلو أراد ألا يجعل الشمس مما يصطاد ، لما كان من أسمائها : الغزالة .

ولعمري لو استجار به ألوح شُئْنٌ — بعدما استقلت — نباله (١)
 أيّد الله ملكه ووقاه وحمى سرّبه وصان جلاله (٢)
 وقال يحرض الأمير نور الدين على ملتي المغول وحرّ بهم عند ما أغاروا على ماردين :
 أَمِنْ حَجَرٍ فَوَادُكَ أَمْ حَدِيدُ فَمِيهِ عَلَى الْوَغَى بَأْسٌ شَدِيدُ (٣)
 وَأَطْوَادُ حُلُومِكَ أَمْ جِبَالُ تَمِيدُ الرَّاسِيَاتُ ، وَلَا تَمِيدُ (٤)
 لِأَنَّكَ كَلَّمَا حَاوَلْتَ أَمْرًا يُصَوِّبُ فَعَلَّكَ الرَّأْيُ السَّيِّدُ
 طَلَعْتَ عَلَى الْعُدَاةِ ، وَأَنْتَ شَمْسٌ فَذَابَ بِحَرِّ مَوْقِعِهَا الْجَلِيدُ
 أَغْرَتَ عَلَى حِمَاهُمْ غَيْرَ عَادٍ وَلَا قَوْا مِنْكَ مَا لَاقَتْ ثُمُودُ (٥)
 بِجَيْشٍ تَرْجُفُ الرَّايَاتُ فِيهِ وَتَحْقِيقُ دُونَ مَقْدَمِهِ الْبَنُودُ
 وَتَهْتَزُّ الذَّوَابِلُ فِيهِ مَحْجُبًا كَمَا اهْتَزَّتْ مِنَ الْمَرْحِ الْقُدُودُ (٦)
 عَجَلْتَ إِلَى قَرَاءِهِمْ بِعِزِّهِ يَذْنُوكَ الْأَمَدُ الْبَعِيدُ
 وَكَمْ وَإِنْ يَعُدُّ الْعَجْزَ حَلَمًا فَيَنْدَمُ ؛ وَالنَّدَامَةُ لَا تُفِيدُ (٧)
 وَمَنْ يَرَى مَا يُرِيدُ وَكَفَّ جُبْنًا رَأَى مِنْ بَعْدِهِ مَا لَا يُرِيدُ

(١) ثنى : أرجع . واستقلت : يريد فارقت القوس .

(٢) حمى الله سرّبه : حفظ نفسه .

(٣) الوغى : الحرب . والبأس : القوة .

(٤) الطود : الجبل . حلوم : مفردة حلم بالكسر وهو الأناة والعقل . تميد الراسيات : تضطرب الجبال الشاخعة الثابتة .

(٥) عاد : معتد ظالم . وفي السكلمة إشارة إلى (عاد) المذكورين في القرآن الكريم وهم قوم هود الذين أهلكوا لما عصوه . وثمرود قوم سيدنا صالح الذين عصوه فأخذتهم الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين .

(٦) الذوابل : الرماح الرقيقة . المرح : شدة الفرح مع الإعجاب بالنفس

(٧) وان : ضعيف . حلما : أناة وعقلا .

وقال في فرسٍ أَدَمَ مُحَجَّل :

ولقد أروحُ إلى القنيصِ وأعتدى
رامَ الصباحِ من الدجى استنقادهُ
في متن أَدَمَ كالظلامِ مُحَجَّل
جَسَداً ، فلم يَظْفَرِ بغيرِ الأرجلِ (١)
فكأنه صَنِغُ الشَّيْبَةِ هابَهُ
وخطُ المَشِيبِ ، فجاءهُ من أسفلِ
وقال في وصفِ عُودٍ طَرَبَ :

وعُودُ به عادَ السرورُ لأنه
يغربُ في تنريده فكأنه
حوى اللهو قدماً وهو رَيَّانُ ناعمٍ
يُعِيدُ لنا ما لَقْنَتْهُ الحَمائمُ

٨ — جمال الدين بن نباتة المصري (٢)

قال يرثى ولداً له مات صغيراً :

اللهُ جارُك إنَّ دَمْعِي جارِي
لما سكنتَ من الترابِ حديقةً
يا مُوحِشَ الأوطانِ والأوطارِ (٣)
فاضتْ عليك العينُ بالأنهارِ
شَيَّانَ ما حالى وحالُك : أنتَ في
غُرَفِ الجنانِ ، ومُهَجِّي في النارِ
خَفَّ النَّجَا بك يا بُنْيَّ إلى الشَّرَى
فسبقتني ، وثقلتُ بالأوزارِ (٤)

(١) رام الصباح من الدجى استنقاده : أى طلب الصباح أن ينقذه فلم يفز بغير الأرجل ، وتفسير ذلك أن الفرس أسود الجسم (أدم) أبيض الأرجل (محجل) فالصباح له تلك الأرجل البيض ، في حين أن الليل له سائر الجسد الأسود .

(٢) هو جمال الدين أبو بكر ولد بمصر وتوفي بها سنة ٧٦٨ هـ . ويظهر في شعره ذوق سليم ورقة ممتازة . وهو في هذه القصيدة يعارض أبا الحسن التهامي في قصيدته التي رثى بها ولدا له مات صغيراً كذلك وهى من البحر والقافية ، وقد تقدمت لك في هذا الجزء

(٣) الأوطار : جمع وطر ، الحاجة تهتم لها وتعنى بها .

(٤) النجا : مقصور النجاء ، وهو السرعة .

لَيْتَ الرَّدَى إِذْ لَمْ يَدْعُكَ أَهَابُ بِي ؛ حَتَّى نَدُومَ مَعَا عَلَى مِضْمَارِ (١)
 لَيْتَ الْقَضَا الْخَاوِي تَهَلَّلَ وَرَدُّهُ حَتَّى حَسَبْتُ عَوَاقِبَ الْإِضْدَارِ
 مَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ لَحْفَةٍ بَارِقِ وَلَى . وَأَغْرَى الْجَفْنَ بِالْإِمْطَارِ
 أَبْكَيَكَ مَا بَكَتِ الْحَمَامُ هَدِيلَهَا وَأَحْنُ مَا حَنَّتْ إِلَى الْأَوْكَارِ (٢)
 أَبْكَى بِمُحَمَّرٍ الدَّمُوعِ ؛ وَإِنَّمَا تَبْكِي الْعَيُونَ نَظِيرَهَا بِنُضَارِ
 قَالُوا : صَغِيرٌ ! قُلْتُ إِنَّ ! وَرَبَّمَا كَانَتْ بِهِ الْحَسَرَاتُ غَيْرَ صَغَارِ (٣)
 وَأَحَقُّ بِالْأَحْزَانِ مَاضٍ لَمْ يُسَىءِ بِيَدٍ وَلَا لِسَنِ وَلَا إِضْمَارِ (٤)
 نَائِي اللَّقَا ، وَجَاهُ أَقْرَبُ مَطْرَحَا يَا بُعْدَ مَجْتَمَعٍ وَقَرَبِ مَزَارِ !
 لَهْفِي لِفُصْنٍ رَاقِي بِنِبَاتِهِ لَوْ أَمَهَلْتُهُ التَّرْبُ لِلْإِثْمَارِ
 لَهْفِي لَجَوْهَرَةٍ خَفَتْ ، فَكَأَنِّي حَجَبْتُهَا مِنْ أَدْمَعِي بِبِحَارِ
 لَهْفِي لِسَارٍ حَارٍ فِيهِ تَجَلَدِي وَاحِيرَتِي بِالْكَوْكَبِ السَّيَارِ !
 سَكَنَ الثَّرَى ؛ فَكَأَنَّهُ سَكَنَ الْحِشَا مِنْ قَرَطٍ مَا شُغِلَتْ بِهِ أَفْكَارِي
 أَعَزُّ عَلَى بَأْنٍ ضَعِيفٍ مَسَامَعِي لَمْ يَحْظَ مِنْ ذَاكَ اللِّسَانِ بِقَارِي ! (٥)
 أَعَزُّ عَلَى بَأْنٍ رَحِمْتَ وَلَمْ تَخْضُ أَقْدَامُ فِكْرِكَ أَبْجُرَ الْأَشْعَارِ
 أَعَزُّ عَلَى بَأْنٍ نُثِرْتَ عَلَى الثَّرَى وَعَلَيْكَ مِنْ دَمْعِي كُدْرٌ نِثَارِ (٦)

(١) أَهَابُ بِي : دَعَانِي .

(٢) الْهَدِيلُ هُنَا : أَبٌ لِلْحَمَامِ زَعَمُوا أَنَّهُ هَلَكَ فِي الْقَدَمِ فَهِيَ تَبْكِيهِ .

(٣) إِنَّ : أَيْ نَعَمْ .

(٤) اللَّسَنُ بِكَسْرِ اللَّامِ : اللِّسَانُ .

(٥) أَعَزُّ عَلَى : أَيْ مَا أَعَزَّ ذَلِكَ وَمَا أَصْعَبَهُ . وَقَارِي : مِنَ الْقَرَى وَهُوَ مَا يَقْدَمُ لِلضَّيْفِ

الطَّعَامِ ، أَوْ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي الْكَلِمَةِ تَوْرِيَّةً .

(٦) نِثَارٌ : أَيْ مَنثورٌ .

أُبْنَى ، إِنَّ تُكْسَ التُّرَابَ فَإِنَّهُ غَايَاتُ أَجْمَعَنَا ، وَلَيْسَ بَعَار
 مَا فِي زَمَانِكَ مَا يَسُرُّ مُؤَمِّلًا فَازْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْخِيَالُ السَّارِ
 لَوْ أَنَّ أَخْبَارِي لَدَيْكَ تَوَصَّلْتُ لِبَكَيْتَ فِي الْجَنَّاتِ مِنْ أَخْبَارِي
 أَحْزَانُ مَدَّ كِرٍ ، وَسَلْوَةُ مُفْرَدٍ ، وَمُقَامُ مَضِيعَةٍ ، وَذُلُّ جَوَارِ
 أُبْنَى ، إِنِّي قَدْ كَنَزْتُكَ فِي الثَّرَى فَانْفَعْ أَبَاكَ بِسَاعَةِ الْإِقْتَارِ (١)
 أُبْنَى ، قَدْ وَقَفْتُ عَلَى حَوَادِثُ فَوْقَنَ مِنْ طَلَلٍ عَلَى آثَارِ
 وَمَضَى الْبَيَاضُ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا لَكِنَّهَا أَبْقَتْهُ فَوْقَ عِذَارِي (٢)
 نَمَّ وَادِعًا ، فَلَقْدَ تَقَرَّحَ نَاطِرِي سَهْرًا ، وَنَامَتْ أَعْيُنُ الشَّمَارِ
 أَرَعَى الدُّجَى وَكَأَنَّ ذَيْلَ ظَلَامِهِ مُتَشَبِّثٌ بِالنَّجْمِ فِي مِسْمَارِ
 خَلَعَ الصَّبَاحُ عَلَى الْمَجَرَّةِ سَجْفَهُ أَمْ قُسِّمَتْ شَمْسُ النَّهَارِ دَرَارِي (٣)
 تَبًّا لِعَادِيَةِ الزَّمَانِ عَلَى الْفَتَى ؛ فَلَقْدَ حِذَرْتُ وَمَا أَفَادَ حِذَارِي
 وَحَوَيْتَ دِينَارًا بِوَجْهِكَ فَانْتَحَى صَرَفُ الزَّمَانِ ، فَرَاغَ بِالْدِينَارِ (٤)

وقال يمدح السلطان الأفضل ويعزيه في والده المؤيد :

هَذَا مَا ذَاكَ الْعَزَاءُ الْمَقْدَمًا فَمَا عَبَسَ الْحَزُونُ حَتَّى تَبَسَمَا
 ثُغُورُ ابْتِسَامٍ فِي ثُغُورِ مَدَامِجِ شَبِيهَانِ لَا يَمْتَازُ ذُو السَّبْقِ مِنْهُمَا

(١) لعله يريد بساعة الإقتار يوم الحساب ، أى الاقتار من الحسنات ، وأن طفله سيكون له في ذلك اليوم ذخراً .

(٢) يشير إلى مشييه . والعذار : الشعر المحاذى للأذن .

(٣) المجرة : منطقة في السماء ذات نجوم كثيرة لا يميزها البصر ، فترى كرقعة بيضاء . والسجف : الستر . والدراى : النجوم . والمعنى : هل خلع الصباح بياضه على المجرة ، فهو ما تراه من بياضها ، ولا صباح بعد ذلك ، أم أن الشمس تنأثرت بنجومها ، هى التى أراها ، وعلى ذلك لا تطلع الشمس ؟

(٤) يشبه وجه ابنه بالدینار بهجة وصفاء .

تفيضُ مجارى الدمع والبشرُ واضحُ
سقى الغيثُ عنا تربةَ الملكِ الذى
مليكان : هذا قد هوى لضميرِ
ودوحه ملك شاذوى تكافأت
فقدنا لأعناق البرية مالكا
إذا الأفضل الملكُ اعتبرتَ مقامه
أعاد معانى البيتِ حتى حسبتُه
وناداهُ ملكٌ قد تقادمَ إرثُه
تقابل منه مقلة الدهرِ سوءُ ددا
ويقسم فينا كل سهم من الندى
كأنَّ ديارَ الملكِ غابَ إذا انقضى
كأنَّ عماد البيتِ غيرُ مقوَّض
نهضتَ فما قلنا : سيادةً معشرِ
أما والذى أعطاك ما أنتَ أهلهُ
وقد أنشَرَ الإسلامَ بالخلفِ الذى
فإن يكُ منَ أيوبِ بحمٍّ قد انقضى
وإن تكُ أوقات المؤيد قد خلت
عليه سلامُ الله ما ذرَّ شارق

كوابل غيثٍ فى ضحا الشمسِ قد هوى
تدانتُ له الدنيا وعزَّ به الحمى
برغمى ، وهذا للأسرةِ قد سما
فغصنُ ذوى منها ، وآخرُ قد نما^(١)
وشمنا لأنواع الجميل مُتمِّما
وجدتَ زمانَ الملكِ قد عاد مثملا
بوزن الثنا والحمد بيتًا منظما^(٢)
فقام كما ترضى العلا وتقدِّما
صميا ، وتنضو الرأى عضبا مُصمِّما
ويبعث الأعداء فى الروح أسهما^(٣)
به ضيغم أنشا به الدهر ضيغما^(٤)
وقد قت يا أركى الأنام وأحزما
تداعتُ ، ولا بُدَّيان قوم تهدِّما
لقد شاد من عليك ركنًا مُعظما
تمكَّن فى عليائه وتحكما
فقد أطلعت أوصافك الغرَّ أنجما
فقد جدَّدت عليك وقتًا وموسما
(ورحمته ما شاء أن يترجما)^(٥)

(١) شاذوى : نسبة إلى يوسف بن أيوب بن شاذى ، وهو السلطان صلاح الدين الأيوبي .

(٢) البيت : أى بيت الملك .

(٣) سهم من الندى : أى نصيب .

(٤) الضيغم : الأسد .

(٥) ذر : طلع ، والشارق الشمس .

وقال في الناصر حسن وقد أمره أن ينسخ له ديوانه :

أحبابنا دَارُكُمْ والعيشُ نَعْمَانُ (١) والسَّفْحُ دَمْعِي ، ودارُ القلبِ حَرَّانُ (١)
أشكو اشتياقاً ، وما بالوصل من قدمٍ كَأَنَّ وَصْلِي لَفَرَطِ الْحُبِّ هَجْرَانُ
ورُبَّمَا رُمْتُ أَنْ أَشْكُو الشَّهَادَ إِلَى عَدْلِ الْمَنَامِ ، وَقُلْتُ : النَّوْمُ سُلْطَانُ
يَأْيِهَا النَّاصِرُ السُّلْطَانُ لَا غَمَضْتُ عَيْنٌ لَهَا عَنْ سَنَى مُرَّآكَ سُلْوَانُ (٢)
كم في ملوك الورى فضلٌ ومعْرِفةٌ كَانُوا ، وَمِثْلَكَ فِي ذَا النَحْوِ مَا كَانُوا
إن يَمْضِ كَشْرِي فكم إِيوَانُ مَعْدَلَةٍ لَدَيْكَ قَدْ زَاهِ يُمْنٌ وَإِيْمَانُ
أَمَرْتُ شِعْرِي يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ عَلَى أَشْعَارِ قَوْمٍ ، فلي أَمْرٌ وَدِيَوَانُ

٩ — محي الدين بن قريظ الجوى

قال بصف روضا :

سَقِيَا لَهُ رَوْضَا قُدُودُ غُصُونِهِ تَحْتَالُ فِي الْأَبْرَادِ مِنْ أَوْرَاقِهَا (٣)
جُنْتُ بِهِ وَرُقُ الْحَمَامِ صَبَابَةً أَوْ مَا تَرَى الْأَغْلَالَ فِي أَعْمَاقِهَا ؟ (٤)

(١) العيش : الحياة . نعمان بالفتح : واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات ، يقال له نعمان الأراك . ونعمان أيضا : صفة مشبهة من الفعل نعم ينعم أى سار ناعما لينا . حران : بلد بشمال الشام .

(٢) السنى : ضوء البرق .

(٣) قدود غصونه : قامات فروعها : تحتال : تعجب بنفسها مرحاً ، الأبراد : الثياب ، ومفردها برد .

(٤) ورق الحمام : جمع أوراق وورقاء . والحمامة الورقاء : التي لونها كلون الرماد . الصبابة : رقة الشوق وحرارته . الأغلال : مفردة غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق لأن الجنون كان يوضع في أغلال ، شبه أطواق الحمام بأطواق الأغلال من الحديد .

وقال أيضاً :

قَدْ أَتَيْنَا الرِّيَاضَ لَمَّا تَجَلَّتْ وَتَحَلَّتْ مِنْ النَّدى يُحْمَانُ (١)
وَرَأَيْنَا خَوَاتِمَ الزَّهْرِ لَمَّا سَقَطَتْ مِنْ أُنَامِلِ الْأَغْصَانِ

وقال يصف نهرا :

وَرَبَّ نَهْرٍ لَهُ عَيُونٌ تَحَارُّ فِي وَصْفِهِ الْعَيُونُ
لَمَّا غَدَا الرِّيقُ مِنْهُ عَذْبًا مَالَتْ إِلَى رَشْفِهِ الْغُصُونُ (٢)

١٠ — على بن محمود المبارك (٣)

قال يذم دار سكناه :

دار سكنتُ بها أَقْلُ صفاتها أن تَكْثُرَ الحشراتُ في جَنَبَاتِهَا
الخير عنها نازِحٌ متباعدٌ والشرُّ دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوضُ عدمته كم أعدمَ الأجفانَ طيبُ سباتها
وتبيتُ تُسَعِّدها براغيثُ متى غنت لها رَقَصَتْ على نغماتها (٤)
رقص بتنفيسٍ ولكن قافه قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذبابٌ كالضَّبَابِ يسدُّ عِيَّ نَ الشَّمْسِ ما طَرَبَى سوى غَنَاتِهَا
أين الصَّوَارِمُ والقَنَا من فَتْكُهَا فينا وأين الأسدُ من وثباتها ؟

(١) الجمان : قطع من الفضة على هيئة الآلىء.

(٢) الرشف : المص .

(٣) هو على بن محمود المبارك كمال الدين بن الأعمى الشاعر المتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

(٤) تسعدها : تعاونها .

وبها خفافيشٌ تطيرُ نهارَها مع كَيْلِها ليست على عاداتِها
شوكاتها فاقت على سُمرِ القنَا فاعجبَ لِشِدَّةِ فتكها وثباتِها
وبها من الجُرْذانِ ما قد قصَّرت عنه العِتاقُ الجُرْدُ في حَمَلاتها^(١)
ولها زنابيرٌ تُظنُّ عقارباً لا براءَ للمسموم من لدغاتها
ولها عقاربٌ كالأقاربِ رُتِعَ فينا حمانا الله لدغ حَمَاتِها^(٢)

١١ - ابن سعيد المغربي^(٣)

قال يصف الجيزة :

إن للجيزة في قلبي هوى لم يكن عندي للوجه الجميل
يرقصُ الماءُ بها من طربٍ ويميلُ الفصن للظل الظليل
وتود الشمس لو باتت بها فلذا تصفر في وقت الأصيل

١٢ - محمد بن سليم المصري^(٤)

كتب إلى السراج الوراق في حمار له سقط في بئر فمات :

يفديك جَحْشُكَ إذ مضى مُتَرَدِّياً وبقالِدٍ يُفدى الأديبُ وطارف
عدم الشعير فلم يجده ولا رأى تبنا وراح من الظما كالتالف
ورأى البؤيرة غير خافٍ ماؤها فرمى حشاشة نفسه للخواوف
قوم يموت حمارهم عطشاً لقد أزرؤا بحاتم في الزمان السالف

(١) العتاق : الخيل . والجرد : جمع أجرد وهو السباق منها .

(٢) الحمات : جمع حمة ، وهى إبرة العقرب التى تضرب بها .

(٣) توفى سنة ٦٧٣ هـ .

(٤) هو محمد بن محمد بن علي بن محمد بن سليم المصري المتوفى سنة ٧٠٧ هـ .

١٣ - ابن الجنان^(١)

قال يصف روضاً على نهر :

ودوحٌ بدت معجزاتُ له تبينُ عليه وتدعو إليه
جرى النهرُ حتى سقى غصنه فمال يقبّل شكراً يديه
وكفُّ الصَّبَا صنعت حليّه فأضحى الحمامُ ينادي عليه
كساه الأصيلُ ثيابَ الضنى فحلَّ طبيبُ الدياجي لديه
وجاء النسيمُ له عائداً فقام له لايمّا معطفيه

١٤ - محمد بن الحسين^(٢)

قال في نوح الحمام :

ولقد رأيت الأراك حمامةً تبكي فتُسعدُنِي على أحزاني^(٣)
تبكي على غصنٍ وأندبُ قامةً فجميعنا يبكي على الأغصان
صرعَ الزمانُ وحيدها فتعلّلتُ من بعده بالنوح والأحزان
تخشى من الأوتارِ وهي مُروعةٌ فلِمَ غنّتْ على العيدان ؟

(١) توفي سنة ٦٧٥ هـ .

(٢) هو الشاعر النديم ، صاحب الموصل ، توفي سنة ٦٥٨ هـ .

(٣) الأراك : شجر يستاك به .

١٥ - محمد بن الحسن الصائغ العروضي^(١)

قال يتشوق - وهو بمصر - إلى دمشق :

لى نحو ربك دائماً يا جلقُ شوقٌ أكادُ به جوى أتمزقُ
وهولُ دمع من جوى بأضالعِ ذا مُغرقٌ عيني وهذا محرقُ^(٢)
أشفاقُ منك منازلٍ لم أنسها أنى !؟ وقلبي في ربوعك موثقُ

١٦ - ابن دقيق العيد^(٣)

قال يتمنى الجمع بين الشباب والشيب :

تمنيت أن الشيب عاجل لمتى وقرب منى في صباى مزاره
فأخذ من عصر الشباب نشاطه وأخذ من عصر الشيب وقاره

وقال في الشكوى :

لعمري لقد قاسيت بالفقر شدة وقعتُ بها في حيرةٍ وشَتَاتِ
فإن بُحتُ بالشكوى هتكتُ مروءةً وإن لم أبح بالصبر خفتُ مَمَاتِي
وأعظمُ به من نازلٍ بمِلْمَةٍ يزِيلُ حياتي أو يزِيلُ حياتِي

وقال في بعض الوزراء :

مقبِلٌ مدبرٌ بعيدٌ قريبٌ محسنٌ مذنبٌ عدوٌ حبيبٌ
عجبٌ من عجائب البر والبحر ونوع فرْدٌ وشكلٌ غريبٌ

(١) توفي سنة ٧٢٢ هـ . (٢) الجوى : شدة الوجد .

(٣) هو محمد بن علي بن وهب الإمام أبو الفتح بن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ هـ .

١٧ — مجير الدين بن تميم

قال يصف روضاً :

بعث النسيم رسالةً بقدومه للروض فهو بقربه فرحان
ولطيب ما قرأ الهزار بشدوه مضمونها مالت له الأغصان^(١)

وقال في وكيل بدار القاضي بدمشق :

لا تقرب الشرع إذا لم تكن تحبّه فهو دقيق جميل^(٢)
ووكّل العزّ الذي وجهه على جناح الأمر أقوى دليل
ولا تمل عنه إلى غيره وحسبنا الله ونعم الوكيل

وقال في روضة :

أرض كساها القطر حلة سندس رقيمت لها طرر من الغدران^(٣)
وفدّ النسيم أضاع نشر رياضها فالورق تنشده بكل مكان^(٤)

وكتب إلى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق :

كمال الدين يامولاي يامن يعزّ البحر في بذل النوال^(٥)
أتيت حاجة ؛ فاغنم ثمنائي عليك بها وشكري وابتهالى

-
- (١) الهزار بفتح الهاء : طائر . (٢) تحبّه : تعلمه . دقيق : أمر غامض .
(٣) القطر : المطر . والمعنى أن القطر كسا الأرض حلة خضراء من النبات ، رسمت لهذه
الحلة طرراً ، أي جوانب من الغدران ، أي المياه التي غادرها المطر .
(٤) أضاع : إما ضيعه أو أفقده ، وإما بثه في الجو ، وضاع الطيب : انتشرت رائحته .
والنشر : الريح الطيبة . والورق : جمع ورقاء وهي الحمامة .
(٥) يعزه : يفوقه ويزيد عليه .

ولا تجعل سواك لها ؛ فإني عليك بنجحتها وقع اتسكالي
أجمّل أن يقول الناس : إني أتيت لحاجة لم تقضها لي ؟
وأصبح بينهم مثلاً لأنني أتاني النقص من جهة الكمال

وقال في رثاء صديق له اسمه قطب الدين :

نأيتم فلا قلبي عن الحزن مقصر^(١) عليكم ولا جفني يحف له غرب^(٢)
وأفلاك^(٣) لذاتي تعطل سيرها وهل فلك يسرى إذا عدم القطب^(٤)

وقال في التشوق :

لا تبعثوا غير الصبا بتحية من أرضكم ! فلها على جميل^(٥) :
خاضت دموع العاشقين وعرجت عنهم إلى وثوبها مبلول

وقال في الغزل :

وعيرني بالشيب قوم أحبهم فقلت وشأن العاشقين التجميل :
بعثتم إلى رأسي المشيب بهجركم ومهما أتى منكم على الرأس يحمل

وقال في ليلة سكر :

وليلة بت أسقى في غياهبها راحاً تسل شبابي من يد الهرم^(٦)
مازلات أشربها حتى نظرت إلى غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم^(٧)

(١) مقصر : مقلع وكاف عن الحزن عليكم . والجفن : يريد العين . الغرب : انهلال الدمع من العين .

(٢) الفلك : واحد أفلاك النجوم . والقطب : كوكب بين الجدى والفرقدين يدور عليه الفلك .

(٣) الصبا : ريح تهب من مطلع الشمس . وهي ندية بليلة .

(٤) الغياهب ، الظلمات . الراج : الحجر .

(٥) غزالة الصبح : الشمس . ونرجس الظلم : النجوم .

وقال يهجو :

لَمَّا جَسَسْتُكَ بِالْمَدِيحِ وَلَمْ أَكُنْ أَدْرَى بِأَنَّكَ خَامِلٌ فِي النَّاسِ ^(١)
نَادَيْتُ لَمَّا أَنَّ جَسَسْتُكَ بِالْهَجَا : أَكْلِبْ خُذْهَا مِنْ يَدَيِ جَسَّاسٍ !

وقال يمدح النرجس :

مُذْ لَا حَظَّ الْمَشُورُ طَرْفَ النَّرْجِسِ أَلْ مَزُورٌ قَالَ ، وَقَوْلُهُ لَا يُدْفَعُ : ^(٢)
فَتَّحْ عُيُونَكَ فِي سِوَايَ ؛ فَإِنِّي عِنْدِي قُبَالَةٌ كُلَّ عَيْنٍ إِصْبَعُ

وقال في روضة :

أَيَا حُسْنَهَا مِنْ رَوْضَةٍ ضَاعَ نَشْرُهَا فَنَادَتْ عَلَيْهِ فِي الرِّيَاضِ طَيُورُ ^(٣)
وَدُولَاهُا كَانَتْ تَعُدُّ ضُلُوعَهُ لَكثَرَةٍ مَا يَبْكِي لَهَا وَيَدُورُ

وقال أيضاً :

لِمَ لَا أَمِيلُ إِلَى الرِّيَاضِ وَحُسْنِهَا وَأُعِيشُ مِنْهَا تَحْتَ ظِلِّ صَافِي ^(٤)
وَالزَّهْرُ يَلْقَانِي بِشَفْرِ بِاسِمِ وَالْمَاءُ يَلْقَانِي بِقَلْبِ صَافِي

(١) الجسس بالشيء : المس به ، كليب : لقب وائل سيد تغلب ، وهو تصغير كلب ، جسّاس ابن مرة . سيد بكر وقاتل كليب ، وهو أيضاً صيغة مبالغة من جس ففى كل من كليب وجسّاس تورية .

(٢) المشور : المتفرق وهو وصف لنوع من الزهر . طرف النرجس : عينه . المزور : المنحرف . لا يدفع : لا يرد ، قبالة الشيء : تجاهه .

(٣) ضاع نشرها : يعنى انتشرت روائحها الطيبة . الدولاب . المنجنون التى تديره الدابة :

(٤) الظل الضافى : المتسع .

١٨ — الشهاب الخفاجي (١)

قال يتغزل ويتطرق إلى مدح محمد بن القاسم الحلبي (٢) :

حَتَّامٌ يَغْزُونِي صُدُودُهُ	والصبرُ قد كثرت جنودُهُ (٣)
لم أدر : فاترُ جَفْنِهِ	والخضرُ أسقمُ أم عهودُهُ (٤)
نشوانُ يعبثُ بي كما	عبثت بآمالِي وعودُهُ (٥)
لولا مياهُ الحُسنِ جا	لت فيه لا احترقت خدودُهُ
كالصَّبِّ لولا دمعُهُ	يَهْمِي لأحرقهُ وقودُهُ (٦)
يُخْفِي الهوى وعيونه	بغرامه المُضْنِي شهودُهُ
فسقى رياضَ الحُسنِ من	دمعي حيا يَهْمِي مديده (٧)
زمنٌ بحِجْدِ اللّهُو قد	نُظِمَتْ على نسقٍ عقوده (٨)
إذ دُوحٌ أنسى يانِعُ	بكثوسنا انفتحت ورودُهُ (٩)
والكأسُ نجم لاح في	فلكِ المسرّة لي سَعُودُهُ

(١) ولد في سرياقوس وتعلم بمصر ، ثم رحل إلى الحرمين فالأستانة ، وكان من رجال اللغة والأدب توفي سنة ١٠٦٩ هـ .

(٢) أجابه محمد علي هذه القصيدة بقصيدة تأتي في ص ١٣٩ .

(٣) حتام أصلها : حتى ما . فحذفت ألف ما الاستفهامية لجرها بحتى . يغزونى : يسير إلى قتالى وانتهابى . والصدود : الإعراض .

(٤) جفن فاتر : غير حاد النظر . والخضر : وسط الإنسان . والعهود : المواعيد .

(٥) النشوان : السكران . ويعبث بي : يلعب بي .

(٦) الصب : المشتاق الذى يكابد حرارة الشوق . يهْمِي : يسيل . وقوده : اتقاده واشتعاله

(٧) الحيا : المطر . المديد : الممدود المتصل .

(٨) نسق : نظام واحد .

(٩) الدوح : الأشجار العظيمة . الورود : جمع ورد .

يَصِفُو فَيُحْلِي ذَكَرَ مَنْ قد زين الدنيا وجوده
ذاك ابنُ قاسمٍ الَّذِي ما زال في تعب حُسُوده

١٩ - السيد عبد الرحيم العباسي

قال يصف ضعفه :

أرْعَشَنِي الدَّهْرُ أَيَّ رَعَشٍ وكنتُ ذا قوة وبَطْشٍ
قد كنتُ أمشي ولستُ أَعْيَا فصرتُ أَعْيَا ولستُ أمشي

وقال يشكو من الأصدقاء :

مَالِي أَرَى أَحِبَابَنَا فِي النَّاسِ صاروا كمثلِ حَبَابِنَا فِي الْكَاسِ^(١)
بَيْنَا يَرُوقُكَ عِنْدَ أَوَّلِ نَظْرَةٍ كاللُّؤْلُؤِ الْمُتَنَاسِقِ الْأَجْنَسِ
فَإِذَا أَعَدَّتِ الطَّرْفَ فِيهِمْ لَمْ تَجِدْ شَيْئًا ؛ وَصَارَ رَجَاؤُهُمْ كَالْيَاسِ

وقال يصف الصداقة الحق :

لست عن ودِّ صديقي سائلًا غيرَ قلبي فهو يَدْرِي وَدَّهْ
فَكَمَا أَعْلَمَ مَا عِنْدِي لَهُ فَكَذَا أَعْلَمَ مَالِي عِنْدَهُ

وقال في لثيم ابتداء بالتحية :

رَأَيْتُ لَثِيمَ قَوْمٍ فِي مَمَرٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَشْخَاصُ لِثَامٍ
فَسَلَّمَ مِنْ جِهَاتِهِ ابْتِدَاءً فَقُلْتُ لَهُ : مَتَى كَسَدَ السَّلَامُ ؟^(٢)

(١) الحباب : ما يرى على الماء من الفقاقيع ولا يلبث أن يفنى .

(٢) كسد السلام : لم ينفق ولم يرج ، يريد : متى امتنع ؟

وقال في الحكمة :

حالُ المَقْلِّ ناطقٌ عَمَّا خَفَى مِنْ عَيْبِهِ
فَإِنْ رَأَيْتَ عَارِيًّا فَلَا تَسْلُ عَنْ ثَوْبِهِ

٢٠ - محمد بن القاسم الحلبي

قال يحجب الشهاب الخفاجي على قصيدته التي تقدمت (١) :

للظبي لفتته وجيده والورد ما أبدت خدوده
والدر يزهو بالذي في ثغره منه نضيده (٢)
وبوجهه شرك العقول ؛ فأى عقل لا يصيده !؟ (٣)
في كل يوم للهوى من حسنه معنى يزیده
يستوقف الأبصار حتى لا يسوغ لها وروده
ملك تحكم في الجبال فمال منه ما يريده
ما زال يسطو في الوري من فعل مقلته جنوده
حتى ظننا أنه بالأجر آثره شهيده
يبدي الصدود وكلما صانعه عنه يعيده (٤)
أتراه يجحد ما لقيت به وهل يغني جحوده
وهو النهار إذا بدا من نفسه قامت شهوده
كضياء مولانا « شها ب » الفضل إذ طلعت سعوده
ما زال يسمو في سماء الجحد زينها وجوده ؟

(٢) النضيد : المتسق المرصع .

(١) انظر ص ١٣٧ .

(٣) الشرك : المصيدة .

(٤) صانعه عنه : أي حاولت أن أردده عنه ، وأغريه بالوصل .

حتى تقطعت المطا مِيع عنه واستعفى حسوده
وقاد فكر ؛ أى خط ب ليس يُطْفئه وقوده^(١)
كرمت له هم إلى غير الملا ليست تقوده
يزهو على جيد الزما ن بما ينمقه فريده^(٢)
من كل سجع من مزا يا الحسن قد نظمت عقوده
وإذا ذكرت الشعر فهو — وكما سمعت به لبيده^(٣)
قد كنت أجهد فى ابتغا ء لقاء أيام تفيده
حتى وقت لى بالذى قد كان فى أملى وعوده
فلقيته البحر الخضم يفيض للعافين جوده
متدفقا بالفضل تخشى أن يفرقها وفوده
مولاي ؛ غذراً إنها من خاطر قد جف عوده
بعدت بقول الشعر فى عهد الصبا حيناً عوده
لبي دُعاك ؛ وأى مو لى لا تلبيه عبيده ؟
ما ضره عيد نأى مادام من لقياك عيده

٢١ — أحمد بن على العلقمى

قال يتمدح :

بابصارنا وجهك المذهب يكاد سنى برقه يذهب
وأشواقنا فيك لا تنقضى وشمس جمالك لا تغرب

(١) وقوده : اتقاده .

(٢) الفريد : صغار الأولو تفصل بين العقد المنظوم والذهب ، ويريد الشاعر أن ما يكتبه الممدوح من نثر وشعر يكون كالعقد المفصل فى جيد الزمن .

(٣) لبيد : شاعر جاهلى وأحد أصحاب المعلقات .

وحبك في الماء مستودع وأشربه كل من يشرب
وفي كل عين وقلب به مشيراً لك المنزل الأرحب
وذاذك جنة أهل النهى ونفسك عنصرها أطيب
فمن غير نطقك لا نشتهي ومن غير ذاك لا نظرب
وكم لك من رتب في العلا تعالى العلا إذ لها ينسب^(١)

٢٢ - عبد الرحمن بن عماد الدين

قال في الموت وطلب الرحمة :

قد شاب فودي حين شاب فؤادي فكأنما كانا عل ميعاد^(٢)
حسن الخوانم أرتجى من محسن قد منّ لي قدماً بحسن مبادى
وعمادى التوحيد فهو وسيلتى في نيل ما أرجوه عند معادى^(٣)
إن قيل : أى سفينة تجرى بلا ماء وليس لأهلها من زاد
قل : رحمة الرحمن من أنا عبده تسع العباد ، فمن هو ابن عماد

٢٣ - الأمير محمد بن منجك

قال متغزلاً :

تناهى عنده الأمل وقصر دونه العذل^(٤)
رشأ يفتر عن برّد تكاد تذيبه القبل^(٥)

(١) أى أن العلا يشرف ويسمو إذا حصلت على رتبة عالية .

(٢) الفود : الشعر على جانب الرأس مما يلي الأذن .

(٣) المعاد : الحياة الأخرى .

(٤) تناهى : انتهى ، والعذل : اللوم والعتاب .

(٥) رشا : أصله رشأ فسهلت همزته وهو الظبي إذا قوى ومشى مع أمه ، يفتر : يضحك

ضحكاً حسناً . البرد : حب الغمام يشبه به الأسنان ، القبل : جمع قبلة .

يَخَامِرُ عَظْفَهُ ثَمَلٌ يَمِيلُ بِهِ وَيَعْتَدِلُ^(١)
يُمَثِّلُ مَا يَرُوقُ لَنَا بِصَفْحَةٍ خَدَّهُ الْخَجَلُ
فَلَيْتَ بِهِ كَمَا انْصَلَّتْ حَشَايَ الطَّرْفِ يَتَصِلُ^(٢)
إِذَا مَا الْخِذْرُ أَبْرَزَهُ تَنَاهَبُ حُسْنُهُ الْمُقَلُّ^(٣)
لَقَدْ أَغْرَاهُ فِي تَلَفِي شَبَابٌ نَاضِرٌ خَضِلُ^(٤)
وَقَدْ حَشَوَهُ هَيْفٌ وَطَرَفٌ مَلُوءٌ كَجَلِ^(٥)

٢٤ — إبراهيم بن المبلط

قال من قصيدة طويلة في الغزل :

حَدَّثْتُ بَانَةَ الْحِمَى عَنْ صَبَاها عَنْ ثَنِيَّاتِ مَكَّةَ عَنْ صَفَاها^(١)
أَنَّ عَصَرَ اللَّقَاءِ آنَ وَوَافِي ، وَزَمَانَ النَّوَى انْقَضَى وَتَنَاهَى^(٢)
وَنَسِيمَ الصَّبَا يُؤَدِّي الْأَمَانَا تِ إِلَى أَهْلِهَا كَمَا قَدْ رَوَاهَا
كَمْ نَسِيمٍ سَرَى فَسَرَ قُلُوبًا شَفَهَا الْبُعْدُ وَالنَّوَى فَشَفَاهَا^(٨)

-
- (١) يَخَامِرُ : يَخَالِطُ . وَالْعَظْفُ : الْجَانِبُ . وَالثَّمَلُ : السَّكْرُ .
(٢) أَيْ فَلَيْتَ عَيْنِي تَرَاهُ وَتَتَصَلَّ بِهِ ، كَمَا انْصَلَّ بِهِ قَلْبِي عَشْقًا وَمَحَبَّةً .
(٣) الْخِذْرُ : سِتْرٌ يَمُدُّ لِلْمَرْأَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ . وَتَنَاهَبُ أَصْلُهَا ، تَتَنَاهَبُ ، حَذَفَتْ إِحْدَى التَّأْمِينَ تَخْفِيفًا ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ فِعْلًا مَاضِيًا . أَيْ نَهَبَتْ .
(٤) الْخَضِلُ ، النَّدَى الْمَبْتَلُ ، يَرِيدُ النُّعُومَةَ وَاللَّيْنُ .
(٥) الْقَدُّ : الْقَامَةُ . الْهَيْفُ : ضَمُورُ الْبَطْنِ وَالْخَصْرِ .
(٦) الْبَانَةُ : وَاحِدَةُ الْبَنَاتِ ، شَجَرٌ مَعْرُوفٌ . الْحِمَى : مَا يَحْمِي وَيُحْفَظُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .
(٧) آنَ : حَانَ وَقَرَبَ . وَوَافِي : أَتَى . تَنَاهَى : انْتَهَى .
(٨) شَفَهَا الْبُعْدُ : هَزَلَهَا .

تَعْرِفُ الْعَاشِقِينَ مِنْهَا نَسِيًّا ت ، وَهُمْ يَعْرِفُونَهَا بِشَدَاهَا^(١)
 إِنَّ أَيْدِيَ الْفِرَاقِ جَارَتْ عَلَيْنَا فِي قَضَاءٍ فَحَسَبُهَا وَكَفَاهَا
 آهَ وَأَوْخَشَتْ لِأَخْشَاءِ قَلْبِي وَقَلِيلٌ قَوْلِي عَلَى الْبُعْدِ : آهَا

٢٥ - نور الدين العسيلي

قال يصف دولابا^(٢) :

وَدُولَابٍ مَرَرْتُ بِهِ سُحَيْرًا يَنْ كَأَنَّهُ الصَّبُّ الْمُرُوعُ^(٣)
 غَدَتُ أَضْلَاعُهُ تَنْهَدُ سُقْمًا وَيَفْنِي جِسْمَهُ صَبُّ الدُّمُوعِ^(٤)
 بِدُورِ كَمَنْ أَضَلَّ الْإِلْفَ مِنْهُ وَذَاقَ تَشْتَتِ الشَّمْلِ الْجَمِيعِ^(٥)
 فَقُلْتُ لَهُ : فَدَيْتُكَ مِنْ كَثِيبِ كَسَاهُ الْهَمُّ أَثْوَابَ الْخُشُوعِ
 عَلَامُ أَرَاكَ تَبْكِي كُلَّ وَقْتٍ وَتَهْتِفُ فِي الْمَنَازِلِ وَالرُّبُوعِ^(٦)
 فَقَدْ قَرَّبْتَ لِي حُزْنَاً بَعِيداً وَنَحَانِي تُوَاخُكُ عَنْ هُجُوعِ^(٧)
 فَقَالَ : أَمَا عَلِمْتَ بَأَنَّ مِثْلِي خَلِيقٌ بِالصَّبَابَةِ وَالْوَلُوعِ ؟^(٨)
 فَإِنِّي كُنْتُ فِي رَوْضٍ رَفِيهَا أَيْتُ مِنَ الْأَزَاهِرِ فِي جُجُوعِ^(٩)

-
- (١) الشذا : قوة ذكاء الرائحة .
 (٢) الدولاب بضم الدال وفتحها : الساقية ، وهي كلمة دخيلة عربيها العرب .
 (٣) سحيرا : تصغير سحر ، وهو قبيل الصبح . والمروع من راعه الهم وأفزعته .
 (٤) صب الدموع : انسكابها .
 (٥) أضلّ الإلف : فقده . تشتت الشمل الجميع : تفرق ما اجتمع من أمره .
 (٦) تهتف : تصيح . والربوع : جمع ربع وهو الدار .
 (٧) نحاني : أبعدني . المهجوع : النوم ليلا .
 (٨) الصبابة : رقة الشوق وحرارته .
 (٩) الرفيه : المستريح المنتعم .

- ولى فى المُنْتَمَى أغراقُ صِدْقِ (١)
 إِذَا مَا الْوَرْدُ قَابِلَنِى وَحَيًّا (٢)
 وَيَضْفَرُ الْبَهَارُ لَدَى خَوْفًا (٣)
 وَإِنْ قَصَدَتْ بَنُو الْآدَابِ رَبْعِي (٤)
 فَقَبِضْنِي الشَّقَاءَ إِلَى غَيِّ (٥)
 فَأَقْمَانِي عَلَى رَأْسِي صَرِيهًا
 وَقَطِّعْ لُطْفَ أَوْصَالِي بَعْفِي (٦)
 فَصُرْتُ أَرَى الَّذِي قَدْ كَانَ دُونِي
 عَلَى قَلْبِي أَدُورُ عَنِّي وَأُبْكِي
 فَكَيْفَ الْأُمُّ إِنْ أَدْمَنْتُ نُوحِي (٧)
 وَحَالِي نَاصِحُ أَبْنَاءِ جِنْسِي ؛
 فَإِنَّ الدَّهْرَ كَالصِّيَادِ كَيْدًا (٨)
 أَصُولُ أُنْجِبَتْ أَرْكَى فَرْوَعِ (٩)
 تَضَرَّجُ وَجَنَّتَاهُ بِالنَّجِيعِ (١٠)
 كَصُفْرَةِ عَاشِقٍ صَبَّ مَرْوَعِ (١١)
 أَجُودُ مِنَ النَّشَارِ عَلَى الْجَمِيعِ (١٢)
 شَدِيدِ الْبَطْشِ جَبَّارِ قَطُوعِ (١٣)
 وَأَنْتَ مَشَاهِدُ حَالِ الصَّرِيعِ (١٤)
 وَصَارَ يَدُكَ عَظْمِي فِي ضُلُوعِي (١٥)
 أَنْفَ ، وَصَارَ ذَا شَاوٍ رَفِيعِ (١٦)
 عَلَيْهِ أَسَى كَمَقْلَاقِ هَلُوعِ (١٧)
 وَجَدْتُ بَدَمَعَ الطَّرْفِ الْهَمُوعِ (١٨)
 فَلَا تَعْتَدْ بِالْجُدْعِ الْمَنِيعِ (١٩)
 وَأَسْبَابُ الْقَضَا شَرَكُ الْوُقُوعِ (٢٠)

- (١) المنتمى : النسب والأصل .
 (٢) النجيع : الدم الضارب إلى السواد .
 (٣) البهار : نوع من النباتات يسمى العرار .
 (٤) ربعى : دارى . النشار : المشور ، يريد نثار الأزهار .
 (٥) قبضنى : خفاء بى .
 (٦) لطف أوصالى : دقة مفاصلى .
 (٧) أناف : ارتفع . الشأو : الغاية . والرفيع : العالى .
 (٨) العنا : أى العناء ، وهو هنا الخضوع والدلة . والمقلاة : ناقة تلد واحدا ، ثم لا تحمل بعده ، وامرأة لا يعيش لها ولد ، الهلوع كثير الجزع .
 (٩) أدمنت نوحى : أدمته . الطرف الهموع . العين الكثيرة سيل الدموع .
 (١٠) الجدع : ساق النخلة . واللنيع . القوى الحصين الذى يمتنع على من رام اقتلاعه .
 (١١) الشراك : حبال الصائد ، الواحد شركة .

٢٦ - الأستاذ الإمام أبو المواهب البكرى

قال يصف يوم مرح وأنس :

يا يَوْمَ بُولَاقٍ وَأُنْسِي بِهِ حَكَكَ مِنْ شَوَّالٍ يَوْمُ الْهَلَالِ
وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ جَنُوبًا ، وَمَا مِنْ عَارِضٍ إِلَّا نَسِيمُ الشَّمَالِ^(١)
يَا عَارِضًا أَوْجَبَ لِلنَّيْلِ مَا سَلَسَلَهُ ، وَهُوَ طَلِيقُ الْمَجَالِ^(٢)
وَقَهْوَةٌ تَنْضَحُ مَسْكًَا ، وَلَا بَدْعَ ، فِي الْفَنْجَانِ شَكْلُ الْغَزَالِ^(٣)
حَبَابُهَا مِنْ فَوْقِهَا مَانِعٌ نِفَارُهُ ؛ فَهُوَ شَبَابُكَ اللَّالِ^(٤)
تُدِيرُهَا هَيْفَاءَ مَمْشُوقَةٍ خَوْدٌ تَثْنَتْ فِي بُرُودِ الدَّلَالِ^(٥)
كَأَدَ حِجَابٍ مَنْ أَقْبَلَتْ نَحْوَهُ يَذْهَبُ مِنْ رَنَاتِ تِلْكَ الْحِجَالِ^(٦)
بَغْرَةٌ أَوْ طُرَّةٌ وَزَعَتْ أَفْكَارَنَا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ^(٧)
تَقُولُ لِلشَّمْسِ ، وَقَدْ أَقْبَلْتُ : تَلْتَمِي مَا أَنْتَ إِلَّا خِيَالٌ

(١) عارض : مانع يمنع من المضي .

(٢) سلسله : أجراءه في حدود . طليق المجال : غير مقيد في جولاته وسيره .

(٣) القهوة : من أسماء الحجر . لا بدع : معناه لا عجب . والمسك : من دم دابة كالظبي يقال لها غزال المسك . والمعنى : أن هذه الحجر يفوح منها طيب كالمسك ، ولا عجب ، فإن صورة غزال على الفنجان الندي فيه الحجر .

(٤) الحباب : نفاخات الماء التي تعلوه . واللال : اللالي .

(٥) الهيفاء : ضامرة البطن رقيقة الحصر . ممشوقة : حسنة القوام . الخود : الحسنة الخلق الشابة . تثنت : تمايلت . البرود : الثياب . الدلال : هو جرأة المرأة في تكسر ؛ كأنها مخالفة ليس بها خلاف

(٦) الحجال : الخلاخيل .

(٧) الغرة : الوجه . والطرة : الناصية

٢٧ — الشيخ عبد الله الشبراوى^(١)

قال فى السيد عبد القادر نقيب الأشراف الذى حضر من البلاد الرومية ؛ وبعد
أن بات ليلة وجد مذبحاً :

أيها القوم وَيَكُم ! قد هدَمْتُمْ	بنيَّةَ الله ، واتَّهَمْتُمْ عِبَادَهُ ^(٢)
وَذَبَحْتُمْ هذا المَهْذَبَ غَدْرًا	وقَطَعْتُمْ بِغِلْظَةٍ أَوْرَادَهُ ^(٣)
ثم نُحِثُّ عليه زُورًا : ولكن	ذاك أمر قَضَى الإله نَفَادَهُ ^(٤)
أيها الفائحون مهلاً ! فَمَنْ ذَا	نالَ من دهره الخُمُونُ مُرَادَهُ
لا تُطِيلُوا على النقيبِ نحيبًا	فهو بالذَّبح نال أعلى سَعَادَهُ ^(٥)
كم نبيٍّ وصالحٍ وولى	ماتَ قتلاً ، ونال أَجَرَ الشَّهادَةِ
هذه سُنَّةُ الأماجِدِ قَدَمًا	كحُسَيْنٍ وسَعْدِ بْنِ عِبَادِهِ
حازَ هذا الشريفُ لُطْفًا من الـ	وساوى فى حَوْزِهِ أَجداده
لوفورِ الاجورِ والرتبةِ العُلَى	يا وحُسْنَى من رَبَّنَا وزيادَةِ
يا خليلي لا تأسفنَّ وأرَّخْ	قَدَّرَ الله قَتْلَهُ وأرادَهُ

(١) توفى سنة ١١٧٣ هـ .

(٢) بنيَّة الله : ما بناه الله .

(٣) الغدر : ترك الوفاء ، الوريدان : عرقان فى العنق والجمع : أوردة وورود لا أورداد

كما جمع الشاعر .

(٤) نفاده : فناءه ، يريد وقوعه .

(٥) أى أنه مات مقتولا مظلوما . فكان جزاؤه الجنة . ونال سعادة الدار الأخرى .

وهى الباقية الخالدة .

وقال في بعض أسفاره متشوقاً إلى مصر :

أَعِذْ ذِكْرَ مِصْرٍ ؛ إِنَّ قَلْبِي مُولِعٌ بِمِصْرَ ، وَمَنْ لِي أَنْ تَرَى مُقْلَتِي مِصْرًا ؟^(١)
وكرر على سمعي أحاديثَ نِيلِهَا ؛ فَقَدْ رَدَّتِ الْأَمْوَاجُ سَائِلَهُ نَهْرًا
بِلَادُهَا مَدَّ السَّمَاحُ جَنَاحَهُ وَأَظْهَرَ فِيهَا الْمَجْدُ آيَتَهُ الْكُبْرَى^(٢)
رُويْدًا إِذَا حَدَّثَنِي عَنْ رُبُوعِهَا فَتَطْوِيلُ أَخْبَارِ الْهَوَى لَذَّةٌ أُخْرَى
إِذَا صَاحَ شُحُرُورٌ عَلَى غُصْنٍ بَانَةٍ تَذَكَّرْتُ فِيهَا اللَّحْظَ وَالصَّعْدَةَ السَّمْرَا^(٣)
عَسَى نَحْوَهَا يَلْوِي الزَّمَانُ مَطَيِّتِي وَأَشْهَدُ بَعْدَ الْكُسْرِ مِنْ نِيلِهَا جَبْرًا
لَقَدْ كَانَ لِي فِيهَا مَعَاهِدُ لَذَّةٍ تَقْضَتْ وَأَبْقَتْ بَعْدَهَا أَنْفُسًا حَسْرَى

(١) مولع : مغرم . اللقطة : شحمة العين التي تجمع سوادها وبياضها .

(٢) السباح : الجود والكرم كالسباحة .

(٣) الشحرور : طائر . الصعدة : القناة المستوية يشبه بها قد الفتاة .

(ب) النثر

أولا - النثر الفني

١ - الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى^(١)

قال يصف بستانا :

« فوصلنا إلى بستان قد أخذ زخرفه وتزين ، وفاضت عيونه غيرة من نازليه وتلون ، تنساب جداولُ جوانبه كالأرقام^(٢) ، ويصفقُ النهر لرقص الغصون على غناء الحمام ، ويهبّ النسيم فينقّطها من الزهر بدنانير ودرهم ، قد تطاول فيه من ألبان كلِّ قِدِّ مخطوف ، وخجل فيه من الورد كلِّ خِدِّ موصوف ، فأجلسنا الرّجس على عينية وأحداقه ، وظللنا الغصنُ بستائر أوراقه ، وحيّا منشوره الأبيض والأزرق بالأصابع ، وفتح كفوفه الصّفر وهو منا غيران فاقع^(٣) ، وجرى النهر بين أيدينا متواضعا بسجوده ، وشبّ الشحرور بمنقاره لما تغنى الهزار على عوده ، قد رق نسيمه وراق ، وجذب الحمام إلى الغناء بالأطواق :

أظن نسيم الروض للزهر قد روى حديثا فطابت من شذاه المسالك

وقال :

إذا مادنا فصل الربيع ؛ فكله ثغورٌ لما قال النسيم ضواحك

(١) ولد بصفد سنة ٦٩٦ هـ . وتلقى العلم بدمشق عن ابن نباتة وعن أبي حيان اللغوى وغيرها ، وتولى ديوان الإنشاء بصفد والقاهرة وحلب ، وهو كاتب شاعر مؤرخ . توفي سنة ٧٦٤ هـ .

(٢) الأرقام : جمع أرقم ، وهو الحية .

(٣) غيران : من الغيرة والتحسر . وفاقع الصفرة شديدها .

قد شاب ذلك الزهر قبل شبابه ، وغناه الطير فتساقط من طربه وإعجابه ،
ومر عليه النسيم بذيله البليل ، فشب حتى عجبنا من حصول الشفاء من العليل .
فيالها روضة صدحت أطيارها فأطربت الأشجار وألبستنا ثوب الخلاعة عند
خلع العذار :

انظر إلى الروض النضير كأنما نشرت عليه ملاعة خضراء
أنى سرحت بلحظ عينك لا ترى إلا غديراً جال فيه الماء
وترى بنفسك عزّة في دوحه إذ فوق رأسك حيث سرت لواه^(١)

والماء قد رق وراق ، وتسلسل وهو في الإطلاق ، وجرى فتكسر ، وصفا
ولم يتغير ، وصاحب الذمات وحالفها ، وقاطع الأغصان وخالفها ؛ وأنته الرياح
للزيارة من شعابها وهضابها ، وسرق حلى الأغصان فضّمها في صدره وجرى بها ،
والعيون ترمقه في جريه ومسيره ، وهو لا يفتر عن تصفيقه وخريه ؛ حتى خشنا
عليه التكسير من التمداد ، ورجونا من ماء عينيه رى كل صادى^(٢) .

يا حسنه من جدول متدفق يلهو بروق حسنه من أبصرا
مازلت أذره عيوناً حوله خوفاً عليه أن يصاب فيعثرأ
فأبى وزاد تمادياً في جريه حتى هوى من شاهق فتكسرا^(٣)

ولم يزل الطير يسمى بين النهر والغصن في الاتفاق ، ويكرّر الخانه ويراسل
في الأوراق ، ويجتهد في الصلح ويدعو إليه ، ويحرص على الوفاء ويحرص عليه .

(١) أى تشعر كأنك قائد جيش ، لما يظلك من شجر عظيم كالألوية في مقدمة الجيش .

(٢) الصادى : العطشان .

(٣) الشاهق : المكان العالى .

وقام الشحرور بينهما واعظا وخطيبا ؛ فأجدت مواعظه وكان قلبُ النهر صافيا
وقريبا . وقام النسرين^(١) من السرور على ساق ، وجذب كلَّ صدوح للغناء
بالأطواق ، وتبسمت من الأقحوان^(٢) الثغور ، ونسمت نفحات المسك والكافور
واعتلَّ النسيمُ غيرةً وتغير ، فتولى وهو بذيله يتعثر ، وجعل يجرُّ من الحياء ذيو لا
على الأغصان فتمعنق اعتناق الموصل الغضبان :

في روضةٍ علم أغصانها أهلَ الهوى العذرى كيفَ العناق
هبتَ بها ريحُ الصبا سُخرةً فالتفت الأغصان ساقا يساق

وبكى النهرُ على مُواصلَةِ الغُصون ، وخرَّ لديها وفاضتُ منه العيون ، ومثلها في قلبه
شغفاً وحباً ، وصار بها من دون الصَّبا صَباً :

والنهر قد عَشقَ الغُصونَ فلم يزل أبداً يمثِّل شخصها في قلبه
حتى إذا فطَنَ النسيمُ فجاءه من غيرةٍ فأزالها من قرْبهِ
وغدا عليه مُهَيَّئِماً بعتابه سرّاً فجعد وجهه من عَتْبِهِ^(٣)

فلم يَزْجُرْ النهرَ عن حُبِّ الغُصونِ زاجرٌ ولا عاذل ، ولم يُجِبِ العذلَ إلا بدمعه
السائل — وصار يردُّ برْدَ الهوى بجزِّ هواه العذرى ، وغدا ساعياً بسعادة الأغصان
يَجْرِي ، فقنع منها بأدنى وصال ، وربما اقتصر منها في الحب على الخيال :

(١) النسرين : بكسر النون وقيل بفتحها : ورد أبيض طيب الرائحة .

(٢) الأقحوان : نبات أوراق زهرة الفلجة صغيرة ، تشبه بها الأسنان .

(٣) الهينمة : الصوت الخفى .

ونهر بحب الدوح أصبح مغرمًا يروح ويغدو دائمًا بوصالها
إذا أبعدت عنه شكا بخيريه جفاها ، وأضحى قانعًا بخيالها

٢ - القلقشندي^(١)

من رسالة للقلقشندي عن الملك الناصر فرج بن برقوق إلى صاحب قاس
في ذكر وقعة تيمورلنك :

وتحركنا من الديار المصرية في جيوش لا يأخذها حصر ؛ ولا يلحقها هصر^(٢)
ولا يظن بها على كثرة الأعداد كسر ، ولم نزل نحث السير ونسرع الحركة للقاء
العدو إسراع الطير ، حتى وافينا دمشق المحروسة فنزلنا بظاهرها^(٣) ، مستمطرين
النصرة في أوائل حركتنا وأواخرها ، وانضم من عساكر الشام وعربانها ، وتركائنها
الزائد على العدّ وعشرانها ، ما لا ينقطع له مدد ، ولا يدخل تحت حصر ولا عدد ،
وأقبل القوم في لفيف^(٤) كالجراد المنتشر ، وأمواج البحر التي لا تنحصر : من
أجناس مختلفة ، وجموع على تباين الأنواع مؤتلفة . وتراءى الجمعان ، في أفسح
مكان ، ورأى كل قبيل الآخر رأى العين وليس الخبر كالعيان . واعتد الفريقان

(١) هو أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ، صاحب كتاب « صبح الأعشى في
كتابة الإنشا » ولد في قرية قلقشندة من قرى القليوبية بمصر سنة ٧٥٦ هـ . من بيت
عربي ، وقد تأدب في القاهرة وألف مؤلفات عدة أشهرها ما ذكرنا ، وعاش فاضلاً مبعجلاً
حتى توفي سنة ٨٢١ هـ .

(٢) المهر : الكسر . أي لا تلحقها هزيمة ولا انكسار .

(٣) ظاهرها : ضواحيها .

(٤) اللفيف : أي جماعة في جيش .

للنزال ، واحتفروا خنادق للاحتراس ، وتبوأنا مقاعد للقتال ، ولم يبق إلا المبارزة والنقاء الصفوف والمناجزة^(١) إذ ورد ورد من جهتهم يطلب الصلح والموادة ؛ والجنوح إلى السلم وقطع المنازعة ، وأجبناهم بالإجابة ، ورأينا أن حقن الدماء من الجانبين من أتم مواقع الرأي إصابة ؛ وكتبنا إليهم في ضمن الجواب :

لما أتانا منكم قاصد يسأل في الصلح وكف القتال قلنا له : نعم الذي قلته والصلح خير ، وأجبنا السؤال

٣ — القاضي محي الدين بن عبد الظاهر^(٢)

من كتاب كتبه إلى صاحب اليمن عن السلطان الملك المنصور قلاوون مبشرا بفتح صافيتا :

فمن ذلك حصن الأكراد الذي تاه بعطفه على الممالك والحصون ، وشمخ بأنفه عن أن تمتد إلى مثله يد الحرب الزبون^(٣) ، وغدا جاذبا بضبع^(٤) الشام ، وآخذا بمخائق بلاد الإسلام ؛ وشللا في يد البلاد ، وشجأ في صدى العباد ، تنقض من عشه صقور الأعداء الكاسرة ، وترتاع من سطوتها قلوب الجيوش الطائرة ، وتربض بأرضه^(٥) آساد تحمي تلك الآجام^(٦) وتفوق من قسيه^(٧) سهام تصمي مفوَّات السهام ، تعطيه الملوك الجزية عن يد وهم صاغرون ، ويصطفى كرام

(١) المناجزة : المدافعة .

(٢) هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الحذامي المصري أحد المتعصبين لطريقة القاضي الفاضل في اتباع البدع ، وخاصة التورية في الشعر والنثر ، وكان من رؤساء ديوان الإنشاء في دولة المماليك البحرية . توفي سنة ٦٩٢ هـ .

(٣) الحرب الزبون : التي يدفع المتحاربون فيها بعضهم بعضاً من الكثرة .

(٤) الضبع : العضد .

(٥) الأرباض : جمع ربض ، وهو المأوى ، والمراد هنا بالأرباض : النواحي والجهات .

(٦) الآجام : جمع أجمة ، وهي بيت الأسد .

(٧) القسي ، جمع قوس . وتفوق : أى تصيب وتسدد .

أموالهم وهم صابرون لا مُصابِرون . كم شككت منه حماة^(١) قلة الإنصاف ، ومخافته مَعْرَة وما من مَعْرَة خاف . ما زالت أيدي الممالك تمتدُّ إلى الله بالدعاء عليه تشكو من جَوْرِ جواره تلك الحصون والصِّيَاصِي^(٢) ، وتبكي بمدمع نهرها^(٣) من تأثير آثاره مع عصيانها وناهيك بمدمع العاصي ؛ حتى تَبَّه الله الحُظَّ سيوف الإسلام من جُفُونِها ، وَوَفَّى النُّصْرَةَ ما وجب من دُيُونِها . وذلك بأنَّا قَصَدْنَا فسيمح رُبْعَهُ ، ونَزَلْنَا ونَازَلْنَا محي صُتْعِهِ^(٤) ، وخَتَمْنَا بنصالنا على قلبه وسمعه ، وله مدن حوله خمس هو كالراحة وهي كالأنامل ، وتسكاد بُرُوجُهُ تُرى كالمطايا المَقَطَّرَةِ^(٥) وهي منها بمنزلة الزَّوَامِل^(٦) ؛ ما خَيَّمْنَا به حتى استَبَحْنَا محي تلك المدائن المسكني عنها بالأرباض ، وأسَحْنَا بساحتها بحراً من الحديد ما اندفع حتى فاض ؛ وأخذنا الثُقُوبَ في أسوارٍ لا تُنْقَضُ ولا يَنْقَضُ بُنيانُها المَرْصُوصُ ، ولا تقرأ المَعَاوِلُ ما إِيخَوَاتِمُ أبراجها من نُقُوشِ الفُصُوصِ ؛ ونَصَبْنَا عليها عِدَّةَ مجانيق^(٧) حُمِلَتْ في شواهِقِ الجبال ، على رُءُوسِ الأبطال فتَغَيَّظَتِ السَّمْهَرِيَّةُ^(٨) أن الذي تقومُ به هذه تلك به لا تقوم ، وأن ما منها إلا له من الأيدي والرُءُوسِ مقامٌ معلوم ؛ وصار يرمى بها كلُّ كمي مختلس وأزوع مُنْتَهَس^(٩) ، وكلُّ ليث غابة يحميها وتحميهِ ؛ فشكراً للأسود

(١) حماة اسم بلد ، وكذلك المعرة .

(٢) الصياصي : الحصون الرفيعة .

(٣) نهر من أنهر سورية عليه جملة مدن منها حماة .

(٤) الصقع : الناحية والجهة .

(٥) المقطرة : المصفوفة واحدا خلفه واحد . فهي قطار .

(٦) جمع زاملة وهي الدابة التي يحمل عليها من الإبل وغيرها .

(٧) المنجنيق : آلة كانت تستعمل في الحروب ترمى بها الحجارة .

(٨) السمهرية : الرماح وهي صفة لها .

(٩) النهي : النهش ، والنهي مشتق منه . المختلس : اليقظ المتحين للفرصة ليتمكن من القتل

حتى غاباتها تفترس ؛ إلى أن جثت أسوارها على الركب وكانت سهامُ مجانيقها
تميلُ من العجب^(١) فصارت تميد من العجب^(٢) ، وكانت تطلبُ فصارت تهرب
من الطلب الخ .

٤ — الإمام ابن حبيب الحلبي^(٣)

قطعة من كتابه نسيم الصبا ، الفصل السادس في البحر والنهر :

هزنتي رياح الأمل البسيط^(٤) ، إلى امةطاء ثبج^(٥) البحر المحيط ، فأثبتت سفينة
يطيب للسفر مثواها ، وركبت فيها بسم الله مجراها ومرساها ، موقنا بأن المقدور
صائر ، معرضا عن قول الشاعر :

لا أركبُ البحرَ أخشى علىَّ منه المعاطب^(٦)

طين أنا ، وهو ماء ، والطين في الماء ذائب

يا لها سفينة ، على الأموال أمينة ، ذات دسر^(٧) وألواح ، تجري مع الرياح
وتطير بغير جناح ، وتعتاض عن الحادي^(٨) بالملاح ، تخوض وتلعب ؛ وتردُ
ولا تشرب ، لها قلاع كالقلاع^(٩) وشراع يحجب الشعاع ، وسكينة وسكّان^(١٠) .
ومكانة وإمكان ، وجوؤ^(١١) وفقار ، وأضلاع محكمة بالقار^(١٢) ، وجسم عار

(١) تمهل من العجب : تهتز من الزهو والخيلاء .

(٢) تميد من العجب : تضطرب وتترنزل من الدهشة والتعير .

(٣) المتوفى سنة ٧٧٩ هـ . (٤) البسيط : المبسوط الفسيح .

(٥) الثبج : وسط الشيء ومعظمه .

(٦) المعاطب : جمع معطب وهو موضع العطب والهلاك .

(٧) الدسر : جمع دسار ، وهو خيط من ليف تشد به ألواح السفينة .

(٨) من يسوق الإبل ويعفى لها .

(٩) جمع قلعة . (١٠) سكان السفينة : دفتها .

(١١) الجوؤ : الصدر . (١٢) القار : الزفت .

عن الفؤاد ، وهو في عين الماء بمنزلة السواد ؛ بعيدة ما بين السحر^(١) والنحر ،
من أحسن الجوارى المنشآت في البحر ، معقود بنواصيها الخير كالخيل ، لا تملُّ^٢
من سير النهار ولا من سُرَى الليل .

مارأى الناس من قصور الماء ، سواها يسير سير القداح^(٣)

كأنها وعل^(٤) ينحط من شاهق ، أو عرباض^(٥) سابق يحثه سائق ، أو عقرب^٦
شائلة^(٧) ، أو عُقاب صائلة ، أو غراب أعصم ، أو تمساح أو أرقم ؛ أو ظليم^(٨)
نفر في الظلام ، أو جواد فرّ مستنكفاً من صحبة الأنام . ساكها عادل في حكمه ،
عارف بنقض أمرها وبرمه ؛ يهتدى بالنجوم ، ويبتدىء باسم الحى القيوم^(٩) ،
يبرز من نواتيها^(١٠) في جنود ، ويشمل إحسانهم أهلها أيقاظاً وهم رقود ، يتأنقون
فيما يعملون ويفعلون ما يؤمرون :

يُكثرون الصياح حتى كأن الشَّ نَ تجرى من خوف ذاك الصياح

(١) السحر : الرئة .

(٢) جمع قدح وهو السهم ، أى تنطلق مسرعة .

(٣) الوعل : تيس الجبل .

(٤) العرباض : الغليظ من الإبل .

(٥) شائلة : أى رافعة إبرتها التى تلسع بها

(٦) الظليم : ذكر النعام .

(٧) القيوم : من أسمائه تعالى ، ومعناه : الذى لا ندله ، أو القائم بذاته .

(٨) جمع نوتى : وهو الملاح في البحر .

٥ - شهاب الدين محمود الخفاجي^(١)

« المقامة الساسانية »

حدثنا مالك بن دينار ، عن مُسافر بن يسار ، قال : كنت والشباب غرابه
لا يطار ؛ وثمراته الجنة تُجنى من رياض الأخبار ، أهوى السياحة والناسُ ناس
والديار ديار ؛ والدهر غرٌّ لم يفتن لتلون الليل والنهار :

ولم أر يوماً في ظلام مَمَّارقي شهاب مشيب لاح في الإثر منقِصاً

فَسِرْتُ في الأرض لأنظر آثار رحمة ، وأرى مآثر الطراز الأول في أعلام
حلته ؛ فإن من جدٍّ وجد ؛ ومن توانى فقد فقد ؛ رافعاً عصا التسيار ؛ على كاهل
الاعتبار ؛ رافضاً الاستراحة في عهد الدعة ؛ مشيعاً قلباً فارق حبيباً ودَّعه ، فاطماً
أملا عن درٍّ أنس ارتضعه . أضرب كرة الأرض بصولجان الهمة ؛ لأعبأ بقامة
غير قائمة وهمة همة^(٢) أتدفع بُرْد الليل ؛ لأنه أخفى للويل ، وأشق أديم النهار للسير
ولم أقل ليس للعصا سير ، كهشيم ترفعه أعاصير ربح تدور ، وورق جف فألوت به^(٣)

(١) ولد في سرياقوس ، وتعلم بمصر ، ثم رحل إلى الحرمين فإلستانة وكان من رجال
اللغة والأدب ، وله نوايف معروفة ، وهو ممن كتبوا المقامات . توفي سنة ١٠٦٩ هـ .

(٢) الهم والهمة بالكسر : الشينخ الفاني . أي همة ضعيفة .

(٣) ألوت به : أي طارت به . والعصا والدبور : ريحان .

الصَّبَا والدَّبُور . كَانِي عَلَى غُصْنٍ بَانَةٍ خَضَلٌ ^(١) تَنْثِيهِ رِيحُ الصَّبَا هُنَا وَهُنَا أَوْ قَدَى
فِي عَيُونِ الْبِلَادِ ؛ أَوْ عَيْرٌ شَرُودٌ تَرْمِيهِ الرَّوَابِي لِلْوَهَادِ ^(٢) :

كَأَنِّي مِنَ الْوَجْنَاءِ فِي مَتْنٍ مُوَجَّةٍ رَمْتَنِي بِحَارٍ مَا لَهْنٌ سَوَاحِلُ ^(٣)
حَتَّى أَتَيْتُ كُورَةَ خِرَاسَانَ ^(٤) ، فَإِذَا بِهَا قَيْلٌ ^(٥) نَصَبَ عَرْضَهُ لِسَهَامِ الْمَهْوَانِ ،
مَقْلَدًا فِي تَرْجِيحِ الْبَخْلِ مَذْهَبَ سَهْلِ بْنِ مَارُونَ ، كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهُ تَعَالَى (وَمَنْ
يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) فَطَوَيْتُ حَدِيثَهُ عَلَى عَرِّهِ ^(٦) ، وَأَتَيْتُهُ لِأَقْفِ
عَلَى جَلِيَّةٍ أَمْرِهِ ، فَلَمَّا جُسْتُ خِلَالَ إِيوَانِهِ ، قَرَأْتُ عُنوانَ حَالِهِ عَلَى وَجْهِهِ غُلَامَانِهِ
وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ لِمَنْ أَمْتَرِي أَخْلَافَ دَرَّتِهِ ^(٧) ، وَشَبِيعَ مَنْ خُلَّتْهُ وَخَضَعَهُ ^(٨) بِرُؤْيَا
جَرَّتِهِ : يَا هَذَا صَنَاعَتُنَا وَاحِدَةٌ ، لَوْ لَمْ تَدْرُجْ مِنْ عُشَّكَ كَانَتْ الرَّاحَةُ فَائِدَةً !

ثُمَّ قَالَ لِي : أَيُّ الْبِلَادِ تُهْدِي سَلَامَهَا ، وَأَيُّ زَهْرَةٍ تَحِيَّةٌ فَتَحَتْ لَكَ النِّسَمَاتُ
أَكْلَامَهَا ؟ قُلْتُ : الْكِنَانَةُ الْمُعَزِّيَّةُ ، وَالْخَطَّةُ الَّتِي هِيَ فِي حَضَانَةِ نِيَامِهَا تَحْمِيَّةٌ ، رِيَاضُهَا
تَحِيًّا بِأَنْهَارِهِ ، وَأَصَابِعُهُ ^(٩) تُشِيرُ لِسَكَنُوزِ خَضْبٍ تُسْتَنْخَرُجُ مِنْ مَعَادِنِ أَقْطَارِهِ ، إِلَّا
أَنْ أَصَابِعِ النَّاسِ فِي الرَّاحَةِ ^(١٠) وَالْأَيَادِي ، وَفِي أَصَابِعِهِ أَيْادٍ ^(١١) وَرَاحَةٌ لِكُلِّ

(١) الخَضَلُ : النَّدَى الْمُبْتَلِ .

(٢) الْعَيْرُ : الْحِمَارُ . وَالرَّوَابِي : الْأَمْكَنَةُ الْعَالِيَةُ . وَالْوَهَادُ : الْأَمْكَنَةُ الْوِاطِيَةُ .

(٣) الْوَجْنَاءُ : النَّاقَةُ الشَّدِيدَةُ .

(٤) الْكُورَةُ : النَّاحِيَةُ ، وَتَطْلُقُ عَلَى الْمَدِينَةِ .

(٥) الْقَيْلُ : الْأَمِيرُ الْمُتَوَلَّى أُمُورَ الْكُورَةِ .

(٦) الْعَرُّ : الْعَيْبُ وَالشَّرُّ .

(٧) أَمْتَرِي : جَذَبَ الضَّرْعَ لِلْجَلْبِ . وَالْأَخْلَافُ : جَمْعُ خَلْفٍ ، وَهُوَ حُلْمَةٌ ضَرَعَ النَّاقَةُ
وَالدَّرَّةُ : اللَّبَنُ أَوْ سِيلَانُهُ وَكَثْرَتُهُ .

(٨) الْحَلَّةُ : مَا فِيهِ حَلَاوَةٌ مِنَ النَّبَاتِ ، وَالْحَمْضُ مَا فِيهِ مَلُوحَةٌ .

(٩) فِي الْأَصَابِعِ تَوْرِيَّةٌ ، لِأَنَّهَا تَطْلُقُ عَلَى الْأَصَابِعِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَعَلَى أَجْزَاءِ يَقَاسِ بِهَا النَّيْلُ .

(١٠) الرَّاحَةُ : السَّكْفُ . (١١) الْأَيَادِي هُنَا : النِّعَمُ وَالْآلَاءُ .

حاضر وباد . فإن سألت عن حال فقوادي بها فواد أم موسى فارغ من آمالي .
وما حال ورثة فارقت نسمات القبول^(١) ؟ فحداها السّموم وقادها الذبول :

فتأمل كيف يَغشى مُقلّة المجدِ نَعاسُ ؟

فأما حال سكّانها ومن ألقى جرانه بأعطانها^(٢) ، فقد ذهب أرباب الهمم العالية
ولم يبق إلا من يفتخر بالرّمم البالية ، رُوحُ الشوم ، ونتيجة اللوم ، وخليفة اليوم ،
وبعّين الله ما يصنع الليل والنهار — ويستُر الثوب والجدار ، وما يستتر في ضمائر
البيوت ، وإن طال التحمّل والسكوت . فكم بكت السماء أرضاً فقدت حبيباً ،
وساعدتها سحب أُنجمت بها نحيباً :

ولطّمت الحدودَ بها بروقٌ وشققت الرعودُ بها جُيوباً

فقل لمن أفتخر بالعِظام ، ما وراءك يا عصام ؟

ولنعطف على هذا النسق ، لبيان من بقي منهم طبقاً على طبق^(٣) ، من أصناف
لا تُعدّ ، وأجناس لا تُرسم ولا تُحدّد : من كل سائل بالإلحاح التّحف ، أو دار
بمزمار ودُفّ ، أو تغنى بأنكر الأصوات ، فتهق إذ رأى شيطاناً يدّعي الكرامات
يقيم بها المعتزلي دليلاً إنكار الكرامة ؛ ويقول : هل علىّ بعد هذا ملامة ؟ أو حامل
راية وعلم ، جعل القناعة علماً لسقوط الهمم . ومنهم من كبر وتكسّرت قواريره^(٤)
وخبا نوره حين هبت أعاصيره ، وهو أعظمهم جرماً ، وأقلهم ديناً وحزماً ، حُرّ

(١) القبول : ريح الصبا ، وهي تهب في بلاد العرب من جهة المشرق .

(٢) العطن : مبرك الإبل . الجران : مقدم عنق البعير من جهة صدره .

(٣) الطبق من الناس : الكثير والجماعة .

(٤) يقال للشيخ الكبير : كبرت وتكسّرت قواريره ، وهو من ألفاظ أهل بغداد ،

كانهم يصون لرفعة الظهر .

مُسْتَنْقَرَةٌ ، يقرءون القرآن في بقاع مُسْتَقْدَرَةٍ ، بين رَهْطٍ لا يتدبرون ولا يستمعون ولا يمثلون قول الله : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » . وَتُجَارُ رَأْسُ مَا لَمْ يَفْلَسْ ، يضربون الأخماس للأسداس^(١) ، يُزَكُّونَ كَذِبَهُمْ بِالْإِيمَانِ الْفَاجِرَةِ ، فيربحون خسارة الدنيا والآخرة ، إن خاشت أقدامهم في تقاضيه ، بادر بالحليف على دينه فيقضيه .

يقول : أَسْتَمِعُ حَلْفَتِي كَاذِبًا إِذَا مَا اضْطَرَرْتُ ، وفي الحال ضيقٌ وهَلْ مِنْ جُنَاحٍ عَلَى مُسْلِمٍ يَدْفَعُ بِاللَّهِ مَا لَا يَطِيقُ^(٢) .
وقد فَقَدَ الْعِلْمُ لَوْلَا نَفْحَةُ أَنْسٍ مِنْ نَفَرٍ بَقَايَا ، ففتح الله بهم خزائن كنوز هي خبايا في الزوايا : من كل نَقِيٍّ الْعَرِضِ أبيض السجايا ، إذا تداست الأعراض فأعراضهم من العار عرايا :

أَبَدْتُ مَا تَرَاهُمْ نَقَصَ الزَّمَانُ فِي خَدِّ الرَّبِيعِ طُلُوعُ الْوَرْدِ مِنْ خَجَلٍ
سَحَتْ شَوْكَتُهُمْ رِياضاً فِي رُبَا الدِّينِ الْعَوَالِي ، وَأَحْيَا اللَّهُ بِأَنْفَاسِهِمُ الْعِيسَوِيَّةَ
مَوَاتِ الْمَعَالِي : وَلَمَّا شَرَحَ اللَّهُ بِهِمْ صَدْرَ الدِّينِ ، وَفَتَحَ بِبَصَائِرِهِمْ عَيْنَ الْيَقِينِ ،
أَيْدَهُمْ بِأَبْنَاءِ الْأَعْيَانِ مِنْ أُمَرَائِهَا فَقَالَتْ^(٣) الْخِلَافَةُ تَحْتَ أَفْدَاءِ لَوَائِهَا ، حَتَّى حَوَّاهُمْ
مِنْ نَوَائِبِ الْخُتُوفِ ، وَزَهَتْ جَنَّةُ مَثْوَاهُمْ تَحْتَ ظِلَالِ السِّيُوفِ ؛ فَصَارَتْ بِهِمْ
الْأَطْرَافُ ، مِنْ مَنَازِلِهِ مَنَازِلُ الْأَشْرَافِ . وَلِهَذَا يُشِيرُ الْبَدِيعُ^(٤) ، بِقَوْلِهِ فِي مَعْنَى بَدِيعٍ :
قِيلَ لِي : لِمَ حَلَسْتَ فِي طَرَفِ الْقَوْمِ ، وَأَنْتَ الْبَدِيعُ رَبُّ الْقَوَائِي

(١) يضرب أخماساً لأسداس : أي يسعى في المكر والخديعة ، وهو مثل يضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره .

(٢) البيتان لابن الرومي ، ويرويان ببعض اختلاف في اللفظ .

(٣) قال يقليل : نام وقت القائلة ؟ الظاهر .

(٤) هو البدیع الحمدانی .

قلتُ : آثرتهُ ، لأن المُنَادِيَّ لَ يَرَى طَرزُهَا عَلَى الْأَطْرَافِ
وَكَفَانِي مِنَ الْمَفَاخِرِ أُنِّي نَازِلٌ فِي مَنَازِلِ الْأَشْرَافِ
فَأَوَّوْا مِنْ ذَلِكَ الظِّلِّ لِرُكْنِ مُعْتَمِدٍ ، وَنَزَلُوا فِيهِ بَيْنَ الْعَلِيَاءِ وَالسَّنَدِ . مُتَعَنَّا
اللَّهُ بِهَذِهِ الدَّوْلَةِ وَجَعَلَهَا أَطْوَلَ الدُّوَلِ عُمرًا ، وَأَرْفَعَهَا مَنَازِلًا وَأَعْظَمَهَا قَدْرًا ، سَمَاءَ
مَجْدِهِمْ مُكَلَّلَةً بِنُجُومٍ تَهْتَدِي بِهَا الْأُمَانِي ، وَيَسْتَقِرُّ رَجَاءُ كُلِّ قَلْبٍ عَانِيٍّ ^(١) ،
وَالدَّهْرُ لِسَعْدِهِمْ مِنَ الْخُدَمِ ، وَفِيضُ أَيْدِيهِمْ يُغْنِي عَنِ الدَّيَمِ ^(٢) ، وَسُحْبُهُمْ مُغْدِقَةٌ
عَلَى الرَّاجِينَ بِالْكَرَمِ :

قلتُ للْبَرْقِ إِذْ تَأَلَّقَ فِيهَا : يَا زَنَادَ السَّمَاءِ مَنْ أَوْرَاكَ
إِنْ تَشَبَّهْتَ بِالْكَرَامِ وَمَا قَدْ كَانَ مِنْ جُودِهِمْ فَلَسْتَ هُنَاكَ
وَمَذْكَ كَلَّتْ دُفْمُ ^(٣) الْأَقْلَامِ مِنَ الْمَشْيِ فِي الْكِتَابَةِ شَكَرْتُ مَشْيَهَا عَلَى الرَّءُوسِ ،
وَقُلْتُ لَا عِطْرَ بَعْدَ عَرُوسٍ ، فَقَدْ جَفَّ الْقَلَمُ ، وَكُلُّ شَيْءٍ بَلَغَ الْحَدَّ أَنْتَهَى وَتَمَّ .

(١) العاني . الذي تغلبت عليه الهموم فصار أسيرها .

(٢) الديم : جمع ديمة ، وهي المطر يتتابع .

(٣) جمع أدهم ، وهو الفرس الأسود ، وقد حسن تشبيهه القلم بالأدهم ، لأن الكتابة

غالبًا تكون بالمداد الأسود .

ثانيا - النثر العلى

١ - الشيخ كمال الدين الدميرى^(١)

قطعة من كتابه « حياة الحيوان » :

(الْحَمَامُ^(٢)) قال الجوهري هو عند العرب ذواتُ الأطواق ، نحو الفَوَاحِش^(٣) والقُمَارَى^(٤) وساقٌ حُرٌّ والقَطَا والوَرَّاشِينَ^(٥) وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى ، لأن الماء إنما دخلته على أنه واحد من جنس ، لا للأنثى ، وعند العامة أنها الدواجن فقط ، الواحدة حمامة . وقال حميد بن ثور الهلالي من أبيات :

وما هاج هذا الشوق إلا حمامةً دعت ساقَ حُرٍّ برهةً فترنما

والحمامة هنا : القُمَرِيَّة . وقال الأصمعي في قول النابغة :

واحكم كحكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام شرع وارد التمد^(٦)
قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فأنقوه كما زعمت : تسعا وتسعين لم ينقص ولم يزد

(١) توفي سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) جمع فاختة . وهى الحمامة ذات الطوق

(٣) جمع قمرية بضم القاف .

(٤) ذكر القمارى .

(٥) مفردة ورشان بالتحريك ، وهو طائر من نوع الحمام .

(٦) التمد الماء القليل .

هذه زرقاء اليمامة نظرت إلى قطا وارد في مضيق الجبل ، فقالت : ياليت
هذا القطا لنا ومثل نصفه معه إلى قطاة أهلنا ، فيكمل لنا مائة قطاة ؛ فاتُّبِعَتْ
وعُدَّت على الماء فإذا هي ست وستون ، قال أبو عبيدة : رأته عن مسيرة ثلاثة
أيام ، وأرادت بالحم القطا ، فقالت ذلك ، انتهى . وقال الأموي : الدواجن التي
تستفرخ في البيوت تسمى حماماً أيضاً . وأنشد للعجاج :

إني وربّ البلد المحرّم والقاطنات البيت عند زمزم

* قواطنا مكة من ورق الحم *

يريد الحمام : جمع الحمامة حمام وحمامات . وربما قالوا حمام المفرد .
قال جرّان العود :

وذكرني الصبّا بعد ألتناني حمامة أيكّة تدعو حماما

وحكى أبو حاتم عن الأصمعي في كتاب الطير الكبير : إن اليمام هو الحمام البرّي ،
الواحدة يمامة ؛ وهو ضروب . والفروق بين الحمام الذي عندنا واليمام أن أسفل ذنب
الحمامة مما يلي ظهرها فيه بياض ، وأسفل ذنب اليمامة لا بياض فيه ، انتهى . ونقل
النوّوي في التحرير عن الأصمعي : أن كل ذات طوق فهي حمام . والمراد بالطوق
الحمرة أو الخضرة أو السواد المحيط بعنق الحمامة في طوقها . وكان الكسائي يقول :
الحمام هو البرّي ، واليمام الذي يألف البيوت ؛ والصواب ما قاله الأصمعي . ونقل
الأزهري عن الشافعي : كل ما عبّ وهدر وإن تفرقت أسماؤه فهو حمام ، والعبّ
بالعين المهملة شدة جرع الماء من غير تنفّس ؛ قال ابن سيده : يقال في الطائر :
عبّ ، ولا يقال : شرب ، والهدير : ترجيع الصوت ومواصلة من غير تقطيع له ؛

قال الرافعي : والأشبه أن ما عب هدر ، قال : فلو اقتصرنا في تفسير الحمام على السب لكفاهم ؛ ويدل عليه أن الإمام الشافعي قال في عيون المسائل : وما عب من الماء عباً فهو حمام ، وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام .

٣ — ابن خلدون^(١)

فصل من مقدمته في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق إفادته :

اعلم أن تلقين العلوم المتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً ، وقليلًا قليلًا ، يُلقَى^(٢) عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ، ويُقَرَّبُ له في شرحها على سبيل الإجمال ، ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه ، حتى ينتهي إلى آخر الفن . وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم ، إلا أنها جزئية وضعيفة ، وغايته أنها هيئات لفهم الفن ، وتحصيل مسائله . ثم يرجعُ به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ، ويستوفي الشرح والبيان ، ويخرج عن الإجمال ويذكر ما هنالك من الخلاف ووجهه ، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن ؛ فتجود ملكته . ثم يرجع به وقد شدا^(٣) ، فلا يترك عويصاً ولا مُبْهِمًا ولا مُغْلَقًا إلا وضحجه ، وفتح له مُغْلَقَه فيخاص من الفن وقد استولى على ملكته . هذا وجه التعليم المفيد ، وهو — كما رأيت — إنما يحصل في ثلاث تكرارات ،

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الكاتب المؤرخ المشهور بتاريخه ومقدمته التي نقل منها هذا الفصل . نشأ بتونس سنة ٧٣٢ هـ . وتعلم هناك وترقى في مناصب عدة حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ .

(٢) أي المعلم المفهوم من المقام بحسب السياق الآتي : وعليه أي على المتعلم .

(٣) شدا : أخذ طرفاً من الأدب .

وقد يحصل البعض في أقل من ذلك بحسب ما يُخلَق له ويتيسر عليه . وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدركنا ، يجهلون طرق التعليم وإفادته ، ويحضرون المتعلم في أول تعليمه المسائل المقلقة من العلم ، وبطالبونه بإحضار ذهنه في حلها ، ويحسبون ذلك مراعاة على التعليم وصواباً فيه ، ويكلفونه وعى ذلك وتحصيله ، ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها ، وقبل أن يستمدّ لفهمها ، فإنّ قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجياً ؛ ويكون المتعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة إلا في الأقل ، وعلى سبيل التقريب والإجمال ، وبالأمثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرّج قليلاً قليلاً بمخالفة^(١) مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه ؛ والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه ، حتى تتم الملكة في الاستعداد ، ثم في التحصيل ؛ ويحيط هو بمسائل الفن . وإذا أُلقيت عليه الغايات في البدايات ، وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى ، وبعيد عن الاستعداد له ، كل ذهنه ، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه ، فتكاسل عنه ، وانحرف عن قبوله ، وتمادى في هجرانه . وإنما أتى ذلك من سوء التعليم .

٣ — المقرئى^(٢)

من خطبة كتابه : « المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » :

وبعد ، فإن علم التاريخ من أجلّ العلوم قدراً ، وأشرفها عند العقلاء مكانة وخطراً ، لما يحويه من المواعظ والإنذار ، بالرحيل إلى الآخرة عن هذه الدار ،

(١) المخالفة هنا : المداولة ، وهى تستلزم التكرار .

(٢) هو تقي الدين المقرئى المولود سنة ٧٦٦ هـ . وكان شاعراً كاتباً مؤرخاً توفى

والاطلاع على مكارم الأخلاق لِيَقْتَدِيَ بِهَا ، واستعلام مَذَامِّ الفِعال لِيَرْغَبَ عَنْهَا
أَوَّلُ النَّهْي . لا جَرَمَ أَنْ كَانَتِ الْإِنْفُسُ الْفَاضِلَةُ بِهِ وَامِقَةً ^(١) ، وَالْمُهْمُ الْعَالِيَةُ إِلَيْهِ
مَائِلَةً وَلَهُ عَاشِقَةٌ . وَقَدْ صَنَّفَ الْأُئِمَّةُ فِيهِ كَثِيرًا وَضَمَّنَ الْأَجَلَةُ كَتَبَهُمْ مِنْهُ شَيْئًا كَبِيرًا .

وَكَانَتْ مِصْرُ هِيَ مَسْقُطُ رَأْسِي ، وَمَلْعَبُ أَتْرَابِي ، وَجَمْعُ نَاسِي ، وَمَعْنَى عَشِيرَتِي
وَحَامَتِي ^(٢) ، وَمَوْطَنَ خَاصَّتِي ، وَعَامَّتِي ، وَجَوِّيَ الَّذِي رَأَى جَنَاحِي فِي وَكْرِهِ ، وَعَشَّ
مَا رَبِّي فَلَا تَهْوَى الْإِنْفُسُ غَيْرَ ذِكْرِهِ ، لَا زِلْتُ مَذْشُدُوتُ الْعِلْمِ ، وَأَتَانِي رَبِّي الْفُطَانَةُ
وَالْفَهْمُ ، أَرْغَبُ فِي مَعْرِفَةِ أَخْبَارِهَا ، وَأَحِبُّ الْإِشْرَافَ عَلَى السَّكِينِ مِنْ آثَارِهَا ،
وَأَهْوَى مَسْأَلَةَ الرِّكْبَانِ عَنْ سَكَنِ دِيَارِهَا ؛ فَفَقِدْتُ بِخَطِّي فِي الْأَعْوَامِ السَّكِينَةَ
مِنْ ذَلِكَ فَوَائِدَ قَلَمًا يَجْمَعُهَا كِتَابٌ ، أَوْ يَحْوِيهَا لِعِزَّتِهَا وَغَرَابَتِهَا إِهَابٌ ؛ إِلَّا أَنَّهَا
لَيْسَتْ بِمَرْتَبَةٍ عَلَى مَنْوَالٍ ، وَلَا مُهَذَّبَةً بِطَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ وَمِثَالٍ . فَأَرَدْتُ أَنْ أُلْخِصَ
مِنْهَا أَنْبَاءَ مَا بَدِيَارَ مِصْرَ مِنَ الْآثَارِ الْبَاقِيَةِ ، عَنْ الْأُمِّ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ ؛
وَمَا بَقِيَ بِفُسْطَاطِ مِصْرَ مِنْ مَعَاهِدَ غَيْرِهَا — أَوْ كَادَ — الْبَلَى وَالْقَدَمُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ
يُحَوِّرَ سَمَاهَا الْفَنَاءَ وَالْعَدَمَ ؛ وَأَذْكَرَ مَا بِمَدِينَةِ الْقَاهِرَةِ مِنْ آثَارِ الْعُصُورِ الزَّاهِرَةِ ، وَمَا اشْتَمَلَتْ
عَلَيْهِ مِنَ الْخُطَطِ وَالْأَصْقَاعِ ، وَحَوْتِهِ مِنَ الْمَبَانِي الْبَدِيعَةِ وَالْأَوْضَاعِ ؛ مَعَ التَّعْرِيفِ
بِحَالِ مَنْ أَسَّسَ ذَلِكَ مِنْ أَعْيَانِ الْأُمَائِلِ ، وَالتَّنْوِيهِ بِذِكْرِ الَّذِي شَادَهَا مِنْ سِرَاةِ
الْأَعَاظِمِ الْأَفَاضِلِ ؛ وَأَثَرُ خِلَالِ ذَلِكَ نُكْتًا لَطِيفَةً ، وَحِكْمًا بَدِيعَةً شَرِيفَةً ، مِنْ غَيْرِ
إِطَالَةٍ وَلَا إِكْثَارٍ ، وَلَا إِحْجَافٍ يُخْلُ بِالْغَرَضِ وَلَا اخْتِقَارٍ ، بَلْ وَسَطٌ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ ،
وَطَرِيقٌ بَيْنَ بَيْنٍ . . . الخ .

(١) وَامِقَةٌ : مُحِبَّةٌ .

(٢) الْحَامَةُ . خَاصَّةُ الرَّجُلِ مِنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ .

٤ — شمس الدين محمد النواجي^(١)

قطعة من كتابه « حلبة الكميت » في أنواع الرياح وخصائصها :

والنسيم هي الريح الطيبة ، ونسيم الريح أولها حين تُقبل بِلينٍ قبل اشتدادها ،
وفي الحديث : « بُعِثْتُ في نسيم الساعة » أي حين ابتدأت وأقبلت ، وما أحسن
قول بعضهم : نسيم الريح نَسِيبُ الرُّوح ، والرياح المعروفة أربع ، الصبا وتسعى
القبول وهي تنفّس عن المكروب ، والجنوب وهي تجمع السحاب ، والشّمال وهي
تفرّقه ، والدّبور وهي تهّدم البُنيان ، وتقلع الشجر ، وهي القاصف والصّرصر .
وكلُّ ما في القرآن من لفظ الريح ، فالمراد به الدّبور ، ولازمها العقوبة ، وكل
ما فيه من لفظ الرياح فهي راجعة إلى الثلاثة الأولى ، ويراد بها الرحمة . ومن
الحديث : « نُصِرْتُ بالصّبا وأُهْلِكْتُ عاد بالدّبور » . وقيل الرياح ثمانية : أربع
في الجهات الأربع ، وأربع تسمى النّكباء ليلها ونكبتها عن الجهات الأربع ،
والشّمال من ناحية الشام ، وذلك عن يمينك إذا استقبلت قبلة العراق ، فهبوبها
من تحت بنات نعش ، ويقابلها الجنوب والشمال باردة يابسة صافية من الكدر ،
تشد الأعضاء ، وتسُدُّ المسام ، وتحصّر الحرارة في الباطن ، فينهضم الغذاء وتصفو
بها كدورة الروح الحيواني ، الذي في القلب من الأبخرة الدخانية وتديم الصحة ،
وتقوّى حواس الدماغ ، وذلك إذا وصلت إلى الجسم باعتدال ، وهي قليلة الهبوب
ليلا ، وكان الصاحب بن عباد يترنم بقول أبي فراس :

هَبَّتْ لَنَا رِيحٌ شَمَالِيَّةٌ مَتَتْ إِلَى الْقَلْبِ بِأَسْبَابِ

(١) ينسب إلى قرية نواج من مديرية الغربية بمصر . ولد ونشأ بالقاهرة وبرع في الأدب

والشعر وله عدة مؤلفات وتوفي سنة ٨٥٩ هـ .

أدّت رسالات الهوى بيننا عرفتها من بين أصحابي

قلت : والله إن صاحب بن عبّاد لمعذور ، فإن هذا مما يريح الجواد ،
وتجمع الشمال على شمائل ، ولذلك يحسن فيه التّورية . ومنه قول الشيخ تقي الدين
ابن حجة :

جاء النسيمُ على الرُّبَا بِنَدَى يديه وقال لى :
أنا ما أقصّر عن نَدَى وكما علمت شمائل

والصَّبَا تَهَبُّ من مطلع الشمس وتُسمى القبول ، ويقابلها الدَّبور وهي معتدلة
ولا سيما إن هَبَّت قبل طلوع الشمس في زمن الربيع ، وهي لطيفة صافية ، تذكى
الأذهان ، وتنفع الأبدان ، وتبسّط الأخلاق ، لا سيما إن مرت بمُروِج الأزهار
فإنها تحمل قواها إلى القلب والدماغ . . الخ .

هـ - ابن خلكان^(١)

قطعة من كتابه « وفيات الأعيان » :

كتب يترجم لأبي طالب يحيى بن أبي الفرج سعيد بن أبي قاسم بن زيادة
الشَّيبَانِي البغدادي المتوفى سنة ٥٨٣ هـ :

كان من الأعيان الأماثل^(٢) ، والصدور الأفاضل ، أنتهت إليه المعرفة بأمور

(١) هو قاضي القضاة شمس الدين الأربلي . ولد سنة ٦٠٨ هـ . ثم تنقل في البلاد حتى
نزل دمشق سنة ٦٣٣ هـ . وتولى قضاء الشام ودرس في عدة مدارس . وتوفى سنة ٦٨١ هـ .
اشتهر بكتابه « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » وهو كتاب مفيد في تاريخ الأشخاص .
(٢) الأماثل : جمع أمثل أى أفضل .

الكتابة والإنشاء والحساب ، مع مشاركته في النقش وعلم الكلام^(١) والأصول وغير ذلك . وله النظم الجيد . جالس أبا منصور بن الجواليقي ، وقرأ عليه وعلى من بعده ، وسمع الحديث من جماعة . وخدم الديوان — من صباه إلى أن توفى عدة خدمات . وكان مليح العبارة في الإنشاء ، جيد الفكرة حلوا التصنيع ، لطيف الإشارة . وكان الغالب في رسائله العناية بالمعاني أكثر من طلب السجع . وله رسائل بليغة ، وشعر رائق ، وفضله أكثر من أن يذكر . وتولى النظر بديوان البصرة وواسط والحلة ، ولم يزل على ذلك إلى المحرم سنة ٥٧٥ هـ . ورُتب حاجباً بباب المتولى ، وقلد النظر في المظالم ثم عزل عن ذلك .

٦ — الديار بكرى^(٢)

وصف استيلاء التتار على بغداد ، من كتابه : « الخميس ، في أحوال أنفس نفيس » .

وفي سنة أربع وخمسين وستمائة خرج الطاغية العنيد مبيد الأمم هولاكو ، فأخذ قلعة الموت من الإسماعيلية ، وقتلهم وأخرب نواحي الري ، وبذلت السيوف على عوائدهم ، فتوجه الكامل محمد ، صاحب ميافارقين ، إلى خدمة هولاكو : فأعطاه الفرمان ، ثم نزل هولاكو بأذربيجان وأخذها .

وفي أول سنة خمس وخمسين وستمائة ثارت فتنة مهولة ببغداد بين السنية

(١) علم الكلام : علم التوحيد .

(٢) هو حسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى ، نسبة إلى ديار بكر ، تولى قضاء مكة ،

وتوفى بها سنة ٩٨٢ هـ .

والرافضة أدت إلى نهبٍ عظيمٍ وخرابٍ ، وقتل عِدَّةٍ من الرافضة ، فغضب لها وتنمر ابن العلقمي الوزير ، وجسّر القنطرة على العراق ليشتفى من السنيّة .

وفي أول سنة ست وخمسين وستمائة وصل الطاغية هولاكو ، ابن تولى ابن جنكيزخان المغولي ، بغدادَ بجيوشه وبالكَرَج وبمسكر الموصل ، فخرج الدويدار بالسكر ، فالتقى بطلائع هولاكو وعليهم ياجنوس ، فانكسر المسلمون لقتلتهم ، ثم أقبل ياجنوس فنزل على بغداد من غربيها ، ونزل هولاكو من شرقيها . فقال الوزير ابن العلقمي خليفة المستعصم بالله : إني أخرج إلى القاءان الأعظم في تقرير الصلح . فخرج الكلب وتوثق لنفسه ورجع . فقال : إن القاءان قد رغب في أن يزوج بنته بابنك . وأن تكون الطاعة له كالمملك الساجوقية ويرحل عنك ، فخرج المستعصم في أعيان دولته وأكابر الوقت ليحضروا العقد ، فضربت رقاب الجميع وقتلوا الخليفة : ورفسوه حتى مات . ودخلت القنطرة بغداد واقتسموها ، وأخذ كل ناحية وبقى السيف يعمل أربعة وثلاثين يوماً ، وقتل من سلم ، فبلغت القتلى ألف ألف وثمانمائة ألف وزيادة . فعند ذلك نادوا بالأمان ، ثم أمر هولاكو بضرب عنق ياجنوس ، لكونه كاتب الخليفة ، وأرسل إلى صاحب الشام يهدّده إن لم يخرج أسوار بلاده .

أكذا في « دول الإسلام » .

وفي تاريخ الجلالى يوسف : سبب قتل المستعصم بالله أنه لما ولى الخلافة لم يتوثق أمره ؛ لأنه كان قليل المعرفة بتدبير الملك ، نازل المهمة ، مهملاً للأمر المهمة ، محبباً لجمع المال . أهل أمر هولاكو وانقاد إلى وزيره ابن العلقمي ، حتى كان في ذلك هلاكه وهلاك الرعية ، فإن وزيره ابن العلقمي الرافضي كان

كتب كتاباً إلى هولاكو ملك التتار في الدشت : إنك تحضر إلى بغداد وأنا أسلمها لك ، وكان قد داخل قلب اللعين الكفر . فكتب هولاكو : إن عساكر بغداد كثيرة ، فإن كنت صادقاً فيما قلته ، وداخلاً في طاعتنا ، فرق عساكر بغداد ونحن نحضر ، فلما وصل كتابه إلى الوزير ، دخل إلى المستعصم وقال : إن جندك كثيرة وعليك كلفة كبيرة ، والعدو قد رجع من بلاد العجم ، والصواب أنك تعطى دستوراً لخمس عشرة ألفاً من عسكرك ، وتوفر معلومهم ، فأجابه المستعصم لذلك . فخرج الوزير لوقته ومحا اسم من ذكر من الديوان ، ثم نفاهم من بغداد ومنعهم من الإقامة بها . ثم بعد شهر فعل مثل فعلته الأولى ومحا اسم عشرين ألفاً من الديوان ، ثم كتب إلى هولاكو بما فعل . وكان قصد الوزير بمجيء التتار أشياء منها : أنه كان رافضياً خبيثاً ، وأراد أن ينقل الخلافة من بنى العباس إلى العلويين ، فلم يتم له ذلك من عظم شوكة بنى العباس وعساكرهم ، فأفكر أن هولاكو إذا قدم يقتل المستعصم وأتباعه ثم يعود إلى حال سبيله ، وقد زالت شوكة بنى العباس ، وقد بقي هو على ما كان عليه من العظمة والعساكر وتدير المملوكة ، فيقوم عند ذلك بدعوة العلويين الرافضة من غير ممانع لضعف العساكر ولقوته ، ثم يضع السيف في أهل السنة .

فهذا كان قصده لعنه الله .

ولما بلغ هولاكو ما فعل الوزير ببغداد ركب وقصدها إلى أن نزل عليها ، وصار المستعصم يستدعى العساكر ويتجهز لحرب هولاكو ، وقد اجتمع أهل بغداد وتحالفوا على قتال هولاكو ، وخرجوا إلى ظاهر بغداد ، ومشى عليهم هولاكو بعساكره فقاتلوه قتالاً شديداً ، وصبر كل من الطائفتين صبراً عظيماً ، وكثرت الجرحى والقلى في الفريقين ، إلى أن نصر الله تعالى عساكر بغداد وانكسر

هولاكو أقبح كسرة ، وانساق المسلمون خلفهم وأسروا منهم جماعة ، وعادوا بالأسرى ورعوس القتلى إلى ظاهر بغداد ، ونزلوا بخيامهم مطمئنين بهروب العدو ، فأرسل الوزير ابن العلقمي في تلك الليلة جماعة من أصحابه فقطعوا شطر الدجلة . فخرج ماؤها على عساكر بغداد وهم نائمون ، ففرقت مواشيهم وخيامهم وأموالهم ، وصار السعيد منهم من لقي فرساً يركبها . وكان الوزير قد أرسل إلى هولاكو يعرفه بما فعل ، وأمره بالرجوع إلى بغداد . فرجعت عساكر هولاكو إلى ظاهر بغداد فلم يجدوا هناك من يردهم ، فلما أصبحوا استولوا على بغداد ، وبذلوا فيها السيف ووقع منهم ما يطول شرحه .

والمقصود أن هولاكو استولى على بغداد وأخذ المستعصم أسيراً ، ثم بذل السيف في المسلمين ، فلم يرحم شيخاً كبيراً لكبره ولا صغيراً لصغره .

ولما أخذ الخليفة أسيراً هو وولده أحضر بين يديه ، وأمر به هولاكو ، فأخرج من بغداد وأنزله بمخيم صغير بظاهر بغداد هو وولده . ثم في عصر ذلك اليوم وضع الخليفة وولده في عدلين^(١) وأمر التتار برفسهما إلى أن ماتا في الحرم سنة ست وخمسين وستمائة ، ثم نهبت دار الخلافة ومدينة بغداد حتى لم يبق فيها لا ما قل ولا ما جل . ثم أحرقت بغداد بعد أن قتل أكثر أهلها ، حتى قيل إن عدة من قتل في نوبة هولاكو يزيد على ألف ألف وثلاثين ألف إنسان . وانقرضت الخلافة من بغداد بقتل المستعصم هذا ، وبقيت الدنيا بلا خلافة سنين إلى أن أقام الملك الظاهر بيبرس البندقداري بعض بني العباس في الخلافة حسبا يأتي ذكره على سبيل الاختصار .

(١) العدل بكسر العين : الجولق : الشوال .

وكانت خلافة المستعصم خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً ، وتقدير عمره سبع وأربعون سنة . وزالت الخلافة من بغداد .

قال الشاعر :

خلت المنابر والأسرة منهم فعليهمُ حتى المات سلام

أما الوزير ابن العلقمي فلم يتم له ما أراد من أن التتار يبذلون السيف في أهل السنة ، فجاءوا بخلاف ما أراد ، وبذلوا السيف في أهل السنة والرافضة كلهم وهو في منصبه مع الذل والهوان ، وهو يظهر قوة النفس والفرح وأنه بلغ مراده فلم يلبث أن أمسكه هولاء بعد قتل المستعصم بأيام ووبخه بالفاظ شنيعة معناها : أنه لم يكن له خير في مخدمته ولا في دينه ، فكيف يكون له خير في هولاء كوا ؟ ثم إنه قتله شر قتلة ، في أوائل سنة سبع وخمسين وستائة . إلى سقر ، لا دنيا ولا آخرة !

٧ — الشيخ شهاب الدين الأبهسي^(١)

قطعة من كتابه « المستطرف ، من كل فن مستظرف » في علو الهمة

وشرف النفس :

أما علو الهمة فهو أصل الرياسة ، فمن علت همته ، وشرفت نفسه تحارة بن حمزة قيل إنه دخل يوما على المنصور وقعد في مجلسه ، فقام رجل وقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال : من ظلمك ؟ قال : عمارة بن حمزة غصبني ضيعتي ! فقال المنصور : يا عمارة قم فاقعد مع خصمك ، فقال : ما هو لي بخصم ، إن كانت

(١) من أدباء النصف الأول من القرن التاسع .

الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مقام شرفني به أمير المؤمنين ورفعني ، وأقعد أدنى منه ، لأجل ضيعة !

وتحدث السفاحُ هو وأم سامة يوما في نزاهة نفس عمارة وكبره ، فقالت له : ادع به وأنا أهَبُ له سُبْحَتِي هذه ، فإن ثمنها خمسون ألف دينار ، فإن هو قبلها علمنا أنه غير نزه النفس . فوجه إليه الدعوة فحضر فحادثته ساعة ثم رمت إليه بالسبحة وقالت هي من الطرف ، وهي لك فجعلها عمارة بين يديه ، ثم قام وتركها فقالت : لعله نسيها . فبعثت بها إليه مع خادم ، فقال للخادم : هي لك . فرجع الخادم ، فقال : قد وهبها لي ، فأعطت أم سامة للخادم ألف دينار ، واستعادتها منه .

وأهدى عُبيد الله بن السري إلى عبد الله بن طاهر لما ولي مصر مائة وصيف ، مع كل وصيف ألف دينار ، ووجه إليه بذلك ليلا ، فردّه وكتب إليه : لو قبلتَ هديتك ليلا لقبَلتَها نهارا ، فما آتاك الله خيرا مما آتاكُم ، بل أنتمُ هديتكم تفرحون .

(وكان) سببُ فتح المعتصم عُمُورِيَّة أن امرأة من الثغر سبَّت فنادت : واحمداه ! وامعتصماه ! فبلغه الخبرُ . فركب لوقته ، وتبعه الجيش . فلما فتحها قال : لبيك أيتها المنادية !

وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة^(١) وهمة ، قيل له في مرضه : إن المريض يستريح إلى الأنين ، وإلى شرح مابه إلى الطبيب . فقال : أما الأنين فهو جزع وعار ، والله لا يسمع الله مني أنينا ، فأكون عنده حزُوعا . وأما وصف ما بي إلى الطبيب فوالله لا يحكم غيرُ الله في نفسي ، إن شاء أمسكها ، وإن شاء قبضها .

(١) النخوة : الافتخار والتعظيم ، يريد هنا : شجاعة النفس .

ومن كبر النفس ما روى عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة ، فكان يأكل الحنظل حتى قتله ، ولم يخبر أحداً بحاجته .

ومن الشرف والرياسة : حفظ الجوار وحمي الدمار^(١) . وكانت العرب ترى ذلك ديناً تدعو إليه ، وحقاً واجباً تحافظ عليه . وكان أبو سفيان بن حرب إذا نزل به جار قال : يا هذا إنك اخترتني حاراً ، واخترت داري داراً ، فغناية يدك عليّ دونك ، وإن جئت عليك يدٌ فاحتكم حكم الصبيّ على أهله^(٢) .

وكان الفرزدق يُجير من عاذَ بقبر أبيه غالب بن صعصعة ، فمن استجار بقبر أبيه فأجاره امرأة من بني جعفر بن كلاب ، خافت لما هجا الفرزدق بني جعفر أن يُسميها وينسبها ، فعادت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسماً ولا نسباً ولكن قال : عجوزٌ تصلي الخمسَ عادتُ بغالب فلا والذي عادت به لا أضيرها وقال مروان بن أبي حفصة :

هُمُ يَمْنَعُونَ الْجَارَ حَتَّى كَأَمَّا لْجَارِهِمْ بَيْنَ السَّمَاءِ كُنْ (٣) مَنْزِلُ

(١) الدمار : كل ما يلزمك حمايته من أهل الوطن .

(٢) أي اقض بما شئت ، فحين نازلون على حكمك .

(٣) السماء كان : كوكبان نيران ، يقانه لأحدهما السماء الرامح والآخر السماء الأعزل .

وزارة المعارف العمومية

المنتخب

من أدب العرب

الجزء الثالث

للسنة الثالثة الثانوية

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندري أحمد أمين علي الجارم

عبد العزيز البشري الدكتور أحمد ضيف

١٩٥٣

مطابع
دار الكتاب العربي بمصر
محمد حلمي الميناوي

(١) النشر :

أولا - النشر الفنى

	تغزية لابن المقفع
	وله من الأدب الصغير
٢	أحمد بن يوسف
٣	كتب يهنىء بمولود
٣	وكتب أيضاً تهنية بظفر
٤	وكتب في الذم
٥	ومن توقيعاته ما وجهه إلى عالم ظالم
٥	الحسن بن سهل
٥	ما كتبه إلى محمد بن سماعة القاضي
٦	محمد بن عبد الرحمن الهاشمي
٩	الصولي
٩	من رسائله في تغزية على لسان المنتصر بالله
١٠	ومن رسائله القصار على لسان المتوكل لأهل حص الخارجين عليه
١١	وكتب إلى ابن الزيات يستعطفه

ثانياً - النشر العلمي

١٢	أبو يوسف
١٢	قال في كتاب الخراج
١٣	من كتاب التاج المنسوب للإمام
١٤	من كتاب السكامل للمبرد
١٦	من تاريخ الأمم والملوك للطبري (خلافة الأمين)
١٧	من كتاب ألف ليلة وليلة (حكاية خالد بن عبد الله القسري مع الشاب السارق)

(ب) الشعر :

٢٢
 ٢٢ قال يهجو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وقد استمنحه فلم يمنحه ...
 ٢٣ وقال يتغزل وقد نهاه الخليفة المهدي عن الغزل
 ٢٤ قال يورثي ولدأله
 ٢٤ ومن قوله يصف جيشاً من قصيدة يمدح بها عمر بن هبيرة حين وفد عليه بالعراق ...

٢٦
٢٦	الأمر لبني العباس
٢٧
٢٨
٢٩
٣٠
٣٠	باس	...
٣٢	ة لابنه الهادي	...
٣٣
٣٣	رشيد إلى خراسان وطال مقامه بها	...
٣٥	أبو نواس	...
٣٥	قال يصف الخمر	...
٣٦	وقال أيضاً في الخمر	...
٣٧	قال يمدح الخليفة محمد الأمين	...
٣٩	قال يصف ناقة	...
٤٠	وقال في الطرد ينعت كلب صيد	...
٤١	وقال يمدح العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور	...
٤٥	أبان اللاحق	...
٤٥	من قوله يمدح الرشيد ويظهر حجة بني العباس على حقهم في الخلافة	...
٤٦	ما بعث به إلى الفضل بن يحيى	...
٤٧	مسلم بن الوليد	...
٤٨	قال يهجو دهل بن علي الخزاعي الشاعر	...
٤٨	من قصيدة يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم المهلب	...
٥٠	وقال من وزن مولد	...
٥٧	أبو العتاهية	...
٥٩	ما قاله لما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة	...
٦٠	وقال في الغزل	...
٦١	جملة من أمثاله	...
٦٢	أبو تمام	...
٦٢	وقال يمدح المعتصم بالله ويذكر فتح عمورية	...
٦٩	وقال يمدح عبد الله بن طاهر بن الحسين	...
٧٠	وقال يمدح أحمد بن المعتصم	...
٧١	وقال يمدح الحسن بن رجاء	...
٧٢	وقال في وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات	...
٧٣	وقال يرثي محمد بن حميد الطوسي	...

(۱) النثر الفنى

١٢٥	النثر الفنى
١٢٥	نبذة من الرسالة الجدية لابن زيدون
١٢٧	الفتح بن خاقان
١٢٧	ما قاله فى كتابه قلائد العقيان فى ترجمة أبى الفضل بن حسداى
١٢٩	أبو عمرو الباجى
١٢٩	وصفه مطرا نزل بعد قحط
١٣٠	ابن خفاجة
١٣٠	من رسالة فى وصف رياض غب مطر
١٣١	أبو عامر بن عقال
١٣١	فصل له يصف فيه اجتياز أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة وخمسمائة

(ب) النثر العلمي :

[illegible]

صفحة

١٤٥	ابن وهبون
١٤٦	قال يصف النيلوفر
١٤٦	ابن خفاجة الأندلسي
١٤٦	قال في الاعتبار ويصف ليلاً وجبلاً
١٤٩	وقال في طول الليل
١٤٩	ابن سهل الأندلسي
١٤٩	من قصيدة
١٥٠	وقال في توشيح له
١٥٢	معارضة أبي عبد الله الخطيب توشيح ابن سهل

المغرب وممالك البربر

النثر :

١٥٤	(أ) النثر الفني
١٥٤	التلمساني
١٥٤	قال في الفراق
١٥٦	(ب) النثر العلمي
١٥٦	ابن شرف القيرواني
١٥٦	فصل من كتابه أعلام الكلام
										(ح) الشعر :

١٥٨	علي بن محمد الأيادي
١٥٨	قال يصف أسطول القائم الفاطمي
١٦٠	إبراهيم الرقيق بن القاسم القيرواني
١٦٠	قال يتشوق إلى مصر ومعهده بها
١٦١	أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز
١٦١	قال يتغزل
١٦٢	إبراهيم بن علي الحصري
١٦٢	ابن رشيق القيرواني
١٦٤	ابن شرف القيرواني
١٦٤	قوله في العود
١٦٥	عبد الجبار بن حمديس
١٦٥	قال يصف بركة يجري إليها الماء
١٦١	قال يصف داراً بناها المعتمد بن عباد



(١) النثر

أولاً - النثر الفنى

(١) تَعْرِيزَةُ لَابْنِ الْمُقَفَّعِ (١) :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمْرَ الْآخِرَةِ وَالْدُّنْيَا بِيَدِ اللَّهِ ، هُوَ يُدَبِّرُهُمَا وَيَقْضِي فِيهِمَا مَا يَشَاءُ ، لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ وَلَا مُعَقِّبَ (٢) لِحُكْمِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ ، ثُمَّ كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْمَوْتَ بَعْدَ الْحَيَاةِ لِئَلَّا يَطْمَعَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ فِي خُلْدِ الدُّنْيَا ، وَوَقَّتَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِيقَاتَ أَجَلٍ ، لَا يَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَيَقِّنٌ بِالْمَوْتِ ، لَا يَرْجُو أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ ، نَسَأَلَ اللَّهُ خَيْرَ الْمُنْقَلَبِ (٣) ، وَبَلَغَنِي وَفَاةُ فَلَانٍ فَكَانَتْ وَفَاتُهُ مِنَ الْمَصَائِبِ الْعِظَامِ الَّتِي يُحْتَسَبُ (٤) ثَوَابُهَا مِنْ رَبَّنَا الَّذِي إِلَيْهِ مُنْقَلِبُنَا وَمَعَادُنَا ، وَعَلَيْهِ ثَوَابُنَا . فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالصَّبْرِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ لِأَهْلِ الصَّبْرِ صَلَوَاتٍ (٥) مِنْهُ وَرَحْمَةً وَجَعَلَهُمْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ .

(١) كان عبد الله بن المقفع من أبناء الفرس الذين نشئوا بين العرب ولد سنة ١٠٦ هـ . ونشأ بالبصرة . وكان أبوه مجوسياً يجمع خراج بلاد فارس للحجاج بن يوسف الثقفى . وبقي ابن المقفع أكثر أيامه على دين المجوسية ثم أسلم فى آخر عمره وتعلم صناعة الكتابة وبرع فى ذلك وكتب لكثير من الأمراء . وكان غاية فى الذكاء واشتهر ابن المقفع ببلاغته ورشاقته عبارته وأسلوبه السهل الممتنع وكان فوق ذلك من كبار المترجمين والمؤلفين وقد اشتهر بكتابه (كليلة ودمنة) ومات مقتولاً سنة ١٤٢ هـ .

(٢) عقب الحاكم على حكم سلفه حكم بعده بغير حكمه . يريد هنا أن حكم الله لا ينقض .

(٣) المنقلب : المرجع ، يقال : كل امرئ يصير الى منقلبه .

(٤) احتسب أجره عند الله : قدمه .

(٥) المراد بالصلاة هنا الرحمة . يشير الى قوله تعالى . «وبشر الصابرين» الآية .

وَلَهُ مِنَ الْأَدَبِ الصَّغِيرِ :

مِنْ أَشَدِّ عُيُوبِ الْإِنْسَانِ خَفَاءُ عِيُوبِهِ عَلَيْهِ . فَإِنْ مِنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُهُ
خَفِيَتْ عَلَيْهِ مَحَاسِنُ غَيْرِهِ ، فَلَنْ يُقْلَعَ (١) عَنْ عَيْبِهِ الَّذِي لَا يَعْرِفُهُ وَلَنْ يَنَالَ
مَحَاسِنَ غَيْرِهِ .

لَا يُؤْمِنَنَّكَ شَرُّ الْجَاهِلِ قَرَابَةٌ وَلَا جَوَارٌ وَلَا إِلْفٌ (٢) فَإِنْ أَخُوفَ مَا يَكُونُ
الْإِنْسَانُ لِحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا (٣) . وَكَذَلِكَ الْجَاهِلُ إِنْ جَاوَرَكَ
أَنْصَبَكَ (٤) ، وَإِنْ نَاسَبَكَ جَنَى عَلَيْكَ . وَإِنْ أَلْفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ مَا لَا تُطِيقُ ،
وَإِنْ عَاشَرَكَ آذَاكَ وَأَخَافَكَ . مَعَ أَنَّهُ عِنْدَ الْجُوعِ سَبْعٌ ضَارٌّ (٥) ، وَعِنْدَ
الشَّبَعِ مَلِكٌ فَظٌّ ، وَعِنْدَ الْمُوَافَقَةِ فِي الدِّينِ قَائِدٌ إِلَى جَهَنَّمَ . فَأَنْتَ بِالْهَرَبِ
مِنْهُ أَحَقُّ مِنْكَ بِالْهَرَبِ مِنْ سُمِّ الْأَسَاوِدِ (٦) وَالْحَرِيقِ الْمَخُوفِ وَالِدِّينِ الْفَادِحِ (٧)
وَالدَّاءِ الْعِيَاءِ (٨)

(١) أُلْقِيَ عَنْ عَيْبِهِ : كَفِيَ عَنْهُ وَتَرَكَهُ .

(٢) الْإِلْفُ بِكَسْرِ الِهِمَزَةِ وَسُكُونِ اللَّامِ . وَالْإِلْفَةُ : بَضْمُ الِهِمَزَةِ وَسُكُونِ اللَّامِ وَفَتْحُ الْفَاءِ : الصَّدَاقَةُ

(٣) أَيْ يَشْتَدُّ خَوْفُ الْإِنْسَانِ مِنَ النَّارِ حِينَ يَشْتَدُّ قُرْبُهُ مِنْهَا فَكَذَلِكَ الْجَاهِلُ تَخَافُهُ إِذَا كَانَ ذَا صِلَةٍ

قَوِيَّةٍ بِكَ . وَهَذَا تَمْثِيلٌ .

(٤) أَنْصَبَهُ : أَتَعَبَهُ وَأَعْيَاهُ .

(٥) الضَّارُّ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ كَالْأَسَدِ وَالنَّمْرِ : مَا تَعُودُ أَكْلَ الصَّيْدِ وَأُولَعُ بِهِ .

(٦) الْأَسَاوِدُ : مَفْرَدُهُ أَسْوَدٌ ، وَهُوَ الْحَيَّةُ الْعَظِيمَةُ السُّودَاءُ .

(٧) فَدَحَهُ الْحَمْلُ أَوْ الدِّينُ : أَثْقَلَهُ وَبَهْظَهُ . وَالْفَادِحُ : الصَّعْبُ الْمَثْقُلُ . يُقَالُ نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ فَادِحٌ ،

وَرَكِبَهُ دِينَ فَادِحٌ .

(٨) دَاءٌ عِيَاءٌ بِفَتْحِ الْعَيْنِ : لَا يَبْرَأُ مِنْهُ الْمَرِيضُ .

(٢) أحمد بن يوسف^(١)

كتب يهنئ بمولود :

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَيْسَ مِنْ أَمْرِ يَجْعَلُ اللَّهُ لَكَ فِيهِ سُرُورًا إِلَّا كُنْتُ بِهِ بِهِجًا
أَعْتَدُ^(٢) فِيهِ بِالنَّعْمَةِ مِنَ اللَّهِ الَّذِي أَوْجَبَ عَلَيَّ مِنْ حَقِّكَ ؛ وَعَرَّفَنِي مِنْ جَمِيلِ
رَأْيِكَ . فَزَادَكَ اللَّهُ خَيْرًا ، وَأَدَامَ إِحْسَانَهُ إِلَيْكَ . وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ اللَّهَ وَهَبَ
لَكَ غُلَامًا سَرِيًّا^(٣) أَجْمَلَ صُورَتَهُ ، وَأَتَمَّ خَلْقَهُ ، وَأَحْسَنَ فِيهِ الْبَلَاءَ^(٤) عِنْدَكَ
فَاشْتَدَّ سُرُورِي بِذَلِكَ . وَأَكْثَرْتُ حَمْدَ اللَّهِ عَلَيْهِ . فَبَارَكَ اللَّهُ فِيهِ وَجَعَلَهُ
بَارًا^(٥) تَقِيًّا يَشُدُّ^(٦) عَضُدَكَ ، وَيُكْثِرُ عَدَدَكَ ، وَيُقِرُّ^(٧) عَيْنَكَ .

وكتب أيضاً تهنئة بظفر :

بَلَغَنِي — فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ — خُرُوجُ ابْنِ السَّرِيِّ إِلَيْكَ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ النَّاصِرِ
لِدِينِهِ ، الْمُعِزِّ لَوْلِيِّهِ وَخَلِيفَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ ، الْمُدِلِّ لِمَنْ صَدَّ^(٨) عَنْ حَقِّهِ وَرَغِبَ^(٩)

(١) هو أحمد بن يوسف كاتب دولة بنى العباس ويقولون : أن أصل آبائه من قبط مصر وكانوا كتاباً لبنى العباس فنشأ أحمد بن يوسف في بيت علم وأدب وشب على الكتابة . وكان من أبلغ الكتاب والشعراء واشتهر في زمن المأمون فله كتب بليغة وكثير من الرسائل الديوانية والاخوانية . وكانت طريقته في الكتابة تميل إلى التوسع في المعاني والأساليب والعبارات وجزالة الالفاظ وتطويل الرسائل السلطانية ، وكان يتولى ديوان الرسائل لمأمون حتى غضب عليه غضبة مات منها . سنة ٢١٣ هـ .

(٢) أي أعد ذلك نعمة من الله .

(٣) السرى : الظريف .

(٤) البلاء هنا : الاختبار .

(٥) باراً : صالحاً مطيعاً .

(٦) العُضْدُ : يفتح العين وضم الضاد ما بين المرفق إلى الكتف يريد بذلك أن يكون قوة له .

(٧) قربت عينه : بردت سروره . وجف دمعها : يريد بذلك أن يكون من وسائل السعادة والسرور له .

(٨) صدّه عن كذا : صرفه ومنعه . يريد أن الله يدل من وقف في سبيل الحق .

(٩) رغب عنه : أعرض عنه وتركه .

عَنْ طَاعَتِهِ وَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُظَاهِرَ^(١) النَّعَمَ ، وَيَفْتَحَ بُلْدَانَ الشَّرِّ^(٢) بِكَ ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا وَآلَاكَ^(٣) مِنْذُ ظَعَنْتَ^(٤) لَوَجْهِكَ ، فَإِنَّا نَتَذَكَّرُ سِيرَتَكَ
فِي حَرْبِكَ وَسِلْمِكَ ، وَنُكْثِرُ التَّعَجُّبَ لِمَا وَفَّقْتَ لَهُ مِنْ وَضْعِ الشَّدَةِ وَاللَّيَانِ^(٥)
بِمَوْضِعِهِمَا ، وَلَا نَعْلَمُ^(٦) سَائِرَ جُنْدٍ وَلَا رَعِيَّةٍ عَدِلَ بَيْنَهُمْ عَدْلَكَ وَلَا مَنْ عَفَا
بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَمَّنْ آسَفَهُ^(٧) وَأَضْغَنَهُ^(٨) عَفْوِكَ .

وكتب في الذم :

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَا أَعْلَمُ لِلْمَعْرُوفِ^(٩) طَرِيقًا أَحْزَنَ^(١٠) وَلَا أَوْعَرَ مِنْ طَرِيقِهِ
إِلَيْكَ ، وَلَا مُسْتَوْدَعًا^(١١) أَقْلَ زَكَاءٍ^(١٢) ، وَلَا أَبْعَدَ ثَمَرَةً خَيْرَ مِنْ مَكَانِهِ عِنْدَكَ ؛
لَأَنَّهُ يَحْصُلُ مِنْكَ فِي حَسَبِ دَيْ^(١٣) ، وَلِسَانِ بَدْيٍ^(١٤) ، وَنَسَبِ قِصَى^(١٥) ،
وَجَهْلٍ^(١٦) قَدْ مَلَكَ طِبَاعَكَ ؛ فَالْمَعْرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ مَهْجُورٌ ،
وَإِنَّمَا غَايَتُكَ فِي الْمَعْرُوفِ أَنْ تُحْرِزَهُ ، وَفِي وَلِيِّهِ أَنْ تَكْفُرَ^(١٧) بِهِ .

(١) ظاهره مظاهره : عاونه . يسأل الله أن يكثر من النعم على يديه .

(٢) يريد بلدان الأعداء .

(٣) وإلى الشيء : تابعه يريد على ما أعطاه من النصر المتتابع المتوالى .

(٤) الظن : الرحيل . ويريد بقوله لوجهك لغرضك .

(٥) الليان : بفتح اللام المشددة مصدر لأن يلين وهو ضد الشدة . والليان : بالكسر الاسم من لان .

(٦) سائر الشيء : باقيه يريد أنه لا يوجد قوم يسود فيهم عدل مثل عدلك في قومك .

(٧) آسفه آسافا : أغضبه وأحزنه .

(٨) أضغنه : حمله على الضفينة . ويريد أنه لم ير أحدا مثله عفا بعد القدرة على الانتقام عن

قوم أساءوا إليه وحملوه على أن يحقد عليهم .

(٩) المعروف هنا : الخير والإحسان . (١٠) الطريق الحزن : ضد السهل .

(١١) المستودع : المكان يحفظ فيه الشيء . (١٢) الزكاء : النمو والزيادة .

(١٣) الدنى مخفف الهمزة هنا : الخسيس الدليل .

(١٤) البدى بتخفيف الهمزة أيضا : المحتقر السفیه .

(١٥) القصى : البعيد . (١٦) الجهل : الحمق .

(١٧) كفر بالنعمة : جحدتها وتناساها وكفر بالمنعم جحد فضله .

ومن توقيعاته ما وجهه إلى عامل ظالم :

« الحق طريق واضح لمن طلبه ، تهديده محجته ^(١) ، ولا تخاف عثرته ^(٢) ،
وتؤمن في السر مغيبته ^(٣) فلا تقلن ^(٤) منه ، ولا تعدلن عنه ، فقد بلغت
في مناصحتك ، فلا تخرجني إلى معاودتك ^(٥) ، فليس بعد التقدمة ^(٦) إليك
إلا سطوة الإنكار عليك » .

(٣) الحسن بن سهل ^(٧)

كتب إلى محمد بن سماعه ^(٨) القاضي يسأله اختيار رجل ليقوم ببعض مهامه :
أما بعد ، فإنني احتجت لبعض أموري إلى رجل جامع لخصال الخير ،
ذی عفة ونزاهة طعمة ^(٩) ، قد هدبته الآداب ، وأحكمته التجارب ، ليس
بظنين ^(١٠) في رأيه ، ولا بمطعون في حسبه . إن أوتمن على الأسرار قام بها ،
وإن قلد مهما من الأمور أجزأ ^(١١) فيه ، له سن ^(١٢) مع أدب ولسان ،
تقده الرزاة ويسكنه الحلم ، قد فر ^(١٣) عن ذكاء وفطنة ، وعرض

(٢) العثرة : السقطة والزلّة .

(١) المحجة : جادة الطريق .

(٤) أقل الشيء : أتى بالقليل منه .

(٣) المغبة : عاقبة الشيء .

(٥) عاود الرجل : رجع إلى الأمر الأول يقال عاوده بالمسألة أي سأله مرة بعد أخرى وعاودته

الحمى رجعت إليه .

(٦) التقدمة مصدر قدم الشيء تقدمه . يريد أن ليس له عنده بعد أن قدم له النصيحة إلا أن يعاقبه

(٧) الحسن بن سهل : هو وزير المأمون وصهره (أبو زوجه بوران) توفي سنة ٣٣٦ هـ .

(٨) محمد بن سماعه القاضي : هو من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة . توفي سنة ٢٢٣ هـ

(٩) الطعمة بضم الطاء وسكون العين : وجه الارتزاق والمكسب ، يريد أنه لا يبتغى المال من طريق

الحرام ولا من خسيس السبل .

(١٠) الظنين بفتح الظاء : المتهم : يريد أنه لا يصدر الرأي عن الميل والهوى .

(١١) أجزأ في الأمر كان له كفاً وقام به على خير وجوهه .

(١٢) السن هنا : التقدم في العمر .

(١٣) يقال : فر الدابة يفرها (من باب نصر) . كشف عن أسنانها ليعرف كم بلغت من السنين :

يريد أن الاختبار والتجربة كشفت عما فيه من الذكاء .

على قَارِحَةٍ^(١) من الكَمَالِ . تَكْفِيهِ اللَّحْظَةُ ، وَتَرْشِيدُهُ السَّكَنَةَ . قَدْ أَبْصَرَ
خِدْمَةَ الْمُلُوكِ وَأَحْكَمَهَا ، وَقَامَ فِي أُمُورِهِمْ فَحْمِدَ فِيهَا . لَهُ أُنَاةٌ^(٢) الْوُزَرَاءِ ،
وَصَوْلَةٌ^(٣) الْأَمْرَاءِ ، وَتَوَاضَعُ الْعُلَمَاءُ ، وَفَهَمُ الْفُقَهَاءِ ، وَجَوَابُ الْحُكَمَاءِ . لَا يَبِيعُ
نَصِيبَ يَوْمِهِ بِحِرْمَانِ غَدِهِ . يَكَادُ يَسْتَرْقُ^(٤) قُلُوبَ الرِّجَالِ بِحَلَاوَةِ لِسَانِهِ ،
وَحُسْنِ بَيَانِهِ . دَلَالُ الْفَضْلِ عَلَيْهِ لَائِحَةٌ^(٥) ؛ وَأَمَارَاتُ الْعِلْمِ لَهُ شَاهِدَةٌ ،
مُضْطَلَعًا^(٦) بِمَا اسْتَنْهَضَ^(٧) ، مُسْتَقِلًّا^(٨) بِمَا حُمِّلَ ، وَقَدْ آثَرَتْكَ^(٩) بِطَلَبِهِ ،
وَحَبَوَتْكَ بِارْتِيَادِهِ^(١٠) ، ثِقَّةٌ بِفَضْلِ اخْتِيَارِكَ ، وَمَعْرِفَةٌ بِحُسْنِ تَأْتِيكَ .

(٤) محمد بن عبد الرحمن الهاشمي

قال : كَانَتْ أُمُّ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى تَزُورُ أُمِّي . وَكَانَتْ لَبِيبَةً مِنَ النِّسَاءِ ، حَازِمَةً
فَصِيحَةً بَرَزَةً^(١١) . يُعْجِبُنِي أَنْ أَجِدَهَا عِنْدَ أُمِّي فَأَسْتَكْرِ مِنْ حَدِيثِهَا ، فَقُلْتُ لَهَا
يَوْمًا : يَا أُمَّ جَعْفَرٍ : إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُفْضِلُ جَعْفَرًا عَلَى الْفَضْلِ ، وَبَعْضُهُمْ
يُفْضِلُ الْفَضْلَ عَلَى جَعْفَرٍ ، فَأَخْبِرْنِي . فَقَالَتْ : مَا زِلْنَا نَعْرِفُ الْفَضْلَ

-
- (١) قرح الفرس فهو قارح : خرج نابيه ، ولا يكون له ذلك الا اذا استكمل السن والقوة ،
يريد بالجملة أنه استوفى أسباب الكمال .
- (٢) الأناة : الوقار والحلم والتمهل .
- (٣) الصولة : القدرة والسطوة .
- (٤) استرق القلوب : استعبدها .
- (٥) لائحة : بادية ظاهرة .
- (٦) اضطلع الرجل بحمله فهو مضطلع به نهض به وقوى عليه .
- (٧) استنهض بالبناء للمجهول طلب منه النهوض .
- (٨) استقل بالشئ : حمله ورفع ، فهو مستقل به .
- (٩) آثره بالشئ : اختصه به وفضله على غيره .
- (١٠) ارتاد الشئ ارتيادا طلبه وبحث عنه .
- (١١) المرأة البرزة : المتجاهرة الكهلة الجليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون وهي عفيفة .

لِلْفَضْلِ . فَقُلْتُ : إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَى خِلَافٍ هَذَا . فَقَالَتْ : هَآؤَا أَحَدُتُكَ
 وَاقْضِ أَنْتَ . وَذَلِكَ الَّذِي أَرَدْتُ مِنْهَا . فَقَالَتْ : كَانَا يَوْمًا يَلْعَبَانِ فِي دَارِي ،
 فَدَخَلَ أَبُوهُمَا فَدَعَا بِالْغَدَاءِ وَأَخْضَرَهُمَا ، فَطَعِمَا مَعَهُ ثُمَّ آتَاهُمَا بِحَدِيثِهِ ، ثُمَّ قَالَ
 لَهُمَا : أَتَلْعَبَانِ بِالشَّطْرَنْجِ ؟ فَقَالَ جَعْفَرٌ ، وَكَانَ أَجْرُهُمَا : نَعَمْ ! قَالَ : فَهَلْ
 لَا عِبْتَ أَخَاكَ بِهَا ؟ قَالَ جَعْفَرٌ : لَا ! قَالَ : فَالْعَبَا بَهَا بَيْنَ يَدَيَّ لِأَرَى لِمَنْ الْغَلَبُ .
 فَقَالَ جَعْفَرٌ : نَعَمْ ! وَكَانَ الْفَضْلُ أَبْصَرَ مِنْهُ بِهَا . فَجِئَ بِالشَّطْرَنْجِ فَصُفْتُ
 بَيْنَهُمَا ، وَأَقْبَلَ عَلَيْهَا جَعْفَرٌ وَأَعْرَضَ عَنْهَا الْفَضْلُ . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : مَا لَكَ
 لَا تُلَاعِبُ أَخَاكَ ؟ فَقَالَ : لَا أُحِبُّ ذَلِكَ . فَقَالَ جَعْفَرٌ : إِنَّهُ يَرَى أَنَّهُ أَعْلَمُ بِهَا
 مِنِّي فَيَأْنِفُ مِنْ مُلَاعَبَتِي ، وَأَنَا أَلَا عِيبُهُ مُخَاطَرَةٌ^(١) . فَقَالَ الْفَضْلُ : لَا أَفْعَلُ .
 فَقَالَ أَبُوهُ : لَا عِيبُهُ وَأَنَا مَعَكَ . فَقَالَ جَعْفَرٌ : رَضِيتُ . وَأَبَى الْفَضْلُ وَاسْتَعْنَى^(٢)
 أَبَاهُ فَأَعْفَاهُ . ثُمَّ قَالَتْ لِي : قَدْ حَدَّثْتُكَ فَاقْضِ . فَقُلْتُ : قَدْ قَضَيْتُ بِالْفَضْلِ
 لِلْفَضْلِ عَلَى أَخِيهِ . فَقَالَتْ : لَوْ عِلِمْتُ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ الْقَضَاءَ لَمَا حَكَمْتُكَ .
 أَفَلَا تَرَى أَنَّ جَعْفَرَ قَدْ سَقَطَ أَرْبَعُ سَقَطَاتٍ تَنْزَعُ الْفَضْلُ عَنْهُنَّ : فَسَقَطَ
 حِينَ اعْتَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ يَلْعَبُ بِالشَّطْرَنْجِ ، وَكَانَ أَبُوهُ صَاحِبَ جِدٍّ^(٣) .
 وَسَقَطَ فِي التَّرَامِ مُلَاعَبَةُ أَخِيهِ ، وَإِظْهَارِ الشَّهْوَةِ لِغَلْبِهِ ، وَالتَّعَرُّضِ لِغَضَبِهِ .
 وَسَقَطَ فِي طَلَبِ الْمُقَامَةِ وَإِظْهَارِ الْحِرْصِ عَلَى مَالِ أَخِيهِ . وَالرَّابِعَةُ قَاصِمَةُ
 الظَّهْرِ حِينَ قَالَ أَبُوهُ لِأَخِيهِ : لَا عِيبُهُ وَأَنَا مَعَكَ . فَقَالَ أَخُوهُ لَا ، وَقَالَ هُوَ نَعَمْ ،

(١) المخاطرة المراهنة ، يقال : لاعبه على خطر بفتحين أى على رهان .

(٢) استعفاه من كذا : طلب منه ألا يكلفه به .

(٣) الجِدُّ بكسر الميم : ضد الهزل .

فَنَاصَبَ (١) صَفًّا فِيهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ . فَقُلْتُ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ! وَإِنَّكَ
لَأَقْضِي مِنَ الشَّعْبِيِّ (٢) ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : عَزَمْتُ (٣) عَلَيْكَ أَخْبِرْنِي :
هَلْ خَفِيَ مِثْلُ هَذَا عَلَى جَعْفَرٍ وَقَدْ فَطَنَ لَهُ أَخُوهُ ؟ فَقَالَتْ : لَوْلَا
الْعَزْمَةُ لَمَّا أَخْبَرْتُكَ ، إِنَّ أَيَّاهُمَا لَمَّا خَرَجَ قُلْتُ لِلْفَضْلِ خَالِيَّةً بِهِ :
مَا مَنَعَكَ مِنْ إِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَى أَبِيكَ بِمُلَاعَبَةِ أَخِيكَ ؟ قَالَ :
أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا لَوْ أَنَّي لَأَعْبَتُهُ لَغَلَبْتُهُ فَأَخْجَلْتُهُ ، وَالثَّانِي قَوْلُ أَبِي
لَاعِبِهِ وَأَنَا مَعَكَ ، فَمَا يَسُرُّنِي أَنْ يَكُونَ أَبِي مَعِيَ عَلَى أَخِي . ثُمَّ خَلَوْتُ
بِجَعْفَرٍ فَقُلْتُ لَهُ : يَسْأَلُ أَبُوكَ عَنِ اللَّعِبِ يَالشُّطْرَنْجَ فَيَصُصُّمْتُ أَخُوكَ
وَتَعْتَرِفُ ، وَأَبُوكَ صَاحِبُ جَدٍّ . فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : إِنَّهُ نَعِمَ
لَهُوَ الْبَالُ الْمَكْدُودُ (٤) . وَقَدْ عَلِمَ مَا نَلَقَاهُ مِنْ كَدِّ التَّعَلُّمِ وَالتَّأْدِبِ ؛
وَلَمْ أَمْنِ أَنْ يَكُونَ بَلَّغَهُ أَنَا نَلْعَبُ بِهَا ، وَلَا أَنْ يُبَادِرَ فَيُنْكَرَ ؛
فَبَادَرْتُ بِالْإِقْرَارِ إِشْفَاقًا عَلَى نَفْسِي وَعَايِهِ ، وَقُلْتُ : إِنْ كَانَ تَوْبِيخُ
فَدَيْتِهِ مِنَ الْمَوَاجَهَةِ بِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا بُنَيَّ : فَلِمَ تَقُولُ أَلَاعِبُهُ
مُخَاطَرَةً ؟ كَأَنَّكَ تُقَامِرُ أَخَاكَ وَتَسْتَكْثِرُ مَالَهُ . فَقَالَ : كَلَّا وَلَكِنَّهُ
يَسْتَحْسِنُ الدَّوَاةَ الَّتِي وَهَبَهَا لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ فَأَبَى قَبُولَهَا ،
وَطَمِعْتُ أَنْ يُلَاعِبَنِي فَأَخَاطِرُهُ عَلَيْهَا وَهُوَ يَغْلِبُنِي فَتَطِيبُ نَفْسُهُ بِأَخْذِهَا . فَقُلْتُ
لَهَا : يَا أُمَّاهُ مَا كَانَتْ هَذِهِ الدَّوَاةُ ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ جَعْفَرًا دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
فَرَأَى بَيْنَ يَدَيْهِ دَوَاةً مِنَ الْعَقِيقِ الْأَحْمَرِ مُحَلَّلَةً بِالْيَاقُوتِ الْأَزْرَقِ وَالْأَصْفَرِ فَرَأَاهُ يَنْظُرُ

(١) ناصبه : عاداه وقاومه . وناصبه العداوة : أظهرها له .

(٢) الشعبي بفتح الشين وسكون العين أحد رجال الحديث والقضاء .

(٣) عزم عليه : أقسم عليه . والاسم منه العزيمة والعزيمة بفتح العين فيهما .

(٤) كده الشيء فهو مكدود : أتعبه وأجهده .

إِلَيْهَا فَوَهَبَهَا لَهُ . فَقَالَتْ إِيَّاهُ . ثُمَّ قُلْتُ لَجَعْفَرٍ هَبْكَ^(١) اعْتَذَرْتُ بِمَا
سَمِعْتُ فَمَا عُذْرُكَ مِنَ الرِّضَا بِمُنَاصَبَةِ أَبِيكَ حِينَ قَالَ لَا عِبَهُ وَأَنَا مَعَكَ ؟ فَقُلْتُ
أَنْتَ : نَعَمْ ، وَقَالَ هُوَ : لَا . فَقَالَ : عَرَفْتُ أَنَّهُ غَالِي ، وَلَوْ فَتَرَ لَعِبَهُ لَتَغَالَبْتُ^(٢)
لَهُ ، مَعَ مَالِهِ مِنَ الشَّرَفِ وَالسُّرُورِ بِتَحْزِينِ أَبِيهِ إِلَيْهِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
فَقُلْتُ : بَخِ بَخِ^(٣) ، هَذِهِ وَاللَّهِ السِّيَادَةُ . ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّاهُ : أَلَا كَانَ مِنْهُمَا
مَنْ بَلَغَ الْحُلُمَ ؟ فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ : أَأَيْنَ يُذْهَبُ بِكَ ؟ أَخْبِرُكَ عَنْ صَبِيَّيْنِ يَلْعَبَانِ
فَتَقُولُ : أَلَا كَانَ مِنْهُمَا مَنْ بَلَغَ الْحُلُمَ ، لَقَدْ كُنَّا نَنْهَى الصَّبِيَّ إِذَا بَلَغَ الْعَشْرَ
وَحَضَرَ مَنْ يُسْتَحَى مِنْهُ أَنْ يُبْتَسِمَ .

(٥) الصُّوْلَى^(٤)

من رسائله في تعزية على لسان المنتصر بالله إلى طاهر بن عبد الله مولى
أمير المؤمنين :

أَمَّا بَعْدُ ، تَوَلَّى اللَّهُ تَوْفِيقَكَ وَحَيَاطَتَكَ ، وَمَا يَرْتَضِيهِ مِنْكَ وَيَرْضَاهُ عَنْكَ !
إِنَّ أَفْضَلَ النِّعَمِ نِعْمَةٌ تُلْقَى^(٥) بِحَقِّ اللَّهِ فِيهَا مِنَ الشُّكْرِ وَأَوْفَرَ حَادِثَةٍ ثَوَابًا حَادِثَةٍ

(١) يقال : هَبْكَ صَنَعْتَ كَذَا أَيْ افْرَضْ أَنْكَ صَنَعْتَ . وَهِيَ كَلِمَةٌ مَلَاظِمَةٌ لِلْأَمْرِ لَا تَنْصَرِفُ لِفَقِيرِهِ
مِنَ الْأَفْعَالِ . (٢) فَتَرَ يَفْتَرُ مِنْ بَابِ نَصَرَ وَمِنْ بَابِ ضَرَبَ : ضَعَفَ .
(٣) بَخِ بِفَعْلِ الْبَاءِ وَسُكُونِ الْخَاءِ : اسْمُ فِعْلٍ لِلْمَدْحِ وَإِظْهَارِ السُّرُورِ بِالشَّيْءِ . وَيَكْرُرُ لِلْمُبَالَغَةِ
فَيُقَالُ : بَخِ بِالْكَسْرِ وَالتَّنْوِينِ .
(٤) هُوَ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُسْعِدَةَ . نَشَأَ بِبَغْدَادَ وَأَخَذَ
الْعِلْمَ عَنْ عُلَمَاءِ زَمَانِهِ وَاشْتَغَلَ بِالشُّعْرِ وَبَخِ فِيهِ وَمَدَحَ كَثِيرًا مِنَ الْأُمَرَاءِ ، وَتَوَلَّى فِي خِلَافَةِ الْمُتَوَكِّلِ
دِيْوَانَ النِّفَقَاتِ . وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْكُتَّابِ . وَمِنْ أَفْذَاهِمُ الْمَعْرُوفِينَ فِي زَمَانِهِ حَتَّى لُقِبَ بِكَاتِبِ الْعِرَاقِ
وَلَهُ رِسَالٌ كَثِيرَةٌ أَشْهَرُهَا مَا كَتَبَهُ فِي التَّعَاذِي . تَوَفَّى بِسَرٍّ مِنْ رَأْيِ سَنَةِ ٢٤٢ هـ .
(٥) تَلْقَى الشَّيْءَ : بِمَعْنَى لَقِيَهِ .

أَدَّى حَقَّ اللَّهِ مِنْهَا مِنَ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ وَالصَّبْرِ ، وَمِثْلَكَ مِنْ قَدَمٍ مَا يَجِبُ لِلَّهِ عَلَيْهِ فِي نِعْمَةٍ فَشَكَرَهَا ، وَفِي مُصِيبَةٍ فَاطَاعَهُ فِيهَا . وَقَدْ قَضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مُحَمَّدٍ بْنِ إِسْحَاقَ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَفَا اللَّهُ عَنْهُ) قِضَاءَهُ السَّابِقَ وَالْمَوْقَعَ ^(١) . وَفِي ثَوَابِ اللَّهِ وَرِضَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ) وَتَقْدِيمَ مَا يُقَدَّمُ مِثْلَهُ أَهْلُ الْحِجَا ^(٢) وَالْفَهْمِ مَا اعْتَاظَهُ ^(٣) مُعْتَاظٌ وَقَدَّمَهُ مَوْفَقٌ . فَلْيَكُنْ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) وَمَا أَطَعْتَهُ بِهِ وَقَدَّمْتَ حَقَّهُ فِيهِ أَوَّلَى بِكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ فِي الْمَكْرُوهِ بِطَاعَتِهِ . يُحَسِّنُ وَلَايَتَكَ فِي تَوْفِيقِكَ لَشُكْرِ نِعَمِهِ عِنْدَكَ .

وَمِنْ رِسَائِلِهِ الْقِصَارِ عَلَى لِسَانِ الْمُتَوَكِّلِ لِأَهْلِ حِمَصِ الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ ، وَهِيَ مِنَ الرِّسَائِلِ الَّتِي أَغْنَتْ عَنِ الْجِيُوشِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَرَى مِنْ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ مِمَّا قَوْمٌ بِهِ مِنْ أَوْدٍ ^(٤) ، وَعَدَلَّ بِهِ مِنْ زَيْغٍ ^(٥) ، وَلَمْ بِهِ مِنْ مُنْتَشِرٍ ، اسْتِعْمَالَ ثَلَاثٍ يُقَدَّمُ بَعْضُهُنَّ عَلَى بَعْضٍ : أَوَّلَاهُنَّ مَا يَتَقَدَّمُ بِهِ مِنْ تَنْبِيهِ وَتَوْقِيفٍ ^(٦) ، ثُمَّ مَا يَسْتَظْهَرُ ^(٧) بِهِ مِنْ تَحْذِيرٍ وَتَخْوِيفٍ ، ثُمَّ الَّتِي لَا يَقَعُ بِحَسَمِ الدَّاءِ غَيْرُهَا :

(٢) الْحِجَا : الْعَقْل .

(١) الْمَوْقِع : الْمَقْدَر .

(٣) اعْتَاظَ مِنْهُ : أَخَذَ الْعَوْضَ وَاعْتَاظَ وَاسْتَعَاظَ فَلَانَا سَأَلَهُ الْعَوْضَ .

(٤) الْأَوْدُ هُنَا : الْأَعْوَجَاجُ .

(٥) الزَيْغُ : الْمِيلُ عَنِ الْحَقِّ .

(٦) وَقَفَهُ عَلَى الشَّيْءِ : أَفْهَمَهُ .

(٧) اسْتَظْهَرَ بِهِ : اسْتَعَاذَ .

(٨) حَسَمَهُ : قَطَعَهُ مُسْتَأْصِلًا إِيَّاهُ .

أَنَاة^(١) ، فَإِنْ لَمْ تُغْنِ عَقَبَ بَعْدَهَا وَعَيْدًا ، فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَزَائِمُهُ

وكتب إلى ابن الزيات^(٢) يستعطفه :

كَتَبْتُ وَقَدْ بَلَغَتْ الْمُدِيَّةُ^(٣) الْحَزَّ^(٤) ، وَعَدَّتِ^(٥) الْأَيَّامُ بِكَ عَلَى بَعْدِ
عَدَوَايَ^(٦) بِكَ عَلَيْهَا وَكَانَ أَسْوَأَ الظَّنِّ وَأَكْثَرَ خَوْفِي أَنْ تَسْكُنَ فِي وَقْتِ حَرَكَتِهَا
وَتَكْفُ عِنْدَ أَذَاتِهَا^(٧) ، فَصِرْتَ أَضَرَّ عَلَى مِنْهَا ؛ فَكَفَّ الصَّدِيقُ عَنْ نُصْرَتِي^(٨)
خَوْفًا مِنْكَ ، وَبَادَرَ^(٩) إِلَى الْعَدُوِّ تَقَرُّبًا إِلَيْكَ :

وَكَتَبَ تَحْتَ ذَلِكَ :

أَخُ بَيْتِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ — بِرِصَاحَبِ أَيْنَا غَلِبَا^(١٠)

(١) الأناة : الحلم والانتظار والتمهل .

(٢) ابن الزيات : أحد الوزراء والكتاب .

(٣) المدية مثلثة الميم : السكين .

(٤) الحز بفتح الميم : موضع الحز أى القطع . يقال : قطع فأصاب الحز . والحز بكسر الميم : آلة الحز . يريد أن الأمر وصل إلى غايته من الشدة .

(٥) عدت الأيام : اعتادت .

(٦) العدوى هنا : اسم مصدر أعدى فلانا على فلاح : نصره وأعانته . يريد بعد أن استعنت بك على الأيام .

(٧) الأداة : الأذى . يريد من قوله (وكان أسوأ الظن الخ . .) أنه كان يظن أن أسوأ ظنه في ابن الزيات ألا يعين الأيام عليه إذا أصابته بأذى فاذا هو أضرم عليه منها وأشدى أذى له .

(٨) النصرة : النصر وحسن المعونة .

(٩) بادر إلى الشيء : أسرع .

(١٠) يصف الصديق الذى أشار إليه بأن يكون معه حينما يكون الزمان معه ويكون عليه حينما يخونه الدهر .

صَدِيقِي مَا اسْتَقَامَ وَإِنْ نَبَا دَهْرٌ عَلَى نَبَا (١)
وَوَثَبْتُ عَلَى الزَّمَانِ بِهِ فَمَادَ بِهِ وَقَدْ وَثَبَا (٢)
وَلَوْ عَادَ الزَّمَانُ لَنَا لَعَادَ بِهِ أَخَا حَدْبَا (٣)

ثانياً - النثر العلمى

(١) أبو يوسف (٤)

قال فى كتاب « الخراج » :

وَأَنَا أَرَى أَنْ تَبَعَثَ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْعِفَافِ مِمَّنْ يُوثِقُ بِيَدَيْنِهِ وَأَمَانَتِهِ
يَسْأَلُونَ عَنْ سِيرَةِ الْعُمَّالِ وَمَا عَمِلُوا بِهِ فِي الْبِلَادِ ، وَكَيْفَ جَبَّوْا الْخَرَاجَ عَلَى مَا أُمِرُوا
بِهِ ، وَعَلَى مَا وُظِّفَ عَلَى أَهْلِ الْخَرَاجِ وَاسْتَقَرَّ ؛ فَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ عِنْدَكَ وَصَحَّ ، أَخَذُوا
بِمَا اسْتَفْضَلُوا مِنْ ذَلِكَ أَشَدَّ الْأَخْذِ حَتَّى يُؤَدُّوهُ بَعْدَ الْعُقُوبَةِ الْمَوْجِبَةِ وَالنَّكَالِ ،
حَتَّى لَا يَتَعَدَّوْا مَا أُمِرُوا بِهِ ، وَمَا عَاهَدَ إِلَيْهِمْ فِيهِ ، فَإِنَّ كُلَّ مَا عَمِلَ بِهِ وَالِى الْخَرَاجِ
مِنَ الظُّلْمِ وَالْمَسْفِ فَإِنَّمَا يُحْمَلُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ أُمِرَ بِهِ ، وَقَدْ أُمِرَ بِغَيْرِهِ ، وَإِنْ أَخْلَتَ
بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ الْعُقُوبَةَ الْمَوْجِبَةَ أَنْتَهَى غَيْرُهُ وَاتَّقَى وَخَافَ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ هَذَا بِهِمْ تَعَدَّوْا
عَلَى أَهْلِ الْخَرَاجِ وَاجْتَرَأُوا عَلَى ظُلْمِهِمْ وَتَعَسَّفِهِمْ وَأَخَذَهُمْ بِمَا لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمْ . وَإِذَا
صَحَّ عِنْدَكَ مِنَ الْعَامِلِ وَالْوَالِى تَعَدَّى بِظُلْمٍ وَعُسْفٍ وَخِيَانَةٍ لَكَ فِي رَعِيَّتِكَ وَاحْتِجَانِ

(١) نبا بصره : تجافى وتباعد . ونبا عليه الدهر : جفاه وتباعد عنه . وهذا توضيح لمعنى البيت الأول .

(٢) وثب : قفز ونهض . يقول هجمت على الزمان به فرجع عن معاونتى وهجم على الزمان
(٣) حدب عليه : تعطف . وأخ حدب بفتح الحاء وكسر الدال : شفيق . يريد أنه إذا صادقه
الزمان عاد ذلك النابى عليه صديقا له .

(٤) أبو يوسف هو القاضى يعقوب بن ابراهيم الأنصارى الكوفى أخذ الفقه عن الامام أبى حنيفة
وكان نأبها مقدما وضع كتاب (الخراج) للرشييد .

شئ من الفء ، أو خُبث طُعْمَتِهِ أو سُوء سِيرَتِهِ فحرام عليك استعماله والاستعانة به ، وَأَنْ تُقْلِدَهُ شَيْئاً من أمورِ رِعْيَتِكَ أو تُشْرِكَهُ في شئ من أَمْرِكَ ، بَلْ عَاقِبُهُ عَلَى ذَلِكَ عَقُوبَةً تَرُدُّهُ غَيْرَهُ من أَنْ يَتَعَرَّضَ لِمِثْلِ مَا تَعَرَّضَ لَهُ . وإياك ودعوة المظلوم فَإِنَّ دَعْوَتَهُ مُجَابَةٌ .

(٢) من كتاب التاج المنسوب للجاحظ^(١)

كان أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابَكٍ أَوَّلَ مَنْ رَتَّبَ النُّدَمَاءَ^(٢) وَأَخَذَ بِزِمَامِ سِيَاسَتِهِمْ ، فَجَعَلَهُمْ ثَلَاثَ طَبَقَاتٍ :

فَكَانَتِ الْأَسَاوِرَةُ^(٣) وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ فِي الطَّبَقَةِ الْأُولَى ، وَكَانَ مَجْلِسُ هَذِهِ الطَّبَقَةِ من الملكِ على عشرة أذرعٍ من السُّتَارَةِ .

ثُمَّ الطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ كَانَ مَجْلِسُهَا من هذه الطبقة على عشرة أذرعٍ (وهم بِطَانَةُ الملكِ وَنَدَمَاؤُهُ وَمَحْدُثُوهُ من أَهْلِ الشَّرَفِ وَالْعِلْمِ) .

ثُمَّ الطَّبَقَةُ الثَّالِثَةُ كَانَ مَجْلِسُهَا على عشرة أذرعٍ من الثَّانِيَةِ وَهُمْ الْمُضْحِكُونَ وَأَهْلُ الْمَزَلِ وَالْبَطَالَةِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ خَسِيسٌ الْأَصْلُ

(١) هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى . ولد بمدينة البصرة وتربى بها ودرس هناك كل ما كان ذائعا من العلوم والفنون في أيامه ولازم إبراهيم بن سيار النظام المتكلم المعتزلى وأخذ عنه حتى صار زعيم فرقة تنسب اليه وعرف كثيرا من كبار الكتاب والمترجمين والفرس وغيرهم وقرأ كل ما ترجم في زمانه ووقع عليه نظره فكان من كبار العلماء والكتاب ومات بالبصرة سنة ٢٥٥ هـ .

(٢) نادمه على الشراب منادمة : جالسه عليه . والنديم : المنادم على الشراب . والنديم أيضا الرفيق والصاحب .

(٣) أساور الفرس : هم الفرسان .

ولا وَضِيعُهُ ، ولا نَاقِصُ الجَوَارِحِ ^(١) ، ولا فَاحِشُ الطُّولِ والقِصَرِ ،
ولا مَوْوُفٌ ^(٢) ، ولا مَرْمِيٌّ بِأُبْنَةٍ ، ولا مَجْهُولُ الأَبْوَيْنِ ، ولا ابْنُ صِنَاعَةٍ
دَنِيئَةٌ كَأَبْنِ حَائِكٍ أو حَجَّامٍ ولو كان يَعْلَمُ الغَيْبَ مثلاً .

وكان أَرْدَشِيرُ يقول : « مَاشِيٌّ أَسْرَعَ في انْتِقَالِ الدُّوَلِ وَخَرَابِ المَمْلَكَةِ
من انْتِقَالِ هَذِهِ الطَّبَقَاتِ عن مَرَاتِبِهَا ، حتى يُرْفَعَ الوَضِيعُ إلى مَرْتَبَةِ الشَّرِيفِ ،
ويُحِطَّ الشَّرِيفُ إلى مَرْتَبَةِ الوَضِيعِ . وكان الذى يَقَابِلُ الطَّبَقَةَ الأولى من
الأسَاوِرَةِ وأَبْنَاءِ المُلُوكِ أَهْلُ الحَذَاقَةِ بالمُوسِيقِيَّاتِ والأَغَانِي . فَكَانُوا بِإِزَاءِ
هُؤُلَاءِ نُصِبَ خَطُ الاسْتِواءِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ الثانيةَ من نُدَمَاءِ المَلِكِ
وِبِطَانَتِهِ الطَّبَقَةَ الثانيةَ من أَصْحَابِ المُوسِيقِيَّاتِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ
الثَّالِثَةَ من أَصْحَابِ الفُكَاكِهَاتِ والمُضْحِكِينَ أَصْحَابُ الوَنَجِ ^(٣) والمعَازِفِ
والطَّنَابِيرِ ^(٤) ، وكان لَا يَزِمُ الحَاذِقُ من الزَّامِرِينَ إِلَّا على الحَاذِقِ من المَغْنِيِّينَ .
وإن أَمَرَه المَلِكُ بِذلك رَاجِعَهُ واحتِجَّ عَلَيْهِ » .

(٣) من كتاب الكامل المبرّد ^(٥)

قَالَ أَبُو العَبَّاسِ مِنْ أَمْثَالِ العَرَبِ : « لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ » يَقُولُ :
إِذَا ذَهَبَ مِنْ مَالِكَ شَيْءٌ فَحَذَّرَكَ أَنْ يَحِلَّ بِكَ مِثْلُهُ فَتَأْدِيبُهُ إِيَّاكَ عِوَضٌ مِنْ ذَهَابِهِ .

(١) الجوارح جمع جارحة وهى العضو من الانسان .

(٢) أى مصاب بأفة . الأبنة : العيب .

(٣) كلمة فارسية معربة والعرب تقول الون بتشديد النون وهى الصنج آلة من آلات الطرب .

(٤) الطنبور والطنبار : من الآلات الموسيقية التى أخذها العرب عن الفرس .

(٥) المبرّد هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي . ولد فى البصرة وانتقل الى بغداد وكان قوى
الذاكرة سريع الحفظ يعد من شيوخ النحو والأدب له جملة مصنفات منها كتاب الكامل الذى
يمزج الأدب باللغة والتاريخ ويعد من أمهات الكتب الادبية . وقد مات المبرّد سنة ٢٨٦ هـ .

ومن أمثالهم : « رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا » وَتَأْوِيلُهُ أَنَّ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ فَلَا يُحْكِمُهُ لِلإِسْتِعْجَالِ بِهِ ، فَيَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَعُودَ فَيَنْقُضَهُ ، ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ . وَالرَّيْثُ : الإِبْطَاءُ ، وَرِاثَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ : إِذَا تَأَخَّرَ . ومن أمثال العرب : « عَشَّ وَلَا تَغْتَرَّ » وَأَصْلُ ذَلِكَ أَنَّ يَمُرَّ صَاحِبُ الْإِبِلِ بِالْأَرْضِ الْمُسْكِنَةِ ^(١) فَيَقُولُ : أَدْعُ أَنْ أَعْشَى إِلَى مِنْهَا حَتَّى أُرِدَ عَلَى أُخْرَى ، وَلَا يَدْرِي مَا الَّذِي يَرُدُّ عَلَيْهِ . وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُمْ : « أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ بِمَاءٍ ^(٢) أَكْيَسُ » وَتَأْوِيلُهُ أَنَّ يَمُرَّ الرَّجُلُ بِالْمَاءِ فَلَا يَحْمِلُ مِنْهُ اتِّكَالًا عَلَى مَاءٍ آخَرَ يَصِيرُ إِلَيْهِ ؛ فَيُقَالُ لَهُ : أَنْ تَحْمِلَ مَعَكَ مَاءً أَحْزَمَ لَكَ ، فَإِنْ أَصَبْتَ مَاءً آخَرَ لَمْ يَضُرَّكَ ، فَإِنْ لَمْ تَحْمِلْ نَخَفْتَ مِنَ الْمَاءِ عَطِبْتَ ^(٣) . وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ : « قَدْ أَحْزَمْتُ لَوْ أُعْزِمُ » يَقُولُ : أَعْرِفُ وَجْهَ الْحَزْمِ فَإِنْ عَزَمْتُ فَأَمْضَيْتُ الرَّأْيَ فَأَنَا حَازِمٌ ، وَإِنْ تَرَكْتُ الصَّوَابَ وَأَنَا أَرَاهُ وَضِيعْتُ الْعَزْمَ لَمْ يَنْفَعْنِي حَزْمِي . وَمِثْلُهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِي :

أَبَى لِي الْبَلَاءُ وَأَنْنَى أَمْرُؤُ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أَرْتَبِ

وَقَالَ أَعْرَابِي يَمْدَحُ سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ :

وَأَوْقَفُ عِنْدَ الْأَمْرِ مَا لَمْ يَضِحْ لَهُ وَأَمْضَى إِذَا مَا شَكَّ مَنْ كَانَ مَاضِيًا ^(٤)

فَالَّذِي يُحَمَّدُ إِمْضَاءَ مَا تَبَيَّنَ رُشْدُهُ ، فَأَمَّا الْإِقْدَامُ عَلَى ^(٥) الْغَرَرِ ، وَرُكُوبِ الْأَمْرِ عَلَى الْخَطَرِ ، فَلَيْسَ بِمَحْمُودٍ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ .

(١) أَكَلَاتِ الْأَرْضِ : كُلُّهَا الْكَلَا : الْعُشْبُ رَطْبًا وَيَابَسًا .

(٢) بِمَاءٍ أَيْ مَعَ مَاءٍ . وَالْكِياسَةُ : الْفُطَانَةُ . وَرَجُلٌ كَيْسٌ : فَطِنٌ . وَالْأَكْيَسُ : اسْمٌ تَفْضِيلٌ مِنْهُ .

(٣) عَطِبْتُ : هَلَكْتُ .

(٤) أَوْقَفَ اسْمٌ تَفْضِيلٌ مِنَ (الْوُقُوفِ) وَوَضَحَ الْأَمْرَ (يُضَحُّ) : انْكَشَفَ وَبَانَ . مَضَى عَلَى الْأَمْرِ : أَتَمَّهُ . يَقُولُ أَنَّهُ أَشَدُّ تَحَرُّجًا مِنَ الْمَضَاءِ فِي الْأَمْرِ إِذَا مَا يَتَبَيَّنُ لَهُ وَجْهَ الصَّوَابِ فِيهِ ؛ عَلَى أَنْ لَهُ مِنَ الْفُطْنَةِ وَالْأَلَمِيَّةِ مَا يَبْعَثُهُ عَلَى الْمَضَاءِ رَاشِدًا فِي حِينٍ يَمَعْنِي غَيْرُهُ .

(٥) الْغَرَرُ بَفَتْحِ الْغَيْنِ وَالرَّاءِ : التَّعْرِيزُ لِلْهَلَاكِ .

(٤) من تاريخ الأمم والملوك للطبرى^(١)

« خلافة الأمين »

وفي هذه السنة (١٩٣ هـ) بُويعَ لِمُحَمَّدِ الْأَمِينِ بْنِ هَارُونَ بِالْخِلَافَةِ فِي عَسْكَرِ الرَّشِيدِ ، وَعَبَدُ اللَّهِ بْنُ هَارُونَ الْمَأْمُونُ يَوْمَئِذٍ بِمَرَوْ ، وَكَانَ فِيَا ذِكْرٌ قَدْ كَتَبَ خَمَوِيهِ مَوْلى الْمَهْدِيِّ صَاحِبُ الْبَرِيدِ بِطُوسٍ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ سَلَامَ مَوْلَاهُ وَخَلِيفَتِهِ بِبَغْدَادٍ عَلَى الْبَرِيدِ وَالْأَخْبَارِ يُعْلِمُهُ وَفَاةَ الرَّشِيدِ . فَدَخَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ فَعَزَّاهُ وَهَنَّاهُ بِالْخِلَافَةِ . وَكَانَ أَوَّلَ النَّاسِ فَعَلَ ذَلِكَ . ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ رَجَاءُ الْخَادِمِ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ لِأَرْبَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ خَلَتْ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ : كَانَ صَالِحُ بْنُ الرَّشِيدِ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ بِالْخَبَرِ بِذَلِكَ ، وَقِيلَ لَيْلَةَ الْخَمِيسِ لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ ، فَأَظْهَرَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَسَرَّ خَبْرَهُ بِقِيَّةِ يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ ، وَخَاضَ النَّاسُ فِي أَمْرِهِ ، وَلَمَّا قَدِمَ كَتَابُ صَالِحٍ عَلَى مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ مَعَ رَجَاءِ الْخَادِمِ بِوَفَاةِ الرَّشِيدِ . وَكَانَ نَازِلًا فِي قَصْرِهِ بِالْخُلْدِ ، تَحَوَّلَ إِلَى قَصْرِ أَبِي جَعْفَرٍ بِالْمَدِينَةِ ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالْحُضُورِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ فَحَضَرُوا وَصَلَّى بِهِمْ فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ صَعِدَ الْمَنبَرَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَنَعَى الرَّشِيدَ إِلَى النَّاسِ وَعَزَّى نَفْسَهُ وَالنَّاسَ ، وَوَعَدَهُمْ خَيْرًا وَبَسَطَ الْأَمَالَ ، وَأَمَّنَ الْأَسْوَدَ وَالْأَبْيَضَ ، وَبَايَعَهُ جَلَّةُ أَهْلِ بَيْتِهِ وَخَاصَّتُهُ وَمَوَالِيهِ وَقَوَّادِهِ ، ثُمَّ دَخَلَ وَوَكَّلَ بَيْعَتِهِ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ عَمَّ أَبِيهِ سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي جَعْفَرٍ فَبَايَعَهُمْ

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . ولد في طبرستان ، ورحل الى بغداد وغيرها في طلب العلم حتى صار من علماء الدين وأئمة البلاغة . له مؤلفات أشهرها تفسير القرآن وكتاب التاريخ الذي اقتبسنا منه هذه القلدة . وقد توفي سنة ٢٢٠ هـ .

وأمر السُّنْدِيَّ بِمِائَةِ جَمِيعِ النَّاسِ مِنَ الْقَوَادِ وَسَائِرِ الْجُنُودِ ، وَأَمَرَ لِلْجُنْدِ مِمَّنْ
بِمَدِينَةِ السَّلَامِ بِرِزْقٍ أَرْبَعَةٍ وَعَشْرِينَ شَهْرًا ، وَبِحَوَاصِ مَنْ كَانَتْ لَهُ خَاصَّةٌ
لِهَذِهِ الشُّهُورِ .

(٥) من كتاب ألف ليلة وليلة

وهو من أشهر الكتب القصصية وأكبرها

له أصل فارسي يعد نواة له يسمى (هزار افسافه) .

حكاية خالد بن عبد الله القسري مع الشاب السارق

ومما يُحْكِي أَنَّ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيَّ كَانَ أَمِيرَ الْبَصْرَةِ . فَجَاءَ إِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مُتَعَلِّقُونَ
بِشَابٍ ذِي جَمَالٍ بَاهِرٍ ، وَأَدَبٍ ظَاهِرٍ ، وَعَقْلٍ وَافِرٍ ، وَهُوَ حَسَنُ الصُّورَةِ دَلِيبِ
الرَّائِحَةِ ، وَعَلَيْهِ سَكِينَةٌ وَوَقَارٌ ، فَقَدَّمُوهُ إِلَى خَالِدٍ فَسَأَلَهُمْ عَنْ قِصَّتِهِ ، فَقَالُوا هَذَا لِصِّ
أَصْبَنَاهُ^(١) الْبَارِحَةَ فِي مَنْزِلِنَا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ خَالِدٌ فَأَعْجَبَهُ حَسَنُ هَيْئَتِهِ وَنِظَافَتِهِ . فَقَالَ :
خَلُّوا عَنْهُ^(٢) . ثُمَّ دَنَا مِنْهُ ، وَسَأَلَهُ عَنْ قِصَّتِهِ فَقَالَ : إِنَّ الْقَوْمَ صَادِقُونَ فِيمَا قَالُوهُ
وَالْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرُوا . فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : مَا حَمَلَكَ عَلَى ذَلِكَ وَأَنْتَ فِي هَيْئَةٍ جَمِيلَةٍ وَصُورَةٍ
حَسَنَةٍ ؟ قَالَ : حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ الطَّمَعُ فِي الدُّنْيَا وَقِضَاءُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . فَقَالَ لَهُ
خَالِدٌ : ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ^(٣) ! أَمَا كَانَ لَكَ فِي جَمَالٍ وَجْهٍ وَكَمَالٍ عَقْلٍ وَحَسَنٍ أَدَبٍ
زَاجِرٌ يَزْجُرُكَ عَنِ السَّرْقَةِ . قَالَ : دَعَّ عَنْكَ هَذَا أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! وَامْضِ^(٤) إِلَى مَا أَمَرَ
اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَذَلِكَ بِمَا كَسَبْتُ يَدَايَ ، وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ . فَسَكَتَ خَالِدٌ سَاعَةً

(١) أَصْبَنَاهُ : أَدْرَكَنَاهُ .

(٢) خَلَّى عَنِ الْأَمْرِ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ الْمَفْتُوحَةِ : تَرَكَهُ .

(٣) ثَكَلَتْ الْمَرْأَةُ ابْنَهَا : فَقَدَتْهُ ، وَهِيَ تُكَلِّى كَلِمَةً لِلدُّعَاءِ عَلَى الْإِنْسَانِ ، وَقَدْ تَسْتَعْمَلُ لِلْعَجَابِ

بِالرَّجُلِ . .

(٤) أَيُّ نَفَذَهُ .

يفكر في أمر الفتى ، ثم أدناه منه وقال له : إن اعترافك على رؤوس الأشهاد قد رابني وأنا ما أظنك سارقاً ، ولعل لك قصة غير السرقة فأخبرني بها . قال أيها الأمير : لا يقع في نفسك شيء سوى ما اعترفت به عندك وليس لي قصة أشرحها إلا أني دخلت دار هؤلاء فسرقته ما أمكنني ، فأدر كوني ، وأخذوه مني وحملوني إليك . فأمر خالد بحبسه ، وأمر منادياً ينادى بالبصرة : ألا من أحب أن ينظر إلى عقوبة فلان اللص وقطع يده فليحضر من الغداة إلى المحلّ الفلاني . فلما استقر الفتى في الحبس ووضعوا في رجله الحديد تنفس^(١) الصعداء وأفاض العبرات . وأنشد هذه الأبيات :

هَدَدَنِي خَالِدٌ بِقَطْعِ يَدَيَّ إِذْ لَمْ أَبْحُ عِنْدَهُ بِقِصَّتِهَا
فَقُلْتُ هَيْهَاتَ أَنْ أَبُوحَ بِمَا تَضُمَّنَ الْقَلْبُ مِنْ مَحَبَّتِهَا !
قَطْعُ يَدَيَّ بِالَّذِي اعْتَرَفْتُ بِهِ أَهْوَنُ لِلْقَلْبِ مِنْ فَضِيحَتِهَا

فَسَمِعَ ذَلِكَ الْمُوَكَّلُونَ بِهِ ، فَأَتَوْا خَالِدًا وَأَخْبَرُوهُ بِمَا حَصَلَ مِنْهُ . فَلَمَّا جَنَّ^(٢) الليلُ أَمَرَ بِإِحْضَارِهِ عِنْدَهُ ، فَلَمَّا حَضَرَ اسْتَنْطَقَهُ فَرَّاهُ عَاقِلًا أَدِيبًا فَطَنًا ظَرِيفًا^(٣) لَبِيبًا . فَأَمَرَ لَهُ بِطَعَامٍ ، فَأَكَلَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ لَهُ خَالِدٌ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ لَكَ قِصَّةَ غَيْرِ السَّرْقَةِ فَإِذَا كَانَ الصَّبَاحُ وَحَضَرَ النَّاسُ وَحَضَرَ الْقَاضِي وَسَأَلَكَ عَنِ السَّرْقَةِ فَأَنْكَرَهَا ، وَإِذَا كُرِّمَ مَا يَدْرَأُ^(٤) عَنْكَ حَدَّ الْقَطْعِ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) الصعداء : التنفس الطويل من هم أو تعب .

(٢) جن الليل : أظلم .

(٣) فطن للأمر : أدركه وحقق فيه فهو فطن : الظرف : الكياسة والحدق والبراعة . ورجل

(ظريف) : بارع كيس .

(٤) يدرأ عنك : يدفع عنك .

صلى الله عليه وسلم : « اذَرُوا الْخُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ » ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ .
(وَأَذْرَكَ ثُمَّ زَادَ الصَّبَاحُ فَسَكَتَتْ عَنِ الْكَلَامِ الْمُبَاحِ) .

(وَفِي لَيْلَةٍ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ وَثَلَاثِينَ) قَالَتْ : بَلَّغْنِي أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ أَنَّ خَالِدًا بَعْدَ أَنْ تَحَدَّثَ مَعَ الشَّابِّ أَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ فَمَكَثَ فِيهِ لَيْلَتَهُ ، فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ حَضَرَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ قَطَعَ يَدَ الشَّابِّ ، وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ فِي الْبَصْرَةِ . ثُمَّ اسْتَدْعَى بِالْقَضَاةِ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْفَتَى ، فَأَقْبَلَ يَحْجِلُ^(١) فِي قِيُودِهِ وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا بَكَى عَلَيْهِ ، وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُ النِّسَاءِ بِالنَّحِيبِ ، فَأَمَرَ الْقَاضِي بِتَسْكِيَتِ النِّسَاءِ . ثُمَّ قَالَ : إِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ دَخَلْتَ دَارَهُمْ وَسَرَقْتَ مَالَهُمْ فَلَعَلَّكَ سَرَقْتَ دُونَ النَّصَابِ^(٢) ؟ قَالَ : بَلْ سَرَقْتُ نِصَابًا كَامِلًا . قَالَ : لَعَلَّكَ شَرِيكُ الْقَوْمِ فِي شَيْءٍ مِنْهُ ؟ قَالَ : بَلْ هُوَ جَمِيعُهُ لَهُمْ لَا حَقَّ لِي فِيهِ . فَغَضِبَ خَالِدٌ ؛ وَقَامَ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، وَضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ بِالسَّوْطِ وَقَالَ مُتَمَثِّلًا بِهَذَا الْبَيْتِ :

يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا مَا يُرِيدُ

ثُمَّ دَعَا بِالْجُزَّارِ لِيَقْطَعَ يَدَهُ فَحَضَرَ وَأَخْرَجَ السَّكِينِ وَمَدَّ يَدَهُ وَوَضَعَ عَلَيْهَا السَّكِينِ ، فَبَادَرَتْ جَارِيَةً مِنْ وَسْطِ النِّسَاءِ عَلَيْهَا أَطْمَارُ^(٣) وَسِخَةٌ فَصَرَخَتْ وَرَمَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَسْفَرَتْ عَنْ وَجْهِ كَأَنَّهُ الْقَمَرُ ، وَارْتَفَعَ

(١) حجل (يحجل): رفع رجلا ومشى مترشحا على الأخرى .

(٢) نصاب السرقة : ما يجب فيه قطع اليد .

(٣) الطمر بكسر الطاء وسكون الميم : الثوب البالى والجمع أطمار .

في الناس ضجة عظيمة ، وكاد أن يقع بسبب ذلك فتنة طائفة الشرر ،
ثم نادَتْ تلك الجارية بأعلى صوتها ناشدتك^(١) الله أيها الأمير ! لا تعجل
بالقطع حتى تقرأ هذه الرقعة^(٢) ، ثم دفعت إليه رقعة ففتحها خالد
وقراها فإذا مكتوب فيها هذه الأبيات :

أخالد هذا مستهام^(٣) متمم^(٤) رمته لحاظي عن قسي الحمالق^(٥)
فأصمائه^(٥) سهم اللّحظ مني لأنه حليف جوى^(٦) من دائه غير فائق
أقر بما لم يقتطفه كأنه رأى ذاك خيراً من هتيكة^(٧) عاشق
فمهلاً عن الصب الكئيب ؛ فإنه كريم السجايا في الوري غير سارق

فلما قرأ خالد الأبيات تنحى ، وأنفرد عن الناس ، وأحضر المرأة
ثم سألها عن القصة فأخبرته بأن هذا الفتى عاشق لها ؛
وهي عاشقة له . وإنما أراد زيارتها فتوجه إلى دار أهلها ورعى حجراً
في الدار ليعلمها بمجيئه فسمع أبوها وإخوتها صوت الحجر
فصعدوا إليه . فلما أحس بهم جمع قماش^(٨) البيت كله وأراهم أنه سارق

(١) ناشده الله : استحلفه وأقسم عليه بالله .

(٢) الرقعة هنا : القطعة من الورق التي يكتب فيها .

(٣) مستهام : مخلوب العقل من الحب .

(٤) حمالق العين بضم الحاء وسكون الميم : وحلقها بكسر الحاء باطن أجفانها ، والجمع حمالق
وحماليق والمراد نفس العيون .

(٥) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

(٦) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق . والحليف : الملازم . يقال فلان حليف جود أي
ملازم للجود .

(٧) الهتيكة : الفضيحة .

(٨) قماش البيت : أمتعته .

سَتْرًا عَلَى مَعْشُوقَتِهِ . فلما رَأَوْهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ أَخَذُوهُ . وَقَالُوا : هَذَا سَارِقٌ .
وَأَتَوْا بِهِ إِلَيْكَ فَاعْتَرَفَ بِالسَّرْقَةِ وَأَصْرًا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى لَا يَفْضَحَنِي ، وَقَدْ ارْتَكَبَ
هَذِهِ الْأُمُورَ مِنْ رَمَى نَفْسِهِ بِالسَّرْقَةِ لِفَرَطِ مُرُوءَتِهِ ، وَكَرَمِ نَفْسِهِ ، فَقَالَ خَالِدٌ :
إِنَّهُ لَخَلِيقٌ بَأْنٌ يُسَمَفَ بِمُرَادِهِ ، ثُمَّ اسْتَدْعَى الْفَتَى إِلَيْهِ فَقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ،
وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ أَبِي الْجَارِيَةِ ، وَقَالَ لَهُ : يَا شَيْخُ ، إِنَّا كُنَّا عَزَمْنَا عَلَى إِنْفَازِ
الْحُكْمِ فِي هَذَا الْفَتَى بِالْقَطْعِ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ حَفِظَهُ مِنْ ذَلِكَ .
وَقَدْ أَمَرْتُ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ لِبَدْلِهِ يَدُهُ حِفْظًا لِعَرْضِكَ وَعِرْضِ بَنَتِكَ
وَصِيَانَتِكُمَا مِنَ الْعَارِ . وَقَدْ أَمَرْتُ لَا بَنَتِكَ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ حَيْثُ أَخْبَرْتَنِي
بِحَقِيقَةِ الْأَمْرِ . وَأَنَا أَسْأَلُكَ أَنْ تَأْذِنَ لِي فِي تَزْوِيجِهَا مِنْهُ ، فَقَالَ الشَّيْخُ :
أَيُّهَا الْأَمِيرُ ! قَدْ أَذِنْتُ لَكَ فِي ذَلِكَ ! فَحَمِدَ اللَّهُ خَالِدًا وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَخَطَبَ
خُطْبَةً حَسَنَةً ، (وَأَذْرَكَ شَهْرَ زَادَ الصَّبَاحُ فَسَكَتَتْ عَنِ الْكَلَامِ الْمُبَاحِ) .

(ب) الشعر

(١) بشار بن برد^(١)

قال بشار بن برد يهجو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وقد
استمنحه فلم يمنحه :

ظِلُّ اليسار على العباس ممدود وقلبه أبداً بالبخل مَمْعُود^(٢)
إِنَّ الكريمَ ليخفي عنك عُسرته حتى تراه غنياً وهو مجهود^(٣)
وَللبخيل على أمواله عِللٌ زُرُقُ العيون عليها أوجهٌ سود^(٤)

(١) هو أبو معاذ بشار بن برد ، أصل آبائه من بلاد الفرس ، وقع عليهم سبى قال ملك
أبى بشار لبني عقيل وفيهم ولد بشار . ولما كبر صار يختلف الى أعراب البصرة حتى أخذ منهم
العربية وتعلم الشعر ونبغ فيه ، وقد ولد أعمى ثم أصابه الجدرى فصار قبيح المنظر ، ولكنه
كان شديد الذكاء واسع الخيال ذا ملكة في الشعر قوية ، يعد من أكبر شعراء عصره وفي مقدمة
المحدثين وأهل الافتنان ، ومن أصحاب المعاني المخترعة في الشعر العربي ، وكان كثير الهجاء للناس
ماجناً ، متهماً في دينه بالزندقة ، لايبالي ما يقول ولا ما يفعل ، ولا ما يرتكب من التهتك والكلام
في أعراض الناس . وقد تصرف بشار في فنون الشعر ومعانيه ، وذاع شعره في زمانه ، وصار
اماماً بين الشعراء ، وكان لأسلوبه قوة معروفة وجمال ممتاز ، وقد مات مقتولاً سنة ١٦٧ هـ .

(٢) اليسار : الفى . مَمْعُود بالبخل : مجتمع عليه ملازم له .

(٣) العسرة : الفقر . المجهود : المتعب من قلة المال .

(٤) عِلل جمع علة بالكسر أى حجة وعذر يمنعه الكرم . ويريد بالشرط الثانى أنها حجج
بغیضة كريهة .

إذا تَكَرَّهْتَ أَنْ تُعْطِيَ الْقَلِيلَ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ (١)
أَوْ رِقَ بَخِيرٍ تُرْجَى لِلنَّوَالِ ؛ فَمَا تُرْجَى الثَّمَارُ إِذَا لَمْ يُورَقِ الْعُودُ (٢)
بُثَّ النَّوَالُ ، وَلَا تَمْنَعُكَ قَلَّتُهُ ؛ فَكُلْ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُود
وَقَالَ يَتَغَزَّلُ وَقَدْ نَهَاهُ الْخَلِيفَةُ الْمَهْدَى عَنِ الْغَزْلِ :

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ فَدَيْتُهُ
بَعَثْتُ إِلَى تَسْوَمُنِي ثَوْبَ الشَّبَابِ ، وَقَدْ طَوَيْتُهُ (٣)
وَاللَّهِ رَبِّ مُحَمَّدٍ مَا إِنْ غَدَرْتُ ، وَلَا نَوَيْتُهُ (٤)
أَمْسَكْتُ عَنْكَ ، وَرَبِّمَا عَرَضَ الْبَلَاءُ ، وَمَا ابْتَغَيْتُهُ
إِنْ الْخَلِيفَةُ قَدْ أَبَى وَإِذَا أَبَى شَيْئًا أَبَيْتُهُ
وَمُخَضَّبٍ رَخِصَ الْبِنَا نِ بَكَى عَلَيَّ ؛ وَمَا بَكَيْتُهُ (٥)
وَيَشُوقُنِي بَيْتُ الْحَبِيبِ إِذَا اذْكُرْتُ ، وَأَيْنَ بَيْتُهُ (٦)
قَامَ الْخَلِيفَةُ دُونَهُ ؛ فَصَبَرْتُ عَنْهُ ، وَمَا قَلَيْتُهُ (٧)
وَنَهَانِي الْمَلِكُ الْهَمَامَا مُ عَنْ النَّسَاءِ ، وَمَا عَصَيْتُهُ (٨)

(١) تَكَرَّهْتَ الشَّيْءَ : تَسَخَّطَهُ وَفَعَلْتَهُ عَلَى كَرِهٍ . السَّعَةُ هُنَا : الْعَطَاءُ الْكَثِيرُ ، أَيْ إِذَا تَأَخَّرْتَ عَنْ بَذْلِ الْقَلِيلِ ، وَلَسْتَ قَادِرًا عَلَى بَذْلِ الْكَثِيرِ فَلَا يَظْهَرُ لَكَ عَطَاءٌ .

(٢) أَوْ رِقَ الشَّجَرُ : ظَهَرَ وَرَقُهُ . النَّوَالُ : الْعَطَاءُ ، يُسْأَلُهُ أَظْهَارُ الْعَطَاءِ وَلَوْ قَلِيلًا ، فَانْهَذَا لَمْ يَعْطِ الْقَلِيلَ لَا يَرْجَى مِنْهُ الْكَثِيرُ .

(٣) تَسْوَمُنِي ثَوْبَ الشَّبَابِ : تَرْغِبُ أَنْ أَغَازِلَهَا .

(٤) نَوَيْتُهُ : أَيْ الْفَدْرُ .

(٥) الْمُخَضَّبُ : الْمُلَوَّنُ بِالْخَضَابِ . رَخِصَ : لِينُ نَاعِمٍ . الْبِنَانُ : أَطْرَافُ الْأَصَابِعِ ، جَمْعُ بِنَانَةٍ .

(٦) يَشُوقُنِي : يَهْجِنُنِي : اذْكُرْتُ : تَذَكَّرْتُ .

(٧) قَلَيْتُهُ : أَبْغَضْتُهُ .

(٨) الْهَمَامَا : الْمَلِكُ الْعَظِيمُ الْهَمَةُ .

لا بل وفيت ، فلم أضع عهداً ، ولا رَأياً رأيتُهُ^(١)
 وأنا المَطْلُ على العِدا وَإِذَا غَلَاَ الحمدُ اشتريته^(٢)
 أَصْفَى الخليل إِذَا دنا وَإِذَا نَأَى عَنى نَأَيْتُهُ^(٣)
 وَأَمِيلُ فِي أَنَسِ النَّدَى مِنْ الحياءِ ، وما اشتهيته^(٤)
 قال يرثى ولداً له :

جَارَتَنَا لَا تَجْزَعِي وَأُنْبِي أَتَانِي مِنَ الْمَوْتِ الْمَطْلُ نَصْنِي^(٥)
 بُنَى عَلَى رَغْمِي وَسُخْطِي رُزْنَتُهُ وَبَدَّلَ أَحْجَاراً وَجَالَ قَلْبِي^(٦)
 وَكَانَ كَرِيحَانِ الْفُصُونِ تَخَالَهُ ذَوَى بَعْدَ إِشْرَاقٍ يَسِرُ وَطِيبِ^(٧)
 أَصِيبَ بُنَى حِينَ أَوْرَقَ غُصْنُهُ وَأَلْقَى عَلَى الْهَمِّ كُلُّ قَرِيبِ
 عَجِبْتُ لِإِسْرَاعِ الْمَنِيَّةِ نَحْوَهُ وَمَا كَانَ لَوْ مُلِّيتُهُ بَعَجِيبِ^(٨)
 ومن قوله يصف جيشاً من قصيدة بها يمدح عمر بن هُبَيْرَةَ حين
 وفد عليه بالعراق :

جَيْشٌ كَجُنْحِ اللَّيْلِ يَزْحَفُ بِالْخَصَى وَبِالشَّوْكِ وَالْخَطَى مُهْمَرٌ ثَعَالِبُهُ^(٩)

(١) النأى : البعد .

(٢) المَطْلُ على العدا : المستمر في ايدائهم . الحمد : الثناء . يقول : اتنى مع خضوعي لأمر
 الخليفة لازلت قويا على العدو كريما أشتري الثناء ببذل المال .

(٣) أَصْفَى الخليل : أخلص له الود . دنا : قرب . نأيتُهُ : بعدت عنه .

(٤) يميل في أَنَسِ النَّدَى : يقوم بمؤانسته . النديم : الرفيق والمصاحب . وهو أيضا المشاركون
 في الشراب . اشتهيته : رغبت فيه ؛ يصف نفسه بكرم الخلق وحسن المجاملة .

(٥) أُنْبِي : أرجى الى هداك . المَطْلُ : المؤذى . يقول لجارته لتكن في مصيبتى أسوة لك وعزاء

(٦) رُزْنَتُهُ : فقدته : الجال : الجانب . القليب : البئر . والمراد هنا القبر .

(٧) ذوى الفصن : يبس . الاشراف هنا : النضارة .

(٨) مليته : نعمت بقلائه .

(٩) جنح الليل : قسم منه . الخطى : الرمح نسبة الى الخط مكان تباع فيه الرماح . ثعالب :
 جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في السنان . وهى حجر من دماء الاعداء .

غَدَوْنَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خِدرِ أُمِّهَا تَطَالِعُنَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَائِبُهُ (١)
 بِضَرْبٍ يَذوقُ الموتَ مِنْ ذَاقِ طَعْمِهِ وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارَ مُثَالِبُهُ (٢)
 كَأَنَّ مُشَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا وَأُسَيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ (٣)
 بَعَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفُجَاءَةِ ، إِنَّا بَنُو الْمَوْتِ خَفَاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهُ (٤)
 فَرَاخُوا فَرِيقٌ فِي الْإِسَارِ وَمِثْلُهُ قَتِيلٌ وَمِثْلٌ لَازٍ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ (٥)
 إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ مَشِينًا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نَعَاتِبُهُ (٦)

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ (٧)
 فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ (٨)
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصِفُو مَشَارِبُهُ (٩)

- (١) غدونا : خرجنا أول النهار . الخدر الستر أو المنزل . تطالعنا : تطلع علينا حين شروقها . والطل هنا : الندى .
- (٢) بضرب متعلق بغدونا في البيت قبله . مثالب جمع مثلبة : العيب وهي فاعل تدرك . ونجى نجاه بحذف العائد يقول : ان غدونا بين رجلين ميت من ضربنا ، وفار لحقه العار والمسبة .
- (٣) النقع : الغبار تثيره الحروب . تهاوى : تتساقط . يشبه حركات السيوف وسط الغبار بالليل تتساقط نجومه وهو تشبيه جيد .
- (٤) الفجاءة : البغطة . السبائب : جمع سبيبة وهي الشقة الرقيقة من الكتان . والمراد هنا أعلام الجيش المحارب ، كناية عن أنهم رجال حرب شجعان .
- (٥) الأسار : الأسر . يريد أن جيش العدو توزع بين الأسر والقتل والهرب .
- (٦) صعر خده : أماله عن النظر الى الناس كبرا عليهم وزراية بهم . نعاتبه بالسيوف : نقاتله .
- (٧) إذا حاسبت الناس على جميع هفواتهم فانك لن تستصفي في الناس صديقا اذ لا يسلم أحد من الهفوات .
- (٨) مقارف الذنب : مخالطه وفاعله .
- (٩) القذى : ما يقع في العين أو الشراب من تبين ونحوه . أى إذا لم تتحمل الحياة على ما بها من نقص تعبت وليس في الدنيا انسان كامل الخلال .

(٢) قال السَّيِّدُ الحُمَيْرِيُّ^(١) يخاطب أبا عبد الله السفّاح

لما استقام الأمر لبني العباس

دُونَكُمْوْهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ فَجَدَّدُوا مِنْ عَهْدِهَا الدَّارِيسَا^(٢)

دُونَكُمْوْهَا فَالْبَسُوا تَاجَهَا لَا تَعْدَمُوا مِنْكُمْ لَهُ لَابِيسَا^(٣)

لَوْ خَيْرَ الْمَنِيرِ فُرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِيسَا^(٤)

قَدْ سَاسَهَا قَبْلَكُمْ سَاسَةً لَمْ يَتْرَكُوا رَطْبًا وَلَا يَابِيسَا^(٥)

وَلَسْتُ مِنْ أَنْ تَمْلِكُوهَا إِلَى مَهِيْطٍ عَيْسَى فَيَكُمُ آيسَا^(٦)

(١) هو اسماعيل بن محمد اليمنى ، علوى المذهب مخلص له ، غالى فيه ، ظل حياته يمدح عليا وآله ، ويسبب الصحابة حتى توفى سنة ١٧٠ هـ .

(٢) درس : بلى وانمحي .

(٣) البيت : دعاء لبني العباس بدوام الخلافة فيهم .

(٤) فرسان المنبر : من يعتلونونه من الخلفاء .

(٥) ساس الأمور يسوسها : تولاها وتدبرها ، فهو سائس والجمع ساسة . ولم يتركوا رطبا ولا يابسا ، أى أنهم تركوا البلاد خرابا بسوء سياستهم وقبح رأيهم ، وهو يريد بنى أمية .

(٦) آيس فهو (آيس) : قنط وقطع الرجاء ، يريد أنه ليس يائسا من بقاء الخلافة فيهم الى

أن يهبط عيسى عليه السلام فى آخر الزمان .

وقال :

ما جَرَتْ خَطْرَةٌ عَلَى الْقَلْبِ مِنِّي فِيكَ إِلَّا اسْتَرْتُ عَنْ أَصْحَابِي
مِنْ دُمُوعٍ تَجْرِي فَإِنْ كُنْتُ وَجَدِي خَالِيًا ، أَسْعَدْتُ دُمُوعِي انْتِحَابِي ^(١)
إِنَّ حُبِّي إِيَّاكَ قَدْ سَلَّ رِجْسِي وَرَمَانِي بِالشَّيْبِ قَبْلَ الشَّيْبِ ^(٢)
لَوْ مَنَحْتَ اللِّقَاءَ ! كَفَى بِكَ صَبًّا هَائِمَ الْقَلْبِ قَدْ ثَوَى فِي التُّرَابِ ^(٣)

وقال في علي بن أبي طالب رضى الله عنه :

سَائِلُ قُرَيْشًا إِذَا مَا كُنْتُ ذَا عَمَةٍ مَنْ كَانَ أَثْبَتَهَا فِي الدِّينِ أَوْ تَادَا ^(٤)
مَنْ كَانَ أَعْلَمَهَا عِلْمًا وَأَحْلَمَهَا حِلْمًا وَأَصْدَقَهَا قَوْلًا وَمِيعَادَا
إِنْ يَصْدُقُوكَ فَلَنْ يَمْدُؤُوا أَبَا حَسَنِ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَلَقَ لِلْأَبْرَارِ حُسَادَا ^(٥)

(١) أَسْعَدَهُ عَلَى الْأَمْرِ : عَاوَنَهُ . وَالْإِنْتِحَابُ : الْبُكَاءُ الشَّدِيدُ .

(٢) سَلَّهُ : أَهْزَلَهُ وَأَضْعَفَهُ .

(٣) الصَّبُّ : الْعَاشِقُ ذُو الْوَلَعِ الشَّدِيدِ ، وَثَوَى بِالْمَكَانِ يَثْوِي بِكَسْرِ أَوَاوِ وَثَوَاءَ : أَقَامَ . وَالثَّوَى

فِي التُّرَابِ : الْمَيِّتُ ؛ يَرِيدُ بِالصَّبِّ الْهَائِمَ الْمَيِّتَ نَفْسَهُ مِبَالِغَةً فِيمَا أَضْنَاهُ مِنَ الْحُبِّ .

(٤) الْعَمَةُ ، بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَالْمِيمِ : عَمَى الْبَصِيرَةَ ، وَالْأَوْتَادُ : جَمْعُ وَتَدٍ وَهُوَ مَادِقٌ فِي الْحَائِطِ أَوِ الْأَرْضِ

مِنْ خَشَبٍ وَنَحْوِهِ لِيَرْبُطَ بِهِ غَيْرَهُ وَهُوَ أَيْضًا الْجَبَلُ .

(٥) يَصْدُقُوكَ بضم الدال : يَقُولُونَ لَكَ الصَّدَقَ . وَيَمْدُؤُوا يَتَجَاوَزُوا . هُوَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ

أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . الْأَبْرَارُ : جَمْعُ بَرٍّ بَفَتْحِ الْبَاءِ : الصَّالِحِ وَنَحْوِهِ .

وكتب إلى يزيد بن مذعور مولى أبي بجير أمير الأهواز :

قِفْ بالديارِ وَحَيْثُهَا يَا مَرْبُعُ وَاسْأَلْ وَكَيْفَ يُجِيبُ مَنْ لَا يَسْمَعُ^(١)
 إِنَّ الدِّيَارَ خَلَتْ وَلَيْسَ بِجَوْهَا إِلَّا الضَّوَابِحُ وَالْحَمَامُ الْوُقَعُ^(٢)
 وَلَقَدْ تَكُونُ بِهَا أَوَانِسُ كَالْدُمَى جُمْلُهُ وَعَزَّةُ وَالرَّبَابُ وَبَوَزَعُ^(٣)
 حُورٌ نَوَاعِمُ لَا تَرَى فِي مِثْلِهَا أَمْثَالَهُنَّ مِنَ الصَّيَانَةِ أَرْبَعُ^(٤)

فَأَسْلَمَ فَإِنَّكَ قَدْ نَزَلْتَ بِمَنْزِلٍ عِنْدَ الْأَمِيرِ تَضُرُّ فِيهِ وَتَنْفَعُ^(٥)
 تُؤْتَى هَوَاكَ إِذَا نَطَقْتَ بِحَاجَةٍ فِيهِ وَتَشْفَعُ عِنْدَهُ فَتَشْفَعُ^(٦)

(١) مربع : اسم شخص . بعد أن سأل صاحبه الوقوف بالديار ، وتحيتها ، وسؤالها عن أهلها السابقين . عاد فأكرر ذلك السؤال إذ لا سبيل إلى اجابة الديار التي ليس من شأنها السمع .

(٢) ضبحت الأرانب والثعالب : صوتت . الضوايح : المصوتة . الوقع : بضم الواو وتشديد القاف المفتوحة الساقطة على الشجر أو الأرض . يريد أن الديار خلت إلا من الحيوان المصوت والحمام النازل بالأرض .

(٣) أوانس : جمع آنسة وهى الفتاة الطيبة النفس أو التى تؤنس صاحبها . والدمى : جمع دمية بضم الدال وسكون الميم وهى التمثال . والعرب يسهون المرأة الجميلة بالدمية . وجمل بضم الجيم وما بعدها أسماء أعلام .

(٤) حور : جمع حوراء ، وهى لشديدة بياض العين والشديدة سوادها . ونواعم : جمع ناعمة ، يريد أن أربعتهن ليس لهن شبيهه فى عفتهم .

(٥) المراد بالمنزل المكان . فاسلم : جملة دعائية يرجو للمدوح السلامة من الشر .

(٦) هواك : سؤالك ومطلبك . تشفع بضم التاء : تقبل شفاعتك .

قُلْ الْأَمِيرُ إِذَا ظَفِرَتْ بِخَلْوَةٍ مِنْهُ وَلَمْ يَكُ عِنْدَهُ مَنْ يَسْمَعُ
هَبْ لِي الَّذِي أَحْبَبْتُهُ فِي أَحْمَدَ وَبَنِيهِ إِنَّكَ حَاصِدٌ مَا تَزْرَعُ^(١)
يَخْتَصُ آلُ مُحَمَّدٍ بِحَبَبَةٍ فِي الْقَلْبِ قَدْ طُوِيَتْ عَلَيْهَا الْأَضْلَعُ

جلس المهدي يوما يعطى قريشاً صلوات لهم وهو ولي عهد ، فبدأ ببني هاشم
ثم بسائر قريش ، فجاء السيد الحميري فرفع إلى الربيع رقعة مختومة وقال إن فيها نصيحة
للامير فأوصلها فإذا فيها .

قُلْ لَا بَنَ عَبَّاسٍ سَمِيَّ مُحَمَّدٍ لَا تُعْطَيْنَ بَنِي عَدِيٍّ دِرْهَمًا^(٢)
أَحْرِمُ بَنِي تَيْمٍ بِنِ مُرَّةٍ إِنْهُمْ شَرُّ الْبَلِيَّةِ آخِرًا وَمُقَدَّمًا
إِنْ تُعْطِيَهُمْ لَا يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً وَيُكَافِئُوكَ بِأَنْ تُذَمَّ وَتُشَمَّ
وَإِنْ أَتَمَمْتَهُمْ أَوْ اسْتَعْمَلْتَهُمْ خَانُوكَ وَاتَّخَذُوا خَرَاجَكَ مَغْنَمًا^(٣)
وَلَنْ مَنَعْتَهُمْ لَقَدْ بَدَأُوكُمْ بِالْمَنْعِ إِذْ مَلَكَوْا وَكَانُوا أَظْلَمًا
مَنْعُوا تَرَاثَ مُحَمَّدٍ أَعْمَامَهُ وَبَنِيهِ وَابْنَتَهُ عَدِيلَةَ مَرِيَمًا^(٤)
وَتَأْمَرُوا مِنْ ذِيرٍ أَنْ يُسْتَخْلَفُوا وَكَفَى بِمَا فَعَلُوا هُنَالِكَ مَأْتَمًا^(٥)
لَمْ يَشْكُرُوا لِحُجْمٍ إِنْعَامَهُ أَفِيَشْكُرُونَ لِغَيْرِهِ إِنْ أَنْعَمَا

(١) هب لي فلانا : أي أطلقه .

(٢) يريد بابن عباس الخليفة المهدي .

(٣) استعملهم : اتخذهم عمالا ، أي ولاهم المناصب . والخراج : الضريبة على الأرض والجزية .

(٤) التراث : ما يخلفه الميت لورثته . وعديلة مريم نظيرتها .

(٥) تأمروا : تسلطوا وتحكموا . ويستخلفوا : أي يكونوا خلفاء .

والله مَنْ عَلَيْهِمْ بِمُحَمَّدٍ وَهَدَاهُمْ وَكَسَا الْجُنُوبَ وَأَطْعَمَا (١)
ثُمَّ انْبَرَوْا لِوَصِيَّهِ وَوَلِيِّهِ بِالْمُنْكَرَاتِ فَجَرَّعُوهُ الْعَلْقَمَا (٢)

(٣) مروان بن أبي حفصة (٣)

قال يمدح المهدي ويحتج لبني العباس :

طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَخَيَّ خَيَالَهَا بِيضَاءِ تَخْلِطُ بِالْجَمَالِ دَلَالَهَا (٤)
قَادَتْ فَوَادَكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلَهَا قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا فَأَمَالَهَا (٥)
فَكَأَنَّمَا طَرَقَتْ بِنَفْحَةٍ رَوْضَةٍ سَحَّتْ بِهَا دِيمُ الرِّبْعِ طِلَالَهَا (٦)
بَاتَتْ تَسَائِلُ فِي الْمَنَامِ مُعَرِّسًا بِالْبَيْدِ أَشْعَثَ لَا يَمَلُّ سُؤَالَهَا (٧)
فِي فَتْيَةٍ هَجَعُوا غِرَارًا بَعْدَمَا سَمُّوا مُرَاعِشَةَ الشَّرَى وَمَطَالَهَا (٨)

(١) كسا الجنوب : أى كساهم من اطلاق الجزء واردة الكل .

(٢) انبرى له : اعترضه ، ويريد بوصيه ووليه على بن أبى طالب . جرعه العلقم : سقوه المر .

(٣) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة . كان جده فارسيا ومولى لعثمان بن عفان ثم وهبه عثمان لمروان بن الحكم . وقد نشأ مروان بن أبى حفصة فى آخر دولة بنى أمية ولكنه لم يشتهر الا فى دولة بنى العباس بمدحه المهدي ومعن بن زائدة الشيباني وهارون الرشيد . وقد برع مروان فى المدح براعة عظيمة ويحسبونه فى ذلك من طبقة بشار ويعدونه من فحول الشعراء وقد توفى سنة ١٨١ هـ .

(٤) يقال طرق فلان القوم : أتاهم ليلا .

(٥) استقاد : انقاد . والصبا بكسر الصاد : الشوق .

(٦) سح الغمام المطر : صبه صبا متتابعاً غزيراً . والديم جمع ديمة : وهى المطر الذى يدوم بلا رعد . ولعل المراد هنا بديم الربيع سحبه . والطلال : جمع ظل وهو المطر الضعيف . يريد أنها عند زيارتها كان يفوح من طيب ريحها مثل ما يفوح من الروضة رواها المطر فى الربيع .

(٧) المعرس بضم الميم وتشديد الراء المكسورة . يقال عرس القوم : نزلوا من السفر للاستراحة والبيد جمع بيداء وهى الفلاة . والأشعث : المفبر يريد نفسه .

(٨) يقال : نام غرارا أى نوما قليلا . والسرى : السير فى الليل . ويقال للناقة التى تنهتز فى السير لرعشها : رعشاء ومطالها : مطالها وتسويقها فى الوصول الى المقصد لطول الطريق . يقول انهم ناموا نوما خفيفا بعد أن سئموا طول السير والاهتزاز بسرعة النوق .

- فَكَانَ حَشَوَ ثِيَابِهِمْ هنديةً نَجَلَتْ وَأَغْفَلَتْ الْقُيُونُ صَقَالَهَا (١)
- طَلَبَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَوَاصَلَتْ بَعْدَ السَّرَى بَغْدُوَّهَا آصَالَهَا (٢)
- نَزَعَتْ إِلَيْكَ صَوَادِيًا فَتَقَاذَفَتْ تَطَوَّى الْفَلَاةَ : حُزُونَهَا وَرِمَالَهَا (٣)
- أَحْيَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ سُنَنَ النَّبِيِّ حَرَامَهَا وَحَلَالَهَا (٤)
- مَلِكٌ تَفَرَّعَ نَبْعَةً مِنْ هَاشِمٍ مَدَّ إِلَهُ عَلَى الْأَنَامِ ظِلَالَهَا (٥)
- ثَبَّتْ عَلَى زَلَلِ الْحَوَادِثِ رَاكِبٌ مِنْ صَرْفِهِنَّ لِكُلِّ حَالٍ حَالَهَا (٦)
- كَلَّمَا يَدَيْكَ جَعَلْتَ فَضْلَ نَوَالِهَا لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلْعَدُوِّ وَبَالَهَا (٧)
- هَلْ تَطْمَسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا بِأَكْفِّكُمْ أَمْ تَحْجُبُونَ هَالَهَا (٨)

- (١) الهندية : السيوف المصنوعة في الهند لأنها كانت تجيد صناعتها . ونجلت من باب علم : هزلت ورقته . والقيون : جمع قين وهو الحداد . والصقال : الصقل يقال صقل السيف جلاه وكشف صدأه يريد أنهم أمسوا من شدة التعب وطول السفر ناحلين مهزولين حتى كانوا في رقة أجسامهم واغبرارها كالسيوف الهندية التي لم تجل ولم يكشف عنها صدؤها .
- (٢) طلبته : قصدت إليه . والغدو أول النهار . والآصال : جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب . يقول انها بعد سير الليل كانت تسير النهار بطوله .
- (٣) الصوادى : الشديدة الظمأ . يقال : صدى يصدى من باب علم أى عطش عطشا شديدا والحزون : جمع حزن بفتح الحاء ، والحزن ضد السهل .
- (٤) يريد باحيائه خلال السنن وحرامها ابانة ما أحلت السنن وما حرمت والعمل بذلك .
- (٥) النبعة : واحدة شجر النبع . ويقال : هو من نبعة كريمة أى من أصل كريم . وتفرع فلان القوم : علاهم .
- (٦) الثبت بفتح الثاء وسكون الباء : هنا الثابت . وزلل الحوادث . انحرفا وصرف الدهر : نوازله . يقول : انه مهما تضطرب حوادث الزمان فهو ثابت لا يتزلزل ، وأنه يعالج كل حادثة بما يناسبها . وهذا هو الذى عبر عنه بقوله : (راكب لكل حال حالها) .
- (٧) النوال : العطاء . والوبال : الوخامة وسوء العاقبة .
- (٨) التفت في هذا البيت الى خطاب العلويين ليبطل دعواهم استحقاق الخلافة دون بنى العباس .

أَمْ تَجْحَدُونَ مَقَالََةَ عَنْ رَبِّكُمْ جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا (١)
 شَهِدَتْ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرُ آيَةٍ بَتَرَأْسِهِمْ فَأَرَدْتُمُوهَا إِبْطَالَهَا (٢)
 وقال يمدح المهدي — عند ما عقد البيعة لابنه الهادي — ويحتج للعباسيين
 على الطالبين :

يَا بْنَ الَّذِي وَرِثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا . دُونَ الْأَقَارِبِ مِنْ ذَوِي الْأَرْحَامِ (٣)
 الْوَحْيُ بَيْنَ بَنِي الْبَنَاتِ وَبَيْنَكُمْ قَطَعَ الْخِصَامَ فَلَاتَ حِينَ خِصَامِ (٤)
 مَا لِلنِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ فَرِيضَةٌ نَزَلَتْ بِذَلِكَ سُورَةُ الْأَنْعَامِ (٥)
 خَلُُّوا الطَّرِيقَ لِمَعَشَرِ عَادَاتِهِمْ حَطَمُ الْمَنَاكِبِ كُلِّ يَوْمٍ زَحَامِ (٦)
 إِرْضَوْا بِمَا قَسَمَ إِلَهُ لَكُمْ بِهِ وَدَعُوا وَرَاثَةَ كُلِّ أَصِيدٍ حَامِ (٧)
 أَنِّي يَكُونُ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِكَائِنٍ لِبَنِي الْبَنَاتِ وَرَاثَةُ الْأَعْمَامِ (٨)

(١) تجحدون ، الجحود : الإنكار مع العلم .

(٢) التراث : ما يتركه الميت لورثته . ويعني بآخر آية من سورة الأنفال قول الله تعالى : « وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » .

(٣) الأرحام : جمع رحم : القرابة . ويريد وراثة أمر المسلمين .

(٤) الوحي : القرآن أو جبريل . وبنو البنات : أولاد علي بن أبي طالب من نسل فاطمة بنت الرسول عليه السلام وهم العلويون .

(٥) الفريضة : القسم في الميراث .

(٦) حطم المناكب : كسرهما . ويوم زحام : يوم تنافس في مجد ، ويريد بالمعشر العباسيين .

(٧) الأصميد : الملك أو السيد . والحامي من يحمي ذويه ومن يلوذ به .

(٨) بنو البنات : هم أولاد علي من فاطمة رضي الله عنهما . والأعمام : العباسيون لأن أباهم العباس عم الرسول ، والعم أولى بوراثة ابن أخيه ، وذلك حكم فقهي في الميراث .

أَلْفَى سِهَامَهُمُ الْكِتَابَ فَاوَلُوا أَنْ يَشْرَعُوا فِيهَا بِغَيْرِ سِهَامٍ^(١)
ظَفِرَتْ بَنُو سَاقِي الْحَجِيجِ بِحَقِّهِمْ وَغَرَرْتُمْ بِتَوَهُّمِ الْأَخْلَامِ^(٢)
عُقِدَتْ لِمُوسَى بِالرُّصَافَةِ بَيْعَةٌ شَدَّ الْإِلَهُ بِهَا عُرَا الْإِسْلَامِ^(٣)
مُوسَى الَّذِي عَرَفَتْ قُرَيْشٌ فَضْلَهُ وَلَهَا فَضِيلَتُهَا عَلَى الْأَقْوَامِ

(٤) العباس بن الأحنف^(٤)

قال :

عَدَلْتُ مِنَ اللَّهِ أَبْكَانِي وَأَضْحَكَهَا فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَدَلْتُ كُلُّ مَا صَنَعَا
الْيَوْمَ أَبْكِي عَلَى قَلْبِي وَأَنْدُبُهُ قَلْبُ الْحَّ عَلَيْهِ الْحُبُّ فَاَنْصَدَا^(٥)

وقال : وقد اصطحبه الرشيد إلى خراسان و طال مقامه بها ثم خرج
إلى أرمينية :

قَالُوا . خُرَاسَانُ أَقْصَى مَا يُرَادُ بِنَا ثُمَّ الْقُفُولُ فَقَدْ جِئْنَا خُرَاسَانَا^(٦)

(١) يشرعوا فيها : ينالوا منها ، بغير سهام : بغير حق .

(٢) ساقى الحجيج : العباس بن عبد المطلب لأنه كانت عليه سقاية الحاج حين يردون مكة ، وذلك في الجاهلية .

(٣) الرصافة : محلة ببغداد ، شدت بها الخ : قوى بها شأن الدين .

(٤) كان العباس بن الأحنف شاعرا ظريفا . نشأ في بغداد في حال يسر ورخاء ، لم يصطنع المدح والتكسب بالشعر ، بل توفّر على الغزل في محبوبته فوز ، ولزم هذا الفن وحده مجيدا موفقا حتى مات سنة ١٩٢ هـ .

ويمتاز شعره بالسهولة ، وحسن التصرف ، وجمال المعاني ، فهو من شعراء الغزل العذريين وأن لم يحكمهم تماما .

(٥) ألح في السؤال : واطب عليه . والالحاح هنا : بمعنى الاسراف . وانصدع : انشق .

(٦) القفول : الرجوع . يقول أنهم قالوا ان أقصى رحلتنا خراسان ثم الرجوع وها نحن أولاء قد بلغناها فلماذا لا نعود .

ما أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِي عَلَى شَحَطٍ سُكَّانَ دِجْلَةَ مِنْ سُكَّانَ جِيحَانَا (١)
يَا لَيْتَ مَنْ نَتَمَنَّى عِنْدَ خَلَوَتِنَا إِذَا خَلَا خَلَوَةٌ يَوْمًا تَمَنَّا (٢)

وقال :

سَلَبْتَنِي مِنَ السُّرُورِ ثِيَابًا وَكَسْتَنِي مِنَ الِهْمُومِ ثِيَابًا
كَلَّمَا أَغْلَقْتَ مِنَ الْوَصْلِ بَابًا فَتَحْتَ لِي إِلَى الْمَنِيِّ بَابًا
عَذَّبْنِي بِكُلِّ شَيْءٍ سِوَى الصَّ دَّ فَمَا ذُقْتُ كَالصَّدُودِ عَذَابًا (٣)

وقال :

إِنْ قَالَ لَمْ يَفْعَلْ وَإِنْ سِيلَ لَمْ يَبْذُلْ وَإِنْ عُوتِبَ لَمْ يُعْتَبَ (٤)
صَبُّ بَعْضِيَانِي وَلَوْ قَالَ لِي لَا تَشْرَبِ الْبَارِدَ لَمْ أَشْرَبِ (٥)
إِلَيْكَ أَشْكُو رَبِّ مَا حَلَّ بِي مِنْ صَدٍّ هَذَا الْمَذْنِبِ الْمُغْضَبِ

وقال :

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّ بِي دَاعٍ يَكْثُرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي
كَيْفَ احْتَرَّاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي (٦)

(١) الشحط : البعد . ويريد بسكان دجلة : سكان بغداد . ودجلة : نهر تقع عليه هذه المدينة وجيحان نهر بين الشام وبلاد الروم .

(٢) نتمنى : نتمناه .

(٣) الصد والصدود : الاعراض .

(٤) سِيل : سئل . يعتب بضم الياء وكسر التاء : يرضى ، يقال استعتبت فلانا فاعتبني استرضينه فرضي .

(٥) صب : مغرم . وسكان جزيرة العرب شديدو الولع بشرب الماء البارد لشدة الحر في بلادهم ومثل هذا قول الشاعر :

غضبي ولا والله يا أهله لا أشرب البارد أو ترضى !

(٦) عدوه الذي بين أضلعه : قلبه . لأنه هو الذي يفرم بها فيكثر من أوجاعه وأسقامه .

وقال :

قالت ظلومٌ سميّةُ الظلمِ مالى رأيتُكَ ناحِلَ الجسمِ^(١)
يا مَنْ رَمَى قَلْبِي فأقصدَهُ أَنْتَ العَليمُ بمَوْضِعِ السَّهمِ^(٢)

(٥) أبو نُوَاس

قال يصف الخمر :

دعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إغْرَاءٌ وَدَاوِنِي بِأَلَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ^(٤)
صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانَ سَاحَتَهَا لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ^(٥)

(١) ظلوم : اسم من يتغزل فيها . والجسم الناحل الهزيل .

(٢) وأقصده السهم : لم يخطئه .

(٣) أبو نواس واسمه الحسن بن هانىء. نشأ نشأته الأولى في البصرة ، وكان يكلف بمن يجيدون قرض الشعر . ثم تحول الى الكوفة ليأخذ على والبة بن الحباب وكان والبة شاعرا ماجنا مشتهرا بالشراب وصافا للخمر ثم انتقل الى بغداد .

وبرع أبو نواس في الشعر حتى بذ أهل عصره ، ولم يجد شاعر قبله ولا بعده وصف الخمر كما أجادها ، وكان ماجنا مستهترا . توفر عمله على تحصيل اللذائذ ما يبالي في ذلك شيئا . وقرض الشعر في أبواب المجون ، غير متأتم ولا متحرج .

ولقد أجاد في كل فنون الشعر ، وأوفى على الغاية . واتصل بمحمد الأمين الخليفة العباسي ، ومدحه بأجل القصيد ، وثبت على الولاء له — حتى بعد أن قتل — ودالت الدولة لأخيه المأمون . وأبو نواس يعظم افتانه ، وقوة تصرفه في الشعر ، ومثانة أسلوبه ؛ وجزالة لفظه ، وسلامة نظمه ، لا يعد من أعظم الشعراء العباسيين فحسب ، بل يعد من أعظم شعراء العربية على الإطلاق . وكانت وفاته سنة ١٩٨ هـ .

(٤) دع : اترك ويقال (أغراه بالشئ يغريه اغراء) حظه عليه . يقول الشاعر لصاحبه : لاتلمنى فان لومك يحضنى على طلب ما تنهانى عنه ويريد (بالتى كانت هى الداء) الخمر .

(٥) يريد بالصفراء الخمر . والساحة : الناحية . يريد أن الأحزان والهموم لا تحل بشرابها ، وترقى في هذا المعنى الى المبالغة الشديدة فزعم أن الحجر الأصم لو أصاب منها لدخل عليه السرور !

رَقَّتْ عَنْ الْمَاءِ حَتَّى مَا يُبْلِغُهَا لَطَافَةً ، وَجَفَا عَنْ شَكْلِهَا الْمَاءُ (١)
 فَلَوْ مَزَجْتَ بِهَا نُورًا لِمَزَجَهَا حَتَّى تَوَلَّدَ أَنْوَارٌ وَأَضْوَاءُ (٢)
 دَارَتْ عَلَى فِتْيَةٍ دَانَ الزَّمَانُ لَهُمْ فَمَا يُصِيبُهُمْ إِلَّا بِمَا شَاءُوا (٣)
 لِتِلْكَ أَبْكِي وَلَا أَبْكِي لِمَنْزِلَةٍ كَانَتْ تَحُلُّ بِهَا هِنْدٌ وَأَسْمَاءُ (٤)

وَقَالَ أَيْضًا فِي الْخَمْرِ :

وَدَارِ نَدَامَى عَطَّلَوْهَا ، وَأَدْلَجُوا بِهَا أَثَرَهُ مِنْهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ (٥)
 مَسَاحِبُ مِنْ جَرِّ الزُّقَاقِ عَلَى الثَّرَى وَأَضْغَاثُ رِيحَانٍ جَنَى وَيَابَسُ (٦)

(١) يلائمها : يوافقها . وجفا هنا : بمعنى قلق ولم يطمئن . يريد أن تلك الخمر بلغت من اللطف والرفقة ما لم يبلغ الماء .

(٢) تولد بحذف احدى التائين : أى تتولد أى أن النور هو الذى يصلح لمزاجها ولو كان ذلك لتولدت منها أنوار وأضواء .

(٣) دَانَ : ذل وأطاع . التفت الشاعر فى هذا البيت الى أصحابه الذين يشاربهم ، فوصفهم بالعزة وارتفاع الأقدار الى حد أن الزمان يذل لهم ؛ فهو لا يستطيع أن يصيبهم بشيء الا ما يريدونه هم وما يبتغونه ! .

(٤) المنزلة هنا هى الدار . يريد أن شوقه انما هو الى الخمر ، فهو اذا بكى بكى لها ، لاللمنازل التى كانت تستكنها العشوقات . كما يصنع غيره من الشعراء .

(٥) الندامى : جمع ندمان ، وندامى الرجل من يجالسونه على الشراب . عطلوها : أخلوها . أدلج القوم ادلاجا : سبأوا الليل كله أو فى آخره . والدارس : البالى . يذكر الشاعر فى هذا البيت دارا كان يجتمع فيها الصحب ويتعاقرون الخمر . فهجروها ومضوا ، وتركوا فيها آثارا لهم جديدة ، وأخرى قديمة بالية .

(٦) الزقاق جمع زق ، وهو وعاء من الجلد يحمل فيه الماء ونحوه . الثرى التراب الندى ، ويريد هنا الأرض ، والأضغاث جمع ضغت وهو القبض من العشب الغض . وجنى أى جنى لساعته بين الشاعر فى هذا البيت ذلك الأثر الذى أشار اليه فى البيت السابق . فاذا هو ما خط على الأرض بسحب زقاق الخمر وما تركوا هناك من أضغاث الريحان ، بين قديم مقطوف لوقته ويابس لطول العهد على قطافه .

حَبَسْتُ بِهَا صَحْبِي وَجَدَدْتُ عَهْدَهُمْ وَإِنِّي عَلَى أَمْثَالِ تِلْكَ لِحَاكِسٌ^(١)
 تَدُورُ عَلَيْنَا الرَّاحُ فِي عَسْجَدِيَّةٍ حَبَّتْهَا بِأَنْوَاعِ التَّصَاوِيرِ فَارِسٌ^(٢)
 قَرَارَتِهَا كِسْرَى ، وَفِي جَنَابَتِهَا مَهًا تَدْرِيبُهَا بِالْقَسَى الْفَوَارِسُ^(٣)
 فَلِلْخَمْرِ مَا زُرْتُ عَلَيْهِ جُيُوبُهُمْ وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ^(٤)

وقال يمدح الخليفة محمدا الأمين :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَّغْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامٌ^(٥)
 قَرَّبْنَاكَ مِنْ خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى فَلَهَا عَلَيْنَا حُرْمَةٌ وَذِمَامٌ^(٦)
 رَفَعَ الْحِجَابُ لَنَا فَلَاحَ لِنَاظِرٍ قَمَرٌ تَقَطَّعَ دُونَهُ الْأَوْهَامُ^(٧)

(١) يريد أنه ألزم صحبه هذه الدار حيث توفروا على لهوهم وشرابهم وأعادوا العهد على مثل هذا العيث . اذ هو نفسه شديد الاهتمام بذلك .

(٢) الراح : الخمر . والعسجدية : نسبة الى المسجد وهو الذهب ، ويريد بها كأسا مذهبة لا من ذهب وجباه بكذا يحبوه : أعطاه ومنحه . وفارس : الأمة المعروفة .

(٣) قرارتها : أسفلها ، وهى هنا : ظرف مكان . والمها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية يضرب بها المثل فى حسن العيون . ادرى الصيد : ختله وادرى غفلته بمعنى تحينها . والقسى : جمع قوس . والفوارس والفرسان : جمع فارس وهو راكب الفرس . يريد أن الكأس محللة من أسفلها بصورة كسرى ، وهو لقب لملك الفرس . أما جوانبها فمحلاة بصور فرسان يتحينون غفلة المها ليرموها بسهام أقواسهم .

(٤) الجيب : وجمعه جيوب ، طوق الثوب . والقلائس : جمع قلنسوة ، وهى أشبه (بالبرنيطة) التى يلبسها الفرنجة وكانت من لباس الفرس . يقول : انهم كانوا يصبون الخمر فى تلك الكأس حتى تحاذى أطواق صور الفوارس ثم يمزجونها بالماء حتى تحاذى رءوسهم .

(٥) المطى : جمع مطية ، وهى الدابة التى تركب . وهنا يراد بها النوق ، لأنها كانت مراكب القوم وخاصة فى أسفارهم الطويلة ، يريد أن المطايا التى تحملهم حتى تبلغهم أمير المؤمنين ينبغى ألا يركبها أحد اكراما لها بما فعلت وتشريفا .

(٦) الحرمة والذمام بمعنى واحد ، وهو ما يجب القيام به وعدم التفريط فيه .

(٧) يريد بالقمر وجه ممدوحه الأمين . وتقطع بحذف احدى التاءين . يقول الشاعر انه حين بدا الأمين . فاذا هو قمر لاتستطع الأوهام أن تقدر مبلغ حسنه وبها عطلته .

- مَلِكٌ إِذَا عَلِقَتْ يَدَاكَ بِحَبْلِهِ لَا يَعْتَرِيكَ الْبُؤْسُ وَالْإِعْدَامُ^(١)
 فَالْبَهْوُ مُشْتَمِلٌ بِيَدُورٍ خِلَافَةٍ لِبَيْسِ الشَّبَابِ بِنُورِهِ الْإِسْلَامُ^(٢)
 سَبَطُ الْبَنَانِ إِذَا احْتَبَى بِنِجَادِهِ فَرَعَ الْجَاحِمَ وَالسَّمَاطُ قِيَامُ^(٣)
 إِنْ الَّذِي يُرْضَى إِلَهُ بِهِدْيِهِ مَلِكٌ تَرْدَى الْمَلِكَ وَهُوَ غُلَامٌ^(٤)
 مَلِكٌ إِذَا اغْتَسَرَ الْأُمُورُ مَضَى بِهِ رَأَى يُفْلُ السَّيْفَ وَهُوَ حُسَامٌ^(٥)
 دَاوَى بِهِ اللَّهُ الْقُلُوبَ مِنَ الْعَمَى حَتَّى أَفْقَنَ وَمَا بِهِنَّ سَقَامٌ^(٦)
 أَصْبَحَتْ يَا بِنَ زُبَيْدَةَ ابْنَةَ جَعْفَرٍ أَمَلًا لِعَقْدِ حَبَالِهِ اسْتِحْكَامُ^(٧)
 فَسَلِمَتْ لِلْأَمْرِ الَّذِي تُرْجَى لَهُ وَتَقَاعَسَتْ عَنْ يَوْمِكَ الْأَيَّامُ^(٨)

(١) علقت : تعلقت واتصلت . والبهؤس : الفقر والاعدام كذلك . يصف كرم المدح بأن من يلوذ به لا تناله شدة ولا يلحقه فقر .

(٢) يريد بالبهو هنا البيت . ومشتمل : مزدان . ومعنى الشطر الثاني أنه أعاد للدين سلطانه .

(٣) السبط : السهل الذى لا خشونة فيه . والبنان : أطراف الأصابع . واحدها بنانة . وسبط البنان : الكريم . والنجاد : حائل السيف التى يتعلق بها . احتبى بنجاده : لبسه . وفرع الجاحم : علاها . ساط القوم : صفهم .

(٤) تردى : لبس الرداء . والمراد أنه ولى الخلافة فتى .

(٥) اعتسرت الأمور : اشتدت والتوت . يفل السيف : يثلمه . والحسام : السيف القاطع . يريد أن الأمور اذا صعب حلها كان له فيها رأى نافذ شديد .

(٦) عمى القلوب : زيفها وضلالتها . السقام بفتح السين : المرض .

(٧) وزبيدة أم الأمين جاءت به آمن هارون الرشيد ، وهى بنت جعفر بن المنصور . الأمل هنا المقصود والمأمول . استحكام : قوة . يقول صرت أملا يعلق الناس حاجتهم بك فلا يخيب رجاءهم . وقوله (لعقد) الى آخر الجملة صفة لقوله (أملا) .

(٨) تقاعس : تأخر . يقول : ان أيامك خير الأيام .

وقال يصف ناقة :

ولقد تجوبُ بى الفلاة إذا صام النهار وقالت العُفر^(١)
شَدْنِيَّةٌ رَعَتِ الحِمَى فَأَتَتْ مِلءَ الحَبَالِ كأنها قَصْر^(٢)
تَنَنِي على الحاذِينَ ذَا خُصَلٍ تَعْمَالُهُ الشَّرَّانِ وَالْخَطَر^(٣)
أَمَّا إِذَا رَفَعَتْهُ شَامِدَةً فَتَقُولُ رَنَقَ فَوْقَهَا نَسْر^(٤)
أَمَّا إِذَا وَضَعَتْهُ عَارِضَةً فَتَقُولُ ارْخِي فَوْقَهَا سِتر^(٥)
وَتُسِفُ أَحْيَانًا فَتَحْسِبُهَا مُتَرَسِّمًا يَقْتَادُهُ أَثَر^(٦)
فَإِذَا قَصَرَتْ لَهَا الزَّمَامَ سَمَا فَوْقَ المَقَادِمِ مَلَطَمٌ خُر^(٧)

(١) الفلاة : الصحراء الواسعة . وتجوبها : تقطعها . ويقال : صام النهار إذا توسطت الشمس السماء . والعفر : نوع من الظباء واحدها أعر . والقائلة : نصف النهار ، ويقال : « قال الرجل يقيل » إذا نام وقت القائلة . يصف ناقته بالقوة والصبر حتى أنها لتجوب به الصحراء في الوقت الذي ينتصف فيه النهار ، وتقبل الظباء فرارا من شدة الحر ، وهى من بنات الصحراء .

(٢) شدنية : فاعل تجوب فى البيت السابق . والناقة الشدنية : القوية . ورعت الماشية الكلا أكلته . وحى الرجل المكان الذى لا يقرب و(ملء الحبال) كناية عن الضخامة والبدونة . يريد أن ناقته كانت مرفهة مدللة تصيب من الرعى ما يمنع على غيرها : فتقويت وسمنت حتى أصبحت كالقصر .

(٣) الخلدان : وأحدهما حاد ، هما موقعا الذنب من الفخذين . والخصال : جمع خصلة . وخصل الشعر ، وخصل الشجر ما تدلى من أطرافه . والشاعر يعنى بذى الخصل ذنب الناقة . تعماله : عمله . والمراد بالشزران تحريك الذنب يمينا ويسارا . وخطر الجمل بذنبه خطرا وخطارانا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذه .

(٤) شامدة : شائلة بذنبها الى أعلى . رنق النسر : خفق بجناحيه وورف .

(٥) عارضة : سائرة بنشاط .

(٦) تسف : تمر على وجه الأرض برأسها . مترسم : متتبع آثارا يتبينها .

(٧) سما : علا . المقادم : الأعالي الامامية . الملطم : الخد . حر أصيل .

وقال :

أُثْنِرَ عَلَى الْحَمْرِ بِأَلَاءِهَا وَسَمَّيَا أَحْسَنَ أَسْمَاءِهَا (١)
 لَا تَجْعَلِ الْمَاءَ لَهَا قَاهِرًا وَلَا تَسْلُطْهَا عَلَى مَائِهَا (٢)
 كَرُخِيَّةٌ قَدْ عُنَّتْ حَقْبَةً حَتَّى مَضَى أَكْثَرُ أَجْزَائِهَا (٣)
 فَلَمْ يَكَدْ يُدْرِكُ خَمَّارُهَا مِنْهَا سِوَى آخِرِ حَوْبَائِهَا (٤)
 دَارَتْ فَأَحْيَتْ غَيْرَ مَذْمُومَةٍ نَفُوسَ حَرَّاهَا وَأَنْضَاءِهَا (٥)
 وَانْخَرُ قَدْ يَشْرِبُهَا مَعَشَرٌ لَيْسُوا إِذَا عُدُّوا بِأَكْفَائِهَا

وقال في الطرد ينعت كلب الصيد :

لَمَّا تَبَدَّى الصَّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ كَطَلْعَةِ الْأَشْمِطِ مِنْ جِلْبَابِهِ (٦)
 وَانْعَدَلَ اللَّيْلُ إِلَى مَائِهِ كَالْحَبَشِيِّ افْتَرَّ عَنْ أُنْيَابِهِ (٧)
 هَجْنَا بِكَلْبٍ طَالَمَا هَجْنَا بِهِ يَنْتَسِفُ الْمُقَوَّدَ مِنْ كَلَّابِهِ (٨)

(١) الألاء : النعم والمحاسن .

(٢) أى لا تمزجها بل هاتها صرفة .

(٣) كرخية : نسبة الى الكرخ : محله ببغداد وغيرها . وعنت : تركت مدة (حقبة) لتقدم وتحسن ، ومعنى الشطر الثانى أنها لطفت جدا كأنها لا مادة فيها .

(٤) الحوباء : النفس ، فكأنها من لطفها فنيت الا رمقا أدركه الخمار .

(٥) حراها : النفوس العطشى اليها . والانضاء : جمع نضو : وهو المهزول المتعب ، أى المهزولون لبعدهم عنها .

(٦) الأشمط : من يخالط سواد رأسه بياض . والجلباب : الثوب الواسع أو القميص (وهو الأسود هنا) .

(٧) أفتتر : كشف وأظهر ، يشبه انكشاف الليل عن الصباح بانكشاف شففى الحبشى (الأسود) عن أسنانه مبتسما مثلا .

(٨) ينتسف : يقتلع ويجتذب . والكلاب : صاحب الكلب .

كَأَنَّ مَتْنِيهِ لَدَى اِنْسِلَابِهِ مَتَنَا شُجَاعٍ لَجَّ فِي اِنْسِيَابِهِ^(١)
كَأَنَّمَا الْأَظْفُورُ فِي قِنَابِهِ مُوسَى صَنَاعٍ رُدَّ فِي نِصَابِهِ^(٢)
تَرَاهُ فِي الْحَضَرِ إِذَا هَاهُنَا بِهِ يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ^(٣)

وقال يمدح العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور :

أَيُّهَا الْمُنْتَابُ عَنْ عُفْرِهِ لَسْتُ مِنْ لَيْلَى وَلَا سَمَرِهِ^(٤)
لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرِهِ قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ ثَمَرِهِ^(٥)
قَدْ لَبِستُ الدَّهْرَ لِبَسَ فَتَى أَخَذَ الْأَدَابَ عَنْ غَيْرِهِ^(٦)
فَاتَّصِلْ إِنْ كُنْتَ مُتَّصِلًا بِقُوى مَنْ أَنْتَ مِنْ وَطَرِهِ^(٧)
خَفْتُ مَأْثُورَ الْحَدِيثِ غَدًا وَغَدًا أَدْنَى لِمُنْتَظَرِهِ^(٨)

(١) انسلابه : اسراعه الشديد . والشجاع : ضرب من الحيات ، يشبه الكلب في مروقه بالحية المناسبة سرعة وتلويها .

(٢) القناب : المخلب . والصناع : الماهر . والنصاب : مقبض موسى (اليد) ؛ فالظفر في أصل المخلب ، كحديدة موسى في النصاب .

(٣) هاهي به : زجره . والاهاب : الجلد ، أى يكاد الكلب لسرعته الشديدة ، يخرج من جلده ليثب الى الغابة في أقرب فرصة .

(٤) المنتاب لك : القاصدك المتردد عليك ، والعفر بضم فسكون وبضميتين : طول العهد ، ولست من ليلى الخ : لست من سمارى ليلى .

(٥) لا أدفع عن نالنى شره .

(٦) أى صاحبت الدهر حتى تعلمت من حوادثه التبصر والسداد فلست أغتر .

(٧) الوطر : الحاجة . والقوى : الاسباب (الحبال) والصلات ، أى اتصلى بمن يحب الاتصال

بك دونى .

(٨) مأثور الحديث : السمعة السيئة هنا .

- خاب من أسرى إلى بلدٍ غير معلوم مدى سفره (١)
وسدته ثنى ساعده سنة حلت إلى سفره (٢)
فامض لا تمنن على يدًا ، منك المعروف من كدره (٣)
رب فتیان ربائهم مسقط العيوق من سحره (٤)
فاتقوا بي ما يربهم . إن تقوى الشر من حذره (٥)
وابن عم لا يكاشفنا قد لبسناه على غمره (٦)
كمن الشنان فيه لنا كمون النار في حجره (٧)
ورضاب بت أرشفه ينقع الظمان من خصره (٨)
عليه خوط أسحلة لان متناه لمهتصره (٩)

(١) أي خاب من لم ينظر في العواقب .

(٢) السفر : منبت الشعر من الجفن . والسنة : النوم الخفيف ، وهذا تكميل لما قبله ، يصف المسافر حين يحمله النوم على اتخاذ ساعده وسادة له .

(٣) خطاب لصاحبه ، ومعنى الشطر الثاني أن المن يفسد الصنيعة .

(٤) ربائهم : حرسهم فكنت لهم ربيثة مخافة النوازل . ومسقط : ظرف زمان . والعيوق : نجم أحر مضى يتلو الشريا ، يظهر سحرا ، يقول : ربائهم في الشدائد ، وهنا أخذ الشاعر يتحدث عن نفسه .

(٥) يربهم : يفزعهم .

(٦) لا يكاشفنا : لا يظهرنا على العداوة ، لبسناه على غمره : عاشناه على ما به من حقد .

(٧) الشنان : البغض . وكمن : استتر ، فالبغض كامن في نفسه مثل كمن النار في الحجر الذي يوريه ويقدمه .

(٨) الرضاب : الريق . ينقع : يبرد ويسقى . والخصر : البرد والضمير للرضاب .

(٩) علنية : سقانية مرات ، والخطوط : الفصن الناعم تشبه به المرأة . والاسحلة مفرد أسحل : شجر عظيم ينبت بأعالي نجد . والمهتصر : الذي يجذب الفصن (مثلا) ويميله .

- ذَا ، وَمُفَبَّرٌ مَخَارِمُهُ تَحْسِرُ الْأَبْصَارُ عَنْ قُطْرِهِ (١)
- لَا تَرَى عَيْنُ الْبَصِيرِ بِهِ مَا خَلَا الْأَجَالَ مِنْ بَقَرِهِ (٢)
- خَاضَ بِي لُجْيِهِ ذُو جَرَزٍ مُقْفِرُ الصُّقْلَيْنِ مِنْ ضَمْرِهِ (٣)
- يَكْتَسِي عُثْنُونُهُ زَبْدًا فَنَصَّيْلَاهُ إِلَى نُخْرِهِ (٤)
- ثُمَّ يَعْتَمُ الْحِجَاجُ بِهِ كَاعْتِمَامِ الْفَوْفِ فِي عُسْرِهِ (٥)
- ثُمَّ تَذَرُوهُ الرِّيَّاحُ كَمَا طَارَ قُطْنُ النَّدْفِ عَنْ وَتْرِهِ (٦)
- ذُلَّلَتْ تِلْكَ الْفَجَاجُ لَهُ فَهُوَ مُجْتَازٌ عَلَى بَصَرِهِ (٧)
- كُلُّ حَاجَاتِي تَنَاوَلَهَا وَهُوَ لَمْ تَنْقُضْ قُوَى أَشْرِهِ (٨)
- ثُمَّ أَدْنَانِي إِلَى مَلِكٍ يَأْمَنُ الْجَانِي إِلَى حُجْرِهِ (٩)

(١) ذَا ، أى فعلت هذا الذى ذكر ، ثم أخذ يصف الطريق . المخارم : جمع مخرم وهو الطريق فى جبل أو رمل . تحصر الأبصار : تضعف العيون . وعن قطره : عن رؤية نواحيه .

(٢) البصير به : من يعرفه . والآجال : جمع أجل بكسر فسكون وهو : القطيع من بقر الوحش أو الظباء .

(٣) ذو الجرز : الحصان القوى . الصقلان : الجنبان فالفرس قليل اللحم ضامر .

(٤) العثنون : شعرات تحت حنك الفرس . والزبد : لغام أبيض تتلطح به مشافر الفرس . ونصيلا : مثنى نصيل : حجر مستطيل يندق به يشبه لحي الفرس ، والنخر جمع نخرة : خرق الأنف أى أن الزبد يغطى لحيه ويحيط بخرقى أنفه .

(٥) اعتم : لبس العمامة . والحجاج : عظم الحاجب ، والفوف هنا : الزهر . والعشر : شجر ذو نور ، فالزبد فوق الحجاج يشبه زهر العشر لونا وشكلا وهو أبيض .

(٦) تذرؤه الرياح : تذهب به وتفرقه .

(٧) الفجاج جمع فج : الطريق الواسع بين جبلين . ومجتاز على بصره : سائر يهذى بصيرته .

(٨) الأشر : النشاط والمرح ، أى سار فنون السير التى أرجوها منه مع بقاء قوته تامة . والقوى : طاقات الجبل . وتقصها : فكها .

(٩) أى ملك يحمى اللاجئ إليه . والحجر : حضن الانسان .

- تَأْخُذُ الْيَدَى مَظَالِمَهَا ثُمَّ تَسْتَدْرِى إِلَى عَصَرِهِ^(١)
 كَيْفَ لَا يُدْنِيكَ مِنْ أَمَلٍ مَنْ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ نَفَرِهِ^(٢)
 فَاسْلُ عَنْ نَوَى تَوَمَّلَهُ حَسْبُكَ الْعَبَّاسُ مِنْ مَطَرِهِ^(٣)
 مَلِكٌ قَلَّ الشَّبِيهُ لَهُ لَمْ تَقْعُ عَيْنٌ عَلَى خَطَرِهِ^(٤)
 لَا تَغْطِي عَنْهُ مَكْرَمَةٌ بَرُّبَا وَادٍ وَلَا تَحْمَرُهُ^(٥)
 سَبَقَ التَّفْرِيطَ رَائِدُهُ وَكَفَاهُ الْعَيْنُ مِنْ أَثَرِهِ^(٦)
 وَإِذَا مَجَّ الْقَنَا عُلْقَا وَتَرَاءَى الْمَوْتُ فِي صُورِهِ^(٧)
 رَاحَ فِي ثُنْيِي مُفَاضَتِهِ أَسَدٌ يَدْمَى شَبَابًا ظَفْرُهُ^(٨)

- (١) تستدري : تلتجىء . والعصر : الملجأ ، تأخذ الأيدي مظالمها الخ : يحمل الناس مظالمهم ويقصدون اليه شاكين فيخلصهم لعدله وانصافه .
 (٢) النفر : الجماعة ، وكان الأنسب أن يقول : من هو من نفر رسول الله ، فيضاف الملك الى الرسول تشريفا لا العكس كما هنا .
 (٣) النوى : النجم يमطر الناس ابان ظهوره وهو كناية عن المطر ذاته .
 (٤) خطره : مثله ، يقال : هذا خطر لهذا وخطر له أى مثله وقل هنا : فقد وعدم .
 (٥) لا تغطي : لا تخفى . والربا جمع ربوة : ما ارتفع من الأرض . والخمر : ما يترك من شجر وغيره أى لا يترك مكرمة الا فعلها .
 (٦) التفريط : مصدر فرط رسوله قدمه وأرسله . والرائد : الرجل يرسله أهله يلتمس لهم منزلا خصبا ، يقول : ان العباس (رائده أى الرائد منه) يسبق الرسل ويعرف ببصيرته المستور ومعنى الشطر الثانى أنه لقوة بصيرته يعرف الأمور بذاتها فلا يحتاج الى آثارها التى تعينه فى المعرفة .
 (٧) مج : لفظ ورمى . والقنا الرماح المفرد : قناة . والعلق : الدم ، وتراءى الموت الخ : أى ظهر الموت فى أشكاله المتباينة ، فطعن بالرمح ومضروب بالسيف . وصريع .
 (٨) الثنيان : مثنى ثنى بكسر فسكون وهو : ماكف فى طرف الثوب . والمفاضة : الدرع الواسعة والشبا : جمع شبابة ، وهى حدر السيف أو السنن فى طرفه ، يقول : انه يعود من الحرب مدرعا كالأسيد وقد احمرت شبابه من دماء الإعداء .

- تَتَابَى الطَيْرُ غَدَوَتَهُ ثِقَةً بِالشَّيْبِ مِنْ جَزَرِهِ (١)
وَتَرَى السَّادَاتِ مَائِلَةً لِسَكِيلِ الشَّمْسِ مِنْ قَمَرِهِ (٢)
وَكَرِيمِ الْخَالِ مِنْ يَمَنِ وَكَرِيمِ الْعَمِّ مِنْ مُضَرِّهِ (٣)
فَهُمْ شَتَى ظَنُّهُمْ حَذَرِ الْمَكْنُونِ مِنْ فِكْرِهِ (٤)

(٦) أَبَانُ الْلاحِقِ (٥)

من قوله يمدح الرشيد ويظهر حجة بنى العباس على حقهم في الخلافة دون بنى علي رضي الله عنهما .

- نَشَدْتُ بِحَقِّ اللَّهِ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا أَعْمٌ بِمَا قَدْ قُلْتُهُ الْعُجْمَ وَالْعَرَبَ (٦)
أَعْمُ رَسُولِ اللَّهِ أَقْرَبُ زُلْفَةً لَدَيْهِ أَمْ ابْنُ الْعَمِّ فِي رُتْبَةِ النَّسَبِ (٧)

(١) تتابى : تتمدد وتنتظر . والجزر : قطع اللحم .

(٢) سكيل : وليد ، والمعنى المولود من أمه التى هى كالشمس عن أبيه الذى هو كالقمر ، وضمير قمره للمدوح أو لوالده .

(٣) المدوح خاله يمنى وعمه مضرى .

(٤) شتى : متفرقة منوعة يقول : ان السادات متنوعو الأفكار عما يضمرة هو بالنسبة لهم وما يقضى فى شئونهم مخافة منه واجلالا له .

(٥) أبان ابن عبد الحميد اللاحق من الشعراء السياسيين الموالى المنتصر للفرس على العرب فى مدرارة . وكان عابثا محبا للمال ، هجاء مغرورا ملحدا . تردد بين البرامكة والخلفاء ولا سيما الرشيد يمدحهم ويزاحم على بابهم أبا نواس ومروان بن أبى حفصة وسواهما توفى سنة ٢٠٠هـ . ويمتاز شعره بالسهولة وان لم يكن ممتاز الفن والروعة ، وله شعر تعليمى ينظم فيه الحكم ومسائل الدين وسواها كنظمه كتاب كليلة ودمنة .

(٦) نشدت الله فلانا : استحلفته به .

(٧) الزلفة بضم الزاى : القرية . يستخلف كل مسلم عربيا كان أو أعجميا أعم الرسول صلى الله عليه وسلم أقرب اليه فى درجة النسب أم ابن عمه . ويريد بالعم العباس . وبابن العم على بن أبى طالب رضي الله عنهما .

وَأَيُّهُمَا أَوْلَى بِهِ وَبِعَهْدِهِ وَمَنْ ذَا لَهُ حَقُّ التُّرَاثِ بِمَا وَجَبَ ^(١)
 فَإِنْ كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقَّ بِتِلْكَكُمْ وَكَانَ عَلَى بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى سَبَبٍ
 فَأَبْنَاءُ عَبَّاسٍ هُمْ يَرِثُونَهُ كَمَا الْعَمُّ لِابْنِ الْعَمِّ فِي الْإِرْثِ قَدْ حَجَبَ ^(٢)
 وبعث بهذه الأبيات للفضل بن يحيى :

يَا عَزِيزَ النَّدَى وَيَا جَوْهَرَ الْجَوْ هَرٍ مِنْ آلِ هَاشِمٍ بِالْبَطَاحِ ^(٣)
 إِنْ ظَنَنْتِي ، وَلَيْسَ يُخْلَفُ ظَنِّي ، بِكَ فِي حَاجَتِي سَبِيلُ النَّجَاحِ
 إِنْ مِنْ دُونِهَا لَمْ صُمْتَ بَابَ أَنْتَ مِنْ دُونِ قُفْلِهِ مِفْتَاحِي ^(٤)
 تَأَقَّتْ النَّفْسُ يَا خَلِيلَ السَّمَاحِ نَحْوَ بَحْرِ النَّدَى مُجَارِي الرِّيَّاحِ ^(٥)
 ثُمَّ فَكَّرْتُ كَيْفَ لِي وَاسْتَخَرْتُ اللَّهَ عِنْدَ الْإِمْسَاءِ وَالْإِصْبَاحِ ^(٦)
 وَامْتَدَحْتُ الْأَمِيرَ أَصْلَحَهُ اللَّهُ بِشَعْرِ مُشَهَّرِ الْأَوْضَاحِ ^(٧)

(١) التراث : ما يتركه الميت لورثته . ويريد به هـا الحق في الخلافة .

(٢) يقول في البيتين : انه اذا كان العباس أحق بالارث باعتباره العم ، وعلى مؤخر عنه في الرتبة لأنه ابن العم ، فالواجب أن ينتقل ماورثه العباس الى أبنائه ، والعم يحجب ابن العم ، أى يمنعه من الارث .

(٣) عزيز هنا : بمعنى أنه منقطع النظر . والسدى : العطاء . والبطاح : جمع بطحاء . وهى مسيل واسع فيه الرمل ودقاق الحصى ولake بطحاء .

(٤) المصمت : المغلق . والضمير فى دونها يعود على حاجتى فى البيت السابق . يريد أن حاجته عسيرة ولكن قضاءها على المدوح يسير .

(٥) تأقت : اشتاقت . والسماح : الجود . ويقال فلان فى الكرم يجاهى الريح أى أنه سريع الى العطاء .

(٦) كيف لى : أى ما ذا أصنع .

(٧) مشهر ذائع : الأوضاح : جمع وضع اسم للفرقة أو الحلى من الفضة . والمراد شعر رائع .

فلما قرأها قال له هات مديحك فقال :

أَنَا مِنْ بُغْيَةِ الْأَمِيرِ وَكَزْهٍ مِنْ كُنُوزِ الْأَمِيرِ ذُو أَرْبَاحٍ^(١)
كَاتِبٌ حَاسِبٌ خَطِيبٌ أَدِيبٌ نَاصِحٌ زَائِدٌ عَلَى النَّصَاحِ
شَاعِرٌ مُفْلِقٌ أَخْفٌ مِنَ الرِّيدِ شَقِئٌ أَوْ مَا يَسْكُونُ تَحْتَ الْجَنَاحِ^(٢)

إِنْ دَعَانِي الْأَمِيرُ عَيْنَ مِنِي شَمَرِيًّا كَالْبُلْبُلِ الصَّيَاحِ^(٣)

(٧) مسلم ابن الوليد^(٤)

قال :

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبْذُلْ مِنَ الْوُدِّ مِثْلَ مَا بَذَلْتُ لَهُ فَاعْلَمْ بِأَنِّي مُفَارِقُهُ
فَلَا خَيْرَ فِي وُدِّ امْرِئٍ مُتَكَارِهِ عَلَيْكَ، وَلَا فِي صَاحِبٍ لَا تَوَافِقُهُ

وقال :

دَلَّتْ عَلَى نَفْسِهَا الدُّنْيَا ، وَصَدَّقَهَا مَا اسْتَرْجَعَ الدَّهْرُ مِمَّا كَانَ أُعْطَانِي^(٥)
مَا كُنْتُ أَدْخِرُ الشُّكُورَى لِحَادِثَةٍ حَتَّى ابْتَلَى الدَّهْرُ أَسْرَارِي فَأَشْكَانِي^(٦)

(١) من بغيته : من مطالبه . يريد أن الأمير لو اصطغفه واصطفاه لرأى فيه خيرا كثيرا . وقد عدد مزايا نفسه في البيتين بعده .

(٢) الشاعر المفلق : المبدع . وأخف الريش وأدقه ما يكون عند الجناح . ويريد بالخفة خفة الروح .

(٣) الشمرى بفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة وكسر الراء : المجد الماضي في الأمور . والبلبل طائر صغير الجسم حسن الصوت يشبه طلق اللسان .

(٤) نشأ صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصارى فى الكوفة وفيها درس وتأدب وعالج الشعر منذ صباه يمدح به الأمراء ويثرى من ذلك ولكنه سخرى متلاف . وكان مسلم من أكبر شعراء عصره ومن تكلفوا البديع فى شعرهم حتى روى بافساده . ولشعره صبغة خاصة تجمع بين الأسلوبين القديم والحديث مع رقة واضحة وقد مات بجرجان سنة ٣٠٨ هـ .

(٥) يقول : قد ظهر غدر الحياة بدليل شبابى الذى استرجعته منى الأيام .

(٦) ما اعتدت الشكوى من الحوادث فلما هجم الدهر على شبابى شكوت . والأسرار هنا :

ما يضمن به ويريد بها الشباب وأشكاه بعثه على الشكوى .

وقال يهجو دُعبل بن عليّ الخزاعي الشاعر :

أما الهجاء فدقَّ عرضك دُونَهُ والمدحُ عَنْكَ كما علمتَ جَلِيلُ^(١)
فأذهبُ فأنتَ طليقُ عرضك إِنَّهُ عِرْضُ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ^(٢)

وقال من قصيدة يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم المهلبى :

لا تَدْعُ بِي الشوقَ إِنِّي غَيْرُ مَعْمُودٍ نَهَى النَّهْيَ عَنْ هَوَى الْبَيْضِ الرَّعَادِيدِ^(٣)

مُوَحَّدُ الرَّأْيِ تَنْشَقُّ الظُّنُونُ لَهُ عَنْ كُلِّ مُلْتَبِسٍ مِنْهَا وَمُعْقُودُ^(٤)
كَالِثٍ بَلِ مِثْلُهُ اللَّيْثُ الْمَهْصُورُ إِذَا غَنَى الْحَدِيدُ غِنَاءً غَيْرَ تَغْرِيدِ^(٥)
يَلْقَى الْمَنِيَّةَ فِي أُمْثَالٍ عُدَّتْهَا كَالسَّيْلِ يَقْذِفُ جُلُودًا بِجُلُودِ^(٦)
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا دَاوُدُ إِذْ عَلِقْتُ أَيْدِي الرَّدَى بِنَوَاصِي الضَّمْرِ الْقُودِ^(٧)
يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِنْ ضَنَّ الْجَوَادُ بِهَا وَالْجُودُ بِالنَّفْسِ أَقْصَى غَايَةِ الْجُودِ

(١) دق : صغر فلا تحتل مدحا ولا هجاء لصغرك عن الهجاء وحقارتك عن المدح .

(٢) طليق عرضك : أى صانك عرضك الحقير عن الهجو وبذلك كنت كالعزيز الذى لا يصح هجوه والواقع أنه ذليل .

(٣) لا تدع بى الشوق : لا تنسبني اليه . المعمود : من هذه العشق . النهى : جمع نهيۃ بضم النون وهى العقل . الرعاديد : جمع رعديدة المرأة الرخصة الناعمة .

(٤) موحد الرأى لا يتردد فيه . لأن ظنه كاف لادراك المعميات والدقائق .

(٥) الليث الهصور : الأسد الذى يكسر فريسته كسرا . غناء الحديد : صوت السلاح فى الحرب التغريد للطائر : رفع الصوت بلفناء .

(٦) المنية : الموت . فى أمثال عدتها أى بجيوش وعدد تدافع الموت وتغالبه . الجلمود : الصخر يشبه الممدوح بالسيل يرمى الموت بمثله كالسيل فى تدفقه يضرب الصخرة بالصخرة .

(٧) علقت : تعلقت . الردى : الموت . الضمر : جمع ضامر : الفرس الخفيف اللحم . القود جمع أقود : وهو الطويل الظهر . يظهر اعجابه بالممدوح والموت معقود بنواصى الخيل وقت القتال حتى قال له أفديك بنفسى .

وقال :

- وما ابتقت الأيام مني ولا الصبا
سوى كبدٍ حرّى وقلبٍ مقتل^(١)
ويوم من اللذات خالست عيشه
رقيقاً على اللذات غير مغفل^(٢)
فكنت نديم الكأس حتى إذا انقضت
تعوّضت منها ريق حوراء عيطل^(٣)
نهاني عنها حبها أن أريها
بسوء ؛ فلم أفتك ولم أتبدل^(٤)
سقتني بعينها الهوى وسقيتها ،
فدبّ ديب الراح في كل مفصل^(٥)
فلما استمرت من دجى الليل دولة
وكاد عمود الصبح بالصبح ينجلي^(٦)
ترأى الهوى بالشوق ، فاستحدث البكا
وقال للذات اللقاء : ترحلى^(٧)
فلم تر إلا عبرة بعد عبرة
مرقرة أو نظرة بتأمل^(٨)

وقال :

- ياربّ خدنٍ قد قرعت جبينه
بالطاس والإبريق حتى مالا^(٩)
أنهضته من بعد ما أسكرته
فشى كأن برجله عقالا^(١٠)

- (١) الكبدى الحرى : هى التى ألهبها العشق . الصبا : ملاهى الشباب . مقتل . قتله العشق
(٢) خالست الرقيب : تحينت غفلته . ويريد بالرقيب غير المغفل هموم الدهر وأكداره .
(٣) الحوراء : المرأة ذات العين بياضها وسوادها شديداً . العيطل : الطويلة العنق فى حسن
(٤) أفتك : أتبدل . أفتل : أمتنع متحرجاً . يقول : ان حبي لها أكرم موضعها عندى فلم
أسرف ولم أتحرج وانما كان لهو معتدل .
(٥) يصف سحر عيونها . الراح : الخمر .
(٦) الدولة هنا : الجانب . عمود الصبح : ضوءه .
(٧) ترأى الهوى بالشوق : ظهرت حرارة الحب .
(٨) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض . مرقرة : تدور فى باطن العين .
(٩) الخدن : الحبيب . الطاس : الاناء يشرب فيه . يريد ساقيته الخمر .
(١٠) العقال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها . أى لا يستطيع المشى لشدة السكر .

فإذا نظرت رأيت قوماً سادةً ونجاةً ومهابةً وجمالا
 ولديهم كرخية شمسية^(١) قد خلّيت في دهرها أحوالا^(٢)
 حتى إذا بلغت وحنّ خطابها ساومت صاحبها البياع فغالا^(٣)
 وكأنما الساقى لدى إريقه بدر أنار ضياؤه فتلالا^(٤)
 يسقيك بالعينين كأس صباية^(٥) ويعيدها من كف جرّيالا^(٦)
 أصبحت كالثوب اللبس قد اخلقت جداته منه فعاد مذالا^(٧)
 وبقيت كالرجل المدله عقله أشكو الزمان وأضرب الأمثالا^(٨)
 سألت عذالي فأبوا بالرّضا منى، وكنت أحارب العذالا^(٩)
 ولقد علمت بأنه ما من فتى إلا سيبدل بعد حال حالا

وقال من وزن مؤلّد :

يأيها المعمود قد شفك الصدود^(٨)
 فأنت مستهم^(٩) حالفك الشهود^(٩)

- (١) كرخية : خمر منسوبة الى الكرخ وهى محلة ببغداد شمسية . خمر الدن : وعاء كبير تختزن فيه الخمر . يريد أنها خمر معتقة . الأحوال : جمع حول . وهو العام .
- (٢) خطابها من الخطبة بكسر الخاء : وهى دعوة المرأة للزواج . ساوم المشتري السلعة : طلب بيعها . غالى : تشدد فى المثل وزاد .
- (٣) تلالا : تلالاً وأضاء
- (٤) الصباية : الشوق . الجريال : الخمر . يسقيك كأسين أحدهما من العين (سحرها) والثانية من اليد .
- (٥) اللبس : الذى أخلقته كثرة اللبس . جدة الثوب : كونه جديداً . مذالا : مهينا مبتذلاً .
- (٦) المدله : الداهب عقله من العشق وذلك شأن الرجل اذا أسن وخرف .
- (٧) العذال : اللائمون . أبوا : رجعوا
- (٨) المعمود : الشديد الوجد أو الحزن . وشفك : أوهنك وأنحك . والصدود هنا : اعراض الحبيب ، يتحدث الشاعر عن نفسه .
- (٩) المستهم : الداهب الفؤاد من الحب . والسهود جمع سهد : الأرق .

تَبَيْتُ سَاهِرًا قَدْ وَدَّعَكَ الْمَجُودُ^(١)
 وَفِي الْفُؤَادِ نَارٌ لَيْسَ لَهَا مُنْخُودُ
 تَشَبَّهًا نِيرَانٌ مِنْ الْمَوَى وَقُودُ^(٢)
 إِذَا أَقْبَلَ يَوْمًا قَدْ أَطْفِئْتُ تَزِيدُ
 يَا عَاذِلِي كُفَّا فَإِنِّي مَعْمُودُ
 أَكْرَهْتُمَا تَفْنِيدِي لَوْ يَنْفَعُ التَّفْنِيدُ^(٣)
 قَدْ أَقْصَدْتُ فُؤَادِي خَمَصَانَةً خَرِيدُ^(٤)
 هَجَرَانُهَا قَرِيبٌ وَوَصَلُهَا بَعِيدُ

مَنْ لَامَ فِي هَوَاهَا فَنُصَحَهُ مَرْدُودُ
 يَا سِحْرُ وَاصِلِينِي فَإِنِّي عَمِيدُ^(٥)
 إِنِّي لِمَا أَلَاقِي مِنْ حُبِّكُمْ مَجْهُودُ
 جُودِي لِمُسْتَهَامٍ عَذَّبَهُ التَّسْهِيدُ
 نَسَهَرُ مِنْ هَوَاكُمُ وَأَنْتُمْ رُقُودُ
 حَتَّى مَتَى مُنَايَ لَا يَنْجِزُ الْمَوْعُودُ
 صَارَ الْمَوَى بَقْلِي يُبْدِي كَمَا يُعِيدُ

(١) الهجود : النوم .

(٢) تشبها : توقدها وتزيدها . وقود : توقد لها .

(٣) التفتيد : اللوم .

(٤) أقصبت فؤادي : طمنتها . خمصانة : ضامرة الحشا . الخريد : البكر والحبيبة .

(٥) العميد كالمعمود : الشديد الوجد أو الحزن .

وَسَادَةٌ	سَرَاةٍ	مَا فِيهِمْ	مَسُودٌ ^(١)
كُلُّهُمْ	جَلِيدٌ	مَا فِيهِمْ	حَرِيدٌ ^(٢)
بَانَ	السَّفَاهُ	عَنَّهُمْ	فَرَأَيْهِمْ سَدِيدٌ ^(٣)
يُسْقَوْنَ	صَفْوَ	رَاحٍ	لَذِيذُهَا مَوْجُودٌ
كَانَتْ	بِعَهْدِ	نُوحٍ	وَهُمْ لَهَا جُنُودٌ ^(٤)
حَتَّى	إِذَا	أُيِّدُوا	أُورِثَهَا ثُمُودٌ ^(٥)
شَمْسِيَّةٌ	شَمُولٌ	شَيْطَانُهَا	مَرِيدٌ ^(٦)
مُدَامَةٌ	لَهَا	فِي	خُدُودِنَا تَوْرِيدٌ
كَأَنَّ	شَارِبِيهَا	فِي	سُوقِهِمْ قِيُودٌ ^(٧)
حَتَّى	اَثْنَتَ	عُيُونُ	وَاحْمَرَّتْ أَلْخُدُودُ
فِي	مَجْلِسٍ	نَضِيرٍ	يَزِينُهُ الشُّهُودُ ^(٨)

(١) السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف .

(٢) الجليد : الجلد القوى الصلب . والحريد : المنفرد الضعيف .

(٣) السفاه : السفه وذهاب الحكمة والسداد .

(٤) أى هى عتيقة قديمة ، وهم : القدامى .

(٥) أى فلما هلك قوم نوح ورثها قوم ثمود فتنقلت فى الأحقاب حتى وصلت إلينا .

(٦) شمسية : من صنع الشمس وحرارة الطبيعة ولم تطبخ . شمول : خمرا وباردها . المرید : المتمرد الخبيث ، أى خمر قوية الأثر .

(٧) السوق : جمع ساق : ما بين الركبة والقدم ، يقول : ان شاربها أقعدهم السكر فكأنهم

مقيدون لا يستطيعون حراكا .

(٨) النضير : الحسن . والشهود : الحضور .

غَطَارِفٌ كَرَامٌ بَيْضُ الْوُجُوهِ صَيْدٌ^(١)
 مِنْ فَوْقِهِمْ أَطْيَارٌ صِيَاخُهَا تَغْرِيدٌ
 وَتَحْتَهُمْ حِنَانٌ نَبَاتُهَا نَضِيدٌ^(٢)
 وَعِنْدَهُمْ دِفَافٌ وَزَامِرٌ وَعُودٌ^(٣)
 خَاضُوا بِحَرِّ قَصْفٍ تَجْرِي لَهُ مَدُودٌ^(٤)
 حَتَّى اتَّشَوْا وَقَامُوا مَجْلِسُهُمْ مَحْمُودٌ
 مَنْ نَالَ مِثْلَ هَذَا فَإِنَّهُ سَعِيدٌ
 هَذَا الْخُلُودَ عِنْدِي لَوْ دَامَ لِيَ الْخُلُودُ

وقال :

أَدِيرِي عَلَى الرَّاحِ سَاقِيَةَ الْخَمْرِ وَلَا تَسْأَلِينِي وَاسْأَلِي الْكَأْسَ عَنْ أَمْرِي^(٥)
 كَأَنَّكَ بِي قَدْ أَظْهَرْتَ مُضْمَرَ الْحَشَا لَكَ الْكَأْسُ حَتَّى أَطْلَعْتَكَ عَلَى سِرِّي^(٦)
 وَقَدْ كُنْتُ أَقْلَى الرَّاحِ أَنْ يَسْتَفْزِنِي فَتَنْطِقَ كَأْسٌ عَنْ لِسَانِي وَلَا أَدْرِي^(٧)

(١) غطارف : جمع غطرف وهو السيد أو الكريم أو الشاب الظريف . والصيد : جمع أصيد وهو الملك أو الشريف العزيز .

(٢) نضيد : منضد أى منسق .

(٣) دفاف جمع دفة : من آلات الطرب .

(٤) القصف : الإقامة فى الأكل والشراب واللهو . والمدود : الزيادات .

(٥) الراح : الخمر . يقول : الكأس تكشف لك أمرى إذا سكرت منها كما يوضحه البيت التالى .

(٦) أى كأنك تريننى وقد أطلعتك الكأس على سرى الذى أضمره فى نفسى . والحشا هنا : القلب

أو الصدر مما هو مكان السر ، والسكران لا يعى شيئاً فلا جرم أن يبووح بما فى نفسه .

(٧) أقلى : أبغض . يستفزنى : يستخفى لذهاب وعي ، أى كنت أكره الخمر خوف ذهاب عقلى

فيظهر سرى دون أن أشعر .

- وَلَكِنِّي أُعْطِيتُ مَقُودِي الصَّبَا فَقَادَ بَنَاتِ اللّٰهُوَ مَخْلُوعَةَ الْعُذْرِ (١)
 إِذَا شِئْتُ غَادَانِي صَبُوحٌ مِنَ الْهُوَى وَإِنْ شِئْتُ مَاسَانِي غَبُوقٌ مِنَ الْخَمْرِ (٢)
 ذَهَبْتُ وَلَمْ أَحْدِدْ بَعِيْنِي نَظْرَةً وَأَيَّقَنْتُ أَنَّ الْعَيْنَ هَاتِكَةً سِثْرِي (٣)
 جَعَلْنَا عِلَامَاتِ الْمُوَدَّةِ بَيْنَنَا مَصَايِدَ لِحَظٍ ، هُنَّ أَخْفَى مِنَ السَّحْرِ (٤)
 فَأَعْرِفُ مِنْهَا الْوَصَلَ فِي لَيْلٍ طَرَفَهَا وَأَعْرِفُ مِنْهَا الْمَجَرَ بِالنَّظَرِ الشَّرِّ (٥)
 وَفِي كُلِّ يَوْمٍ خَشْيَةٌ مِنْ صُدُودِهَا أَيْتُ عَلَى ذَنْبٍ ، وَأَعْدُو عَلَى عُذْرِ (٦)
 وَمُلْتَطِمِ الْأَمْوَاجِ يَرَى عِبَابَهُ بِجَرَجَرَةٍ الْآذِيِّ لِلْعَبْرِ فَالْعَبْرِ (٧)
 مُطْعَمَةٍ حَيْثَانَهُ مَا يُغِيْبُهَا مَا كُلُّ زَادٍ مِنْ غَرِيقٍ وَمِنْ كَسْرِ (٨)

(١) العذر : جمع عذار : الحياء ، وخلع عذاره : اتبع هواه وانهمك في الغى . يقول : ولكنني عدلت عن بغض الراح ، واتبعت دواعي الصبا ، فقادني مخلوع العذار الى اللذات . وأوقع الفعل على بنات اللّٰه وهو واقع عليه هو فهو المقود بيد الصبا .

(٢) الصبوح : الشرب صباحا ، وضده الغبوق . وغاداني : باكرني . وصبوح من الهوى : اتصال بالغرام ومراسلة النساء ، فهو بين الهوى والخمر .

(٣) أحدى : أنظر بحدة . اليها : الى المحبوبة ، وذلك خوف ظهور شأنى .

(٤) مصايد لحظ : غمزات العين ، وهن أخفى من السحر لأنه لا يفتن لها أحد .

(٥) النظر الشرر : يكون بجانب العين اعراضا .

(٦) أبيت على ذنب : أى ترمينى بذنب لم أفعله . وأعدو على عذر : أسرع بالاعتذار اليها .

(٧) وهنا انتقل الشاعر الى وصف نهر الفرات والسفينة التى ركبها الى ممدوحه . وملتطم الأمواج : ورب بحر الخ . والمتلاطم : المتناطح . وعباب البحر أو النهر : موجه . وجرجرة الآذى : صوت الموج . والعبر : حافة النهر .

(٨) مطعمة : شبعة . ما يغيبها : ما ينقطع عنها . وكسر : كسر سسينة ، فحيتان النهر موفورة الطعام من كثرة ما تصيب من الفرقى والأمتعة ، يصف النهر بالهول .

- إِذَا اعْتَنَقَتْ فِيهِ الْجَنُوبُ تَكَفَّاتُ جَوَارِيهِ أَوْ قَامَتْ مَعَ الرِّيحِ لَا تَجْرِي (١)
- كَأَنَّ مَدَبَّ الْمَوْجِ فِي جَنَبَاتِهَا مَدَبُّ الصَّبَا بَيْنَ الْوَعَاثِ مِنَ الْعُفْرِ (٢)
- كَشَفَتْ أَهَاوِيلَ الدُّجَى عَنْ مَهُولِهِ بِجَارِيَةِ مَحْمُولَةٍ حَامِلٍ بَكْرٍ (٣)
- لَطَمْتُ بِخَدَّيْهَا الْحَبَابَ فَأَصْبَحَتْ مُوَفَّقَةً الدَّايَاتِ مَرْتُومَةً النَّحْرِ (٤)
- إِذَا أَقْبَلَتْ رَاعَتْ بُقْنَةً قَرْهَبٍ وَإِنْ أَدْبَرَتْ رَاقَتْ بِقَادِمَتَيْ نَسْرِ (٥)
- تَجَافَى بِهَا النَّوْتَى حَتَّى كَأَنَّمَا يَسِيرُ مِنَ الْإِشْفَاقِ فِي جَبَلٍ وَعَرٍ (٦)
- تَخَلَّجَ عَنْ وَجْهِ الْحَبَابِ كَمَا انْتَنَتْ مُخْبَّاتَةٌ مِنْ كِسْرِ سِتْرٍ إِلَى سِتْرٍ (٧)
- أَطَلَّتْ بِمَجْدَافَيْنِ يَعْتَوِرَانِهَا وَقَوْمَهَا كَسْبَحَ اللَّجَامِ مِنَ الدُّبْرِ (٨)

(١) اعتنقت : اضطربت واستدارت . والجنوب : ريح تهب من الناحية الجنوبية . تكفأت : انقلبت . والجواري : السفن مع تلك الريح تنكفأ أو تقف لا تسير لهول الحال .

(٢) جنباتها : جنبات السفينة . والصبأ : ريح شرقية . الوعاث : الرمال اللينة . والعفر : جمع أعفر وهو الكثيب الأحمر ، يشبه تحرك الموج بجوانب السفينة ، بتحريك الريح بين الرمال فتحمل أجزائها متقلبة .

(٣) عاد إلى النهر يصفه . أهاويل : أهوال ، ومهوله . هول النهر . محمولة يحملها الماء . حامل : تحمل الناس . بكر : لم تركب قبل هذه المرة . يقول : قطعت النهر المهول ، والليل المخوف بتلك السفينة .

(٤) الحباب : الموج ، موقفه لابسة الوقف : سوار من عاج . الدايات : أضلاع الكنف أو غضاريف الصدر . مرتومة : بها صبغ من حمرة أو بياض في مقدمها أو ودع أبيض . يقول : قد أحدث الموج في جانبي السفينة خطوطاً خضراً أو حمراً . وهي مرتومة المقدم مصبوغته أو به ودع أبيض .

(٥) راعت : أفزعت . قنة قرهب : رأس ثور وحشى مسن ، شبه به مقعد النوتى في صدر المركب . راق : أعجبت . بقادمتى نسر : بمجذافين كأنهما جناحا نسر .

(٦) تجافى : تنحى عن الحشف وهو حجارة تحت الماء تقرب من أعلاه . والاشفاق : الخوف يقول : ان النوتى تحاشى موطن الخطر فكأنه يسير في جبل وعر .

(٧) تخلج : تنحى . الحباب : الموج ، والمراد الأماكن التى تضطرب فيها الأمواج ، يشبه تنقل السفينة بين المواضع خشية الأخطار بالجارية تنتقل في نواحي البيت وأستاره مستترة .

- فَحَامَتْ قَلِيلًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَا عِقَابٌ تَدَلَّتْ مِنْ هَوَاءٍ عَلَى وَكْرٍ^(١)
 أَنَافَ بِهَا دِيهَا وَمَدَّ زِمَامَهَا شَدِيدُ عِلَاجِ الْكَفِّ مُعْتَمِلُ الظَّهْرِ^(٢)
 إِذَا مَا عَصَتْ أَرْخَى الْجَرِيرَ لِرَأْسِهَا فَمَكَكَهَا عَصِيَانَهَا وَهَى لَا تَدْرِي^(٣)
 كَأَنَّ الصَّبَا تَحْكِي بِهَا حِينَ وَاجَهَتْ نَسِيمَ الصَّبَا مَشَى الْعُرُوسِ إِلَى الْخَدْرِ^(٤)
 يَمَمْنَا بِهَا لَيْلَ التَّمَامِ لِأَرْبَعِ فِجَاءَتْ لِسِتٍ قَدْ بَقِينَ مِنَ الشَّهْرِ^(٥)
 فَمَا بَلَغَتْ حَتَّى الطَّلَاحُ خَفِيرُهَا وَحَتَّى أَتَتْ لَوْنَ اللَّحَاءِ مِنَ الْقَشْرِ^(٦)
 وَحَتَّى عَلَاهَا الْمَوْجُ فِي جَنَبَاتِهَا بِأَرْدِيَةٍ مِنْ نَسَجِ طُحْلِبِهِ خُضْرُ^(٧)
 رَمَتْ بِالْكُرَى أَهْوَالَهَا عَنْ عُيُونِهِمْ فَبَاتَتْ أَهَاوِيلُ الشَّرَى بِهِمْ تَسْرَى^(٨)

(١) حامت : استدارت . والعقاب : طائر من الجوارح . والوكر : العش ، يشبه سرعة السفينة بانقضاض العقاب الى وكره .

(٢) أناف بهاديها : أشرف بعنق السفينة . والمعتمل : العامل . يقول : يعالج السفينة نوتى قوى .

(٣) الجرير : الحبل . عصيانها : تماديها فى الجرى . أى ترك لها العنان لتسير كما تهوى فكانه حلها على العصيان ، ... ولكنها لا تعقل ذلك .

(٤) يقول : حين تواجه الصبا سفينة تترفق فى مشيها فتشبه فى ذلك مشى العروس الى خدرها ، وهو ما تستتربه من بيت أو نحوه .

(٥) أى قصدت بها المدوح لتمام الليلة الرابعة عشرة من الشهر فوصلت وقد بقى من الشهر ست ليال .

(٦) الطلاح : الكلال والاعياء وفساد الحال . أى فما بلغت الغاية حتى صار الطلاح كأنه هو الحافظ لها من الهلاك ، وذلك عجيب . وحتى أتت : حتى صارت . لون اللحاء : مثل لونه ، واللحاء : قشر الشجرة الرقيق الذى دون القشر الغليظ ، فالسفينة تغير لونها بما ذهب من قشرها .

(٧) الطحلب : طبقة نباتية خضراء تعلو الماء ، يذكر تعلق الطحلب بجوانب السفينة من تأثير الموج . وخضر : صفة أردية .

(٨) الكرى : النوم ، يقول : ان أهوال السفينة منعت ركايبها النوم ، فباتوا يسيرهن فى أهوال ، والأهويل : جمع أهوال ، وهذه جمع هول .

تَوَّمُ مَحَلَّ الرَّاغِبِينَ وَحَيْثُ لَا تَذَادُ إِذَا حَلَّتْ بِهِ أَرْحُلُ السَّفَرِ^(١)
رَكَبْنَا إِلَيْهِ الْبَحْرَ فِي مَوْخِرَاتِهِ فَأَوْفَتْ بِنَا مِنْ بَعْدِ بَحْرِ إِلَى بَحْرٍ^(٢)

(٨) أَبُو الْعَتَاهِيَّةَ^(٣)

قال :

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَبْهَى الْقَلْبُ الْجُمُوحُ^(٤)
لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ دُنُوٌّ وَنُزُوحُ^(٥)
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحُ^(٦)
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ^(٧)
أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
فَإِذَا الْمَسْتُورُ مِنَّا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ فَضُوحُ^(٨)

(١) تَوَّمُ : تقصد أى السفينة . تَذَادُ : تمنع . السفر : المسافرون ، والمعنى أن السفينة تقصد بنا منزلا يقصده الراغبون في الكرم حيث يرحب بهم .

(٢) في مؤخراته : أى في أواخر ركوبه . يقول ان السفينة انتقلت بنا من بحر (الفرات) الى من يشبه البحر كرما .

(٣) هو اسماعيل بن القاسم يكنى أبا اسحق نشأ بالكوفة ، وعالج الشعر صبيا خليفا ثم ألم بمذاهب المتكلمين والفلاسفة حتى خرج زاهدا . وكان بخيلا شديدا البخل : غلب عليه مذهب الزهد حتى حانت منيته سنة ٢١١ هجرية ببغداد . ويمتاز شعره بالسهولة ووضوح المعنى وتناول الخواطر العامة فكان صلة حسنة بين الطبقات المتباينة ويكاد شعره من السهولة يكون نثرا

(٤) الطرف العين . الطموح : الطامع يجعلك تتعلق بأمور كثيرة . جموح : نافر لا يقنع .

(٥) نزوح : بعد . ودنو : قرب .

(٦) المطلوب بذنب : العاصي الآثم . نصوح : صادقة ، والاستفهام للنفي .

(٧) قروح : جمع قرح ، وهو الجرح (الآثم) .

(٨) فضوح : مفتضح . مكشوف المساوىء .

كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طَوَّيْتَ عَنْهُ الْكُشُوحُ^(١)
 صَاحَ مِنْهُ بِرَحِيلٍ صَاحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ^(٢)
 سَيَصِيرُ الْمَرْءُ يَوْمًا جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
 بَيْنَ عَيْنَيَّ كُلِّ حَيٍّ عِلْمُ الْمَوْتِ يَلُوحُ^(٣)
 كُلُّنَا فِي غَفْلَةٍ وَالْمَوْتُ يَغْدُو وَيَرْوَحُ^(٤)
 نُحْ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْ كَيْنُ إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ
 لَتَمُوتَنَّ وَإِنْ عُمُّ رَتَ مَا عُمَّرَ نُوحُ^(٥)

ومن قوله :

أَلَمْ تَرَ رَيْبَ الدَّهْرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضٌ فِيهِ الْمَنِيَّةُ تَلَمَّعُ^(٦)
 أَيَا بَابِ الدُّنْيَا لَغَيْرِكَ تَبْتَنِي وَيَا جَامَعَ الدُّنْيَا لَغَيْرِكَ تَجْمَعُ
 أَرَى الْمَرْءَ وَثَابًا عَلَى كُلِّ فُرْصَةٍ وَلِلْمَرْءِ يَوْمًا لَا مُحَالَةَ مَصْرَعُ
 تَبَارَكَ مَنْ لَا يَمْلِكُ الْمَلِكُ غَيْرُهُ مَتَى تَنْقُضِي حَاجَاتُ مَنْ لَيْسَ يَشْبَعُ^(٧)
 وَأَيُّ أَمْرٍ فِي غَايَةِ لَيْسَ نَفْسُهُ إِلَى غَايَةِ أُخْرَى سِوَاهَا تَطَلَّعُ

(١) الكشوح : جمع كشح . وهو ما بين السرة والظهر . طوى كشحه : أعرض . يقول كم من عزيز صار ذليلاً منبؤدا .

(٢) الصدوح : مرتفع الصوت . رحيل : موت . يقول : مات .

(٣) علم الموت : مظاهره وآثاره .

(٤) يغدو ويروح : أى يحصد النفوس دائماً يقظان .

(٥) سيدنا نوح عاش طويلاً .

(٦) ريب الدهر : نوائبه . العارض : السحاب . والمنية : الموت ، يشبهها بالبرق يكون في السحاب استعارة مكنية .

(٧) في الشطر الثاني استفهام تعجيبى من طمع الإنسان فيما ليس يملكه .

ولما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة الأمين والمأمون والمؤمن قال أبو العتاهية :

رَحَلْتُ عَنْ الرَّبِيعِ الْمُحِيلِ قَعُودِي إِلَى ذِي زُحُوفٍ جَمَّةٍ وَجُنُودِي^(١)
وَرَايَ يُرَاعِي اللَّيْلَ فِي حِفْظِ أَمَّةٍ يُدَافِعُ عَنْهَا الشَّرُّ غَيْرَ رَقُودِ
بِأُلُويَةٍ ، جَبْرِيلُ يَقْدُمُ أَهْلَهَا وَرَايَاتِ نَصْرِ حَوْلِهِ وَبُنُودِ^(٢)
تَجَافَى عَنِ الدُّنْيَا وَأَيَّ قَنَ أَنْهَا مَفَارِقَةٌ لَيْسَتْ بِدَارِ خُلُودِ
وَشَدَّ غُرَا الْإِسْلَامِ مِنْهُ بِفَتِيَةٍ ثَلَاثَةِ أَمْلَاقٍ وَلَاةِ عَهْدِ
هُمْ خَيْرُ أَوْلَادٍ ، لَهُمْ خَيْرُ وَالِدٍ لَهُ خَيْرُ آبَاءٍ مَضَتْ وَجُدُودِ
تَقَلَّبُ الْحَظَّ الْمَهَابَةَ بَيْنَهُمْ عَيُونُ ظُبَاءٍ فِي قُلُوبِ أَسُودِ^(٣)
خُدُودُهُمْ شَمْسٌ أَتَتْ فِي أَهْلَةٍ تَبَدَّتْ لِرَاءِ فِي نَجُومِ سَعُودِ^(٤)

وقال :

دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ أَبِي وَجَدٍّ وَنَسَبِ يُعْلِيكَ سُورَ الْمَجْدِ
مَا الْفَخْرُ إِلَّا فِي التَّقَى وَالزُّهْدِ وَطَاعَةِ تُعْطَى جَنَّاتِ الْخُلْدِ
لَا بَدَّ مِنْ وَرْدٍ لِأَهْلِ الْوَرْدِ إِمَّا إِلَى ضَحْلِ وَإِمَّا عِدٍّ^(٥)

(١) القعود : الجمل الفتى يقتحمه الراعى فى كل جاجة ورحلته ركبته . المحيل : الدارس .
الزحوف جمع زحف : الجيش الكثير يزحف الى العدو . وذو الزحوف هنا : الرشيد .

(٢) يقدم أهلها : يتقدمهم . البنود جمع بند : العلم .

(٣) يقول ان لهم عيونا كعيون الأطباء جمالا ، وقلوبا كقلوب الأسد جرأة ، ولعيونهم الحافظ تبعث
الهيبة والروعة فى النفوس .

(٤) الأهلة : الوجوه مجازا . ونجوم السعود : أفراد البيت المالك ، ويجوز أن يراد بها أوقات

سعادة .

(٥) الضحل : الماء القليل لا عمق له . والعد : الماء الذي له مدد لا ينقطع .

وقال :

أى عيش يكون أبلغ من عيد عيش كفافٍ قوتٍ بقدر البلاغ^(١)
صاحبُ البغى ليسَ يسلمُ منه وعلى نفسه بغى كلُّ باغى
ربّ ذى نعمةٍ تعرّضَ ونها حائلٌ بينه وبين المساغ
أبلغَ الدهرُ فى مَواعِظه ، بل زادَ فيهنَّ لى على الأبلّاغ
غبتننى الأيامُ عقلى ومالى وشبابى وصحتى وفراغى

وقال :

لدُّوا للموت وابنُّوا للخرابِ فكلكم يصير إلى تباب^(٢)
ألا يا موت لم أر منك بُدًّا أتيتَ وما تحيفُ وما تُحابى
كأنك قد هجمتَ على مشيبي كما هجمَ المشيبُ على شبابى

وقال فى الغزل :

قال لى أحمدٌ ولم يدِرْ ما بى أتحبُّ الغداة عُتْبَةَ حَقًّا ؟
فتنفستُ ثم قلتُ نعمُ حُبِّ لا جرى فى العروقِ عرقًا فعرقا
لو تجسّينَ يا عُتْبَةُ قلبي لوجدتِ الفؤادَ قرحًا تفقأ^(٣)
قد لعمري ملّ الطَّبِيبُ وملّ الـ لأهلُ منى مما أقالسى وألقى
كيتننى متٌ فاسترحتُ فإني أبداً ما حيتُ منه مُلقى^(٤)

(١) قوت البلاغ : ما كان على قدر الكفاية .

(٢) التباب : الهلاك .

(٣) تفقأ الجرح : انفتح وسال .

(٤) ملقى : ملاق شره .

جملة من أمثاله :

حَسْبُكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقُوَّةُ مَا أَكْثَرَ الْقُوَّةَ لِمَنْ يَمُوتُ

الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافًا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا

هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلَمُنِي أَوْ فَذَرْ إِن كُنْتُ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَا الْقَدَرُ

مَا انْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمَثَلِ عَقْلِهِ وَخَيْرُ ذُخْرِ الْمَرْءِ حَسَنُ فِعْلِهِ

إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَيْ مَفْسَدَةٌ

مَا زَالَتِ الدُّنْيَا لَنَا دَارَ أَذَى مَمْزُوجَةِ الصَّفْوِ بِالْوَانِ الْقَدَى

الْخَيْرُ وَالشَّرُّ بِهَا أَزْوَاجُ لَذَا نِتَاجُ وَلَذَا نِتَاجُ

مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَلَيْسَ مَحْضُ يَحْبُتُ بَعْضٌ وَيَطِيبُ بَعْضُ

إِنَّكَ لَوْ تَسْتَنْشِقُ الشَّحِيحَا وَجَدْتَهُ أَنْتَنَ شَيْءٌ رِيحَا

وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ إِذَا مَا عُودَا بَيْنَهُمَا بَوْنٌ بَعِيدٌ جَدَا

(٩) أبو تمام^(١)

قال يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد ، ويذكر

فتح عمورية :

السِّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنْ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدَّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ^(٢)
بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ^(٣)
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَا مِعةً بَيْنَ الْخَمِيسِينَ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهْبِ^(٤)
أَيْنَ الرِّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبٍ؟
تَخْرُصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً لَيْسَتْ بِبَنَعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ^(٥)

(١) هو حبيب بن أوس الطائي نسبه الى قبيلة طيء . ولد في قرية جاسم من بلاد حوران بالشام ، ثم انحدر الى مصر صبيا فتروى الادب : وأكثر من حفظ الشعر ، قصيده وأراجيزه ، وعالج القريض حتى أجاده وبرع فيه ثم صار الى بغداد فمدح الخليفة المعتصم وغيره فأبدع وأوفى على الغاية حتى تقدم على سائر شعراء عصره . ويمتاز في شعره بتخير اللفظ . وتجويد الصياغة وهو من أوائل من عنوا بتحرى فنون البديع ، وبخاصة الطباق والتجنيس وكانت وفاته سنة ٢٣١ هجرية .

(٢) الأنباء: جمع نباء ، وهو الخبر يقول : ان السيف أصدق مما تضمنته الكتب وقد حكوا أن المنجمين كانوا حذروا المعتصم فتحها في هذا الأوان ، وقالوا انا نجد في الكتب أنها لا تفتح الا في وقت نضج التين والعنب ، فلم يسمع المعتصم لقلوبهم وسار بجيشه ففتحها .

(٣) الصفائح جمع صفيحة : السيف العريض . والصحائف جمع صحيفة : القرطاس المكتوب ، يقول : ان السيوف البيضاء هي التي تجلو الشك وتزيل الريب لا الصحائف المكتوبة .

(٤) شهب الرماح : أى الرماح التى هى كالشهب . والخميس : الجيش . والسبعة الشهب هى : الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ وزهرة وعطارد ، يقول : ان العلم الحق انما هو فى السيوف وليس فى النجوم .

(٥) التخرص : الكذب . والتبع : شجر صلب ينبت فى رعوس الجبال . والغرب : نبات رخو منبت على الأنهار ، أى أن أحاديث المنجمين كذب لا أصل له .

عَجَائِبًا زَعَمُوا الْأَيَّامَ مُجْفَلَةً عَنْهُمْ فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ أَوْ رَجَبٍ (١)
 وَخَوْفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْبَاءِ مُظْلِمَةٍ إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَبِ
 وَصَيَّرُوا الْأَبْرُجَ الْعُلْيَا مُرْتَبَةً مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبٍ (٢)
 يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ مَا دَارَ فِي فَلَكَ مِنْهَا وَفِي قُطْبٍ (٣)
 لَوْ بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ لَمْ تُخَفِ مَا حَلَّ بِالْأَوْثَانِ وَالصُّلْبِ
 فَتَحَ الْفُتُوحَ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطْبِ
 فَتَحَ تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُسْبِ
 يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةٍ انْصَرَفَتْ عَنْكَ الْمُنَى حَفَلًا مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ (٤)
 أَبْقَيْتَ حَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صُعْدِ وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشُّرْكِ فِي صَبَبٍ (٥)
 أُمَّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا فِدَاءَهَا كُلُّ أُمَّ بَرَّةٍ وَأَبٍ (٦)
 وَبَرَزَةُ الْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا كَسَرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرَبٍ (٧)

(١) يقول : أنهم اختلقوا عجائب فزعموا أن صفرا ورجبا شهرا شؤم لا يأتيان بخير .

(٢) كانوا يقسمون بروج السماء ثلاثة أقسام - أربعة منقلبة - وهي الحمل والسرطان والميزان والجدى ، وأربعة ثابتة ، وأربعة ذوات جسدين . ويزعمون أن الحوادث تقع وفق الطالع فان كان الحادث سيقع في برج ثابت فعلوه وان كان في منقلب لم يفعلوه .

(٣) يقول : ان النجوم نفسها غافلة عما يتحدثون به ويفكرون .

(٤) لمنى : ما يتمناه الانسان . وحفل : جمع حافل ، وهي الناقة التي امتلأ ضرعها . والحلب : الحلبة من اللبن ، ومعسولة : حلوة . يقول : ان امانينا عادت وهي حافلة بالسرور لتحقيق ما أملت

(٥) الصبيب : الانحدار .

(٦) يقول : ان عمورية كانت عزيزة عليهم كأهمهم ، وانها كانت ركنا عظيما من أركانهم .

(٧) البرزة : الحسنه الوجه : الفائقة في الجمال . وكسرى : ملك فارس . وأبو كرب : ملك من

ملوك التبابعة باليمن . يقول : ان عمورية جميلة فائقة الجمال قد أعيا فتحها كسرى وأبا كرب .

مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهِيَ لَمْ تَشِبْ
 بِكُرٍّ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ الثُّوبِ
 حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللَّهُ السِّنِينَ لَهَا مَخْضُ الْبَخِيلَةِ كَأَنْتَ زُبْدَةُ الْحَقْبِ (١)
 أَتَتْهُمْ الْكَرْبَةُ السَّودَاءُ سَادِرَةٌ مِنْهَا وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةُ الْكَرْبِ (٢)
 جَرَى لَهَا الْفَالُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْقَرَةٍ إِذْ غَوْدِرَتْ وَخَشَةَ السَّاحَاتِ وَالرُّحْبِ (٣)
 لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ (٤)
 كَمْ بَيْنَ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ قَانِي الدَّوَائِبِ مِنْ آنِي دِمٍ سَرَبِ (٥)
 بَسْنَةَ السَّيْفِ وَالْخَطِيَّ مِنْ دِمِهِ لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ (٦)
 لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ (٧)
 غَادَرَتْ فِيهَا بِهِيمَ اللَّيْلِ وَهُوَ ضَحَى يَشْلُهُ وَسْطُهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ (٨)

(١) مخض اللبن . خلطه ماء ثم رجه ليستخرج زبدته . ومخض البخيلة أشد لأنها تريد أن تستوفي ما في اللبن من زبدة . يقول : إن الله حفظ عمورية وظلت الأجيال تمخضها مخض البخيلة حتى استخلصها المعتصم فكانت زبدة الدهور .

(٢) الكربة السوداء : المصيبة العظمى . سادرة متحيرة والضمير في منها واسمها يرجع على عمورية : يقول : نأ الكارثة العظمى أصابتهم بفتحها وكانت عندهم فراجة الكرب لتعويلهم عليها في حروبهم .

(٣) كان المعتصم قد فتح أنقرة قبل فتح عمورية . يقول : لما فتحت أنقرة كان فتحها شؤماً على عمورية وأهلها فكان خراب أنقرة أعدى من الجرب إذ سقطت بعدها عمورية .

(٤) قاني الدوائب : أحر الضفائر : والآنى الحار جدا . وسرب : سائل . يقول : كم بين حيطان عمورية وقلعتها من جنود خضبت بالدماء الحارة .

(٦) كان بعض المسلمين يرون من السنة أن يخضب الشعر بالحناء . فهو يقول : إن هؤلاء الأبطال خضبوا من السيوف بالدماء وليس خضابهم — كالسنة — بالحناء .

(٧) يقول لقد تركت الصخر والخشب ذليلين لكثرة ما أعملت فيهما النار .

(٨) يشله : يطرده . يقول : إن الليل المظلم صار نهاراً باشتعال النيران التي كانت تطارد الظلام .

حَتَّى كَانَ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغَبَتْ عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَانَ الشَّمْسُ لَمْ تَغِبْ
 ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُجَى شَحِبْ
 فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبْ (١)
 تَصْرَحَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا عَنْ يَوْمٍ هَيَجَاءُ مِنْهَا طَاهِرٌ جُنْبِ (٢)
 لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى بَانَ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَزَبِ (٣)
 مَا رُبِعُ مَيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ غَيْلَانُ أَبْهَى رُبًّا مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ (٤)
 وَلَا الْخُدُودُ وَقَدْ أَدْمِينَ مِنْ خَجَلٍ أَشْهَى إِلَى نَاطِرِي مِنْ خَدَّهَا التَّرَبِ (٥)
 سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ بِهَا عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَأَ أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبِ (٦)
 وَحُسْنٌ مُنْقَلَبٌ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ جَاءَتْ بِشَاشَتُهُ عَنْ سُوءٍ مُنْقَلَبِ
 لَمْ يَعْلَمْ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَغْصُرٍ كُنْتُ لَهُ الْمَنِيَّةُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضْبِ
 تَدِيرُ مُعْتَصِمٌ بِاللَّهِ مُنْتَقِمٌ لِلَّهِ مُرْتَعِبٌ فِي اللَّهِ مُرْتَقِبِ

(١) وجبت الشمس : غربت . يقول ، ان النار كانت قد ملأت القلعة حتى لتظن أن الشمس طالعة وهي لم تطلع ، وتظن من دخانها الكثيف المظلم أنها غربت ولم تغرب بدليل ما ترى من ضياء .

(٢) تصرح : تكشف . يقول : انكشف الدهر كما ينكشف الغمام عن يوم شديد وكان يوما طاهرا جنبا . ويعنى بطهره ماكان فيه من جهاد العدو . وهو مطلب ديني ، ويعنى بجنابته ماكان فيه من سبى وما اليه .

(٣) لم تطلع الشمس على متزوج من العدو لأنه قتل ، ولم تغرب على عزب من المسلمين لأنه قد ناله من السبايا ما بنى بها .

(٤) غيلان : هو ذو الرمة الشاعر المشهور . ومية : محبوبته التي أكثر من التشبيب بها .

(٥) الخد الترب : المعفر في التراب .

(٦) يقول : ان منظر عمورية وما فيه من خراب وتهدم وسماجة أجمل في العيون من منظر جميل .

- وَمُطْعِمِ النَّصْرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسْنَتُهُ (١)
 لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ
 يَوْمًا وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحٍ مُحْتَجِبٍ (٢)
 إِلَّا تَقَدَّمَ جَيْشٌ مِنَ الرُّعْبِ
 لَوْ لَمْ يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الْوَعَى لَغَدَا
 رَمَى بِكَ اللَّهُ بُرْجِيهَا فَهَدَمَهَا
 رَمَى بِكَ اللَّهُ بَرَجِيهَا فَهَدَمَهَا
 مِنْ بَعْدِ مَا أَشْبُوها وَاثْقَيْنَ بِهَا
 وَاللَّهُ مِفْتَاحُ بَابِ الْمَقْلِ الْأَشْبِ (٣)
 وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعٌ صَدَدُ
 لِلْسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثَبِ (٤)
 أَمَانِيًا سَلَبْتَهُمْ نَجَحَ هَا جِسْمِهَا
 ظَبَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلْبِ
 دَلُّوا الْحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبِ (٥)
 كَأْسِ الْكَرْمِ وَرُضَابِ الْخُرْدِ الْعُرْبِ (٦)
 بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الْحَصْبِ (٧)
 عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ

(١) يعنى بمطعم النصر الخليفة المعتصم : ومعنى مطعم النصر أن الله يطعمه النصر كما يطعمه الرزق . وكهت أسنته : كلت .

(٢) نهذ الرجل : نهض .

(٣) أشبوها : حصنوها . والمقل الأشب : الحصن المنيع .

(٤) ذو أمرهم : قائدهم ، أى قال قائدهم اثبتوا للعدو فأنتم بآمن اذ ليس مكان قريب تحل به جنود العدو ثم لا يمكن أن تنال من قرب .

(٥) الحمام : الموت . والبيض : السيوف . والسمر : القنا . يقول : ان السيوف والقنا وهما أسباب الموت هما كذلك أسباب الحياة من نيل الماء والعشب .

(٦) زبطريا : نسبة الى زبطرة : بلدة كان قد فتحها الروم فلما أرادوا أن يسبوا امرأة مسلمة فيها نادت وامعتصماه فبلغ ذلك المعتصم وكان فى يده كأس فلم يشربها وأمر بتجنيد الجيش وغزو عمورية . والرضاب : الريق . والخرد : الحسان . والعرب جمع عروب : وهى المرأة المتحبة لزوجها

(٧) عداك : صرفك . والثغور الأولى : البلاد المتاخمة للعدو . والثغور الثانية : أسنان الحسان . وسلسالها : ريقها . الحصب : العذب .

- أَجَبْتَهُ مُعَلِّناً بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتاً وَلَوْ أَجَبْتَ بَغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبْ^(١)
 حَتَّى تَرَكَتَ عَمُودَ الشَّرْكِ مُنْقَعِراً وَلَمْ تُعَرِّجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنُبِ
 لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأَى الْعَيْنِ تَوَفَّلِسُ^(٢) وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ
 غَدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ جَرَّتِيهَا فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التِّيَّارِ وَالْحَدَبِ^(٣)
 هَيْهَاتَ زُعِزَعَتِ الْأَرْضُ الْوَقُورُ بِهِ عَنْ غَزْوٍ مُحْتَسِبٍ لَا غَزْوٍ مَكْتَسِبِ
 لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُرْبَى لِكَثْرَتِهِ عَلَى الْخَصَى وَبِهِ فَقَرُّهُ إِلَى الذَّهَبِ^(٤)
 إِنَّ الْأَسُودَ أَسُودَ الْغَابِ هَمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْئُوبِ لَا السَّلْبِ
 وَلَى وَقَدْ أَلْجَمَ الْخَطِئُ مَنْطِقَهُ بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَا الْأَحْشَاءُ فِي صَخَبِ^(٥)
 أَخَذَى قَرَابِينَهُ صَرَفَ الرَّدَى وَمَضَى يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الْمَرْبِ^(٦)
 مُوَكَّلًا بِيَفَاعِ الْأَرْضِ يُشْرِفُهُ مِنْ خِفَّةِ الْخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ^(٧)
 إِنَّ يَعْدُ مِنْ حَرَّهَا عَدُوَ الظَّلِيمِ فَقَدْ أَوْسَعَتْ جَا حَمَاهَا مِنْ كَثْرَةِ الْخَطْبِ^(٨)

(١) الضمير في أجبته يعود على الصوت الزبطرى . وهو صوت المرأة المستغيثة .

(٢) توفلس : ملك الروم : والحرب بالفتح : سلب الأموال .

(٣) يقول ان توفلس أخذ يرشى بالمال ليدفع عنه تيار الجيوش فغلبه البحر ذو التيار والحدب . ويعنى بالبحر الجيش العظيم وذو الحدب : ذو الموج المتلاطم .

(٤) الضمير في ينفق : يعود على المعتصم .

(٥) الضمير في ولى : يعود على توفلس . وألجم الخطى منطقته ، أى أخرسه السيف .

(٦) أخذى : أعطى . وقربينه : أى المقربين له . يقول : ان توفلس قدم المقربين اليه هدية لصروف الموت وفر هو على أحسن مطاياهم وأنجبها .

(٧) اليفاع : الأرض المرتفعة . ويشرفه : يعلوه .

(٨) يقول : ان فر توفلس من حر النار فرار النعام فذلك لانك أضمرت نارا لا عهد له بها .

- تَسْعُونَ أَلْفًا كَأَسَادِ الشَّرَى نَضِجَتْ
يَارُبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتَثَّ دَابِرُهُمْ
وَمُغْضَبَ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ
وَالْحَرْبُ قَائِمَةٌ فِي مَازِقِ لَحْجٍ
كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَى قَرٍ
كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْنَابِ الرُّقَابِ بِهَا
كَمْ أُحْرِزَتْ قُضْبُ الْهِنْدِيِّ مُصَلَّتَةً
بِيضٌ إِذَا انْتَضَيْتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ
خَلِيفَةَ اللَّهِ ! جَازَى اللَّهُ سَعْيَكَ عَنْ
بَصَرَتْ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ
- جُلُودُهُمْ قَبْلَ نَضِجِ التِّينِ وَالْعِنَبِ (١)
طَابَتْ وَلَوْ ضُمَّخَتْ بِالْمِسْكِ لَمْ تَطْبِ (٢)
حَى الرِّضَا مِنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ الْغَضَبِ
تَجْتَوِ الْكِمَاةُ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرُّكْبِ (٣)
وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضِ شَنِبِ (٤)
إِلَى الْمَخْدَرَةِ الْعِذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ (٥)
تَهْتَرُ ، مِنْ قُضْبِ تَهْتَرُ فِي كُثْبِ (٦)
أَحَقُّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا مِنْ الْحُجْبِ (٧)
جُرْثُومَةُ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ وَالْحَسْبِ
تُنَالُ إِلَّا عَلَى جَسْرِ مِنَ التَّعَبِ
مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرَ مُنْقَضِبِ (٨)

(١) يقول : ان جيش العدو كان تسعين ألفا حل أجلهم قبل أن ينضج التين والعنب ، وفي هذا تهكم بقول المنجمين الذي ذكر في أول القصيدة .

(٢) الحوباء : النفس ويعنى نفوس المسلمين وقد طابت بقطع دابر العدو بأكثر مما تطيب بالمسك .

(٣) المأزق : موضع الحرب . ولحج : ضيق . والكماة : الأبطال . وصفرا : أذلاء .

(٤) العارض الأول : السحاب . والثانى ما يعرض من الأسنان ، وشنب : رقيق لطيف .

(٥) يعنى بالمخدرة العذراء عمورية لأنها لم تفتح قبل . يقول : ان قطع الرقاب كان سببا فى فتح عمورية والضمير فى بها للحرب .

(٦) القضب : السيوف . ومصلته : مشهورة . والقضب الثانية : الفصون . أى كم أحرزت هذه السيوف قدودا كالأغصان .

(٧) انتضيت : سلت . والحجب : الأغمد . يقول : ان هذه السيوف أحق أن تغمد فى صدور الأعداء الأبيض أبدانا من أن تغمد فى جرابها .

(٨) الذمام : الحرمة . ومنقضب : منقطع .

فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نَصَرْتَ بِهَا وَبَيْنَ أَيَّامٍ «بَدْرٍ» أَقْرَبُ النَّسَبِ
أَبَقْتُ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمَمْرَاضِ كَأَسْمِهِمْ صُفْرَ الْوُجُوهِ وَجَلَّتْ أَوْجُهُ الْعَرَبِ (١)

وقال يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مُصْعَب :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُوا غِيَاهِبُهُ (٢)
لَأْمُرٍ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَمَّ عَوَاقِبُهُ (٣)
عَلَى كُلِّ مَوَارٍ الْمِلَاطِ تَهَدَّمَتْ عَرِيكَتُهُ الْعَلْيَاءُ وَأَنْضَمَّ حَالِبُهُ (٤)
رَعْتُهُ الْفِيَّافِي بَعْدَ مَا كَانَ حِقْبَةً رَعَاهَا وَمَاءُ الرِّوْضِ يَنْهَلُ سَاكِبُهُ (٥)
إِلَيْكَ جَزَعْنَا مَغْرِبَ الْمُلْكِ كُلَّمَا هَبَطْنَا مَلَّاصَتْ عَلَيْكَ سَبَاسِبُهُ (٦)
إِلَى سَالِبِ الْجَبَّارِ بَيْضَةَ مُلْكِهِ وَأَمْلُهُ غَادَ عَلَيْهِ فَسَالِبُهُ (٧)

(١) بنو الأصفر : الروم . والممراض : الكثير المرض .

(٢) أطراف الأسنة : أسنة الرماح . عرسوا : نزلوا ليلاً . يقول : ان هؤلاء الركب ركبوا على مثل أسنة الرماح وهي كور الجمال التي تشبه الأسنة في الصلابة والمضاء . وغياهب الليل : ظلمته

(٣) لأمر : متعلق بعرسوا : أى أن هؤلاء الركب ركبوا لأمر وهو نيل العطاء من المدوح ولكن عليهم أوله وهو السفر وتحمل التعب ليس عليهم تمامه وهو أن يفوزوا بمطلبهم .

(٤) على كل : متعلق بفعل مخذوف وهو ساروا . والملاط : عضد البعير . والموار : المتحرك . والحالب : عرق يتصل بأسفل البطن وهو كنية عن الضمور .

(٥) الفيافي : فلوات لاماء بها ، والواو للحال : أى أن هذه الابل كانت ترعى الفيافي أيام نضارتها وهي الآن ترعاها الفيافي فتضعفها وتهزلها .

(٦) جزعنا الأرض : قطعناها عرضاً . ومغرب الملك : الشام . وكان أبو تمام بها وكان ممدوحه بخراسان . والملا : الصحراء . وصلت عليه : أتت عليه . والسباسب : جمع سبسب . الأرض المستوية .

(٧) بيضة الملك : حوزته وأصله . وأمله : طالب العطاء منه : يقول : أنا سهرنا الى من يسلب . الجبار ملكه ، وطالب العطاء منه يسلبه ماله ، فهو سالب ملك الجبار ومسلوب المال من الطالبين .

وَقَدْ قَرَّبَ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ رَجَاؤُهُ وَسَهَّلَتِ الْأَرْضَ الْعِزَازَ كِتَابُهُ
 سَمَا لِلْعُلَا مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا سُمُوَّ عُبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهُ (١)
 فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ وَحَارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُحَارِبُهُ
 وَأَيْنَ بَوَجْهِ الْحَزْمِ عَنْهُ وَإِنَّمَا مَرَأَى الْأُمُورَ الْمُشْكَلَاتِ تَجَارِبُهُ (٢)
 أَرَى النَّاسَ مِنْهَا جِ النَّدَى بَعْدَ مَا عَفَتْ مَهَا يِعُهُ الْمُثَلَى وَمَحَّتْ لَوَاحِبُهُ (٣)
 فَفِي كُلِّ نَجْدٍ فِي الْبِلَادِ وَغَائِرِ مَوَاهِبُ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهِيَ مَوَاهِبُهُ (٤)
 إِذَا مَا أَمْرُو الْقَى بِرَبْعِكَ رَحَلَهُ فَقَدْ طَالَبَتْهُ بِالنَّجَاحِ مَطَالِبُهُ (٥)

وقال يمدح أحمد بن المعتصم :

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا أَقْوَاتَهَا لِيَتَصَرَّفَ الْأَخْرَاسُ (٦)
 فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قَرَى لَهَا وَبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبَّاسِ (٧)
 الْقَوْمُ ظِلُّ اللَّهِ أَسْكَنَ دِينَهُ فِيهِمْ وَهُمْ جَبَلُ الْمُلُوكِ الرَّاسِي
 فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ فِرْنْدٌ مُشْرِقٌ وَهُمْ الْفِرْنْدُ لَهُوْلَاءِ النَّاسِ (٨)

(١) يريد بجانبى العلا الشجاعة في الحرب والكرم . والعباب : معظم الماء . وجاشت : زخرت . وغواربه : أعلى أمواجه .

(٢) أين بوجه الحزم : أى كيف يشكل عليه الحزم . وتجاربته مرآة للمشكلات . ومرأى : جمع مرآة .

(٣) أرى الناس : بين لهم وأوضح . المهايح واللواحِب : الطرق الواضحة . وعفت ومحت : درست .

(٤) لما علم الناس الكرم كانت هباتهم ليست منه وهى فى الحقيقة منه لأنه هو الذى علمهم .

(٥) أى من نزل عندك وألقى رحله بربعك ضمن نجاح مطلبه .

(٦) الأخراس : جمع حارس .

(٧) الأرض مبتدأ ومعلوم مبتدأ ثان . وقرى خبر المبتدأ الثانى والجملة خبر المبتدأ الأول ومعلوم السماء المطر . يقول ان الأرض قوتها المطر . وأهل الرجاء لهم بنو العباس يحققون لهم مارجوا .

(٨) الفرند : رونق الشيء .

هَدَّاتُ عَلَى تَأْمِيلِ أَحْمَدَ هَمَّتِي وَأَطَافَ تَقْلِيدِي بِهِ وَقِيَّاسِي^(١)
وَالْحَمْدُ بُرْدُ جَمَالِ اخْتَالَاتِ بِهِ غَرَرُ الْفِعَالِ وَلَيْسَ بُرْدُ لِبَاسِ
أَبْلَيْتَ هَذَا الْمَجْدَ أَبْعَدَ غَايَةٍ فِيهِ وَكَرَّمَ شَيْمَةَ وَنَحَّاسِ^(٢)
إِقْدَامُ عَمْرُو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمٍ أَحْنَفَ فِي ذِكَاةِ إِيَّاسِ^(٣)
لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
فَاللَّهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقْلَّ لِنُورِهِ مَثَلًا مِنَ الْمَشْكَاةِ وَالنَّبْرَاسِ^(٤)
غَلَبَ الشُّرُورُ عَلَى مُهُمِّي بِالَّذِي أَظْهَرْتَ مِنْ بَرِّي وَمِنْ إِيْنَاسِي
عَدَلَ الْمَشِيبُ عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ كِبَرَةٍ لَسِكْنَهُ مِنْ يَاسِ^(٥)
أَثَرُ الْمَطَالِبِ فِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا أَثَرُ السِّنِّينَ وَوُسْمُهَا فِي الرَّاسِ

وقال يمدح الحسن بن رجا :

لَمَّا وَرَدْنَا سَاحَةَ الْحَسَنِ انْقَضَى عَنَّا تَعَجُّرُ دَوْلَةِ الْإِحْمَالِ^(٦)
أَحْيَا الرِّجَاءَ لَنَا بِرَغْمِ نَوَائِبِ كَثُرَتْ بَيْنَ مَصَارِعِ الْآمَالِ^(٧)

(١) يقول : ان همتي استقرت بعد أن أملت أحد بن المعتصم ، وتقليدي للناس في السعي اليه وتجاربي حققت آمالي .

(٢) تقول : أبليت فلانا نعمة اذا أسديتها اليه . ونحاس : الشيمة والطبع .

(٣) هو عمرو بن معد يكرب ، وحاتم الطائي المشهور بالكرم ، وإياس بن معاوية كان قاضيا بالبصرة ، والأحنف بن قيس سيد بني تميم .

(٤) اشارة الى الآية الكريمة « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .

(٥) يقول : ان مشيبي تحول الى شباب ولم يكن مشيبي من كبر ولكنه من يأس ، فلما قصدتك زال همي ووقف المشيب وسلكت طريق الشباب .

(٦) التعجرف : التكبر . الاحمال : الجذب .

(٧) مصارع : جمع مصرع : وهو الموت ، والمراد عدم تحققها .

أَغْلَى عَذَارَى الشَّعْرِ أَنْ مُهُورَهَا عِنْدَ الْكِرَامِ - وَإِنْ رَخُصْنَ - غَوَايِ (١)
 تَرُدُّ الظَّنُونَ بِنَا عَلَى تَصْدِيقِهَا وَيُحَكِّمُ الْأَمَالَ فِي الْأُمُورِ (٢)
 وَرَأَيْتَنِي فَسَأَلَتْ نَفْسَكَ سَيِّبَهَا لِي ثُمَّ جُدْتَ وَمَا انتَظَرْتَ سُؤَالَي (٣)
 كَالغَيْثِ لَيْسَ لَهُ - أُرِيدَ نَوَالُهُ أَوْ لَمْ يُرَدْ - بُدُّهُ مِنَ التَّهْطَالِ (٤)

وقال في وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّ وَالْمَفَاصِلِ (٥)
 لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرَى الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدٍ عَوَاسِلِ (٦)
 لَهُ رِيقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقْعَهَا بِآثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلِ (٧)
 فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبَتْهُ وَهُوَ رَاجِلِ (٨)

(١) العذارى جمع عذراء : الفتاة ، والمراد بدائع الشعر التي لم تبتذل .

(٢) يقول : ان ما نظننه ونخاله من الخيرات يدفعنا اليه فنجدده حقا ، ثم يعطينا من أمواله ما أملنا فيه .

(٣) السيب : العطاء . يريد أنك رأيتني فاقتضيت نفسك اعطائي دون أن أسألك ذلك .

(٤) الغيث : المطر . التهطال : المطر المتتابع ، وهذا البيت دليل ما قبله ومثال له .

(٥) الشبابة : سن الرمح ، استعارها الشاعر لسن القلم وهو أسلته ، لأن الشبابة أشكل بالمعنى الذي أرادته . الكلى جمع كلية ، يريد أنه موفق الى الحكمة والاصابة حتى لا يقع رأيه في تدبير الأمور الا في الصميم .

(٦) الأرى : غسل النحل . واشتارته : استخرجته من شمعته . واللعباب : الريق . يريد أنه اذا غضب كان قوله كسم الأفاعى ، واذا رضى كان في حلاوة الشهد استخرجته أيد خبيرة باستخراجه .

(٧) الريقة : الريق . والطلل المطر الخفيف . والوابل والوبل المطر الغزير ، يريد أنه وأن لم يصب من المداد الا يسيرا فان أثره في شرق الأرض وغربها جليل عظيم .

(٨) يريد به راكبا حين تحمله الأنامل للكتابة . وراجلا : حين يلقى . والراجل : ضد الراكب ، لأنه انما يعتمد على رجليه .

إذا مَا أَمْتَطَى الخَمْسَ اللَّطَافَ وَأَفْرِغْتَ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ وَهِيَ حَوَافِلُ^(١)
 أَطَاعَتُهُ أَطْرَافُ الْقَنَا ، وَتَمَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ تَقْوِيضَ الْحِيَامِ الْجَحَافِلِ^(٢)
 إِذَا اسْتَغْزَرَ الذَّهْنَ الْجَلِيَّ وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ فِي الْقِرطَاسِ ، وَهِيَ أَسَافِلُ^(٣)
 وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصَرَانِ ، وَسَدَّدَتْ ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ^(٤)
 رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ وَهُوَ مُرْهَفٌ ضَنَى وَسَمِينًا خَطْبُهُ وَهُوَ نَاحِلُ^(٥)

وقال يرثى محمد بن محمد الطوسي :

كَذَا فَلْيَجِلَّ الْخُطْبُ ، وَلْيَفْدَحِ الْأَمْرُ فَلَيْسَ لَعِينٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عُذْرُ^(٦)
 تُوفِّيتِ الْأَمَالَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَأَصْبَحَ فِي شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ^(٧)
 وَمَا كَانَ إِلَّا مَالٌ مِنْ قَلِّ مَالِهِ وَذُخْرًا لِمَنْ أَمْسَى ، وَلَيْسَ لَهُ ذُخْرُ^(٨)
 وَمَا كَانَ يَذْرَى مُجْتَدِي جُودٍ كَفَّهُ إِذَا مَا اسْتَهَلَّتْ أَنَّهُ خُلِقَ الْعُسْرُ^(٩)

- (١) يريد بالخمس اللطاف الأنامل . واللطاف : الدقاق . والشعاب : جمع شعبة وهي هنا مناحي التفكير . وحوافل : جمع حافلة أى ممتلئة زاخرة .
- (٢) القنا : جمع قناة وهي الرمح . وأطراف أسنانها . والجحافل : جمع جحفل وهو الجيش الكثير العدد .
- (٣) القِرطاس : ويجمع على قرطيس الورق . ويريد بأعلى القلم أسلته (سنه) .
- (٤) رفده : أعانه وأمده . ويريد بالخنصرين : الخنصر والبنصر من باب التغليب كما يطلق العمران على أبى بكر وعمر ، والقمران على الشمس والقمر .
- (٥) المرهف : المرفق الخاد . الضنى المرض . الخطب الشأن والقدر . الناحل : النحيف .
- (٦) فدح الأمر يفدح صعب وثقل . والفوادح : النوازل .
- (٧) السفر : المسافر . يقول : انه بموته انقطعت الآمال لأن الناس لم يكونوا يؤملوه الا فيه .
- وشغلت الناس الرزية فيه عن أسفارهم وقضاء حاجاتهم .
- (٨) الذخر والذخيرة : ما يحفظ لوقت الحاجة .
- (٩) اجتدى يجتدى : سأل العطية والمراد بـ (استهلت) كفه : حتى ان سألته ماكانوا يدرون أن العسر قد خلق .

- أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عُطِّلَتْ لَهُ فَجَاجٌ سَبِيلَ اللَّهِ ، وَانْتَفَرَ الثَّغْرُ^(١)
 فَتَى كُلِّمَا فَاضَتْ عِيُونُ قَبِيلَةٍ دَمًا - ضَحِكْتَ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ^(٢)
 فَتَى دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوِبُهُ فَقِي بِأَسِيهِ شَطْرٌ ، وَفِي جُودِهِ شَطْرُ^(٣)
 فَتَى مَاتَ بَيْنَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ مَيِّتَةً تَقُومُ مَقَامَ النَّصْرِ إِذَا فَاتَهُ النَّصْرُ^(٤)
 وَمَا مَاتَ حَتَّى مَاتَ مُضْرِبُ سَيْفِهِ مِنْ الضَّرْبِ ، وَاعْتَلَّتْ عَلَيْهِ الْقَنَا الشُّمَرُ^(٥)
 وَقَدْ كَانَ فَوْتُ الْمَوْتِ سَهْلًا فَرَدَّهُ إِلَيْهِ الْحِفَافُ الْمُرُّ وَالْخَلْقُ الْوَعْرُ^(٦)
 وَنَفْسُهُ تَعَافَى الْعَارَ حَتَّى كَأَنَّمَا هُوَ الْكَفَرُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَوْ دُونَهُ الْكَفَرُ^(٧)
 فَأُثْبِتَ فِي مُسْتَنْقَعِ الْمَوْتِ رَجُلَهُ وَقَالَ لَهَا : مَنْ تَحْتَ أَخْمَصِكَ الْحَشْرُ !^(٨)
 غَدَا غُدُوَّةً ، وَالْحَمْدُ نَسْجُ رِدَائِهِ فَلَمْ يَنْصَرِفْ إِلَّا وَأَكْفَانُهُ الْأَجْرُ^(٩)

(١) فجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين . والمراد بها هنا مجرد الطريق .
 وانتفر الثغر : أى اجتيزت الحدود .

(٢) يقول : انه مامن قبيلة دحرت فى الحرب حتى فاض الدم من عيونها الا ذكره الناس بالفخر
 لانه هازمها .

(٣) ينوبه : يلم به ويشغله . والبأس : الشجاعة والقوة .

(٤) يقول : انه قتل قتلة بطل شجاع حتى أضحت لكرمها وعزتها تعادل النصر حين فاته النصر

(٥) مضرب السيف : حده . واعتلت : اعتدلت وتناقلت . والقنا : جمع قناة وهى الرمح وتنتع
 بالسمره كما تنتع السيوف بالبياض . يقول : انه لم يقتل حتى تثلم حد سيفه من شدة ما ضرب
 به وحتى تقصفت الرماح فى يديه فلم تعد تغنى فى الطعان .

(٦) الحفاظ : الحمية والفضب عند حفظ الحرمة ، والوعر ضد السهل والمراد به هنا الشديد
 الانفة يقول : انه كان يستطيع أن يدفع الموت عن نفسه بالهرب ونحوه ، ولكنه آثر الموت أنفة
 من العار .

(٧) الروع هنا الحرب ، ويجوز أن يراد به الشدة بوجه عام .

(٨) جعل للموت مستنقعا كمستنقع الماء وهو مجتمع فى بطن الوادى . وأخمص القدم ما لا يصيب
 الأرض من بلاطنها . يريد أنه قد ثبت للموت فلا تتحول رجلاه الى أن يموت حتى كان الحشر
 من تحتها .

(٩) غدا : خرج فى أول النهار . يريد أنه عاش محمودا مشكورا ، ومات مشوبا مأجورا .

- رَدَى ثِيَابَ الْمَوْتِ مُحْرَا ، فَمَا دَجَا لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهَى مِنْ سُنْدُسٍ خَضِرُ^(١)
- كَأَنَّ بَنِي نَبْهَانَ يَوْمَ وَفَاتِهِ نَجُومُ سَمَاءٍ خَرَّ مِنْ بَيْنِهَا الْبَدْرُ^(٢)
- يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ تُعَزَّى بِهِ الْعُلَا وَيَبْكِي عَلَيْهِ الْبَاسُ وَالْجُودُ وَالشَّعْرُ^(٣)
- وَأَنَّى لَهُمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ وَقَدْ مَضَى إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى اسْتَشْهَدَا هُوَ وَالصَّبْرُ^(٤)
- فَتَى كَانَ عَذَابَ الرُّوحِ لَا مِثْلَ غَضَاضَةٍ وَلَكِنَّ كِبَرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كِبَرُ^(٥)
- فَتَى سَلَبَتْهُ الْخَيْلُ وَهُوَ حَمَى لَهَا وَبَزَّتْهُ نَارُ الْحَرْبِ وَهُوَ لَهَا جَمْرُ^(٦)
- وَقَدْ كَانَتْ الْبَيْضُ الْمَآثِيرُ فِي الْوَغَى بَوَاتِرُ ؛ فَهِيَ الْآنَ مِنْ بَعْدِهِ بُتْرُ^(٧)
- أَمِنْ بَعْدَ طَىِّ الْحَادِثَاتِ مُحَمَّدًا يَكُونُ لِأَثْوَابِ النَّدَى أَبَدًا نَشْرُ^(٨)
- إِذَا شَجَرَاتُ الْعُرْفِ جَذَّتْ أَصُولُهَا فِي أَى فَرْعٍ يُوجَدُ الْوَرَقُ النَّضْرُ ؟^(٩)
- لَنْ أَبْغِضَ الدَّهْرُ الْخَثُونَ لِفَقْدِهِ لَعَهْدِي بِهِ مِمَّنْ يُحِبُّ لَهُ الدَّهْرُ^(١٠)

- (١) تردى الثوب : لبسه . ودجا الليل : أظلم . والسندس : نسيج الحرير .
- (٢) بنو نبهان : قوم المربى . بطن من طيء .
- (٣) ثاو : ثوى بالمكان يثوى فهو ثاو أى مقيم به . والميت ثاو لأنه مقيم فى قبره ما يبرحه .
- (٤) استشهد الرجل بالبناء للمجهول : مات شهيدا يقول الشاعر : كيف لأهل القتل بالصبر عليه وقد مات ومات معه غريزة الصبر فى قومه واللائذين به .
- (٥) الغضاضة هنا بمعنى الدلة . يقول : انه كان كريم النفس لى الجانب لامن ذلة ولا استكانة بل أنفة من أن يقال ان فيه تكبرا .
- (٦) بزته : يقال بزّه ثوبه وأبتره : سلبه .
- (٧) المآثر : جمع مآثور . والسيف المآثور : القديم المتوارث . والوغى : الحرب . وبواتر : جمع باتر وهو القاطع . وبتر : جمع أوتر ؛ أى مقطوعة يريد أن السيوف كانت فى حياته حادة قاطعة فلما مات تثلمت . والمراد أنه حين كان يحمل جيشه السيوف كانت تبلغ من الأعداء كل مبلغ ولما مات لم يبق لها قوة على التفضال .
- (٨) يقال : طوى الردى فلانا يطويه طيا أى مات . والندى : الجود .
- (٩) جذت : قطعت ، والنضر يقال : نضر الوجه واللون والشجر نضارة : فهو نضر أى حسن ونعم .
- (١٠) لا يريد أن الدهر اذاكره لموته فان الدهر كان يحب لأجله بما سجل له من عظام ومفاخر فى الحياة .

- لئن غدرت في الزرع أيامه به فما زالت الأيامُ شيمتها الغدر^(١)
 لئن ألبست فيه المصيبة طيًّا فما عريت منها تميم ولا بكر^(٢)
 كذلك ما ننفك نفقك هالكا يُشاركنا في فقده البدو والحضر
 سقى الغيث غيثاً وارت الأرض شخصه وإن لم يكن فيه سحاب ولا قطر
 وكيف أحمالي للغيوث صنيعاً بإسقامها قبراً ، وفي لحده البحر^(٣)
 مضى طاهر الأثواب لم تبق روضة غداة ثوى إلا اشتتت أنها قبر
 ثوى في الثرى من كان يحيا به الثرى ويغمر صرف الدهر نائله الغمر^(٤)
 عليك سلام الله وقفا فإنني رأيت الكريم الحر ليس له عمر^(٥)

(١٠) دَعْبِلُ^(٥)

قال :

- أين الشباب ؟ وأية سلكا ؟ لا ، أين يُطلب ؟ ضلّ ، بل هلكا^(٦)
 لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي^(٧)

(١) الشيمة : الخلق والطبيعة .

(٢) يريد أن المصيبة فيه لم تقتصر على طيء وحدها بل لقد (عمت لجلالة محله) قميا وبكرا .

(٣) كيف احتمل للمطر جميلا هو سقيه هذا القبر مع أن فيه بحرا . ينكر الشاعر على نفسه دعوته للقبر بالسقيا . يعلل ذلك بأن فيه بحرا .

(٤) الغرى : التراب . والنائل : العطاء . والغمر : الكثير .

(٥) دعبيل بن علي بن رزين يمني من خزاعة ، نشأ بالكوفة متعصبا لقومه على العدنانية ، هجاء خبيث اللسان ، لا يسلم منه كبير ولا صغير حتى الخلفاء ؛ فعاش مكروها مرهوبا حتى توفي سنة ٢٤٦ هـ . وشعره من النوع المطبوع ذي الأسلوب القوى لتأثره بنزعته الجريئة في وجه الدولة ، وبتعصبه للطالبيين ، وميله إلى الارهاب والتخويف ، يغلب على شعره الهجاء والمديح .

(٦) أية : أي سبيل .

(٧) ضحك المشيب : ظهر الشيب ، وبين ضحك وبكى طباق .

يأليت شعري كيف يومئذ يا صاحبي إذا دمي سُفِكَ
لا تأخذنا بظلامتي أحداً ؛ قلبي وطرفي في دمي اشتراكاً^(١)
ومن قوله يرثي ابن عم له من خزاعة :

كانت خزاعة ملء الأرض ما اتسعت فقَصَّ مرُّ الليالي من حواشيها^(٢)
هذا أبو القاسم الثاوي ببِلْقَعَةٍ تسفَى الرياح عليه من سوافيها^(٣)
هبت وقد علمت أن لا هبوبَ به وقد تكون حسيراً إذ يُباريها^(٤)
اضحى قرى للمنايا إذ نزلن به وكان في سالف الأيام يقريها^(٥)
وقد سافر مرة فطال عليه السفر فقال :

ألم يأن للسفر الذين تحمّلوا إلى وطنٍ قبل الممات رُجوعاً^(٦)
فقلت ولم أملك سوابقَ عبْرَةٍ نطقن بما ضمت عليه ضلوعاً^(٧)

-
- (١) الظلامه بضم الظاء : ما احتملته من الظلم ، والمراد هنا موته عشقا من أثر النظر بعينه والحب بقلبه .
- (٢) الحواشي : الجوانب . بالمفرد حاشية .
- (٣) الثاوي : المقيم . والبَلْقَعَة : الأرض القفر جمعها بلاقع . وسفت الريح التراب : حملته . يريد أنه مدفون بأرض مقفرة تسفَى بها الرياح على قبره .
- (٤) الحسير : الضعيف الكليل . والمعنى : أن الريح هبت لما علمت بموته ، ولكنها في حياته كانت تعجز عن مسايرته حين يسرع هو الى المكارم .
- (٥) القرى : ما يقدم للضيف من طعام ونحوه ، والمعنى أنه أصبح طعمة الموت بعد ما كان وهو حي يقدم الى الموت ضحاياه من قتلاه في الحروب ، يصفه بالشجاعة .
- (٦) يأتي : يقرب ويحضر . والسفر : المسافرون ورجوع فاعل (يأن) والى وطن متعلق بـرجوع ، والاستفهام للانكار .
- (٧) العبْرَة بفتح العين : الدمعة . وما ضمت عليه الضلوع : الحزن والشوق الى الوطن والاهل .

تَبَيَّنَ ! فكم دارٍ تَفَرَّقَ شملُها ! وشَمَلٍ شَتَّيتٍ عادٍ وهوَ جميعٌ^(١)

كذلكَ الليالى صَرَفَهِنَّ كما تَرى ؛ لكلِّ أناسٍ جَدْبَةٌ ورَبيعٌ^(٢)

وكانت مودَّةً بين دِعبِل ومسلم بن الوليد أعقبها جفوة ، فكتب إليه دعبِل :

أبا مَخْلَدٍ كُنَّا عَقِيدَى مَوَدَّةٍ هَوَانَا وَقَلْبَانَا جَمِيعًا مَعًا مَعًا^(٣)

أَحْوُطُكَ بِالْغَيْبِ الَّذِي أَنْتَ حَائِطِي وَأَجْزَعُ إِشْفَاقًا مِنْ أَنْ تَتَوَجَّعًا^(٤)

فصيرتَنِي بَعْدَ اتِّكَاثِكَ مُتَّهِمًا لِنَفْسِي ، عَلَيْهَا أَرْهَبُ الْخَلْقِ أَجْمَعًا^(٥)

غَشَّشْتُ الْهُوسَى حَتَّى تَدَاعَتْ أُصُولُهُ بِنَا ، وَابْتَدَلْتَ الْوَصْلَ حَتَّى تَقَطَّعًا^(٦)

وَأُزِلْتَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَا ذَخِيرَةً وَدٍّ طَالَمَا قَدْ تَمَنَّا^(٧)

فَلَا تَلَحِّينِي ؛ لَيْسَ لِي فِيكَ مَطْمَعٌ تَخَرَّقَتْ حَتَّى لَمْ أَجِدْ لَكَ مَرَقَعًا^(٨)

فَهَبْكَ يَمِينِي اسْتَأْكَتْ فَقَطَعْتُهَا وَجَشَّمْتُ قَلْبِي صَبْرَةً فَتَشَجَّعًا^(٩)

(١) الشمل : ما اجتمع من الامر أو ماتفرق منه . والشتيت : المتفرق . والجميع : المجتمع .

(٢) صرف الليالى : أحداثها . ومعنى جدبة وربيع : حالنا خير وشر .

(٣) العقيد : المعاهد والمعاهد ، والمعنى أننا كنا متعاهدين على الود متحدى الرغبات لانتخالف .

(٤) أحوطك بالغيب الخ : أحفظ عهدك غائباً فأدفع عنك كما تدفع عنى كذلك ، وأخشى أن

تتألم لشيء ما .

(٥) انتكاثك : انصرافك عنى ، ومعنى متهم لنفسى الخ : أننى أتهمها لشدة الخوف عليها من الناس

جميعاً بعد ما خنتنى وكنت مظنة الوفاء التام .

(٦) تداعت : تساقطت . وابتدلت الوصل : امتننته .

(٧) الجوانح : الجوانب . والحشا : ما دون الحجاب من الكبد والطحال وغيرهما ، والمراد بما

بينهما (القلب) . وتمنع : كان قويا لا يهن .

(٨) لحاه يلحاه ويلحوه : سبه وعابه . والمرقع : مكان ترقيق الثوب ، أى لا أمل فى اصلاحك .

(٩) يمينى : يدي اليمنى . استأكلت : أصابتها الأكلة وهى داء فى العضو يأكل منه . ومعنى

الشرط الثانى : صبرت قلبى على قطعتك فصبر .

- ومن قوله يذكر آل البيت ويهجو الرشيد بعد موته :
- وَلَيْسَ حَيٌّ مِنَ الْأَحْيَاءِ نَعْلَمُهُ مِنْ ذِي يَمَانٍ ، وَمِنْ بَكْرٍ ، وَمِنْ مُضَرَ (١)
- إِلَّا وَهُمْ شُرَكَاءُ فِي دِمَائِهِمْ كَمَا تَشَارَكَ الْأَيْسَارُ عَلَى جُزُرٍ (٢)
- قَتْلٌ ، وَأَسْرٌ ، وَتَحْرِيقٌ ، وَمَنْهَبَةٌ فَعَلَ الْغَزَاةَ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْخَزَرِ (٣)
- أَرَى أُمِّيَّةَ مَعْدُورِينَ إِنْ قَتَلُوا وَلَا أَرَى لِبَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ عُذْرِ (٤)
- إِرْبَعٌ بِطُوسَ عَلَى قَبْرِ الزَّكِيِّ إِذَا مَا كُنْتَ تَرْبَعُ مِنْ دِينٍ عَلَى وَطَرٍ (٥)
- قَبْرَانِ فِي طُوسَ خَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَقَبْرُ شَرِّهِمْ ؛ هَذَا مِنَ الْعَبْرِ
- مَا يَنْفَعُ الرَّجْسَ مِنْ قُرْبِ الزَّكِيِّ وَلَا عَلَى الزَّكِيِّ بَقْرُ الرَّجْسِ مِنْ ضَرَرٍ (٦)
- هِيَهَاتَ ! كُلُّ أَمْرٍ رَهْنٌ بِمَا كَسَبْتَ لَهُ يَدَاهُ ؛ نَخْذُ مَا شِئْتَ أَوْ فَذَرِ (٧)

- (١) الأحياء : البطون والعشائر ، مفردتها : حي ، والشرط الثاني : بيان للأحياء .
- (٢) الأيسار : المقامرون . المفرد يسر ، والجزر : النوق تذبح وتقسم أقساما للمقامرة عليها . يقول اشترك الأحياء في قتل آل البيت كاشتراك المقامرين في نحر الجزر .
- (٣) الخزر : جيل من الناس يسكن سواحل بحر الخزر (طبرستان) .
- (٤) يقول : ان الأمويين معدورون في قتل الشيعة من آل البيت لأن أمية ليسوا كالعباسيين قرابة ، وهم بعد طلاب ملك يخافون عليه أصحابه .
- (٥) طوس : عاصمة خراسان قديما ، بها قبر الرشيد وقبر على الرضا من آل على بن أبي طالب الذي مات أيام المأمون . واربع : أقم . والوطر : الحاجة والبغية أي اذا كنت محتاجا الى أداء حق ديني فخرج على ذلك القبر (قبر على الرضا) .
- (٦) الرجس : القبيح والقلدر .
- (٧) هيهات : بعد وفاعله محذوف ، أي بعد جدا تأثر أحد بعد الموت بعمل الآخر . . فكل امرئ يحاسب على ما عمل .

وقال في آل بيت الرسول :

- مدارس آيات خلّت من تلاوة^(١) ومنزل وحى^(٢) مُقْفِرُ العَرَصَاتِ^(٣)
 لآلِ رسول الله بالخيف من منى وبالرُّكن والتعريف والجمرات^(٤)
 ديارُ علي والحسين وجعفر^(٥) وحمزة والسَّجَادِ ذِي الثَّنَاتِ^(٦)
 ديارُ عفاها كُلُّ جَوْنٍ مُبَادِرٍ ولم تَعْفُ للأيام والسننات^(٧)
 قفا نَسأل الدارَ التي خَفَّ أهلُها : متى عَهدُها بالصَّوم والصلوات
 وأينَ الألى شَطَّتْ بهم غُرْبَةُ النّوى أفانينَ في الآفاقِ مُفْتَرِقاتِ^(٨)
 وما الناسُ إلا حاسدٌ ومُكذِّبٌ ومُضْطَغنَ ذو إحنة وتِراتِ^(٩)
 إذا ذَكروا قَتَلَى بيدرٍ وخيبرٍ ويوم حُنين أسبلوا العِبراتِ^(١٠)

(١) المقفر : الخالي من الناس . والعرصات : ساحات الدار ، المفرد عرصة . يقول : خلّت ديار آل البيت وتشّتت أهلها بعد ما كانت مدارس لتلاوة القرآن ، ومهبط وحى الرسول عليه السلام

(٢) أسماء موضع بمكة لا تزال قائمة لأداء الشعائر الدينية .

(٣) علي بن أبي طالب ، ومن بعده من نسله وشيعته الذين نالهم الحكم بالتشتيت والقتل . والثفنة : الركبة ومجتمع الساق والفخذ ، والسجاد ذو الثفنتان : علي بن الحسين ، لأن طول السجود أثر في ثفنته .

(٤) عفاها : محابها . والجون المبادر : السحاب الماطر .

(٥) شطت : بعدت وأفرطت . والنوى : البعد . والأفانين : الأنواع والأحوال ، جمع فنون ، مفردة فن . والمعنى أن النون ذهبت بهم مذاهب شتى .

(٦) مضطغن : حاقد والاحنة : العداوة والحقْد . والتراث جمع ترة : الثأر .

(٧) بدر وخيبر وحنين : أسماء مواقع كانت بين الرسول وأعدائه أبان الدعوة إلى الإسلام . وأسبلوا العبرات : أذرفوا الدموع ، وذلك لمجدهم الضائع .

لَهُمْ كُلَّ حِينٍ نَوْمَةٌ بِمُضَاجِعٍ لَهُمْ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفَاتٍ
 وَقَدْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْحِجَازِ وَأَهْلِهَا مُغَاوِرٌ يُخْتَارُونَ فِي السَّرَوَاتِ (١)
 مَلَامَكَ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ أَحْبَبَائِي مَا عَاشُوا وَأَهْلُ ثِقَاتِي (٢)
 تَخَيَّرْتُهُمْ رُشْدًا لِأَمْرِي فَإِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرَةُ الْخَيْرَاتِ (٣)
 فَيَارَبِّ زِدْنِي مِنْ يَقِينِي بِصِيرَةٍ وَزِدْ حُبَّهُمْ يَا رَبِّ فِي حَسَنَاتِي
 بِنَفْسِي أَنْتُمْ مِنْ كُھُولٍ وَفِتْيَةٍ لَفَكَ عُنَاةٌ أَوْ لِحْلٍ دِيَاتٍ (٤)
 أَحَبُّ قِصَى الرَّحْمِ مِنْ أَجْلِ حُبِّكُمْ وَأَهْرُ فَيْكُمْ أُسْرَتِي وَبَنَاتِي (٥)
 وَأَكْتُمُ حُبِّيَكُمْ مَخَافَةَ كَاشِحٍ عَنِيدٍ ، لِأَهْلِ الْحَقِّ غَيْرُ مُوَاتٍ (٦)
 لَقَدْ حُقَّتِ الْأَيَّامُ حَوْلِي بِشَرِّهَا وَإِنِّي لِأَرْجُو الْأَمْنَ بَعْدَ وَفَاتِي
 أَلَمْ تَرَ أَنِّي مِنْ ثَلَاثِينَ حَجَّةً أَرْوَحُ وَأَغْدُو دَائِمَ الْحِسَرَاتِ
 أَرَى فَيْئَهُمْ فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا وَأَيْدِيهِمْ مِنْ فَيْئِهِمْ صَفِرَاتٍ (٧)

(١) المغاوير : جمع مغوار ، وهو كثير الغارات . والسروات : السادات ، المفرد : سرة .

(٢) ملامك : أى دع لومك أياي ، فى أهل النبى أى فى مدحهم والتعصب لهم .

(٣) الخيرات : جمع خيرة وهى من الشئ أو القوم الأفضل .

(٤) ينفسى أنتم : أفديكم بنفسى . والعناة : جمع عان وهو الأسير . والدايات : جمع دية وهى ما يدفع من المال فى دم القتيل ، يريد أنهم يفكون الأسرى ويحملون الديات عن تلزمه .

(٥) الرحم بكسر الراء وسكون الحاء : القرابة كالرحم . والقصى : البعيد ، يقول : أحبكم وأن كانت طلتى بكم بعيدة فهو يمنى وهم مضرية .

(٦) الكاشح : من يضمر العداوة . المواتى : الموافق والمناصر .

(٧) الفئ : الخراج والغنيمة . وصفرات : خاليات ، يريد أن مال الخراج لا يصل إليهم مع أن لهم فيه حقا .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ نَحَفَ جُسُومُهُمْ وَآلُ زِيَادٍ حُفِّلُ الْقَصَرَاتِ^(١)
 بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَوَاتِ^(٢)
 إِذَا وَتَرُوا مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ أَكْفًا مِنَ الْأُوتَارِ مُنْقَبِضَاتِ^(٣)
 فَلَوْلَا الَّذِي أَرْجُوهُ فِي الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ لَقُطِعَ قَلْبِي إِيْرَهُمْ حَسَرَاتِ^(٤)
 (١١) عَلَى بْنِ الْجَهْمِ^(٥)

قال في الفراق :

يَا رَحْمَتَا لِلْغَرِيبِ بِالْبَلَدِ النَّاءِ زِحَ مَاذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا^(٦)
 فَارَقَ أَحْبَابَهُ فَمَا أَنْتَفَعُوا بِالْعَيْشِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا أَنْتَفَعَا^(٧)

(١) حفل القصرات : ضخام الأعناق ، كناية عن سمنهم .

(٢) الفلوات : الصحارى ، المفرد : فلاة .

(٣) وتروا : ظلموا . والوتر : الظلم والانتقام . والأوتار ، جمع وتر (كسبب) : معلق القوس ، أى لا يستطيعون دفع الظلم عن أنفسهم .

(٤) أى لولا ما أرجوه لهم من حسن الحال أو المثوبة لتمزق قلبي من الحسرة والحزن عليهم .

(٥) هو أبو الحسن على بن الجهم . ولد بخراسان ثم انتقل الى بغداد وأقام بها واختص بالخليفة المتوكل وكان من خاصته . وأحبه المتوكل ثم ظهر له شيء من سوء أخلاقه لأنه كان واشيا نماما فنفاه الى خراسان سنة ٢٣٢ هـ . وأسلمه الى عامله طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ليصلبه نهارا كاملا فصلبه . ولما أنزله قال قصيدة جيدة في ذلك . ولما اتهم في أخلاقه وكراهة آل على وجفاه الناس ذهب الى الشام في قافلة فخرج عليها جماعة من الأعراب فتقاتلوا فأصابته طعنة مات بسببها سنة ٢٤٩ هـ .

وكان ابن الجهم شاعرا مشهورا جيد الشعر وصافا قوى الأسلوب رائع المعانى حسن التعليل .

(٦) يارحمتا : دعاء بالرحمة . والبلد النازح . البعيد النائي .

(٧) العيش : الحياة .

وقال :

نَطَقَ الْهَوَىٰ بِجَوَىٰ هُوَ الْحَقُّ وَمَلَكَتْنِي فَلَيْهَنِكَ الرَّقُّ^(١)
رِفْقًا بِقَلْبِي يَا مُعَذِّبُهُ رِفْقًا وَلَيْسَ لَظَالِمٍ رِفْقُ
وَإِذَا رَأَيْتَكَ لَا تُكَلِّمْنِي ضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَالْأَفْقُ^(٢)

وقال :

اعْلَمِي يَا أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيَّ أَنَّ شَوْقِي إِلَيْكَ قَاضٍ عَلَيَّ
إِنْ قَضَى اللَّهُ لِي رُجُوعًا إِلَيْكُمْ لَا ذَكَرْتُ الْفِرَاقَ مَا دُمْتُ حَيًّا
إِنَّ حَرَّ الْفِرَاقِ أَنْحَلَ جِسْمِي وَكَوَى الْقَلْبَ مِنِّي الشَّوْقُ كَيًّا

وقال :

لَأَكْتُمَنَّ الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْ حُرْقٍ حَتَّى أَمُوتَ وَلَمْ يَمْلَمْ بِهِ النَّاسُ
وَلَا يُقَالُ شَكَا مَنْ كَانَ يَعْشَقُهُ إِنَّ الشَّكَاءَ لِمَنْ تَهْوَى هِيَ الْيَاسُ^(٣)
وَلَا أَبُوحُ بِشَيْءٍ كُنْتُ أَكْتُمُهُ عِنْدَ الْجُلُوسِ إِذَا مَا دَارَتْ أُلْكَاسُ^(٤)

وقال :

النَّفْسُ بَعْدَكَ لَمْ تَنْظُرْ إِلَى حَسَنِ وَالنَّفْسُ بَعْدَكَ لَمْ تَسْكُنْ إِلَى سَكَنِ^(٥)
كَأَنَّ نَفْسِي إِذَا مَا غِيبَتْ غَائِبَةٌ حَتَّى إِذَا عُدْتُ لِي عَادَتْ إِلَى بَدَنِي^(٦)

(١) الجوى : شدة الحرقة من العشق . فليهنك : فليسرك . والرق : العبودية ، ومنه الرقيق وهو العبد . فالشاعر يهنيء معشوقه على أنه ملكه فأصبح هو له عبدا .

(٢) الأفق : ما يرى من جانب السماء ماسا الأرض .

(٣) الشكاة : الشكوى .

(٤) الجلوس : جمع جالس . يقول : انه لا يبوح بمكنون سره وما صنع به الهوى لجلالته اذا شربوا الخمر يزعم أن الخمر تحل عقد اللسان ، وتستخرج دفين الأسرار .

(٥) السكن بفتح السين والكاف البيت . والمراد أنها لا تستقر على حال .

(٦) البدن بفتح الباء والبدال : الجسم .

وكتب من حبسه إلى الخليفة المتوكل يستغيث به ويسأله العفو :

- أَقْلَنِي أَقَالَكَ مَنْ لَمْ يَزَلْ يَقِيكَ وَيَصْرِفُ عَنْكَ الرَّدَى (١)
وَيَغْذُوكَ بِالنَّعْمِ السَّابِغَا تِ وَلِيدًا وَذَا مِيعَةٍ أَمْرَدًا (٢)
وَتَجْرِي مَقَادِيرُهُ بِالذِي تُحِبُّ إِلَى أَنْ بَلَغْتَ الْمَدَى (٣)
وَيُعْلِيكَ حَتَّى لَوْ أَنَّ السَّمَاءَ تَنَالَتْ لَجَاوَزَتْهَا مُصْعَدًا (٤)
فَشُكْرًا لِأَنْعَمِهِ إِنَّهُ إِذَا شُكِرَتْ نِعْمَةٌ جَدَّدَا (٥)
وَعَفْوُكَ عَنْ مُذْنِبٍ خَاضِعٍ قَرَنْتَ الْمُقِيمَ بِهِ الْمُقْعَدَا (٦)
إِذَا أَدْرَعَ اللَّيْلَ أَفْضَى بِهِ إِلَى الصُّبْحِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرْقَدَا (٧)
عَفَا اللَّهُ عَنْكَ إِلَّا حُرْمَةً تَعُودُ بِفَضْلِكَ أَنْ أُبْعَدَا (٨)

(١) أقاله : صفح عنه . والردى الهلاك .

(٢) غذا الرجل يغذوه بالطعام : أعطاه إياه . والمراد هنا يمدك . والسابغات : الواسعات .
وليدا : حديث عهد بالولادة . وميعة الشباب : أوله . والأمرد : الشاب الذي لم تنبت لحيته .
يريد أن الله تعالى أفاض عليه نعمه من يوم ولد إلى أن صار فتى .

(٣) المدى : الغاية . وفي هذا البيت يتم معنى البيت السابق فيقول : إن المقادير ما زالت
تجري بكل ما يجب حتى وصل إلى الغاية وهى الخلافة .

(٤) تنال بالبناء للمجهول يوصل إليها . ويقال أصعد في الأرض فهو مصعد ذهب من أرض إلى
أعلى منها . والمراد هنا مجرد الارتفاع .

(٥) الأنعم : جمع نعمة بسكون العين . والشاعر في عجز البيت يلمح إلى قول الله تعالى :
« لئن شكرتم لأزيدنكم » .

(٦) المقيم المقعد : الهم الذي يوجب القلق والاضطراب .

(٧) ادرع بتشديد الدال المفتوحة وفتح الراء : لبس ، والمراد بادراع الليل الدخول فيه .
وأفضى به أوصله وانتهى به . يريد أنه لم يذق النوم قط .

(٨) الحرمة : الذمة والحق . وعاد به يعوذ عيادا ومعادا بفتح الميم : لجأ إليه .

لَئِنْ جَلَّ ذَنْبٌ وَلَمْ أَعْتَمِدْ لَأَنْتَ أَجَلٌ وَأَعْلَى يَدَا^(١)
 أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ وَمَوْلَى عَفَا وَرَشِيدًا هَدَى^(٢)
 وَمُفْسِدًا أَمْرٍ تَلَا فَيْتَهُ فَعَادَ فَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَا^(٣)
 فَلَا عُدْتَ أَعْصِيكَ فِيمَا أَمَرْتُ حَتَّى أَزُورَ الثَّرَى مُلْحَدًا^(٤)
 وَإِلَّا فَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ وَخُنْتُ الصَّدِيقَ وَعِفْتُ النَّدَى^(٥)

وقال يذم مغنياً :

كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ فَقَالَ مُغْنِيٌّ ۖ قَوْمٌ كَمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الشِّتَاءِ
 فَذَرَعْتُ الْبَسَاطَ مِنْنِي إِلَيْهِ قُلْتُ هَذَا الْمَقْدَارُ قَبْلَ الْغَنَاءِ^(٦)
 فَإِذَا مَا عَزَمْتُ أَنْ تَتَغَنَّى آذَنَ الْحَرْثِ كُلَّهُ بَانْقِضَاءِ^(٧)

(١) لم أعتد : لم أعتدده ، أى لم أقصده . واليد المعروف .

(٢) الطور : القدر والحد . وعدا طوره : تجاوز حده . والمولى : السيد ، وهو من الأضداد .

(٣) تلافى الأمر : تداركه .

(٤) الثرى : التراب . والملحد بضم الميم وفتح الحاء : الذى أدخل فى اللحد وهو القبر . يريد

أنه سيقوم على طاعته حتى الممات .

(٥) عاف الشيء يعافه : كرهه فتركه . يقول : انه بعد هذا العهد اذا خرج عن طاعة الخليفة

فقد عصى الله وخان الصديق وبرىء من الفضل .

(٦) ذرع البساط يذره من باب فتح يفتح : قاسه بالذراع . يريد بالشتاء نفس المغنى

لبرودة طبعه .

(٧) آذنه بالأمر : أعلمه . وآذنه بالحرب أنذره بها . يقول : انه اذا غنى فقد ولى الصيف

وحل الشتاء .

(١٢) الحسين بن الضحاک^(١)

قال :

أَيُّ دِيبَاجَةٍ حُسْنٍ هَيَّجَتْ لَوْعَةً حُزْنِي^(٢)
 إِذْ رَمَانِي الْقَمَرُ الزَّارِ هَرُّهُ عَنْ فَتْرَةٍ جَفْنِ^(٣)
 بِأَبَى شَمْسٍ نَهَارٍ بَرَزْتُ فِي يَوْمٍ دَجْنِ^(٤)
 قَرَّبْتَنِي بِالْمُنَى حَتَّى إِذَا مَا أَخْلَفْتَنِي^(٥)
 تَرَ كَتَنِي يَنْ مِيعَا دِ وَخُلْفٍ وَتَجَنَّنِي^(٦)
 مَا أَرَى فِي مِنَ الصَّبِّ وَةٍ إِلَّا حُسْنَ ظَنِّي^(٧)
 إِنَّمَا دَامَتْ عَلَى الْغَدِّ رِ لِمَا تَعْرِفُ مِنِّي^(٨)
 أَسْتَعِيدُ اللَّهَ مِنْ إِيَّاهُ رَاضٍ مَنْ أَعْرَضَ عَنِّي^(٩)

(١) نشأ بالبصرة خليعا ماجنا ظريفا ثم انتقل الى بغداد واتصل بالخلفاء اتصالا قويا ولا سيما الأمين ، ثم عاد الى البصرة أيام المأمون لسخطه عليه ، ولكنه اتصل بالمعتصم وخلفائه بعده حتى توفي سنة ٢٥٠ هـ وقد استلزمت حياته الخاصة اجادة الخمریات والمديح في أسلوب موسيقى متين ينم عن خلق متين ووفاء جميل مع عبث وفكهة .

(٢) ديباجة الوجه : حسن بشرته . واللوعة : حرقه الوجد .

(٣) الفترة : الانكسار والضعف ، وهى صفة تستحب في عيون الملاح . ويقال رمى عن القوس أى جعل القوس ترمى بالسهم . وقد شبه الجفن الفاتر بذلك . ويريد بالقمر الزاهر محبوبته .

(٤) يقال بأبى أنت : أى أفديك بأبى . والدجن بفتح الدال وسكون الجيم : الظلمة .

(٥) المنى : جمع منية بضم الميم وسكون النون ، وهى هنا بمعنى ادخال الأمل على نفسه .

(٦) التجنى على المرء : اتهامه بما يفعله في دلال .

(٧) الصبوة : بفتح الصاد جهلة الشباب والنزوع الى اللهو . يريد أنه لم يبق من أسباب

المتاع في الشباب الا رجاء في حبيبته .

(٨) لما تعرف منى : أى من الفناء في هواها والثبات عليه كيفما صنعت .

(٩) يقال : استعاذ الله واستعاذ به وعاذ به : لجأ اليه ، واستجار به من المكروه .

ومن قوله :

وَصَفَ الْبَدْرُ حُسْنَ وَجْهِكَ حَتَّى خَلْتُ أَنَّى ، وَمَا أَرَاكَ ، أَرَاكَ (١)
وَإِذَا مَا تَنْفَسَ الرَّجْسُ الْفَدَضُ تَوَهَّمْتُهُ نَسِيمَ شَذَاكَ (٢)
خُدَعُ لِلْمُنَى تَعِلَّنِي فِيكَ بِإِشْرَاقٍ ذَا وَنَفْحَةٍ ذَاكَ (٣)
لَأَدُومَنَّ يَا حَبِيبِي عَلَى الْعَهْدِ لِهَذَا وَذَلِكَ إِذْ حَكِيَاكَ (٤)

وقال :

إِذَا خُتِمَ بِالْغَيْبِ وَدَّى فَمَا لَكُمْ تُدِلُّونَ إِدْلَالَ الْمُقِيمِ عَلَى الْعَهْدِ (٥)
وَلِي مِنْكَ بُدٌّ فَأَجْتَنِبْنِي مُذَمَّمًا وَإِنْ خَلْتُ أَنَّى لَيْسَ لِي مِنْكَ مِنْ بُدٍّ (٦)

وقال وقد غضب عليه المعتصم وحجبه :

غَضَبُ الْإِمَامِ أَشَدُّ مِنْ أَدْبِهِ وَقَدْ اسْتَجَرْتُ وَعُدْتُ مِنْ غَضَبِهِ (٧)
أَصْبَحْتُ مُعْتَصِمًا بِمُعْتَصِمٍ أَتْنَى إِلَهُ عَلَيْهِ فِي كُتْبِهِ (٨)

(١) يقول : ان البدر ليشبهك حتى اننى اذ رأيته حسبت اننى رأيتك مع اننى لم أراك .

(٢) الفض : النفسير . والشذا : قوة الرائحة .

(٣) الخدع بضم الخاء وفتح الدال : جمع خدعة وهى ما يخدع به . والمنى : جمع منية بضم الميم وسكون النون وهى ما يتمنى . وتعللنى : تصبرنى . وذا : اشارة الى البدر فى البيت الاول . وذاك اشارة الى النرجس فى البيت الثانى .

(٤) حكياءك : شابهاك .

(٥) بالغيب : من حيث لا أدرى . يقول : ان الثابت على العهد قد يكون له الحق فى أن يدل ويتيه . ولكن خائن العهد بغير سبب ليس له الحق فى ذلك .

(٦) لى منك بد : أى مخلص . والملمم : المدموم . يقول : اننى مستطيع أن أتخلص من حبك فاجتنبنى مذموما وان حسبت اننى لا أستطيع الخلاص من هواك .

(٧) أدبه : تأديبه . والامام : الخليفة . يقول : ان من غضب الخليفة أشد عليه ألما من تأديبه ولو بالجلد أو السجن أو النفى أو غير هذا من ألوان التعذيب .

(٨) اعتصم من الشئ : امتنع والتجأ . يريد أنه لا يلجأ من غضب الخليفة الا اليه ولا يعوذ منه الا به . وفى هذا ما فيه من لطف الجناس . ولعل الشاعر يريد بثناء الله على الخليفة المعتصم فى كتبه المنزلة ثناءه على آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

لَا وَالَّذِي لَمْ يُبْقَ لِي سَبَبًا أَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ سِوَى سَبَبِهِ^(١)
مَالِي شَفِيعٌ غَيْرُ حُرْمَتِهِ وَلِكُلِّ مَنْ أَشْفَى عَلَى عَطِيهِ^(٢)

(١٣) ابن الرومي^(٣)

قال يهجو خالدًا الذحطبي :

أَخْلَدُ مَا أَغْرَاكَ بِي مِنْ عداوة وَلَا تَرَةٍ لَوْلَا الشَّقَاءُ الْمُقَدَّرُ^(٤)
حَدَاكَ إِلَى الْحَيْنِ حَتَّى اسْتَمَرَّتَنِي عَلَيْكَ ، وَإِنِّي فِي عَرِينِي لَمُخْدِرُ^(٥)
فَدُونِكَ مَا حَاوَلْتَهُ فَبَلَّغْتَهُ وَرَدَّتْ ، وَلَكِنْ لَا إِخْلَاكَ تَصْدُرُ^(٦)
فَقَدْ كُنْتَ نَسِيًّا لَا تُمْسُّ وَلَا تُرَى زَمَنًا طَوِيلًا ، فَاصْبِرِ الْآنَ تُذَكِّرُ^(٧)

(١) يحلف بالله تعالى على أنه لا سبيل إلى النجاة من غضب الخليفة سوى عفو الخليفة نفسه .

(٢) الحرمة : ما وجب القيام به من الحقوق وأشفى : أشرف . ويقال أشفى المريض على الموت قاربه . والعطب : التلف . يحلف على أنه لا شفيع له عند الخليفة إلا حقه عليه بحكم الولاء له . وكذلك الشأن في كل من أشرف على مثل هذا الهلاك .

(٣) ولد أبو الحسن علي بن العباس الرومي ببغداد وعاش فيها متأثرا بمزاجه اليوناني وبالثقافة العربية كذلك فكان شعره صورة طريفة في الأدب العربي من حيث الابتكار والتنسيق المنطقي والاستقصاء في أسلوب جزل متين ، وقد أجاد فنون الشعر ؛ وخاصة - الوصف والهجاء - مات سنة ٣٨٣ هـ .

(٤) الترة : الثأر .

(٥) حداك : ساقك . والحين : المحنة أو الهلاك . العرين : مأوى الأسد . ومخدير : مقيم يشبهه نفسه بالأسد .

(٦) لا إخالك : لا أظنك . تصدر : أى تخرج من هذا المأزق الذى وقعت فيه .

(٧) أى اصبر على مر الهجاء فسوف تذكر بهذا الشعر .

سَتَرَوِي رُؤَاةَ الشَّعْرِ فِيكَ قِصَائِدَا يُغَيِّبُهَا ، هَانُودِي : اللَّهُ أَكْبَرُ (١)
 سَدَاهَا مَخَازِيكَ الَّتِي قَدْ عَلِمَتْهَا وَلُحْمُهَا مِنِّي الْكَلَامُ الْمُحِبُّ (٢)
 وَإِنْ كُنْتُ لَا أَهْجُوكَ إِلَّا كَالْمَا يَرَى مَا يَرَاهُ النَّأْمُونُ فِيهِجْرُ (٣)
 وقال :

أَيَّامَ لَهْوِي هَلْ مَوَاضِيكَ عُودُ وَهَلْ لَشَبَابٍ ضَلَّ بِالْأَمْسِ مَنَشْدُ (٤)
 أَقُولُ وَقَدْ شَابَتْ شَوَاتِي ، وَقُوسْتُ قَنَاتِي ، وَأَضَحْتُ كِدْنَتِي تَتَمَدَّدُ (٥)
 وَلَذَّتْ أَحَادِيثِي الرِّجَالِ ، وَأَعْرَضْتُ سُلَيْمِي وَرِيًّا عَنْ حَدِيثِي وَمَهْدُ (٦)
 وَبُدِّلَ إِعْجَابُ الْغَوَانِي تَعَجُّبًا ، فَهَنْ رَوَانٍ يَعْتَبِرُنَ وَصُدُّ (٧)
 لِمَا تُؤْذِنُ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ صُرُوفِهَا يَكُونُ بُكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةً يُؤَلَّدُ (٨)
 وَإِلَّا فَمَا يُسْكِيهِ مِنْهَا ، وَإِنِهَا لَأَفْسَحُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ (٩)

(١) ما نودى الخ : أي دائما ما دام الناس .

(٢) السدى من الثوب : الخيوط الممدودة . واللحمة : مانسج عرضا . الكلام المحب : المحسن .

(٣) يقول : أنى لا أكاد أشعر بك في الصحو الا كحالكم لا وجود لك . يهجر يهذى .

(٤) منشد : مكان أنشده فيه وأطلبه .

(٥) الشواة : جلدة الرأس ، والمراد شباب شعرها والقناة هنا صلبه . الكدنة : الشحم واللحم يريد أن سمته أضحت تهزل .

(٦) أى أصبحت أحاديثي تلذ الرجال بعد ما أعرض عنى الغواني لشيبى وكان حديثي لذيذا لديهن .

(٧) الإعجاب بالشيء : السرور منه . والتعجب : الاستغراب والانكار . روان دائمات النظر بسكون الطرف . صدد معروضات . يقول : بعد ما كنت أسر الغانيات أصبحت منكرا لدينهن فهن ينظرن الى متعجبات .

(٨) يعلل بكاء الطفل ساعة الولادة بما تعلمه به الدنيا من مصائبها .

(٩) أرغد : أطيّب .

إذا أبصر الدنيا استهلَّ كأنه بما سوف يلقى من أذاها يهدد^(١)
وللنفس أحوال تظلُّ كأنها تشهدُ فيها كلَّ غيب سيشهد^(٢)
وقال يرثي ابنه محمدًا .

بُكاؤُ كما يشفى وإن كان لا يجدي فجودًا فقد أودى نظيرُ كما عندي^(٣)
ألا قاتلَ الله المنايا ورَميها من القومِ حباتِ القلوبِ على عمدٍ
توخَّى سَهامُ الموتِ أوْسطَ صِبيتي فَلَلهِ كيفَ أختارَ واسِطةَ العِقدِ^(٤)
على حينِ شِمتُ الخَيْرَ مِنْ لَمَحَاتِهِ وآنَسْتُ مِنْ أَفْعَالِهِ آيَةَ الرُّشدِ^(٥)
طَوَاهُ الرَّدى عَنِّي فَأَضْحَى مزارُهُ بَعِيدًا عَلَى قُرْبٍ قَرِيبًا عَلَى بُعْدِ^(٦)
لَقَدْ أَنْجَزْتَ فِيهِ الْمَنَايَا وَعِيدَهَا وَأَخْلَفْتَ الْأَمَالَ مَا كَانَ مِنْ وَعْدِ
لَقَدْ قَلَّ بَيْنَ الْمَهْدِ وَاللَّحْدِ لَبْثُهُ فَلَمْ يَنْسَ عَهْدُ الْمَهْدِ إِذْ ضُمَّ فِي اللَّحْدِ
أَلَحَّ عَلَيْهِ النَّزْفُ حَتَّى أَحَالَهُ إِلَى صُفْرَةِ الْجَادِي عَنْ حُمْرَةِ الْوَرْدِ^(٧)
وَضَلَّ عَلَى الْأَيْدِي تَسَاقُطُ نَفْسُهُ وَيَذْوِي كَمَا يَذْوِي الْقَضِيبُ مِنَ الرَّندِ^(٨)

(١) استهل الصبى : رفع صوته بالبكاء .

(٢) يورد هذا البيت تأكيداً لحسن تعليقه إذ يقول ان النفس قد تشعر بما سيحدث فكذلك شأن الطفل . وتجذ ابن الرومي في شعره كأنه يعرض أقيسة منطقية .

(٣) بكاؤكما : الخطاب لعينيه . ولا يجدي : لا ينفع . وأودى : هلك .

(٤) توخى : تحرى .

(٥) شمت الخير : توقعته .

(٦) يريد بالقرب قرب المكان . وبالبعد بعد اللقاء .

(٧) الجادى : الزعفران . وهو أصفر . يقول : ان النزيف أحاله من حمرة الورد الى صفرة الزعفران .

(٨) الرند : الغار . وقد يسمى به الاس وهو نوع من الرياحان .

فَيَاكَ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا تَسَاقُطُ دُرٌّ مِنْ نِظَامٍ بِلَا عِقْدٍ
عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِرْ لَهُ وَلَوْ أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ
وَأَسْرَنِي أَنَّ بَعْتُهُ بِشَوَابِهِ وَلَوْ أَنَّهُ التَّخْلِيدُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
وَلَا بَعْتُهُ طَوْعًا وَلَكِنْ غُصِبَتْهُ وَلَيْسَ عَلَى ظُلْمِ الْحَوَادِثِ مِنْ مُعَدٍ (١)
وَإِنِّي وَإِنْ مُتَّعْتُ بِأَبْنَى بَعْدِهِ لَدَا كَرُّهُ مَا حَنَّتِ النَّيْبُ فِي نَجْدٍ (٢)
وَأَوَّلَا دُنَا مِثْلُ الْجَوَارِحِ أَيُّهَا فَقَدْ نَاهُ كَانَ الْفَاجِعُ الْبَيْنَ الْفَقْدِ (٣)
لِكُلِّ مَكَانٍ لَا يَسُدُّ اخْتِلَالَهُ مَكَانُ أَخِيهِ مِنْ جَزُوعٍ وَلَا جَلْدٍ
هَلِ الْعَيْنُ بَعْدَ السَّمْعِ تَكْفِي مَكَانَهُ أَمْ السَّمْعُ بَعْدَ الْعَيْنِ يَهْدِي كَمَا تَهْدِي
لَعَمْرِي لَقَدْ حَالَتْ بِيَ الْحَالُ بَعْدَهُ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ حَالَتْ بِهِ بَعْدِي
ثَكَلْتُ سُرُورِي كُلَّهُ إِذْ ثَكَلَتْهُ وَأَصْبَحْتُ فِي لَدَاتِ عَيْشِي أَخَا زُهْدٍ
أَرِيحَانَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأَنْفِ وَالْحَشَا أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّرَتْ عَنْ عَهْدِي
سَأَسْقِيكَ مَاءَ الْعَيْنِ مَا أَسْعَدَتْ بِهِ وَإِنْ كَانَتْ السُّقْيَا مِنَ الدَّمْعِ لَا تُجْدِي (٤)
أَعْيَنِي جُودًا لِي فَقَدْ جُدْتُ لِلثَّرَى بَأَنْفَسٍ مِمَّا تُسْأَلَانِ مِنَ الرَّفْدِ (٥)
كَأَنِّي مَا اسْتَمْتَعْتُ مِنْكَ بِضَمَةٍ وَلَا شَمَةٍ فِي مَلْعَبٍ لَكَ أَوْ مَهْدٍ
أَلَا لِمَا أَبْدَى عَلَيْكَ مِنَ الْأَسَى وَإِنِّي لَا خَفِيَ مِنْكَ أَضْعَافَ مَا أَبْدَى
مُحَمَّدُ مَا شِئْتُ تَوْهُمَهُمْ سَلَوَةً لِقَلْبِي إِلَّا زَادَ قَلْبِي مِنَ الْوَجْدِ

(١) معد من أعدى بمعنى نصر وأغان . يقول ليس هناك من معين على ظلم الحوادث .

(٢) النيب : جمع ناب ، وهو الناقة المسنة .

(٣) الجوارح : أعضاء الانسان .

(٤) أسعدت العين بالبكاء : أعانت .

(٥) الرفد : العطاء والصلة .

أَرَى أَخَوَيْكَ الْبَاقِيَيْنِ كُلِيَهُمَا يَكُونَانِ لِلْأَحْزَانِ أَوْرَى مِنَ الزَّندِ
 إِذَا لَعِبَا فِي مَلْعَبٍ لَكَ لَذَّةَا فَوَّادِي بِمَثَلِ النَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصْدِ
 فَمَا فِيهِمَا لِي سَلَوَةٌ ، بَلْ حَزَازَةٌ يَهِيْجَانِيهَا ، وَنِي وَأَشَقَى بِهَا وَحْدِي
 وَأَنْتَ وَإِنْ أَفْرَدْتَ فِي دَارِ وَحْشَةٍ فَإِنِّي بَدَارِ الْإِنْسِ فِي وَحْشَةِ الْفَرْدِ
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مِنْ تَحِيَّةٍ وَمِنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ الْبَرْقِ وَالرَّذْدِ

قال ياتب أبا القاسم التَّوَزَّى الشُّطْرَ نَجِي وَيَمْدَحُهُ :

يَا أَخِي أَيْنَ عَهْدُ ذَاكَ الْإِخَاءِ أَيْنَ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ صَفَاءٍ ؟
 كَشَفْتَ مِنْكَ حَاجَتِي هَنَوَاتٍ غَطَّيْتُ بُرْهَةً بِحُسْنِ اللَّقَاءِ (١)
 تَرَكَتْنِي وَلَمْ أَكُنْ سَيِّئَ الظَّنِّ أَسِيءُ الظُّنُونِ بِالْأَصْدِقَاءِ
 يَا أَخِي هَبْكَ لَمْ تَهَبْ لِي مِنْ سَعَةٍ يِيكَ حَظًّا كَسَائِرِ الْبُخْلَاءِ
 أَمَلًا كَانَ مِنْكَ رَدٌّ جَمِيلٌ فِيهِ لِلنَّفْسِ رَاحَةٌ مِنْ عَنَاءِ
 أَجْزَاءِ الصَّدِيقِ إِيْطَاؤُهُ الْعُشَّةُ وَهَ حَتَّى يَظْلَّ كَالْعَشْوَاءِ (٢)
 تَارِكًا سَعْيَهُ أَتَّكَلًّا عَلَى سَعَةٍ يِيكَ دُونَ الصُّحَابِ وَالشُّفَعَاءِ
 كَالَّذِي غَرَّهُ السَّرَابُ بِمَا خِيَلُ لَ حَتَّى هَرَّاقَ مَا فِي السَّقَاءِ
 يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو هُ لِدَهْرِي قَطَعْتَ مَتْنِ الرَّجَاءِ
 لَا أَجَازِيكَ عَنْ غُرُورِكَ إِيَّايَا نِي غُرُورًا وَقَيْتَ سُوءَ الْجَزَاءِ

(١) الهنوات : جمع هنة ، وهي من الشيء الصغير . يقول ان طلبى منك أشياء صغيرة كشف لى
 عن حقيقتك التى كنت تغطيها بحسن لقاك اياى .

(٢) العشوة : النار . وأوطأه العشوة : كناية عن أنه أضله ولم يهده . والعشواء : الناقة
 لا تبصر أمامها .

بَلْ أَرَىٰ صِدْقَكَ الْحَدِيثَ وَمَاذَا
أَنْتَ عَيْنِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي
مَا بِأَمْثَالِ مَا أَنْتَ مِنَ الْأَمَّةِ
بَذَلَ الْوَعْدَ لِلْأَخْلَاءِ سَمِيحًا
فَعَدَا كَالْخِلَافِ يُورِقُ لِلْعَيْدِ
لَيْسَ يَرْضَىٰ الصَّدِيقُ مِنْكَ بِيَشْرِ
كَ لُبْخُلٍ عَلَيْكَ بِالْأَغْضَاءِ
غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى الْأَقْدَاءِ
رِ يَحُلُّ الْفَتَى ذُرَا الْعُلَيَاءِ
وَأَبَى مَعْدَ ذَلِكَ بَذَلَ الْعَطَاءِ
نِ وَيَأْبَى الْأَثْمَارَ كُلَّ الْأَبَاءِ (١)
تَحْتَ مَخْبُورِهِ دَفِينُ جَفَاءِ

رُبَّمَا هَالَنِي وَحَيَّرَ عَقْلِي
وَرِضَاهُمْ هُنَاكَ بِالنِّصْفِ وَالرُّبِّ
وَاحْتِرَاسُ الدُّهَاءِ مِنْكَ وَإِعْصَا
عَنْ تَدَايِيرِكَ اللَّطَافِ اللَّوَاتِي
بَلْ مِنْ السَّرِّ فِي ضَمِيرٍ مُحِبِّ
فَإِخَالُ الَّذِي تُدِيرُ عَلَى أَقْوَمِ
وَأُظُنُّ أَفْتَرَا سَكَ الْقِرْنَ فَتَقِرُّ
وَأَرَىٰ أَنَّ رُقْعَةَ الْأَدَمِ الْأَحَدِ
غَلِطَ النَّاسُ لَسْتُ تَلْعَبُ بِالشُّطِّ
لَكَ مَكْرٌ يَدِبُّ فِي الْقَوْمِ أَخْفَى
أَخَذَكَ اللَّاعِبِينَ بِالْبَأْسَاءِ (٢)
عِ وَأَذْنِي رِضَاكَ فِي الْإِرْبَاءِ
فُكَّ بِالْأَقْوِيَاءِ وَالضُّعَفَاءِ
هُنَّ أَخْفَى مِنْ مُسْتَسَرِّ الْهَبَاءِ
أَدَبَتْهُ عُقُوبَةُ الْإِفْشَاءِ
مِ حُرُوبًا دَوَائِرَ الْأَرْحَاءِ
نِ مَنَآيَا وَشَيْكَةِ الْإِرْدَاءِ
مَرِ أَرْضًا عَلَلَّتْهَا بِدِمَاءِ
رَنَجٍ لَكِنْ بِأَنْفُسِ اللُّعْبَاءِ
مِنْ دَرِيْبِ الْغِنَاءِ فِي الْأَغْضَاءِ

(١) الخلاف : شجر من الصفصاف يحسن مرأى ولا يثر شئنا يؤكل .

(٢) انتقل الى وصف أبي القاسم في اعادة لعب الشطرنج وقد قيل انه كان يجيد اللعب ويغلب

ولو أدار للرقعة ظهره وأشار من غير نظر الى تحريك القطع كما سيذكره في القصيدة .

أَوْ مَسِيرِ الْقَضَاءِ فِي ظِلِّمِ الْغَيْبِ ب إِلَى مَنْ يُرِيدُهُ بِالتَّوَّاءِ (١)
تَقْتُلُ الشَّاهَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الرُّقْدِ مَ طِبًّا بِالْقِتْلَةِ النَّكْرَاءِ (٢)
غَيْرَ مَا نَاطِرٍ بِعَيْنَيْكَ فِي الدَّسِّ ت وَلَا مُقْبِلٍ عَلَى الرُّسْلَاءِ (٣)
بَلْ تَرَاهَا وَأَنْتَ مُسْتَدْبِرُ الظَّهِرِ ر بِقَلْبٍ مُصَوَّرٍ مِنْ ذَكَاءِ
مَا رَأَيْنَا سِوَاكَ قَرْنًا يُولَى وَهُوَ يُرْدِي فَوَارِسَ الْهَيْجَاءِ
وَالْفُؤَادُ الذَّكِيُّ لِلْمُطْرِقِ الْمَمْعِ رِضٍ عَيْنٌ يَرَى بِهَا مِنْ وَرَاءِ
تَقْرَأُ الدَّسْتَ ظَاهِرًا فَتُودِي هِ جَمِيعًا كَأَحْفَظِ الْقُرَاءِ
وَتَلْقَى الصَّوَابَ فِيهَا سِوَى ذَا كَ إِذَا جَارَ جَائِرُ الْآرَاءِ (٤)
فَتَرَى أَنْ بُلْغَةً مَعَهَا الرَّاءُ حَةُ خَيْرٌ مِنْ ثَرْوَةٍ فِي شَقَاءِ
وَقَدِيمًا رَغِبْتَ عَنْ كُلِّ مَصْحُوحٍ بٍ مِنْ الْمُتَرَفِّينَ وَالْأُمَرَاءِ
وَرَفَضْتَ التُّجَارَةَ الْجَمَّةَ الرَّبِّ حِ وَمَا فِي مِرَاسِهَا مِنْ جَدَاءِ (٥)
لَمْ تَبِعْ طِيبَ عَيْشَةٍ بِنُضُولِ دُونَهُ خُبْتُ عَيْشَةَ كَدْرَاءِ
تَعَبُ النَّفْسُ وَالْمَهَانَةُ وَالذَّلُّ هُ وَالْخَوْفُ وَاطِّرَاحُ الْحَيَاءِ (٦)

(١) التواء : الهلاك .

(٢) طبيا : علما .

(٣) الدست : رقعة الشطرنج . والرسلاء : جمع رسيل ، وهو الموافق لك في النضال .

(٤) انتقل من الكلام على مهارته في لعب الشطرنج الى شرح صفاته العامة فهو يريد بما سوى

ذلك ما سوى اللعب .

(٥) مافي مراسها من جداء : أى مافي مزاولتها من غنى وثروة .

(٦) تعب النفس : بدل من خبت عيشة في البيت قبله .

بل أطعت النهى ففرت بحظٍّ قصرت عنه فطنة الأغنياء
 راحة النفس والصيانة والعف والأمن في حياء رواء (١)
 عالماً بالذي أخذت وأعطيت حكيماً في الأخذ والإعطاء
 جهبذ العقل لا يقوتك شيء مثله فات أعين البصراء
 قائلاً للمشير بالكدح مهلاً ما اجتهد اللبيب بعد اكتفاء
 قرب الحرص مركباً لشقى إنما الحرص مركب الأشقياء
 مرحباً بالكفاف يأتي هنيئاً وعلى المتعبات ذيل العفاء
 ضلة لا مرى يشمر في الجم لعيش مشمر للفناء
 دائباً يكثر القناطير للوا رث والعمر دائب في انقضاء
 حبذا كثرة القناطير لو كا نت لرب الكنوز كنز بقاء
 يحسب الحظ كله في يديه وهو منه على مدى الجوزاء
 ليس في آجل النعم له ح وظ وما ذاق عاجل النعماء
 ذلك الخائب الشقى وإن كا ن يرى أنه من السعداء
 حسب ذى إربة ورأى جلى نظرت عينه بلا غلواء (٢)
 صحة الدين والجوارح والعرو ض وإحراز مسكة الحوباء (٣)
 تلك خير لعارف الخير ممّا يجمع الناس من فضول الثراء

(١) راحة النفس : بدل من حظ في البيت قبله . وحياء رواء أى جميل .

(٢) الاربة : العقل .

(٣) الحوباء : النفس ومسكة الحوباء ما يحفظ حياتها : وصحة الدين مبداً خبره حسب

في البيت قبله .

لَيْسَ لِلْمُكْثِرِ الْمُنْعَصَ عَيْشٌ إِنَّمَا عَيْشُ عَائِشٍ بِالْهَنَاءِ
يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي لَيْسَ يَخْفَى عَنْهُ مَكْنُونُ خُطَّةٍ عَوْجَاءِ
أَتَرَى كُلَّ مَا ذَكَرْتُ جَلِيًّا وَسِوَاهُ مِنْ غَامِضِ الْأَشْيَاءِ
ثُمَّ يَخْفَى عَلَيْكَ أَنِّي صَدِيقٌ رُبَّمَا عَزَّ مِثْلُهُ بِالْمَلَأِ
لَا لَعَمْرُ الْإِلَهِ لَكِنْ تَعَاشِي تَ بَصِيرًا فِي لَيْلَةٍ قَمَرَاءِ (١)
ظَالِمًا لِي مَعَ الزَّمَانِ الَّذِي ابْتَدَأَ زَرَ حُقُوقَ الْكِرَامِ لِلْوَمَاءِ
ثَقُلْتُ حَاجَتِي إِلَيْكَ فَأَضْحَتُ وَهِيَ عِيبٌ مِنْ فَادِحِ الْأَعْبَاءِ
فَتَوَانَيْتُ وَالتَّوَانِي وَطِيءُ الظِّدِّ نَهَرَ لَكِنَّهُ زَنِيمُ الْوِطَاءِ (٢)
كُنْتُ مِمَّنْ يَرَى التَّشْيِيعَ لَكِنْ مِلْتُ فِي حَاجَتِي إِلَى الْأَرْجَاءِ (٣)
ظَلِمْتُ حَاجَتِي فَلَاذَتْ بِحَقْوَيْدِ لَكَ فَأَسْلَمْتُهَا لِكَفِّ الْقَضَاءِ (٤)
وَقَضَاءِ الْإِلَهِ الْأَخْوَطُ لِلنَّاسِ سِ مِنْ الْأَمَّهَاتِ وَالْآبَاءِ
غَيْرَ أَنْ الْيَقِينَ أَضْحَى مَرِيضًا مَرَضًا بَاطِنًا شَدِيدَ الْخَفَاءِ
مَا وَجَدْتُ أَمْرًا يَرَى أَنَّهُ يُؤْ قِنُ إِلَّا وَفِيهِ شَوْبُ امْتِرَاءِ
لَوْ بَصَحُ الْيَقِينُ مَا رَغِبَ الرَّأْيُ غِبُ إِلَّا إِلَى مَلِكِ السَّمَاءِ
وَعَسِيرٌ بُلُوغُ هَاتِيكَ جَدًّا تِلْكَ عُكْلِيَا مَرَاتِبِ الْأَنْبِيَاءِ

(١) ادعيت عدم الابصار .

(٢) الزنيم : الدعى واللئيم . وزنيم الوطاء : لئيم الموطىء .

(٣) التشيع : مذهب ديني يرى تفضيل على على سائر الصحابة والارجاء مذهب آخر يرى الوقوف على الحياد بالنسبة للفرق المتقاتلة لا يحكمون على أحد بشيء في الدنيا بل يرجئون الحكم الى يوم القيامة فالشاعر يورى ويقول كنت متشيعا لى ثم طلبت منك مطلباً وقفت على الحياد وأرجأت الحكم على مطلبى .

(٤) الحقوا : الكشح . ولأذت بحقوقه : التجأت اليه .

وعزیزٌ علیک عَضِّیکَ بِاللَّوِّ م وَلَکِنَّ أَصَبْتَ صَدْرِي بِدَاءِ
أَنْتَ أَذَوَيْتَ صَدْرَ خِلِّكَ فَأَعْذِرْ هُ عَلَى النَّفْثِ إِنَّهُ كَالِدَوَاءِ
قَدْ قَضَيْنَا لُبَانَةً مِنْ عِتَابٍ وَجَمِيلٌ تَعَاتَبُ الْأَكْفَاءِ
وَالَّذِي أَطْلَقَ اللِّسَانَ فَعَاتَبَ تِكَ عَدِيكَ أَوَّلَ الْفُهْمَاءِ
وَأَنَا الْمَرْءُ لَا أَسُومُ عِتَابِي صَاحِبًا غَيْرَ صَفْوَةٍ الْأَصْفِيَاءِ
ذَا الْحَجَامِ مِنْهُمْ وَذَا الْحِلْمِ وَالْعَدِ م وَجَهْلٌ مَلَامَةٌ الْجَهْلَاءِ
إِنَّ مَنْ لَمْ جَاهِلًا لَطِيبٌ يَتَعَاطَى عِلَاجَ دَاءِ عِيَاءِ

وقال يصف العنب الرّازقي (١) :

وَرَازِقِي مُخْطَفِ الْخُصُورِ كَأَنَّهُ مَخَازِنُ الْبَلُورِ (٢)
قَدْ ضُمْنَتْ مِسْكًَا إِلَى الشُّطُورِ وَفِي الْأَعَالِي مَاءٌ وَرِدٌ جُورِي (٣)
لَمْ يَبْقَ مِنْهُ وَهَجٌ الْخُرُورِ إِلَّا ضِيَاءٌ فِي ظُرُوفِ نُورِ (٤)
لَوْ أَنَّهُ يَبْقَى عَلَى الدُّهُورِ قَرَّطَ آذَانَ الْحَسَنِ الْخُورِ
لَهُ مَذَاقُ الْعَسَلِ الْمَشُورِ وَنَكْهَةُ الْمَسْكِ مَعَ الْكَافُورِ
بَاكَرَتُهُ وَالطَّيْرُ فِي الْوُكُورِ وَعُذْرُ اللَّذَاتِ فِي الْبُكُورِ (٥)
بِفِتْيَةٍ مِنْ وَلَدِ الْمَنْصُورِ أُمْلَأَ لِلْعَيْنِ مِنَ الْبُدُورِ

(١) العنب الرّازقي : نوع من العنب أبيض طويل الحب .

(٢) مخطف الخصر : هزيله .

(٣) الجوري : منسوب الى جور مدينة بفارس ينسب اليها الورد ويعمل فيها ماؤه .

(٤) الخرور : حر الشمس .

(٥) أصل عذرة الفرس ناصيته وأراد بعذر اللذات بوادرها وأول ما يظهر منها .

حَتَّى أَتَيْنَا خِيَمَةَ النَّاطُورِ قَبْلَ أَرْتِفَاعِ الشَّمْسِ لِلذُّرُورِ^(١)
 ثُمَّ جَلَسْنَا مَجْلِسَ الْمَحْبُورِ عَلَى حِفَافٍ جَدُولٍ مَسْجُورِ^(٢)
 أَيُّضَ مِثْلِ الْمُهْرَقِ الْمَنْشُورِ أَوْ مِثْلَ مَتْنِ الْمُنْصُلِ الْمَشْهُورِ^(٣)
 يَنْسَابُ مِثْلَ الْحَيَّةِ الْمَذْعُورِ بَيْنَ سِمَاطَى شَجَرٍ مَسْطُورِ^(٤)
 فَنِيلَتِ الْأَوْطَارُ مِنْ سُرُورِ تَعِلَّةٍ عَنْ يَوْمِنَا الْمَنْظُورِ
 وَمُتَعَةً مِنْ مُتَعِ الْغُرُورِ

(١٤) الْبُحْتَرَى^(٥)

قال يصف خروج المتوكل لصلاة عيد الفطر من قصيدة :

بِالْبِرِّ صُمْتَ وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ وَبِسَنَّةِ اللَّهِ الرُّضِيَّةِ تُفْطِرُ
 فَنَعَمَ يَوْمَ الْفِطْرِ عِيداً إِنَّهُ يَوْمٌ أَغْرُ مِنْ الزَّمَانِ مُشَهَّرُ
 أَظْهَرْتَ عِزَّ الْمَلِكِ فِيهِ بِجَحْفَلٍ لَجِبَ! يُحَاطُ الدِّينُ فِيهِ وَيُنْصَرُ^(٦)

(١) الناطور : حارس الغنب . والذرور : مصدر ذرت الشمس طلعت .

(٢) حفافا النهر أو الجدول : جانباه . والمسجور : المملوء .

(٣) المهرق : الصحيفة : والمنصل : السيف .

(٤) السماطان : مثنى سماط وهو الشيء المصطف . يقال علل نفسه بتعلة أى شغل نفسه بشيء .

(٥) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ولد بناحية منبج سنة ٢٠٦ هـ . وتنقل في قبائل طيء وغيرها من البدو الضاربين في شواطئ الفرات فغلبت عليه فصاحة العرب واتصل بالمتوكل والفتح بن خلقان محترما حتى قتلا ، وقد مات سنة ٢٨٤ هـ . ويمتاز شعره برقة الأسلوب وحسن الخيال واجادة الوصف والثناء والعتاب والغزل والمديح .

(٦) الجحفل : الجيش الكثير . لجب : ذو لجب أى صياح وجلبة .

خِلْنَا الْجِبَالَ تَسِيرَ فِيهِ وَقَدْ غَدَتْ عُدَدًا يَسِيرُ بِهَا الْعَدِيدُ الْأَكْثَرُ
فَاخْلِيلَ تَصَهَّلْ ، وَالْفَوَارِسَ تَدَّعِي ، وَالْبَيْضَ تَلْمَعُ ، وَالْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ (١)
وَالْأَرْضُ خَاشِعَةٌ تَمِيدُ بِثِقَلِهَا ، وَالْجَوَّ مُعْتَكِرُ الْجَوَانِبِ أَغْبَرُ (٢)
وَالشَّمْسُ مَاتِعَةٌ تَوَقَّدُ بِالضُّحَا طَوْرًا ، وَيُظْفِئُهَا الْعَجَاجُ الْأَكْدَرُ (٣)
حَتَّى طَلَعَتْ بِضَوْءٍ وَجْهَكَ فَانْجَلَتْ تِلْكَ الدُّجَى وَانْجَابَ ذَاكَ الْعَثِيرُ (٤)
وَافْتَنَّ فِيكَ النَّاضِرُونَ : فَأَصْبَحَ يُوَمِّى إِلَيْكَ بِهَا ، وَعَيْنٌ تَنْظُرُ
يَجِدُونَ رُؤْيَاكَ الَّتِي فَازُوا بِهَا مِنْ أَنْعَمِ اللَّهِ الَّتِي لَا تُكْفَرُ
ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ النَّبِيَّ ، فَهَلَّلُوا لِمَا طَلَعَتْ مِنَ الصَّفُوفِ ، وَكَبَّرُوا
حَتَّى أُنْتَهَيْتَ إِلَى الْمَصَلَّى لَا بَسَا نُورَ الْهَدْيِ ، يَبْدُو عَلَيْكَ وَيَظْهَرُ
وَمَشَيْتَ مِشْيَةً خَاشِعَ مُتَوَاضِعِ لِلَّهِ لَا يُزْهَى ، وَلَا يَتَكَبَّرُ
فَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ

وَمِنْ قَوْلِهِ يَصِفُ الرَّبِيعَ :

أَتَاكَ الرَّبِيعُ الطَّلُقُ يَخْتَالُ ضَاحِكًا مِنَ الْحُسْنِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ
وَقَدْ نَبَّهَ النِّيْرُوزُ فِي غَسَقِ الدُّجَى أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نُومًا (٥)

(١) البَيْضُ : السِّيفُ . وَالْأَسِنَّةُ : جَمْعُ سِنَانٍ : نَصْلُ الرَّمْحِ . تَزْهَرُ : تَضِيءُ وَتَلْمَعُ .

(٢) تَمِيدُ : تَتَحَرَّكُ وَتَضْطَرِبُ . وَالْجَوَّ مُعْتَكِرُ أَيُّ مِنْ ضَخَامَةِ الْجَيْشِ أَوْ مِنْ غُبَارِهِ .

(٣) مَاتِعَةٌ : مَرْتَفَعَةٌ . وَالْعَجَاجُ : الْغُبَارُ . وَالْأَكْدَرُ : الشَّدِيدُ الْكَدْرَةِ وَهُوَ ضِدُّ الصَّفَاءِ .

(٤) الدُّجَى : جَمْعُ دَجِيَّةٍ : الظُّلْمَةُ . وَيَقْصِدُ ظُلْمَةَ الْعَثِيرِ الَّذِي هُوَ الْغُبَارُ .

(٥) النِّيْرُوزُ عِنْدَ الْفَرَسِ أَوَّلُ أَيَّامِ السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ . غَسَقُ الدُّجَى : ظُلْمَةُ اللَّيْلِ . وَالْمَعْنَى أَنَّ
مَقْدَمَ الرَّبِيعِ بِصُحْبِهِ تَفْتَحُ الْوَرْدَ .

يُفْتَقُّهَا بَرْدُ النَّدَى فَكَأَنَّهُ يَبْتُ حَدِيثًا كَانَ قَبْلُ مَكْتُمًا^(١)
 فَمِنْ شَجَرِ رَدِّ الرِّيعِ لِبَاسُهُ عَلَيْهِ كَمَا نَشَرْتَ وَشِيًّا مَنَمًا^(٢)
 أَحَلَّ فَأَبْدَى لِلْعُيُونِ بَشَاشَةً وَكَانَ قَدَى لِلْعَيْنِ إِذْ كَانَ مُحْرِمًا^(٣)
 وَرَقَّ نَسِيمُ الرِّيحِ حَتَّى حَسِبْتُهُ يَجِيءُ بِأَنْفَاسِ الْأَحِبَّةِ نَعْمًا

وقال يمدح محمد بن علي بن عيسى القمي :

ذَلِكَ وَادِي الْأَرَاكِ فَاحْبِسْ قَلِيلًا مُقْصِرًا مِنْ صَبَابَةٍ أَوْ مُطِيلًا^(٤)
 قِفْ مَشُوقًا ، أَوْ مُسْعِدًا ، أَوْ حَزِينًا أَوْ مُعِينًا ، أَوْ عَازِرًا ، أَوْ عَدُولًا^(٥)
 إِنَّ بَيْنَ الْكَثِيبِ فَالْجَزْعِ فَالْأَمِّ رَامٍ ، رَبْعًا لِيَالٍ هِدِّ مُحِيلًا^(٦)
 أَبْلَتْ الرِّيحُ وَالرَّوَايحُ وَالْأَيَّامُ مِنْهُ مَعَالِمًا وَطُلُولًا^(٧)
 وَخِلَافُ الْجَمِيلِ قَوْلُكَ لِلذَّاكِرِ عَهْدَ الْأَحْبَابِ : صَبْرًا جَمِيلًا

(١) يشبه انتشار الأريج على أثر تفتح الورد بسر كان مكتوما فأذيع .

(٢) الوشى : نقش الثوب . منمم : محسن . يشبه اكتساء الأشجار بالزهر بالنقش الجميل .

(٣) أحل هنا بمعنى لبس الثياب ، والاحرام التجرد من الخيط . والقذى : ما يقع في العين فيؤلمها ويسيل دمعها من تبين ونحوه .

(٤) وادى الأراك : واد قرب مكة وقيل موضع بعرفة . واحبس : قف راحلتك أو نفسك مثلاً . والصبابة : الشوق والولع الشديد ، يطلب إلى صاحبه الوقوف بديار الأحبة وفاء لأهلها الزاجلين عنها .

(٥) مشوقا : مولعا يقال شاقه الحب إذا هاجه . ومسعدا : معينا ، أى على حرارة الشوق ، ومعينا أى على الحزن . يقول له قف معى مهما يكن شأنك اذ لا مفر لى من ذلك .

(٦) الكثيب : قرية بالبحرين لبنى محارب . والجزع : موضع بنجد وآخر بأرض طيء وواد باليمامة . والآرام : دارة . والربع المحيل : الدار الخالية .

(٧) الروائح : جمع رائحة وهى من السحابة التى تجىء عشيا أو الماطرة . والمعالم : ما يستدل بها على الطريق أو هى المعاهد . المفرد : معلم . والطلول : جمع طلل وهو الشاخص من الآثار .

لا تَلَمُّهُ عَلَى مُوَاصَلَةِ الدَّمِّ ع ، وَلَوْمْ لَوْمُ الْخَلِيلِ الْخَلِيلَا
 عَلَى مَاءِ الدُّمُوعِ يُخَمِّدُ نَارًا مِنْ جَوَى الْحُبِّ أَوْ يُبِيلُ غَلِيلًا^(١)
 وَبَكَاءَ الدِّيَارِ مِمَّا يَرُدُّ الشَّوْقَ ذِكْرًا وَالْحُبَّ نِضْوًا ضَّئِيلًا^(٢)
 لَمْ يَكُنْ يَوْمُنَا طَوِيلًا بِنَعْمَا نَ ، وَلَكِنْ كَانَ الْبُكَاءُ طَوِيلًا
 قَدْ وَجَدْنَا مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ غَايَةَ الْمَجْدِ قَائِلًا وَفَعُولًا
 وَلَقَيْنَا شَمَائِلًا تَنْثُرُ الْمِسْكَ كَمَا لَقَيْنَا الشَّمُولَا^(٣)
 وَرَأَيْنَا سَيِّمًا نَدَى وَسَمَاحٍ لَمْ نُرِدْ بَعْدَهَا عَلَيْهِ دَلِيلًا
 أَشْعَرِيٍّ ، كِفَاهُ عِيسَى بْنِ مُوسَى شَرَفًا بَاتَ لِلسَّمَاءِ رَسِيلًا^(٤)
 خَلَفَ الْبُحْرَ لِلجَيَادِ ، وَأَلْقَى فِي مَدَى الْمَجْدِ ، غُرَّةً ، وَحُجُولًا^(٥)
 وَبَنُو الْأَشْعَرِ الَّذِي مَلَأَ الْأَرْضَ ضَ رِجَالًا ، وَنَجْدَةً ، وَخُيُولًا
 شَوْكَةً مَا أَصَابَتْ الدَّهْرَ إِلَّا تَرَكْتُ فِي الْغَرَارِ مِنْهُ فُلُولًا^(٦)

(١) الفليل : شدة العطش ، والمراد هنا حرقه الشوق .

(٢) يرد الشوق ذكرا : يجعله ذكريات للماضي فقط . والنضو : الكليل المنعب ، يريد أن بكاء الديار يشفى النفس من آلام الحب ويخفف ثوبته .

(٣) الشمول : الخمر أو البرودة منها والمراد الأخلاق الحميدة . والمسك السحيق : المسحوق ، يشبه به آثار الخلق الطيب .

(٤) أشعري : منسوب إلى الأشعر جده . والسماك : اسم لكل من كوكبين نيرين : أحدهما السماك الأعزل ، والغادي الراجح . ورسيل : قرينا ، أى كفاه شرف آبائه السامي .

(٥) البهر : انقطاع النفس من الاعياء . والجياذ : الخيل . والمدى : الغاية والمنتهى ، والغرة : بياض في جبهة الفرس ، ومن كل شيء أوله ومعظمه . وغرة القوم : سيدهم . والحجول : جمع حجل وهو البيض في رجل الفرس ، يريد أنه لا يكل ولكنه وصل إلى غاية المجد بكريم أفعاله التي تشبه غرة الخيل السابقة وحجولها .

(٦) الشوكة هنا : العزة والسلطان . وغرار السيف : حده . والفلول : جمع فل وهو الثلمة في حد السيف . يقول : أن صولتهم قوية حتى على صروف الدهر .

بَلَغَ الْمَكْرَمَاتِ طُولًا وَعَرَضًا وَتَنَاهَتْ إِلَيْهِ عَرْضًا وَطُولًا^(١)
 رَادَّةُ الْحَمْدِ أَوَّلًا وَأَخِيرًا وَأَوَّلُو الْمَجْدِ وَاحِدًا وَقَبِيلًا^(٢)
 وَكَأَنَّ الْأَصُولَ كَانَتْ فُرُوعًا وَكَأَنَّ الْفُرُوعَ كَانَتْ أَصُولًا^(٣)
 وَنُجُومٌ إِذَا تَوَقَّدْنَ فِي الْخَطِّ ب تَوَهَّتَ فِي النُّجُومِ أَفُولًا^(٤)
 وَمُحِبُّونَ لِلنَّبِيِّ وَأَهْلِ الْ سَلَبُوا الْبَيْضَ بَزَّهَا وَأَقَامُوا^(٥)
 تَحَسَّبُ الشَّيْبَ فِي الْوَقِيعَةِ شُبًّا نَا إِذَا صَافَحُوا الصَّفِيحَ الصَّقِيلَا^(٦)
 فَإِذَا حَارَبُوا أَذَلُّوا عَزِيزًا وَإِذَا سَالَمُوا أَعَزُّوا ذَلِيلًا^(٧)
 وَإِذَا عَزُّ مَعْشَرٍ زَالَ يَوْمًا مَنَعَ السَّيْفُ عِزَّهُمْ أَنْ يَزُولَا
 يَا أَبَا جَعْفَرٍ ، لَقَدْ رَاحَ إِفْضَا لَكَ خَطْبًا عَلَى الْكِرَامِ جَلِيلًا^(٨)
 رَدَّ مَعْرُوفَكَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا وَأَرَى جُودَكَ الْجَوَادَ بَخِيلًا

(١) تناهت إليه : بلغت غايتها عنده .

(٢) رادة الحمد : سابقون إليه .

(٣) يقول : انهم متساوون في المجد لا تكاد تفرق بين طبقاتهم فيه ، فكان الأبناء هم بانوه وكان البانين من الآباء هم الأبناء .

(٤) نجوم الاولى : رجال كالنجوم سماوا ونفاذا ونباهاة . ونجوم الثانية : نجوم السماء . يقول : يظهرون في الشدائد فيخفون من عداهم حتى كان نجوم السماء غائبة أيضا .

(٥) البيض : السيوف . والبز : الثياب من الكتان أو القطن ، والمراد أغمادها أو بهاؤها ومضاؤها . والطبي : جمع ظبة : حد السيف أو السنان . والتأويل : التفسير (يريد تفسير مسائل الدين) . والتنزيل : القرآن الكريم ، والمراد انهم خدموا الدين بسيوفهم .

(٦) أي هم في الحروب ليوث وفي السلم يحمون الدليل ويكرمونه .

(٧) يقول : ان كرمك يضر الكرام لأن كرثة عطايك العظيمة تزدى بما يعطون فلا يظهر لهم فضل .

لَا أَظُنُّ الْبُخَالَ يُؤْفُونَكَ الشُّكَّ رَ وَلَوْ كَانَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
 جَعَلْتَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ دَفَعَ مِنْكَ أَفَادَتْ حَمْدًا وَأَعْطَتْ جَزِيلًا^(١)
 كَمْ لَجَدُواكَ مِنْ مَقَامٍ ، لَعَمْرِي كَانَ مِنْ رَيْقِ السَّحَابِ بَدِيلًا !^(٢)
 عِنْدَ وَجْهِ طَلْقٍ إِذَا مَا تَبَدَّى لِحُزُونِ الْخُطُوبِ عَادَتْ سُهُولًا
 يَيْئَسَ الْحَاسِدُونَ مِنْكَ وَكَانُوا أَسْفًا يَنْظُرُونَ نَحْوَكَ حَوْلًا^(٣)
 وَرَأَوْا أَنَّهُمْ إِذَا وَصَلُوا تَدَّكَ الْمَسَاعِي بِالْفِكْرِ ذَابُوا نُحُولًا^(٤)
 فَتَنُوا عَنْكَ أَعْيُنًا وَقُلُوبًا لَمْ يَرُدُّوا إِلَّا حَسِيرًا كَلِيلًا^(٥)
 وَكَفَانِي عَلَى الَّذِي يَوْجَدُ الْفَضْلُ لِي لَدَيْهِ بِالْحَاسِدِينَ دَلِيلًا^(٦)

(١) أى أن عطايك جعلت البخال كغيرهم ممن كانوا يوصفون بالكرم ، لأنها نزلت بهؤلاء انى درجة البخلاء .

(٢) الجدوى : العطاء . وريق السحاب : افضله وأوله ، أى أن عطايك لها أثر فى النعمة والخير كآثر السحاب الماطر .

(٣) حولا : ذوى عيون حواء . والحول : ميل احدى الحدقتين الى الأنف والأخرى الى الصداع ، وهذه الحال تدل على الحسرة والأسف .

(٤) يقول : رأوا أنهم لا يستطيعون الوصول الى محامدك حتى بمجرد تفكيرهم فيها ولو حاولوا ذلك ذابت جسامهم ضعفا دون الغاية .

(٥) وكانت نتيجة ذلك أن انصرفوا عنك لا يمكنهم النظر الى محامدك السامية ولا التفكير فى ادراكها لان أبصارهم ضعيفة ، وقلوبهم معيبة .

(٦) أى يكفينى الحاسدون فى الدلالة على صاحب الفضل أين هو ، لكثرة حديثهم عنه وذلك قول أبى تمام :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوَيْتَ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ

وقال يمدح المتوكل :

لِي حَبِيبٌ قَدْ لَجَّ فِي الْهَجْرِ جَدًّا وَأَعَادَ الصَّدُودَ مِنْهُ وَأُبْدَى^(١)
 ذُو فُنُونٍ يُرِيكَ فِي كُلِّ يَوْمٍ خُلُقًا مِنْ جَفَائِهِ مُسْتَجِدًّا
 يَتَابَى مِنْعًا ، وَيُنْعِمُ إِسْعَا فَأَ ، وَيَدْنُو وَصَلًا ، وَيَبْعُدُ صَدًّا^(٢)
 أَغْتَدَى رَاضِيًا وَقَدْ بَتُّ غَضْبَا نَ ، وَأُمْسَى مَوْلَى ، وَأَصْبَحُ عَبْدًا^(٣)
 وَبِنَفْسِي أَفْدَى عَلَى كُلِّ حَالٍ شَادِنًا ، لَوْ يُمَسُّ بِالْحُسْنِ أَعْدَى^(٤)
 مَرَّ بِي خَالِيًا فَأُطْمِعَ فِي الْوَصِّ لَ ، وَعَرَّضْتُ بِالسَّلَامِ فَرْدًا
 وَتَنَى خَدَّهُ إِلَيَّ عَلَى خَوِّ فِي فَقَبَّلْتُ جُلْنَارًا وَوَرْدًا^(٥)
 سَيِّدِي أَنْتَ ، مَا تَعَرَّضْتُ ظُلْمًا فَأَجَازَى بِهِ ، وَلَا خُنْتُ عَهْدًا
 رِقًّا لِي مِنْ مَدَامِعِ لَيْسَ تَرْقَا وَأُرِثَ لِي مِنْ جَوَانِحِ لَيْسَ تَهْدَا
 أَتَرَانِي مُسْتَبْدِلًا بِكَ مَا عِشْ تٌ بَدِيلًا ، أَوْ وَاجِدًا مِنْكَ نِدًّا^(٦)
 حَاشَ لِلَّهِ ؛ أَنْتَ أَقْتَنُ الْحَا ظًا وَأَحْلَى شَكْلًا ، وَأَحْسَنُ قَدًّا^(٧)
 خَلَقَ اللَّهُ جَعْفَرًا قِيمَ الدُّنْ يَا سَدَادًا ، وَقِيمَ الدِّينِ رُشْدًا^(٨)

(١) لج في الهجر: تمادى فيه ولزمه .

(٢) يتابى : يأبى ويمتنع . وينعم : يرفه . والاسعاف المساعدة ، أى يرفه عنى قليلا
 فى بعض الاحيان .

(٣) المولى : السيد أو الصاحب ، يذكر تجنى المحبوب واختلاف أحواله معه .

(٤) الشادن : ولد الطيبة تشبه به الفتاة الطريفة ، ثم يقول: لو مسه أحد نالت منه عدوى الحسن

(٥) الجلنار : زهر الرمان يشبه به الخد فى الحمرة .

(٦) الند : المثل والنظير .

(٧) حاش لله : تنزه الله ، ويريد بها هنا نفى استبدال غير حبيبه به أو وجود نظيره .

(٨) القيم : المستقيم ، يريد أنه حسن الدنيا والأخرى لسداده وهدايته .

أَكْرَمَ النَّاسِ شِيْمَةً وَأَتَمَّ النَّاسِ خُلُقًا ، وَأَكْثَرَ النَّاسِ رِفْدًا (١)
 مَلِكٌ حَصَّنَتْ عَزِيمَتُهُ الْمَادَّ كَ ؛ فَأُضْحِتْ لَهُ مُغَاثًا وَرِدًّا (٢)
 أَظْهَرَ الْعَدْلَ ، فَاسْتَنَارَتْ بِهِ الْأَرْضُ ، وَعَمَّ الْبِلَادَ غَوْرًا وَنَجْدًا (٣)
 وَحَكَى الْقَطَرَ بَلْ أَبْرَّ عَلَى الْقَطْرِ رِ بِكَفٍّ عَلَى الْبَرِيَّةِ تَنْدَى (٤)
 هُوَ بِحَرِّ السَّمْحِ ، وَالْجُودِ ؛ فَازْدَدَ مِنْهُ قُرْبًا تَزَدَدَ مِنَ الْفَقْرِ بُعْدًا
 يَأْتِمَالُ الدُّنْيَا عَطَاءً وَبَذْلًا وَجَمَالَ الدُّنْيَا ثَنَاءً وَمَجْدًا (٥)
 وَشَبِيهَ النَّبِيِّ خُلُقًا وَخَلَقًا وَنَسِيبَ النَّبِيِّ جَدًّا فَجْدًا
 بِكَ نَسْتَعْتِبُ اللَّيَالِي وَنَسْتَعْتِ بِكَ نَسْتَعْتِبُ اللَّيَالِي وَنَسْتَعْتِ
 فَابْقَ عُمَرَ الزَّمَانِ حَتَّى نُؤَدِّي شُكْرَ إِحْسَانِكَ الَّذِي لَا يُؤَدِّي

وَقَالَ يَصِفُ الذُّبَّ حِينَ لَقِيهِ :

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، لَا وَفَاءَ ، وَلَا عَهْدَ أَمَّا لَكُمْ مِنْ هَجْرٍ أَحْبَابَكُمْ بُدُّ ؟
 أَلْأَحْبَابَنَا قَدْ أَنْجَزَ الْبَيْنُ وَعْدَهُ وَشَيْكَا ، وَلَمْ يُنْجِزْ لَنَا مِنْكُمْ وَعْدًا (٧)

(١) أكرم : أفضل . الشيمة : الخلق والطبيعة . والرغد : العطاء .

(٢) مغاثا : ملجأ . وردا : عمادا .

(٣) الغور : ما انحدر وأطمأن من الأرض وضده النجد ، يريد أن عدله شمل جميع البلاد .

(٤) القطر : المطر ، أى يشبه بكرمه المطر . وأبر : زاد . تندى : تعطى كثيرا .

(٥) الشمال : الملجأ والمعتمد . وئمال القوم : الذى يقوم بأمرهم .

(٦) نستعتب الليالى : نطلب منها العتبي (الرضا) أو نعطئها العتبي ونسترضئها (ضد) والأول هو الظاهر هنا أى نطلب من الليالى أن تكون وفق آمالنا . ونستعدى على الدهر : نستعين بك عليه . فنعدى : فنعان ونقلب .

(٧) وشيكا : سريعا . وأنجز البين وعده : فرقنا البعد ووعدهم . هو القرب .

أَطْلَالَ دَارَ الْعَامِرِيَّةِ بِاللَّوَى سَقَتَ رَيْعَكَ الْأَنْوَاءُ! مَا فَعَلْتَ هِنْدُ؟^(١)
أَدَارَ اللَّوَى بَيْنَ الشَّقِيقَةِ فَالْحِمَى أَمَّا لِلنَّوَى إِلَّا رَسِيسَ الْهُوَى قَصْدُ؟^(٢)
بِنَفْسِي مَنْ عَذَّبْتُ نَفْسِي بِحُبِّهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ وَصَالٌ وَلَا وَدٌّ
حَبِيبٌ، عَنِ الْأَحْبَابِ شَطَّتْ بِهِ النَّوَى وَأَيُّ حَبِيبٍ مَا أَتَى دُونَهُ الْبُعْدُ؟
إِذَا جُزْتُ صَحْرَاءَ الْغَوِيرِ مُغْرَبًا وَجَارَتْكَ بِطَحَاءِ السَّوَا حِيرٍ يَأْسَعِدُ^(٣)
فَقُلْ لِبَنِي الضَّحَّاكِ مَهَلًا ؛ فَإِنِّي أَنَا الْأَفْعَوَانُ الصَّلُّ، وَالضَّيْغُمُ الْوَرْدُ^(٤)
بَنِي نَاهِلٍ مَهَلًا ؛ فَإِنَّ ابْنَ أُخْتِكُمُ لَهُ عَزَمَاتٌ هَزَلُ آرَائِهَا جِدُّ^(٥)
مَتَى هَجْتُمُوهُ لَا تَهَيِّجُوا سِوَى الرَّدَى وَإِنْ كَانَ خَرَقًا مَا يُحِلُّ لَهُ عَقْدُ^(٦)
مَهَيْبٌ كَنَصْلِ السِّيفِ لَوْ ضُرِبَتْ بِهِ ذُرَا أَجَا ظَلَّتْ وَأَعْلَامُهَا وَهْدُ^(٧)
يَوْدُ رِجَالٍ أَنَّنِي كُنْتُ بَعْضَ مَنْ طَوْتُهُ اللَّيَالِي لَا أَرْوَحُ وَلَا أَعْدُو^(٨)
وَلَوْلَا أُحْتَمَلِي ثِقْلَ كُلِّ مُلِمَّةٍ تَسُوهُ الْأَعَادَى ، لَمْ يَوْدُوا الَّذِي وَدُّوا

(١) اللوى : ما التوى من الرمل أو مسترقه . والربع : الموضع . والأنواء : الأمطار .

(٢) الشقيقة والحمى : موضعان . ورسيس الهوى : حرقته وثباته .

(٣) الغوير : ماء لبني كلب .

(٤) الأفعوان : ذكر الأفعى (الحية الخبيثة) . والصل : الداهية من الحيات . الضيغم : الأسد والورد : الشجاع الجريء من الأسود .

(٥) أضعف هممه قوية نافذة .

(٦) الردى : الهلاك . الخرق : الكريم ، ما يحل الخ أى لا يرجع عما اعتزمه .

(٧) أجأ وسلمى : هما جبلان في الشمال من جزيرة العرب . وذراه : أعاليه وأعلامها أعاليها . وهـد : منخفضة جمع وهدة .

(٨) طوته الليالي : هلك .

- ذَرِينِي وَإِيَّاهُمْ فَحَسْبِي صَرَامَتِي إِذَا الْحَرْبُ لَمْ يَقْدَحْ لِمُحَمَّدٍهَا زَنْدٌ^(١)
 وَلِي صَاحِبٌ عَضْبُ الْمَضَارِبِ صَارِمٌ طَوِيلٌ نِجَادٍ ، مَا يَفْلُ لَهُ حَدٌ^(٢)
 وَبَا كَيْفَةٍ تَشْكُو الْفِرَاقَ بِأَدْمَعٍ يُبَادِرُهَا سَحًّا كَمَا انْتَثَرَ الْعِقْدُ
 رَشَادُكَ ، لَا يُحْزِنُكَ بَيْنُ ابْنِ هَمَّةٍ يَتَوَقُّ إِلَى الْعَلْيَاءِ لَيْسَ لَهُ نِدٌ^(٣)
 فَمَنْ كَانَ حُرًّا فَهُوَ لِلْعَزَمِ وَالسَّرَى وَلَلَّيْلٍ مِنْ أَفْعَالِهِ وَالكَرَى عَبْدٌ^(٤)
 وَلَيْلٍ كَانَ الصَّبْحَ فِي أُخْرِيَاتِهِ حُشَاشَةٌ نَصْلٍ ضَمَّ إِفْرِنْدَهُ غَمْدٌ^(٥)
 تَسْرِبَلَتْهُ وَالذُّبُّ وَسَنَانُ هَاجِعٍ بَعَيْنِ ابْنِ لَيْلٍ ، مَا لَهُ بِالكَرَى عَهْدٌ^(٦)
 أَثِيرُ الْقَطَا الْكُدْرِيَّ عَنْ جَثَمَاتِهِ وَتَأَلَّفَنِي فِيهِ الثَّعَالِبُ وَالرُّبْدُ^(٧)
 وَأَطْلَسَ مِلءَ الْعَيْنِ يَحْمِلُ زَوْرَهُ وَأَضْلَاعَهُ مِنْ جَانِبِيهِ شَوَى نَهْدٍ^(٨)
 لَهُ ذَنْبٌ مِثْلُ الرِّشَاءِ يَجْرُهُ وَمَتْنٌ كَمَتْنِ الْقَوْسِ أَعْوَجُ مُنَادٌ^(٩)

- (١) الصرامة : قوة العزيمة والمضاء ، ولم يقدح الخ ، أى لم ينجح أحد في إخمادها .
 (٢) الصاحب هو السيف ، عضب : قاطع . والنجاد : حائل السيف ، كناية عن طول قامته .
 (٣) رشادك قلت لها : الزمى رشادك . والبند : المثل والنظير .
 (٤) عبد خبر فهو .
 (٥) حشاشة نصل : بقية سيف . وإفريد السيف : جوهره ووشيه . يشبه الصبح حين يبدو خطا رفيعا عند الأفق المظلم ببقية سيف أغمد الا نصلا .
 (٦) تسربلته : صاحبه وسرت فيه . ابن ليل : دائم السهر . والكرى : النوم الخفيف .
 (٧) الكدر : المائل الى السواد والغبرة . وجثماته جمع جثمة كضربة ، أى أثير القطا عن مجاثمه . ومراقده بسيرى فيه . والربد : جمع أربد الاسد .
 (٨) وأطلس : ورب ذنب أطلس أى أغبر الى سواد . ملء العين : طويل مهيب . والزور : العزم . والشوى : الأطراف مفرد في لفظه جمع في معناه . ونهد : بارز .
 (٩) الرشاء : الحبل أو حبل الدلو خاصة . والمتن : الظهر . ومناد : معوج .

طَوَاهُ الطَّوَى حَتَّى اسْتَمَرَ مَرِيرُهُ فَمَا فِيهِ إِلَّا الْعَظْمُ وَالرُّوحُ وَالْجِلْدُ^(١)
يَقْضِضُ عُصْلًا فِي أُسْرِهَا الرَّدَى كَقَضْضَةِ الْمَقْرُورِ أَرَعَدَهُ الْبَرْدُ^(٢)
سَمَا لِي وَبِي مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ مَا بِهِ بَيِّدَاءُ لَمْ تُعْرِفْ بِهَا عَيْشَةُ رَغْدُ^(٣)
كَلَانًا بِهَا ذَنْبٌ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِصَاحِبِهِ ، وَالْجَدُّ يُتَعَسُّهُ الْجَدُّ
عَوَى ثُمَّ أَقْعَى فَارْتَجَزْتُ فَهَجْتُهُ فَأَقْبَلَ مِثْلَ الْبَرْقِ يَتَّبِعُهُ الرَّعْدُ^(٤)
فَأَوْجَرْتُهُ خَزَقَاءَ تَحْسَبُ رِيشَهَا عَلَى كَوْكَبٍ يَنْقُضُ وَاللَّيْلُ مُسَوْدُ^(٥)
فَمَا أَزْدَادَ إِلَّا جُرَاءَ وَصَرَامَةً وَأَيَقَنْتُ أَنَّ الْأَمْرَ مِنْهُ هُوَ الْجَدُّ
فَاتَّبَعْتُهَا أُخْرَى فَأَضَلَّتْ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ ، وَالرُّعْبُ ، وَالْحَقْدُ^(٦)
وَفَخَّرَ وَقَدْ أَوْرَدْتُهُ مِنْهَلِ الرَّدَى عَلَى ظَمَأٍ لَوْ أَنَّهُ عَذَبَ الْوَرْدُ
وَقُمْتُ فَجَمَعْتُ الْحَصَى فَاشْتَوَيْتُهُ عَلَيْهِ ، وَلِلرَّمْضَاءِ مِنْ تَحْتِهِ وَقْدُ^(٧)
وَنِلْتُ خَسِيسًا مِنْهُ ثُمَّ تَرَكْتُهُ وَأَقْلْتُ عَنْهُ وَهُوَ مُنْعَفَرٌ فَرْدُ^(٨)

(١) الطوى : الجوع . واستمر مريره : استحكم عليه .

(٢) يقضض عَصْلًا : يصوت بأسنان صلبة معوجة . وأسرتها : أوساطها . والردي : الهلاك . والمقرور : من أصابه القراى البرد .

(٣) سَمَا لِي : ظهر لى وقصدنى . والبيداء : الصحراء . والعيش الرغد : الطيب المتسع .

(٤) أقعى : جلس على مؤخره * ارتجزت : رفعت صوتى أو قلت رجرا .

(٥) أوجرته : طعنته ، والخزقاء : الرماة أو السنان . ثم شبهها بالكوكب المنقض إذ يقول : تحسب ريشها على كوكب .

(٦) أضللت نصلها : أدخلته ، بحيث الخ ... أى فى القلب .

(٧) الرمضاء : الأرض الحامية ، وقد : نار .

(٨) منعفر : ممرغ فى التراب .

لَقَدْ حَكَمْتُ رَيْنَا اللَّيَالِي بِجَوْرِهَا وَحُكْمُ بَنَاتِ الدَّهْرِ لَيْسَ لَهُ قَصْدُ^(١)
 أَفَى الْعَدْلِ أَنْ يَشْقَى الْكَرِيمُ بِجَوْرِهَا وَيَأْخُذَ مِنْهَا صَفْوَهَا الْقَعْدُ الْوَعْدُ^(٢)
 ذَرَيْتِي مِنْ ضَرْبِ الْقِدَاحِ عَلَى السَّرَى فَعَزَمِي لَا يَثْنِيهِ نَحْسٌ وَلَا سَعْدُ^(٣)
 سَأَحْمِلُ نَفْسِي عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ عَلَى مِثْلِ حَدِّ السَّيْفِ أَخْلَصَهُ الْهِنْدُ^(٤)
 لِيَعْلَمَ مِنْ هَابِ السَّرَى خَشْيَةَ الرَّدَى بِأَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ رَدُّ^(٥)
 فَإِنْ عِشْتُ مُحَمَّدًا فَمِثْلِي بَغَى الْغَنَى لِيَكْسِبَ مَا لَا أَوْ يَنْتَ لَهُ حَمْدُ^(٦)
 وَإِنْ مِتُّ لَمْ أَظْفَرُ ، فَلَيْسَ عَلَى أَمْرِي غَدَا طَالِبًا إِلَّا تَقْصِيهِ وَالْجَهْدُ^(٧)

وَقَالَ يَمْدَحُ أَبَا نَهْشَلٍ :

هَاهُوَ الشَّيْبُ لَا نَمَّا فَأَفِيقِي وَاتْرُكِيهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ مُفِيقٍ^(٧)
 فَلَقَدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ الْمَعْنَى وَتَلَاقَى مِنْ أَشْتِيَاقِ الشُّوقِ^(٨)
 عَذَلْتَنِي فِي عِشْقِهَا أُمَّ عَمْرُو هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْعَاذِلِ الْعُشُوقِ

(١) بنات الدهر : نوازله ، والقصد : الاعتدال .

(٢) القعد : الجبان أو اللثيم ، والوعد : الأحق الدنيء .

(٣) ضرب القداح على السرى : استخبار القداح أسير أم أقعد ، وكان للعرب قداح يجيلونها في كيس ثم يخرجون أحدها فان كان مكتوبا عليه صيغة الأمر مضى صاحبه فيما يعتزم ، وان كان النهى قعد ، فالشاعر يقول : لا يعينني هذا لقوة عزمي الذي لا يبالي سعدا ولا نحسا .

(٤) أخلصه الهند : سيف أجادت الهند صنعه وطبعه ، يقول : سأحمل نفسي على الشدائد اذا حزبت الأمور .

(٥) ينت : يذاع ويفشى .

(٦) التقصى : بلوغ الغاية في البحث ، ومعنى البيت أني اذا لم أظفر بما أبغى من الغنى أو الحمد فلا لوم على مادمت قد سعيت الى الخير جهدي .

(٧) لاثما : يلوم العاشق على التماذى في العشق مع شبيهه . والمفيق : الصاحي من سكرة العشق ، والمراد نفسه هو .

(٨) كف : منع وخفف ، وفاعله يعود على الشيب .

- وَرَأَتْ لِمَةً أَلَمَّ بِهَا الشَّيْءُ بُفَرِيْعَتٍ مِنْ ظُلْمَةٍ فِي شُرُوقٍ^(١)
وَلَعَمْرَى لَوْلَا الْأَقَاحِيُّ لَا بُصْرَ تَ الْأَنْيَقَ الرِّيَاضَ غَيْرَ الْأَنْيَقِ^(٢)
وَسَوَادُ الْعَيُونِ لَوْ لَمْ يُحَجَّرْ بِيِيَاضٍ ، مَا كَانَ بِالْمَوْمُوقِ^(٣)
وَمَزَاجُ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ أُمْلَى بِصَبُوحٍ مُسْتَحْسَنٍ وَغَبُوقِ^(٤)
أَيُّ لَيْلٍ يَبْهَى بِغَيْرِ نَجُومٍ أَوْ سَحَابٍ تَنْدَ بِغَيْرِ بُرُوقِ^(٥)
وَقَفَّةً فِي الْعَقِيقِ أَطْرَحُ ثَقَلًا مِنْ دُمُوعِي بَوَقْفَةٍ فِي الْعَقِيقِ^(٦)
مَائِلٌ بَيْنَ أَرْبَعِ مَائِلَاتٍ يَنْزِعُ الشُّوقَ مِنْ فَوَادٍ عُلُوقِ^(٧)
أَزْجَرُ الْعَيْنَ عَنْ بُكَاهُنَّ وَالْعِيدِ سُ إِلَى الْمُبْتَغَى بِكُلِّ طَرِيقِ^(٨)
وَأَسْتَشَفْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُحَمَّدٍ مَا سَحِيقٌ مِنَ الْغِنَى بِسَحِيقِ^(٩)

(١) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن . ريعت : فزعت . ظلمة في شروق : سواد شعر الشباب في بياض المشيب .

(٢) الأقاحي : جمع أقحوان : نبات زهره أبيض ، أي لولا الألقحوان لذهبت بهجة الرياض وكذلك الشيب زينة الرأس .

(٣) يحجر : يحاط . والموموق : المحبوب .

(٤) الصهباء : الخمر . وأملى : أمتع . والصبوح : شراب الغداة وعكسه الغبوق ، فالشيب في الرأس كالماء للخمر .

(٥) كذلك يزدان الليل بالنجوم ، وتطر السحب البارقة ، فالشيب بهاء الشباب ... كل تلك الصور لقصد تحسين المشيب .

(٦) العقيق : اسم لمواضع عدة في بلاد الحجاز ونجد وغيرهما ، وقفه مفعول لفعل محذوف . تقديره أتمنى أوقف .

(٧) مائل : قائم . يعني نفسه . وأربع جمع ربع : الدار . وفواد علوق : شديد التعلق بأحبته .

(٨) العيس : النوق . والمبتغى : المقصود .

(٩) استشفته : نظرت ما وراءه أي قصدته ، ومعنى الشطر الثاني أن الغنى مهما يبعد مكانه فلا يعد بعيدا لحب السعى إليه .

- سَابِقُ النِّفْعِ يَسْتَقِي جُهْدَ نَفْسٍ تُسْتَزَادُ أُسْتَزَادَةُ الْمُسَبُّوقِ^(١)
 قَلْبَتُهُ الْأَيْدَى قَدِيمًا وَلِلْحَدِّ بَقَّةٌ تَنْضَى الْجِيَادُ بِالتَّعْرِيقِ^(٢)
 كُلَّمَا أُجْرَتْ الْخَلَائِقُ أَوْفَى رَادِعًا فِي خَلَائِقِ كَالْخُلُوقِ^(٣)
 صَافِيَاتٍ عَلَى قُلُوبِ الْمُصَافِي ن ، رِقَاقٍ فِي فَهْمِهِنَّ الرَّقِيقِ^(٤)
 لَوْ تَصَفَّحَتْهَا لِأَخْرَجَتْ مِنْهَا أَلْفَ مَعْنَى مِنْ حَاتِمٍ مَسْرُوقِ^(٥)
 لَيْسَ يَخْلُو مِنْ فِكْرَةٍ فِي جَلِيلٍ مِنْ أَفَانِينَ مَجْدِهِ أَوْ دَقِيقِ^(٦)
 يَنْظِمُ الْمَجْدَ مِثْلَ مَا تَنْظِمُ الْعَقْدُ يَدُ الصَّانِعِ الصَّنَاعِ الرَّفِيقِ^(٧)

وقال يرثي المتوكل على الله عاشر خلفاء بني العباس وكان حاضراً مقتله :

- مَحَلٌّ عَلَى الْقَاطُولِ أَخْلَقَ دَائِرُهُ وَعَادَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ جَيْشًا تَغَاوَرُهُ^(٨)
 كَانَ الصَّبَاتُ فِي نَذُورٍ إِذَا أُبْرَتْ تَرَاوَحُهُ أَذْيَالُهُمَا ، وَتَبَاكَرُهُ^(٩)

- (١) سابق النفع : يسبق إلى المحامد ، وإن رويت بالقاف كان المعنى سابقاً إلى الحروب ، ويستقي الخ أى يستخرج من جهد كلما أراد كأنه مسبوق يضاعف جهده ليلحق بغيره أو يسبقه
 (٢) قلبته الأيدي : أحكمته التجارب كالسيف يقلب لمعرفة جودته . والحلبة : ميدان السباق ، تنضى الجياد : تتعب وتمرن . والتعريق : التضمير .
 (٣) أجزت : فوضت . الخلائق : المخلوقات والثانية بمعنى الطبائع . والخلق : ضرب من الطيب فيه زعفران . رادعا : مضمخا .
 (٤) المصافون : المخلصون . وصف لأخلاقه الحميدة .
 (٥) حاتم : هو حاتم الطائي المشهور بالكرم ، يصفه بالكرم المضاعف .
 (٦) الأفانين جمع فنون جمع فن : النوع ، يريد أنه دائماً في عمل مجيد مهما تكن درجته .
 (٧) الصانع : الماهر الخاذق .
 (٨) القاطول : موضع على دجلة حيث قصر جعفر المتوكل المسمى القصر الجعفرى . واخلق : بلى والدائر ، الماحى البالى . وصروف الدهر : نوازله . وتغاوره : تحاربه .
 (٩) الصبا : ريح شرقية . تراوحوه : تتناهى في الرواح (عشياً) . وتباكره : تهب عليه بكرة (صباحاً) .
 أى كان ذلك نذراً عليها لهذا القصر .

وَرُبَّ زَمَانٍ نَاعِمٍ ثُمَّ عَهْدُهُ تَرَقُّ حَوَاشِيهِ ، وَيُورِقُ نَاضِرُهُ (١)
تَغَيَّرَ حُسْنُ الْجَعْفَرِيِّ وَأَنَسُهُ وَقَوْضَ بَادِي الْجَعْفَرِيِّ وَحَاضِرُهُ (٢)
تَحَمَّلَ عَنْهُ سَاكِنُوهُ فُجَاءَةً فَعَادَتْ سَوَاءٌ دُورُهُ وَمَقَابِرُهُ (٣)
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدَّ لَنَا الْأَسَى وَقَدْ كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ يَبْهَجُ زَائِرُهُ (٤)
وَلَمْ أَنْسُ وَحْشَ الْقَصْرِ إِذْ رِيحَ سَرْبِهِ وَإِذْ ذُعِرَتْ أَطْلَاؤُهُ وَجَاذَرُهُ (٥)
وَإِذْ صِيحَ فِيهِ بِالرَّحِيلِ فَهَتَّكَتْ عَلَى عَجَلٍ اسْتَارُهُ وَسَتَارُهُ
وَوَحْشَتَهُ حَتَّى كَانَ لَمْ يَقُمْ بِهِ أُنَيْسٌ ، وَلَمْ تَحْسُنْ لَعَيْنٌ مَنَاظِرُهُ
كَانَ لَمْ تَبَتْ فِيهِ الْخِلَافَةُ طَلْقَةً بِشَاشَتِهَا ، وَالْمَلِكُ يُشْرِقُ زَاهِرُهُ (٦)
وَلَمْ تَجْمَعْ الدُّنْيَا إِلَيْهِ بِهَاءَهَا وَبِهَجَّتَهَا وَالْعَيْشُ غَضٌّ مَكَاسِرُهُ (٧)
فَأَيْنَ الْحِجَابُ الصَّعْبُ حَيْثُ تَمْنَعَتْ بِهِيَّتَهَا أَبْوَابُهُ وَمَقَاصِرُهُ (٨)

(١) زمان ناعم : ناعم أهله . حواشيه : جوانبه . وترق حواشيه : تسعد أوقاته . والشجر الناضر : الحسن ، والمراد أنه عهد جميل .

(٢) الجعفرى : قصر المتوكل . وقوض : تهدم . وبادية : ظاهره . وحاضره : داخله .

(٣) سواء : متساوية في انقمارها وخلوها من الأحياء .

(٤) أجدلنا الأسى : جدد لنا الحزن .

(٥) وحش القصر : نساؤه الشبيهات بالبقر الوحشى فى جمال العيون . ريع : أفزع . والسرب : القطيع . والأطلاء : الأطباء . المفرد طلا وطلو . والجاذر : أولاد البقرة الوحشية . المفرد جؤذر ، يشبه بها أبناء القصر لما فزعوا وشئتوا لمصرع الخليفة .

(٦) طلقة : بهية ضاحكة . والزاهر : الحسن والمشرق من الألوان أى تزوع مظاهره .

(٧) مكاسره جمع مكسر : جذع الشجرة حيث تكسر الأغصان أو هو المخبر . يقال : فلان طيب المكسر أى محمود عند الخبرة .

(٨) المقاصر جمع مقصورة : الحجرة أو الدار الواسعة المحصنة .

وَأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فِي كُلِّ نَوْبَةٍ تَنُوبُ وَنَاهِي الدَّهْرِ فِيهِمْ وَأَمْرُهُ (١)
تَخَفِّي لَهُ مُغْتَالُهُ تَحْتَ غِرَّةٍ وَأُولَى لِمَنْ يَغْتَالُهُ لَوْ يُجَاهِرُهُ (٢)
فَمَا قَاتَلْتُ عَنْهُ الْمَنِيَا جُنُودُهُ وَلَا دَافَعْتُ أَمْلَاكَ وَذَخَائِرُهُ
وَلَا نَصَرَ الْمُعْتَزَّ مَنْ كَانَ يُرْتَجَى لَهُ ، وَعَزِيزُ الْقَوْمِ مَنْ عَزَّ نَاصِرُهُ (٣)
تَعَرَّضَ نَصْلُ السَّيْفِ مِنْ دُونِ فَتْحِهِ وَغُيِبَ عَنْهُ فِي خُرَاسَانَ طَاهِرُهُ (٤)
وَلَوْ عَاشَ مَيِّتٌ أَوْ تَقَرَّبَ نَازِحٌ لِدَارَتْ مِنَ الْمَكْرُوهِ ثُمَّ دَوَائِرُهُ (٥)
وَلَوْ لِعَبِيدِ اللَّهِ عَوْنٌ عَلَيْهِمْ لَصَاقَتْ عَلَى وَرَادٍ أَمْرٍ مَصَادِرُهُ (٦)
حُلُومُ أَضْلَلَتْهَا الْأَمَانِي ، وَمُدَّةٌ تَنَاهَتْ ، وَخَفَتْ أَوْشَكَتُهُ مَقَادِرُهُ (٧)
وَمُغْتَصَبٌ لِلْقَتْلِ لَمْ يُخْشَ رَهْطُهُ وَلَمْ تُحْتَشِمِ أَسْبَابُهُ وَأَوَاصِرُهُ (٨)

(١) عميد الناس : سيدهم ، أى الخليفة . والنوبة : النازلة . وناهى الدهر الخ أى المتصرف النافذ الحكم كأنه يملأ على الدهر ارادته .

(٢) مغتاله : قاتله غيلة ، وكان من الأتراك الذين جلبهم المعتصم والد المتوكل ، والغرة : الفيلة .

(٣) المعتز : العزيز أو من يعد نفسه عزيزا بسواه فيكون معتزا به ، ومعنى عز ناصره : قوى معينه .

(٤) فتحه : الفتح بن خاقان نديم المتوكل الذى قتل معه أيضا . وطاهره : عبيد الله بن طاهر والى خراسان ذلك الحين .

(٥) أى لو عاش هذا النديم أو كان ذلك الغريب حاضرا لحدثت أمور عظيمة وانتقم للمقتول .

(٦) أى لو بعان على قتله لأخذهم فلا يفلتون من عقابه . والوراد : الذين يردون الماء أو الأمر . وضائق مصادره عز الخلاص منه .

(٧) حلوم : عقول ، يشير الى المنتصر بن المتوكل وشيعته من الأتراك الذين تأمروا على قتل الخليفة رغبة من المنتصر فى الخلافة . والحنف : الموت . وأوشكته : قربته .

(٨) الرهط : القبيل والجماعة . وتحتشم : يستحى منها (الأسباب والأواصر) التى هى الصلات بينه وبين قاتله .

- صَرِيحٌ تَقَاضَاهُ السَّيُوفُ حُشَاشَةً (١) يَجُودُ بِهَا ، وَالْمَوْتُ مُجَرِّمٌ أَظْفَرُهُ (١)
- أَدَافِعُ عَنْهُ بِالْيَدَيْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ لِيُثْنِي الْأَعَادِي أَعَزَلَ اللَّيْلَ حَاسِرُهُ (٢)
- وَلَوْ كَانَ سَيْفِي سَاعَةَ الْفَتْكِ فِي يَدِي دَرَى الْفَاتِكُ الْعَجْلَانُ كَيْفَ أَسَاوَرُهُ (٣)
- حَرَامٌ عَلَيَّ الرَّاحُ بَعْدَكَ أَوْ أَرَى دَمًا بَدَمٍ يَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ مَآثِرُهُ (٤)
- وَهَلْ أُرْتَجَى أَنْ يَطْلُبَ الدَّمَ وَاتِرُهُ بَدَ الدَّهْرِ ، وَالْمَوْتُورُ بِالدَّمِ وَاتِرُهُ (٥)
- أَكَانَ وَلِيَّ الْعَهْدِ أَوْ ضَمَرَ غَدْرَهُ فَمِنْ عَجَبٍ أَنْ وَلِيَّ الْعَهْدِ غَادِرُهُ (٦)
- فَلَا مَلِيَّ الْبَاقِي تَرَاثَ الَّذِي مَضَى وَلَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدُّعَاءَ مَنَابِرُهُ (٧)
- وَلَا وَالْأَلِ الْمَشْكُوكُ فِيهِ وَلَا نَجَا مِنْ السَّيْفِ نَاضِيَ السَّيْفِ غَدْرًا وَشَاهِرُهُ (٨)
- لَنَعْمَ الدَّمُ الْمَسْفُوحُ لَيْلَةً جَعْفَرُ هَرَقْتُمْ وَجُنَحُ اللَّيْلِ سُودٌ دَيَا جَرُهُ (٩)

(١) تقاضاه السيوف : تأخذ منه ، يقال : تقاضاه الدين إذا طلبه وقبضه منه . والحشاشة : البقية من الروح .

(٢) أعزل الليل : أعزل في الليل . والأعزل : من لا سلاح معه ، يعنى نفسه . وحاسرة : لادرع معه في هذه الليلة .

(٣) العجلان : المسرع ، وأساوره : أوائبه وأدافعه .

(٤) أو أرى : إلى أن أرى ، ومآثره جاريه ومار الدم على الأرض جرى فترودد عرضا واضطرب في جريانه .

(٥) الواتر : الظالم . والموتور : من قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه أحد . يقول : كيف أرتجى الثأر للخليفة . مع أن صاحب الثأر هو ابنه المنتصر الذي قتله فهو واتر وموتور معا ؟ استفهام للنفي .

(٦) ولي العهد : المنتصر الذي خاف أن يفوز أخوه المعتز بالخلافة دونه .

(٧) ملى التراث : تمتع به طويلا ، يدعو على المنتصر ألا ينعم بميراث أبيه . ثم دعا عليه ألا يخلفه ويدعى له على المنابر .

(٨) وال : نجا . ناضى السيف : استلته من غمده .

(٩) الدياجر : جمع ديجور وهو الظلام .

كَأَنَّكُمْ لَمْ تَعْلَمُوا مَنْ وَلِيُّهُ وَبَاغِيهِ تَحْتَ الْمَرْهَفَاتِ وَثَائِرِهِ (١)
وَأِنِّى لَأَرْجُو أَنْ تَرَدَّ أُمُورُكُمْ إِلَى خَلْفٍ مِنْ شَخْصِهِ لَا يُغَادِرُهُ (٢)
مُقَلَّبُ آرَاءٍ تَخَافُ أَنَّانُهُ إِذَا الْأَخْرَقُ الْعَجَلَانَ خِيفَتْ بَوَادِرُهُ (٣)
وقال يصف إيوان كسرى بالمدائن ويرثى دولة الفرس :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يَدْنِسُ نَفْسِي وَتَرَفَعْتُ عَنْ جَدَا كُلِّ جَبِيسٍ (٤)
وَتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعَزَعَنِى الدَّهْرُ رُبُّ التَّمَاسَا مِنْهُ لَتَعْسَى وَنَكْسَى (٥)
بُلِّغْ مِنْ صُبَابَةِ الْعَيْشِ عِنْدِي طَفَفَتْهَا الْأَيَّامُ تَطْفِيفَ بَخْسٍ (٦)
وَبَعِيدُ مَا بَيْنَ وَارِدِ رَفِهِ عِلَلِ شُرْبِهِ ، وَوَارِدِ خَمْسٍ (٧)
وَكُنَّ الزَّمَانُ أَصْبَحَ مَحْمُومٍ لَا هَوَاهُ مَعَ الْأَخْسِ الْأَخْسِ (٨)

(١) وليه : صاحبه المطالب به . وباغيه : سافكه . والمرهفات : السيوف المرققة . وثائره : باعته .

(٢) أى أرجو : أن يبقى الحكم فى خلفه لا يخرج منه .

(٣) مقلب آراء : ينظر فى وجوه المسائل ويتخير أحكمها . والأناة : التأنى . وتخاف أناته : يرهب تدبيره فى أناته . والأخرق : ضعيف الراى : خيفت بوادره : يخشى من عجلته التى تكون خطرا على الأمور .

(٤) الجدا : العطاء . والجبىس : الجبان اللثيم .

(٥) تماسكت : ثبت واعتصمت . زعزعنى : حركنى بعنف أى حين نللى خطوبه . التماسا منه : طلبا منه ومحاوله . التمس : الهلاك أو الشر . والنكس : أن ينقلب الرجل على رأسه ، أى الهزيمة والسقوط .

(٦) بلغ : جمع بلغة وهى مايكفى من العيش ولا يفضل . والصبابة : البقية . طففتها : نقصتها . والبخس : الغبن والظلم .

(٧) الرفه من العيش : الطيب اللين . والعلل : الشرب تباعا . والخمس بالكسر من ظماء الأبل وهى أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى اليوم الرابع ، يمثل بها الشاعر حال عيشه البئيس القانع .

(٨) يقول : كأن الزمان ينصف الاندال ، ويجور على الأخيار .

- (١) واشترائي العراق خطّة غبنٍ بعدَ بيعي الشامَ بيعةً وكسٍ .
 (٢) لا ترزني مزاوِلاً لا ختباري عندَ هذي البلوى فتنكرَ مسي .
 (٣) وقديماً عهدتني ذاهناتٍ آياتٍ على الدنّياتِ شمسٍ .
 (٤) واتمّد رابني نبوؤ ابن عمي بعدَ لينٍ من جانبيه وأنسٍ .
 (٥) وإذا ما جفيتُ كنتُ حريباً أن أرى غيرَ مُصبحٍ حيثُ أمسي .
 (٦) حضرتُ رجليّ الهمومَ فوجههُ ت إلى أبيض المدائنِ عنسي .
 (٧) أتسليّ عن الخطوطِ وآسي لحلٍّ من آل ساسانَ درّسٍ .
 (٨) ذكرّتهمُ الخطوبُ التّوالي ولقد تذكّرُ الخطوبُ وتنسي .

(١) اشترايتي العراق : اقامتي بها . وبيعي الشام : رحلتى عنها مع أنها موطنى الاصلى .

(٢) رازة : جربه وقدره . فتنكر مسي : تجدني أيبا عنيفا منكرا الجانب .

(٣) الهنات : خصال (شر) . شمس : عنيدة لا تذلل ، وآيات على الدنّيات : لا ترضى بالخسيس الدون فتأنف منه .

(٤) رابني : أوقعني في الريب (الشك) أو أراني مأكره . والنبؤ : النفور والجفوة . وابن عمه ، هو الخليفة المنتصر ، فالبحتري قطحاني والخليفة عدناني كأنهما أخوان لأنهما أبوا شعبي العرب ، وهذا يدل على أن البحتري قال هذه القصيدة بعد مقتل المتوكل واعراض المنتصر عنه لهجائه إياه في رثاء أبيه كما مضى .

(٥) حريبا خليقا . يقول اذا جفيت تنقلت فلا أصبح في مكان حتى أمسي في سواه ، وهذا تمهيد لذكر رحلته إلى المدائن حيث القصر الأبيض (قصر الأكاسرة) .

(٦) حضرت رجلي الهموم : طرأت على الأحزان من هذه الحال السيئة . والعنس : الناقة القوية .

(٧) آسي : أحزن . وآل ساسان : أكاسرة الفرس الذين أزال الفتح الاسلامي دولتهم زمن عمر ابن الخطاب . درس : دارس .

(٨) التّوالي : المتتالية . ولعله يريد الخطوب التي ألت بالدولة العباسية في خلفائها من تحكم العناصر الأجنبية والسيطرة على الخلفاء والتنكيل بهم .

- وَهُمْ خَافِضُونَ فِي ظِلِّ عَالٍ مُشْرِفٍ يُحَسِرُ الْعِیُونَ وَيُخْصِي^(١)
 مُغْلَقٍ بَابُهُ عَلَى جَبَلٍ الْقَبْرِ ق إِلَى دَارَتِي خِلَاطٍ وَمُكْسٍ^(٢)
 حِلَلٌ لَمْ تَكُنْ كَأَطْلَالٍ سَعْدَى فِي قِفَارٍ مِنَ الْبَسَائِسِ مُلْسٍ^(٣)
 وَمَسَاعٍ لَوْلَا الْحَابَابَةُ مِنِّي لَمْ تُطَقِّهَا مَسْعَاةٌ عَنَسٍ وَعَبَسٍ^(٤)
 نَقَلَ الدَّهْرُ عَهْدَهُنَّ عَنِ الْجَدِّ ق حَتَّى غَدَوْنَ أَنْضَاءَ لُبْسٍ^(٥)
 فَكَانَ الْجَرْمَازُ مِنْ عَدَمِ الْأَزْسِ وَإِخْلَالِهِ بَنِيَّةٌ رَمَسٍ^(٦)
 لَوْ تَرَاهُ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّيَالِي جَعَلَتْ فِيهِ مَاتَمًا بَعْدَ عُرْسٍ
 وَهُوَ يُنْبِئُكَ عَنْ عَجَائِبِ قَوْمٍ لَا يُشَابُّ الْبَيَانَ فِيهِمْ بِلِبْسٍ^(٧)
 فَإِذَا مَا رَأَيْتَ صُورَةَ أَنْطَا كِيَّةً ارْتَعَتْ بَيْنَ رُومٍ وَفُرْسٍ^(٨)

(١) هم : آل ساسان ، خافضون : رغيدو العيش في ظل عال : في قصر مرتفع (القصر الأبيض) يحسر العيون : يضعفها اذا نظرت تتبين ارتفاعه . يخسى : يؤلم .

(٢) القبق : جبل هو المسمى الآن (جبال القوقاز) فيه أمم مختلفة ولغات متعددة . ويسمى أيضا جبل القبيج والقبجان . وخلاط ومكس من مدن أرمينية الوسطى . يريد أن هذا القصر لاتساعه وكثرة ما فيه من الجوارى والخدام والأتباع المختلفى اللغات كأنه مغلق على جبال وبلاد اشتهرت بتعداد أممها .

(٣) هنا يذكر فضل الفرس على العرب . الحلل : جمع حلة وهى المكان ينزل فيه الناس ويقيمون . والبسائس : القفار . ملْس : خالية . يقول : آثار هى خير مما فى جزيرة العرب من الاطلال والقفار .

(٤) مساع : مكارم جمع مسعاة ، لم تطقها : لا تقدر عليها وتساميتها . وعنس : قبيلة يمنية . وعبس : قبيلة عنتره العيسى من مضر .

(٥) انضاء جمع نضو : المهزول من الحيوان أو الثوب البالى ، ولبس : استعمال ، أى أبلها الدهر بعد الجدة .

(٦) الجرماز : بناء كان عند أبيض المدائن ثم عفا أثره . وكان عظيما بجوار القصر . والرمس : القبر .

(٧) البيان : المنطق الفصيح . واللبس : عدم الوضوح .

(٨) أنطاكية : بلد بالشام حيث وقعت معركة بين الفرس والروم وقد صورت فى الايوان ، وارتعت : فزعت .

- (١) والنَّايَا مَوَائِلُ وَأَنُو شَرُّ وَأَنْ يُزْجَى الصُّفُوفَ تَحْتَ الدَّرَفْسِ
 (٢) فِي اخْضِرَارٍ مِنَ اللَّبَاسِ عَلَى أَصْ فَرَ يَخْتَالُ فِي صَبِيغَةٍ وَرُسِ
 (٣) وَعِرَاكُ الرَّجَالِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي خُفُوتٍ مِنْهُمْ وَإِغْمَاضٍ جَرَسِ
 (٤) مِنْ مُشِيحٍ يَهْوَى بِحَامِلٍ رُمُحٍ وَمُلِيحٍ مِنَ السَّنَانِ بَتْرُسِ
 (٥) تَصِفُ الْعَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْيَا ۖ لَهُمْ بَيْنَهُمْ إِشَارَةٌ خَرَسِ
 (٦) يَفْتَلِي فِيهِمْ ارْتِيَابِي حَتَّى تَتَقَرَّاهُمْ يَدَايَ بِأَمْسِ

- (٧) كَانَ الْإِيوَانُ مِنْ عَجَبِ الصَّنْ عَةِ جَوْبٌ فِي جَنْبِ أَرَعْنَ جَلَسِ
 (٨) يُتَظَنَّى مِنَ الْكَاتِبَةِ أَنْ يَبْدُو لِعَيْنَيَّ مُصْبِحٌ أَوْ مُمَسَّى
 مُزْعَجًا بِالْفِرَاقِ عَنْ أَنْسِ الْفِ عَزَّ ، أَوْ مُرْهَقًا بِتَطْلِقِ عَرَسِ

(١) موائيل : قائمات تنتظر العمل وقت الحرب . وأنو شروان : أحد الأكاسرة . يزجى يسوقه والدرفس : العلم الكبير .

(٢) الورس : نبات ذو صبغة حمراء .

(٣) خفوت : سكون صوت . والجرس : الصوت .

(٤) المشيح : الحذر . والمليح : الذى يخاف ويحذر أيضا . والترس المجن .

(٥) تصف العين : يخيّل اليها .

(٦) يفتلى الخ : يزيد ارتيابى : شكى فى حياتهم ، تتقراهم : تتبعهم : أى حتى ألسهم فى الصورة بيدى لأتبين : أهم أحياء حقا كما يخيّل الى .

(٧) الجوب : الخرق . والأرعن : الجبل ذو الرعن وهو أنف يتقدم الجبل . المجلس : الجبل العالى ، فكان الايوان بالنسبة الى القصر الأبيض العظيم الذى يشمل الايوان وغيره من الغرف والمقاصير — خرق فى جانب جبل ارعن وجعل الجبل ارعن لما فيه من الأجنحة والطنف والأبيات الآتية توضح هذا التشبيه .

(٨) يتظنى : يظن . ومفعوله الثانى مصدر أن يبدو ، ومزعجا حال من فاعل يبدو ، أى أن كاتبه تجعله يبدو للعين كأنه مزعج بفراقه أليفا أو عروسا .

- عَكَسَتْ حَظَّهُ الْيَالِي وَبَابَ الْمَشْرِى تَرَى فِيهِ وَهُوَ كَوَكَبُ نَحْسٍ (١)
 فَهُوَ يُبْدِي تَجَلُّدًا وَعَلَيْهِ كَلْكَلٌ مِنْ كَلَا كَلِ الدَّهْرِ مَرْسِي (٢)
 لَمْ يَبْهَهُ أَنْ بَزَّ مِنْ بُسْطِ الدِّيدِ سَبَاحٍ وَاسْتُلَّ مِنْ سَتُورِ الدِّمَقْسِ (٣)
 مَشْمَخِرٌ تَعْلُو لَهُ شُرْفَابٌ رُفِعَتْ فِي رُءُوسِ رَضْوَى وَقَدْسِ (٤)
 لَا بِسَابٍ مِنَ الْبَيَاضِ فَمَا تَبَّ صِرٌّ مِنْهَا إِلَّا غَلَائِلَ بَرَسِ (٥)
 لَيْسَ يَدْرَى أَصْنَعُ إِنْسٍ لَجِينٌ سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ جَنٍّ لِإِنْسٍ
 غَيْرَ أَنِّي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ يَكُ بَانِيهِ فِي الْمُلُوكِ بِنَكْسِ (٦)

- عُمِرَتْ لِلشُّرُورِ دَهْرًا فَصَارَتْ لِلتَّعَزَّى رَبَاعُهُمْ وَالتَّأْسَى
 فَلَهَا أَنْ أُعِينَهَا بِدُمُوعٍ مُوقَفَاتٍ عَلَى الصَّبَابَةِ حُبْسِ
 ذَاكَ عِنْدِي وَلَيْسَتْ الدَّارُ دَارِي بِاقْتِرَابٍ مِنْهَا ، وَلَا الْجَنَسُ جِنْسِي
 غَيْرَ نَعْمَى لِأَهْلِيهَا عِنْدَ أَهْلِي غَرَسُوا مِنْ زَكَايَهَا خَيْرَ غَرَسِ (٧)
 أَيْدُوا مُلْكَنَا ، وَشَدُّوا قَوَاهُ بِحُمَاةٍ تَحْتَ السَّنُورِ مَحْسِ (٨)

- (١) المشتري : كوكب سعد ، ولكنه تحول نحسا في هذا القصر بتأثير القصر فيه .
 (٢) التجلد : تكلف الجلد والصبر . والكلكل : الصدر : أى نازلة .
 (٣) بز : سلب . واستل : أخرج وانتزع . والديباج : الثوب سداه ولحمته حرير . والدمقس :
 الحرير الأبيض .
 (٤) مشمخر : عال . شرفات القصر : ما أشرف من بنائه . وروضى : جبل . وقدس : جبل
 عظيم بنجد ، يشبه القصر في ضخامته وارتفاعه بهذين الجبلين .
 (٥) الغلائل جمع غلالة : وهى شعار يلبس تحت الثوب . والبرس : القطن أو ما يشبهه .
 (٦) النكس : الضعيف الدنىء .
 (٧) زكاتها : نماؤها .
 (٨) السنور : كل سلاح من حديد . وحس : شجعان . يشير الى بلاد فارس .

وَأَعَانُوا عَلَى كِتَابِ أَرِيَا طَ بَطْعَنٍ عَلَى النَّحُورِ وَدَعَسَ (١)

وَأَرَانِي مِنْ بَعْدُ أَكَلْتُ بِالْأَشْ رَافٍ طُرَّامِنْ كُلِّ سِنَخٍ وَجَنَسٍ (٢)

(١٥) ابن المعتز (٣)

قال يصفُ الروض :

وَعَلَى الْأَرْضِ أَصْفَرَارٌ وَأَخْضَرَارٌ وَأَهْمَرَارٌ

فَكَانَ الرَّوْضَ وَشَى بِالغَتِّ فِيهِ التَّجَارُ (٤)

نَقْشُهُ آسٌ وَنَسْرِيٌّ بِنٌ وَوَرْدٌ وَبَهَارٌ (٥)

وقال في سرٍّ من رأى بعدَ تَهْدُمِهَا :

قَدْ أَقْفَرْتُ سُرٍّ مِنْ رَأَى فَمَا لَشَى دَوَامٌ (٦)

فَالنَّقْضُ يُحْمَلُ مِنْهَا كَأَنَّهَا الْأَجَامُ (٧)

(١) أرياط . قائد حبشي فتح اليمن قديماً ، ثم خلفه القائد أبرهة صاحب الفيل وأبناؤه ، ثم طرد سيف بن زى يزن الاحباش بمعرفة الفرس . والدعس . الذود والطعن .

(٢) أكلف بالاشراف . أولع بهم . والسنخ . الأصل والمنبت .

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسي ولد سنة ٢٤٩ هـ . وقد نشأ وتربى تربية الخلفاء وأخذ العلم والأدب عن علماء عصره وأولع بالشعر ونبغ فيه ، ولما خلع المقتدر لعسف الأتراك من شيعته بويغ عبد الله هذا بالخلافة . ولكن جند المقتدر الأتراك حملوا على دار ابن المعتز وقتلوا أصحابه حتى هزموهم وقبضوا على هذا الخليفة الجديد وقتلوه أول ليلة من حكمه سنة ٢٩٦ هـ . وقد برع في الشعر ولا سيما الأوصاف . ويمتاز شعره بطابع الترف ورقة الأسلوب مع تكلف للبديع فهو ثالث أبي تمام ومسلم بن الوليد في ذلك .

(٤) الوشى : الثوب المحسن بالألوان . التجار : جمع تاجر .

(٥) أسماء أزهار مختلفة الألوان .

(٦) سر من رأى : مدينة قديمة كانت تسمى سامرا جددتها المعتصم وأقام بها . أقفرت : تخربت وخلت من مظاهر الحياة .

(٧) النقض : البناء المهدم . الأجام جمع أجمة : الشجر الكثير الملتف . يريد أن الناس يحملون أنقضها كما يحتطبون فروع الشجر من الغابات .

مَاتَتْ كَمَا مَاتَ فِيلٌ تُسَلُّ مِنْهُ الْعِظَامُ^(١)

وقال يصف هلال شوال :

أَهْلًا بِفَطْرٍ قَدْ أَنْفَ هِلَالُهُ فَلَا نَ فَاغْدُ عَلَى الْمَدَامِ وَبَكْرٍ^(٢)
وَانْظُرْ إِلَيْهِ كَزَوْرَقٍ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمُولَةٌ مِنْ عَنَبٍ^(٣)

وقال يصف سحابة :

وَسَارِيَةٍ لَا تَمَلُّ الْبُكَاءَ جَرَى دَمْعُهَا فِي خُدُودِ الثَّرَى^(٤)
سَرَتْ تَقْدَحُ الصُّبْحَ فِي لَيْلِهَا بِبَرْقٍ كَهِنْدِيَّةٍ تُنْتَضَى^(٥)
فَلَمَّا دَنَتْ جَلَجَلَتْ فِي السَّمَاءِ رَعْدًا أَجَشَّ كَجَرَسِ الرَّحَا^(٦)
ضَمَانٌ عَلَيْهَا ارْتِدَاعُ الْيَفَاعِ بِأَنْوَارِهَا وَاعْتِجَارُ الرَّبَا^(٧)
فَمَا زَالَ مَدْمَعُهَا بَاكِيًا عَلَى التُّرْبِ حَتَّى اكْتَسَى مَا اكْتَسَى^(٨)
فَأُضْحَتْ سَوَاءً وَجْهُهُ الْبِلَادِ وَجُنَّ النَّبَاتُ بِهَا وَالتَّقَى^(٩)

(١) أى أن أنقاض المدينة تستخرج كما تستخرج عظام الفيل للانتفاع بها .

(٢) أناف : أطل وأشرف . غدا بكر . المدام : الخمر . يدعو إلى الشراب بعد الحرمان منه طول رمضان .

(٣) الزورق : السفينة الصغيرة . يشبه الهلال وسط الظلمة بزورق فضي حولته العنبر تشبيه تمثيل .

(٤) السارية : السحابة تسرى ليلا . ويريد بالبكاء الأمطار . الثرى : الأرض .

(٥) تقدح : تبرق . والأصل قدح بالزند : حاول اخراج النار منه . هندية : سيوف منسوبة إلى الهند ، لأنها كانت تجيد طبعها . تنتضى : تستل . يقول ان برقها يلمع في الليل كأنه صباح ، والبرق يشبه السيوف المصلطة شكلا وبريقا .

(٦) جلجلت : رعدت . أجش : غليظا . الجرس : الصوت .

(٧) اليفاع : ما ارتفع من الأرض . الاعتجار : لف العمامة . الربا جمع ربوة : الأرض المرتفعة . الأنوار جمع نور بفتح النون . الزهر . كأن السحابة تكفلت باكتساء الأرض بالأزهار .

(٨) اكتسى ما اكتسى : أى اكتسى رداء جميلا .

(٩) وجوه البلاد : جوانبها ونواحيها . جن النبات : زكا وطال .

وقال يصف سيفه :

وَلِي صَارِمٌ فِيهِ الْمَنِيَا كَوَامِنٌ^(١) مَا يُنْتَضَى إِلَّا لِسْفِكِ دِمَاءِ^(٢)
تَرَى فَوْقَ مَتْنِيهِ الْفِرْنَدَ كَأَنَّهُ^(٣) بَقِيَّةُ غَيْمٍ رَقَّ دُونَ سَمَاءِ^(٤)

وقال يصف غديرا :

غَدِيرٌ تَرْجُرُجُ أَمْوَاجُهُ هُبُوبُ الرِّيحِ وَمَرُّ الصَّبَا^(٥)
إِذَا الشَّمْسُ مِنْ فَوْقِهِ أَشْرَقَتْ^(٦) تَوَهَّمَتْهُ جَوْشَنًا مَذْهَبًا^(٧)
وقال يحذر الطالبين من طلب الخلافة ويتوعدهم .

أَبَى اللَّهُ إِلَّا مَا تَرَوْنَ هَذَا لَكُمْ^(٨) عِتَابٌ عَلَى الْأَقْدَارِ يَا آلَ طَالِبٍ^(٩)
تَرْكَنَّاكُمْ حِينًا فَهَلَّا أَخَذْتُمْ^(١٠) تَرَاثَ النَّبِيِّ بِالْقَنَّا وَالْقَوَاضِبِ^(١١)
زَمَانَ بَنُو حَرْبٍ وَمُرَوَّانَ مُمْسِكُو^(١٢) أَعْنَةَ مُلْكٍ جَائِرِ الْحُكْمِ غَاصِبِ^(١٣)
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ قَدْ كَسَوْكُمْ عَمَائِمًا^(١٤) مِنَ الضَّرْبِ فِي الْهَامَاتِ مُحَرِّ الذَّوَائِبِ^(١٥)
فَلَمَّا أَرَاقُوا بِالسُّيُوفِ دِمَاءَكُمْ^(١٦) أَبَيْنَا وَلَمْ نَمْلِكْ حَنِينَ الْأَقَارِبِ^(١٧)
فَإِنْ أَخَذْنَا ثَارَكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ^(١٨) قَعَدْتُمْ لَنَا تَوَرُّونَ نَارِ الْحُبَابِ^(١٩)

(١) الصارم : السيف القاطع . المنيا جمع منية : الموت . كوامن : ساكنة .

(٢) فرند السيف : وشيه وجوهره . دون : أسفل . فالفرند للسيف : كالغيم للسماء .

(٣) الصبا : ريح شرقية .

(٤) الجوشن : الدرع . مذهب : مموه بالذهب . فأشعة الشمس فوق صفحة الماء كماء الذهب فوق الدرع .

(٥) يريد أن الله أبى عليكم أن يوليكم أمر المسلمين ويجعل الخلافة فيكم .

(٦) التراث : الميراث . والقنا : الرماح . والقواضب : السيوف .

(٧) زمان : مضاف إلى الجملة الاسمية بعده . ويريد بنى حرب ومروان دولة بنى أمية .

(٨) الهامات : الرعوس . والذوائب : ضفائر الشعر . يقول : ان بنى أمية كانوا يضربون رءوسكم بالسيوف فتحمر من دمائكم .

(٩) الحباب : ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة ونحوها ، وأورى نار الحباب كناية عن الفتن التي لا تغيد شيئا .

وحزننا التي أعيتكم قد علمتم
عظيمة ملك قد حبانا بفصله
وليس يريد الناس أن تملكوهم
وإياكم وإياكم وحذار من
إلا إنها الحرب التي قد علمتم
فما ذنبنا؟ هل قاتل مثل سالب؟
وقدره رب جزيل المواهب
فلا تثبوا فيهم وثوب الجنادب^(١)
ضراغمة في الغاب حمر الخالب^(٢)
وجرتهم والعلم عند التجارب

وقال في الطرد: (٣)

لما تعرى الأفق بالضياء
وشمطت ذوائب الظلماء
قدنا لعين الوحش والظباء
شائلة كالعقرب السمراء
كمدة من قليم سوداء
تحملها أجنحة الهواء
مثل ابتسام الشفة اللمياء^(٤)
وهم نجم الليل بالإغفاء^(٥)
داهية مخدورة اللقاء^(٦)
مرهفة مطلقاة الأحشاء^(٧)
أوهدة من طرف الرداء^(٨)
تستلب الخطو بلا إبطاء

(١) الجنادب : جمع جندب : حيوان كالجراد كثير القفز .

(٢) الضراغمة : الأسود . والغاب مأوى الأسد . والمخالب : الأظفار . ويريد بالضراغمة العباسيين وجنودهم .

(٣) الطرد بفتحين : مزاولة الصيد وهو باب من أبواب الأدب أكثر القول فيه كثير من الشعراء كأبي نواس وابن الرومي وابن المعتز .

(٤) تعرى : تكشف . يريد لما استهل الصباح ، والشفة اللمياء المشربة سمر في حسن .

(٥) شمطت : اختلط سوادها ببياضها .

(٦) العين : جمع أعين وهو ثور بقر الوحش ، ويريد بالداهية كلبة الصيد يقول : لما أصبح الصباح خرجنا للصيد ومعنا كلبة تخشى الحيوانات لقاءها .

(٧) شائلة : مرتفعة الذنب . مرهفة : مدببة .

(٨) المدة : الخط الممتد والهدبة الطرف .

- وَمُخْطَفًا مُوْتَقَّ الْأَعْضَاءِ خَالَفَهَا بِجِلْدَةٍ بَيْضَاءِ^(١)
 كَأَثَرِ الشَّهَابِ فِي السَّمَاءِ وَيَعْرِفُ الزَّجَرَ مِنَ الدُّعَاءِ
 بِأُذُنٍ سَاقِطَةٍ الْأَرْجَاءِ كَوَرْدَةٍ السَّوْسَنَةِ الشَّهْلَاءِ^(٢)
 ذَا بُرْثَنِ كَثِيبِ الْحِذَاءِ وَمُقْلَةٍ قَلِيلَةٍ الْأَقْدَاءِ^(٣)
 صَافِيَةٍ كَقَطْرَةٍ مِنْ مَاءٍ يَنْسَابُ بَيْنَ أَكْمِ الصَّخْرَاءِ
 مِثْلَ أَنْسِيَابِ حَيَّةٍ رَقْطَاءِ آنَسَ بَيْنَ السَّفْحِ وَالْفَضَاءِ^(٤)
 سِرْبَ ظِبَاءٍ رُتَّعِ الْأَطْلَاءِ فِي عَازِبٍ مُنَوَّرٍ خَلَاءِ^(٥)
 أَحْوَى كَبْطُنِ الْحَيَّةِ الْخَضْرَاءِ فِيهِ كَنْقَشُ الْحَيَّةِ الرَّقْشَاءِ^(٦)
 كَأَنَّهُ ضَفَائِرُ الشَّمْطَاءِ يَصْطَادُ قَبْلَ الْأَيْنِ وَالْعَنَاءِ^(٧)

* تَحْسِينُ لَا تَنْقُصُ فِي الْإِحْصَاءِ *

(١) المخطف : الضامر ، وهو عطف على داهية السابقة : يريد أنه خرج الى الصيد بكلبة وصفها وكلب شرع يصفه فقال : انه موثق الأعضاء أى شديدها محكمها ، وأنه يخالف الكلبة بما فيه من بقعة بيضاء كآثر الشهاب في السماء .

(٢) الأرجاء : الانحاء . والسوسن : الزنبق .

(٣) البرثن : الناب . والحذاء : الاسكاف .

(٤) السفح : عرض الجبل . وأنس : أبصر . والفاعل : ضمير يعود على المخطف . وسرب ظباء في البيت بعده مفعوله : أى أن هذا الكلب أبصر سرب غزلان . ترتع أطلاؤها : أى أولادها في عازب : أى مرعى خصيب مزهر .

(٦) الأحوى : شديد الخضرة في سواد وهو وصف للعاذب قبله .

(٧) الأين : التعب . يقول : ان هذا الكلب يصيد مالا يقل عن خمسين قبل أن يدركه التعب .

الأندلس

(١) النثر

النثر الفني

١ - نبذة من الرسالة الجديدة لابن زيدون^(١)

وهي التي كتبها لأبي الحزم بن جهور أمير قرطبة

وهو في سجنه يستعطفه

« يا مولاي وسيدي الذي ودادي له ، واعتمادي عليه ، واعتدادي به وامتدادي منه ، ومن أبقاه الله تعالى ماضي حدد العزم ، واري زند الأمل ، ثابت عهد النعمة . إن سلبتني — أعزك الله — لباس إنعامك ، وعطلتني من حلى إيناسك ، وأظمأتني إلى برود^(٢) إسعافك ، ونفضت بي كف حياطتك ؟ وغضضت عني طرف حمايتك ، بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، وسمع الأصم ثنائى عليك ، وأحسن الجهاد باستجمادي لك ، فلا غرو قد يغص^(٣) بالماء شارب ، ويقتل الدواء المستشفى به ، ويؤت الحذر من مأمنه ، وتكون منية التمني في أمنيته والحين^(٤) قد يسبق جهد الحريص :

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

(١) هو ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون القرطبي وزير آل جهور بقرطبة

ثم آل عباد بأشبيلية وصاحب الرسالتين الجديدة والهزلية توفي سنة ٤٦٣ هـ .

(٢) البرود : الماء البارد ، أى اسعافك الذى هو كالماء البارد فى اروائه للقليل .

(٣) يغص : يشرق .

(٤) الحين : الهلاك .

وإني لأتجلدُ ، وأرى الشامتين أني لربِّ الدهر لا أتضعع ؛ فأقول : هل
أنا إلا يدٌ أدمأها سوارُها ، وجبينٌ عَضَّ به إكليله ، ومَشْرِفٌ^(١) الصَّقه بالأرض
صَاقِلُهُ ، وَسمَهري^(٢) عَرَضَهُ على النار مُثَقِّفُهُ ، وَعَبْدٌ ذَهَبَ به سيِّدهُ مذهبُ
الذي يقول :

فَقَسَا لِرَدِّ جُرُوا ؛ وَمَنْ يَكْ حَازِمًا فليَقْسُ أحيانًا على مَنْ يَرَحِمُ

هذا العتب محمودٌ عواقبه ، وهذه النبوة^(٣) غَمْرَةٌ ثم تنجلي ، وهذه النكبة
سَحَابَةٌ صَيَفٌ عن قليل تَقَشَّعُ^(٤) وَلَنْ يَرِيَنِي مِنْ سَيِّدِي أَنْ أَبْطَأَ سَيِّمُهُ^(٥) ، أو تأخر
غيرَ ضنين غناؤه ، فأبطأ الدلاءُ فيضاً أملؤها ، وأثقل السَّحائبُ مشياً أحفلها ،
وأفنع الحيا ما صَدَفَ جدباً ، وألذُّ الشَّرَابِ ما أَصَابَ غليلاً . ومع اليوم غدٌ
ولكلٍّ أَجَلٌ كتاب . له الحمد على اهْتِبَالِهِ^(٦) ، ولا عَتَبَ عليه في إغفاله .

فإن يكن الفعل الذي ساءَ واحداً فأفعاله اللأى سَرَرْنَ أَلُوفَ

(١) المَشْرِفُ : السيف يتسبب الى مشارف الشام .

(٢) السمهري : الرمح ينسب الى سمهر وهو صانع للرماح وزوجه ردينة كانت تعمل معه السلاح

واليهما تنسب الرماح .

(٣) النبوة : الجفوة .

(٤) تقشع : تتكشف وتزول .

(٥) السيب : العطاء .

(٦) الاهتبال : الاغتنام ، أى اغتنام معروفة .

وأعودُ فأقول : ما هذا الذنبُ الذي لم يَسْعَهُ عَفْوُكَ ، والجهلُ الذي لم يَأْتِ
من ورائهِ حِلْمُكَ ؟ والتطاوُل الذي لم يستغفرهُ تَطَوُّلُكَ^(١) ، والتحامِل الذي لم
يَف به احتمالُكَ ؟ ولا أخْلُو من أن أكونَ بَرِيئًا ، فأين العدلُ ؟ أو مسيئًا ،
فأين الفضلُ ؟

إِلَّا يَكُنْ ذَنْبٌ فَعَدْلُكَ وَاسِعٌ أَوْ كَانَ لِي ذَنْبٌ فَفَضْلُكَ أَوْسَعُ

ومنها :

وهل لبسَ الصَّبَاحُ إِلَّا بَرْدًا طَرَزَتْهُ بِفَضَائِلِكَ^(٢) ؟ وَتَقَلَّدَتْ الْجُوزَاءُ إِلَّا
عَقْدًا فَصَّلَتْهُ بِمَا ثَرِكَ ؟ وَاسْتَمَلَى الرَّبِيعُ إِلَّا ثَنَاءً مَلَأَتْهُ بِمَحَاسِنِكَ ؟ وَبَثَّ الْمَسْكُ
إِلَّا حَدِيثًا أَذَعَتْهُ فِي مَحَامِدِكَ ؟ مَا يَوْمٌ حَلِيمَةٌ^(٣) بِسِرِّ ! وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَكُوكُ
سَلِيبيًا ، وَلَا خَلِيَّتِكَ عَطَلًا ، وَسَمْتِكَ غَفَلًا ، بَلْ وَجَدْتَ آجِرًا وَجِصًا فَبَنَيْتَ ، وَمَكَانَ
الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَقُلْتَ .

(٢) الفتح بن خاقان

قال في كتابه قلائد العقيان في ترجمة أبي الفضل بن حسداى^(٤) :
ولما أعرسَ المستعينُ بالله بنتَ الوزير الأجل أبي بكر بن عبد العزيز احتفل
أبوه المؤمن بالله في ذلك احتفالاً شهَرَهُ ، وأبدع فيه إبداعاً راقٍ من حضره وبهره ،

(١) التطول : التكرم .

(٢) يبالغ في أن بياض الصبح مستعار من مشهور ثنائه عليه وكذلك العبارات الآتية .

(٣) هذا مثل يضرب للأمر المتعالم المشهور . وحليمة هذه : هي بنت الحارس بن أبي شمر
الغسانى وجه أبوها جيشا الى المنذر بن ماء السماء فضمختهم بالطيب جميعا فقل : ما يوم . الخ

(٤) ابن حسداى : كان وزيرا للمؤمن والمستعين من ملوك الطوائف . وكان يهوديا وأسلم وله
كتابة بليغة موجزة تظهر عليها مسحة الفلسفة .

فإنه أحضر فيه من الآلات المبتدعة ، والأدوات المخترعة ، ما بهر الألبات ، وقطع
دُونَ معرفتها الأسباب ، واستدعى إليه جميع أعيان الأندلس من دَانٍ وقاص ،
ومُطيع وعاص ، فأتوه مسرعين ، ولبؤه متبرعين ، وكان مدير تلك الإراغة^(١)
ومُدبِّرَها ، ومنشئ مخاطباتها ومُحَبِّرها الوزير الكاتب أبو الفضل ، وصدرت
عنه في ذلك الوقت كتبٌ ظهرَ إعجازُها ، وبهرَ اقتضابُها وإيجازُها . فمن ذلك :
ماخطب به صاحب المظالم أبا عبد الرحمن بن طاهر :

« مَحَلُّكَ أَعَزَّكَ اللهُ فِي طَيِّ الْجَوَانِحِ ثَابِتٌ وَإِنْ نَزَحَتْ الدَّارُ ، وَعِيَانُكَ
فِي أَحْنَاءِ الضُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ شَحَطَ الْمَزَارُ ، فَالْنَفْسُ فَازَةٌ مِنْكَ بِتَمْثِيلِ الْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ
الْحِظِّ ، وَالْعَيْنُ نَازِعَةٌ إِلَى أَنْ تَتَمَتَّعَ مِنْ لِقَائِكَ بِظَفْرِ اللَّحْظِ ، فَلَا عَائِدَةَ أَسْبَغُ
بُرْدًا ، وَلَا مَوْهَبَةَ أَسْوَعُ وَرْدًا ، مِنْ تَفْضُلِكَ بِاللُّحُوقِ إِلَى مَأْنَسٍ يَتِمُّ بِمُشَاهَدَتِكَ
التَّمَامُ ، وَيَتَّصِلُ بِمُحَاضَرَتِكَ انْتِظَامُهُ . وَلَكَ فَضْلُ الْإِجْمَالِ ، بِالْإِمْتِنَاعِ عَنْ ذَلِكَ
بِأَعْظَمِ الْأَمَالِ . وَأَنَا (أَعَزَّكَ اللهُ) عَلَى شَرَفِ سُودِكَ حَاكِمٌ ، وَعَلَى مَشْرِعِ سِنَائِكَ
حَائِمٌ . وَحَسْبِي مَا تَحَقَّقَهُ مِنْ نِزَاعِي وَتَشَوُّقِي ، وَتَتَيَقَّنُهُ مِنْ تَطْلَعِي وَتَتَوَقَّى .
وَقَدْ تَمَكَّنَ الْأُرْتِيَاخُ بِاسْتِحْكَامِ الثِّقَةِ ، وَأُعْتَرَضَ الْاِقْتِرَاحُ ، بَارْتِقَابِ الصَّلَةِ .
وَأَنْتَ وَصَلَ اللهُ سَعْدَكَ بِسِمَاةِ شَيْمِكَ ، وَبَارِعَ كَرَمِكَ ، تَنْشِئُ لِلْمَوَاسِمَةِ عَهْدًا ،
وَتُورِي بِالْمُكَارَمَةِ زَنْدًا ، وَتَقْتَضِي بِالْمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلًا وَحَمْدًا . لَا زِلْتُ مُهَنَّا
بِالسُّعُودِ الْمُقْتَبِلَةِ ، مُسَوِّغًا اجْتِلَاءَ غَرْرِ الْأَمَانِيِّ الْمَهْلَةِ بِمَنِّهِ .

(٣) الوزير الكاتب أبو عمرو الباجي^(١)

كتب رحمه الله تعالى يصف مطرا نزل بعد قحط قال :

إن لله تعالى قضايا واقعةً بالعدل ، وعطايا جامعةً للفضل ، ومنحاً يبسطها
إذا شاء ترفيها وإنعاما ، ويقبضها إذا أراد تنبيها وإلهاما ، ويجعلها صلاحاً وخيراً ،
وعلى آخرين فساداً وضيئراً : (وهو الذي يُنزلُ الغيثَ من بعد ما قنطوا وينشرُ
رحمته وهو الوليُّ الحميد) . وإنه بعد ما كان من امتسالك الحيا^(٢) ، وتوقف السقيا
الذي ريع^(٣) به الآمن ، واستطير له الساكن ، ورجفت الألباد فزعاً ، وزهلت
الألبابُ جزعاً وأذكت ذكاء^(٤) حرّها ، ومنعت السماء درّها ، واكتست الأرض
غبرةً بعد خضرة ، ولبست شحوبا بعد نضرة ، وكادت برود^(٥) الأرض تطوى ،
ومدود^(٦) نعم الله تزوى^(٧) — نشر الله تعالى رحمته ، وبسط نعمته ، وأتاح^(٨)
منته ، وأزاح محنته ، فبعث الرياح لواقح ، وأرسل الغمام سوافح ، بماء دَفَقَ ،
ورَواء غَدَقَ^(٩) من سماء طبق^(١٠) ، استهل جفنها فدمع ، وسح دمعها فهمع ،

(١) هو أحد كتاب الأندلس البالغاء ، خدم بالكتابة في عدة دول من ملوك الطوائف وأخصهم
المقتدر ابن هود صاحب سرقسطة .

(٢) الحيا : المطر .

(٣) ريع : خوف .

(٤) ذكاء : اسم للشمس .

(٥) البرود : الشيا ، يريد بها ما يكسو الأرض من الخضرة .

(٦) المدود : جمع مدد بمعنى المعونة .

(٧) تزوى : تمنع وتطوى .

(٨) أتاح : هيا وقدر .

(٩) الرواء : المطر الذي يروى . وغدق : كثير شامل .

(١٠) السماء هنا : المطر . والطبق : المطر العام .

وصابَ وبلها فنقَعَ ، فاستوفت الأرض رِيًّا ، واستكملت من نباتها أثاثا ورثيا^(١) ،
فزينة الأرض مشهورة ، وحلة الروض منشورة ، ومنة الرب موفورة ، والقلوب
ناعمة بعد بوسها ، والوجوه ضاحكة بعد عبوسها ، وآثارُ الجزع ممحوّة ،
وسُورُ الحمد متلوّة ، ونحن نستزیدُ الواهبَ نعمة التوفيق ، ونستهديه في قضاء
الحقوق إلى سواء الطريق ، ونستعیدُ به من المنة أن تصیرَ فتنة ، ومن المنحة أن
تعودَ محنة . وهو حسبنا ونعم الوكيل !

(٤) ابن خفاجة^(٢)

فصل من رسالة في وصف رياض غب مطر :

ولما أكبَّ الغمام إكبابا ، لم أجِدْ منه إغبابا^(٣) ، وأتصل المطرُ اتصالا ،
لم ألفِ منه انفصالا ، أذن الله تعالى للصَّحو أن يُطْلِعَ صَفْحَتَهُ ، وينشرَ حَقِيفَتَهُ ،
فقسعتِ الرياحُ السحابَ ، كما طوى السَّجِلُ الكتابَ ، وطافت السماءُ تخلعُ
جلبابها ، والشمسُ تُمِيطُ نِقَابَهَا ، وطلعتِ الدنيا تبتهجُ كأنها عروسٌ تَجَلَّتْ ،
وقد تَحَلَّتْ ، فذهبتُ في لُحَّةٍ مِنَ الإخوان نستَبِقُ إلى الراحة ركضا ، ونطوى
للتفرُّج أرضا ؛ فلا أندفعُ إلا إلى غديرِ نَميرٍ ، قد أسدّرتْ منه في كلِّ قرارة ماء ،
سحابةٌ غمَّاء^(٤) ، وأنساب ، في تلعتِهِ حَبَاب . فتردّدنا بتلك الأباطح نَهَادِي
تِهَادِي أغصانها ، ونتضاحكُ تضاحكُ أقحوانها ، وللنسيم ، أثناء ذلك

(١) الرئي : الثوب ، جمال المنظر .

(٢) هو أبو اسحق ابراهيم بن عبد الله بن خفاجة شاعر شرقي الأندلس وأشهر وصافي الطبيعة
بالأندلس ، وكان قليل التكسب بشعره ، توفي سنة ٥٣٣ هـ .

(٣) الاغياب : أن يجيء المرء القوم يوما ويفيب يوما . والمعنى أن الغمام لم يغب يوما بل
بقي هاطلا .

(٤) الغمَّاء : السحابة لافرجة فيها أى اشبهت الأرض السماء فقرارات الغدران أشبهت سحب
السماء الملتئمة .

المنظر الواسع ترسل^(١) مشى ، على بساط وشى ؛ فإذا مرَّ بغير نسجه درعا ،
وأحكمه صنعا^(٢) ، وإن عثرَ بجدول شطب^(٣) منه نصلا ، وأخلصه صقلا ؛
فلا ترى إلا بطاحا ، مملوءة سِلَاحا ؛ كأنما أنهزمت هنالك كتائبُ ، فألقت بما لبسته
من درع مصقول وسيف مسلول .

(٥) وهذا فصل للأديب أبي عامر بن عقال^(٤)

كتب به عن الأمير إبراهيم يصف اجتياز أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة
وخمسمائة ، وفي الساعة الثانية من يوم الجمعة كان جوازه (أيده الله تعالى) من مرسى
جزيرة طريف على بحرٍ ساكنٍ قد ذلَّ بعد استصعابه ، وسهل بعد أن رأى الشامخ
من هضابه ، وصار حيه ميّتا ، وهدره صمّتا ، وجباله لا ترى فيها عوجا ولا أمّتا ،
وضعف تعاطيه ، وعقد السلم بين موجه وشاطئه ، فعبر آمنا من سطواته ،
متملّكا لصهواته ، على جوادٍ يقطع الجروف لمحا ويكاد يسبقُ الريح سبّحا ،
لم يحمل لجاما ولا سرجا ، ولا عهد غير اللجة الخضراء مرّجا ، عناه في رجليه^(٥) .
وهذب العين يحكي بعض شكله ، فله دره من جواد ، له جسم وليس له فؤاد ،
يخرق الهواء ولا يرهبه ، ويركب الماء ولا يشربه .

(١) الترسل : المشى على مهل وهودة .

(٢) أى نأ النسيم يجعل صفحة الماء فيجعلها كنسج حلق الدرع المجلوة .

(٣) شطب الحداد السيف : جعل فيه خروزا غائرة على طوله . وفيه تشبيه الجدول في صفائه وانحنائه بالسيف العربى .

(٤) كان أديبا شاعرا كاتباً من كتاب بنى قاسم من ملوك الطوائف . ثم لما ملك المرابطون الأندلس وأزالوا ملك الطوائف اتصل بالأمير إبراهيم بن يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين . فكان كاتب انشائه .

(٥) رجل السفينة : سكانها (دفتها) أى لأن له مجاديف متراصة متقاربة من الجانبين كأنها الأهداب .

(ب) النثر العلمي

باب ما يهمز فيكون له معنى ، فإذا لم يهمز كان له معنى آخر

من كتاب « المخصص »

يقال : قد روأت في الأمر . وقد رويت رأسي بالدهن . وقد تملأت من الطعام
والشراب ، وقد تملئت العيش : إذا عشت ملياً أى طويلاً . وتقول : قد تخطأت
له في هذه المسألة ، وقد تخطيت القدم ؛ لأنه من الخطوة . وقد قرأت القرآن
وما قرأت الناقة سلاً قط ، أى لم تلق ولداً أراد أنها لم تحمل . وقد قرئت الضيف ،
وقد سوات عليه ما صنع ، إذا قلت له : أسأت ، وقد سويت الشيء . والعرب
تقول : إن أصبت فصوئني ، وإن أخطأت فخطئني ، وإن أسأت فسوئني على .
وقد خبأ الشيء يحبوه خبئاً — وقد خبت النار خبواً — إذا ذهب لهبها ، وقد
برأت من المرض أبرأ برءاً ، وقد برئت القلم . وقد بارأت شريكى — إذا
فارقت — وقد بارأ الرجل امرأته ، وباريت فلاناً إذا كنت تفعل ما يفعل ؛ وفلان
يباري الريح سخاءً .

(١) ابن هانيء الأندلسي^(١)

قال من قصيدة يمدح بها المعز لدين الله ويصف أسطوله وكان يومئذ أقوى أسطول
في البحر الأبيض المتوسط :

أَمَّا وَالْجَوَارِي الْمُنْشَاتِ الَّتِي سَرَتْ لَقَدْ ظَاهَرَتْهَا عُدَّةٌ وَعَدِيدُ
قِيَابُ كَمَا تَرْجَى الْقِيَابُ عَلَى الْمَا وَلَكِنَّ مَنْ مُضِمَّتْ عَلَيْهِ أُسُودُ^(٢)
وَلِلَّهِ — مِمَّا لَا يَرَوْنَ — كِتَابُ مُسَوِّمَةٌ تَحْدُو بِهَا وَجُنُودُ^(٣)
أَطَاعَ لَهَا أَنْ الْمَلَائِكَ خَلَفَهَا كَمَا وَقَفَتْ خَلْفَ الصُّفُوفِ رُدُودُ^(٤)
وَأَنَّ الرِّيَّاحَ الذَّارِيَاتِ كِتَابُ وَأَنَّ النُّجُومَ الطَّالِمَاتِ سُعُودُ

(١) هو أبو القاسم محمد بن هانيء الأندلسي الأزدي. ولد بأشبيلية بالأندلس ، ونشأ بها فمال الشعر وفاق كل أدباء المغرب في عصره . ولزم وهو شاب أمير أشبيلية ، فمدحه بمدائح تغالي فيها ، حتى اتهموه بالكفر ، فخرج الى عدوة المغرب . وهناك الدولة الفاطمية مستولية عليه ، فاتصل بالمعز ومدحه وأعجب به . ولما فتح القائد جوهر مصر وبنى القاهرة انتقل اليها المعز ، وبعد مدة لحق به شاعرنا ، فمات في الطريق ولم يبلغ الأربعين سنة ٣٦٢ هـ .

(٢) أي على الحسان اللاتي يشبهن الما .

(٣) والله كتائب مسومة : أي من الملائكة تحدوها .

(٤) أطاع لها : أي دان لها وتهيأ وانقاد . وأن الملائك وما عطف عليه فاعل أطاع . والردود :

جمع رد بالكسر وهو ما يعتمد عليه ويرجع اليه .

وما راعَ ملكَ الرُّومِ إلا اطلَّعُها تَدَشَّرُ أَعْلَامُهَا وَبُنُود
 عليها غمامٌ مُكْفَهَرٌ صَبِيرُهُ له بَارَقَاتُ جَمَّةٍ وَرُعُود^(١)
 مواخِرُ في طامِي العُبابِ كأنَّها لِعِزِّمِكَ بَأْسٌ أَوْ لِكِفِّكَ جُود
 أَنَاثَتْ بِهَا أَعْلَامُهَا ، وَسَمَّا لَهَا بِنَاءٌ عَلَى غَيْرِ الْعِرَاءِ مَشِيد
 وليس بأعلى شَاهِقٍ ، وَهُوَ كوكَبٌ ، وليس من الصُّفَّاحِ ، وَهُوَ صَلُود
 من الراسِيَاتِ الشَّمِّ لَوْلَا اتَّقَالُهَا فَمِنْهَا قِنَانٌ شَمَخَ وَرُيُود^(٢)
 من الطيرِ إِلَّا أَنَّهُنَّ جَوَارِحُ فليس لَهَا إِلَّا النُّفُوسَ مَصِيدُ
 من القَادِحَاتِ النَّارُ تُضْرَمُ لِلصَّلَى فليس لَهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ خُمُود
 إِذَا زَفَرَتْ غَيْظًا تَرَامَتْ بِمَارِجِ كَمَا شُبَّ مِنْ نَارِ الْجَحِيمِ وَقُود
 فَافْوَاهُهُنَّ الْحَامِيَاتُ صَوَاعِقُ وَأَنْفَاسُهُنَّ الزَّافِرَاتُ حَدِيد
 يُشَبُّ لَالِ الْجَائِلِقِ سَعِيرُهَا وَمَا هِيَ مِنْ آلِ الطَّرِيدِ بَعِيد
 لَهَا شُعْلٌ فَوْقَ الْغَمَارِ كَأَنَّهَا دَمَاءٌ تَلَقَّتْهَا مَلَا حِفٌّ سُود
 تُعَانِقُ مَوْجَ الْبَحْرِ حَتَّى كَأَنَّهُ سَلِيطٌ لَهَا فِيهِ الدُّبَالُ عَتِيد
 تَرَى الْمَاءَ فِيهَا ، وَهُوَ قَانٍ عُبَابُهُ كَمَا بَاشَرَتْ رَدْعَ الْخَلْقِ جُلُود^(٣)
 فليس لَهَا إِلَّا الرِّيحَ أَعْنَةُ وليس لَهَا إِلَّا الْحَبَابَ كَدِيدُ^(٤)

(١) الصبِيرُ : السحابة فوق أخرى ، أو السحاب المتراكم . يريد به دخان مقدوفاتها ونيرانها وأصواتها .

(٢) الريود : جمع ريد وهو القطعة من الجبل . والقنان : جمع قنة .

(٣) الردع : الزعفران أو أثر الطيب في الجسد . والخلوق : ضرب من الطيب .

(٤) الحباب : يراد به الموج . والكديد : الأرض الصلبة .

وغير المذاكى نجرها غير أنها (١)
 ترى كل قوداء التليل إذا انثنت سوائف غيد بالمها وقودود (٢)
 رحيمة مد الباع وهي نضيحة بغير شوى ، عذراء وهي ولود (٣)
 تكبرن عن نفع يثار ، كأنها موال ، وجرد الصافات عبيد
 لها من شفوف العبقري ملابس مفوفة فيها النضار جسيد (٤)
 كما اشتملت فوق الأرائك خرد أو التفعت فوق المناير صيد (٥)
 ليوث تكف الموج ، وهو غظامط وتدرأ بأس اليم ، وهو شديد (٦)
 فنه دروع فوقها وجواشن ومنه خفاتين لها وبرود
 ألا فى سبيل الله تبدل كنه ما ترضن به الأنواء وهي جمود
 فلا غرو إن أعزرت دين محمد فأنت له دون الملوك عقيد

(١) المذاكى : الخيل . والنجر والنجار : واحد وهو الأصل . والقود : جمع أقواد أو قوداء وهو الذلول المنقاد : أى تنسب لغير الخيل مع أن ركاها فرسان .

(٢) قوداء التليل : طويلة العنق : أى إذا انثنت شعور سوائف الغيد الحسان الشبيهات بالمها على أعناقهن ، أو تمايلت قدودهن كانت السفينة من هذه السفن تشبهها بانثناء عنقها على صدرها وكانوا يجعلون فى مقدم السفينة صورة رأس ثور أو كبش أو نعامة .

(٣) يريد بالباع المجاديف ؛ فهي تمد باعها ، وليس لها شوى أى أطراف . وقوله وهي ولود أى أنه يتبعها أو يكون لها زوارق صغار .

(٤) أى لها من النقوش الجميلة الألوان ما يشبه الثياب العبقريّة الملوّنة أى المخططة بالبياض المذهبة .

(٥) أى أنها تشتمل بهذه النقوش كما تشتمل الجوارى الخرد الثياب، وهن جالسات على الأرائك، أو يلتفت الخطباء الصيد وهم فوق المناير .

(٦) بحر غظامط وموج غظامط : عظيم هائج .

وقال من قصيدة يمدح بها القائد جوهرًا ويذكر توديعه عند خروجه من القيروان إلى مصر ويصف الجيش وخروجه للتشيع وكان الزحام قد أفاته مقابلة القائد جوهر حتى لحقه ليلاً :

رَأَيْتُ بَعْينِي فَوْقَ مَا كُنْتُ أَسْمَعُ	وَقَدْ رَاعَنِي يَوْمٌ مِنَ الْحَشْرِ أَرْوَعُ
غَدَاةَ كَأَنَّ الْأَفْقَ سُدَّ بِمِثْلِهِ	فَعَادَ غُرُوبُ الشَّمْسِ مِنْ حَيْثُ تَطَلَّعُ
فَلَمْ أَدْرِ إِذْ سَلَّمْتُ كَيْفَ أَشِيعُ	وَلَمْ أَدْرِ إِذْ شِيعْتُ كَيْفَ أَوْدَعُ
وَكَيْفَ أَخُوضُ الْجِيْشَ وَالْجِيْشُ لُجَّةٌ	وَإِنِّي بَيْنَ قَادِ الْجِيْشِ لَمَوْلَعُ
وَأَيْنَ؟ وَمَالِي بَيْنَ ذَا الْجَمْعِ مَسَلَكُ	وَلَا لِجَوَادِي فِي الْبَسِيطَةِ مَوْضِعُ
أَلَا إِنَّ هَذَا حَشْدٌ مَنْ لَمْ يَذُقْ لَهُ	غِرَارَ الْكَرَى جَفَنٌ، وَلَا بَاتَ يَهْجَعُ
نَصِيحَتَهُ لِلْمَلِكِ سَدَّتْ مَذَاهِبِي	فَمَا بَيْنَ قَيْدِ الرَّمْحِ وَالرُّمَحِ إَصْبَعُ
فَقَدْ ضَرَعْتُ حَتَّى الرَّوَاسِي لِمَارَاتٍ	فَكَيْفَ قُلُوبُ الْإِنْسِ؟ وَالْإِنْسُ أَضْرَعُ
فَلَا عَسْكَرٌ مِنْ قَبْلِ عَسْكَرِ جَوْهَرٍ	تَخُبُّ الْمَطَايَا فِيهِ عَشْرًا، وَتَوْضِعُ (١)
تَسِيرُ الْجِبَالُ الْجَامِدَاتُ لِسِيرِهِ	وَتَسْجُدُ مَنْ أَدْنَى الْخَفِيفِ وَتَرْكَعُ
إِذَا حُلَّ فِي أَرْضٍ بَنَاهَا مَدَائِنَا	وَإِنْ سَارَ عَنْ أَرْضِ ثَوْتٍ وَهِيَ بَلْقَعُ (٢)
سَمَوْتُ لَهُ بَعْدَ الرِّحِيلِ، وَفَاتَنِي	فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا لَا يُبْلَائِمُ مَضْجَعُ
فَلَمَّا تَدَارَكْتُ السُّرَادِقَ فِي الدُّجَى	عَشَوْتُ إِلَيْهِ، وَالْمَشَاعِلُ تَرْفَعُ

(١) الخبب والايضاع : نوعان من السير . أى أن المطايا تسير في امتداده عشر ليال ، مبالغة في

طوله .

(٢) إذا حل أى جوهر ، أو نفس الجيش يحتاج الى بناء مدينة . وكذلك كانت القاهرة في أول

فَبِتْ ؛ وَبَاتَ الْجَيْشُ جَمًّا سَمِيرُهُ يُورِّقُنِي ، وَالْجُنُّ فِي الْبَيْدِ هُجَّعُ
فَتَخْرِقُ جَيْبَ الْمَزْنِ وَالْمَزْنُ دَاخِ وَنُوقِدُ مَوْجَ الْيَمِّ ، وَالْيَمُّ أَصْقَعُ^(١)
وَهُمَّهُمْ رَعْدُهُ آخِرَ اللَّيْلِ قَاصِفُ وَلَا حَ مَعَ الْفَجْرِ الْبَوَارِقُ تَلْمَعُ
وَأَوْحَتْ إِلَيْنَا الْوَحْشُ : مَا اللَّهُ صَانِعُ بِنَاؤَ بَكْمٍ مِنْ هَوْلٍ مَا تَسْمَعُ ؟
وَلَمْ تَعْلَمْ الطَّيْرُ الْهَوَائِمُ فَوْقَنَا إِلَى أَيْنَ نَسْتَذِرِي وَلَا أَيْنَ تَفْزَعُ^(٢)
إِلَى أَنْ تَبْدَى سَيْفُ دَوْلَةِ هَاشِمٍ عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ مِنْ اللَّهِ يَسْطَعُ

وقال من قصيدة يمدح بها يحيى بن علي :

فَتَكَتُ طَرْفُكَ ، أَمْ سَيْفُ أَبِيكَ وَكُنُوسُ خَمْرٍ ، أَمْ مَرَّاشُ فَيْكِ
أَجْلَادُ مُرْهَفَةٍ وَفَتْكَ مُحَاجِرٍ ؟ مَا أَنْتِ رَاحِمَةٌ وَلَا أَهْلُوكِ !
يَا بِنْتَ ذِي الْبُرْدِ الطَّوِيلِ نَجَادُهُ أَكْذَا يَجُوزُ الْحُكْمُ فِي نَادِيكَ ؟^(٣)
قَدْ كَانَ يَدْعُونِي خِيَالُكَ طَارِقًا حَتَّى دَعَانِي بِالْقَنَاءِ دَاعِيكَ
عَيْنَاكِ أَمْ مَغْنَاكِ مَوْعِدُنَا ؟ وَفِي وَادِي الْكَرَى أَلْقَاكِ أَمْ وَادِيكَ ؟
مَنْعُوكِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى ، وَسَرَوْا ؛ فَلَوْ عَثَرُوا بِطَيْفِ طَارِقِ ظَنُّوكِ
وَدَعُوكِ نَشْوَى ، مَا سَقُوكِ مُدَامَةً ! لَمَّا تَمَائِلَ عِطْفُكَ أَتَهْمُوكِ
حَسِبُوا التَّكَحُّلَ فِي جُفُونِكَ جَلِيَّةً تَالَهُ مَا بَأْ كَفَّهُمْ كَحَلُّوكِ !

(١) فتخرق أى المشاعل المتقدمة : أى ضوء المشاعل يخترق السحاب الدائح أى المتسع العظيم ويمتد إلى البحر فيجعله كأنه متقد مع أن البحر بارد . أصقع أى كأنه مغطى بالصقيع .

(٢) تستدري : تطلب ذرا تلتجىء إليه أى كنفا .

(٣) يريد أنها بدوية أبوها يلبس البرد .

وَجَلَوْتُ لِي إِذْ نَحْنُ غُصْنَا بَانَةً حَتَّى إِذَا احْتَفَلَ الْهَوَى حَجَبُوكَ !
 وَلَوْ مُقْبَلَكِ اللَّثَامُ ، وَمَا دَرَوْا أَنَّ قَدْ لُثِمْتَ بِهِ ، وَقَبْلَ فُوكَ
 فَضَعِي الْقِنَاعَ فَقَبْلَ خَدِّكَ مُهَرَّتْ رَايَاتُ يَحْيَى بِالْدِّمِ الْمُسْفُوكِ
 وقال يرثي والده يحيى وجعفر ابني علي :

إِنَّا ، وَفِي آمَالِ أَنْفُسِنَا طُولٌ ، وَفِي أَعْمَارِنَا قِصَرٌ
 لَنَرَى بِأَعْيُنِنَا مَصَارِعَنَا لَوْ كَانَتْ الْأَلْبَابُ تَعْتَبِرُ !
 مِمَّا دَهَانَا أَنْ حَاضِرَنَا أَجْفَانُنَا ، وَالْفَائِبُ الْفِكْرُ
 وَإِذَا تَدَبَّرْنَا جَوَارِحَنَا فَأَكَلَهُنَّ الْعَيْنُ وَالنَّظَرُ
 لَوْ كَانَ لِلْأَلْبَابِ مُمْتَحِنٌ مَا عُدَّ مِنْهَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ (١)
 أَيُّ الْحَيَاةِ الَّذِي عِشْتَهَا مِنْ بَعْدِ عِلْمِي أَنَا بَشَرٌ ؟
 خَرِسْتُ لَعَمْرُ اللَّهِ السُّنَنَا لَمَّا تَكَلَّمْتُ فَوْقَنَا الْقَدَرُ

(٢) ابن بُزْدُ الْأَصْغَرُ مِنْ شِعْرَاءِ الْأَنْدَالِ

قال يصف السحب والبرق :

وَمَا زِلْتُ أَحْسَبُ فِيهِ السَّحَابَ وَنَارُ بَوَارِقِهَا تَلْهَبُ
 بَنَخَاتِي تَوْضِعُ فِي سَيْرِهَا وَقَدْ قُرِعَتْ بِسَيَاطِ الذَّهَبِ

(١) أي ماعد من الالباب : السمع والبصر ، لأن السمع يسمع المواعظ فلا يتعظ ، والبصر يبصر

(٣) أحمد بن عبد ربه الأندلسي^(١)

قال في الوصف : يصف حماما :

ونأخِ في غُصُونِ الدَّوْحِ أَرْقَنِي وما عُنَيْتُ بِشَيْءٍ ظِلَّ يَعْنِيهِ
مُطَوَّقٍ بِعُقُودٍ مَا تُزَايِلُهُ حَتَّى تُزَايِلَهُ إِحْدَى تَرَاقِيهِ^(٢)
قَد بَاتَ يَبْكِي بِشَجْوٍ مَا دَرَيْتُ بِهِ وَبَتْ أَبْكِي بِشَجْوٍ لَيْسَ يَدْرِيهِ

وقال في المدح :

كَرِيمٌ عَلَى الْعِلَّاتِ جَزَلٌ عَطَاؤُهُ مُنِيلٌ وَإِنْ لَمْ يُعْتَمَدَ لِنَوَالِ
وَمَا الْجُودُ مَنْ يُعْطَى إِذَا مَا سَأَلْتَهُ وَلَكِنَّ مَنْ يُعْطَى بِغَيْرِ سُؤَالِ

وقال يصف سيفا :

وَذِي شُطْبٍ تَقْضِي الْمَنَايَا بِحُكْمِهِ وَلَيْسَ لِمَا تَقْضِي الْمَنِيَّةُ دَافِعٌ^(٣)
فَرِنْدٌ إِذَا مَا أَعَنَّ لِلْعَيْنِ رَاكِدٌ وَبَرَقٌ إِذَا مَا أَهْتَزَّ بِالْكَفِّ لَامِعٌ^(٤)
يُسَلِّلُ أَرْوَاحَ الْكُمَاةِ أَنْسَلَاهُ وَيَرْتَاعُ مِنْهُ الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ رَائِعٌ
إِذَا مَا أُلْتَقَتْ أَمْثَالُهُ فِي وَقِيعَةٍ هُنَالِكَ ظَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَاقِعٌ^(٥)

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر الوشاح المؤلف أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد

الذي يعد من أركان الأدب العربي توفي سنة ٣٢٨ هـ . .

(٢) يريد بالعقود ما يرى من الألوان في عنقه .

(٣) الشطب : الخروز في جانبي السيف طولا .

(٤) اعتن : ظهر وبدا .

(٥) أى ماتظنه النفس من الهلاك واقع لا محالة .

وقال أيضاً :

بكلِّ مأثورٍ على مَتْنِهِ مِثْلُ مَدَبِ النَّمْلِ فِي الْقَاعِ^(١)
يَرْتَدُّ طَرْفُ الْعَيْنِ عَنْ حَدِّهِ عَنْ كُوكِبِ الْمَوْتِ لَمَاعِ

(٤) ابن زيدون^(٢)

قال :

أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلًا مِنْ تَدَانِينَا وَنَابَ عَنْ طِيبِ لُقْيَانَا تَجَافِينَا
بِنْتُمْ وَبَنَّا ؛ فَمَا ابْتَلَتْ جَوَانِحُنَا شَوْقًا إِلَيْكُمْ ، وَلَا جَفَّتْ مَا قَيْنَا^(٣)
يَكَادُ حِينَ تَنَاجِيكُمْ ضَمَائِرُنَا يَقْضِي عَلَيْنَا الْأُسَى لَوْلَا تَأْسِينَا^(٤)
حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَامُنَا ، فَغَدَتْ سُودًا ، وَكَانَتْ بِكُمْ بَيْضًا لِيَالِينَا^(٥)
إِذْ جَانِبُ الْعَيْشِ طَلَقَ مِنْ تَأَلُّفِنَا وَمَوْرَدُ الْهَوَى صَافٍ مِنْ تَصَافِينَا
وَإِذْ هَصَرْنَا غُصُونِ الْأُنْسِ دَانِيَةً قُطُوفُهَا ؛ فَجَنَيْنَا مِنْهُ مَا شِينَا^(٦)
لَيْسَقَ عَهْدُكُمْ عَهْدُ السَّرُورِ ؛ فَمَا كُنْتُمْ لِأَرْوَاحِنَا إِلَّا رِيَاحِينَا

(١) أى يلوح ويتراءى لمن ينظر اليه أمثال مداب النمل من انعكاس الضوء وانكساره على صفحته ، وذلك يبين فى السلاح المجلو من الفولاذ الذكر .

(٢) مرت ترجمته عند نشره .

الجوانح : جمع جانحة : وهى الضلع . والمراد بالجوانح : ما تجنه من القلب والحشا الملتهب بالحب . وقوله : (ولا جفت ما قينا) أى ما جفت عيوننا من الدمع والبكاء عليكم .

(٤) التأسى : التصبر .

(٥) حالت : استحالت من بيض الى سود .

(٦) هصرنا : أملنا الى ناحيتنا .

مَنْ مُبْلِغُ الْمُبْسِينَا بِاتِّزَاحِهِمْ حُزُنًا مَعَ الدَّهْرِ لَا يَبْلَى ، وَيُبْلِينَا^(١)
 إِنْ الزَّمَانَ الَّذِي مَا زَالَ يُضْحِكُنَا أَنْسَا بِقَرَبِكُمْ قَدْ عَادَ يُبْكِينَا
 مَا حَقَّقْنَا أَنْ تَقْرُوا عَيْنَ ذِي حَسَدٍ بِنَا ، وَلَا أَنْ تَسْرُوا كَاشِحًا فِينَا^(٢)
 غِيْظَ الْعِدَى مِنْ تَسَاقِينَا الْهَوَى فَدَعَوْا بِأَنْ نَعَصَّ ، فَقَالَ الدَّهْرُ : آمِينَا !
 فَاحْلُ مَا كَانَ مَعْقُودًا بِأَنْفُسِنَا وَأُنْبِتَ مَا كَانَ مَوْصُولًا بِأَيْدِينَا
 وَقَدْ نَكُونُ ، وَمَا يُخْشَى تَفَرُّقُنَا فَالْيَوْمَ نَحْنُ ، وَمَا يُرْجَى تَلَاقِينَا
 لَمْ نَعْتَقِدْ بَعْدَكُمْ إِلَّا الْوَفَاءَ لَكُمْ رَأْيًا ، وَلَمْ نَتَقَلَّدْ غَيْرَهُ دِينَا
 لَا تَحْسَبُوا نَأْيَكُمْ عَنَا يُغَيِّرُنَا إِنْ طَالَمَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَا
 وَاللَّهِ مَا طَلَبْتُ أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا مِنْكُمْ ، وَلَا أَنْصَرَفْتُ عَنْكُمْ أَمَانِينَا
 وَلَا اسْتَفَدْنَا خَلِيلًا عَنْكَ يَشْغَلُنَا وَلَا اتَّخَذْنَا بَدِيلًا مِنْكَ يُسْلِينَا
 يَأْسَارَى الْبَرْقِ غَادِ الْقَصْرِ فَاسْقِ بِهِ مَنْ كَانَ صِرْفَ الْهَوَى وَالْوَدِّ يَسْقِينَا
 وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتَنَا مَنْ لَوْ عَلَى الْبُعْدِ حَيًّا كَانَ يُحْيِينَا
 يَا رَوْضَةً طَالَمَا أُجْنَتْ لَوَاحِظُنَا وَرَدًّا جَلَاهُ الصَّبَا غَضًّا وَنِسْرِينَا^(٣)
 وَيَا حَيَاةَ تَمَلِّينَا بِزَهْرَتِهَا مُنَى ضُرُوبًا وَلَذَاتٍ أَفَانِينَا^(٤)

(١) الانتزاح : الافتراق .

(٢) أقر الله عينه بالسلامة : ضد أسخنتها بالوجع والمراد أن تسروا الحاسد . والكاشح : المضمحل للعداوة . والواشى : المبغض .

(٣) النسرين : نوع من الورود أكثر ما يكون أبيض الزهر عطر الرائحة .

(٤) تملينا : استمعنا ، والمنى جمع منية . والضروب هنا : الأنواع . والأفانين هنا جمع أفنون وهو النوع والضرب أى لذات مختلفة الشكول .

ويا نعيمًا خطرنا من غضارته
لسنا نسميك إجلالًا وتكرمةً
إذا انفردت وما شوركت في صفة
ياجنة الخلد أبدلنا بسلسلها
كأننا لم نبب والوصل ثالثنا
سران في خاطر الظلماء يكتمنا
إن كان قد عز في الدنيا اللقاء ففي
لاغر وفي أن ذكرنا الحزن حين نهت
إنا قرأنا الأسى يوم النوى سورًا
أما هواك فلم نعدل بمنهله
لم نجف أفق جمال أنت كوكبه
ولا اختيارًا تجنّبناك عن كذب
نأسى عليك إذا حُتّ مشعشة
لاأكوُسُ الرّاح تبدى من شمائلنا
في وشى نعى سحبنّا ذيلها حيناً^(١)
وقدرك المعتلى عن ذاك يغنينّا
فحسبنا الوصف إيضاحًا وتبيينًا
والكوثر العذب زقومًا وغسلينا^(٢)
والسعد قد غص من أجفان واشينا
حتى يكاد لسان الصبح يفشينّا
مواقف الحشر نلقاكم ويكفينّا
عنه النهى وتركنا الصبر ناسينا
مكتوبة ، وأخذنا الصبر تلقينا
شربًا ، وإن كان يروينا فيظمينّا
سالين عنه ، ولم نهجره قالينا
لكن عدتنا على كره عوادينا^(٣)
فينا الشمول وغنّانا مغنينّا^(٤)
سيما أرتياح ، ولا الأوتار تلھينا

(١) خطر الرجل في مشيته رفع يديه ووضعهما عجا وتيها . والغضارة : النعمة والسعة
والخصب . والوشى نوع من الثياب الحريرية المنقوشة .

(٢) السلسل : الماء العذب المبرد . والكوثر : الكثير من كل شيء ، والنهر ، ونهر في الجنة .
والزقوم المذكور في القرآن الكريم ، يراد به ضرب من العذاب في النار جاء تمثيله بأنه طعام شجرة
تكون في أصل الجحيم هذا اسمها . والغسلين : ما ينفسل من الثياب ونحوها . وغسلين النار :
ما ينفسل من جلود الكفار فيها .

(٣) عن كذب : عن قرب . وعدتنا العوادى : صرفتنا الصوارف . وهى شواغل الدهر وصروفه .

(٤) الشمول : من أسماء الخمر والمشعشة المزوجة بالماء .

دُورِي عَلَى الْعَهْدِ مَا دُمْنَا مُحَافِظَةً فَأَلْحُرُّ مَنْ دَانَ إِنْصَافًا كَمَا دِينَا
فَمَا أَبْتَغَيْنَا خَلِيلًا مِنْكَ يُحْبِسُنَا وَلَا اسْتَفَدْنَا حَبِيبًا عَنْكَ يُغْنِينَا
وَلَوْ صَبَا نَحْوَنَا مِنْ عُلوِّ مَطْلَعِهِ بَدْرُ الدُّجَى لَمْ يَكُنْ - حَاشَاكَ - يُصْبِينَا
أَوَّلِي وَفَاءً ، وَإِنْ لَمْ تَبْذُلِي صَلَاةً فَالذِّكْرُ يُقْنِعُنَا ، وَالطِّيفُ يَكْفِينَا
وَفِي الْجَوَابِ اقْتِنَاعٌ لَوْ شَفَعْتَ بِهِ بِيضَ الْأَيْدِي الَّتِي مَازَلْتَ تُولِينَا
عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامُ اللَّهِ مَا بَقِيَتْ صِبَابَةٌ مِنْكَ تُخَفِّيهَا فَتَخْفِينَا
وَقَالَ فِي الذِّكْرِ مَتَوَجِّعًا :

وَدَّعَ الصَّبْرَ حُبُّهُ وَدَّعَكَ ذَائِعٌ مِنْ سِرِّهِ مَا اسْتَوْدَعَكَ
يَقْرَعُ السَّنَّ عَلَى أَنْ لَمْ يَكُنْ زَادَ فِي تِلْكَ الْخُطَا إِذْ شَيَّعَكَ
يَا أَخَا الْبَدْرِ سَنَاءٌ وَسَنَى حَفِظَ اللَّهُ زَمَانَا أَطْلَعَكَ
إِنْ يَطُلُ بَعْدَكَ لَيْلِي فَلَكُمْ بَيْتٌ أَشْكُو قِصَرَ اللَّيْلِ مَعَكَ

(٥) أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عِمَارٍ^(١)

قَالَ :

وَهَوِيَّتُهُ يَسِقَى الْمَدَامَ كَأَنَّهُ قَرْنٌ يَطُوفُ بِكُوكَبٍ فِي حِنْدِسٍ
مُتَّارِجَ الْحَرِّ كَاتٍ تَنْدَى رِيحُهُ كَالْغُصْنِ هَزَّتْهُ الصَّبَا بِتَنْفُسٍ
يَسْعَى بِكَأْسٍ فِي أَنْامِلِ سَوْسَنِ وَيُدِيرُ أُخْرَى فِي مُحَاجِرِ نَرْجِسٍ^(٢)

(١) هو أبو بكر محمد بن عمار وزير المعتضد بن عباد ملك أشبيلية ، ثم وزير ابنه المعتد ، وبني المعتد قتل بعد خيانة له في الملك والسياسة سنة ٤٧٧ هـ . وكان شاعرا بليغا يتشبه بالمتنبي في مقامعه في الملك والدولة .

(٢) السوسن والنرجس : زهران أبيضان من الفصيلة البصلية .

ومن قوله في الاستعطاف :

سَجَايَاكَ إِن عَافَيْتَ أُنْدَى وَأَسْمَحُ وَعُذْرُكَ إِن عَاقَبْتَ أَجْلَى وَأَوْضَحُ
وإن كَانَ بَيْنَ الْخُطَّتَيْنِ مَرْيَّةٌ فَأَنْتَ إِلَى الْأَدَنِ مِنَ اللَّهِ أَجْنَحُ
حَنَانِيكَ فِي أَخْذِي بِرَأْيِكَ لَا تُطْعُ عُدَاتِي ، وَإِن أَتْنُوا عَلَىَّ وَأَفْصَحُوا
وماذَا عَسَى الْأَعْدَاءُ أَنْ يَزِيدُوا سِوَى أَنْ ذَنْبِي وَاضِحٌ مُتَصَحِّحُ
نَعَمْ لِي ذَنْبٌ ! غَيْرَ أَنْ لِحْلِمِكُمْ صَفَاةٌ يَزِلُّ الذَّنْبُ عَنْهَا فَيُسْفَحُ (١)
وإنَّ رَجَائِي أَنْ عِنْدَكَ غَيْرَ مَا يَخُوضُ عِدْوِي الْيَوْمَ فِيهِ وَيَمْرَحُ
وَلَمْ لَا ؟ وَقَدْ أَسْلَفْتُ وُدًّا وَخِدْمَةً يَكْرَأَنَّ فِي لَيْلِ الْخَطَايَا فَيُصْبِحُ
وَهَبْنِي قَدْ أَعْقَبْتُ أَعْمَالَ مُفْسِدٍ أَمَا تَفْسُدُ الْأَعْمَالُ ثَمَّتَ تَصْلُحُ (٢)
أَقْلَنِي بِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ رِضَاً لَهُ نَحْوَ رَوْحِ اللَّهِ بَابٌ مُفْتَحُ !
وَعَفٌّ عَلَى آثَارِ جُرْإِمِ جَنِيئَتِهِ بِهَبَّةِ رُحْمَى مِنْكَ تَمْحُو وَتَصْفَحُ
وَلَا تَلْتَفِتْ رَأْيَ الْوُشَاةِ وَقَوْلِهِمْ ؛ فَكُلْ إِنْاءَ بِالَّذِي فِيهِ يَرْشَحُ (٣)
سَيَاتِيكَ فِي أَمْرِي حَدِيثٌ ، وَقَدْ أَتَى بَرْوَرِ بَنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ مُوشِحُ (٤)
مَا ذَاكَ إِلَّا مَا عَلِمْتَ ؛ فَإِنِّي إِذَا ثُبْتُ لَا أَنْفَكَ آسُو وَأَجْرَحُ (٥)

(١) أى أن حلمه كالصخرة الملساء يزل وينزل عنها الذنب .

(٢) ثمت : هى (ثم) العاطفة لحقتها تاء التانيث كما تلحق (رب) فيقال : (ربت) . وأصلها أن تكون ساكنة ، ولكنها تفتح معهما كثيرا .

(٣) تلتفت مضمّن معنى فعل متعدّد ، تقديره : (تعتبر أو تقبل) .

(٤) كانوا من موالى المنصور بن أبى عامر ، ورثوا أبناءه وأحفاده فى شرقى الأندلس ، وكانت لهم به دويلة دامت ردحا من الزمان .

(٥) إذا ثبت : إذا رجعت الى ما كنت عليه من وزارتك . وآسو : من أسال الجرح أى دواه وعالجه . والمراد لأنفك أنفع وأضر ؛ فينالهم منى شر .

نَخِيلَتُهُمْ ، لَا دَرَّ لِلَّهِ دَرُّهُمْ ؛ أَشَارُوا تَجَاهِيَ بِالشَّمَاتِ ، وَصَرَّحُوا^(١)
 وقالوا : سَيَجْزِيهِ فُلَانٌ بِفِعْلِهِ ! فَقُلْتُ : وَقَدْ يَعْفُو فُلَانٌ ، وَيَصْنَفَحُ !
 أَلَا إِنْ بَطْشًا لِلْمُؤَيَّدِ يَتَّقِ وَلَكِنْ حِلْمًا لِلْمُؤَيَّدِ أَرْجَحُ
 وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْ هَوَاهُ تَمِيمَةٌ سَتَنْفَعُ لَوْ أَنَّ الْحِمَامَ مُجَلِّحٌ^(٢)
 سَلَامٌ عَلَيْهِ كَيْفَ دَارَ بِهِ الْهَوَى : إِلَى فَيْدَنُو ، أَوْ عَلَى فَيَنْزَحِ^(٣)
 وَيَهْنِيهِ إِنْ مِتُّ السُّلُو ؛ فَإِنِّي أَمُوتُ ، وَلِي شَوْقٌ إِلَيْهِ مُبَرِّحٌ

(٦) ابن وهبون في الوصف

قال الأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى الأندلسي من شعراء شرق
 الأندلس ، وكان خدام المعتمد بن عباد من ملوك الطوائف بعلمه وشعره يصف
 النيلوفر^(٤) :

وَبِرْكَهٍ تَرَهُو بَنِيْلُوفَرِ نَسِيمُهُ يُشْبِهُ رَوْحَ الْحَبِيبِ
 حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ دَنَا وَقْتُهُ وَمَالَتِ الشَّمْسُ لِعَيْنِ الْمَغِيبِ
 أَطْبَقَ جَفْنَيْهِ عَلَى الْفِهِ وَغَاصَ فِي الْمَاءِ حَذَارَ الرَّقِيبِ

(١) نخيلتهم : أى هذه نخيلتهم . والنخيلة : الطبيعة والنصيحة . وكلا المعنيين لائق . ودر
 هنا فعل ماضٍ من در اللبن : ودرهم فاعله على نحو جد جده وجل جلاله . والجملة : دعاء عليهم :
 أى لا كان درهم الله بمعنى لا وفقهم الله للخير .

(٢) التميمية : خرزة رقطاء كان الأعراب يعلقونها في أعناق أطفالهم لتقيهم شر العين والشياطين .
 والمجلح : الأكل . والمعنى في قلبه حب سينفعني ويشفع عنده إذا أراد الموت أكل .

(٣) ينزح : يبعد .

(٤) النيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت في المياه الراكدة .

(٧) ابن خفاجة الأندلسي^(١)

قال في الاعتبار ويصف ليلا وجبلا :

بَعِثْكَ هَلْ تَدْرِي أَهْوَجُ الْجَنَائِبِ تَخُبُّ بِرَحْلِي أَمْ ظَهْوَرُ النَّجَائِبِ؟^(٢)
فَمَا لُحْتُ فِي أَوَّلِي الْمَشَارِقِ كَوَكْبًا فَاشْرَقْتُ حَتَّى جِئْتُ أُخْرَى الْمَغَارِبِ
وَحِيدًا تَهَادَانِي الْفِيَا فِي فَأَجْتَلِي وَجُوهَ الْمَنِيَا فِي قِنَاعِ الْغِيَا هِبِ
وَلَا جَارَ إِلَّا مِنْ حُسَامٍ مُصَمَّمٍ وَلَا دَارَ إِلَّا فِي قَتُودِ الرِّكَائِبِ^(٣)
وَلَا أُنْسَ إِلَّا أَنْ أَضَاحِكَ سَاعَةً تُغُورَ الْأُمَانِي فِي وَجُوهِ الْمَطَالِبِ
وَلَيْلٍ إِذَا مَا قُلْتُ : قَدْ بَادَ فَاَنْقَضَى ، تَكْشَفُ عَنْ وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كَاذِبِ
سَحَبْتُ الدِّيَاجِي فِيهِ سُودَ ذَوَائِبِ لِأَعْتَقِ الْأَمَالَ بِيضَ تَرَائِبِ
فَخَرَقْتُ جَيْبَ اللَّيْلِ عَنْ شَخْصٍ أَطْلَسَ تَطْلَعُ وَضَاحَ الْمَضَاحِكِ قَاطِبِ^(٤)
رَأَيْتُ بِهِ قِطْعًا مِنَ الْفَجْرِ أَغْبَشًا تَأْمَلُ عَنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ ثَاقِبِ^(٥)
وَأَرَعَنَ طَمَاحَ الذُّؤَابَةِ بِادِخِ يُطَاوِلُ أَعْنَافَ السَّمَاءِ بَغَارِبِ^(٦)

(١) مرت ترجمته عند نشره .

(٢) هوج الجنائب : الرياح الجنوبية الهوجاء . والنجائب : جمع نجيبة : الناقة الكريمة .

(٣) القتود : أخشاب الرجال .

(٤) أطلس : أى شخص أفق أطلس ، والأطلس : الذى فى لونه غبرة الى سواد ، وهو وضاح المضاحك من جهة أنه تتراعى فى خلاله أشعة الفجر ، وقاطب من حيث انه لا يزال عليه من غبش الليل بقية .

(٥) أى رأيت به قطعاً أغبش من الفجر لا يزال يبدو فيه نجم متوقد ثاقب ، وهو الزهرة أو عطارد لأنهما من كواكب الصباح يكونان بالتبادل على الأفق عند طلوع الفجر .

(٦) أرعن : ورب جبل أرعن طويل القمم يطاول السماء بكامله .

يَسُدُّ مَهَبَ الرِّيحِ عَنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَيَزَحِمُ لَيْلاً شَهَبَهُ بِالْمُذَاكِبِ
 وَقُورٌ عَلَى ظَهْرِ الْفَلَاةِ كَأَنَّهُ طَوَالَ اللَّيَالِي مُفَكِّرٌ فِي الْعَوَاقِبِ
 يُلُوثُ عَلَيْهِ الْغَيْمُ سُودَ عَمَائِمٍ لَهَا مِنْ وَمِيضِ الْبَرْقِ مُحَرٌّ ذَوَائِبِ (١)
 أَصَخْتُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ آخِرُ صَامِتٍ ! فَخَدَّيْنِي لَيْلَ السَّرَى بِالْعَجَائِبِ
 وَقَالَ : إِلَى كَمْ كُنْتُ مَلْجَأً قَاتِلٍ وَمَوْطِنَ أَوَّاهٍ تَبَتَّلَ تَائِبِ (٢)
 وَكَمْ مَرَّ بِي مِنْ مُدْلِجٍ وَمُؤَوَّبٍ وَقَالَ بِظِلِّي مِنْ مَطِيٍّ وَرَاكِبِ
 وَلَا طَمَ مِنْ نُكْبِ الرِّيَّاحِ مَعَاطِفِي وَزَاخَمَ مِنْ خُضْرِ الْبَحَارِ غَوَارِبِي (٣)
 فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ طَوَّاهُمْ يَدُ الرَّدَى وَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النَّوَى وَالنَّوَابِ
 فَمَا خَفَقُ أَيُّكِي غَيْرُ رُجْفَةٍ أَضْلَعُ وَلَا نَوْحُ وَرَقِي غَيْرُ صَرْخَةٍ نَادِبِ (٤)
 وَمَا غِيَضَ السَّلَوَانُ دَمْعِي ، وَإِنَّمَا نَزَفْتُ دَمُوعِي فِي فِرَاقِ الصَّوَابِ
 فَحَتَّى مَتَى أَبْقَى ؟ وَيَظُنُّ صَاحِبُ أَوْدَعُ مِنْهُ رَاحِلًا غَيْرَ آئِبِ
 وَحَتَّى مَتَى أَرَعَى الْكَوَاكِبَ سَاهِرًا ؟ فَمِنْ طَالَعِ أُخْرَى اللَّيَالِي وَغَارِبِ
 فَرُحْمَاكَ يَا مَوْلَايَ دَعْوَةَ ضَارِعِ يَمُدُّ إِلَى نَعْمَاكَ رَاحَةً رَاغِبِ !
 فَأَسْمَعْنِي مِنْ وَعْظِهِ كُلِّ عِبْرَةٍ يُتَرَجِّمُهَا عَنْهُ لِسَانُ التَّجَارِبِ

(١) يُلُوثُ : يلف ويعمم على رأسه من الغيم عمام سوداء لها بروق حر .

(٢) يَرِيدُ بِالْأَوَّاهِ التَّائِبُ : الرَّاهِبُ الَّذِي يَبْنِي صَوْمَعَتَهُ فِي رَعُوسِ الْجِبَالِ .

(٣) النُّكْبُ : جَمْعُ نَكْبَاءَ ، وَهِيَ الرِّيحُ تَهْبُ بَيْنَ مَهَبِي رِيحَيْنِ . وَمَعَاطِفِي وَغَوَارِبِي : يَرِيدُ بِهِمَا جَوَانِبِي وَأَظْهَرِي .

(٤) أَيْ خَفَقَ غُصُونُ أَيُّكِي . وَالْأَيْكُ : اسْمُ جَمْعٍ لِأَيْكَةٍ ، وَهِيَ الْأَشْجَارُ الْمُتَكَاثِفَةُ . وَالْوَرَقُ : جَمْعُ وَرَقَاءَ وَهِيَ : الْحَمَامَةُ .

فسلّى بما أبكى وسرّى بما شجّا . وكان على عهد السرى خير صاحب
وقلت ، وقد نكبت عنه لطية : سلام ! فإنّا من مقيم وذاهب (١)

وقال :

أحسن المدامة والنسيم عليل والظل خفاق الرواق ظليل (٢)
والنور طرف قد تنبه دمع والماء مبتسم يروق صقيل
وتطلعت من برق كل غمامة في كل أفق راية ورعي ل (٣)
حتى تهادى كل خوطة أيككة رياء وغصب تلعة ومسيل (٤)
عطف الأراكة فانشئت شكرا له طربا ورجع في الغصون هديل (٥)
فالروض مهتز المعاطف نعمة نشوان يعطفه الصبا فيميل
ريان فضضه الندى ثم أنجلي عنه فذهب صفحتيه أصيل
وارتد ينظر في نقاب غمامة طرف يمضه النعاس كليل (٦)
ساج كما يرنو إلى عواده شاك ويلتمح العزيز ذليل

(١) نكبت عليه : ملت عنه وانصرفت . والطية : الحاجة والقصد ووجهة المسافر . ومن في (من مقيم) زائدة أو بيانية . أى فانا من بين مقيم ، وهو أنت ، وذاهب ، وهو نحن .

(٢) الرواق : مقدم البيت . وقد شبه الظل ببيت مضروب يخفق هواء رواقه .

(٣) الرعيل : الجماعة من الخيل ، شبه السحب بجماعات الخيل وكتائبها في الحرب وشبه البروق المنبعثة منها بالرايات المنشرة الحمر فوق رؤوسهم .

(٤) كل خوطة : أى كل غصن . والأيككة : الشجر اللتف . والتلعة : مجرى الماء من الجبل الى الوادى .

(٥) عطف : أى عطف النسيم العليل الأراكة . والهديل : ذكر الحمام .

(٦) طرف : أى طرف كل شارب منا أى أن الشرب الذين كانوا يشربون قضوا النهار وجاء الأصيل ثم دخل الليل فبعد أن كان طرف الناظر منهم ينظر الى أزهار الروض ارتد ينظر في غمامة كأنها النقاب ، وهذا الطرف كليل من السكر ، يغالبه النعاس ساج فاتر كأنه طرف المريض يرنو الى أعواده ، أو طرف الدليل يلمح العزيز .

وقال :

رُبَّمَا أُسْتَضْحِكَ الْحَبَابَ حَبِيبٌ تَفَضَّتْ ثَوْبَهَا عَلَيْهِ الْمَدَامُ
كَلَّمَامَرَّ قَاصِرًا مِنْ خُطَاهُ يَتَهَادَى كَمَا يَمُرُّ الْغَمَامُ
سَلَّمَ الْغُصْنُ وَالْكَثِيبُ عَلَيْنَا فَعَلَى الْغُصْنِ وَالْكَثِيبِ السَّلَامُ

وقال في طول الليل :

بَالِيلَ وَجَدَ بَنَجْدٍ أَمَّا لَطِيفُكَ مَسْرَى
وَمَا لِدَمْعِي طَلِيقًا وَأَنْجُمُ الْجَوِّ أُسْرَى
وَقَدْ طَمَى بَحْرُ لَيْلٍ لَمْ يُعْقِبْ الْمَدَّ جَزْرًا
لَا يَعْبُرُ الطَّرْفُ فِيهِ غَيْرَ الْمَجَرَّةِ جَسْرًا

(٨) ابن سهل الأندلسي^(١)

قال :

سَلَّ فِي الظَّلَامِ أَخَاكَ الْبَدْرَ عَنْ سَهْرِي تَدْرِي النُّجُومُ كَمَا يَدْرِي الْوَرَى خَبْرِي
أَبَيْتُ أَهْتِفُ بِالشَّكْوَى وَأَشْرَبُ مِنْ دَمْعِي وَأَنْشَقُ رَيًّا ذَكَرَكَ الْعَطِيرُ
حَتَّى أُخَيِّلَ أَنِّي شَارِبٌ ثَمَلٌ بَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْكَأْسِ وَالْوَتَرِ
مَنْ لِي بِهِ ؟ أَخْتَلَفْتُ فِيهِ الْمَلَاخَةُ إِذْ أَوَمْتُ إِلَى غَيْرِهِ إِيمَاءً مُحْتَضِرٍ^(٢)

(١) هو الشاعر الرقيق الوشاح ابراهيم بن سهل الأشبيلي الأندلسي وكان يلقب قبل اسلامه بالاسرائيلي . كان يهوديا وأسلم ومات غرقا سنة ٦٤٩ هـ .

(٢) أى تفاوتت فيه الملاحه عن نفسها عند الناس فهى فيه كاملة وفى غيره بمنزلة اشارة ضيعة كاشارة المحتضر عند الموت .

مَعَطَّلٌ فَارْحَلِي مِنْهُ مُحَلَّلَةٌ تَغْنَى الدَّرَارِي عَنِ التَّقْلِيدِ بِالْدَّرَرِ (١)
بِخَدِّهِ لِفَوَادِي نِسْبَةٍ عَجَبٌ كِلَاهُمَا أَبْدَأَ يَدِي مِنْ النَّظَرِ (٢)

وقال ابن سهل في توشيح له :

هَلْ دَرَى ظَنِّي الْحَمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَاءُ عَنْ مَكْنَسِ
فَهُوَ فِي حَرٍّ وَخَفَقَ مِثْلَمَا لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالْقَبَسِ

يَا بَدُورًا أَشْرَقَتْ يَوْمَ النَّوَى غُرُّرًا تَسْلُكُ بِي نَهْجَ الْغَرَرِ (٣)
مَا لِنَفْسِي فِي الْهَوَى ذَنْبٌ سِوَى مِنْكُمْ الْحَسَنَى وَمِنْ عَيْنِي النَّظَرِ
أَجْتَنَى اللَّذَاتِ مَكْلُومَ الْجَوَى وَالْتِذَاذِي مِنْ حَبِيبِي بِالْفِكْرِ (٤)

كَلَّمَا أَشْكُوهُ وَجَدِي بَسَمًا كَالرُّبَا بِالْعَارِضِ الْمُنْبَجِسِ (٥)
إِذْ يُقِيمُ الْقَطَرُ فِيهَا مَأْتَمًا وَهِيَ مِنْ بَهْجَتِهَا فِي عُرْسِ (٦)

(١) محلاة : ممنوعة .

(٢) أى أن فوادى يدمى من نظرات المحبوب الرامية بسهام التأثير ، وخذه كان يدمى من حمرة الحجل عند نظرى اليه .

(٣) الغرر : التفرير والخطر .

(٤) أى وانما التذاذى من حبيب بالتفكر فيه .

(٥) أى كابتناسم الربا المشرقة بالأزهار بعد أن سقاها العارض المنبجس : أى السحاب الهاطل .

(٦) أى أن نزول القطر الشبيه بقطرات الدمع يقيم في الربا مأتما ومناحة ببكائه على حين أن الربا في أعراس من بهجتها .

أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ جُرْمِي لَدَيْهِ لِي جَزَاءُ الذَّنْبِ وَهُوَ الْمُنْذِبُ
أَخَذْتُ شَمْسَ الضُّحَا مِنْ وَجْنَتَيْهِ مَشْرِقًا لِلشَّمْسِ فِيهِ مَغْرِبٌ (١)
ذَهَبَ الدَّمْعُ بِأَشْوَاقِي إِلَيْهِ وَلَهُ خَدٌّ بِلَحْظِي مُذْهَبٌ (٢)

يَنْبُتُ الْوَرْدُ بَغْرَسِي كُلَّمَا لَاحَظْتَهُ مُقَلَّتِي فِي الْخَلْسِ
لَيْتَ شِعْرِي أَيْ شَيْءٍ حَرَمًا ذَلِكَ الْوَرْدَ عَلَى الْمُغْتَرَسِ

كُلَّمَا أَشْكُو إِلَيْهِ حَرَقِي غَادَرْتَنِي مُقَلَّتَاهُ دَنِقَا
تَرَكْتُ الْحَاظُهُ مِنْ رَمَقِي أَثَرَ النَّمْلِ عَلَى صُمِّ الصَّفَا (٣)
وَأَنَا أَشْكُرُهُ فِيمَا بَقِيَ لَسْتُ أَلْهَاهُ عَلَى مَا أُتْلَفَا

فَهُوَ عِنْدِي عَادِلٌ إِنْ ظَلَمَا وَعَذُولِي نَطْقُهُ كَالْخَرَسِ
لَيْسَ لِي فِي الْأَمْرِ حُكْمٌ بَعْدَمَا حَلَّ مِنْ نَفْسِي مَحَلَّ النَّفْسِ

مِنْهُ لِلنَّارِ بِأَحْشَائِي ضِرَامٌ تَتَلَطَّى كُلَّ حِينٍ مَا تَشَا
هِيَ فِي خَدَّيْهِ بَرْدٌ وَسَلَامٌ وَهِيَ حَرٌّ وَحَرِيقٌ فِي الْحِشَا
أَتَقَى مِنْهُ عَلَى حُكْمِ الْغَرَامِ أَسَدًا وَرَدًا وَأَهْوَاهُ رَشَا

(١) أى أن حمرة المشرق قبيل ظهور الشمس على الأفق وحمرة شفقتها بعيد الغروب مستعارة من وجنتيه الحمراءين .

(٢) أى مذهب من الخجل . وهذا المعنى مكرر جره إليه جناس الاشتقاق بين (ذهب) فى أول البيت و (مذهب) فى آخره .

(٣) أى أننا ضعيفا لأن النمل لا يؤثر مشيه فى الصخرة المساء .

قلتُ — لما أن تبدى مُعلِّماً وهو من الحَاظِه في حَرَسِ
أَيِّهَا الآخِذُ قَلْبِي مَغْزَاً اجْعَلِ الوَصْلَ مَكَانَ الخُصْمِ^(١)

(٩) وقد عارضه في هذا التوشيح الوزير^(٢)

أبو عبد الله بن الخطيب فقال :

جادك الغيث إذا الغيثُ هَمِيَّ يا زمانَ الوَصْلِ بالأندلسِ
لم يكن وصلك إلا حلماً في الكرى أو خلسة المختلس

إذ يقودُ الدهرُ أَشْتَاتَ المُنَى تنقلُ الخطو على ما يرسمُ
زُمرّاً بين فرادى وثنى مثلها يدعو الوفودَ المَوَسِّمُ
والحياً قد جَلَّلَ الرّوضَ سَنَى فثغور الزهر منه تبسم

وروى النُّعمانُ عن ماء السماء كيف يروى مالكٌ عن أنس^(٣)

(١) أى أن الجيش الفاتح لا يأخذ كل الغنيمة بل يكون خمسها للدولة تنفقه في مصالح الناس
وصدقاتهم .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن سعيد الغرناطى الأندلسى المعروف بلسان الدين بن الخطيب وزير
بنى الأحمر ملوك غرناطة . وكان وزيراً لأبى الحجاج يوسف من عظماء ملوكهم ، ثم لابنه ، فاتهم
بالخيانة في السياسة وبالزندقة ، ففر إلى المغرب ، وسعى أعداؤه به حتى أسلموه فقتل سنة ٦٩٠ هـ
وكان شاعراً كاتباً مؤرخاً فقيهاً متفلسفاً . وله عدة كتب وشعر رقيق وكتابة يروى صاحب نفح
الطيب وصاحب صبح الأعشى منها كثيراً .

(٣) في النعمان وماء السماء تورية ؛ إذ النعمان أما شقائق النعمان لزهراً حمر ، وهو المراد هنا ،
وماء السماء هو هنا المطر ، وأما النعمان وماء السماء من ملوك الحيرة اللخمين والثانى جد الأول وهما
غير مرادين هنا . ومالك هو الإمام مالك بن أنس إمام المذهب المشهور . والمعنى أن بين شقائق
النعمان والمطر من النسبة ما بين مالك وأبيه أنس من أن الأول في كلا الجانبين ابن للثانى وناشئ عنه .

فكساه الحسنُ ثوباً معلماً يزدهي منه بأبهى ملبس

في ليالٍ كتمت سرَّ الهوى بالدجى لولا شمسُ الغرر
مالَ نجمُ الكأس فيها وهوى مستقيم السَّير سعد الأثر
وطر ما فيه من عيب سوى أنه مرَّ كالمح البصر

حينَ لذَّ الأنسُ شيئاً أركم هجم الدبح هجوم الحس
غارَت الشَّهبُ بنا أو ربَّما أثَّرت فينا عيونُ النرجس

المغرب وهما ليك البربر

النثر

(١) النثر الفني

(١) التلمساني^(١)

قال في الفراق .

الدهرُ ذو غيرَ ، وَمَنْ ذا يحكمُ على القَدَرِ ؟ وما ضَرَّه لو غَفَلَ قليلا ، وشَفَى
بلقاء الأَحِبَّةِ غَلِيلا ، وَسَمَحَ لنا بساعةِ اجتماع ، ووصل ذلك الأمل القصيرَ بِناع ،
وزَوَى^(٢) ؛ مَسَافَةَ أيام ، كما طَوَى مَراحِلَ أعوام . يامُؤَيَّسِي^(٣) ، أَفلا أَشَفَقْتَ
مِن عَذابي ، وَسَمَحْتَ ولو بِسلام أحبابي ، أَسَلَمْتَنِي إلى ذَرَعِ^(٤) البَيدِ ،
وَمُحَالَفَةِ الذَّمِيلِ والوَخِيدِ^(٥) ، والتَنَقُّلِ في المشارق والمغارب ، والتمطِّي في

(١) هو أبو اسحق بن بكر الأنصاري العلامة الأديب الكاتب الشاعر الرحالة من أهل سبته .

دخل الأندلس وبلاد التكرور ومصر والشام والعراق والحجاز واليمن . وتوفي سنة ٦٩٠ هـ بـ ستة
عن سن عالية .

(٢) زوى : طوى .

(٣) يخاطب الدهر .

(٤) مصدر ذرع : بمعنى قاس بالذراع .

(٥) ضربان : من سير الابل وغيرها .

الصَّهَوَاتِ^(١) والغوارب . يَسَائِقُ الْبَيْنَ دَعَ مَحْمِلَهُ ، فَمَا بَقِيَ فِي الْجِسْمِ لَنْ يَحْمِلَهُ ،
ويا بناتِ جَدِيلٍ^(٢) ، مَا لَكُنَّ وَلِلذَّمِّيل ؟ ثُمَّ مَا لِلزَّاجِرِ الْكَاذِبِ ، وَلِلْغَرَابِ
النَّاعِبِ ؟ يَجْعَلُهُ نَذِيرَ الْجَلَا ، وَرَائِدَ الْخَلَا ، مَا أَبْعَدَ ابْنَ زَاجِرٍ^(٣) ، عَنْ دَارِ الزَّاجِرِ ؛
إِنَّمَا فَعَلَ مَا تَرَى ، ذَاتُ الْغَارِبِ وَالْقَرَا^(٤) ، الْمُخْتَالَةُ فِي الْأَزْمَةِ وَالْبُرَى^(٥) ،
وَالْمَرْدَدَةُ بَيْنَ التَّأْوِيبِ وَالسُّرَى^(٦) ؛ طَالَمَا بَاكَرَتِ النَّوَى^(٧) ، وَصَدَعَتِ صَدْعَ
الْهَوَى ، وَتَرَكْتَ أَلْهَامَ بَيْنِ رَبْعٍ مُحِيلٍ^(٨) ، وَرَسَمٍ مُسْتَحِيلٍ^(٩) ، يَقْفُو الْأَثَرَ
بِجَدِهِ ، وَيَسْأَلُ الطَّلَلَ عَنْ عَهْدِهِ . وَإِنْ أَنْصَفْتَ فَمَا لِعَيْرٍ^(١٠) مَقُودَةٍ ، وَإِبِلٍ مَطْرُودَةٍ ،
غَلَّتْ^(١١) عَنْ الْحَوْضِ وَالشَّوْطِ^(١٢) ، وَأُسْلِمَتْ إِلَى الْحَبْلِ وَالْعَصَا وَالسَّيْوُطِ .
وَلَوْ خَيْرَ الْبَازِي لِأَقَامَ ، وَلَوْ تَرِكَ الْقَطَا لَيَلًا لَنَامَ ؛ لَكِنَّ الدَّهْرَ أَبُو بَرَاقِشٍ^(١٣) ،
وَسَهْمٌ بَيْنَهُ بَيْنَ بَنِيهِ غَيْرُ طَائِشٍ ، فَهُوَ الَّذِي شَتَّتَ الشَّمْلَ وَصَدَعَهُ ، وَمَا رُفِعَ
سَقْفُ بَعْمَادِهِ إِلَّا وَضَعَهُ ، وَلَا بَلَّ غَلِيلاً أَحْرَقَهُ بَنَارُ وَجْدِهِ وَلَا نَقَعَهُ .

(١) الصهوة : ظهر الفرس . والغارب : كاهل الجمل .

(٢) بنات جدیل : النوق الكريمة تنسب الى أبيها جدیل وهو جمل كريم كان للنعمان بن المنذر .

(٣) يريد بابن زاجر : الغراب .

(٤) القرا : الظهر . يريد الناقة .

(٥) البرى : جمع برة ، وهى حلقة صغيرة تكون فى أنف البعير لربط الخطام أحيانا .

(٦) التأويب : السير جميع النهار . والسرى : السير بالليل .

(٧) النوى : الفراق .

(٨) مضى عليه حول .

(٩) متغير .

(١٠) ابل الميرة .

(١١) شربت ولم ترو .

(١٢) مجرى الماء بين جبليين .

(١٣) أبو براقش : طائر ذو ألوان .

(ب) النثر العلمى

لابن شرف القيروانى^(١) فى كتابه أعلام الكلام

قال أبو عبد الله بن شرف القيروانى :

هذه أحاديثُ صَغَتْهَا مَخْتَلِفَةُ الْأَنْوَاعِ ، مُؤْتَلَفَةٌ فِي الْأَسْمَاعِ ، عَرَبِيَّاتُ الْمَوَاشِمِ ،
عَرَبِيَّاتُ التَّرَاجِمِ ، وَاخْتَلَقَتْ فِيهَا أَخْبَاراً فَصِيحَاتُ الْكَلَامِ ، بَدِيعَاتُ النِّظَامِ ، لَهَا
مَقَاصِدُ ظُرَافٍ ، وَأَسَانِيدُ طُرَافٍ ، يَرُوقُ الصَّغِيرَ مَعْنَاهَا ، وَالْكَبِيرَ مَغْزَاهَا ،
وَعَزَوَتْهَا إِلَى أَبِي دَيَّانِ الصَّلْتِ بْنِ السَّكَنِ مِنْ سَلَامَانَ^(٢) ، وَكَانَ شَيْخاً هَمَّاً^(٣)
فِي اللِّسَانِ ، وَبَدْرَاتِمَّ فِي الْبَيَانِ . قَدْ بَقِيَ أَحْقَابًا . وَلَقِيَ أَعْقَابًا ، ثُمَّ أَلْقَتْهُ إِلَيْنَا مِنْ
بَادِيَةِ الْأَزْمَاتِ ، وَأَوْرَدَتْهُ عَلَيْنَا الْعَزَمَاتِ . فَاُمْتَحَنَّا^(٤) مِنْ عِلْمِهِ بِحِرَافَةٍ جَارِيَا ،
وَقَدَحْنَا مِنْ فَهْمِهِ زَنْدًا وَارِيَا ، وَأَدْرَنَّا مِنْ بَرِّهِ طُرْفًا ، وَاجْتَنَيْنَا مِنْ ثَمَرِهِ طُرْفًا .
وَنَحْنُ إِذْ ذَاكَ وَالشَّبَابُ مُقْتَبِلٌ . وَغَفْلَةُ الزَّمَانِ تَهْتَبِلُ^(٥) : وَاحْتَدَيْتُ فِيمَا ذَهَبَتْ
إِلَيْهِ ، وَوَقَعَ تَعْرِيفِي عَلَيْهِ ، مِنْ بَثِّ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ مَا رَأَيْتُ الْأَوَائِلَ قَدْ
وَضَعَتْهُ فِي كِتَابِ كَلِيلَةِ وَدَمْنَةٍ ، فَأَضَافُوا قَوْلَ الْحِكْمَةِ إِلَى الطَّيْرِ الْحَوَائِمِ ، وَنَطَقُوا
بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْوَحْشِ وَالْبَهَائِمِ لِتَتَعَلَّقَ بِهِ شَهَوَاتُ الْأَحْدَاثِ ، وَتُسْتَعَذَّبُ بِسَمَرِهِ

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر المؤلف أبو عبد الله محمد بن أحمد شرف الجدامى القيروانى .
كان قرين ابن رشيقي في خدمة المعز بن باديس ومناذمته . وكانت بينهما منافسة شديدة زالت
بعد موت المعز . فارتحل ابن شرف الى الأندلس زمن ملوك الطوائف ، ومات بها . وتوفي سنة ٤٦٠ هـ
وابن شرف شعر رقيق وهجاء موجه ومدح بليغ ووصف بديع ، ويشوب شعره مزاج من البديع
وخاصة الجناس .

(٢) سلامان : بطن من طيء وهم سلامان بن ثعل بن القوث بن طيء .

(٣) الهم : الشيخ الكبير الفانى ، يريد كبيراً في فصاحة اللسان .

(٤) امتتح الماء : نزعه من بشر ونحوه .

(٥) تهتبيل : تفتنم .

ألفاظُ الحُدَّاث . وقد نحا هذا النحوَ سهلُ بنُ هارون الكاتب في تأليفه كتاب النمر والثعلب ، وهو مشهور الحكايات بديعُ المراسلات ، مليحُ المكاتبات . وزوَر أيضاً بديعُ الزمان ، الحافظُ الهمداني . وهو الأستاذُ أبو الفضل أحمد بن الحسين ، مقامات كان يُنشئُها بديعاً في أواخر مجالسه ، وينسبُها إلى راوية رواها له يُسميه عيسى ابن هشام . وزعم أنه حدَّثه بها عن بليغ يُسميه أبا الفتح الاسكندري . وعددها فيما يزعم رُواتها أربعمائة مقامة ؛ إلا أنها لم تصل هذه العدة إلينا . وهي متضمنة معاني مختلفة ، ومبينة على مباني شتى غير مؤتلفة ، لينتفع بها من الكتاب والمحاضرين من صرَفها من هزل إلى جد . ومن ندَّ إلى ضد . فأقت من هذا النحو عشرين حديثاً ، أرجو أن تبين فضلها ، ولا تقصر عما قبلها . ولعمري ما أشكرُ من نفسى ولا أثنى على شيء من حسي ، إلا ظفري بالأقل مما حاولته ، على ما أضرمته نيرانُ الغربة من قلبي ، وثكمته صعقاتُ الفتنه من لُبي . وقطعت أهوالُ البرِّ والبحر من خواطري ، وأضعفت الوحشة والوحدة من غرائزي وبصائري ، لكنَّ نيَّة القاصد وسعة المقصود . أعانا ذا الوُدِّ على إتحاف المودود . والله أسألُ توفيقاً . ينهج لنا إلى الرشد طريقاً .

(ج) الشعر

(١) على بن محمد الإيادي

من شعراء الفاطميين وهم بالمغرب يصف أسطول القائم الفاطمي قال :

اعْجَبَ لِأَسْطُولِ الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ وَلِحُسْنِهِ وَزَمَانِهِ الْمُسْتَعْرَبِ
لَبِستَ به الأمواجُ أحسنَ منظر يَبْدُو لَعَيْنِ النَّازِرِ الْمُسْتَعْجِبِ
مِنْ كُلِّ مُشْرِفَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُتَنَصِّبِ (١)
دهاءُ قد لبستَ ثيابَ تصنع تسبي العقولَ على ثيابِ ترهب (٢)
مِنْ كُلِّ أبيضَ فِي الهَوَاءِ مُنْشَرٍّ وَأَسْحَمَ فِي الْخَلِيجِ مُغَيَّبِ (٣)
مُخْفَوَةٌ بِمَجَادِفٍ مَصْفُوفَةٍ فِي الْجَانِبَيْنِ دُوَيْنَ صُلْبِ صُلْبِ (٤)
كَقَوَادِمِ النَّسْرِ الْمُرْفَرِفِ عُرِّيَتْ مِنْ كَاسِيَاتِ رِيَاشِهِ الْمُتَهَدَّبِ (٥)
وَتَحْمُهَا أَيْدَى الرِّجَالِ إِذَا وَنَتْ بِمُصْعَدٍ مِنْهَا بُعِيدَ مُصَوَّبِ

(١) الأجدل : الصقر .

(٢) ثياب تصنع : هي النقوش المصطنعة ، وثياب الترهيب هي طلاء القار الأسود عليها من أسفل
لأن الرهبان يلبسون سود الثياب .

(٣) يريد بالأبيض المنشر : القلع .

(٤) الصلب : الظهر والتمن . والصلب بتشديد اللام كسكر : القوى الشديد .

(٥) شبه المجاديف المرسوفة بقوادم النسار .

خَرَقَاهُ تَذْهَبُ إِنْ يَدُهُ لَمْ تَهْدِهَا فِي كُلِّ أَوْبٍ لِلرَّيَّاحِ وَمَذْهَبُ
جَوْفَاءُ تَحْمِلُ كَوَكْبًا فِي جَوْفِهَا يَوْمَ الرَّهَانِ ، وَتَسْتَقِلُّ بِمَوْكَبِ
وَلَهَا جَنَاحٌ يَسْتَعَارُ لَطِيرِهَا طَوَعَ الرِّيحَ وَرَاحَةَ التَّطَرَّبِ
يَعْلُو بِهَا حَدَبَ الْعُبابِ مُطَارَةً فِي كُلِّ لُجٍّ زَاخِرٍ مُغْلُولِ
تَسْمُو بِأَجْرَدٍ فِي الْهَوَاءِ مُتَوَجِّجَ عُرْيَانٍ مَنَسُوجِ الذُّوَابَةِ شَوْذِبِ^(١)
يَتَرَكُّ الْمَلَّاحُ مِنْهُ ذُبَابَةً لَوْ رَامَ يَرْكَبُهَا الْقَطَا لَمْ يَرْكَبِ
فَكَأَنَّمَا رَامَ اسْتِرَاقَةً مَقْعِدِ لِلسَّمْعِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُشْهَبِ
وَكَأَنَّمَا جَنُّ ابْنِ دَاوُدَ هُمُ رَكِبُوا جَوَانِبَهَا بِأَعْنَفِ مَرْكَبِ
سَجَرُوا جَوَانِبَ نَارِهَا ، فَتَقَازَفُوا مِنْهَا بِاللُّسَنِ مَارِجٍ مُتَلَهَّبِ
مِنْ كُلِّ مَسْجُونٍ الْحَرِيقِ إِذَا أَنْزَرَى مِنْ سِجْنِهِ أَنْصَلَتْ أَنْصَلَاتِ الْكَوَكَبِ^(٢)
عُرْيَانٌ يَقْدُمُهُ الدُّخَانُ كَأَنَّهُ صُبْحٌ يَكُرُّ عَلَى الظَّلَامِ الْغَيْبِ
وَلَوَاحِقِ مِثْلِ الْأَهْلَةِ جُنَحِ لَحَقَ الْمُطَالِبُ فَائِتَاتِ الْمَهْرَبِ
يَذْهَبْنَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لَطَافَةً وَيَجْنُ فِعْلَ الطَّائِرِ الْمُتَغَلَّبِ
كَمَضَائِزِ الْحَيَّاتِ رُحْنٍ لَوَاعِبَا حَتَّى يَقَعْنَ بِبِرْكٍ مَاءِ الْمِيزَبِ
شَرَجُوا جَوَانِبَهَا مَجَادِفَ أُتْعِبَتْ شَاوُ الرِّيحَ لَهَا ، وَلَمَّا تَتَعَبِ
تَنْصَاعُ مِنْ كَثَبٍ كَمَا نَفَرَ الْقَطَا طَوْرًا ، وَتَجْتَمِعُ اجْتِمَاعَ الرَّبْرِ

(١) الشوذب الطويل الحسن الخلق أو الصنع : يريد به الصارى والدقل في أعلاه برج صغير

يجلس فيه ملاح يرقب البحر من أعلى المركب .

(٢) كانوا يرمون بقدرور وقناني من الزجاج والفخار بها سائل من نפט ومواد ملتهبة يقذفون بها

مراكب العدو وهى النار الاغريقية التى جهل الآن تركيبها .

وَالْبَحْرُ يَجْمَعُ بَيْنَهَا فَكَأَنَّهُ لَيْلٌ يُقَرِّبُ عَقْرَبًا مِنْ عَقْرَبٍ
وَعَلَى كَوَاكِبِهَا أَسْوَدُ خِلَافَةٍ تَحْتَالُ فِي عُودِ السِّلَاحِ الْمُرْهَبِ
فَكَأَنَّمَا الْبَحْرُ اسْتَعَارَ بَزِيَّتَهُمْ ثَوْبَ الْجَمَالِ مِنَ الرَّبِيعِ الْمَذْهَبِ

(٢) إبراهيم الرقيق بن القاسم القيرواني^(١)

قال يتشوق إلى مصر ومعهده بها . وكان رحل إليها بهدية من باديس بن زيري
إلى الحاكم بأمر الله الفاطمي :

هَلِ الرِّيحُ إِنْ سَارَتْ مُشْرِقَةً تَسْرِي تُوَدِّي تَحِيَّاتٍ إِلَى سَاكِنِي مِصْرَ
فَمَا خَطَرَتْ إِلَّا بَكَيتُ صَبَابَةً وَحَمَلْتُهَا مَاضِقًا عَنْ حَمْلِهِ صَدْرِي
تَرَانِي إِذَا هَبَّتْ قَبُولًا بَشَرَهُمْ شِمِمْتُ نَسِيمَ الْمِسْكِ فِي ذَلِكَ النَّشْرِ
وَإِنْ أُنْسَ مِنْ شَيْءٍ سِوَى الْعَهْدِ دُونَهُ فَلَيْسَ بِخَالٍ مِنْ ضَمِيرِي وَمِنْ فِكْرِي
لَيَالٍ أَنْسَنَاهَا عَلَى غِرَّةِ الصَّبَا فَطَابَتْ لَنَا إِذْ وَافَقَتْ غِرَّةَ الدَّهْرِ
لَعَمْرِي لَنْ كَانَتْ قِصَارًا أَعْدُّهَا فَلَسْتُ بِمُعْتَدٍّ سِوَاهَا مِنْ الْعُمَرِ
أَخَادِعُ دَهْرِي أَنْ يُعَوِّدَ بِفُرْصَةٍ فَيَنْقِذَ رُوحَ الْوَصْلِ مِنْ رَاحَةِ الْهَجْرِ
وَتَرْجِعُ أَيَّامٌ خَلَتْ بِمَعَاهِدٍ مِنْ اللَّهْوِ لَا تَنْفَكُ مِنِّي عَلَى ذِكْرِ
فَكَمْ لِي بِالْأَهْرَامِ أَوْ دَيْرِ نَهْيَةٍ مَصَايِدُ غَزْلَانِ الْمَكَائِدِ وَالْقَفْرِ^(٢)

(١) هو إبراهيم بن القاسم الملقب بالرقيق شاعر رقيق الشعر أديب مؤرخ . وكان يتكسب بالكتابة في دواوين القيروان . وله كتب منها تاريخ افريقية أثنى عليه ياقوت وتوفي سنة ٤٠٠ هـ .

(٢) دير نهية كان على مقربة من بولاق التكرور ، وليس بها دير الآن . ويريد بغزلان المكايد الجوارى الحسان ، وغزلان القفر ما يصاد في بادية الهرم .

إلى الجيزة الدنيا وما قد تَضَمَّنَتْ جَزِيرَتُهَا ذاتُ النواعير والجسر
وبالْمَقْسِ والبُستَانِ للعَيْنِ مَنْظَرُهُ أُنِيقُ إلى شاطئِ الخليجِ إلى القَصْرِ (١)
وفي سَرْدُوسٍ مُسْتَرَادٍّ وَمَلْعَبٍ إلى دَيْرٍ مَرَحَنًا إلى ساحِلِ الْبَحْرِ (٢)
وكمْ يَبْنِي بُسْتَانِ الْأَمِيرِ وَقَصْرِهِ إلى الْبِرْكَةِ الزَّهْرَاءِ مِنْ زَهْرٍ نَضْرٍ
تَرَاهَا كَمَا بَدَتْ فِي رَفَارِفِ مِنَ السُّنْدُسِ الْمَوْشَى يُنْشَرُ لِلتَّجْرِ

(٣) أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني (٣)

قال يتغزل :

أَمَا وَمَحَلِّ حُبِّكَ مِنْ فُؤَادِي وَقَدَّرَ مَكَانَهُ فِيهِ الْمَكِينِ
لَوْ أَنْبَسَطْتُ لِي الْأَمَالُ حَتَّى تُصَيِّرَ مِنْ عِنَانِكَ فِي يَمِينِي
لَصُنْتُكَ فِي مَكَانٍ سَوَادٍ عَيْنِي وَخِطْتُ عَلَيْكَ مِنْ حَذَرٍ جُفُونِي
فَأَبْلُغُ مِنْكَ غَايَاتِ الْأَمَانِي وَأَمِنْ فِيكَ آفَاتِ الظُّنُونِ
فَلِي نَفْسٌ تَجَرَّعُ كُلَّ حِينٍ عَلَيْكَ بِهِنَّ كَاسَاتِ الْمُنُونِ (٤)
إِذَا أُمِنْتُ قُلُوبَ النَّاسِ خَافَتْ عَلَيْكَ خَفِيَ الْخَاطِ الْعُيُونِ

(١) المقس موضعه الآن : مسجد أولاد عنان . ويريد بالبستان : البستان الكافوري كان على الخليج غربى القاهرة . ويريد بالقصر القصر الكبير . وموضعه الآن المسجد الحسينى وخان الخليلى وخان جعفر وبيت القاضي الى جهة قصر الشوق .

(٢) سردوس : خليج من خلجان سبعة كانت فى الوجه البحرى . وكان يتفرع من النيل شمالى القاهرة .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى التميمى امام العربية والادب بالقيروان وصاحب المعجم العظيم المسمى بالجامع فى اللغة . رتبته على حروف المعجم : وكان أدبياً كاتباً شاعراً رفيق الشعر . مات بالقيروان سنة ٤١٢ هـ . وقد قارب التسعين .

(٤) بهن أى بآفات الظنون .

وقال :

أَضْمِرُوا لِي وَدًّا وَلَا تَظْهَرُوهُ
يُهْدِيهِ مِنْكُمْ إِلَى الضَّمِيرِ
مَا أَبَالِي إِذَا بَلَغْتُ رِضَاكُمْ
فِي هَوَاكُمْ لَا يُّ حَالٍ أَصِيرُ

(٤) إبراهيم بن علي الحصري القيرواني^(١)

قال :

يَا هَلْ بَكَيتُ كَمَا بَكَتْ
وَرُقُّ الْحَمَامِ فِي الْغُصُونِ
هَتَفَتْ سَحَابًا وَالرُّبَا
لِلْقَطْرِ رَافِعَةً الْجُفُونِ
فَكُنَّا صَاغَتِ عَلَى
شَجْوَى شَجَا تِلْكَ اللَّحُونِ

وقال :

كَتَمْتُ هَوَاكَ حَتَّى عِيلَ صَبْرِي
وَأَدْنَيْتَنِي مُكَاتَمَتِي لِرَمْسِي
وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى إِخْفَاءِ حَالِي
يَحُولُ بِهَا الْأَسَى دُونَ النَّاسِي
وَحُبُّكَ مَالِكٌ لِحَظِّي وَلَفْظِي
وَإِظْهَارِي وَإِضْمَارِي وَحِسِّي
فَإِنْ أَنْطَقَ فَفِيكَ جَمِيعُ نَطْقِي
وَإِنْ أَسْكُتَ فَفِيكَ حَدِيثُ نَفْسِي

(٥) ابن رشيق القيرواني^(٢)

قال :

أَحِبُّ أَخِي وَإِنْ أَعْرَضْتُ عَنْهُ
وَقَلَّ عَلَى مَسَامِعِهِ كَلَامِي
وَلِي فِي وَجْهِهِ تَقْطِيبٌ رَاضٍ
كَمَا قَطَّبْتُ فِي وَجْهِ الْمُدَامِ

(١) صاحب كتاب زهر الآداب وغيره المتوفى سنة ٤٥٣ هـ .

(٢) هو الحسن بن رشيق من موالى الأزد . كان أبوه مملوكا روميا صائغا ، فتعلم ابنه الأدب والكتابة والشعر وعلومه ، وألف فيه كتاب العمدة الذي لم يؤلف المتقدمون مثله في نقد الشعر وكان من كتاب المعز ابن باديس الصنهاجي خليفة الفاطميين على أفريقية ومن خيرة شعرائه وينافسه في كل صناعته ابن شرف . توفي ابن رشيق بجزيرة صقلية سنة ٤٥٥ هـ . بمدينة مازر آخر مدن المسلمين بها .

وَرُبَّ تَجَهُّمٍ مِنْ غَيْرِ بُغْضٍ وَضِغْنٍ كَامِنٍ تَحْتَ ابْتِسَامٍ
وله أيضا :

مَنْ جَفَانِي فَإِنِّي غَيْرُ جَافٍ صَلَةٌ أَوْ قَطِيعَةٌ فِي عَفَافٍ
رُبَّمَا هَاجَرَ الْفَتَى مَنْ يُصَافِيهِ وَلَاقَى بِالْبَشْرِ مَنْ لَا يُصَافِي
وقال :

وَمِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ عِنْدِي لَيْلَةٌ مِنْ الْعُمُرِ لَمْ تَتْرُكْ لَأَيَّامِهَا ذَنْبًا
خَلَوْنَا بِهَا نَنْفِي الْقَذَى عَنْ عُيُونِنَا بِلَوْلُؤَةٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا سَكَبًا^(١)
وله أيضا :

فِي النَّاسِ مَنْ لَا يُرْتَجَى نَفْعُهُ إِلَّا إِذَا مُسَّ بِاضْرَارٍ
كَالْعُودِ لَا تَطْمَعُ فِي طَيِّبِهِ إِنْ أَنْتَ لَمْ تَمْسَسْهُ بِالنَّارِ
وقال :

وَلَوْ غَيْرُكَ الْمَرْسُومُ عِنْدِي بِرِيَّةٌ لَا أُعْطِيَتْ فِيهِ مُدَعَى الْقَوْمِ مَا ادَّعَى
فَلَا تَتَخَاَلَجَكَ الظُّنُونُ فَإِنَّهَا مَا تَمُّوا وَاتْرُكُوا لِلصَّنَائِعِ مَوْضِعًا
فَوَاللَّهِ مَا طَوَّلْتُ بِاللَّوْمِ فِيكُمْ لِسَانًا وَلَا عَرَّضْتُ لِلذَّمِّ مَسْمَعًا
وَلَا مِلْتُ عَنْكُمْ بِالْوَدَادِ وَلَا انْطَوْتُ حِبَالِي وَلَا وَلَّى ثَنَائِي مُودِّعًا
بَلَى رُبَّمَا أَكْرَمْتُ نَفْسِي فَلَمْ تَهِنْ وَأَجْلَلْتُهَا عَنْ أَنْ تَذِلَّ وَتَخْضَعَا
فَبَايَنْتُ لَا أَنَّ الْعَدَاوَةَ بَايَنْتُ وَقَاطَعْتُ لَا أَنَّ الْوَفَاءَ تَقَطَّعَا

(١) بلؤلؤة الخ يريد بكأس مملوءة خمرًا .

(٦) ابن شرف القيرواني^(١)

من قوله :

إِنْ تَدْعُكَ الْغُرْبَةُ فِي مَعَثَرٍ قَدْ جَبَلَ الطَّبَعُ عَلَى بُغْضِهِمْ
فَدَارِهِمْ مَا دُمْتَ فِي دَارِهِمْ وَأَرْضِهِمْ مَا دُمْتَ فِي أَرْضِهِمْ

وقوله :

احْذَرِ مُحَاسِنَ أَوْجُهٍ فَقَدَتْ حَمَا سِنَّ أَنْفُسٍ، وَلَوْ أَنَّهَا أَقْمَارُ
سُرُجٍ تَلُوحُ إِذَا نَظَرْتَ فِيهَا نُورٌ يُضِيءُ وَإِنْ مَسَسْتَ فَنَارُ

وقوله في العود :

سَقَى اللَّهُ أَرْضًا أَنْبَتَتْ عَوْدَكَ الَّذِي زَكَتْ مِنْهُ أَغْصَانٌ، وَطَابَتْ مَغَارِسُ
تَغْنَى عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَالْعُودُ أَخْضَرُ وَغَنَّتْ عَلَيْهِ الْغَيْدُ، وَالْعُودُ يَابَسُ

وقوله :

لَا تَسْأَلِ النَّاسَ وَالْأَيَّامَ عَنْ خَيْرٍ هُمَا يَبْثَانِكَ الْأَخْبَارَ تَطْفِيلًا
وَلَا تُعَاتِبْ عَلَى نَقْصِ الطَّبَاعِ أَخَا فَإِنْ بَدَرَ السَّمَاءَ لَمْ يُعْطَ تَكْمِيلًا
لَا يُؤَيِّسَنَّكَ مِنْ أَمْرٍ تَصْعَبُهُ فَاللَّهُ قَدْ يُعْقِبُ التَّصْعِيبَ تَسْهِيلًا
بِعَ مَنْ جَفَاكَ وَلَا تَبْخُلْ بِسَلْعَتِهِ وَاطْلُبْ بِهِ بَدَلًا إِنْ رَامَ تَبْدِيلًا
وَصِيرِ الْأَرْضَ دَارًا وَالْوَرَى رَجُلًا حَتَّى تَرَى مُقْبِلًا فِي النَّاسِ مَقْبُولًا

وقوله :

يا ثاويًا في مَعَشَرٍ قد أَصْطَلَى بِنَارِهِمْ
 إِنْ تَبَكَ مِنْ شَرِّهِمْ على يَدَيَّ شِرَارِهِمْ
 أَوْ تُرْمَ مِنْ أَحْجَارِهِمْ وَأَنْتَ فِي أَحْجَارِهِمْ
 فما بَقِيَتْ جَارُهُمْ ففِي هَوَاهُمْ جَارِهِمْ
 وَأَرْضُهُمْ فِي أَرْضِهِمْ ودارهم في دارِهِمْ

(٧) عبد الجبار بن حمديس

قال يصف بركة يجري إليها الماء من شاذروان من أفواه طيور وزرافات وأسود من صفر ، منها ما يقذف الماء صعدا ، ومنها ما يحدره إلى أسفل ، ومنها ما يقطعه كرات وبنادق :

والماء منه سَبَائِكٌ مِنْ فِضَّةٍ ذَابَتْ عَلَى دُولَابٍ شَاذِرَوَانٍ^(٢)
 فَكَأَنَّمَا سَيْفٌ هُنَاكَ مُشْطَبٌ^(٣) أَلْقَتْهُ يَوْمَ الرَّوْعِ كَفُّ جَبَانٍ^(٣)
 كَمْ شَاخِصٍ فِيهِ يُطِيلُ تَعَجُّبًا مِنْ دَوْحَةٍ نَمَتَتْ مِنَ الْعِقْبَانِ^(٤)
 عَجَبًا لَهَا تَسْقِي هُنَاكَ يَنَائِعًا يَنْعَتُ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَالْأَغْصَانِ^(٥)

(١) هو أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن حمديس الأزدي الصقلي أحدوصافي الطبيعة والمصانع البديعة . نشأ بمدينة سرقوسة من صقلية في أواخر دولة العرب بها ولما ملكها رجار النرماندي هاجر منها إلى الأندلس وغيرها حتى مات بجزيرة ميورقة سنة ٢٥٧ هـ .

(٢) الشاذروان : كلمة معربة ومعناه كل ما خرج قليلا من جدار أو نصب عما فوقه من بقية البناء أو النصب أو ما كان كمصاطب الفوارات أو قصاعها كالرفرف وهو المراد هنا .

(٣) شبه الماء النازل من الثقوب منحنيًا بالسيوف .

(٤) العقيان : الذهب .

(٥) الينائع : جمع ينيعة .

خُصَّتْ بِطَائِرَةٍ عَلَى فَنَنِ لَهَا حَسُنْتَ فَأَفْرَدَ حَسَنَهَا مِنْ ثَنَانٍ
قُسُّ الطُّيُورِ السَّاجِعَاتِ بِلَاغَةً وَفَصَاحَةٍ مِنْ مَنْطِقٍ وَبَيَانٍ^(١)
فَإِذَا أُتِيحَ لَهَا الْكَلَامُ تَكَلَّمَتْ بِخَرِيرِ مَاءٍ دَائِمٍ الْهَمَلَانِ
وَكَأَنَّ صَانِعَهَا أُسْتَبَدَّ بِصُنْعَةٍ فَخَرَّ الْجَمَادُ بِهَا عَلَى الْحَيَوَانِ
أَوْفَتْ عَلَى حَوْضٍ لَهَا فَكَأَنَّهَا مِنْهَا إِلَى الْعَجَبِ الْعُجَابِ رَوَانِي
وَكَأَنَّهَا ظَنَّتْ حَلَاوَةَ مَائِهَا شَهْدًا فَذَاقَتْهُ بِكُلِّ لِسَانِ
وَزَرَافَةٍ فِي الْجَوِّ مِنْ أَنْبُوبِهَا مَا يُرِيكَ الْجَرَى فِي الطُّيَرَانِ
مَرَّ كَوْزَةٍ كَالرُّمَحِ حَيْثُ تَرَى لَهُ مِنْ طَعْنِهِ الْخَلْقَ أَنْعَافَ سِنَانٍ^(٢)
وَكَأَنَّمَا تَرَى السَّمَاءَ يَبْدُقُ مُسْتَنْبَطٍ مِنْ لَوْلُؤٍ وَجْهَانِ
لَوْ عَادَ ذَلِكَ الْمَاءُ نَفْطًا أُحْرِقَتْ فِي الْجَوِّ مِنْهُ قَمِيصَ كُلِّ عَنَانِ
فِي بَرَكَةٍ قَامَتْ عَلَى حَافَاتِهَا أَسَدٌ تَذِلُّ لِعِزَّةِ السُّلْطَانِ
نَزَعَتْ إِلَى ظُلْمِ النُّفُوسِ نَفُوسُهَا فَلِذَلِكَ انْزَعَتْ مِنَ الْأَبْدَانِ
وَكَأَنَّمَا الْحَيَّاتُ مِنْ أَفْوَاهِهَا يَطْرَحْنَ أَنْفُسَهُنَّ فِي غُدْرَانِ
وَكَأَنَّمَا الْحَيَّتَانِ إِذْ لَمْ تَخْشِهَا أَخَذَتْ مِنَ الْمَنْصُورِ عَهْدَ أَمَانٍ^(٣)

وقال يصف دارا بناها المعتمد بن عباد من أبيات :

ويا حَبْدًا دارَ قَضَى اللهُ أَنَّهَا يُجَدِّدُ فِيهَا كُلُّ عَزٍّ وَلَا يَبْلَى
وما هِيَ إِلَّا خِطَّةُ الْمَلِكِ الَّتِي يَحُطُّ إِلَيْهَا كُلُّ ذِي أَمَلٍ وَحَلَا

(١) كان الماء اذا خرج من فيها ظهرت لها أصوات كهديل الحمام .

(٢) الخلق : الدروع .

(٣) الحيتان : سمك البركة .

إذا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا خِلَتْ أَنَّهَا تقول بترجيب لداخلها : أهلاً !
وقد نَقَلَتْ صُنَاعَهَا مِنْ صِفَاتِهِ إليها أَفَانِينًا ، فَأَحْسَنْتِ النُّقْلَ
فَمِنْ صَدْرِهِ رُحْبًا ، وَمِنْ نَوْرِهِ سَنَى ومن صِيَتِهِ فِرْعًا ، وَمِنْ حُلْمِهِ أَصْلًا
فَأَعْلَتْ بِهِ فِي رُتْبَةِ الْمُلْكِ نَادِيًا وقلَّ له فوق السماكين أَنْ يُعْلَى
نَسِيتُ بِهِ إِيوَانَ كَسْرَى لِأَنِّي أراه إله مَوْلى مِنَ الْحَسَنِ لَا مِثْلًا
تَرَى الشَّمْسَ فِيهِ لَيْقَةً تَسْتَمِدُّهَا أَكْفُ أَقَامَتْ مِنْ تَصَاوِيرِهَا شَكْلًا^(١)
لَهَا حَرَكَاتٌ أُوْدَعَتْ فِي سُكُونِهَا فَمَا تَبِعَتْ مِنْ نَقْلِهِنَّ يَدٌ رَجُلًا
وَلَمَّا عَشِينَا مِنْ تَوَقُّدِ نُورِهَا تَحِذُنَا سَنَاهُ فِي نَوَاطِرِنَا كُحْلًا

(١) الليقة : القطنه ونحوها توضع في الدواة •

تم بعون الله تعالى وتوفيقه طبع هذا الكتاب في ١٦ صفر سنة ١٣٧٣ هـ
(الموافق ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٥٣) بمطابع دار الكتاب العربي بمصر
لصاحبها ومديرها محمد حلمى المنياوى

وزارة المعارف العمومية

المنتخب من أدب العرب

جمعه وشرحه

أحمد الإسكندري أحمد أمين بك علي الجارم بك

عبد العزيز البشري الدكتور أحمد ضيف

الجزء الرابع

للسنة الرابعة الثانوية

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٤٤

فهرس

العصر الجاهلي

الشعر

صفحة

امرؤ القيس :

- ١ من معلقته التي مطلعها : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
٨ من قصيدته التي مطلعها : ألا انعم صباحاً أيها الطلل البالي
١١ من مأثور قوله

زهير بن أبي سلمى :

- ١٢ من معلقته التي مطلعها : أمن أم أوفى دمنة لم تكلم

عمرو بن كثوم :

- ١٧ من معلقته التي مطلعها : ألا هي بصحنك فاصبحينا
٢١ ومنها يفخر بقومه

عنتر بن عمرو بن شداد العبسي :

- ٢٢ من معلقته التي مطلعها : هل غادر الشعراء من متردم

ليبد بن ربيعة :

- ٢٨ من معلقته التي مطلعها : عفت الديار محلها فقامها

الناطقة الذبياني :

- ٣٤ من قصيدته التي مطلعها : كاني لهم يا أمية ناصب
٣٨ قال يمدح النعمان ويعتذر إليه

أعشى قيس :

- ٤١ قصيدته التي مطلعها : ودع هريرة إن الركب مرتحل

طرفة بن العبد :

- قصيدته التي مطلعها : لخولة أطلال بركة محمد ... ٤٨
ومن قصيدة يقول فيها : سائلوا عنا الذي يعرفنا ... ٥٥

الحارث بن حلزة :

- من معلقته التي مطلعها : آذنتنا بيننا أسماء ... ٥٨
وقال أيضا من قصيدة يفتخر ... ٦١

دريد بن الصنمة :

- قال في رثاء أخيه : أرث جديد الحبل من أم معبد ... ٦٢

علقمة بن عبدة التيمي :

- من قصيدته التي مطلعها : طحا بك قلب في الحسان طروب ... ٦٦

سلامة بن جندل السعدي التيمي :

- قال : أوردى الشباب حمدا ذوالنواجيب ... ٦٨

عبد يغوث الحارثي :

- من قصيدته : ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا ... ٧١

ذوالإصبع العدواني :

- من قصيدته : لي ابن عم على ما كان من خلق ... ٧٣

عبيد بن الأبرص :

- قال من بانيته المشهورة التي أولها : أقصر من أهله ملحوب ... ٧٥

الأخوه الأوسى ... ٧٦

عصر صدر الإسلام وبني أمية

- (١) آيات من القرآن الكريم ... ٧٧

- آيات من القرآن الكريم جارية مجرى الأمثال ... ٨٦

(ب) الشعر :

كعب بن زهير :

٩١ ... قال من قصيدته : بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

قتيلة بنت النضر :

٩٢ ... قالت تبكي أخاها : يارا كبا إن الأثيل مظنة

أمية بن أبي الصلت .

٩٣ ... قال يعتب على ابن له

كعب بن مالك :

٩٤ ... من قصيدته : عجيب لأمر الله والله قادر

مالك بن الريب التميمي :

٩٦ ... من قصيدة يذكر مرضه وغرته : ألا ليت شعري هل أبيت ليلة

أعشى باهله :

١٠٠ ... رائيته التي يرثي بها أخاه

الحنساء :

١٠٤ ... قالت ترثي أخاها صحرا

حسان بن ثابت :

١٠٧ ... قال يذكر الحارث بن هشام وهزيمته يوم بدر

١٠٩ ... وقال يمدح عمرأ بن الحارث الغساني وقومه

١١١ ... وقال يوم فتح مكة

الخطيئة :

١١٣ ... قال : وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمل

١١٥ ... وقال يمدح بغيض بن عامر

١١٧ ... وقال يهجو الزبرقان بن بدر

الأخطل :

١١٩ ... قال يمدح عبد الملك بن مروان : خف القطين

١٢٣ ... وقال يفضل الفرزدق على جرير

الفوزدق :

- قال يذكر تفضيل الأخطل إياه على الشعراء ويمدح بني تغلب ويهجو جريرا ... ١٢٦
وقال يمدح سعيد بن العاص ... ١٢٩
وقال يهجو جريرا : أن الذي سمك السماء بني لنا ... ١٣٢
وقال يصف ذئبا صادفه أثناء سفره فأطعمه من زاده ... ١٣٧

بحرير :

- قال يرثي زوجته خالدة بنت سعد ... ١٣٩
وقال يجيب الفوزدق عن قصيدته التي مطلعها : إن الذي سمك السماء ... ١٤١
وقال يمدح عبد الملك بن مروان : أتصحو أم قوادك غير صاح ... ١٤٥

عبيد الله بن قيس الرقيات :

- قال يمدح عبد العزيز بن مروان : لم يصح هذا القواد من طربه ... ١٤٧
وقال من قصيدة يمدح مصعب بن الزبير : حبذا العيش حين قومي جميع ... ١٥٠
وقال يمدح عبد الملك بن مروان : عادله من كثيرة الطرب ... ١٥٢

قطرى بن الفجاءة :

- قال في الحماسة : لا يركن أحد إلى الأجمام ... ١٥٣
وقال من قصيدته : أقول لها وقد طارت شعاعا ... ١٥٤

عمران بن حطان (أحد شعراء الخوارج) :

- قال يخاطب روح بن زنباع لما دعاه لمقاتلة عبد الملك بن مروان ... ١٥٥
قال يخاطب زفر بن الحارث السكلابي ... ١٥٦
وقال يرثي أبا بلال مرداس بن أدية من الخوارج ... ١٥٧

الطرماح بن حكيم (من الخوارج) :

- قال من قصيدته : وإني لثقات بجواذى وقاذف ... ١٥٨

الكيت :

- قال في بني هاشم : طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ... ١٥٩

جميل بن معمر :

- قال : ألا ليت أيام الصفاء جديد ... ١٦٢

عمر بن أبي ربيعة :

- قال من قصيدة : قال لي صاحبي ليعلم ما بي ١٦٥
وقال » : ألم تسأل الأطلال والمتربعا ١٦٦
وقال » : ليت هذا أنجزتنا ما تعد ١٦٩
كثير عزة :

- من قصيدته : خليل هذا ربع عزة فاعقلا ١٧١

(ج) النثر :

من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم :

- كتب إلى هرقل ملك الروم ١٧٤
وكتب في صلح الحديبية بينه وبين قريش ١٧٤
خطبته يوم فتح مكة ١٧٥
ومن خطبته في حجة الوداع ١٧٦
ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام ١٧٨

نموذج من كلام أبي بكر الصديق :

- خطبته لما توفي الرسول عليه الصلاة والسلام واضطرب الناس ١٨١
خطبة له أخرى ١٨٢
خطبته يوم السقيفة ١٨٢
وصيته عند وفاته لعمر بن الخطاب ١٨٣
ما قاله في علته التي مات فيها ١٨٤

نبذة من كلام عائشة :

- قالت على قبر أبيها ١٨٥

من آثار عمر بن الخطاب :

- رسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري ١٨٥
وكتب إلى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما إليه ١٨٧

عثمان بن عفان :

- من خطبة له ١٨٨
كتابه إلى علي يستنجد به حين أحيط به ١٨٩

علي بن أبي طالب :

- خطبته لما وردت خيل معاوية الأنبار ... ١٨٩
 خطبته في استنفار الناس إلى أهل الشام ... ١٩٢
 وكتب إلى معاوية جواباً عن كتاب منه ... ١٩٣

معاوية :

- خطبته حين قدم المدينة عام الجماعة ... ١٩٤

زياد :

- خطبته البتراء ... ١٩٥

عبد الله بن الزبير :

- خطبته بعد أن قتل أخوه مصعب ... ١٩٨

قطري بن الفجاءة :

- خطبة له ... ١٩٩

الحجاج :

- من خطبة له حين ولي العراق ... ٢٠١

عبد الحميد بن يحيى :

- من رسائله التي أوصى بها الكتاب ... ٢٠٣

(د) طائفة من أمثال العرب في جاهليتها وإسلامها ... ٢٠٦

أبيات تجرى مجرى الأمثال ... ٢٠٩

العصر الجاهلي

الشعر

(١) لامرئ القيس من معلقته : (١)

قفأ نَبك من ذكركى حبيب ومَنْزِلِ بسِقط اللوى بين الدخولِ فحومِلِ (٢)

* * *

ولَيْلِ كموج البحرِ أرخى سُدولَه على بأنواعِ الهمومِ لِيَتَبَلَى (٣)

فَقُلْتُ له لِمَا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وأردفَ أعجازًا وناءً بكَكَلٍ : (٤)

ألا أيها اللَّيلُ الطويلُ ألا أنجلى بِصُبحٍ ، وما الإصباحُ منك بأمثلِ (٥)

(١) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي أشهر شعراء الجاهلية ، وأحد الأربعة المقدمين على غيرهم من شعرائها . وكان يعيش قبل الإسلام بنحو ثمانين سنة . وله ديوان شعر مشروح مطبوع ، منه هذه القصيدة اللامية إحدى القصائد العشر الشهيرة بالمعلقات .

(٢) قفا : فعل أمر للآتين ، يريد بهما صاحبيه على عادة الشعراء في مخاطبة الآتين ، ولو كان المراد واحدا . وسقط اللوى والدخول وحومل مواضع بنجد وفي سقط اللوى كان منزل محبوبته — يقول (عند ما مر بالمنزل الذى كانت حبيبته نازلة به قديما) : يا صاحبي قفا معي هنا وأسعداني بالبكاء ، لتذكرى العيش الذى قضيته مع حبيب عزيز على كان ينزل فى هذا المكان الذى بين الدخول وحومل الخ .

(٣) السدول : الستور جمع سدل ، ويتلى : يختبر ، أى ورب ليل كموج البحر فى كثافته وظلمته شملنى بأنواع الهموم ليختبرنى أأصبر أم أبجزع .

(٤) تمطى بصلبه : تمدد بوسطه . والأعجاز : جمع عجز ، وهى الأطراف . ومعنى أردف أعجازا : باعد أطرافه عن صلبه فطال من آخره . والكلكل : الصدر . ومعنى ناء . بكلكل : بعد بصدرة الى الأمام ، أى أن الليل طال عليه لقلقه وأرقه فى جميع أجزائه : أوله ووسطه وآخره ؛ فلم ينعم فى جزء منه .

(٥) انجلى بصبح : أى انكشف عن صبح . والياء للشد مثل الألف فى قوله تعالى ” سنقرئك فلا تنسى “ ثم راجع نفسه متحسرا فقال : وما الإصباح بأمثل منك ، أى وإذا جاء الصباح فليس بأفضل منك ، ولا يفرج من همومى ، فهومى دائماً ليلاً ونهاراً .

- (١) فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نَجْمَهُ . بِكُلِّ مُغَارٍ الْفَتْلُ شُدَّتْ يَذْبُلُ^(١)
كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِقَتْ فِي مَصَامِيهَا . بِأَمْرَاسٍ كَنَّانٍ إِلَى صَمٍّ جَنَدَلٍ^(٢)

*
* *

- (٣) وَقَدْ أَغْتَدَيْتَنِي ، وَالطَّيْرُ فِي وَكَنَاتِهَا . بِمُنْجَرِدٍ قَيْسِدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ^(٣)
مِكَرٍّ مَفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا . بِكُلْمُودٍ صَخْرِ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِيٍّ^(٤)

(١) ثم تعجب من طوله فقال (فيا لك من ليل) أى يا عجبا لك من ليل ، ومعنى قوله (بكل مغار الفتل) أى بكل جبل محكم الفتل متين . ويذبل جبل من جبال نجد . يعنى كأن نجوم هذا الليل لطوله ربطت بجبال مئنة بالجلبل المسمى يذبل ؛ فلا تترشح من مكانها .

(٢) الزيا : مجموع من كواكب صغيرة القدر متصام بعضها إلى بعض ، كأنها كفف إنسان أو عقود غيب . والمصام : الموقف . والأمراس : الجبال . (المعنى) وكان الزيا من نجومك — أيها الليل — قد علقت أيضا بجبال كنان مئنة الى جنادل وصخور صماء ؛ فهي لا تنقل أيضا من مكانها .

(٣) أغتدى : أبكر وأذهب غدوة ، أى قبيل طلوع الشمس . والوكنات : جمع وكنة وهى الموضع الذى يبيض فيه الطائر أو بيت فيه . والمنجرد : الأجرد الشعراى القصيره ، وذلك من محاسن الخيل . والأوابد : جمع أبد وهو الوحش النافر ، والهيكل : الطويل المرتفع (المعنى) يقول : وقد أخرج مبكرا قبل أن تنهض الطير من أوكارها راكبا فرسا أجرد ضخما كأنه فى سرعته قيد للوحوش لأنها لا تفلت ، لأنها واقفة مقيدة ، فيسهل على راكبه صيدها . وهذا التشبيه من أحسن تشبيهات امرئ القيس وقد أخذه عنه شعراء كثيرون .

(٤) مكر مفر : صفتان لهذا الفرس ، وهما بمعنى مقبل ومدبر . وقوله (معا) أى أن هاتين الصفتين اجتماعا له معا ؛ فهو يصلح للإقبال كما يصلح للإدبار ، فعنده هذا وهذا ، لا أن الكر والفر يقعان منه فى وقت واحد ؛ لأن ذلك محال عقلا ؛ ثم أنه شبه فى سرعته أيضا بجلمود من الصخر أسقطه السيل من مكان عال وفيه إشارة إلى صلابته .

- كَيْتَ يَزُلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَزَلِّ (١)
 عَلَى الذَّلِيلِ جَبَّاشٍ ، كَأَن أَهْتَرَامَهُ إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيهِ غَلِيٌّ مِرْجَلِ (٢)
 مَسَحَ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الْوَنَى أَثَرَنَ الْغُبَارَ بِالْكَدِيدِ الْمُرَكَّلِ (٣)
 يَزُلُّ الْغَلَامُ الْخُفَّ عَنْ صَمَوَاتِهِ وَيُلَوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثْقَلِ (٤)
 دَرِيرٍ نَحْذَرُوفٍ الْوَلِيدِ أَمْرَهُ تَابِعُ كَفَيْهِ بَخِيْطٍ مُوَصَّلِ (٥)

(١) الكيت : الفرس الأحمر الذي تميل حمرة إلى السواد . وحال متنه : وسط ظهره . والصفواء : الصخرة الملساء . والمنزل بصيغة اسم الفاعل : السيل أو المطر الذي ينزل الصخور ويمجرها إلى أسفل (المعنى) أنه فرس مكتمل اللحم ألمس الظهر ، ولما استهزل اللبد الذي يوضع على ظهره تحت السرج عن ظهره كما تنزل الصخرة الملساء إذا أنزلها السيل .

(٢) الذبل : الضمور . والجباش : الذي يجيش في عدوه كما تجيش القدر في غلباتها . والاهترام : شدة الصوت المتقطع ، يريد به صوت جوفه . وحمة : غليه وارتفاع حرارته . والمرجل : القدر الكبيرة (المعنى) أن هذا الفرس على ضموره متوقد النشاط ؛ كأنه في استرسال عدوه ، وتردد صهيله في صدره ، قدر تغلى ويجيش .

(٣) المسح : الذي يسح العدو صحا كالطر . والسابحات : الخيل التي تسبح في عدوها وتبسط أيديها كالسباح في الماء . والوني : الفتور . والكديد : الأرض اليابسة . والمركل : الذي تركله الخيل بأرجلها (المعنى) أن هذا الفرس عند ما تفر الخيل السابحات ، ويبطؤ سعيها حتى تثير الغبار - لا يفتروها ؛ بل يصب العدو صبا ، ولا يثير الغبار ؛ لأنه لنشاطه لا يلمس الأرض إلا بأطراف حوافره .

(٤) المعنى أن هذا الفرس إذا ركب الغلام الخفيف الجسم زل عن ظهره ، وإذا ركب العنيف الثقيل الجسم أطار ثيابه ؛ فلم يمالك أن يصلحها ؛ فلا يستطيع ركوبه إلا فارس ماهر لشدة قوته .

(٥) در الفرس : عدا عدوا شديدا سهلا فهو درير . والنذرورف : لعبة تلعب بها الصبيان ، وهي شطبة من خشب ونحوه يثقب وسطها ، ويدخل فيه خيط ، فيجر الصبي الخيط بيديه فتدور الشطبة دورانا شديدا يسمع له حفيف . وأمر الخيط : أحكم قتله . شبه الفرس في شدة عدوه بسرعة النذرورف في دورانه . ووصف الخيط بأنه موصل إشارة إلى أن اللاعب صبي كثير اللعب بالنذرورف حتى أن الخيط يتقطع فيصـله

- له أَيْطَلَا ظُبِي ، وساقا نَعَامَةٍ ، وإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ ، وتَقْرِيْبُ تُتْفَلٍ (١)
ضَايِعٍ إِذَا اسْتَدْبَرَتْهُ سَدَّ فَرْجَهُ بضَافٍ فَوَيْقِ الْأَرْضِ لَيْسَ بِأَعْرَلٍ (٢)
كَأَنَّ عَلَى الْمُتَنِينَ مِنْهُ إِذَا آتَى مَدَاكَ عُرُوسٍ ، أَوْ صَلَايَةَ حَنْظَلٍ (٣)
كَأَنَّ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ يَنْحَرُهُ عُصَارَةُ حَنَاءٍ يَسْبِي مُرَجَّلٍ (٤)
فَعَنَ لَنَا سِرْبُ كَأَنَّ نَعَاجَهُ عَدَارَى دَوَارٍ فِي مُلَاءٍ مُذِيلٍ (٥)
فَادْبَرْنَ كَالْجَزْعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَهُ بِجِيدٍ مُعِمٍّ فِي الْعَشِيرَةِ مُخْوِلٍ (٦)

(١) أَيْطَلَا الظبي ونحوه : خاصرتاه ، وخص الظبي لضمورا يطل به . والإرخاء : الجري الذي فيه مهولة . والسرحان : الذئب . والتنفل : ولد الثعلب . وتقريب الفرس في العدو : رفع يديه معا ووضعهما معا (المعنى) أن هذا الفرس فيه عدة محاسن ، فخاصرتاه ضامرتان ، وساقاه طويلتان صليتان . وهو في جريه الخفيف يشبه الذئب ، وفي الشديد يشبه الثعلب .

(٢) يقول إن هذا الفرس عظيم الصدر ، واسع الأضلاع ، ما يغب الذئب بحيث إذا نظرت إليه من خلفه رأيت ذنبه يسد الانقراج الذي بين نخذه ، وذنبه فوق الأرض ليس بقصير ولا طويلا فاحشا فيطأه الفرس برجليه ، وليس هذا الذئب بمعوج إلى جانب .

(٣) المتن : الظاهر — والمراد بالمتنين هنا جانبا ظهره — وانحى : وقف في ناحية من البيت . والمسدك : الحجر الذي يداك به الطيب أي يسحق . والصلاية : الصخرة الملساء . يدق بهال الحنظل (المعنى) أن هذا الفرس إذا وقف بجانب البيت غير مسرح رأيت ظهره باقا أملس كأنه مدالك العروس أو صلاية الحنظل ، وخص العروس لاهتمامها بأمر الطيب .

(٤) الهاديات : جمع هادية . وهن الأوائل والمتقدمات في السير من سرب الوحش . والمرجل : المسرح . (المعنى) أن هذا الفرس ياتى أوائل الوحش بله أو آخرها ، فعند ما يطعن أو يضربها راكبه يصيب رشاش دماؤها نحر هذا الفرس ، فيصبغه بالحجرة ، فكأن عصارة حناء صبغت منه شعرا شائبا مسرجا . ويفهم من هذا أن لبة هذا الفرس الكمية بيضاء .

(٥) عَنَ : ظهر . ودوار (فتح الدال) : اسم صنم كان بالجاهلية . والملاء : جمع ملاءة . والمذيل الذي لون ذيله أسود (المعنى) ظهر لنا سرب من بقر الوحش كأن نعاجه بنات أبكار يطفن حول دوار لابسات ملاءات سود الذبول : وذلك لأن بقر الوحش يرض الظهور سود القوائم .

(٦) الجزع : خرز فيه بياض وسواد ، والبياض في الوسط ، وكذلك بقر الوحش فإن قرونها وقوائمها سود . والجيد : العنق . والمعم المخول : الصبي الذي له أعمام وأخوال كرام ، فهو عزيز على أهله =

- فَأَلْحَقْنَا بِالْمَآدِيَّاتِ ، وَدُونَهُ جَوَّاحِرُهَا فِي صَرَّةٍ لَمْ تَزِيلْ (١)
- فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ دِرَاكًا ، وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فُيْغَسَلْ (٢)
- فَطَبَّلَ طُهَاءَ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مَنْضِجٍ صَفِيفٍ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعَجَّلٍ (٣)
- وَرُحْنَا يَكَادُ الطَّرْفُ يَقْصُرُ دُونَهُ ، مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تَسْقِلْ (٤)
- فَبَاتَ عَلَيْهِ سَرْجُهُ وَجَلَامُهُ وَبَاتَ بَعِينِي قَائِمًا غَيْرَ مُرْسَلٍ (٥)

= يقلدونه فلائذ الجزع (المعنى) أن هذا الفرس سبق سرب البقر، فردّها على أعقابها، فدارت حيرة، وكانت أشبه بقلادة جزع مختلفة الألوان فرق بين رزاتها بجوزات أخرى، وكانت هذه القلادة في عنق صبي كريم على أهله؛ فبذلك تكون رزاتها أجود وأصفى.

(١) الجواهر: المتخلفات. والصرة: الجماعة. وتزيل: أصله تزيل، أى لم تتفرق (المعنى) فألحقنا هذا الفرس بأوائل الوحش، وبقيت أواخرها لم تتفرق، يصفه بشدة العدو.

(٢) عادى: والى. المعنى ثم لما تفرقت البقر بعد ذلك عادى هذا الفرس عداء متواصلا بين ثور ونعجة، فأدركهما في طلق واحد ولم يعرق عرقا يعم جسده؛ حتى يصير كأنه غسل بماء. أى أنه دركهما وصادهما من غير مشقة.

(٣) الطهارة: جمع طاه وهو الطباخ. والصفيف من الشواء: ما صفف مرققا على الجمر. والقدير: ما طبخ في القدر (المعنى) فظل الطباخون يعالجون لحم الصيد، فمنهم من يشوى، ومنهم من يطبخ في القدر متعجلا. ورجح لفظ (قدير) على المجاورة أو على العطف على منضج؛ أى من بين منضج صفيف شواء. أو منضج قدير بالإضافة. فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه؛ بجر مثله.

(٤) الطرف: البصر. ورحنا: من الرواح أى الرجوع عشية. ويقصر: ينجح دون إدراك محاسنه. (المعنى) أننا بعد ما أدركنا العشى بقينا ننظر بأبصارنا إلى محاسن هذا الفرس؛ فلا يدرك البصر كل محاسنه جملة؛ فبينما ينجمه النظر إلى محاسن أعالي جسمه، إذا بحاسن أسفله تجذب النظر إليها؛ فلا يمكننا حصر النظر في شيء واحد من محاسنه.

(٥) المعنى فبت وقد بات عليه سرجه وجلامه، وبات بمراى عيني قائما غير مطلق؛ لأننا على سفر، فنحن على استعداد لركوبه في أى وقت وعند أى خطر. يصفه بالنشاط وعدم التعب ووصول اليوم بالغد في احتمال الركوب والعدو.

- أَصَاحُ تَرَى بَرْقًا أُرِيكَ وَمِضْهُ
كَلْعُ الْيَدَيْنِ فِي حَبِيٍّ مُكَلٍّ (١)
يُضَى سَنَاهُ، أَوْ مَصَابِيحُ رَاهِبٍ
أَمَالَ السَّلِيْطَ بِالذُّبَالِ الْمُفْتَلِّ (٢)
فَعَدْتُ لَهُ، وَصَحْبَتِي بَيْنَ ضَارِجٍ
وَيَنَّ الْعُذِيْبِ، بَعْدَ مَا مُتَمَلِّي (٣)
عَلَى قَطَنِ بِالشِّمِّ أَيْمَنُ صَوِيْهِ،
وَأَيْسَرُهُ عَلَى السَّتَارِ قَيْذْبَلِ (٤)
فَأَضْحَى يَسُحُّ الْمَاءَ حَوْلَ كُتَيْفَةٍ
يَكْبُّ عَلَى الْأَذْقَانِ دَوْحَ الْكَنْهَلِ (٥)
وَمَرَّ عَلَى الْقَنَانِ مِنْ نَفْيَانِهِ
فَأَنْزَلَ مِنْهُ الْعُصْمَ مِنْ كُلِّ مَزَلِ (٦)

(١) بعد أن فرغ من وصف الصيد والفرس أخذ في وصف الغيث وما يتعلق به فقال : (أصاح الخ) و(صاح) : ترخيم صاحي . والوميض : لمع البرق ونحوه . والحبي من السحاب : المتراكم بعضه على بعض كأنه يحبب لثقله . والمكل : الذي صار أعلاه كالإكليل وهو التاج . (المعنى) يا صاحبي أنت ترى البرق الذي أريك لمعه كلع يدَيْن وحركتهما السريعة . وهذا البرق يلمع في سحاب متراكم مكل .

(٢) المعنى كأن هذا البرق - حال كونه يضيء - لمع اليدين ، أو كأنه مصابيح راهب أمال السليط ، وهو الزيت يذبال المصابيح المقتل ، وهي الفتيلة ، وفي الكلام قلب . أي أمال الذبال بصب السليط . أو أن الباء بمعنى مع ، أي أمال السليط مع الفتيلة إلى جانب لتكون متغذية دائماً بالزيت ، فتكون أشد إضاءة .

(٣) صحبتي : أصحابي . وضارج والعذيب مكانان . (المعنى) قعسدت لذلك البرق أنظر من أين يحيى بالمطر ، وبأبعد ما تأملت أي ما أبعد ، يتعجب من بعد نظره .

(٤) قطن الستار ويذبل : أسماء جبال ، والشيم : النظر . والصوب : المطر (المعنى) أن مطر هذا البرق امتد في جهات مترامية ، فكان يمينه على جبل قطن ، وكان يساره على بجلي الستار فيذبل ، بحسب نظرنا وتقديرنا لأنه لا يرى هذه الجبال .

(٥) كتيبة : اسم أرض أو هضبة . والدوح : الشجر العظيم . والكنهل : شجر شائك (المعنى) فأضحى المطر يسح الماء حول كتيبة ويقلب سبله الأشجار العظيمة فيجعل عاليها سافلها .

(٦) القنان : اسم جبل . والنفيان هنا : ما يتطاير من رشاش الماء والسيل أو ما يشد عن معظمه (ومن) هنا : بمعنى الباء كقوله تعالى (ينظرون إليك من طرف خفي) . والعصم : الوعول ، واحداها عصم ، وهو ما كان في معصمه بياض يخالف لونه ، ومن شأن الوعول أنها تسكن الجبال ، ولا تكاد توجد في غيرها - (المعنى) ومر هذا المطر على جبل القنان برشاشه فأكره الوعول على النزول منه من كل ناحية .

- وَتِيمَاءُ لَمْ يَتْرُكْ بِهَا جِذَعَ نَخْلَةٍ وَلَا أَطْمًا إِلَّا مَشِيدًا بِجَنَادِلَ (١)
 كَانَ نَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبَلَهٍ كَبِيرُ أَنَاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ (٢)
 كَانَ ذُرَى رَأْسِ الْمُجِيمِرِ غُدُوَّةً مِنْ السَّيْلِ وَالْغَنَاءِ - فَلَكَّةُ مِغْزَلٍ (٣)
 وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الْغَيْطِ بَعَاةً نَزُولَ الْيَمَانِي ذِي الْعِيَابِ الْمُحْمَلِ (٤)
 كَانَتْ مُكَائِي الْجَوَاءِ غُدِيَّةً صَبِيحَنَ سُلَافًا مِنْ رَحِيقِ مُفْلَقِلٍ (٥)

(١) وتيماء : كانت من مدن اليهود قديماً في الجاهلية . وهي بين مدائن صالح وتبوك من طريق الشام إلى المدينة . وكان بها نخل كثير وقصور حصينة منها الأبلق الفرد . وتسمى العرب القصر العالي والحصن المرفوع أطماً (المعنى) أما تيماء فلم يترك بها سبل هذا المطر جذع نخلة لأنه أسقطها جميعاً ولم يترك بها بناء قائماً إلا إذا كان مشيداً بالجنادل والصخور العظيمة .

(٢) نبير : اسم جبل . والعرايين : جمع عرينين وهو : أول الشيء ومقدمه . الوبل : المطر الشديد الضخم القطر . والبجاد : الكساء المخطط . والتزميل : اللف في الثوب ، فالثوب مزمل به (المعنى) كأن هذا الجبل عند أوائل هذا المطر رجل كبير في بجاد مزمل به . وذلك أنه شسبه الجبل وقد غطاه الماء والغناء إلا رأسه الأسود بشيخ ملتف في كساء مخطط . وجرّ مزمل على المجاورة إذا كان صفة لكبير . أو هو مجرور على أنه صفة لبجاد على تقدير في بجاد مزمل به .

(٣) المجيمر : اسم جبل ، وذراه : أعلاه . والغناء : ما احتمله السبل من حطام النبات ونحوه ، وفلكة المغزل : الخشبة المستديرة في أعلاه كالقرص (المعنى) أن هذا المطر كشف ما على رأس المجيمر من التراب والنبات ، وأحاط سيله وغناء سيله بجوانبه على استدارة جعلت رأس المجيمر كأنه فلكة مغزل .

(٤) صحراء الغيط : من صحارى بلاد العرب ، وأصل الغيط : الأرض المنخفضة . والباع : الثقل والحمل . والمراد هنا السحاب المثلث بالماء . والعياب : جمع عيبة ، وهي : وعاء من جلد يحمل فيه الثياب ونحوها (المعنى) وألقى هذا المطر أثقاله بصحراء الغيط فأنبئت نباتاً حسناً . مختلفاً ألوانه وأزهاره ، فكان نزوله بها كنزول التاجر اليماني إذا جاء محملاً بعياب ثياب مختلفة الألوان والأصباغ ، ونشرها أمام الناس ترغيباً لهم في شرائها .

(٥) المكائي : جمع مكاء كرمان ، وهو طائر كثير الصفير . والجواء : البطن الواسع من الأرض . وصبحن : من الصبوح ، وهو الشرب صباحاً . والسلاف : أول ما يعصر من الخمر . والرحيق : صفوة الخمر . والمفلقل : الذي يلذع لذع الفلفل أو الذي وضع فيه الفلفل (المعنى) أن هذا المطر بعد ما نزل في هذا الوادي جعله روضة من النبات والزهر ، وأصبحت تغرد فيه الطيور مبتهجة كأنها شربت صباحاً وحين سلاف مفلقل فسكرت وطربت . .

كَانَ السَّبَاعَ فِيهِ غَرْقُ عَشِيَّةَ بِأَرْجَائِهِ الْقُصُوصَى أَنَا بَيْشُ عُنْصَلٍ (١)

وَلَهُ مِنْ قَصِيدَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

أَلَا أَنْعِمَ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَسَالِي وَهَلْ يَنْعَمَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْعَصْرِ الْخَالِي ؟ (٢)

*
* *

(١) السَّبَاع : جمع سبع ، وهو كل حيوان مفترس أسدا كان أو غيره . والأَرْجَاء : جمع رجا ، وهو الناحية . والعُنْصَل : بصل برى تختفى أصوله تحت الأرض فتنبش ، فهي بعد النبش أنا بيش ، جمع أنبوشة . أولا مفرد لها (المعنى) أن هذا المطر استحال في بعض الأودية سيلا عظيما أغرق السباع واحتملها طافية على وجه مائه بادية خراطيم رؤوسها وأطرافها ؛ كأنها أنا بيش عنصل .

(٢) عَم صَبَاحًا ، وَأَنْعَم صَبَاحًا : تحية الصباح في الجاهلية ، كقولهم : عَم ، وَأَنْعَم مساء : لتحية المساء ، وعَم ظالما : لتحية الليل . و(عَم) : فعل أمر من وعَم يَعِم كوزن يزن ، وَأَنْعَم صَبَاحًا : من النعمة والنعيم ، وهو عَمْنِي عَمَ أَيضًا . والطَّلَل : الشخص من الأشياء على وجه الأرض . والمراد هنا آثار دار المحبوبة الشاحصة . والبَالِي : المدارس الذي كادت معالمه تختفي . والعَصْر : لغة في العصر . والخَالِي : الماضي . (المعنى) أنه مَرَّ صَبَاحًا على دار كانت تنزلها محبوبته في العصر الماضي ، فشاهد ظللها المدارس فحياه بقوله : أَنْعَم صَبَاحًا الخ . ثم راجع نفسه ، وقال : كيف أدعو بالنعمة لشيء وجد منذ زمان طويل فقارقه أهله وبلى ، وفارقه النعمة بفراقهم .

وقد أغتدى ، والطير في وكثاتها
لغيت من الوشي رائده خال^(١)
تحاماه أطراف الرماح تحاميا
وجد عليه كل أشم هطال^(٢)
بِعَجْلَزَة قد أترز الجرى لحما
كُميت كأنها هراوة منوال^(٣)
ذعرت بها سربا تقيا جلوده ،
وأكرعه وشي البرود من الحال^(٤)
كان الصوار إذ تجاهدن غدوة
على جمزى - خيل تجول بأجلال^(٥)

(١) المراد بالغيت هنا : البقل والمرعى ، لأنه أثر الغيث ، وهو المطر . والوشي : أول مطر الربيع .
والرائد : من يبعثه أهله في طلب المرعى . وخال : أى خال بنفسه . (المعنى) وقد أبكر (والطير لم تزل جائمة
في أوكارها) لطلب الصيد في مرعى لم يجسر أحد على رعيه ، فاذا راده رائد جرى . مثلى وجد نفسه منفردا
لا يزاوجه عليه مزاحم .

(٢) الأشم هنا : السحاب الأسود اللون المتراكم . والمطال : الكثير المطر . (المعنى) أن هذا
المرعى منبع تحاماه الرماح أى الفرسان الحاملوها ، لأنه بين حينين متعادين ؛ فيخشى رعيه كل منهما ؛
ولكنى بجراأتى قصده للصيد ، وهو خصب لتوالى الأمطار عليه .

(٣) العجلة : الفرس الصلبة العضل . وأترز الجرى لحما : أى أيسه وضمه . والكيت : الجراء
الى سواد . والهراوة : العصا الغليظة . (المعنى) أنه يذهب الى الصيد في هذا الوادى بفرس مضمة صلبة
كأنها الخشب الغليظة الصلبة التى تلف عليها شقة الثياب عند نسجها بالمنوال .

(٤) ذعرت : أخفت وأفزعت . والسرب : القطيع من بقر الوحش . والأكرع : جمع كراع وهى
أطراف القوائم . الخال : الثوب الناعم من ثياب الين . (المعنى) أفزعت وهجت بهذه الفرس قتلعا من
الوحش يبيض الجلود مخططة الأكرع بالسواد ؛ فكانها ثياب الين الموشاة .

(٥) الصوار : القطيع من بقر الوحش ، وتجاهدن : اجتهدن فى العدو ، وعلى : بمعنى مع . والجمزى :
نوع من العدو . والأجلال : جمع جل ، وهو ما يوضع على ظهر الفرس ساترا له . (المعنى) كأن قطع بقر
الوحش عند ما اجتهدن فى أن يجربن جرية الجمزى (وهو جرى سريع مع وثب) خيول تجرى عليها أطلال

بِغَالِ الصُّوَارِ ، وَاتَّقَيْنَ يَقْرَهَبَ طَوِيلَ الْقَرَا وَالرُّوقِ أَخْنَسَ ذَيَالِ (١)
 فَعَادَيْتُ مِنْهُ بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعْجَةٍ وَكَانَ عِدَائِي إِذْ رَكِبْتُ عَلَى بَالِي (٢)
 كَأَنِّي يَفْتَحُ الْجَنَاحَيْنِ لِقْوَةَ عَلَى عَجَلٍ مِنْهَا - أَطَاطِي شِمْلَالِ (٣)
 تَحْطَفُ خِزَانِ الْأَنْعِيمِ بِالضُّحَى وَقَدْ بَحَرْتُ مِنْهَا ثَعَالِبُ أَوْرَالِ (٤)
 كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا - الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي (٥)

(١) بغال : دار . والقرهب : الكبير الضخم من الثيران ، والقرا : الظهر . والروق : القرن ، والأخنس : المنخفض قصبة الأنف ، وذلك من صفات البقر ، والذيال : الطويل الذيل . (المعنى) فدار هذا القطيع دورة . واتقين الصائد بهذا القرهب وتسترن به ، وجعلته مما يل الصائد ؛ لأنه أشد من . وهذا القرهب طويل الظهر والقرن أخنس الأنف طويل الذنب .

(٢) فعاديت منه : أى به وعادى بين الصيدين عدا . وإلى العدو وتابعه فى طلق واحد . وكان عدائى الخ أى كان على نهم منى واشتغال به .

(٣) الفتح : لين وطول فى جناح الطائر . والقوة : السريعة التى تحطف كل شئ . وطأطأ فرسه : ونزه بفخذه وحركه للعدو ، والشملال السريعة الخفيفة ؛ يريد فرسه . (المعنى) كأتى عند ما حثت فرسى وجهتها للعدو — أستحث عقابا طويلا الجناحين سريعة بحلة . أى أن فرسه تشبه العقاب .

(٤) الأنيم وأورال : موضعان . والخزان : جمع خرز «بضم ففتح» وهو ذكر الأرناب . وبجرت : اختفت فى أبحارها . (المعنى) أن هذه العناب التى شبه بها فرسه تحطف أرناب الأنيم ، أما ثعالب أورال فتخبها تدخل أبحارها .

(٥) العناب : ثمر كالتين أحر . والحشف : الردى . المقبض من التمر (المعنى) كأن قلوب الطير الرطب منها واليابس فى وكر هذه العناب عتاب وحشف بال ، أى أنها تأتى بقلوب الطير تطعم فراخها بها لصغر حجمها . ولكثرة ما تصيد يبق الكثير منها فى وكرها ما بين حديث رطب وعتيق يابس .

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة كفاني (ولم أطلب) قليل من المال^(١)
ولكنما أسعى لمجد مؤنل وقد يدرك المجد المؤنل أمثالي^(٢)
وما المرء ما دامت حشاشة نفسه بمدرك أطراف الخطوب ولا آلي^(٣)

ومن مأثور قوله :

وقد طوّفت في الآفاق حتى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ^(٤)

ومنه قوله :

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه فليس على شيء سواه بخزان^(٥)

(٢١) فاعل كفاني : لفظ قليل — ومفعول أطلب محذوف تقديره ولم أطلب الملك الذي أسعى لاسترجاعه ، وإنما يرضى بالقليل من يسعى لأدنى معيشة ، أى أطلب عيشة الملك والمجد المؤنل الأصيل فينا ولو لم أسع له لكفاني القليل من المال .

(٣) الحشاشة : بقية النفس . والخطوب : الأمور العظيمة . وأطرافها : غاياتها . والآلي : المقصر .
(المعنى) أن الانسان مع سعيه في دوام حياته لا يدرك نهاية كل ما يريد ، ولو لم يقصر في الطلب .

(٤) أى وقد أكرث الطواف في الآفاق حتى أعياني الطواف ، وحتى رضيت أن أعود بدل الغنيمة الى أهلي بنفسى . وكان أكثر خروجهم وأسفارهم لطلب الغنائم .

(٥) أى اذا عجز المرء عن ضبط الكلام الذي يخرج من لسانه فهو عن ضبط غيره أعجز .

(٢) لُزْهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ مِنْ مَعْلَقَتِهِ الَّتِي مَطَّلَعَهَا :

أَوْنٌ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ بِحُومَانَةِ الدَّرَاجِ فَالْمَتَّلَمِ (٢)
سَعَى سَاعِيَا غَيْظُ بْنُ مُرَّةَ بَعْدَمَا تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالدِّمِ (٣)
فَأَقْسَمْتُ بِالْيَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالُ بَنُوهُ : مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ (٤)

(١) هو زهير بن أبي سلمى ربعة بن رياح المزني ، أحد فحول شعراء الجاهلية الأربعة . وهم : امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، والأعشى ثم هو أعفهم قولاً وأكثرهم تهذيباً لشعره ، وآل أبي سلمى نشأوا في غطفان أحلافاً لهم ، وإن كان نسبهم في مزية ، وتخرج زهير في الشعر على بشامة بن الغدير الشاعر خال أبيه ، وعلى زوج أمه أوس بن حجر شاعر مضر في زمانه ، ففاقهما في الشعر ، وله ديوان شعره كثير منه في مدح هرم بن سنان الذي ياتي المزني ، ومن مدائحه فيه هذه المعلقة ، مدحه بها لحسن سعيه هو والحارث بن عوف في الصلح بين عيسى وذيبيان في حرب داحس والغبراء بمجملها ديوان القتل ، وقد بلغت ثلاثة آلاف بغير . ومات قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بسنة .

(٢) أم أوفى : امرأة زهير ، والدمنة : ما أسود من آثار الدار من الرماد ونحوه ، وحومانة : القطعة من الرمل ، الدراج والمنتم : موضعا نجد (المعنى) أمن دمن أم أوفى دمنة لم تتكلم عند وفوفنا عليها وسؤالنا لها : أين أصحابك ؟ أو قوتنا لها : ما كان أطيب أيامنا فيك !

(٣) غيظ بن مرة : حى من غطفان منه هذان الرجلان الساعيان في الصلح بين العشيرة ، يريد بهما هرم بن سنان والحارث بن عوف المندوحين ، وتبزل بالدم : تشقق به (المعنى) سعى هذان السباع في الصلح بعد ما تشقق ما بين العشيرة من الألفة والمودة بالدم .

(٤) جرهم : قبيلة يمانية كانت تملك سدانة الكعبة قبل قريش .

- يَمِينًا لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وَجِدُّمَا على كُلِّ حَالٍ : من سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ (١)
- قَدَارَ كَتَمًا عَبَسًا وَذَبْيَانَ بَعْدَ مَا تَفَانُوا ، وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمٍ (٢)
- وَقَدْ قُلْتُمَا : إِنْ نُدْرِكَ السَّلْمُ وَاسْعَا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ - نَسَلَمَ
- فَأَصْبَحَتْهَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمٍ (٣)
- عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا وَمَنْ يَسْتَبِيحُ كَثْرًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمُ (٤)
- فَأَصْبَحَ يَجْرَى فِيهِمْ مِنْ تِلَادِ كُمْ مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالِ الْمُزْنَمِ (٥)
- تَعَفَّى الْكُلُومُ بِالْمِثْنَيْنِ ، فَأَصْبَحَتْ يُنْجَمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْجِرِمٍ (٦)
- فَمَنْ مُبْلِغُ الْأَحْلَافِ غَنَى رِسَالَةٍ وَذَبْيَانٌ : هَلْ أَقْسَمْتُ كُلَّ مُقْسَمٍ (٧)
- فَلَا تَكْتُمَنَّ اللَّهُ مَا فِي نَفُوسِكُمْ لِيَخْفَى ، وَمَهُمَا يُكْتَمُ اللَّهُ يَعْلَمَ

- (١) السحيل : الخيط أو الحبل يقتل قتلا واحدا ، والمبرم : ما يقتل خيطين ثم يقتلان ثانية ويجعلان خيطا واحدا (المعنى) أقسم يمينا لنعم السيدان أنتما في حال الرخاء وحال الشدة .
- (٢) « دقوا بينهم عطر منشم » : مثل يضرب في شدة التشاؤم وانتشار الشر بين القوم ، وأصله أن امرأة عطارة تعطر أقوام بعطرها وخرجوا للحرب فهلكوا .
- (٣) العقوق : قطيعة الرحم ، والمأتم : الإثم .
- (٤) معد بن عدنان أبو القبائل الزارية ومنها الممدوحان .
- (٥) التلاد من الإبل : ما ولد عندك ، والإفال : جمع أفيل ، وهو الفصيل الصغير ، والمزمن : فحل كريم من الإبل زعموا أذنه ، أى ميزوه بعلامة . يقول : أصبح يجرى في أولياء المقتولين من نفاس أموالكم غنام شتى من إبل صغار معلمة .
- (٦) التعفية : المحو وإزالة الأثر . والكلوم : الجراح . وينجمها : يدفعها نحوما أى أقساطا . (المعنى) أن الجراح يحى أثرها ببذل المئين من الإبل يغرمها على أقساط من لم يجن فيها جريمة ، وهما الممدوحان .
- (٧) يريد بالأحلاف القبائل التي حالفت ذبيان على حرب عبس ، و « هل » هنا بمعنى « قد » مثل « هل أتى على الإنسان حين من الدهر » . (المعنى) أبلغ ذبيان وأحلافها بأنكم قد أقسمتم كل قسم عظيم على الصلح ، فلا تضمروا الغدر وتكتموه ؛ فإن الله يعلمه ، ويعاقبكم عليه في يوم الحساب ، أو يعجل عقابكم — ومن هذا يعرف أنه كان مؤمنا بالبعث .

- يُؤَخَّرُ ، فَيُوضَعُ فِي كِتَابٍ ، فَيُدْنَرُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ، أَوْ يُعَجَّلُ ، فَيُنْتَقَمُ
- وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمُرْجَمِ (١)
- مَتَى تَبَعَثُوهَا تَبَعَثُوهَا ذَمِيمَةً وَتَضُرُّ إِذَا ضَرَّيْتُمُوهَا ، فَتَضُرُّمُ (٢)
- فَمَرْبُكُمْ عَرَكُ الرِّيحِ يَنْفَالُهَا ، وَتَلْقَحُ كِشَافًا ، ثُمَّ تَحْمِلُ ، فَتُنْتَمِ (٣)
- فَتُنْتَجِ لَكُمْ غِلْمَانٌ أَشَامٌ ، كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ، ثُمَّ تُرْضَعُ فَتَنْفَطِمُ (٤)
- فَتَغْلِلُ لَكُمْ مَا لَا تُغِلُّ لِأَهْلِهَا قُرَى بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمِ (٥)

(١) المرجم من الحديث المقول بطريق الظن ، لا عن تحقيق . أى : وما حديثي عن الحرب وتخويفكم وإيلاتها بالحديث المفترى ، بل أنتم قد علمتم وبل الحرب وذقتموه ، فلا تقرّبوها .

(٢) الضرى والضراوة : شدة الحرص ، والتضرية : الحمل على الضراوة . وضربت النار تضرم : التبت . (المعنى) متى تهبجوا الحرب تهبجوها مذمومة ، ويشند حرها ، وتضطرم نارها .

(٣) العرك : الدلك ، والنفال : الجسد أو الخرقعة توضع تحت الرجا ليقع عليها الطحين ، والبناء في « بنفاله » بمعنى « مع » أى الرجا في حال طحنها . و « تلقح كشافا » أى وتلقح لقاءا كشافا بأن تحمل في عامين متوالين ، وتنتج أى تأتي في كل مرة من المراتن بتوأمين . (المعنى) إذا هجم الحوب طحتكم طحن الرجا ، وتدوم زمنا طويلا في شدة ، فتكون كالناقة التى تحمل حملين في عامين متتابعين ، ثم هى لا تلد إلا توأمين .

(٤) أشام : مصدر من الشؤم على وزن أفعّل أو صفة لمخدوف . وأحمر عاد لقب لعاقرة ناقة صالح نبي ثمود طبعه السلام ، وسموه قدارا ، وكان عقره لهذه الناقة شؤما على قومه ، ويريد بعاد هنا ثمود : إما توها وخطأ ، وإما أن ثمودا من عاد . (المعنى) ان هذه الحرب يطول أمرها وتنتج لكم غلمان شؤم أو غلمان أب أشام شؤم قدار عاقرة الناقة ، ثم تعيش هذه الغلمان ، فترضع وتنطم . وكل ذلك كناية عن طول الحرب وشرودها .

(٥) أى قتل لكم غلة ليست كغلة قرى العراق من الحب الذى يكال بالقفيز ، أو من ثمن الغلة وهى الدراهم . وإنما تغل لكم غلة هى الموت والهلاك .

- لَعَمْرِي لَنَعِمَ الْحَيُّ جَرَّ عَلَيْهِمُ (١)
وَمَا لَا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنٌ بِنُ ضَمْنِ (١)
وَمَا لَهُمْ أَكْثَرُ غَنَاءً (٢)
فَلَا هُوَ أَبَدَاها ، وَلَمْ يَتَجَمَّعْ (٢)
وَقَالَ : سَأَقْضِي حَاجَتِي ، ثُمَّ أَتَقِي (٣)
عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِي مُلْجَمٍ (٣)
فَشَدَّ ، وَلَمْ تَفْزَعْ بَيُوتٌ كَثِيرَةٌ (٤)
لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السَّلَاحِ مُقَدِّفٍ (٤)
جَرِيٍّ مَتَى يُظْلَمَ يُعَاقَبُ بِظُلْمِهِ (٥)
لَهُ لَبَدٌ ، أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلِّمْ (٥)
سَرِيْعًا ، وَإِلَّا يُبَدَّ بِالظُّلْمِ يُظْلَمُ (٦)

(١) يؤاتيه : يوافقهم . (المعنى) نعم الحى الذين رضوا بالصلح بعد ما جر عليهم الحصين بن ضمضم من تلك الجريرة والحناية التى لا تجملهم يوافقون على الصلح ، ثم أخذ يقص قصة الحصين بقوله : «وَمَا لَهُمْ أَكْثَرُ غَنَاءً» وملخص هذه القصة أن رجلا من بنى عبس قتل أخا للحصين بن ضمضم قبل الصلح ، فلما اصطلحت عبس وذبيان أضمر الحصين بن ضمضم الأخذ بالنار بقتل قاتل أخيه أو بقتل رجل من أهله الى أن لقي رجلا من عبس فشدد عليه وقتله ، واعتمد على أن يناصره ألف فارس من قومه اذا غضبت عبسى لتبليها ، فثارت عبس وتدارك الحارث بن عوف الشر ، فدفع لعبس مائة من الإبل دية القتيل . وتم الصلح بين عبس وذبيان .

(٢) مستكنة أى فعلة أوجرمة مستكنة مسترة فى نفسه ، فلا هو أظهرها حتى يؤخذ الخذر منه ولا هو تردد فى الإقدام عليها .

(٣) أى وقال فى نفسه : سأقضى حاجتى بقتل قاتل أخى ، وأدفع عن نفسى بألف فارس ملجم أى بألف فارس من قومى .

(٤) أم قشعم : كنية للنية ، ومعنى إلقاء رحلها فى مكان تحقق الموت فيه . (المعنى) فشدد الحصين على العيسى غدرا من غير أن تعلم بذلك بيوت كثيرة من عبس ، فكانت تفزع لصاحبها وتدفع عنه ، وإنما شد عليه عند موضع نزل فيه الموت المحقق الذى لا يدفع .

(٥) يصف جيش عبس الذى لم يعلم بالجريرة ولو علم بها لدافع عنها . ويقول : كان هذا عند رجل كالأسد الذى له لبد على عنقه ، ولم تقلم أظفاره ، وأنه شاكى السلاح يقذف به فى الحروب .

(٦) يصف هذا الجيش بأنه جرى ، إذا ظلم عاقب ظالما سريعا بظلمه ، وإن لم يبدأه الناس بالظلم بدأهم هو بظلمه لثقتة بنفسه .

رَعَوْا مَارَعَوْا مِنْ ظِمْمِهِمْ ، ثُمَّ أَوْرَدُوا غَمَارًا تَسِيلَ بِالرِّمَاحِ وَبِالدِّمِ (١)
فَقَضَّوْا مَنَآيَا بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ أَصْدَرُوا إِلَى كَلَالٍ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخِّمٍ (٢)
لَعَمْرُكَ مَا بَجَرْتُ عَلَيْهِمْ رِمَاحَهُمْ دَمَ ابْنِ نَهْيِكَ أَوْ قَتِيلِ الْمُثَلَّمِ (٣)
وَلَا وَهَبٍ مِنْهُمْ ، وَلَا آبِنِ الْمُخْزَمِ وَلَا شَارَكُوا فِي الْقَوْمِ فِي دَمِ نَوْفَلٍ ،
فَكَلَّا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ عُلَّالَةً أَلْفَ بَعْدَ أَلْفٍ مُصَتَّمٍ (٤)
تُسَاقُ إِلَى قَوْمٍ لِقَوْمٍ غَرَامَةٌ صَحِيحَاتٍ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمُخْرَمٍ
لِحَيٍّ جَلَالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرَهُمْ إِذَا طَلَعَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمٍ (٥)

(١) يقال رعت المشاة الكلال ورعاها صاحبها الكلال أيضا ، والظم : ما بين الشربتين وجس الإبل من الماء الى غاية النوبة ، والغار : جمع غمر وهو الماء الكثير . ويريد بالظم هنا وبورود الغار الرجوع الى الحرب . (المعنى) تركوا الحرب وبقوا يتمتعون بنعيم السلم مدة ، ثم عادوا وأوردوا أنفسهم غمارا منها لا تسيل إلا بالرماح والدم .

(٢) قضوا : أنفذوا . وأصدروا : أرجعوا ، والكلال المستوبل : هو ما تجده ويلا من العشب ، أى يجلب الوبال ، والمتوخم بمعناه . (المعنى) أنهم بمنزل رعى الكلال الوابل . ثم أضرب عن هذا الكلام وعاد الى مدح الذين أعطوا ديات القتلى فقال : لعمرك الخ .

(٣) ابن نهيك ، والقتيل الذى قتل فى المكان المثلَّم ، ونوفل وهب وابن المخزم ، كل هؤلاء عقليهم هرم بن سنان والحارث بن عوف ، أى غرموا دياتهم لأولياء دمائهم مع أنهم لم يقتلوهم برماحهم ، وإنما غرموا قبرا وإيثارا للصلح بين القبيلتين .

(٤) العلالة : الشيء بعد الشيء . والمصتم : التام . والمخرم : الطريق فى أعلى الجبل . (المعنى) أرى هؤلاء الكرام يعقلون القتلى بألف تام العدد بعدها ألف أخرى من الإبل الصحيحات التى تساق الى أولياء القتلى طالعات فى أعلى الجبل لأجل الرعاية للقوم القتالين .

(٥) الحى الحلال : الكثير والعدد ، أو المتقاربون فى المنازل ، المعظم : الخطب العظيم . (المعنى) تساق هذه الإبل ، لأجل المحافظة على ولائهم حتى يحفظون جيرانهم اذا نزلت بهم الخطوب العظيمة وهم =

كِرَامٍ ، فلا ذُو الْوَتْرِ يُدْرِكُ وَتْرَهُ لَدَيْهِمْ ، ولا الْجَنَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمٍ

(٣) لَعَمْرُو بن كُثُومٍ من معلقته التي مطلعها : (١)

أَلَا هُبِّي بِصَاحِبِكَ فَاصْبَحِينَا ولا تُبْقِي نُحُورَ الْأَنْدَرِينَا (٢)



أَبَا هِنْدٍ فلا تَعْجَلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نُخَبِّرْكَ الْيَقِينَا (٣)

بِأَنَا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيَضًا وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْرًا قَدْ رَوِينَا (٤)

وَأَيَّامٍ لَنَا غُرٌّ طَوَالٍ عَصَيْنَا الْمَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا (٥)

وَسَيِّدٍ مَعْشَرٍ قَدْ تَوَجَّوه بِتَاجِ الْمَلِكِ يَتَجَمَّى الْمُحْجَرِينَا (٦)

= كرام شجعان لا يدرك صاحب الوتر — أى الثأر — وتره منهم ، ولا الجناني عليهم . اجر عليهم من الجنانيات في العشار الأخرى بمسلم أى نخدول لا ينتصر له .

(١) هو عمرو بن كُثُوم بن مالك بن عتاب التغلبي سيد تغلب وفارسها وأحد فتاك العرب وشعرائهم المشتهرين بقصيدة واحدة والمجيد للفتخر . وأمه ليلي بنت مهلهل أنحى كليب . قال هذه المعلقة في ملاحظة وقعت بينه وبين الحارث بن حلزة اليشكري في مجلس الملك عمرو بن هند يصف فيها حديثه مع ابن هند ، ويفتخر بأيام قومه وغاراتهم المشهورة — ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن .

(٢) الصحن : القدرح الواسع ، وأصبحنا أى أَسْقِينَا الصبوح وهو الشرب في الصباح ، والأندرين : قرية جنوبي حلب من بلاد الشام .

(٣) أنظرنا : أى أمهلنا .

(٤) أى أنا نورد راياتنا الحرب وهى بيض ، ونصدرها وهى حمراء ، وقد رويت من دماء أعدائنا .

(٥) أى ونخبرك بأيام حرب لنا مشهورة عصينا الملك فيها أن نخضع له ونذل .

(٦) المحجرون : اللاجئون الى من يحميهم ، مشتق من أجرة اذا ألجأه الى المضيق . وخبر "سيد"

في البيت الذى بعده .

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة أعنتها صفونا (١)
 وأنزلنا البيوت بذى طُلُوح إلى الشَّامَاتِ نَنفِي المُوْعِدِينَا (٢)
 وقد هَرَّتْ كِلَابُ الحَيِّ مِنَّا وَشَدَّيْنَا قَتَادَةَ من يَلِينَا (٣)
 متى نَنقُلْ إلى قَوْمِ رَحَانَا يكونوا في اللِّقَاءِ لَهَا طَحِينَا
 يكونُ ثِقَالُهَا شَرْقِيَّ نَجْدِ وَلَهُوَّتُهَا قُضَاعَةُ أَجْعِينَا (٤)
 نَزَلْتُمْ مَنَزِلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا فَأَعْجَلْنَا الْقَرَى أَنْ تَسْتَيْمُونَا (٥)
 قَرِينَاكُمْ فَعَجَلْنَا قِرَائِكُمْ قَبِيلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا
 نَعْمُ أَنَا سَنَا ، وَنَعْفُ عَنْهُمْ وَنَحْمِلُ عَنْهُمْ مَا حَمَلُونَا (٦)

(١) أى قتلناه وأسرحنا منه ونزلنا عن خيولنا لأخذ سلبه وسلب أصحابه ، فبقيت خيولنا واقفة عليه صافئة . والشافن : القائم ، أو الذى يرفع إحدى قوائمه لعا .

(٢) ذو طُلُوح : مكان جنوبي نجد بين اليمامة ومكة ، والشامات : جمع شامة ، والشامة والشامات تسمى بهما بلاد الشام أحيانا ، وننفي الموعدين أى نزيل من بين هذين البلدين أعداءنا الذين يوعدوننا ، فنملك هذه الأرضين الواسعة ، ونزل بها بيوتنا .

(٣) هرت الكلاب : نجت خوفا ، والتشذيب : قطع أغصان الشجرة أو شوكة ، والقنادة : الشوكة ، أى أذهبنا شوكة من يلينا ويقرب منا من الأعداء .

(٤) الثفال : جلدة أو خرقة تجعل تحت الرجا يسقط عليها الطحين ، واللهوة : القبضة من الحب تنق في الرجا (المعنى) أن كيدنا وحربنا تشبه الرجا ، وهذه الرجا تدور بالحرب في شرق نجد وتلتهم قضاة أجعين وهى قبيلة عظيمة .

(٥) القرى : الضيافة . يسخر بأعدائه ويقول : نزلتم علينا في إغارتكم كالأضياف ، فعجلنا قراكم بحرب طحون خشية شتمكم إيانا ، وجعلنا ضيافتكم قتالا طحنكم كطحن المرداة للحجارة . والمرداة الصخرة التى تكسرها الحجارة ويدق بها النوى .

(٦) أى نعم قومنا بخيرنا اذا أسرنا ، ونعف عن أموالهم اذا أعسرنا ، ونحمل عنهم ما حملونا من الديات والمغارم والدفاع .

نُطَاعِنُ مَا تَرَاحَى النَّاسُ عَنَّا وَنَضْرِبُ بِالسُّيُوفِ إِذَا غُشِينَا (١)
يُسْمِرُ مِن قَنَا الْخَطَى لُدُنِ ذَوَابِلَ ، أَوْ بِلِيضِ يَعْتَلِينَا (٢)
نَشْقُ بِهَا رُءُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا وَنُخْلِيهَا الرِّقَابَ ، فَتَخْتَلِينَا
كَأَنَّ بَحَايِمَ الْأَبْطَالِ فِيهَا وَسُوقٌ بِالْأَمَاعِزِ يَرْتَمِينَا (٣)
وَأَنَّ الضَّغْنَ بَعْدَ الضَّغْنِ يَبْدُو عَلَيْكَ ، وَيُخْرِجُ الدَّاءَ الدِّفِينَا (٤)
وَرِثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدُّ نُطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا (٥)
وَنَحْنُ إِذَا عِمَادُ الْحَيِّ نَحَرَتْ عَلَى الْأَحْقَاضِ نَمْنَعُ مِنْ يَلِينَا (٦)
نَجِدُ رُءُوسَهُمْ فِي غَيْرِ بَرٍّ فَمَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَّقُونَا (٧)

(١) أى أننا نحسن استعمال السلاح ؛ فنطاعن أعداءنا بالرماح إذا لم يلاصقونا ودنت أشخاصهم منا ، فإذا لاصقونا ضاربناهم بالسيوف .

(٢) ثم وصف هذه الرماح التى يطاعن بها ، فقال : إنها سمر انضجها فى منابتها ، وانها من القنا الخطى أى منسوبة الى بلدة الخط على ساحل البحرين من خليج فارس تجلب منها الرماح ، واللدن جمع لدن (كسهم) وهو المرن فى صلابته . ووصف السيوف فقال إنها بيض تغتلى الروس فتشق هاماتها ، ونضرب بها الرقاب فنقطعها كما يقطع الحش الخلا وهو النبات الرطب ، أى نجعل الرقاب لها كاخلا ، فنختلها أى تحشها .

(٣) الأماعز : جمع أمعز ، وهى الأرض الصلبة الكثيرة الحصى ، والوسوق : جمع وسق ، وهو الحمل . يقول كأن رؤوس الشجعان أحمال إبل تسقط فى الأراضى الصلبة .

(٤) الضغن : الحقد الذى يخفى .

(٥) معد بن عدنان أبو الشعب العظيم المقابل لشعب قحطان ، والشاعر من شعب معد — يقول :
نعم قبائل معد جميعهم أننا ورثنا المجد عن آبائنا فلم نقرط فيه بل دافعنا دونه حتى لا يزاولنا ويخفى عنا .
(٦) العمد : جمع عمود ، ونحرت : سقطت ، والأحفاض : جمع حفص (كسبب) وهو متاع البيت . وسقوط الأعمدة على أمتعة البيت كناية عن تقويض البيوت للرحلة والطعن (المعنى) إذا حل غيرنا خيامهم للهرب ، فنحن لا يطمع فينا طامع بل نحصى أنفسنا ، ونمنع جيراننا .

(٧) أى فنقطع رؤوسهم فى غير بر منا ، ولا شفقة عليهم ، وندهلهم ؛ فلا يدرون أى شئ . يجابونهم ، ويتعدون عنه من السلاح لأن سيوفنا تعجلهم عن الاتقاء .

كَأَنَّ سَيْوَفَنَا فِينَا وَفِيهِمْ تَحَارِيْقُ بِأَيْدِي لَاعِينَا (١)
كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ خُضِبْنَ بِأَرْجَوَانٍ أَوْ طَلِينَا (٢)
إِذَا مَا عَى بِالْإِسْنَانِ حَى مِنَ الْهَوْلِ الْمَشْبَهِ أَنْ يَكُونَا (٣)
نَصَبْنَا مِثْلَ رَهْوَةٍ ذَاتَ حَدٍّ مُحَافِظَةً، وَكُنَّا السَّابِقِينَ
شُبَّانَ يَرَوْنَ الْقَتْلَ مَجْدًا وَشَيْبَ فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبِينَ
حُدَيَّا النَّاسِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا مُقَارَعَةً بَيْنَهُمْ عَنْ بَنِينَا (٤)
فَأَمَّا يَوْمَ خَشَيْنَا عَلَيْهِمْ فَتُصْبِحُ خَيْلُنَا عُصْبًا يُبِينَا (٥)
وَأَمَّا يَوْمَ لَا نَخْشَى عَلَيْهِمْ قُتْمَعِينَ غَارَةً مُتَلَبِّبِينَ (٦)

(١) لم يصف أعداءه بالخبين وقلة الدفاع عن أنفسهم ، بل يقول : إِنَّا انتصرنا على أقوام شجعان ماهرين في استعمال السيوف مثلنا ؛ فكانت سيوفنا وسيوفهم كعشار في بأيدي لاعين . والمخاريق : جمع مخراق ، وهو المتدليل أو الخرقعة تلف ويضرب بها ، وهي لعبة من لعب الصبيان (الطره) .

(٢) الأرجوان : صبغ أحمر ، كَانَ ثِيَابَنَا وَثِيَابَهُمْ صَبِغَتِ بِالصَّبِغِ الْأَحْمَرِ مِنْ كَثْرَةِ الدَّمَاءِ .

(٣) عَى بِالْأَمْرِ : تخير فيه ولم يهتد لوجه الصواب فيه ، والإسنان التقدم بالليل إلى القتال (المعنى) إذا تخير قوم في الإقدام على القتال من شدة الهول الخشى أن يقع نصبنا نحن للقتال كنبية ضخمة مثل جبل (رهوة) ذات حد وشوكة محافظة على أحسابنا ؛ وكان غيرنا المترددين ، وكنا نحن السابقين إلى القتال بشبان الخ .

(٤) الحديا : مصغر الحدوى : اسم من التحدى ، وهو المباراة ومنازعة الغلبة في الأمر العظيم (المعنى) نحن حديا الناس كلهم لا نخشى قوما منهم ، بل نخدئ الجميع ، ونقول لهم اخرجوا إلى قتالنا : نفعل ذلك من أجل مقارعتنا (أي مضاربتنا وممانعتنا) بينهم عن بنينا .

(٥) العصب : الجماعات ، والنبون الجماعات من الخيل والناس في تفرقة ، جمع نبة (بالضم) .

(٦) أمعن في الأمر : أبعد فيه وتوغل ، وهو يتعدى بحرف الجر (في) واذن فتكون غارة منصوبة على أنها مفعول مطلق ، أو على الظرفية على تقدير وقت الغارة ، أو على نزع الخافض ، والتلبيب التحزم =

برأس من بني جشم بن بكر
ندق به السهولة والحزونا (١)
ومنها يفتخر بقومه :

وقد علم القبائل من معد
إذا قبب بأبطحها بيننا
بأننا المطعمون إذا قدرنا
وأنا المهلكون إذا ابتلينا (٢)
وأنا المانعون لما أردنا
وأنا التاركون إذا سخطنا
ونشرب إن وردنا الماء صفوا
ويشرب غيرنا كدرا وطينا (٣)
إذا ما الملك سام الناس خسفا
أبينا أن تقرر الذل فينا
لنا الدنيا ومن أمسى عليها
ونبتش حين نبتش قادرينا
بغاة ظالمين وما ظلمنا
ولكنا سنبدا ظالمينا (٤)

= بالسلاح ، والتشمير في الأمر . (المعنى) أننا يوم خوفنا على أبنائنا من إغارة أعدائنا علينا نستعد للقتال ميكرين ونشر خيلنا في الأرض فرقا وجماعات للدفاع عنهم ، وفي يوم أمننا عليهم نبادئ نحن غيرنا من الأعداء بالإغارة عليه مبعدين فيها ، منشرين لها ، مدجين بالأسلحة ، فالقتال دأبنا في الخوف والأمن .
(١) الرأس : الحى الذين لا يحتاجون إلى إعانة أحد ، أو الرأس : رئيس القوم وسيدهم ، وجشم بن بكر أحد أجداد الشاعر . (المعنى) أننا عند إمعاننا في الغارة نغير على أعدائنا بجى من بني جشم ابن بكر لا يحتاجون إلى نجدة غيرهم ، فندق بهم السهول والأوعار ، أى نهزم الضعاف والأشداء ، أو نغير عليهم يقودنا فارس هذه صفته .

(٢) يعنى أننا إذا قدرنا على الناس لا نستلذهم بل نطعمهم ونرغد عيشهم ، وإذا ابتلانا عدونا بحرب أهلكناه .

(٣) يريد أننا نمنع ونحمى ما نريد من البلاد والناس ، فلا يستطيع أحد أخذه منا ولا معارضتنا فلنا البلاد نزل أى مكان شئنا .

(٤) أى أننا أقوياء أحرار لا سيطرة لأحد علينا ، نترك الشيء ونأخذه كما نهوى .

(٥) أى لا يشرب الناس من المورد إلا بعد أن نشرب ، فيكون الماء قد تكدر بالطين .

(٦) كانت العرب تتباهى بالحرية والمنعة ويفخرون بأنه ليس فى استطاعة غيرهم أن يظلمهم لقوتهم ،

بل هم الذين يبدون غيرهم بالظلم لاعتقادهم أن (من لا يظلم الناس يظلم) .

ملاؤنا السبر حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا (١)
إذا بلغ الرضيع لنا فطاما تخر له الجبار ساجدينا

(٤) عنترة بن عمرو بن شداد العبسي (٢) :

من معلقته التي مطلعها :

هل غادر الشعراء من مترد أم هل عرفت الدار بعد توهم (٣)

أنسني على بما علمت ، فإنني
نمح مخالفتي إذا لم أظلم (٤)
فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل
مر مذاقته كطعم العلقم (٥)

(١) كانت غلب تسكن شواطئ الفرات وربما امتدت ديارهم إلى ساحل الخليج الفارسي ؛ ولذلك يقع في شعر تغلب وأختها بكر بن وائل ذكر السفن وأدواتها .

(٢) هو أحد فرسان العرب وأغربتها (سودانها) وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة ، وأمه أمة حبشية يقال لها « زبيبة » على وزن كبيرة . وكان أبوه وأهله يعدونه في عداد العبيد على عاداتهم في أبنائهم المولدين من الإماء ، فكان يرعى إبلهم ويخيلهم ، ولكنه كره ذلك ، ومارس الفروسية ، وأقنذ قومه من المهالك في غارات أعدائهم عليهم ، فأعتقه أبوه ، وخاض مع قومه أكثر الوقائع ، ومنها حروب داحس والغبراء ، حتى صار فارس عيس الأوحده ، وضرب به المثل في الشجاعة . ومات قبيل الإسلام .

(٣) غادر بمعنى ترك و (من) زائدة . والمترد : اسم مفعول من تردم ثوبه بمعنى أصلحه ورقعه . و (أم) بمعنى بل للإضراب . والتوهم : التفرس . (المعنى) هل ترك الشعراء شيئاً من الشعر لم يصلحوه ويهدبوه أو معنى لم يسبقوا إليه حتى يتباً للمثل أن يأتي به . ثم خاطب نفسه وقال : بل هل عرفت دار محبوبتك بعد تفرسك في آثارها .

(٤) المخالقة : المعاشرة بخلق حسن ، والخطاب لحييته .

(٥) الباسل هنا الكريه ، والبشع الطعم . والعلقم : الحنظل وكل شيء مر الطعم جداً .

- ولقد شربت من المدامة بعد ما ركذ الهواجر بالمشوف المعلم (١)
- بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر في الشمال مقدم (٢)
- فاذا شربت فإني مستهلك مالي ، وعرضي وافر لم يكلم (٣)
- وإذا صحت فما أقصر عن ندى وكما علمت شمالي وتكرمي
- وحليل غانية تركت مجدلاً تمكو فريسته كشدق الأعلم (٤)
- عجيت يداي له بمارق طعنة ورشاش نافذة كلون العندم (٥)
- هلاً سألت القوم يابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

(١) الهواجر : جمع هاجرة ، وهي نصف النهار عند زوال الشمس أو من زوالها الى العصر . ومعنى ركود الهواجر سكونها ، أى سكون الناس فيها في بيوتهم . والمشوف : المجلو . والمعلم : المنقوش ، وأراد به القدح الذى شرب به الخمر ، أو الدينار ، أو الدرهم الذى اشتراها به ، والأقرب الأول ؛ لأن البيت الآتى يوضحه .

(٢) الزجاجة الصفراء : يريد بها القدح ، وصفرتها آتية من صفرة الخمرة . والأسرة جمع سرار بالكسر ، وهو الخط في بطن الكف أو الوجه والجبهة ، والمراد بها الخروز والخطوط في الكأس . والأزهر : الأبيض الحسن يريد به الأبريق . والمقدم : الذى عليه القدام ، وهي المصفاة تكون على فم الأبريق . (المعنى) ولقد شربت المدامة بزجاجة صفراء أى كأس صفراء مقرونة بإبريق أبيض ركبت على فم مصفاة كان في جهة الشمال من الكأس أو في شمال الساقى .

(٣) وافر أى نام سليم لم يجرح بسب أو طعن فيه .

(٤) الحليل : الزوج . ومجدلاً : صريعاً على الجدالة وهي الأرض . وتمكو : تصفرو وتصوت . الفريضة : العضلة التي ترعد من جسم الدابة أو الإنسان إذا خاف . والأعلم : المشقوق الشفة العليا . (المعنى) ورب زوج غانية حسناء قتلته ، وتركته صريعاً على الأرض تصوت فريضته من شدة انفجار الدم منها بعد طعنة فيها كشدق الرجل الأعلم .

(٥) مارق طعنة : أى بطعنة عاجلة . ورشاش نافذة : أى وبرشاش طعنة نافذة الى الجوف . ولون هذا الرشاش كلون الصبغ الأحمر المسمى العندم .

- إذ لا أزال على رحالة ساج (١) نهد تعاورة الكاة مكم (١)
 طوراً يعرض للطعان ، ونارة (٢) يأوى إلى حصيد القسى عرمم (٢)
 يُخبرك من شهد الوقائع أننى أغشى الوغى وأعف عند المغنم (٣)
 ومدجج كره الكاة نزاله (٤) لا ممين هرباً ولا مستسلم (٤)
 جادت يداى له بعاجل طعنة يثقف صدق القناة مقوم (٥)
 برحبة الفرغين يهدى جرسها بالليل معتنس السباع الضرم (٥)
 فشككت بالرحم الطنويل ثيابه ليس الكريم على القنا محرم (٦)

- (١) الرحالة : سرج كان يعمل من جلود الغنم بأصوافها ؛ يتخذ للجري الشديد ليس له قربوس ولا مؤخرة . والساج : الفرس الذى يسط يديه معا عند العدو . والنهد : الغليظ الصدر ، وتعاوره الكاة أى تعاوره وتتناوبه الفرسان التامو السلاح بالطعن ، والكاة : جمع كى ، والمكلم المجرح .
- (٢) الحصد من القسى : المحكم قتل أوتازه وربطها . والنهى . العرمم : الكثير . (المعنى) هذا الفرس يها مرة لمقابلة الطعان ، ونارة للقسى المثينة الكثيرة ؛ فهو مدرب على الحرب .
- (٣) يخبرك بمجزم فى جواب (هلا سألت) لأنه بمنزلة الأمر .
- (٤) المدجج بالسلاح : الذى ستره أى أنه تام السلاح مثل الكى و (هرباً) منصوب على أنه مفعول مطلق لأن أمين يتعدى بنى فكان حقه فى غير الشعر أن يكون لا ممين فى الحرب ، ولكن لما كان لفظ ممين يراد به معنى الهارب كان بمنزلة لا أدعه تركا (المعنى) ورب فارس تام السلاح تركه الأبطال التامو السلاح مثله نزاله ، وهو لا يهرب من الأعداء لقرط بأسه ، ولا يستسلم لهم فياً سروه ، فتمه بطعنة عاجلة من ربح مثقف مقوم صدق القناة صلها مستويها .
- (٥) برحبة الفرغين : بيان لقوله (بعاجل طعنة) ، ورحبة : واسعة . والفرغ : مصب الماء من الدلو ، والدلو فرغان . والجرس : الصوت . والمعتنس من السباع : الطالب الشئ . ليل . والضرم : الجياح (المعنى) جادت يداى له بطعنة شقت من جسمه كالدلو الواسعة ، يهدى خريز الدماء منها جياح السباع الى قنيلها فتأتى لنا كله .
- (٦) قالوا إن الثياب هنا تكمية عن القلب لأن الرجل لا يقتل بشك الثياب وإنما المراد : أن الرمح شق ثيابه وخرق صدره وقلبه .

- فتركته جَزَرَ السَّبَاعِ يَنْشَنَهُ ما بين قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمِعْصَمِ (١)
وَمِشْكٌ سَابِغَةٌ هَتَكْتُ فُروَجَهَا بالسيف عن حامى الحقيقة مُعَلِّم (٢)
رَبِيزٌ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا هَتَاكَ غَايَاتِ التَّجَارِ مُلَوِّم (٣)
بَطْلٌ كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْحَةٍ يُحَذِي نِعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَم (٤)
لَمَّا رَأَى قَدْ قَصَدْتُ أُرِيدَهُ أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لَغَيْرِ تَبَسُّم (٥)
فَطَعْتُهُ بِالرَّحْ ، ثُمَّ عَلاَوَتُهُ يَمَهِّدُ صَافِي الْحَدِيدَةِ مُحْذَم (٦)

(١) الجزر : جمع جزرة ، وهى الشاة تذبح أو الناقة . وينشئه : يعنى يتناولنه بالأكل من رأسه الى يده .

(٢) المشك : الدرع التى أحكم اتصال حلقها ومساميرها ، صفة جاءت على وزن مفعول كسعر . مشتقة من الشك بمعنى اللزوم والالصق وشدة الاتصال . والسابغة : الدرع الطويلة . ومعنى (هتك فروعها) : شققت منافذها بالسيف . والحقيقة : ما يحق على الرجل أن يمنعه من الأهل والمال . والمعلم الذى أعلم نفسه فى الحرب بعلامة فلا يتنكر لجنبه (المعنى) ورب درع سابغة ملتصقة الحلقات ضيقة المنافذ شققها بضربة من سيفي ، فأنكشفت عن جسم فارس حام لأهله وقومه ، لا يتنكر فى الحرب بل يعلم نفسه بعلامة يعرف بها من فرط شجاعته .

(٣) الربذ : السريع الضرب بالقداح ، والغايات : الرايات ، والمراد بالتجار هنا تجار الخمر (المعنى) يصف هذا الفارس الذى هتك درعه بأنه كان كريما حاذقا يلعب القمار والميسر وخاصة فى الشتاء ؛ لأنه زمن الجذب فى بلاد العرب . فاذا نزل تجار الخمر بحيه ونصبوا راياتهم وعلاماتهم جاء فاشترى الخمر كلها لأصحابه ، فيقلعون راياتهم ، ويذهبون فياً كل الناس من الجزور التى كسبها أو خسرها ويشربون من الخمر فيكثرلوم أهله ونصحائه له على إتلافه ماله ، وهى صفات يفتخر بها أهل الفتوة من الأعراب .

(٤) السرحة : الشجرة الطويلة العظيمة غير الشائكة . والسبت بالكسر : جلود البقر أو كل نعال مدبوغة بالقرظ . والتووم المولود مع غيره فى بطن واحد . يصف قتيله بالطول والضخامة والغنى وبأنه ليس من صعايلك الأعراب الذين يحتذون النعال غير المدبوغة وانه ليس بتووم اذ التووم يكون ضعيفا غالبا .

(٥) النواجد : جمع ناجذ ، وهو آخر الأضراس : أى فتح فمه من الفزع فبدت نواجذه .

(٦) أى علوته بسيف من صنع الهند قاطع .

عهدى به شدّ النهار كأنما
خُضِبَ البَنَانُ ورأسه بِالْعَظِيمِ (١)
إلى أن قال :

نُبِئْتُ عَمْرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نِعَمِي
وَالْكُفْرَ مَحْبَةً لِنَفْسِ الْمَنِيعِ (٢)
ولقد حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضَحَى
إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَصَحِ الْقِمِّ (٣)
في حَوْمَةِ الْمَوْتِ الَّتِي لَا تَشْتَكِي
عَمْرَاتِهَا الْأَبْطَالَ غَيْرَ تَغْمُغِمْ (٤)
إِذْ يَتَّقُونَ بَنِي الْأَسِنَّةِ لَمْ أَخِمِ
عَنْهَا، وَلَوْ أَتَى تَضَائِقَ مُقَدِّمِي (٥)
لَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ
يَتَذَامِرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مَذْمُومِ (٦)
يَذْعُونَ عَنَرَهُ وَالرَّمَا حُ كَأَنَّهَا
أَشْطَانُ يَرِي فِي لَبَانِ الْأَدْهَمِ (٧)

(١) شدّ النهار : أى عند شدّ النهار ، أى عند ارتفاعه ، وهو وقت الضحى . والعظم : نبات النيلج تصبغ الثياب بعصارته ، فيكون لونها أسود الى زرقه . أى أن دم هذا القاتل جف على رأسه أصابه فاسود فصار كصبغ النيلج (النيله) .

(٢) كفر النعمة : جحودها و (محبة) مصدر ميمي من خبت ضد طاب . أى أن كفران النعمة شفر نفس المنعم عن الإنعام .

(٣) تقلص : تقصر وترتفع — أى حفظ وصية عمه بنبأته وصبره عندما حاربوا أعداءهم وقت الضحى ، وقد انكشفت الشفتان من كل محارب عن بياض فمه ، أى عن أسنانه ، خوفا من القتل .

(٤) حومة كل شيء : معظمه ، أى فى ساحة الموت العظيمة . وفى حومة تتعلق بحفظت فى البيت السابق . والغمرات : الشدائد . والتغمغم : الصوت يسمع ولا يفهم .

(٥) لم أخم أى لم أجبن ، بل أقدم عليها ولو كان الموصى يذى أقدم عليه أماى متضابقا من تراحم الأعداء بهجومهم على .

(٦) يتذامرون : أى يحض بعضهم بعضا على القتال ، فعندئذ عطفت عليهم غير مذموم على على بل ممدوحا عليه .

(٧) عنتر : أى باعتره حذفت الناء للترخيم ، ودوى المبرد أنه كان يسمى عنترا أيضا . والأشطان : جمع شطن ، وهى الخبال الطويلة الشديدة القتل . واللبان : الصدر . والأدهم : فرسه .

مازلت أرميهم بثغرة تحريه
 فازور من وقع القنا بلبانه
 لو كان يدري ما المحاورة اشتكى
 والخيل تفتح الخبار عوابسا
 ولقد شفى نفسى ، وأبرأ سقمها
 دُلِّلَ جمالى حيث شئت ، مشايى
 إني عدانى أن أزورك فاعلمى
 حالت رماح ابنى بغيض دونكم
 ولبانه حتى تسربل بالدم (١)
 وشكا إلى بعبرة وتحمم (٢)
 ولكان لو علم الكلام مكلى
 من بين شيطرة وأجرد شيطم (٣)
 قيل الفوارس : ويك عنتر أقدم (٤)
 لبي ، وأحفزه برأى مبرم (٥)
 ماقد علمت ، وبعض ما لم تعلمى (٦)
 وزوت جوانى الحرب من لم يحرم (٧)

(١) أى بثغرة نحره .

(٢) العبارة : تردد البكاء فى الصدر قبل أن تفيض الدمعة ، والتحمم : الصوت المنقطع دون الصهيل ، ويفعله إذا طلب العطف عليه والرفقة لحاله .

(٣) الخبار : الأرض البنية . والشيطم : الطويل . والأجرد : القصير الشعر ، وهما صفتا حسن للفرس الكريم .

(٤) وبك مركبة من (وى) وكاف الخطاب ، ووى تعجب ، كأنهم قالوا : عجبا لك ! أقدم ! أو هى مخففة من وبك ، أو ويحك .

(٥) الدلل : جمع ذلول ، وهو من الإبل وغيرها ضد الضعب الحرون . ومشايى قلبى أى متابعى ومشجعى . وأحفزه : أدفعه . والميرم : المحكم . (المعنى) يصف نفسه بأنه رجل أسفار ، وأن جماله لذلك مدلة لتعودها السير لا يصعب أن يوجهها إلى أى أرض . ويصف نفسه أيضا بأنه حاضر العقل لا يعزب عقله فى أى حال من الأحوال ، بل هو أيضا يدفعه ويقويه برأى محكم .

(٦) المعنى : صرفنى عن زيارتك ما قد علمته من الأسباب ، وما لم تعلميه . وجملة (فاعلمى) معترضة .

(٧) بغيض بن ريث بن غطفان : أبو الحى الذى يجمع بين عبس وذبيان ، فكلاهما انا بغيض وزواه ذيا وزوايا : نحاه ، وأبعده . والجوانى : جمع جانية من الجنابة . (المعنى) صرح بغيض الأسباب التى حالت دون زيارته محبوبته ، فقال : صرفنى عنك الحرب الناشئة بين عبس وذبيان ، وصرفنى عن شائر القبيلتين بجنابة بعض على بعض ، فاضطرت لمظاهرة قومى فى حروهم مع أنى لست من جناتها ، ولم يكن لى دخل فى الأسباب التى جرتها .

ولقد خَشِيتُ بأن أموتَ ولم تُدرْ للحربِ دائرةٌ على أبني ضَمَمِ (١)
الشائمي عِرْضِي ، ولم أَشْتِهُمَا والناذرينِ إذا لم آلقهُما نَمِي (٢)
إن يَفْعَلَا فلقد تركتُ أباهما بجزراً نِخَامِعةٍ ونَسِيرِ قَشَمِ (٣)

(٥) لبيد بن ربيعة من معلقته التي مطلعها :^(٤)

عَفَتِ الدِيَارُ : مَحَلُّهَا فُقُومُهَا بِنْيَى ، تَابَدَ غَوْلُهَا فِرْجَامُهَا (٥)

- (١) ابننا ضَمَم : هما هرم وحصين ، وكان عذرة قتل أباهما ضمما فكانا يتوعدانه .
(٢) يقال نذرت ديم فلان : إذا أبجته لكل من يقدر على قتله .
(٣) النخامة : الضبع كأن في مشيها نجما أي عرجا ، والقشعم : من النسور الكبير . (المعنى)
إن ينذرا دمي فقد قتلت أباهما ضمما وتركته جزور الضباع والنسور القشاعم .
(٤) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامري أحد أشراف الشعراء والفؤاد والمعمرين الأجواد ،
وهو من بني عامر بن صعصعة : إحدى القبائل المصرية ، وأمه عبسية ، وكانت في الجاهلية شجاعة فانتكا
جوادا شاعرا ، شهد له النابغة ، وهو عَلام ، بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته ، ولما ظهر الإسلام أسلم
وتنسك وحفظ القرآن كله حتى لم يروله في الإسلام غير بيت واحد وهو :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

ولما فتح المسلمون الأمصار سكن الكوفة حتى مات ستة إحدى وأربعين من الهجرة . قيل إنه عاش
ثلاثين ومائة سنة ولبيد شاعر يجيد الفخر والزنا في لفظ جزل ومعنى بارع وحكمة وموعظة .

(٥) عفت الديار : درست ، ومحلها : بدل أو عطف بيان من الديار ، فقامها معطوف على محلها ،
والمقام : مكان الإقامة وهي الثبات والاستقرار في المكان طويلا بأن يصير دار إقامة . وتأيد : توجس ،
وخلا من أهله . ومعنى وغول ورجام : مواضع في وسط نجد . وليست منى هنا (منى مكة) . المعنى :
درس مكان النزول ومكان الإقامة من ديار أحبنا بمنى متوحشا غولها ورجامها منهم

أَوْ لَمْ تَكُنْ تَدْرِي نَوَارُ بَأْنِي وَصَّالُ عَقْدِ حَبَائِلِ جَدَّامُهَا (١)
تَرَكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النَفُوسِ حِمَامُهَا (٢)
بَلْ أَنْتِ لَا تَدْرِينَ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ طَلَّقِي لِذِيذِ لَهْوِهَا وَتِدَامُهَا (٣)
قَدْ بَيْتُ سَامِرَهَا ، وَغَايَةِ تَاجِرِ وَافَيْتُ إِذْ رُفِعْتُ ، وَعَزَّ مُدَامُهَا (٤)
أَغْلَى السَّبَاءِ بِكُلِّ أَدَّكَنْ عَاتِقِ أَوْ جَوْنَةٍ قُدَحْتُ وَفُضَّ خِتَامُهَا (٥)
وَعْدَاةٍ رِيحٍ قَدْ وَزَعْتُ وَقِرَّةٍ قَدْ أَصْبَحْتُ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا (٦)

(١) نوار : اسم امرأة ، والجذام : القطار ، والحبال : جمع حباله : مصيدة الصائد وشركه .
المراد بها هنا العهد . وهذا البيت وما بعده من الأبيات يتحدث بها عن مفارقتها نفسها وماثر قومه .
المعنى (أَوْ لَمْ تَكُنْ تَعْلَمِ نَوَارُ بَأْنِي أَصْلٌ مِنْ يَسْتَحِقُّ الْمَوَاصِلَةَ وَأَقْطَعُ مِنْ يَسْتَحِقُّ الْقَطِيعَةَ .

(٢) اعتلق الشيء : تعلق به ، و (بعض النفوس) يريد به نفسه ، والحمام : الموت . والمعنى أَنِي
تَرَكَ أَمَكْنَةَ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا إِلَّا أَنْ أَمُوتَ

(٣) التفت في كلامه إلى نوار وقال : (بَلْ أَنْتِ ... الْبَيْتِ) واللييلة الطلق : التي لا حر ولا برد فيها
فيؤذيان ، والندام : المنادمة .

(٤) السامر : من يتحدث بالليل (وغاية تاجر) الغاية هنا : الراية ، والتاجر : الخمار يرفع رايته عند
تمزوله على الخمر إعلانا للشراب . وغاية بالجر : معطوفة على لييلة في البيت السابق (المعنى) كم من لييلة طلق
يلذ فيها اللهو والمنادمة قد بت المسامر فيها ، وكم من راية تاجر خمر وافيتها عند ما رفع التاجر رايته واشترت
خدامتها عند ما عزت بارتفاع ثمنها لكثرة المشترين لها — يصف نفسه بأنه طيب الحديث ، يحب اللهو
والطرب ، ويبذل في ذلك نفيس المال .

(٥) السباء : شراء الخمر وجلبها ، ولا يستعمل لشراء غيرها . والأدكن : يريد به زق الخمر لأنه أغبر ،
والعائق : القديم . والجونة (بفتح الجيم) السوداء يريد بها الخلية ، وقدحت وفض ختامها : بمئني واحد

(٦) الغداة : البكرة والصباح ، والقرة : البرد ، ووزعت : كفت ، والشمال أبرد الرياح (المعنى)
درب صباح يوم بارد ذي رياح قد أصبح زمام برده بيد ريح الشمال ؛ فهي تصرفه وتمعن فيه كيف شاءت .
قد كفت عن الإخوان بشرب الخمر والتدفئة والسماع ، يتحدث بالقنوة والكرم .

- بَصْبُوحٍ صَافِيَةٍ وَجَذْبِ كَرِينَةٍ بِمَوْتَرٍ تَأْتَا لَهُ لِبَاهُمَا (١)
 بَاكَرَتْ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُجْرَةٍ لِأَعْلَلٍ مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهَا (٢)
 وَلَقَدْ حَمَيْتُ الْحَيَّ تَحْمِيلُ شِكَّتِي فُرُطٌ ، وَشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ لِبَاحُمَا (٣)
 فَعَلَيْتُ مَرْتَقِبًا عَلَى مَرَهُوبَةٍ حَرَجٍ إِلَى أَعْلَامِهِنَّ قَتَامُهَا (٤)
 حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ وَأَجْنَّ عَوْرَاتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا (٥)
 أَسْهَلْتُ ، وَانْتَصَبْتُ بِكَذْذَعٍ مُنِيفَةٍ جَرْدَاءَ يَتَخَصَّرُ دُونَهَا جَرَامُهَا (٦)

(١) الصبوح : الشرب صباحا ، أى شرب خمر صافية ، والكرينة : المغنية الضاربة بالعود ، والوتر : العود لأنه ذو أو قار وتأتاله : تصلحه أى أنه يشرب الخمر وينتهي بسماع مغنية عوادة .

(٢) حاجتها : أى حاجة الخمر : أى حاجته هو اليها ، وأضاف الحاجة الى الخمر توسعا ، والدجاج : يريد بها الديكة ، والعلل : الشرب بعد شرب (المعنى) استبقت بشرها صباح الديكة لأكردها شربها حين استيقظ نوامها أى سقاتها النائمون .

(٣) ثم أخذ يصف نفسه بالكفاية والغناء وحماية فومه وأصحابه فقال : (ولقد حميت الحي الخ) وشكيت : جميع سلاحي ، يريد تحملي شاكى السلاح ، وفرط : أى فرس تقدم أصبح لجامها وشاحا الى . وتوشع الفارس لجام فرسه : أن يلقيه على عاتقه ويخرج يده منه لتفرغ يدها كأنها تعمل بالسلاح .

(٤) عليت وعلوت واحد ، وعلى مرهوبة أى على جبال عالية ، وخرج : مرتفع في تكاثف وتواحي والفنم : الغبار .

(٥) والضمير فى ألفت يعود على الشمس المفهومة من المقام . والكافر : السائر ، وهو من أسماء الليل ، وأجن : ستر ، والنثر : موضع الخفاة ، أى علوت على الجبال التى يتعقد فى أعاليها الغبار المتصاعد والضباب اللامع للغبار أقرب حركات العدو حراسة لأصحابى طول النهار ، حتى إذا ألفت الشمس يدها فى الليل ، وبدأت تغيب فيه ، وستر الظلام مواضع الخوف من نواحي العدو ، ولم يعد لمراقبتي فوق الجبل فائدة نزلت الى السهل .

(٦) أسهلت : نزلت الى السهل . (وبكذذع منيفة) : أى بكذذع نخلة مرتفعة ، وجرداء : خالة من السعف ملساء ، ويختصر : يكل ويضجر ، وجرامها : قطاع ما تنحله النخلة عند فضجها (المعنى) عندما أسهلت مرتعت فرسى ونشطت وانتصبت كأنها جذع نخلة عالية ملساء يضجر ويتعب دون الوصول الى رأسها من مجدها المنتهى — ثم أخذ فى بقية وصف الفرس بالآيات الثلاثة الآتية .

رفعتها طرد النعام وشله
 حتى اذا سَخَنَتْ ، وخف عظامها (١)
 قَلِقَتْ رِحَالُهَا وَأَسْبَلَ نَحْرُهَا
 وابتل من زبد الحميم حزامها (٢)
 تَرَقَّى ، وَتَطَعَنُ فِي الْعَنَانِ ، وَتَنْتَحِي
 وكثيرة غرباؤها مجهولة
 تُرْجَى نَوَافِلُهَا وَيُخْشَى ذَامُهَا (٣)
 غُلِبَ ، تَشْدَرُ بِالذُّحُولِ ، كَأَنَّهَا
 جن البدي رواسيا أقدامها (٤)
 أَنْكَرَتْ بِأَطْلَافِهَا ، وَبُؤْتُ بِحَقِّهَا
 عندى ، ولم يفخر على كرامها (٥)
 (٦)

(١ و ٢) رفعتها : أى جعلتها تعدو العدو المسمى بالمرفوع ، وهو فوق العدو الموضوع ، وهما مصدران جاءا على وزن المفعول كاليسور والمعسور ، وطرد النعام : عدوه . والشل : الطرد ، وخف عظامها : أى خف قصب قوائمها بمعنى أسرع ، والرحالة : سرج كان يعمل من جلود الشاة بصوفها لا قربوس له ولا مؤخرة يتخذ للجرى الشديد ، وأسبل نحرها : أى سال بالعرق . والحميم : العرق (المعنى) . طردتها طرد النعام حتى اذا حيت واشتدت سرعتها اضطرب سرجها عن مكانه وسال نحرها بالعرق وابتل حزامها من زبده .

(٣) ترقى : ترفع رأسها ، وتطعن أى تعتمد فى العنان كما يعتمد الطاعن ، تنتحى أى تقصد ، ويريد بالحمية هنا القطة (المعنى) أن هذه الفرس ترفع رأسها تارة وتخفضه فى العنان أخرى ، تمر فى سيرها من القطة الى الماء . وقد سبقها اليه جماعة حمام مبرعة فهى تجد مسرعة فى أثره .
 (٤ و ٥ و ٦) هذه الأبيات الثلاثة يصف فيها نفسه بالشجاعة والانتصاف من الأعداء الأقوياء . قال (وكثيرة غرباؤها مجهولة) : أى ورب كتيبة كثيرة الغرباء ؛ لما يحضرها من ألوان الناس قد جهل بعضها بعضا ، ونوافلها : غنائمها ، وذامها : عيبها وعار هزيمتها ، وغلب : جمع أغلب وهو الغليظ العنق وهو كناية عن قوة البدن ، وتشدر بالذحول : تهدد وتوعد بالأحقاد والثارات . والبدي هنا : واد لبني عامر يحسب أنه كان موحشا . وبؤت بحقها انصرفت به (المعنى) ورب كتيبة حرب كثيرة المقاتلة المختلفة لأنساب والألوان المجهول بعضهم لبعض لغربتهم ترجى مغائرها وأنفالها بالظفر فيها ويخشى عار الهزيمة منها ، ومقاتلتها غلاظ الأعناق تهدد وتوعد بأخذ الثار كأنها جن البدي راسخة الأقدام فى القتال تلك الكتيبة التى صفاتها ما ذكرت قد انتصفت منها ؛ فأنكرت باطلها المزعوم عليها ، وفزت فيها بالحق بمحض قوى وحسن بلان ولم يفخر على كرامها .

وجزور أيسار دعوت لحفها
أدعو بهن لعافر أو مطفل
فالضيف والجار الحبيب كأنما
تأوى الى الأطناب كل رذية
ويكفلون اذا الرياح تناوحت
بمغاليق متشابه أجسامها (١)
بذلت لخيران الجميع لحامها (٢)
هبطا تبالة مخصبا أهضامها (٣)
منل البلية قالص أهدامها (٤)
خليجا ، ثم شوارعا أيتامها (٥)

(١ و ٢) يصف في الأبيات الخمسة الآتية نفسه بأنه متلاف للسال يلعب الميسر بالجزور ويطعم لحومها الجيران والضياف والأرامل والأيتام وكان ذلك عندهم من الكرم والفتوة — الجزور : الناقة تشتري للذبح ، والأيسار : جمع يسر وهو الذى يضرب بالقداح ، وهى أعواد تسوى وتوضع عليها علامات الكسب والخسارة فى القمار ، والمغاليق من نعوت قداح الميسر التى يكون لها الفوز ، (أدعو بهن) أى بالمغاليق ، (لعافر أو مطفل) أى للعب بها على جزور عافر فتكون سمينة أو لجزور ذات طفل فتكون أغلى ثمنا ، ولحامها أى لحومها جمع لحم (المعنى) ورب جزور مقامر يندعوت من أجل نحرها سواء كانت عاقرة أم مطلقا بقداح متشابهة العلامات فائزة عند اللعب بها — تبذل لحومها الجيران الجميع .

(٣) تبالة : بلد بين اليمن والحجاز (فى العسير) أهضامها ، أى وديانها وهى من أخصب بلاد العرب (المعنى) أى أن ضيفه وجاره الغريب يكونان من الخصب بمنزلة من نزل تبالة .

(٤) الأطناب : جمع طنب وهى حبال الخيام ، والرذية : المرأة الضعيفة جوعا أو الأرملة البائسة ، والبلية فى الأصل : الناقة يموت صاحبها ، ~~فمن~~ عند قبره حتى تموت ، ويقولون إنه يبعث عليها فى القيامة ، وإنما يفعل ذلك من يعتقد منهم بحشر الأجساد ، وقالص : صفة لرذية . والأهدام : جمع هدم وهو التوب الخلق البالى . (المعنى) تأوى الى أفنية خيامنا كل رذية بأسة توشك أن تموت جوعا وهز الإء قصيرة الثياب البالية ، فتطعم .

(٥) التكليل : نضد اللحم بعضه على بعض . الخلاج : هنا الجفان الكبيرة ، وتمد أى يزداد فيها ، وشوارعا : نعمت للخلاج ، والشوارع النوق ترد الشريعة وهى منل المساء ، ويريد بها هنا اليتامى من الناس . (المعنى) أنه يطعم المعوزين والأرامل واليتامى لحوما يكفلون بها جفانهم عند تناوح الرياح أو شتداد هبوبها من كل ناحية وذلك فى الشتاء ، وهو زمن الجهد عندهم .

إِذَا التَّقَاتِ الْجَامِعُ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا لِرَازِ عَظِيمَةٍ جَسَامُهَا (١)
وَمَقْسَمٌ يُعْطَى الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا وَمَعْدَمٌ لِحَقُوقِهَا هَضَامُهَا (٢)
فَضْلًا وَذَوِ كَرِيمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى سَمَحٌ كَسُوبٌ رَغَائِبُ غَنَامُهَا (٣)
مِنْ مَعَشَرٍ سَنَّتْ لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَلِكُلِّ قَوْمٍ سُنَّةٌ وَإِمَامُهَا (٤)
لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يَبُورُ فَعَالُهُمْ إِذْ لَا يَمِيلُ مَعَ الْهَوَى أَحْلَامُهَا (٥)
فَاقْنَعْ بِمَا قَسَمَ الْمَلِيكُ؛ فَإِنَّهَا قَسَمَ الْخَلَائِقَ بَيْنَنَا عَلَامُهَا (٦)
وَإِذَا الْأَمَانَةُ قُسِّمَتْ فِي مَعَشِيرٍ أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظَّنَا قَسَامُهَا (٧)
فَبَنَى لَنَا بَيْتًا رَفِيعًا سَمَكُهُ فَمَا إِلَيْهِ كَهْلُهَا وَغُلَامُهَا
وَهُمُ السَّعَاةُ إِذَا الْعَشِيرَةُ أَفْطَعَتْ وَهُمْ فَوَارِسُهَا، وَهُمْ حُكَّامُهَا (٨)

- (١) أخذ يتمدح بقومه ، ويعتد ما أثرهم ، فقال : (إِذَا التَّقَاتِ الْجَامِع ... الخ) ولزاز كل شيء : الملازم له . والجشام : المتكلف القيام بالأمر الشاقة . المعنى : إذا اجتمع الناس لخطب عظيم لم يحل الجامع من رجل منا يقمع الخصوم .
- (٢ و ٣) ومنا العادل الذي يقسم الغنائم في العشيرة ؛ فيعطى كل ذي حق حقه ، ومنا الرئيس المستبد الذي يحكم على قومه بما شاء ؛ فلا يرد حكمه لهيبته ، ولو هضم حق هذا وأعطاه ذاك ، وإنما يفعل ذلك رغبة في الفضل على غيره وزيادة التحكم فيه . ومنا الكريم السمع الأخلاق الكثير الكسب والغنى للنفاس .
- (٤) أى سنت لهم آباؤهم هذه السنة الكريمة ، والإمام : المثال الذى يحاكي في كل شيء .
- (٥) الطبع : الدنس ، والبوار : الهلاك ، والفعال كسحاب : فعل الخير ، والأحلام : العقول .
- (المعنى) لا يبدسون أعراضهم ، ولا يفتنى عملهم للخير ، ولا تغلب أهواؤهم عقولهم .
- (٦) الخلائق : الطبايع ، وعلامها هو الله تعالى .
- (٧) أى أوفى قسام الحظوظ — وهو الله تعالى — بأوفر نصيب لنا من الأمانة .
- (٨) أى إذا حل بالعشيرة خطب فطبع سعوا لنجدتها وإسعافها .

وهم ربيع للجاور وفيهم والمرمات إذا تطاول عامها (١)
وهم العشرة أن سطى حاسد أو أن يميل مع العدو لثامها (٢)

(٦) قال النابغة الذبياني (٣)

كليني لهم يا أمية ناصب وليل أقاسيه بطى الكواكب (٤)
تطاول، حتى قلت ليس بمنقض وليس الذى يرعى النجوم بآيب (٥)

(١) وهم ربيع أى بمنزلة الربيع فى الخصب لمن جاوهم ، والمرمات أى الأراذل إذا تطاول عامها وكانت الأرملة تبقى بلا زواج مدة . كان ذلك فى الجاهلية وأول الإسلام ، ثم جعلت تلك المدة أربعة أشهر وعشرا .

(٢) وهم العشرة أى هم متوافقون ، وأن يطفى حاسد : أى خشية أن يطفى حاسد (المعنى) أنهم متعاضدون خشية أن يطفى الحساد بعضهم عن نصر بعض ، أو أن يميل لثامهم إلى الاعداء .

(٣) هو أبو أمانة زياد بن معاوية أحد أشرف قبيلة ذبيان من القبائل المضرية وأحد فحول شعراء الجاهلية . لقب بالنابغة لنبوغه فى الشعر بخاء وهو كبير . وهو ممن تكسب بالشعر فى الجاهلية ، ولكنه أتم مدح الملوك : ملوك المناذرة بالحيرة والغساسنة بالشام ، وكان ممن مدحهم من الأتريين النعمان بن المنذر ، فخره إليه . ثم وشى به عنده ، وهم بقتله ، ففر إلى ملوك الشام . فدحهم ، ولم يطب مقامه بالشام ، فطاد يستعطف النعمان بقصائد رائعة كانت سببا فى عفو عنه . وطال عمر النابغة ، ومات قبيل الإسلام . ويعد كثير من أصحاب المعلقات وأن معلقته هي قصيدته التى أولها :

عوجوا فحوا لنعم دمنة الدار ما ذا نحيون من نوى وأحجار

ومن أشهر قصائده القصيدة التى نشرحها وهى التى مدح بها عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بني غسان بالشام .

(٤) كليني لهم : أى دعبنى وهى من وكله للشئ أى أسله له . وأمىة : اسم امرأة تصغير أم وناصب صفة لهم أى هم ذى نصب أى تعب . ويطى الكواكب أى غروب كواكب . توهم أن ليله يطفى الكواكب وأنه طوّل لكثرة ما يقاسيه فيه من الهموم .

(٥) وليس الذى يرعى النجوم بآيب . أى وحتى قيل : ليس الذى « البيت » والذى يرعى النجوم يريد النجم الذى يتقدمها فيكون بمنزلة الراعى لها ويؤيد ذلك رواية (وليس الذى يهدى النجوم) ولما باب النجوم والشمس مغيبا كأنها رجعت إلى مبدئها ومسقطها : أى وحتى قيل إن أول النجوم الطالعة فى هذا الليل لا يغيب مع أنه سابقها فكان حقه أن يكون أول غائب . وقيل إن الراعى هو الصبح . وكل ذلك ذاية عن طول الليل .

- وَصَدْرٍ أَرَا حَ اللَّيْلُ عَازِبَ هَمِّهِ تضاعف فيه الحزن من كل جانب (١)
- عَلَى لَعْمَرٍ وَنِعْمَةٍ بَعْدَ نِعْمَةٍ لوالده ليست بذات عقارب (٢)
- حَلَفْتُ يَمِينًا (غَيْرَ ذِي مَشْنُونَةٍ ولا علم إلا حسن ظن بصاحب (٣)
- لَنْ كَانِ لِلْقَبْرَيْنِ قَبْرٍ يَجْلِقُ وقبر بصيذاء الذي عند حارب (٤)
- وَالْحَارِثِ الْجَفْنِيِّ سَيِّدِ قَوْمِهِ ليتمسن بالجيش دار الحارب
- وَتَقَتُّ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ ككائب من غسان غير أشائب (٥)
- بَنُو عَمِّهِ دُنْيَا، وَعَمْرُو بْنُ عَامِرٍ أولئك قوم بأسهم غير كاذب (٦)
- إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عصائب طير تهتدى بعصائب (٧)

(١) و صدر : أى وكلبنى أيضا لصدر . وأراح الليل : من الرواح وعازب : غائب (المعنى) ودعيني أيضا وصدرى المتضاعف الحزن الذى أريج هذا الليل ما كان غائبا من همه . ثم اقتضب الكلام اقتضاها وشرع فى مدح عمرو بن الحارث فقال (على لعمر) .

(٢) عقارب النعمة : تكديرها بالمن والأذى . (المعنى) على لعمر نعمة حديثة بعد نعمة قديمة لوالده لم يكدرهما من ولا أذى .

(٣) أى حلفت يميناً لم استثن فيها ولا علم لى بصحة هذه اليمين إلا ثقتى وحسن ظنى بصاحبى الذى أمدحه (٤) أى لئن كان المدوح عمرو منسوباً لصاحبى هذين القبرين وهو الواقع . وجلق : اسم لدمشق . وصيذاء ، من مدن ساحل الشام ، موضع قريب منها ، وحارب اسم رجل أو بلد وصاحباً القبرين : هما الأب ، والجد الأول ، والحارث الجفنى : هو الجد الثالث لأن المدوح هو عمرو ابن يزيد بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبى شمر الجفنى لأنه سيد آل جفنة . (المعنى) لئن كان هذا المدوح ابن هؤلاء الملوك العظام (وهو يعلم أنه ابنهم وإنما بالغ فى المدح) ليلقن مبلغهم وليطلبن بجيشه أعداءه فيغزوهم فى عقر دارهم كما كان آبائهم وأجداده يفعلون .

- (٥) أشائب : جمع أشابة وهم الأخطا ، أى أن هذه الككائب كلها من صلب غسان .
- (٦) أى أن هذه القبائل هم بنو عمه الأذنون ، وبنو عمه الأبعدون فى القرابة وهم بنو عمرو بن عامر .
- (٧) أى إذا غزوا حلقت عليهم جماعات النصور والعقبان والرخم لنا كل ممن يقتلونهم .

- يُصَاحِبُهُمْ حَتَّى يُغَيِّرَ مُغَارَهُمْ من الضاريات بالدماء الدُّوَارِبِ (١)
- تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ نُحُزْرًا عَيْسُونَهَا جلوس الشيوخ في ثياب المَرَانِبِ (٢)
- جَوَانِحَ قَدْ أَتَقَنَ أَنْتَ قَبِيلَهُ إذا ما التقى الجمعانِ أَوَّلُ غَالِبِ (٣)
- لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفَتْهَا إذا عَرَّضَ الْخَطَى فَوْقَ الْكَوَاثِبِ (٤)
- عَلَى عَارِفَاتٍ لِلطَّعَانِ عَوَاسٍ بينَ كَلُومٍ بَيْنَ دَائِمٍ وَجَالِبِ (٥)
- إِذَا اسْتَنْزَلُوا عَنْهُمْ لِلطَّعْنِ أَرْقَلُوا إلى الموت إِرْقَالَ الْجَمَالِ الْمَصَاعِبِ (٦)
- فَهُمْ يَتَسَاقَوْنَ الْمَنِيَّةَ بَيْنَهُمْ بأيديهمُ بَيْضَ رِقَاقِ الْمَضَارِبِ (٧)

- (١) أى تسير جماعات الطير معهم كأنها تغير باغارتهم على الأعداء ضاريات مندربات على دماء القتلى .
- (٢) نُحُزْرًا : جمع أنحزرو ونحزراء ، أى ضيقة العيون خلقة ، أو أنها تتحازر أى تبيض أجفانها لتعقد النظر . جلوس الشيوخ الخ . أى أنها عند اشتداد القتال تقع على أعالي الأرض والهضاب كأنها في ريشها ووقوفها وتحديد النظر تترقب القنبل جالسة جلوس الشيوخ إذا ألتفوا بأكسية المراتب يتحدثون النظر إلى شيء بعيد . والمراتب : جمع مرتباتى وهو الثوب المبطن بفراء الأرناب .
- (٣) جَوَانِحَ : أى ما تلات للوقوع .
- (٤) أى القنا الخطى المنسوب إلى الخط : بلد بالبحرين . والكواثب : جمع كاثبة ، وهى من جسم الفرس ما تحت الكاهل إلى الظهر بحيث إذا نصب عليه السرج كانت أمام القربوس يضع الفارس عليها رحمه مستعرضا : أى اعتادت الطير أن الرماح إذا عرضت على الكواثب كان ذلك لرزق يساق إليها .
- (٥) على عارفات : أى على خيول صابرات لطعان الأعداء عابسات الوجوه . والكوم : الجراح . والدائى : الذى يسيل دما . والجالب : الجرح الذى يسى أعلاه .
- (٦) أَرْقَلُوا : أسرعوا . والجمل المصعب : الفحل الصعب . (المعنى) إذا أنزل هؤلاء الأقوام عن هذه الخيول لضيق فى المكان ، ووقع الالتحام — أسرعوا إلى الموت على أرجلهم كأنهم الجمال المصعب .
- (٧) يتساقون : أى يسقى بعضهم بعضا .

- يَطِيرُ فُضَاضًا بَيْنَهَا كُلُّ قَوْنِسٍ وَ يَتَّبِعُهَا مِنْهُمْ فَرَأْسُ الْحَوَاجِبِ (١)
 وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُمْ مِنْ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ (٢)
 تَوَرَّثَ مِنْ أَزْمَانٍ يَوْمٍ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جَرَّبَنَ كُلَّ التَّجَارِبِ (٣)
 تَقْدُّ السَّلَوقِيَّ الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتَوَقِّدُ بِالْصَّفَاحِ نَارَ الْحُبَابِ (٤)
 بِضَرْبِ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكَاتِهِ وَطَعْنِ كَايَزَاغِ الْمَخَاضِ الضَّوَارِبِ (٥)
 لَهُمْ شِمَّةٌ لَمْ يَعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ مِنَ الْجُودِ ، وَالْأَحْلَامِ غَيْرُ عَوَازِبِ (٦)

(١) الفضاض : ما انقض وتفرق . والقونس أعلى البيضة التي توضع على الرأس من الفولاذ . وفراش الحواجب أى فراش الجمجمة وهى العظام الرقاق التي تكون أسفل الجمجمة فوق الحنك والخلق . والضمير في يتبعها يعود على (كل قونس) لأنه في معنى الجمع — كقوله تعالى : « وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » — (المعنى) يطير بين هذه السيوف قوائس الفرسان فضاضا ، ويتبع هذه القوائس في الطيران فراش . ما جرم الفرسان .

(٢) الفلول : جمع فل ، وهو النملة في حد السيف . والقراع : المضاربة بالسيوف . وهذا الاستثناء سماه ابن المعتز تأكيده المدح بما يشبه الذم إذ أن انقلابها من قراع الكتائب نحر وفضل ؛ لأنه دليل على صبرهم وشجاعتهم وكثرة ضررهم للاعداء .

(٣) أى أن هذه السيوف ورثت عن الآباء الذين حضروا يوم حليلة ، وهو يوم انتصرت فيه الفساسنة على المناذرة . وحليمة هذه ابنة الحارث بن أبي شمر جد المدوح الثالث وكانت ضمنت عسكر أبيها عند رجوعهم منصورين بالطيب فقيل في المثل (ما يوم حليلة بسر) .

(٤) السلوقي : أى الدرع السلوقي . والدرع مؤنثة ، وقد تذكر كما هنا ، وهو منسوب الى بلاد سلوقية من ساحل أنطاكية بالشام . والصفاح : الحجارة العراض ، ونار الحباجب : شعاع يضىء بالليل من ذباب يسمى الحباجب (المعنى) أن هذه السيوف تقطع الدرع المضاعفة النسيج وإذا ضرب بها الحجارة قدححت شررا يتطاير كأنه نار الحباجب .

(٥) الهام : جمع هامة وهى الرأس ، وسكاته : حيث يسكن ويستقر . والإيزاغ : دفع الباقية بمولها والمخاض : النوق الحوامل . والضوارب : التي تضرب بأرجلها (المعنى) إذا ضرب بها أزلت الهام عن الأعناق وإذا طعن بها خرج الدم في إثرها خروجا كاندفاع بول النوق الحوامل .

(٦) الأحلام : العقول . والعوازب : البعيدة أو الغائبة : أى أنهم أجواد حاضرو العقول .

- مَحَلَّتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ ، وَدِينُهُمْ قَوْمٌ ، فَمَا يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ (١)
- رَفَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجْرَاتُهُمْ يَحْيَوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ (٢)
- تُخَيِّرُهُمْ بَيْضُ الْوَلَدِ بَيْنَهُمْ وَأَكْبَسِيَةُ الْإِضْرِيحِ فَوْقَ الْمَشَاجِبِ (٣)
- يَصُونُونَ أَجْسَادًا قَدِيمًا نَعِيمُهَا بِخَالِصَةِ الْأَرْدَانِ خُضِرِ الْمَنَاكِبِ (٤)
- وَلَا يَحْسَبُونَ الْخَيْرَ لَا شَرَّ بَعْدَهُ وَلَا يَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةً لَا زِبَ (٥)
- حَبُوتُ بِهَا غَسَانٌ إِذْ كُنْتُ لَاحِقًا بِقَوْمِي ، وَإِذْ أُعْيِتَ عَلَى مَذَاهِي (٦)

وَقَالَ يَمْدَحُ النِّعَانَ ، وَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِ ، مِنْ قَصِيدَةٍ مَطْلَعُهَا :

عَفَا ذَوْحًا مِنْ قَرَّتْنِي ، نَالِ الْفَوَارِعِ بَحْنًا أُرِيكَ ، فَالْتَّلَاعُ الدَّوَافِعُ (٧)

(١) يَرُودُ مَحَلَّتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَمَحَلَّتْهُمْ فَعْنَى الْأَوَّلَى مَسْكَنُهُمْ دَارُ نَفْسِ الْإِلَهِ يَرِيدُ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ وَالْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةَ . وَمَعْنَى الثَّانِيَةِ : كِتَابُ حُكْمِهِمْ وَمَقْرُوءُهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ . أَيْ عِبَادَةُ الْإِلَهِ . وَالْعَوَاقِبُ : جَمْعُ عَاقِبَةٍ أَيْ عَاقِبَةُ أَعْمَالِهِمْ جَزَاءُ الْإِلَهِ لِمَنْ عَلَيْهِمْ . يَصِفُهُمْ بِأَنَّهُمْ مُتَدِينُونَ .

(٢) رَفَاقُ النِّعَالِ : أَيْ أَنَّ نِعَالَهُمْ رَقِيقَةٌ لَا يَخْضَفُونَهَا طَبَاقًا ، وَذَلِكَ كِتَابَةٌ عَنْ قَلَّةِ مَشْجَمِ الْأَنْهَمِ مُلُوكِ لَا يَمُشُونَ بَلْ يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ غَالِبًا . وَحِجْرَةُ الْأَزَارِ وَالسَّرَاوِيلِ : يَجْمَعُ شَدَّهَا عَلَى الْوَسْطِ مِنَ الْجِسْمِ ، كِتَابَةٌ عَنْ عَفْتِهِمْ . وَالرَّيْحَانُ الزَّهْرُ الطَّيِّبُ الرَّائِحَةُ . وَالسَّبَاسِبُ : يَوْمُ الشَّعَائِنِ ، وَهُوَ يَوْمُ عِيدِ عَبْدِ النَّصَارَى وَكَانَ الْمَدْحُوحُ نَصْرَانِيًا ، وَذَلِكَ كِتَابَةٌ عَنْ رَفَقَةِ أَمْرِجَتِهِمْ وَحُسْنِ أَذْوَاقِهِمْ أَوْ مَحَافِظَتِهِمْ عَلَى التَّقَالِيدِ الْمَرْغُوبَةِ .

(٣) الْوَلَدُ : الْإِمَاءُ . وَالْإِضْرِيحُ : الْخَزْأُ الْأَحْمَرُ اللَّوْنُ ، وَالْخَزْ : ثِيَابٌ تَنْسَجُ مِنَ الصُّوفِ الْمُخْلُوطِ بِالْحَرِيرِ ، وَالْمَشَاجِبُ : جَمْعُ مَشْجَبٍ ، وَهُوَ الْأَعْوَادُ تَنْشُرُ عَلَيْهَا الثِّيَابُ وَتَعْلَقُ . أَيْ أَنَّهُمْ مُلُوكُ أَهْلِ نِعْمَةٍ خَدَمَهُمُ الْوَلَدُ الْبَيْضُ ، وَثِيَابُهُمْ ثَمِينَةٌ مَصُونَةٌ تَعْلَقُ عَلَى الْمَشَاجِبِ .

(٤) الْأَرْدَانُ : جَمْعُ رَدَنٍ ، وَهُوَ مُقَدَّمٌ كَمِ الْقَمِيصِ (الْمَعْنَى) يَصُونُونَ أَجْسَادَهُمُ الْعَرَبِيَّةَ فِي التَّنَمِّ بِثِيَابِ بَيْضِ الْأَرْدَانِ خُضِرِ الْمَنَاكِبِ . وَكَانَ هَذَا الزِّيُّ مِنْ لِبَسِ الْمُلُوكِ .

(٥) اللَّازِبُ : الثَّابِتُ اللَّازِمُ (الْمَعْنَى) أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا تَصَرُّفَ الزَّمَانِ وَتَقَلُّبَهُ ، فَإِذَا أَصَابَهُمْ خَيْرٌ لَمْ يَتَّقُوا بِدَوَامِهِ فَيَبْطَرُوا ، وَإِذَا أَصَابَهُمْ شَرٌّ لَمْ يَرْهَقْهُمْ ، وَأَيُّقِنُوا أَنَّهُ لَا يَدُومُ فَلَمْ يَقْنَطُوا ؛ فَوْصَفَهُمُ بِالْإِعْتِدَالِ .

(٦) أَيْ حَبُوتُ بَقِصَانْدَى غَسَانٍ عِنْدَ مَا كُنْتُ لَاحِقًا بِقَوْمِي غَيْرِ خَائِفٍ مِنْ أَحَدٍ وَعِنْدَ مَا كُنْتُ خَائِفًا هَارِبًا مِنَ النِّعَانِ ، وَضَاقَتْ عَلَى مَذَاهِي . أَيْ أَنَّهُمْ خَيْرٌ مِنْ يَمْدَحِهِمْ فِي حَالِي الْأَمْنِ وَالْخَوْفِ .

(٧) عَفَا : دَرَسَ ، وَذَوْحًا وَالْفَوَارِعَ وَأُرِيكَ وَالتَّلَاعَ : أَسْمَاءُ مُوَاضِعَ ، وَفَرَّتْنِي اسْمُ امْرَأَةٍ . (الْمَعْنَى) عَفَا مِنْ مَنَازِلِ فَرَّتْنِي ذَوْحًا وَمَا جَاوَرَهُ مِنَ الْفَوَارِعِ وَجَانِبِي أُرِيكَ فَتِلْكَ التَّلَاعُ الَّتِي تَدْفَعُ الْمَيَاهُ إِلَى الْوَادِي

ومنها :

- أَتَانِي — أَبَيْتَ اللَّعْنَ — أَتَاكَ مُتَنِي وتلك التي تَسْتَكُّ منها المِسامع (١)
مَقَالَةٌ أَنْ قَدْ قُلْتُ : سَوْفَ أَنَا لَهُ ، وذلك من تَلَقَّاءٍ مِثْلِكَ رَائِعٌ (٢)
لَعَمْرِي — وما عَمْرِي عَلَى بَيِّنٍ — لَقَدْ نَطَقْتُ بُطْلًا عَلَى الْأَقَارِعِ (٣)
أَقَارِعُ عَوْفٍ ، لَا أَحَاوُلُ غَيْرَهَا وَجْوهُ قُرُودٍ تَبْتَغِي مَنْ تُجَادِعُ (٤)
أَتَاكَ أَمْرٌ مُسْتَبْطَنٌ لِي بَغْضَةٍ لَهُ مِنْ عَدُوٍّ مِثْلِ ذَلِكَ شَافِعٌ (٥)
أَتَاكَ يَقُولُ هَلْهَلِ النَّسِجِ كَاذِبٍ وَلَمْ يَأْتِ بِالْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَاصِعٌ (٦)
أَتَاكَ بِقَوْلٍ لَمْ أَكُنْ لِأَقُولَهُ وَلَوْ كُئِلْتُ فِي سَاعِدَيَّ الْجَوَامِعِ (٧)
خَلَفْتُ ، فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً — وَهَلْ يَأْتُمُّنْ ذُو أَمَّةٍ ، وَهُوَ طَائِعٌ — (٨)
بُصْطَحِبَاتٍ مِنْ لِصَافٍ وَثْبَرَةٍ يُزُرْنَ إِلَّا ، سَيَرُهُنَّ التَّدَافِعُ (٩)

(١) أبيت اللعن : كلمة يدعى بها للوك ، أى حفظت مما تلعن به . وتستنك : تضيق (المعنى) أتتى عنك ملامة يضيق عنها السمع و ياباها .

(٢) مقالة مرفوع على أنه بدل من فاعل أتانى فى البيت السابق ، سوف أنا له أى بأذى . أى وذلك خبر مفعول منك ومن مثلك من أهل القدرة والسلطان .

(٣) أراد بالأقارع بنى قريع بن عوف ، وكانوا وشوا به الى النعمان .

(٤) تجادع : شاتم .

(٥) أى أتاك امرؤ منهم مستبطن لى بغضا له يشفعه آخر مثله من الأعداء بالوشاية .

(٦) هلهل بكعقر : صفة لقول ، أى أتاك بقول سخيف النسج كاذب ، ولم يأتك بالحق الواضح .

(٧) الجوامع : جمع جامعة وهى : الغل والقيد فى اليد أو العنق ، وكملت أى ضيقت .

(٨) الأمة : الدين والاستقامة أى وهل آثم فى يمينى ، وأنا أدين لك وفى طاعتك .

(٩) لصف وثرية ماء ان يستقى منهما الركبان على طريق مكة . وإلال جبل عن يمين إمام الحج

حيث يقف بعرفة (المعنى) خلفت بنوق مصطحبات للحجاج يمتطونها من لصف وثرية الى عرفة حيث يتبين

الى إلال يزرنه ، ثم يقصدون مكة متدافعات فى السير أى يدفع بعضهم بعضا من الازدحام . وحلف بهذه

النوق التى تزور عرفة ومكة تعظيما لها .

- سَمَاءاً تُبَارَى الرِّيحَ خَوْصاً عِيُونُهَا لَهَبٌ رِذَايَا بِالطَّرِيقِ وَدَائِعُ (١)
 عَلَيْهِنَّ شُعْتُ عَامِدُونَ لِحُجَّتِهِمْ فَهِنَّ كَأَطْرَافِ الْحَنَى خَوَاضِعُ - (٢)
 لَكَلَفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ ، وَتَرَكْتَهُ كَذَى الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعُ (٣)
 فَإِنْ كُنْتَ لَازِدُ الضَّغْنِ غَنَى مُكَذَّبٌ وَلَا حَلِيفِي عَلَى السَّبْرَاءِ نَافِعُ
 وَلَا أَنَا مَأْمُونٌ بِشَيْءٍ أَقُولُهُ وَأَنْتَ بِأَمْرٍ - لَا مُحَالَةَ - وَاقِعُ (٤)
 فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خَلْتُ أَنَّ الْمَتَأَى عَنْكَ وَاسِعُ (٥)
 خَطَاطِيفُ حُجْنٍ فِي حِبَالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدِيكَ نَوَازِعُ (٦)

(١) السماء : طائر أعظم من الخفاف من الطيران . وتبارى الريح : تعارضها . وخوصاً عيونها : أى ضيفات عيونها ، والرذايا : جمع رذية ، وهو المتروك المطروح من الإبل الهالك في أثناء الطريق . (المعنى) : ترور هذه الإبل إلا لا حال كونهن سريعات السير كالسهم ضيقات العيون من الجهد واتقاء الغبار ، وقد سقط منها هوالك في الطريق مودعة به .

(٢) شعْتُ : جمع أشعث ، وهو المغبر الشعر من طول السفر المتفرقة ، والحنى : جمع حنية ، وهي القوس . (المعنى) : على هذه النوق رجال شعْتُ قاصدون للحج ، وقد أصبحت هذه النوق من عنا السفر ضامرة كالأقواس المبرية خاضعة الأعناق لأمعاء وتعبا .

(٣) لكلفتني : جواب القسم . والعر : قروح مثل القوباء تخرج من الإبل متفسخة في مشاقرها وقوائمها ، فتكوى الصحاح في هذه المواضع لئلا تعديها المراض . (المعنى) : لقد أخذتني بذنب الجاني وتركته ، فأنا وهو كمثل انفصيل المعرور : يترك راتعاً يأكل ما شاء في مرعاه ، ويكوى غيره وهو سليم .

(٤) وأنت بأمر لا محالة واقع ، أى وأنت في أمر لا يبدأ واقع لا محالة .

(٥) فإنك كالليل الخ أى فإن عقابك ومؤاخذتك كالليل أى لا أنجو من عقابك مهما اتسعت أمامي مذاهب البعد منك والحرب عنك . وخص الليل دون النهار لأن الليل موحش يخشى شره كما يخشى عقاب الملك .

(٦) خطاطيف : خبر لمبتدأ مخذوف أى لك بخطاطيف : جمع خطاف . أو مبتدأ ستوخ الابتداء به الوصف وتمت خبره . وحجن : جمع أجن أى معوج . (المعنى) : أن لك خطاطيف تمتد إلى يديك نازع بي اليك وتجذبني .

أَتُوْعِدُ عَبْدًا لَمْ يَخْنُكْ أَمَانَةً وَيُتْرَكُ عَبْدٌ ظَالِمٌ وَهُوَ ضَالَعٌ ^(١)
 وَأَنْتَ رَبِيعٌ يُنْعِشُ النَّاسَ سَبِيهٌ وَسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَاطِعٌ ^(٢)
 أَبِي اللَّهِ إِلَّا عَدْلُهُ وَوَفَاءُهُ فَلَا النُّكْرُ مَعْرُوفٌ ، وَلَا الْعُرْفُ ضَائِعٌ ^(٣)
 وَتُسْقَى إِذَا مَا شِئْتَ غَيْرَ مُصَرَّدٍ بِزُورَاءَ ، فِي حَانَاتِهَا الْمَسْكُ كَانِعٌ ^(٤)

(٧) قَالَ أَعْشَى قَيْسٌ : ^(٥)

وَدَّعْ هَرِيرَةً إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَحِلٌ وَهَلْ تَطِيقُ وَدَاعًا أَيُّهَا الرَّجُلُ ^(٦)

(١) الضالَع : الجائر المذنب . (٢) السيب : العطاء .

(٣) أى أن الله عادل : ليس النكر مقبولا عنده ، ولا المعروف ضائعا وهو جاعل النعمان بإرادته عابدا . وإذا أعدنا الضمير على النعمان فالمعنى ظاهر أيضا .

(٤) التصريد : الشرب دون الرى ، وزوراء : دار كانت بالحيرة للمناذرة ، وكنع المسك بالشئ : تراكم ولزق . والبيت دعاء للنعمان .

(٥) هو أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل القيسى البكرى ، أحد فحول شعراء الجاهلية ، والمتكسبين بالشعر منهم ، وينتهى نسبه إلى بكر بن وائل ، وكان يسكن أرض اليمامة فى قرية منها تسمى " منفوحة " ، قال الشعر وأجاده وذاع صيته ، ومدح الملوك والأجواد ، ومنهم المناذرة ، وملوك نجران ، حتى طمع فى جوائز كسرى ، فرحل إليه ومدحه ، وله شعر غزير جيد ، وقصائد مطولة ، وهو أحد المكثرين فى وصف النمر . عرب فى شعره كثيرا من الالفاظ الفارسية بعد دخوله أرض فارس . ولشعره حلاوة ورنه فى نفس سامعه حتى سمى صناجة العرب ، ومات فى أوائل ظهور الإسلام ، وعده كثير من أصحاب المعلقات وأن معلقته القصيدة اللامية التى مطلعها :

ما بكاء الكبير فى الأطلال وسؤالى وما ترد سؤالى

وقيل : معلقته هى القصيدة التى نحن بصدد شرحها .

(٦) هريرة اسم قينة كانت لرجل من آل عمر بن مرثد أهداها إلى قريب له ، فولدت خليدا لآتى ذكره فى شعره . .

- غَرَاءُ فَرَعَاءَ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا تَمْشِي الْهُوَئِي كَمَا يَمْشِي الْوَجِي الْوَحْلُ (١)
 كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتٍ جَارِيهَا مَرَّ السَّحَابَةِ ، لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ (٢)
 نَسَمْعُ لِلْحَلَى وَسَوَاسًا إِذَا انْصَرَفَتْ كَمَا اسْتَعَانَ بِرِيحٍ عِشْرُقُ زَجَلُ (٣)
 لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الْجِيرَانَ طَلَعَتَهَا وَلَا تَرَاهَا لَسَرَ الْجَارِ تَحْتَلُّ (٤)
 يَكَادُ يَضْرَعُهَا (لَوْلَا تَسَدُّدُهَا) إِذَا تَقَوْمُ إِلَى حَارَاتِهَا — الْكَسَلُ (٥)
 إِذَا تَقَوْمُ يَضْوَعُ الْمِسْكَ أَصُورَةً وَالزَّنْبَقُ الْوَرْدُ مِنْ أَرَادْنَهَا شَمِلُ (٦)
 مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزْنِ مُعْشِبَةٌ خَضِرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ قَطِلُ (٧)

(١) الغراء : البيضاء الواسعة الجلين ، والفرعاء : الطويلة الفرع أى الشعر ، والعوارض هنا : الرباعيات والأنياب من الأسنان ، يريد أنها تقيع الأسنان ، الوجي : الذى يشتكى حافره ولم يحف بعد ؛ فيكون شبه متاقلا ، فكيف اذا كان وحلا ؟ أى يمشى فى الوحل . يعنى : أن هذه الجارية لسمها وتدلها تمشى متهلة متقابلة .

(٢) الريث : البطء .

(٣) الوسواس : صوت الحلى ، والعشوق : شجرة مقدار ذراع لها أكام فيها حب صغار إذا جفت قوت بها الريح تحرك الحب فسمع له خشخشة على الحصى . شبه وسواس حليها بصوته اذا ضربته الريح .

(٤) تحتل : أى تسمعه استراقا .

(٥) يصفها بالسمن والترف ، وكانوا يمدحون المترفات بالكسل وقلة العمل فى البيت لأنهن مخدومات

(٦) بضوع المسك : أى تذهب رائحته هنا وهناك ، وأصورة : جفع صوار بالضم ، وهو نابغة المسك أوحقه ، والزنبق عند العرب : زيت الياسين ، وأجوده ما كان يميل الى حمرة ، ولذلك وصفه بالورد . (المعنى) اذا قامت هذه الجارية تضوع منها المسك شديدة رائحته كأنما تضوع من عدة حقائق ، وكذلك كانت رائحة زيت الياسين المنبثة من أطراف أكامها شاملة عامة للكان الذى هى فيه .

(٧) الحزن : الأرض الغليظة ، والحزن المراد هنا : موضع بيلاد بنى يربوع من اليمامة فيه رياض

وقيعات .

- يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقُ مؤزَّرٌ بعميمِ النَّبتِ مَكْتَهِلُ (١)
يَوْمًا بِأَطْيَبَ منها نَشْرَ رائِحَةِ ولا بأَحْسَنَ منها إِذْ دَنَا الأَصْلُ (٢)
صَدَّتْ هَرِيرَةُ عَنَّا مَا تُكَلِّمُنَا جَهْلًا بِأَمِ خَلِيدٍ، حَبَلٌ مَنْ يَصِلُ؟ (٣)
أَنَّ رَأْبَ رَجُلًا أَعْشَى أَضْرِيهِ رَبِيبُ المُنُونِ وَدَهْرٌ مُقِنْدٌ خَبِيلُ (٤)
قَالَتْ هَرِيرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِرَهَا : وَيْلِي عَلَيْكَ ! وَيْلِي مِنْكَ يَا رَجُلُ ! (٥)
إِذَا تَرَيْنَا حُفَاةً ، لَا نِعَالَ لَنَا إِنَّا كَذَلِكَ مَا نَحْفَى وَنَتَعِصِلُ (٦)
وَقَدْ أَقْوَدُ الصَّبَا يَوْمًا ، فَيَتَبَعُنِي وَقَدْ يَصَاحِبُنِي ذُو الشَّرَةِ الْغَزَلُ (٧)

(١) كوكب كل شيء : معظمه ويريد به هنا جماعة الزهر ، أى يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها ، أو يتفتح ويشرق عند شروقها ، وهذا الزهر مؤزر أى يكفه نبات تام النمو ملتف عليه كالنفاف الإزار .

(٢) الأصل : جمع أصيل وهو من العصر إلى الظلام ، وخص هذا الوقت لأن الجوى يبرد فيه فيهب النسيم حاملا رائحة الأزهار ، وبأطيب خبر قوله ما روضة السابقة ، يعنى أن رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة .

(٣) أم خليل : كنية هريرة وقوله (حبل من تصل ؟) استفهام تعجبى ، يعنى : إذا هجرتنا ولم تكلمنا فن تكلم إذن ؟ .

(٤) الأعشى : الذى لا يبصر بالليل ، والمقند : الآتى بالفتد وهو السفه فى رأى ، ومثله الخبال .

(٥) « ويلى عليك ويلى منك » أى أتفجع عليك لأنك تسعى بزيارتك لى فى هلاك نفسك ، وأتفجع منك لأن زيارتك لى تجر إلى هلاكى . (المعنى) أمن أجل أن رأيتى هريرة رجلا أعشى قد أهلك الموت أهله وخانه دهر سفيه مخبول تقول لى لما زرتها « ويلى عليك الخ » .

(٦) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التى صددت عنه من أجلها طاردة عليه بفعل الموت والزمان ، وأنه كان شايأ غنيا طروبا غزلا يشرب الخمر مع فتيان مثله ويستمتع للقيان وينعم بهن فقال : « إنا ترىنا حفاة لا نعال لنا ... الخ » أى إن ترىنا نتبدل مرة فنمشى حفاة فليس هذا دأبنا دائما فاننا نمشى أيضا منتعلين فطورا نفتقر وطورا نغنى .

(٧) أقود الصبا الخ : أى أتصابى ، وآتى بأفعال الفتيان ، ويصحبني منهم الغزل ذو الشره ، وهى

- وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعني شاورِ مشلَّ شلُولُ شُلُشْلُ شُولُ (١)
- في فِتيَةٍ كسيوفِ المنيدِ قد علموا أَنْ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَحْفَى وَيَتَعَلَّ (٢)
- نازعُهم قُضْبَ الرِّيحانِ متيكتا وقهوةٌ مُزَّةٌ رَاوُوقُهَا خِضَلُ (٣)
- لا يستفيقون منها، وهي راهنةٌ إلا بهاتِ، وإن علَّوا، وإن نهَّلوا (٤)
- يسعى بها ذو زجاجاتٍ له نطفٌ مقلَّصٌ أسفلَ السَّربالِ معتمَلُ (٥)
- ومستجيبٌ تخالُ الصَّنَجُ يُسمِعُهُ إذا تُرَجَّعَ فِيهِ القَيْنَةُ الفُضْلُ (٦)

(١) الحانوت: بيت الخمار، والشاوي: الذي يشوي اللحم، والمشل: السواق الخفيف، والشلول

المشترى، فيحمله له ويرفعه. (المعنى) قد أكر إلى حانة الخمار يتبعني غلام طاه يشوي لي اللحم ويسوق دابتي سوقا حسنا، ويحمل لي ما أشتريه في نشاط وخفة روح، وذكر هذه الألفاظ المتقاربة الحروف والمعاني مبالغة، ولكنها عييت عليه.

(٢) أي كالسيوف في المضاء والصرامة وأن تخففة من الثقبلة واسمها ضمير الشأن المحذوف وجملة خبرها «هالك كل من... الخ» فهالك خبر مقدم وكل مبتدأ مؤخر. (المعنى) أي في فتيه قد علموا أن جميع الناس هالكون فهم يتندرون اللذات خوف أن يفوتها الموت عليهم.

(٣) الريحان: كل زهر طيب الرائحة، ونازعهم قضب الريحان: أتناولها مرة ويتناولونها أخرى؛ والقهوة: الخمرة، والراووق: الوعاء الذي تروق فيه الخمر، وخضل: دأبم الندى لا يجف لكثرة شربهم. (٤) راهنة: دائمة أمامهم أي لا يتنبون إلا إذا أبطأ عليهم الساق فصاحوا به «هات» ولو شربوا حلا بعد نهل أي مرة بعد أخرى.

(٥) النطف: القرطة من اللؤلؤ، ومقلص: مشمر، والسربال: القميص، والمعتمَل: النشيط. (المعنى) يسعى بالخمرة ساق يحمل زجاجاتها مقرط الأذن بلؤلؤ، مشمر ذيله معتمَل نشيط.

(٦) ومستجيب: أي ووب عود طرب مستجيب لصوت الصنج كأنه يسمعه النغم فيجيبه بحاكاته، أي أن العود والصنج متفقان في النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر. والصنج: دوائر رفاق من نحاس، يصفق بإحداها على الأخرى وهي التي نسميها في زماننا «الكاسات» وهو أيضا نوع من الآلات الوترية، وترجع: تردد النغم، والقينة: الأمة، وقيل: إذا كانت مغنية، والمرأة الفضل: التي تلبس ثوبا واحدا كأنها متبدلة.

والساحباتُ ذُيُولَ الرَّيْطِ آوِنَةٌ والرافلاتُ على أعجازها العِجَلِ (١)
من كل ذلك يومٌ قد لَهَوْتُ به وفي التجارب طولُ اللهو والغزل (٢)

* * *

أبلغ يزيدُ بنى شيبانَ مَالِكَةً : أبا بُشَيْبٍ أَمَا تَتَفَكُّ تَأْتِكِلِ (٣)
أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عَنْ تَحْتِ أَثْلَتِنَا وَلَسْتَ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ (٤)
كَطَاحِ صَخْرَةٍ يَوْمًا لِيُوهِنَهَا فَلَمْ يَضُرَّهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعْلُ
تُعْرِى بِنَا رَهْطَ مَسْعُودٍ وَإِخْوَتِهِ يَوْمَ اللَّقَاءِ ، فَتُرْدِي ، ثُمَّ تَعْتَزِلُ (٥)
لَا أَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدْتُ عِدَاوَتَنَا وَالتُّمَسَّ النَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضٌ مُحْتَمَلُ (٦)
فَلَحِمَ أَبْنَاءُ ذِي الْجَدَيْنِ إِنْ غَضَبُوا أَرْمَاحَنَا ، ثُمَّ تَلْقَاهُمْ ، وَتَعْتَزِلُ (٧)
لَا تَقْعُدَنَّ ، وَقَدْ أَكَلَتْهَا حَطَبًا تَعُودُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَتَبْتَهِلُ (٨)

(١) والساحبات بالنصب على أنه مفعول لفعل مقدر : أى وترى الساحبات ، أو على أنه معطوف على الصنح ، أى وتخال الصنح يسمعه وتخال الساحبات كذلك ، أى يوافقن فى غنائهن نغم العود ، والريط : الملاءات ، وآوينة : جمع أوان . والرافلات : الجازات لثيابهن خلفهن ، والعجل : القرب الصغيرة شبه بها أعجازهن .

(٢) أى لهوت وتغزلت طولًا ولا على تجاربي .

(٣) المألكة : الرسالة ، وتأكل : يأكل بعضك بعضًا من الغيظ .

(٤) أصل الأثلة الشجرة من الأثل ، والمراد بها هنا أصلنا ومجدنا المؤنل ، وأطت الإبل : أنت تعيا

وحيننا . (المعنى) لست بضارنا أبدا الدهر .

(٥) تعرى بنا رهط مسعود : أى تلصق العداوة بيننا وبينهم فهلك الناس باغرائك ثم تعتزل القتال .

(٦) عوض : ظرف لمستقبل الزمان ضد قط التى هى للماضى ، تقول عوض لا أفارك . أى لا أفارك

أبدا ، وتحتمل بالبناء للجهول . من احتمل الرجل أغضب . أى لا أظنك إن احترم الشر بيننا والتمس منك المساعدة تغضب للتمس وتنصره .

(٧) أى تجعلهم لمة وطعاما لرماحنا وذو الجدتين : قيس بن مسعود من أشرف العرب .

(٨) أكلتها : أجمعها ثم تعود بالله من شرها وتبتهل إليه فى اجتنابها .

- سائل بنى أسد عنا، فقد علموا
 واسأل قُشَيْرًا وَعَبْدَ اللَّهِ كُلَّهُم
 إنا نقاتلهم حتى نقتلهم
 قد كان في آل كهف إن هم احتربوا
 إني لعمر الذي خطت مناسمها
 لئن قتلتم عميدا لم يكن صددا
 لئن منيت بنا عن غيب معركة
 لاتتمهون . وإن ينهى ذوو شطيط
 أن سوف يأتيك من أنبيائنا شكل^(١)
 واسأل ربيعة عنا كيف نفعل^(٢)
 عند اللقاء، وإن جاروا، وإن جهلوا
 والهاشمية من بسى ويتضل^(٣)
 تحدى ، ويسبق اليه الباقر الغيل^(٤)
 لتقتلن منله منكم ، فتمثيل^(٥)
 لا تُلَفِنَا عن دماء القسوم تنقل^(٦)
 كالطعن يذهب فيه الزيت والقتل^(٧)

(١) شكل : أزواج ، أى خير ثم خير .

(٢) نفعل : نأتى بالامر العظيم المبتلع .

(٣) آل كهف والهاشمية : حياض من العرب ، أى لقد كان في هذين الحيين من بسى لأخذ ثاره ويتاضل فا دخولك أنت بينهم ولست منهم .

(٤) خطت : سفت التراب بمناسمها ، والمناسم : جمع منسم كجلس ، طرف الخف من البعير وتحدى : تدرع في السير مع اضطراب ، والباقر : البقر ، والغيل ككتب ، جمع غيول : الكثير من الإبل والبقر ونحوها (المعنى) إني أحلف بالله الذى ترحل إلى بيته لئلا ألحق سرعة تير التراب بمناسمها ويساق اليه البقر الكثير ليضحي به هديا يتقرب به إليه .

(٥) العميد : السيد ، وصدد الشيء : المقابل له أو القريب منه فتمثل أى تخير الأمل فالأمل (المعنى) لئن قتلتم منا سيدا لم يكن في وفاة الشأن مقاربا للقاتل لئلا يقتل به أفضل سيد فيكم .

(٦) منيت : أصيبت وأبليت بنا بعد معركة ، وتنقل : تلوى وتصرف (المعنى) لئن أبليت بحربنا لا نجدنا نججد دماء قومك ونشبرا منها بل نعرف بها وتستعد للقاتل عند ما تريدون أخذ الثأر منا .

(٧) الشطط : الجور والظلم أى أنكم لاتتمهون عن أذانا ، ولا ينهاكم عن ظلمنا الا طمعة حائفة إذا عولجت بوضع الزيت والقتيل ذهب الزيت والقتيل فيها لغورها ، ولم يغن العلاج وبقي الجرح بلا برء .

- حتى يَظَلَّ عَمِيدُ القَوْمِ مَرْتَفِقًا يَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةً عَجَلُ (١)
- أَصَابَهُ هِنْدُوَانِيٌّ، فَأَقْصَدَهُ أَوْ ذَابِلٌ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ مَعْتَدِلُ (٢)
- كَلَّا ! زَعَمْتُمْ بِأَنَا لَا نَقَاتُلُكُمْ إِنَا لِأَمْثَالِكُمْ يَا قَوْمَنَا قُتْلُ (٣)
- نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْحِنُوِّ ضَاحِيَةٌ جَنِّي فُطَيْمَةً لَا مَيْلَ وَلَا عُزْلُ (٤)
- قَالُوا : الطَّعَانُ . فَقُلْنَا : تِلْكَ عَادَتُنَا ، أَوْ تَنْزِلُونَ ، فَإِنَا مَعَشَرٌ نَزَلُ (٥)
- قَدْ نَخْضِبُ الْعَيْرَ فِي مَكْنُونٍ فَائِلِهِ وَقَدْ يَتَشَيِّطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا الْبَطْلُ (٦)

(١) العجل : جمع عجول : المرأة الشكلى ، أى لا تتقنون عن غيكم حتى نضرع سيد قومكم ، فيظل معتمداً على مرفقه بهم بالقيام فلا يستطيع ، وقد فرغته أنصاره أو قتلوا ، ولم يبق مدافع عنه إلا نسوة .
ثكالى يدفعن عنه بأ كفهن خشية أن تدوسه الأرجل .

(٢) الهندوانى : المنسوب الى الهند أى سيف هندوانى ، وأقصده : أصابه فلم يخطئه . أوذابل :
أى رمح ذابل من رماح الخط وهى بلد فى البحرين تجلب منها الرماح .
(٣) قتل : جمع قتول أى قتال .

(٤) الحنو : الموج من جبل ورمل ومن كل شئ . : ويوم الحنو : من أيامهم ويسمى « حنو فراق » وحنو ذى قار » . وفطيمة : اسم موضع بالبحرين انتصر فيه قومه على بنى شيبان . وقيل الشئ ضاحية : أى علانية — والميل : جمع أميل وهو الذى لا يثبت فى القتال . والعزل : جمع أعزل وهو الذى لا سلاح معه وحركت الزاى بالضم (المعنى) نحن الفوارس المنتصرون علانية يوم الحنو بجانبى وادى فطيمة حيث لم تكن ثمة فارسين ولا عزلاً من السلاح .

(٥) أى أو تنزلون عن خيولكم فنجالدكم بالسيوف بدل المطاعنة بالرماح فانا مثلكم نازلون .

(٦) العير : المراد به هنا حمار الوحش الذى يصاد بالرماح ، والفائل : عرق يجرى من الجوف الى الفخذ . ومكنون فائله : الدم الذى ينفجر منه . ويشيط : يهلك (المعنى) انا بصراء بموضع الطعن فاذا كان الصيد والطرده طعنا حمار الوحش فى فائله فحضبنا العير بدماثة التى تنزف منه ، واذا كان القتال طعنا الفارس فرغناه على رماحنا .

(٨) قال طرفة بن العبد (١) :

نَحْوَلَةَ أَطْلَالٍ بِبَرْقَةٍ شَهْمِدِ تَلُوحُ كَبَائِي الْوَشْمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ (٢)
وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيئِهِمْ يَقُولُونَ : لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدِ (٣)
كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدُوءَ خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ (٤)
عَدُولِيَّةٍ أَوْ مِنْ سَفِينِ ابْنِ يَامِنٍ يَجُورُ بِهَا الْمَلَّاحُ طَوْرًا ، وَيَهْتَدِي (٥)

(١) هو طرفة بن العبد البكري أحد نخول شعراء الجاهلية ، مات أبوه وهو صغير ورباه أعمامه ، ومال إلى البطالة وقول الشعر ، وتعرض به لهجاء الناس والملوك ، وكان ممن هجأهم عمرو بن هند ، فجاء يوما يسترض لمعرفه ، فأحاله على عامل له بالبحرين بأن يأخذ جائزته منه ، وأوعز ابن هند إلى الوالي بقتله فقتله وهو شاب لم تزد سنه على ست وعشرين سنة . وهو من أوصف الناس للناقة ، يميل إلى الغريب من اللفظ والكناية حتى تكاد تخفى معانيه في بعض أبيات من شعره ، وله ديوان صغير أشهره معلقته التي نحن بصدد شرحها .

(٢) خولة : اسم امرأة . والأطلال : الآثار الشاخصة من الديار بعد دروسها . والبرقة في الأصل : المكان الذي اختلط ترابه بحجارة أو حصى براق . وبرقة شهمد : اسم ديار محبوبته . الوشم : النقش على البد بالنيلج أو بصيغ أسود بقرز الإبر في الجلد .

(٣) وقوفا : منصوب على أنه حال وهو جمع واقف ، وصحبي فاعل للفظ (وقوفا) لأنه اسم فاعل يعمل عمل فعله ومطيمهم مفعول لأنه بمعنى حبس المتعدى . (المعنى) لاحت لي هذه الأطلال ، وأصحابي حابسون مطيمهم من أجل في هذه البقعة ناصحين لي بالتجلد والصبر . يقولون : لا تهلك حزنا وتجلد .

(٤) الحدوج : جمع حدج وهو مركب يوضع على الجمال للنساء خاصة . والمالكية : أى المنسوبة إلى بنى مالك بن سعد . والخلايا : جمع خلية ، وهى السفينة العظيمة . والنواصف : جمع ناصفة ، وهى الرحبة الواسعة في الوادي . وداد اسم مكان (المعنى) كأن هواجس المالكية وهى تسير بالرحاب الواسعة من المكان المسمى ددا سفن عظيمة لكبرها وتمايلها ثم أخذ في وصف هذه السفن فقال عدولية الخ .

(٥) عدولى : قرية بالبحرين كان أهلها يصنعون السفن العظيمة . وابن يامن ملاح أو تاجر من أهل هجر . ويميل بها الملاح : أى يجور بها عن طرق السفن المسلوكة طورا ويهتدى طورا على حسب تضاريف الرياح .

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيَرومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ الْمَفَايِلَ بِالْيَدِ (١)
وَفِي الْحَيِّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنٌ مُظَاهِرٌ سَمَطَى لُؤْلُؤَ وَزْزَجِدِ (٢)
خَذُولٌ تَرَاعَى رَبُّرَبًّا بِخَيْلَةٍ تَتَاوَلُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ وَتَرْتَدَى (٣)
وَتَبْسِمُ عَنِ أَلْمَى كَأَنَّ مَنْوَرًا تَخْلَلُ حُرَّ الرَّمْلِ دِعْصٌ لَهُ نَدَى (٤)

(١) الحباب : موج البحر المزبد . والحيزوم : الصدر . والمفايل : الذى يلعب لعبة الفياىل أو المفايلة ، وهى لعبة لصبيان الأعراب ، وهى تراب يكومونه ، ثم يخبثون فيه خبيثا ، ثم يشق المفايل تلك الكومة بيده فيقسمها قسمين ، ثم يقول : فى أى الجانبين خبأت ؟ فان أجاب المسئول بالصواب ظفر وإلا فروعظ .
(٢) وفى الحى : أى فى منازل القبيلة ظي أحوى ، أى أسود العين ، يريد به محبوبته ، ثم ذكر بعض أوصاف الظبي وبعض أوصاف المحبوبة فقال : هذا الظبي ينفض المرء أى يأكل ثمر الأراك نقضا بقمه . شادن : أى صغير السن . وهذه المحبوبة تنقل سمطين أحدهما فوق الآخر ، سمطا من اللؤلؤ ، وسمطا من الزبرجد . واللؤلؤ : خرز كريم يكون فى جوف نوع من الأصداف . والزبرجد : جوهر كريم من جواهر البر أخضر اللون .

حشية أو الظبية اذا خذلت صواحبها وأقامت على ولدها وهى خاذل أيضا وصفها على التشبيه هنا بوصف المؤنث . وفى السابق بوصف المذكر بقوله (أحوى) من أجل أن هذه المرأة تشبه الغزال مرة وتشبه مرة البقرة الخذول وإن رعت مع صواحبها لا تزال تتأقت إلى ولدها والهة عليه ترنو الى ناحيته يحتو . وذلك ما يريد به فى وصف محبوبته عند تلفتها ونظرها بتدل لمن يراعيها . وتراعى بمعنى ترعى مع غيرها . والررب : القطيع من البقر والظباء . والخيلة : الأرض اللينة ذات الأشجار الكثيفة الغضة المتهدلة . والبرير : ثمر الأراك (المعنى) أن هذه الفتاة حسنة التأقت والنظرات كأنها مهابة مذعورة على ولدها ، فهى ان رعت مع صواحب لها خذلتها واجتنبتن ولا تزال متلفتة الى ناحية ولدها ، وهى متنعمة كالمهابة التى ترعى البرير وتدخل فى خلال أغصان الشجر فتكون كأنها مرتدية بها .

(٤) الثغر الألى : الأسمر اللثة ، وهم يمدحون سميرتها لدالاتها على اكتناز الدم فيها ، وهو أمانة الصحة . والممور : صفة لموصوف محذوف أى كان أخوانا منورا . وخبر كان محذوف تقديره (هو) وتخلل الشيء حل فى خلله . وحر الرمل خالصه . والدعص : الكثيب من الرمل (المعنى) أن الحبيبة تبسم عن ثغر كان فيه أخوانا منورا تخلل دعصه الندى الذى نبت فيه رملا خالصا نقيا . والأخوان الذى ينبت فى الرمل الندى النقى يكون أنقى بياضا .

سَقَّتْهُ إِيَّاءُ الشَّمْسِ إِلَّا لِسَانَهُ أَسِفٌ ، وَلَمْ تَكْمِمْ عَلَيْهِ ، بِأُتْمِدٍ ^(١)
 وَوَجْهَهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ أَلْقَتْ رِداءَهَا عَلَيْهِ نَقِيَّ اللَّوْنِ لَمْ يَتَخَدَّدْ ^(٢)
 وَإِنِّي لَأَمْضِي أَلْهَمَّ عِنْدَ احْتِضَارِهِ بَعَوْجَاءَ مِرْقَالٍ تَرُوحُ وَتَغْنَدِي ^(٣)
 إِلَى أَنْ قَالَ :

عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إِذَا قَالَ صَاحِبِي : أَلَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْهَا ، وَأَفْتَدِي ^(٤)
 وَجَاشَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ خَوْفًا ، وَخَالَهُ مُصَابَا ، وَلَوْ أَمْسَى عَلَى غَيْرِ مَرَصِدٍ ^(٥)
 إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ قَتَى ؟ خَلَّتْ أُنَى عُنَيْتٌ ، فَلَمْ أَكْسَلْ وَلَمْ أَتَبَلَّدِ ^(٦)

(١) وصف النفر : باعتبار بياض أسنانه بأن سقته إيَّاء الشمس أى ضوؤها بياضا وحسنا أى أشربه حسنا . واستثنى اللثة لأن بياضا عيب ودليل على ضعف الدم بل هى سمراء كأنما نغرها أسف بأتمد أى ذزع عليه الأتمد وهو السكحل فأسودت لثته وبقيت مرسله على الأسنان لم تنقلص إلى أعلى لأنها مترفة فى الماء كل لا تكدم على نغرها بأكل الأشياء اليابسة الغليظة التى تكشف اللثة عن أصول الأسنان بل تأكل اعم اللين .

(٢) ووجهه : ولها وجه أبيض كأن الشمس خلعت رداءها عليه فهو نقي اللون لم يتخدد أى يتكسر جلده ويتقطن فيطاني ذلك رونقه .

(٣) أمضى : أنفذ ، وألهم ما يهيم من الأمور ، واحتضاره : حضوره . والعوجاء : الضامرة المتصلبة البطن ، فتكون معوجة الأسفل . والمرقال : المريضة السير ، وتروح وتغندى : أى تصل سير الرواح بسير الغدو . أى إذا همنى أمر يستدعى السفر أمضى من ساعة حضوره بركوب ناقة ضامرة سريعة تصل الرواح بالغدو .

(٤) على مثلها الخ : أى على مثل الناقة أسير فى القلاة الموحشة التى يقول صاحبى من خوفها : إنا هالكون ، فإلبنى أقدر على أن أفديك منها ، وأفندى نفسى — وصير فيها يعود على القلاة المفهومة من المقام كقوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » أى الشمس .

(٥) وجاشت إليه النفس خوفا : أى ارتفعت ، فلم تستقر : كما تجيش القدر إذا ارتفع غليانها . والمرصد : المكان الذى يرصد فيه اللصوص والأعداء من يترهبهم (المعنى) وذعرت نفسه ، وظن نفسه مصابا هالكا ، ولو لم يكن هناك من يرصده . ثم أخذ يفتخر بخصاله فقال « إذا القوم الخ ... » .

(٦) أى إذا قال القوم : من قى لسلوك هذه القلاة وإمضاء هذه المهمة العظيمة ؟ علمت أنهم يعنونى ؟ فقامت بها غير كسل ولا متبلد .

- أَحَلَّتْ عَلَيْهَا بِالْقَطِيعِ ، فَأَجْدَمْتُ وَقَدْ خَبَّ آلُ الْأَمَّزِ الْمُتَوَقَّدِ (١)
 فَذَالَتْ كَمَا ذَالَتْ وَلَيْدَةُ مَجْلِسِ تُرَى رَبِّهَا أَذْيَالَ سَحْلٍ مُمَدَّدِ (٢)
 وَلَسْتُ بِحَالِ التَّلَاعِ مَخَافَةً وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفِدِ (٣)
 فَان تَبَغْنِي فِي حَلْقَةِ الْقَوْمِ تَلَقَّنِي وَإِنْ تَلْتَمِسْنِي فِي الْحَوَانِيتِ تَصْطَدِ (٤)
 مَتَى تَأْتِنِي أَصْبَحُكَ كَأَمَّا رَوِيَّةً وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا ذَا غِنًى فَاغْنِ وَازْدِدِ (٥)
 وَإِنْ يَلْتَقِ الْحَى الْجَمِيعُ تَلَاقِنِي إِلَى ذِرْوَةِ الْبَيْتِ الشَّرِيفِ الْمُصَمَّدِ (٦)
 نَدَامَايَ بَيْضُ كَالنَّجُومِ وَقَيْنَةٌ تَرْوَحُ إِلَيْنَا بَيْنَ بُرْدٍ وَجُحْدِ (٧)

(١) القطيع : السوط ، وأحلت على الناقة بالقطيع ضربتها به ضرباً في إثر ضرب . وأجذمت : أسرع ، وخب : ارتفع . والآل : السراب ، أو هو سراب أول النهار خاصة . والأممز والممزاء : المكان الغليظ الكثير الحصى ، والمتوقد : الملهب بالحر (المعنى) قت بسلوك هذه المفازة فركبت فاقني ، وضربتها بالقطيع فأسرفت ، وقد اشتد الحر وارتفع السراب في الأماعر الملهبة من الحر .

(٢) فذالت أى ماست وتجنزت . والوليدة : الجارية المولدة في بلاد العرب . والسحل : الثوب الأبيض (المعنى) فتجنزت هذه الناقة كما تتجنز جارية تعرض في مجلس سيدها تنجز أذيال ثوبها الأبيض الضافي .

(٣) التلاع : جمع تلعة ، وهى مجارى المياه من رموس الجبال إلى الأودية حيث تنشق فيها شفا . واسترقد : طلب الرفد وهو المعونة والعطاء (المعنى) لست ممن يستتر في التلاع وشقوق الجبال مخافة الضيفان والمسترفدين ، ولكن متى يطلب القوم إعانتى أعظم .

(٤) الحانوت : حانة الخمارين أى أى رجل جد إذا جد الأمر ، ورجل هو إذا فرغت .

(٥) يقول إذا جئتنى أصبحك بشرب كأس ترويك ، وإن كنت غانيا عنها بما عندك فاغن به وازدد بما عندنا .

(٦) ذروة كل شئ : أعلاه . والمصمد : الذى يصمد اليه فى الحوائج أى يقصد (المعنى) إن يجتمع الحى للفاخرة بالأنساب تجددنى أتمنى الى أعلى بيت شريف يقصد فى الحوائج .

(٧) الندامى : جمع نديم . والقينة : الأمة المغنية وقد تطلق على الأمة أيا كانت . تروح علينا أى تأتينا عشية . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجداد ، وهو الزعفران أو الثوب الذى يلى الجسد وهو =

- إذا نحن قُلْنَا : أسمعينا ، أنبرت لنا
إذا رجعت في صوتها خلت صوتها
وما زال تشراي الخمر ولذتي
إلى أن تحامتنى العشيرة كلها
وأيت بني غبراء لا ينكرونني
ألا أيها ذا الزاجري أحضر الوغى
فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي
على رسلها مطروفة لم تسدد (١)
تجاوب أظار على ريع ردى (٢)
وبيعى وإنفاق ، طريفى ومُتَلدى (٣)
وأفردت أفراد البعير المعبد
ولا أهل هذاك الطرف الممتد (٤)
وأن أشهد اللذات ، هل أنت مُخلدى (٥)
قدعنى أبادرها بما ملكت يدي (٦)

= الشعار (المعنى) ندامى أحرار بيض ليسوا مولدين من إماء سود فهم مثل النجوم الوضاء ، ومن ندامى مغنية تحببنا عشية عليها برد تحته قبض أحر اللون ، أو تحته قبض واحد على جسدها .

(١) أى إذا قلنا لهذه المغنية : أسمعينا غناك اعترضت لنا وظهرت تغنى على رسلها هيئة فى رفق وتودة ، مطروقة العين (أى ساكنة الطرف) لم تبلغ فى صياحها .

(٢) رجعت فى صوتها : كررت النغم . والأظار : جمع ظئر ، وهى هنا الناقة الموضع . والريع : الفصيل الذى ولد فى الربيع . والردى : الهالك (المعنى) إذا رجعت هذه المغنية فى صوتها أشبه حين صوتها حين النياق التى فقدت فصلاتها .

(٣) تشراي : أى شربى . والطريف : المسال الذى يكتسبه المرء بنفسه . والتلبد والتلبد : الذى يره عن آباءه ، والمعبد : البعير الأجرى المطلى بالقطران المعبد عن الإبل (المعنى) ما زال شربى للخمر ولذتي بها وبيعى وإنفاق لأجلها هو كل ثروق الحديثة والقديمة حتى تحامتنى عشيرتى لإفراطى فى اللذات ، وأصبحت منفردا بلذاتي عنهم كالبعير الأجرى .

(٤) الغبراء : اسم للأرض . وبنو غبراء : الفقراء أو الأضياف . والطراف : القبة من الجلد يتخذها المياسير والأغنياء . والممدد الذى مد بالأطباء (المعنى) إن اعتزلونى لا أكن بجھولا ، فإن الفقراء يعرفوننى ببطائى لهم ، وكذلك الأغنياء بلحلاتى وشرف نسبي .

(٥ و ٦) الوغى : الحرب (المعنى) يا من يزجرنى من أجل حضوري الحروب وانهما كى فى اللذات بأن كلا منهما يجر الى الموت هل أنت ضامن لى الخلود فى الدنيا ؟ فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي قدعنى أستبق اليها باتفاق ما ملكت يدي فى لذاتي .

- أرى قبرَ نَحَامٍ بخيلٍ بماله كقبرِ غَوِيٍّ في البطالةِ مُفْسِدٍ ^(١)
 ترى جُثُوتَيْنِ من ترابٍ عليهما صفائحُ صمٍّ من صفيحٍ مُنْضِدٍ ^(٢)
 أرى الموتَ يَعْتَامُ الكَرَامَ ويصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالٍ الفاحشِ المْتَشَدِّدِ ^(٣)
 أرى العيشَ كثرًا ناقصًا كلَّ ليلةٍ وما تَقْصُصُ الأيامُ والدهرُ يَنْفَدِ ^(٤)
 لعمرِكَ إن الموتَ ما أخطأَ الفَتَى لكالطَّوْلِ المُرْنَى وثنياءَ باليَدِ ^(٥)
 متى ما يَشَأُ يوما يَقْدَهُ لِحَتْفِهِ ومن يَكُ في حبلِ المنيَّةِ يَنْقَدِ ^(٦)

*
* *

- (١) النحام : الكثير النخيم ، وهو التنجيح بخلا ، والمراد بالغوى هنا المسرف في ماله المبدد له بانفاقه في غير صالح .
- (٢) الجثوة : الكومة من التراب أو الحجارة ، والصفائح : جمع صفيحة وهي الحجر العريض كالبلاط .
 المنضد : المصفى المسوى بعضه الى بعض — أى أن البخيل والمسرف يتساوىان بعد موتهما ؛ فلكل منهما قبر عليه كومة من التراب وبعض حجارة مصففة .
- (٣) يعتام : يصطفى ويختار . وعقيلة كل شئ . : خيره وأنفسه عند أهله ؛ فهم يعقلونه أى يمنعونه الناس لذلك . والفاحش المتمدد : الشديد البخل .
- (٤) العيش هنا : العمر والحياة .
- (٥) ما أخطأ الفتى : أى مدّة إخطائه له بإبقائه حيا دهرًا طويلا . والطول : الحبل ، وثنياء : طرفاه المثنيان منه . (المعنى) أن الموت إذا أغفل بعض الناس ، فطال عمرهم لا يخرجون عن قدرته وسلطانه ؛ فثله كمثل من بيده طرفا حبل مربوط برأس فرس إذا شاء جذبه اليه فانقاد له . كذلك الإنسان لا محالة ميت ، وإن طال عمره .
- (٦) الحنف : الموت — يقول : إن زمام الإنسان بيد الموت متى أراد جره الى هلاكه . ولا مناص للزمن من الموت .

ومنها :

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند (١)

* *

ومنها :

أرى الموت أعداد النفوس ولا أرى بعيدا غدا ، ما أقرب اليوم من غدا !

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود (٣)

ويأتيك بالأخبار من لم تبسغ له بساتنا ، ولم تضرب له وقت موعد (٤)

* *

(١) أشد مضاضة : أى أشد حرقة وألم

(٢) الأعداد هنا : جمع عدد بكسر العين ، وهو الماء الدائم الذى لا تنقطع مادته مثل ماء العيون لا يارلا ماء الغدران . (المعنى) أرى الموت موردا للأحياء دائما لا يفنى ؛ فهم دائما واردوه .

(٣) أى ستظهر لك الأيام ما كان خافيا عليك ، ويأتيك بالأخبار من لم تسأله عنها وتشكف مؤونة زادم ليسافر ويحلبها لك .

(٤) تبسغ : هنا بمعنى تشرب ، وهو من كلمات الأضداد فى اللغة . والبسات : الزاد والجهاز .

وقال أيضا :

- سائلوا عنا الذى يعرفنا بقوانا يوم تحلاق اللحم (١)
يوم تبدي البيض عن أسوقها وتلف الخيل أعراج النعم (٢)
أجدر الناس برأس صلدٍم حازم الأمر شجاع في الوغم (٣)
كامل يحمل آلاء الفتى نبيه سيد سادات خضم (٤)
خير حى من معد علموا لكفى ولجار وابن عم (٥)
يجبر المحروب فينا ماله بناء وسوام وخدم (٦)
نقل للشحم في مشتاتنا نحر للنبي طرادو القرم (٧)

- (١) يوم تحلاق اللحم : يوم انتصرت فيه بكر على تغلب من أيام البسوس ، وكان يقود بكرا الحارث ابن عباد البكرى ، وقد أمر بحلق شعورهم ليميزوا .
(٢) أى النساء البيض أى يوم يكشفن عن سوقهن ، تكاية عن هول ذلك اليوم ، والأعراج : جمع عرج بفتحين ، القطيع من الإبل من الثمانين فما فوق ، والنعم : الإبل ، واللف : الجمع والقسم ضد التفرق . أى وتحوز خيلنا أى فرسانها قطائع إبل تغلب .
(٣) الرأس الصلدم : القوى الصلب ، ويريد به هنا رأس القوم في الحرب ، أى رئيسهم ، والوغم : الحرب . (المعنى) نحن أجدر الناس بأن يقودنا رئيس قوى حازم شجاع في الحرب .
(٤) الآلاء : جمع ألا (كصا) أو ألو (كدلو) ، ومن معانى الألو والألا : العطية والنعمة والجهد وكلها مناسبة هنا . والخضم : السيد الخمول المعطاء ، خاص بالرجال أى إن هذا الرئيس كامل يحمل نعم الفتى الكامل أى يتصف بحجاسه ، أو يتحمل عطاء الفتى القاصد له ، أو يتحمل ضعفه وجهده باعائه وحمايته .
(٥) نحن خير حى من قبائل معد — وعلموا بالبناء للعلوم أى عرفونا بذلك . والكفى : الكاسف اللون المتغيره بؤسا — أى نحن خير حى في معد عرفه الناس مرجحوا للكفى . ولجار ولابن العم .
(٦) المحروب : المسلوب المال . والبناء : المسكن ، والسوام كسحاب : الإبل السائمة — أى أن المسلوب المال إذا أقام فينا جبرنا ماله ، وأسكناه وأعطيناه إبلا سائمة وخداما .
(٧) نقله : أعطاه نقلا أى عطية ، والقرم : شدة اشتواء اللحم بعد العهد بأكله . يعنى أننا نعطي من يقصدنا الشحم في الشتاء ، وهو زمن الجهد ونحر النوق النيب ، ونطرد عن مشهى اللحم قرمه بإطعامه إياه .

- تَزَعُ الجَاهِلُ في مَجْلِسِنَا قَرَى المَجْلِسَ فِينَا كَالْحَرَمِ ^(١)
 وَتَفَرَّعْنَا مِنْ ابْنِي وَائِلٍ هَامَةُ المَجْدِ وَخُرْطُومِ الصَّكْرَمِ ^(٢)
 مِنْ بَنِي بَكْرٍ إِذَا مَا تُسَبُّوا وَبَنِي تَغْلَبَ ضَرَابِي البَّهَمِ ^(٣)
 حِينَ يَنْجِي النَّاسَ نَجْمِي سِرْبِنَا وَاضِحِي الأَوْجِهَ مَعْرُوفِي الكَرَمِ ^(٤)
 بِحُسَامَاتٍ تَرَاهَا رُسَبًا فِي الضَّرِيبَاتِ مُتَرَاتِ العُصَمِ ^(٥)
 وَفُحُولٍ هَيْكَلَاتٍ وَوُحْ أَعْوَجِيَّاتٍ عَلَى الشَّوْ أَرْوَمِ ^(٦)
 وَقَنَا جُرْدٍ وَخَيْلٍ صُمَمٍ شُزْبٍ مِنْ طُولِ تَعْلَاكِ اللِّجَمِ ^(٧)

(١) تزع : مضارع وزع بمعنى كف وزجر . والحرم : ما يحارب عنه الإنسان وبجبهه ، أو أنه يريد حرم مكة — بمعنى أننا تكف الجاهل فلا يأتي في مجلسنا بسفاهة فكان مجلسنا حرم نجبه أو حرم يلحزم ديننا .
 (٢) على صيغة الماضي يسكون العين والخرطوم الأنف — أي وقد تفرعنا ونسلنا من ابني وائل بكر وتغلب اللذين هما بمنزلة هامة للجد ، ويكونون بالأنف عن الأئمة والعز والشتم .
 (٣) ثم فسر معنى ابني وائل بأنهما بكر وتغلب وضرايه البهم : جمع بهمة وهو الشجاع لا يعلم من أين يضرب .

(٤) والسرب بالكسر : النساء أو النفس .
 (٥) جمع الحسام على حسامات نادر . ورصب : جمع راسب ، وهو السيف يغيب في القمريية . وإذا فرقت رسا ككتب كان جمع رسوب بمعنى الراسب أيضا . والوزن لا يمنع من ذلك والمترة القاطع ، والعصم : جمع عصام ، كل ما يعصم الشيء . وبشده و بربطه من الخيال ونحوها وقيل : أراد بها المعاصم على المعنى لأنها تعصم البدن بالدفع عنه .
 (٦) الفحل : الذكر من كل حيوان ، ويريد بالفحول هنا الخيل الذكور ، والهيكل : العظيم الجسم ، ووجهه على هيكلات نادر ، ووح : جمع وقاح ، يريد القوس الصلب الحافر ، وأعوجيات : جمع أعوجى ، وهو القوس ينسب إلى أعوج : اسم فرس كريم عتيق ، وأزم : جمع أزوم ، وهو القوس يعض على فأس الجلام من شدة نشاطه . والشار : السبق ، أي ونجى سربنا بخيول فحول صلبة الخوافر أعوجيات شديدة في السبق .

(٧) وقنا جرد : أي رماح مجزدة من الكعوب الغليظة ، وخيل صم : أي ضامرات ، وشزب : ضامرات صلاب ، وتعلاك اللحم وعلكها تحريمتها والعص عليها بالقم . واللجم : جمع لجام .

- آدَت الصنعةُ في أمثِها فهي من تَحْتُ مُشِيحاتُ الحُزْمِ (١)
تَتَّقِي الأرضَ رِجَّ وَرِجٍّ وَرِقٍ يَقْعَرْنَ أُنْبَاكَ الْأَتَمِّ (٢)
وَتَفَرِّي اللُّهُمَّ من تعدائها والتغالي ؛ فهي قُبُّ كَالْعَجَمِ (٣)
خُلِجَ الشَّدُّ مُلِجاتُ إذا شالت الأيدي عليها بِالْجَذَمِ (٤)
قَدَمًا تَنْضَوِ إلى الدَّاعِي إذا خَلَّلَ الدَّاعِي بدَعْوَى ، ثم عَمَّ (٥)
بِشَبَابٍ وَكُھُولٍ نُهْدٍ كَلْيُوثٍ بَيْنَ عَرِّيسِ الْأَجَمِ (٦)

(١) آدى : قوى . وصنعة الفرس : حسن القيام عليه والعناية بعلفه وتسميته ، والأمتن : جمع متن ، وهو الظهر . ومشيات الحزم : أى أن أحزمتها متقدمة الى الأمام ، أو أنها مرتفعات الحزم لعظم صدرها ومنها — يعنى أن هذه الخيل قد قوى متونها وأعظمها حسن القيام على علفها حتى إنك لترى حزمها من تحتها مرتفعات جدا لعظم منبتها وصدرها .

(٢) الأرح : الحافر العريض ، والجمع رح . وورج : جمع وقاح ، وهو الحافر الصلب ، وورق : جمع أورق ، وهو الذى لونه الورقة ، وهى سواد فى بياض قليل كلون الرماد ، ويقعرن : يقتلعن ، والأنباك : جمع نبك ، وهى الأرض المرتفعة أو الأكمة المحددة الرأس . أى تنقى تأثير مشيها على الأرض بحوافر صلبة ورقاء تقتلع الآكام .

(٣) تفرى : تشقق ، وتفرت العين : انجست بالماء ، وكلا المعنيين مناسب ، والتعداء : العدو . والتغالى : شدة الارتفاع ، يريد صعود المرتفعات ، والقب : جمع أقب ، والقبب دقة الخصر وضهور البطن ، وهو من محاسن الخيل ، والعجم : نوى كل شئ . (المعنى) أن هذه الفرس يتشقق لحمها وينبجس بالعرق من شدة عدوها وصعودها الآكام فأصبحت لذلك ضامرة البطن دقيقة الخصر يابسة العضل ، كأنها النوى فى البيوسة .

(٤) الخليج : جمع خلوج ، وهى السريعة الجرى ، والشد : العدو . والملحات : المنصبات فى الجرى من ألح السحاب : دام مطره ، وشالت الأيدي : ارتفعت . والجذم : جمع جذمة ، وهو السوط . (٥) قدما تنضو : أى تسبق وتسرع قدما أى تجرى أمام أمام بدون انحراف ، وخلل : خصص . والداعى : المستغيث — أى تسرع الى نجدة المستغيث قدما اذا خصص بادئ بدء . فصاح : يا فلان ! ثم اضطر بعد الى التعميم لاشتداد الكرب عليه فعمم الدعوى .

(٦) والنهد : جمع ناهد ، وهو الشجاع الذى يَمْضى على كل حال وهو أيضا الأسد ، والعريس : مأوى الأسد . والأجَم : الأجوات .

(٩) الحارث بن حلزة اليشكري^(١)

من معاقته التي مطلعها :

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ نَاوِيْمَلُ مِنْهُ النَّوَاءُ^(٢)

* * *

وَأَتَانَا مِنَ الْحَوَادِثِ وَالْأَنْزِ بَاءَ خَطْبُ نَعْنَى بِهِ وَنِسَاءُ^(٣)
أَنْ إِخْوَانَنَا الْأَرَاقِمَ يَغْلُو نَ عَلَيْنَا فِي قِيلِهِمْ إِحْقَاءُ

(١) هو الحارث بن حلزة اليشكري أحد فحول الشعراء المقلين ، وصاحب المعلقة الحمزية المشهورة . كان في بكر بن وائل بمنزلة عمرو بن كلثوم في تغلب شجاعة وحاسة وفصاحة وارتجالا . وكثير من الرواة يقولون : إنه ارتحل هذه القصيدة بحضرة الملك عمرو بن هند إثر ملاحاة وجدال بين أعيان بكر وتغلب عند الملك عمرو ، وكانت يتعصب لتغلب ، فهاج ذلك الحارث بن حلزة ، وارتجلها على طولها وكثرة غريها ، يفخر بقومه وأيامهم في حروب البسوس مع تغلب ، وفي غيرها . وعمر الحارث طويلا .

(٢) أَذْنَتْنَا : أعلبتنا ، وبيننا : بفراقها لنا ، وناو : مقيم . أى كثيرا ما تركه إقامة المقيم بين قوم لنقل كلفته أو لشره ، وليست أسماء من هؤلاء ، فقراقها شاق علينا .

(٣) نَعْنَى بِهِ : نقصد به نحن دون غيرنا . ونساء به : يصيبنا منه سوء ، والأراقم : أحياء من تغلب معادية لبكر قبيلة الشاعر ، ويغنون علينا : يشياوزون الحد في القول علينا ، والقبيل : القول ، والإحقاء : شدة الإلحاح والاستقصاء (المعنى) بلغنا من الأخبار خبر يقصد به إساءتنا ، وهو أن الأراقم من تغلب يغالون وينشدون في نسبة ما لم تفعل الينا .

يَخْلُطُونَ الْبَرِيَّ مَنَّا بِذِي الذَّنْبِ مَب، وَلَا يَنْفَعُ الْخَلِيَّ الْخَلَاءُ (١)
زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيَّ رَ مَوَالٍ لَنَا، وَأَنَا الْوَلَاءُ (٢)
أَجْمَعُوا أُمَرَهُمْ عِشَاءً فَلَمَّا أَصْبَحُوا أَصْبَحَتْ لَهُمْ ضَوْضَاءُ :
مَنْ مُنَادٍ، وَمَنْ مُجِيبٌ، وَمَنْ نَصَّ يَهَالٍ خَيْلٍ، خِلَالَ ذَلِكَ رُغَاءُ (٣)
أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمَرْقُشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو، وَهَلْ لِدَاكَ بَقَاءُ (٤)
لَا تَخْلُنَا عَلَى غِرَاتِكَ ؛ إِنَّا قَبْلُ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الْأَعْدَاءُ (٥)
فَبَقِينَا عَلَى الشَّيْنَاءِ تَنَمِيذٍ بِنَا حُصُونٍ، وَعِزَّةٍ قَعَسَاءُ (٦)
قَبْلَ مَا الْيَوْمَ بَيَّضَتْ بَعْيُونَ الذِّ أَسَ فِيهَا تَعِيْطٌ وَإِبَاءُ (٧)

(١) الخلى هنا : الخالى من الذنب ، والخلاء : الخلو من الذنب كذلك ، أى لا تنفع البرى . عندهم براءة من الذنب فهم يأخذونه بذنب المحرم .

(٢) أى فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤاخذ عليه ؛ فعندهم أن كل من ضرب جارا مثلا مذنب ، وأنه من موالينا وأنصارنا ، ونحن دون غيرنا ولاته وأنصاره .

(٣) أى يتلمسون أى ذنب ، ويتشاورون فى الليل فى أمر حربنا ، والتعبئة له فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبة وضوضاء من مناد الخ . قيل إن هذين البيتين أوجز ما قيل فى وصف التأهب للإرتحال وأصدق وأوضحه تصويرا للحقيقة .

(٤) المرقش : المزين القول بالباطل ، وهل لذلك الخ : أى لتزيينك الباطل دوام .

(٥) لا تخلصنا : أى لا تحسبنا ، والغرة : اسم مصدر من الإغراء ، وما زائدة والمفعول الثانى محذوف (المعنى) لا تحسبنا جازعين لإغرائك الملك بنا ؛ فن قبلك وشى بنا الأعداء فلم يفلحوا .

(٦) الشئاء : البغض ، وتميذا : ترفعنا . والقعساء : الثابتة ، أى فبقينا على بغضك لنا فى عزة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم مكروه .

(٧) قبل ما اليوم : أى قبل اليوم وما زائدة ، وببيضت بعيون الناس : بيضتها أى أعمتها ، والباء زائدة ، والتعيط : الترفع والإباء (المعنى) قبل اليوم أعمت عورتنا القعساء أبصار الناس ، فلا يتطلعون الى إذلالتنا ، وكان فى عزتنا ترفع وإباء عن أن ننال بسوء .

- وَكُنَّ الْمُنُونُ تَرْدَى بِنَا أُر
عَنْ جَوْنًا يَنْجَابُ عَنْهُ الْعَمَاءُ (١)
مُكْفِهَرًا عَلَى الْحَوَادِثِ لَا تَرُ
تَوَهُ لِلدَّهْرِ مُؤَيَّدٌ صَمَاءُ (٢)
أَيَّمَا خُطْبَةٍ أَرَدْتُمْ فَأَدُو
هَا إِلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الْأُمَلَاءُ (٣)
إِنْ تَبَشَّتُمْ مَا بَيْنَ مِلْحَةٍ فَالْصَا
قُبَ فِيهِ الْأَمْوَاتُ وَالْأَحْيَاءُ (٤)
أَوْ تَقَشَّتُمْ ، فَالْنَقْشُ يَحْشُمُهُ النَّا
سُ ، وَفِيهِ الصَّلَاحُ وَالْإِبْرَاءُ (٥)
أَوْ سَكْتُمْ عَنَّا ، فَكَمَا كُنْ أَعْدَا
مَمَضَ عَيْنًا فِي جَفْنِهَا أَقْدَاءُ (٦)

(١) تردى : ترمى وترجم ، والباء في (بنا) للتجريد نظير قولهم : لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد ، أى لتلقين الأسد ، أى هو كالأسد . والأرعن هنا : الجبل الذى له حيود وأطراف تخرج عن معطيه ، والجون : الأسود ، وينجاب عنه : ينشق عنه ، والعما : السحاب الأبيض (المعنى) كأن المنون اذا رمتنا إنما ترمى جبلا عاليا يشق السحاب ، وذلك من منعنا وقوتنا .

(٢) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر ، والمكفهر من الجبال : الصلب المنيع ، ولا ترتوه : لا تنقصه وتناقصه ، والمؤيد : الداهية . وصماء : لاتسمع اعتذارات — أى أن هذا الجبل يمنع على حوادث الدهر لاتنال منه الدواهي الصم .

(٣) الخطة : الأمر يقع بين القوم ، أو الإقدام على الأمر . والأملاء : جمع ملاء ، وهم الأشراف والرؤساء . (المعنى) أى أمر أو طريقة تجرون عليها فى معاملتنا فابعثوها إلينا مع سادتكم وسفرائكم .

(٤) ملحّة والصاقب : موضعان — أى إن كانت الخطة التى رضى عنها أن تثيروا القتال الذى وقع بيننا فى هذين المكانين ففيه أموات وأحياء أى فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدرکوا منا ثأرهم — وحذفت الفاء الواقعة فى جواب الشرط (وهو فيه الأموات الخ .) للضرورة ، أو أن جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك ، أو أن جواب الشرط الآتى جواب له ولهذا .

(٥) أو نقشتم أى دققتم فى الاستقصاء ، ويحشمه : يتكلفه على مشقة . (المعنى) إن دققتم الحساب فيما وقع بيننا وبينكم فإن ذلك مع ما فيه من المشقة والكلفة يفضى بنا الى صلاح أمورنا وإبرائنا عن العار .

(٦) وإن سكتم عنا فانا نسكت ، ونفضى أعيننا على القذى لأن الحق فى جانبنا .

أَوْ مَنَعْتُمْ مَا تُسْأَلُونَ فَمَنْ حُدَّ
تَمَّوْهُ لَهُ عَلَيْنَا الْعَلَاءُ؟^(١)
هَلْ عَلِمْتُمْ أَيَّامَ يُتَهَبُّ النَّا
سُ غَوَارًا لِكُلِّ حَيٍّ عَوَاءُ^(٢)
إِذْ رَكِبْنَا الْجَمَالَ مِنْ سَعَفِ الْبَحْرِ
رَيْنَ سَيْرًا حَتَّى نَهَاها الْحِساءُ^(٣)
ثُمَّ مَلْنَا عَلَى تَمِيمٍ فَأَحْرَمَ
نَا، وَفِينَا بَنَاتٌ مَرَّةً إِمَاءُ^(٤)
لَا يُقِيمُ الْعَزِيزُ بِالْبَلَدِ السَّهْمِ
لَيْسَ يُنْجِي مُوَأَّلًا مِنْ حِذَارٍ
وَقَالَ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ يَفْتَخِرُ :
وَأَنْ سَأَلْتَ إِذَا الْكَتَبِيَّةُ أَجْمَتْ
رَأْسُ طُودٍ وَحَرَّةٌ رَجُلَاءُ^(٦)
وَحَسِبْتَ وَقَعَ سَيْوفُنَا بِرُءُوسِهِمْ
وَتَيَّيْنَتْ رِعَّةُ الْجَبَانِ الْأَهْوَجِ^(٧)
وَقَعَ السَّحَابُ عَلَى الطَّرَافِ الْمَشْرِجِ^(٨)

- (١) وان منعتم ما تسألون فيه من الصالح والتراضي فمن الذي أخبركم أن له العلو علينا حتى تطمعوا فينا .
(٢) غوارا : أى مغاورة بعض على بعض ، والعواء : الصياح . (المعنى) إن كنتم لا تتمون عنا فقد علمتم فعالنا وحفظنا لأنفسنا ، بل بقلنا على غيرنا من قبائل تميم في تلك الأيام التي تعرفونها ، أيام كان الناس يتهب بعضهم بعضا ، ويغير بعضهم على بعض ، وفي كل حي منهم صياح .
(٣) يريد بالسعف النخل ، والحساء : جمع حسي ، وهو الرمل يكون الماء تحته قريبا ، أى هل علمتم إذ ركبنا الجمال من نخل البحرين حتى انتهينا الى الحساء .
(٤) فأحرمتنا : أى دخلنا في الأشهر الحرم فامتنعنا عن قتالهم وفينا بناتهم سبايا .
(٥ و ٦) النجاء : الإسراع والفرار ، والموائل : الذى يطلب موئلا أى ملجأ ، والطود : الجبل .
والحرّة : الأرض ذات الحجارة السوداء . والرجلاء : الغليظة . (المعنى) أن الشدة كانت عامة فلم يقم العزيز في البلد السهل لمسا فيه الناس من الخوف . ولم ينفع الدليل فراره ولو التجأ الى رأس جبل أو تحصن في حرّة غليظة .

(٧) الرعة : الخوف . والأهوج : الأحق الطائش الطويل .

(٨) السحاب هنا : المطر . والطراف : البيت أو القبة من آدم أى جلد . والمشرج : المخيط بعض

قطعه في بعض . وشبه وقع السيوف على الررس بوقع المطر على القبة من الجلد ليان كثرة وقعها وتميز صوت وقعها ؛ لأنه حينئذ يكون كالطبل .

وَإِذَا اللَّفَّاحُ تَرَوَّحَتْ بَعْشِيَّةٌ رَتَكَ النِّعَامَ إِلَى كَنْيَفِ الْعَرْجِ (١)

أَلْقَيْنَا لِلضَّيْفِ خَيْرَ عِمَارَةٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ الْمَدْحِ (٢)

(١٠) دريد بن الصمة (٣)

قال في رثاء أخيه :

أَرَثَ جَدِيدُ الْحَبْلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدٍ بِعَاقِبَةٍ ، أُمُّ أَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدٍ (٤)

(١) اللقاح : جمع لقحة وهي الناقة ذات اللبن . وتروحت : رجعت الى مباركها آخر النهار والرتك : مقاربة الخطو ، والكنيف حظيرة من شجر للإبل . والعرج : شجر سريع الالتهاب . أى وإذا راحت النوق ذوات اللبن الى كنفها المتخذ من شجر العرج مسرعة لمراع النعام ألقينا الخ .

(٢) ألقينا : وجدتنا ، والعمارة : هنا العشيرة والأهل . والمدح : قدح الميسر الذى يقاسر به أى ان لم يكن لبن عطفنا على القداح فضربناها ونحرنا النوق التى ربحنا للضيف .

(٣) هو دريد بن الصمة أحد فرسان العرب وسيد بنى جشم من قبائل هوازن . ويقال إنه أشعر فرسان العرب وأكثرهم غزوا . وأدرك الإسلام ولم يسلم . وخرج مع قومه فى غزوة حنين ، ولا فضل فيه للحرب ، وإنما أخرجه تينا برأيه ، فقتل فى ذلك اليوم . وكان له إخوة ثلاثة ، قتلوا فى غارات مختلفة ، منهم عبد الله قتل بنو غطفان ، لأن دريدا كان أغار عليهم واستاق إبلهم ، فنزل عبد الله فى الطريق ليقسم الغنمة فهنا دريد خوف لحاق غطفان بهم ، فأصر ، فلحق بهم عند منرج اللوى فقتلت بنو عبس منهم عبد الله ، وأراد دريد أن ينقذه فلم يقن ، وسقط هو أيضا ، وقاوت ، وظنته غطفان قتيلا ، فنجوا ، وهزمت جشم قبيلة . وبقى حزينا على أخيه يرثيه دهرًا ، فلامته امرأته أم معبد ، وصفرت شأن أخيه ، فطلقتها ، وقال فيها وفى قصة مقتل أخيه هذه القصيدة .

(٤) رث الحبل : بلى ، والمراد عهده من أم معبد ، وبعاقة أى بآخرة : أى أخيرا ، والاستفهام من باب تجاهل العارف ؛ اذ هو عارف بأنه رث .

- وبانت ، ولم أحمد إليك نوالها
 كأن حمول الحى إذ متع الضحى
 أو الأثاب العم المحرم سوقه
 فقلت لعارض وأصحاب عارض
 علانية : ظنوا بالفى مدجج
 وقلت لهم : إن الأحالف هذه
 ولما رأيت الخيل قبلاً كأنها
 أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى
 ولم ترج منا ردة اليوم أو غد (١)
 بناصية الشحاء ، عصبة مذود (٢)
 بكابة لم يخط ، ولم يتعضد (٣)
 ورهط بنى السوداء ، والقوم شهدى (٤)
 سرائهم فى الفارسي المسرد (٥)
 مطنة بين السناير وئهمد (٦)
 جراد يبارى وجهة الريح معتدى (٧)
 فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد (٨)

(١) وبانت : بعدت ، ونوالها : خيرها ، والردة : الرجوع . (المعنى) بانت أم معبد غير حميدة الصلبة ، فلا ترجو منا ردة لطلاقها .

(٢) الحمول : جمع حمل بالكسر : ما يحمل على الإبل مثلاً ، ومتع الضحى : بلغ آخر غايته ، وهو الضحى الأكبر ، والعصبة بفتح فسكون الشجرة تعلق فى شئ . عال فتكون كالخيمة عليه كشجر اللباب ونحوه ، ومذود : اسم جبل (المعنى) كأن حمول الحى عند ترحلهم عصبة عاقت فى عرائن الجبل .

(٣) الأثاب : شجر . والعم : العظيم . والمحرم : المنوع قطع سوقه . وكابة : موضع . ولم يخط : أى لم تعصب فروعه وتخطط بالعصى فيكسر ولم يتعضد أى يقطع .

(٤) عارض : أخ له حضر غزاتهم هذه ، ورهط بنى السوداء أصحاب أخيه عبد الله .

(٥) علانية : جهرة ، ظنوا أى أيقنوا أن سيلاحقكم ألفاً مدجج بالسلح ، والفارسي : الدرع . والمسرد : المتابع الخلق ، أى أنه ضيق النسج .

(٦) الأحالف : جمع أحلاف وهم المتحالفون على نصره بعضهم لبعض ، ومطنة : ضاربة الأطناب بين هذين المكانين .

(٧) قبلاً : أى عياناً ومقابلة ، يبارى : يسابق ، ومعتدى : أى فى الغداة .

(٨) بمنعرج اللوى : المكان الذى نزل أخوه .

- فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ ، وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ أَنِّي بِهِمْ غَيْرُ مُهْتَدِي (١١)
 وَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ غَزِيَّةٍ ؟ إِنْ غَوَتْ غَوَيْتُ وَإِنْ تَرُشِدْ غَزِيَّةٌ أَرُشِدْ (١٢)
 دَعَانِي أَخِي ، وَالْحَيْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ فَلَمَّا دَعَانِي لَمْ يَجِدْنِي بِقُعْدُدْ (١٣)
 أَخْ أَرْضَعْتَنِي أُمُّهُ مِنْ لِبَانِهَا يَشْدِي صَفَاءٍ بَيْنَنَا لَمْ يُجِدْ (١٤)
 يَفُحْتُ إِلَيْهِ ، وَالرَّمَاخُ تَنُوشُهُ كَوَقْعِ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُحَدَّدِ (١٥)
 وَكُنْتُ كَذَاتِ الْبُورِ رِبْعَتْ فَأَقْبَلْتُ إِلَى قِطْعٍ مِنْ جِلْدِ بُوٍّ مَجْلَدٍ (١٦)
 فَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْحَيْلَ حَتَّى تَنْهَنْتُ وَحَتَّى عَلَانِي حَالُكَ اللَّوْنُ أَسْوَدُ (١٧)
 قِتَالِ أَمْرِي آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُنْخَلَدٍ (١٨)
 تَتَادَوَا ، فَقَالُوا : أَرَدْتَ الْحَيْلُ فَارْسَا ! فَقُلْتُ : أَعْبُدُ اللَّهَ ذَلِكَكَ الرَّدِّي ؟ (١٩)
 فَإِنْ يَكُ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ فَمَا كَانَ وَقَافًا وَلَا طَائِشَ الْيَدِ (٢٠)

- (١) كنت منهم أى كنت على رأيهم مع أنى أراهم غارين ضالين وأنى غير مهتد باتباعهم .
 (٢) غزوية : حى من جشم ، وهم رهط دريد الأدنون .
 (٣) القعدد : البليان يقعد عن نصرة قومه ، أى أنى عطفت عليه لإتقاده .
 (٤) لم يجدد : لم يقطع رضاعها له حتى أتم مدة الرضاع .
 (٥) تنوشه : تتناوله بالطعن . والصياصي : جمع صيصة : شوكة يسوى بها الحائك نسجه .
 (٦) البو : ولد الناقة والبقرة ، يحشى جلده تبنا ، فتجد رائحته فيه ، فترأى وتدر اللين له .
 (٧) تنهت : كفت أسود بالضم ، وفيه عيب الإقواء . وهو اختلاف حركة الروى أى الحرف الأخير فى الأعراب . وقيل انه على تقدير ياء نسب مخففة للوزن ، وأنه أسودى والياء للبالغة .
 (٨) قتال أمرى : أى فالتك عنه قتال أمرى فادى أخاه بنفسه .
 (٩) أردت : أهلكك ، والردى : الهالك .
 (١٠) وقافا : هيابا يقف عن القتال جبنا ، ولا طائش اليد . أى مخطئ اليد فى الضرب والرمى .

- ولا برماً إِمَّا الرِّيحُ تَتَاوَحَّتْ يَرْطَبُ الْعِضَاهُ وَالضَّرِيعُ الْمُعْضِدُ (١)
وَتُخْرِجُ مِنْهُ صِرَّةَ الْقَرِّ جُرَّةً وَطُولُ السَّرَى دَرَى عَضْبٍ مَهْنِدٍ (٢)
كَمِيشُ الْإِزَارِ خَارِجٌ نِصْفُ سَاقِهِ صَبُورٌ عَلَى الضَّرَاءِ طَلَّاعٌ أَنْجِدُ (٣)
قَلِيلٌ تَشْكِيهِ الْمَصِيبَاتِ ذَاكِرٌ مِنْ الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي غَدِ (٤)
إِذَا هَبَطَ الْأَرْضَ الْفَضَاءَ تَرَيْنَتْ لِرُؤْيَيْهِ كَالْمَاتَمِ الْمُتَنَدِّ (٥)
وَكَمْ غَارَةٍ بِاللَّيْلِ وَالْيَوْمِ قَبْلَهُ تَدَارَكُهَا مَنَى بِسَيْدٍ عَمَرَدٍ (٦)
سَلِيمُ الشَّظَى عَبْلُ الشَّوَى شَنِجُ النِّسَاءِ طَوِيلُ الْقَرَا نَهْدُ أُسَيْلُ الْمُقَلَّدِ (٧)
يُقُوتُ طَوِيلَ الْقَوْمِ عَقْدُ عِذَارِهِ مُنِيفٌ كَحَذَعِ النَّخْلَةِ الْمُتَجَرَّدِ (٨)

(١) البرم : من لا يدخل مع القوم في الميسر ضنا بالجزور ، وكانوا يطعمون لحومها الفقراء ، وإما الرياح : إن شريطة وما زائدة ، وتناوحت : هبت من كل ناحية ، وذلك زمن البرد والشتاء ، والعضاه : الشجر الشائك . والضريع : نبات لا تقربه الدواب لخبثه ، والمعصد : المقطع .

(٢) صرة القر : شدة البرد ، والسرى : السير بالليل — أى وتخرج منه شدة البرد وطول السرى وجلا ماضيا في الأمور كأنه السيف المهند اللامع .

(٣) كمش الإزار : إما أن يكون كناية عن خفته وسرعته ، وإما أنه لا يطيل إزاره كالمترفين المشبهين بالنساء بل إن نشاطه يستدعى أن يقصر ثوبه بحيث يظهر نصف ساقه . وطلاع أنجد : كناية عن اقتحام الصعاب ، والأنجد : جمع نجد .

(٤) أى يحسب حساب العواقب ، فلا يقول اليوم ما يحاسب عليه غدا .

(٥) الماتم في الأصل مجتمع الرجال والنساء في الغم أو الفرح ، ثم خص به اجتماع النساء للوت ، والتنديد : رفع الصوت . والمعنى إذا نزل أرضا اجتمع الناس حوله وارتفعت أصواتهم في قضاء الخوائج ونحو ذلك .

(٦) أى تداركها غنى بقرص يشبه ذئبا شرسا .

(٧) الشظى : العظم الملازق بالساعد أو الساق ، والعبل : الضخم . والشوى : الأطراف . والنساء عصب يجرى في الفخذ والساق . والشنج : المتقبض ، وهو مدح في الفرس . والقرا : الظهر . والأسيل : الأملس المستوى . والمقلد : العنق .

(٨) وصف هذا الفرس بارتفاع رأسه ، فقال يقوت الخ . والعذار من اللجام : ما سال على خذ الفرس وعقده على رأسه خلف أذنه . يعنى أن أعلى رأسه أطول من قامته رجل طويل ، ومنيف : عال ، والمتجرد من النخيل : الذى زالت أصول كرهه فصار أملس . ثم رجع الى رثاء أخيه فقال : وكنت الخ .

وَكُنْتُ كَأَنِّي وَائِقٌ بِمَصْدَرٍ يَمْشِي بِأَكْثَافِ الْجُبَيْلِ قَتْمَمَدٌ (١)
لَهُ كُلُّ مَنْ يَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا وَإِنْ يَلْقَى مَثْنَى الْقَوْمِ يَفْرَحُ وَيَزْدَدُ (٢)
وَهَوْنٌ وَجِدِي أَنِّي لَمْ أَقُلْ لَهُ : كَذَبْتُ ، وَلَمْ أَبْجَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي (٣)

(١١) قَالَ عَلَقَمَةُ بْنُ عَبْدِ التَّمِيمِ : (٤)

طَحًا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طَرُوبُ بُعِيدَ الشَّبَابِ عَصَرَ حَانَ مَشِيبُ (٥)
يُكَلِّفُنِي لَيْلَى ، وَقَدْ شَطَّ وَلَيْهَا وَعَادَتْ عَوَادِي بَيْنَنَا وَخُطُوبُ (٦)

(١) المصدر : الأسد . والجبل وشمس : موضعان — أى وكنت عند تقى بأنى كأتى وائق بأسد

يتمشى بأكثاف الجبل قتممد .

(٢) أى له مقاتلة كل مفرد يلقاه من الناس فإذا لقي اثنين لم يجبن عنهما ، بل يفرح ويزداد فرحة

ويجمل عليهما .

(٣) أى طيب نفسى أنى لم أجفه ، ولم أبجل عليه بما ملكت يدي فلم ألتقى به بعد قتله بأنى لم أقم

بحقه ، وجعل لم أقل له كذبت كناية عن الجفاء .

(٤) هو علقمة الفحل بن عبدة بن ناضرة التميمي ، شاعر جاهلي مجيد من أقران امرئ القيس . مات

قبل الإسلام بزمان طويل . وإنما قيل له « الفحل » من أجل أن يتميز في الأخبار من شاعر آخر في قبيلته

أيضا يسمى علقمة الحصى بن سمل ، ويكنى أبا الوضاح أدرك الإسلام ، وأسلم . وقيل سمى « الفحل »

لأنه خلف امرأ القيس على زوجته بعد أن طلقها ؛ لأنها فضلت علقمة عليه حين حكاها في شعرهما .

(٥) طحا به قلبه : ذهب به كل مذهب ، والطروب : من الطرب ، وهو خفة السرور والشوق

إلى الشيء ، وبعيد : تصغير بعد — وحان المشيب : قرب ، أو آن أرائه : أهي أضلك قلبك الطروب

في حب الحسان بعد ما ذهب الشباب وقرب المشيب — والخطاب لنفسه . ثم الكثرة هو تكلم عن نفسه ،

فقال : يكلفني الخ .

(٦) وشط وليها : بعد عنك قريبها ودنوها ومواصلتها — وعادت : شغلت وصرفت ، مقلوب عداة

عن الأمر : صرفه ، والعوادي : جمع عادية ، وهى الأمر الشاغل عن الشيء . والخطوب : جمع خطب ،

وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر . (المعنى) أن قلبي هذا يكلفني حب ليلي مع أنها بعدت عنه ، وعز

عليه قريبها ، وحالت بينه وبينها حوائل وشواغل وحوادث صوارف عنها .

- مَنْعَمَةٌ ، مَا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهَا
عَلَى بَابِهَا مِنْ أَنْ تُرَارَ رَقِيبٌ (١)
إِذَا غَابَ عَنْهَا الْبَعْلُ لَمْ تُفَشِّسْ سِرَّهُ
وَتَرْضَى إِيَّابَ الْبَعْلِ حِينَ يُؤُوبُ (٢)
فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مَغْمَرٍ
سَقَاكِ يَمَانٍ ذُو حَيٍّ وَعَارِضٍ
وَمَا أَنْتَ ؟ أَمْ مَا ذِكْرُهَا رَبِيعَةٌ
يُنْخَطُّ لَهَا مِنْ ثَرَمَدَاءَ قَلِيبٍ (٣)
فَإِنْ تَسْأَلُونِي بِالنِّسَاءِ فَإِنِّي
بَصِيرٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ طَيِّبٍ (٤)
إِذَا شَابَ رَأْسُ الْمَرْءِ أَوْ قَلَّ مَالُهُ
فَلَيْسَ لَهُ مِنْ وَدْهِنٍ نَصِيبٍ
يُرِدُّنَ ثَرَاءَ الْمَالِ حَيْثُ عَلِمَنَّهُ
وَشَرَّحُ الشَّبَابِ عِنْدَهُنَّ عَجِيبٌ (٥)

(١) منعمة : من النعم فهني محبة يعنى بحراستها أهلها .

(٢) لم تفشس سره : كناية عن أنها لم تخنه ، ولذلك هي ترضى إياه فلا يعجبها غيره ، وإذا قرئ وترضى

(بالضم) كان المعنى وتجعل إياه رضىا حميدا بالأا يشك في صونها .

(٣) فلا تعدلى : أى فلا تسوى ، والمغمر من الرجال : المحقق الذى يستجهله الناس ، سقتك انخ :

يدعو لها بأن تسقى المزن الروية أى التى تروى حين تمطر - يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغى لها أن تحرض عليه . ثم عاد الى الدعاء لها فقال : سقاك انخ .

(٤) أى سقاك سحاب يمان أى يأتى من ناحية جنوبي نجد . أصله يمنى خففوا ياء النسب ،

وزادوا الألف عوضا عنها ، فعومل المنسوب معاملة المنقوص ، الحى : السحاب المتراكم بعضه على بعض ،

فيكون سيره بطيئا ، كأنه يحبو ، ويكون لذلك مطره غزيرا ، والعارض : السحاب المعترض فى الأفق ،

والجنوب : الريح الجنوبية . (المعنى) سقاك سحاب يمان مكروم . وسقاك سحاب عارض تسوقه فى الليل

ريح جنوبية . ثم عدل عن هذا ، وقال : وما أنت انخ .

(٥) وما أنت : ما استفهامية للتعجب وأم للإضراب بمعنى بل ، أى ما شأنك ؟ بل ما الداعى

لذكرك ليلي ، وهى ربيعة من ربيعة وأنت تيمى ، وقد رحلت الى بلادها حيث خط لها فى ثرمدا قليب .

والقليب البئر وثرمداء موضع . ثم أخذ يصف أخلاق النساء وطبائعهن ، فقال : فإن تسألونى انخ .

(٦) الأدوية : جمع داء ، أى بطبائعهن المعيبة التى بمنزلة الأمراض فيهن .

(٧) الثراء : الكثرة ، أى يحجب من يعلن عنده مالا . وشرح الشباب أقره ، وعجيب : معجب .

فدعها ! وسلّ الهمّ عنك بجمرة (١)
 الى الحارث الوهاب أعملتُ ناقى يكلّكها والقصريين وجيب (٢)

(١٢) قال سلامة بن جندل السعدي التميمي : (٣)

أودى الشباب حميداً ذو التعاجيب أودى ، وذلك شأؤ غير مطلوب (٤)
 ولّى حثيثاً ، وهذا الشيب يتبعه لو كان يُدركه ركض اليعاقب (٥)
 أودى الشباب الذي مجدّ عواقبه فيه نلّذ ، ولا لذات للشيب (٦)

(١) الجمرة : الناقة القوية الماضية ، وكهملك أى مثل همتك في المضاء والقوة ، والرداف : جمع رديف ، والرديف والردف : كل شيء يكون خلف الراكب ، ولو حقائب . والخيب : السير السريع . (المعنى) أى فدع لى هذه ، وسلّ الهم عنها برحلة على ناقة قوية سريعة مثل همتك في المضاء والنفاذ ، وفي سيرها سرعة ولو حملت خلف الراكب لها عدة أنقال .

(٢) والحارث الوهاب : يريد به الحارث بن جبلة بن أبي شمر الغساني ، وكان أمير أخاه شاسا ، فرحل اليه يطلب خلاصه وفكه ، وأعمل الناقة : وجهها وأجهدها ، والكلكل : الصدر وما بين الترقوتين ، وهو المناسب هنا ، والقصريان : ضلعان تلجان الترقوتين ، والوجيب : خفقتان القلب . أى أنه لشدة إجهادها في السير اشتد نبض قلبها ، وبأن ذلك في كلكها وقصريها لقرب القلب منها .

(٣) شاعر جاهلي مجيد من فرسان تميم ، وشعره منين سلس صحيح الرواية ، وكان معاصراً لعمر بن هند والعمان بن المنذر .

(٤) أودى : هلك وزال ، والتعاجيب : العجائب ، والشأ : الغاية . (المعنى) مضى الشباب ذو العجائب محمّداً بما كان فيه من اللذات العجيبة ، مضى وأصبح الآن غاية لا تدرك .

(٥) حثيثاً : سريعاً ، واليعاقب : جمع يعقوب ، وله معان : منها أنه ذكر القطا والجلج ، وملكمة النحل ، والعقاب ، والخيل المشبهة بيعاقب الخيل في الركض لسرعتها ، وكلها مناسبة هنا ، ولو هنا : للتمنى .

(٦) المجد : الكرم وشرف الفعال . (المعنى) زال الشباب الذي انتهى بفعال كلها شرف وكرم .

- يومان يوم مقامات وأنديّة ويوم سير الى الأعداء تأويب (١)
- همتّ معدّ بنا همتّ فنهها عنا طعان فضرّب غير تذيب (٢)
- بالمشرفي ومصقول أسنتها صمّ العواميل صدقات الأنايب (٣)
- يملّو أسنتها فتیان عادية لا مقرّفين ولا سُودِ جعابيب (٤)
- سوى الثقاف قناها ؛ فهي مُحكّة قليلة الزنغ من سنّ وتركيب (٥)
- زرقاً أسنتها حمراً مثقفة أطرافهنّ مقيّل لليعاسيب (٦)
- كانها بأكف القوم إذ لحقوا مواتح البرّ أو أشطان مطلوب (٧)

(١) يومان : أى لنا يومان ، والتأويب : السير السريع ، أى ان لنا يومين : يوما نجلس في المقامات والأنديّة للسمر أو للتشاور ، و يومنا نسير الى الأعداء سيرا سريعا .

(٢) معدّ : الشعب العظيم الذى يشمل ربعة ومضر ، ونهها : كفها ، ويقال : طعان غير تذيب : اذا بولغ فيه . وجعله هنا صفة للضرب أى همت قبائل معد بقتالنا مرة فكفها عنا طعاننا وضربنا الشديدان .

(٣) بالمشرفي : بالسيف المنسوب الى مشارف الشام ، وهى القرى العربية التى على حدود الشام تجلب منها السيوف المشرفة ، ومصقول أسنتها : أى وبرماح مصقول أسنتها ، وعامل الرمح : صدره أى الجزء الذى يلى منه السنان ، والصدق : الصلب المستوى من الرماح . والأنايب : كعوب الرماح .

(٤) العادية : أول جماعة تحمل من الرجال أو الفرسان ، والمقرّف : الذى تكون أمه عربية وأبوه أعجميا بعكس الهجين ، والجعابيب : جمع جعبوب وهو الضعيف النذل لا خير فيه ، أو القصير الدميم .

(٥) الثقاف : الآلة التى يسوى بها الثقاف الرماح أى يسويها ، وهى خشبة فى وسطها نقب ، الزنغ : البيل والعوج ، ولا يريد أن بها زينا قليلا بل لا زينغ فيها . والسن : تركيب السنان أى أن أسنتها ركبت فيها معتدلة غير معوجة .

(٦) والمقيّل : القيلولة فى الظهر ، واليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو عظيم النحل . (المعنى) سوى الثقاف القنا زرقا أسنتها حمرا مثقفة فكانت أطرافهن مكانا لتعليق رءوس السادات من الأعداء .

المواتح : الحبال الطويلة التى يمتح بها البرّ أى يترج ماؤها ، والأشطان : الحبال الطويلة .
مطلوب : اسم برّين المدينة والشام بعيدة القعر .

- (١) يشقّ بأرماحنا غير التكاذيب كلاً الفريقين : أعلاهم وأسفلهم
 (٢) كلّ شهاب على الأعداء مشبوب إني وجدت بني سعد يفضلهم
 (٣) وكلّ ذى حسب في الناس منسوب إلى تميم حمة العزّ نسبهم
 (٤) عنّ الذليل ، ومأوى كلّ قُرضوب قوم إذا صرحت تحلّ بيوتهم
 (٥) صبر عليها ، وقبص غير محسوب يُجهم من دواهي الشرّ إن أزمّت
 (٦) بكلّ وادٍ حطيب الجوف مجدوب كما تحلّ إذا هبت شامية
 (٧) هابي المراع قليل الودق مؤظوب شيب المبارك مدروس مدافعه

(١) غير التكاذيب : أى غير ذوى التكاذيب ، جمع تكذيب وهو أنت يحمل الفارس على الأعداء ، ثم لا يصدق الجملة ؛ فيرتد عنهم جبنا . (المعنى) كلاً الفريقين من الأعداء ، الأشراف منهم والوضعاء ، أصبوا برماحنا إلا من قر منهم جبنا .

(٢) بنو سعد بطن من تميم قوم الشاعر . (المعنى) إني وجدت قومي يفضلهم على الناس أن كل شجاع فيهم بمنزلة الشهاب المتقد على الأعداء .

(٣) نسبة بنى سعد إلى تميم وإلى كل ذى حسب معروف النسب .

(٤) الكحل : السعة الشديدة الجذب ، والقرضوب : الفقير الذى لا يصيب شيئاً إلا أكله .

(٥) أزمّت : عضت . والقبص : العدد الكثير لا يقدر على حسبه من كثرة . ثم وصف صبرهم على الشدائد والجذب باليتين الآتين .

(٦) الريح الشامية : باردة وإذا هبت في الشتاء ، وهو زمن الجذب عندهم ، كانت أبرد . (المعنى) نصبر على الجذب ونحل الوديان المجدوبة التى ليس بها إلا الحطب .

(٧) شيب : يعنى أن مبارك إبلهم في الوادى المجدوب الذى نزله شيب أى يبض من الغبار والجذب لا خضرة فيها ، أو من الصقيع لأنهم ينزلونه زمن الشتاء . والمدروس : الباقي المنحو العالم . والمدافع : جمع مدفع ، وهو مجرى المياه ، وهاهى المراع أى أن المكان الذى تتمرغ فيه إبلهم هاب لقلّة المطر الذى يشبهه ، والمؤظوب : الذى قد وذب حتى أكل ما فيه . (المعنى) هذا الوادى الذى اضطرا إلى الإقامة فيه زمن الشتاء — مباركه يبض لا خضرة فيها أو أن الصقيع كساه باليباض ، ومجارى مياهه مدروسة لعدم المياه التى تجري فيها ، ومراع إبله هاب بالتراب والغبار ، وقد أكل كل ما فيه من العشب ، فلم يبق فيه شيء . يعنى . يصف قومه بالجلب والصبر على الشدائد .

كنا اذا ما أتنا صَارِحُ فَزِعْ كان الصُّراخُ له قَرَعَ الظنابيب
(٣) وَشَدَّ كُورٍ عَلَى وَجَنَاءِ نَاجِيَةٍ وَشَدَّ سَرَجٍ عَلَى جَرْدَاءِ سَرَحُوبِ
(٤) يَقَالُ : مَحْبِسُهَا أَدْنَى لِمَرَّتَعِهَا وَإِنْ تَعَادَى بَيْكٌ كُلُّ مُحْلُوبِ
حَتَّى تُرْتَكَا ، وَمَا تُثْنَى ظَعَانُنَا يَأْخُذَنَّ بَيْنَ سَوَادِ الْخَطِّ فَالْلُوبِ

(١٣) وَقَالَ عَبْدُ يَغُوثَ الْحَارِثِيُّ . (٥)

أَلَا لَا تَلُومَانِي كَفَى اللُّومَ مَا بَيَا فَمَا لَكُمَا فِي اللُّومِ خَيْرٌ وَلَا يَا
(٦) أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفَعُهَا قَلِيلٌ وَمَا لُومِي أَنْحَى مِنْ شِمَالِيَا
(٧)

(١) ظنابيب : جمع ظنوب ، وهو حرف عظم الساق من أمام . أي إذا استصرخ بنا واستنجد
مستغيث أسرعنا في نجدة . وهو مثل يضرب للتهيو للأمر بسرعة . وأصله من قرع ظنابيب الإبل لتبرك
سريعاً فتركب . وفسر هذا التهيو بالبيت الآتي .

(٢) الكور : الرجل الذي يوضع على ظهر الناقة ليركب عليها ، والوجناء : الناقة الصلبة الجسم ،
والناجية : السريعة السير ، والجرداء : الفرس القصيرة الشعر وذلك من محاسنها : والسرحوب : الطويلة .

(٣) يقال محبسها الخ يعني يقال في وصفها : إن محبس هذه الإبل وهذه الخيل على الجذب ومقابلة
العدو على الثغر ومواضع المخافة — أدنى وأقرب وأولى من أن ترتع وتخصب فتضيع الثغر . وتعادي :
تبارى في العدو ، والبك : قلة اللبن في المحلوب . أي ولو جرت النوق التي تحلب بلبن قليل لقله رعيها .

تنى : ترجع ويرد بعضها على بعض أي تمنع عن سيرها وتحال دونه . والظبية : المرأة المسافرة
في هودجها ، وسواد الخط : يريد بلاد الخط من ساحل البحرين ، واللوب : الحجارة السود ، وتكون
في الجبال الغربية من بلاد العرب . (المعنى) ما زلنا تدافع العدو حتى ترك لنا البلاد فأصبحت ظعائننا يسرن
ما بين سواحل البحرين الى حدود الحجاز ، لا يثنين العدو عن طريق

(٥) هو عبد يغوث بن وقاص الحارثي البجلي أسري يوم الكلاب وهو يوم بين تميم والبنين ، وقد أسره
تيمم الرباب وهو شاعر فارس مقدم في قومه ينتمى الى بيت معرق في الشعر .

(٦) أي كفى اللوم ما أنا فيه : فلا تحتاجون الى لومي مع ما ترون من أسرى وجهدي .

(٧) يقول : ليس لومي أنحى من شمالي أي أخلاقي

- فباركنا بما عَرَضْتَ فبلغن
أبا كرب والأهمين كلهم
جزى الله قومي بالكلاب ملامة
ولو شئت نجنتي من الخيل نهدة
ولكنني أحيى ذمار أبيكم
أقول وقد شدوا لساني يذسعة :
أعشر تيم قد ملكتم فأسبحوا
فإن تقتلوني تقتلوا بي سيدا
أحقا عباد الله أن لست سامعا
وتضحك مني شيخه عشمية
ندامى من تجران أن لا تلاقيا
وقيسا بأعلى حضر موت اليمانيا (١)
صريحهم والآخرين المواليا (٢)
تري خلفها الحو الجياد تواليا (٣)
وكان الرماح ينخطفن المحاميا (٤)
أعشر تيسم أطلقوا عن لسانيا (٥)
فإن أخاكم لم يكن من بوائيا (٦)
وإن تطلقوني تحرُّبوني بماليا (٧)
نسيده الرعاء المعزبين المتأليا (٨)
كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا (٩)

(١) أبو كرب والأهمان : من اليمن ، وقيس بن معد يكرب الكندي كذلك .

(٢) صريحهم : خالصهم ومحضهم . والموالى هنا : الخلفاء .

(٣) النهدة : الفرس المرتفعة الخلق ، والحو : الخيل التي تضرب إلى خضرة ، وقوله تواليا أى تتلوها وتتبعها لأن فرسه بخفية قد تقدمت الخيل .

(٤) الذمار : ما يجب على الرجل حفظه من منعه جاراً وطلبه ثارا — ينخطفن : يذهبن به .

(٥) هذا مثل ، فاللسان لا يشد بلسة ، وإنما أراد أفعلا بي خيرا لينطلق لساني بشركم وإنكم مالم تفعلوا فلساني مشدود لا أستطيع مدحكم .

(٦) اسبحوا : مهلوا ويسروا أمرى ، والبواء : النظير . أى أنت صاحبكم ليس نظيرى فلا أقتل به ، يقال : يا فلان بؤ فلان أى اذهب به ، يقال ذلك للقتول بمن قتل .

(٧) أى وإن تطلقوني أدفع دية عظيمة لصاحبكم بحيث يهلك منها مالى .

(٨) المعزب : المنحى بإبله ، والمتألى التى قد نتج بعضها وبقي بعض ، والواحدة متلية .

(٩) عشمية نسبة إلى عبد شمس ، والأسير : المشدود .

وقد علمت عرسي مُليكة أني أنا الليث معدو على وعاديا
 وقد كنت نَحَارًا لجزور، ومُعمِلًا
 وأنحُرُ للشرب الكريم مطيّي وأصدع بين القيتين ردائيا
 وكنت إذا ما الخيل شَمَصها القنا ليقًا بتصريف القنا بنايا (٢)
 وعادية سوم الجراد وزعتها بكفى وقد أنحوا إلى العواليا (٣)
 كأتى لم أركب جوادًا ولم أقل لخيلى : كرى نفسى عن رجاليا
 ولم أسب الرق الروى ، ولم أقل لآيسار صديق أعظموا ضوء ناريا

(١٤) وقال ذو الإصبع العدواني : (٥)

لي أبن عم على ما كان من خلقي مختلفان : فأقلبه ، ويقلبنى (٦)

(١) الشرب الشاربون ، المفرد شارب كصحب وصاحب . والمطية : البعير هنا — أصدع أشق والقبيلة الأمة مغنية كانت أو غير مغنية والأزل هو المراد هنا يصف نفسه بالكرم والترف .

(٢) شمس : ضرب ونخس ، والقنا : الرماح ، واللبق الحاذق .

(٣) العادية : القوم يعدون ، والخيل كذلك . سوم الجراد : انتشاره في طلب المرعى . وزعتها : كففها ومنعتها — أنحوا الرماح : أمالوها وقصدوا بها إلى ، والعوالى : الرماح . يقول : ورب جماعة من الفرسان تعدو على كثرة الجراد وشيوعه قد كففها عنى ، وقد أمالوا رماحهم نحوى فى القتال .

(٤) السبا : اشتراء الخمر ، والآيسار الذين يضربون القداح فى المقامرة ، يقول : كأتى لم أشرب الخمر ، ولم أقل للقامرين معى أعلوا ضوء النار للشواء أولًا كرام الضيفان الذين يقصدونها ، وكان ذلك من مفارخ العرب .

(٥) هو جرثان بن الحارث من عدوان من مضر شاعر فارس من قدماء الشعراء فى الجاهلية وقد عمر طويلا

حتى خرف وأهتر ومات قبل الإسلام .

(٦) على ما كان من خلق أى من تخالق ومعاملة بيننا ، يريد أنهما مختلفان ، أقلبه : أبغضه .

- أزرى بنا أننا شالت نعمائنا
يا عمرو إلا تدع شتي ومتقصتي
(١) نخالني دونه ، واخلتسه دوني
أضربك ، حتى تقول الهامة : اسقوني^(٢)
عني ، ولا أنت ديان فتخزوني^(٣)
ولا تنفسيك في العزاء تكفيني^(٤)
عن الصديق ، ولا خيرى بممنون^(٥)
بالفاحشات ، ولا فتكى بمأمون
هوناً فليست يوقاف على الهون^(٦)
ترعى الخاض ، وما رأيي بمغبون^(٧)
وإن تتخلق أخلاقاً إلى حين^(٨)
كل أمرئ راجع يوماً لشيئته

(١) أزرى بنا : قصر بنا وعابنا ، وقوله شالت نعمائنا : معناه تفرق أمرنا واختلف ، فتنافرنا
فصرت أراه أقل منى ويرانى أقل منه .

(٢) الهامة : الرأس . وكان العرب يعتقدون أن الرجل إذا قتل فلم يدرك بثأره خرجت هامة
من نوع البوم من قبره فلا تزال تصيح : اسقوني ، حتى ينأرله ، والمراد : أضربك حتى تقتل .

(٣) لاه ابن عمك : أصله لله ابن عمك فحذفت اللام الخافضة اكتفاء بالتي تليها ، والديان : القائم
بالأمر . يقول : لست القائم في أمرى فتخزوني أى تسوسنى وتدبر أمرى .

(٤) السغبة : المجاعة . والعزاء : الضيق والشدة .

(٥) أى لا أذتر عن صاحبي شيئاً ولا أمتن عليه .

(٦) عف : أى تفيف عما ليس لى ، يؤوس : لست بذى طمع ، فأنا يأس عما فى يد غيرى ، والهون :
الهوان والذلة .

(٧) أى لست بدين أمة ، وخص الخاض لأن رعيها عمل المهين .

الشيعة : الطبع ، يريد أن التخلق لا يدوم ولا بد أن يرجع الإنسان إلى طبعه .

- إِنِّي أَبِيَّ إِنِّي ذُو مُحَافَظَةٍ
وَأَنْتُمْ مَعْشَرٌ زَيْدٌ عَلَى مِائَةٍ
فَإِنْ عَلِمْتُمْ سَبِيلَ الرُّشْدِ فَانْطَلِقُوا
مَاذَا عَلَى وَاثِ كُنْتُمْ ذَوِي كَرَمٍ
لَوْ تَشْرَبُونَ دَمِي لَمْ يَرَوْا شَارِبَكُمْ
اللَّهُ يَعْلَمُنِي ، وَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ
قَدْ كُنْتُ أُوتِيكُمْ نَصْحِي ، وَأَمْنُكُمْ
لَا يُخْرِجُ الْكُرْهَ مِنِّي غَيْرَ مَائِيَّةٍ
وَابْنُ أَبِيَّ أَبِيَّ مِنْ أَبِيَّيْنِ^(١)
فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ كُلًّا فَكِيدُونِي^(٢)
وَإِنْ جَهِلْتُمْ سَبِيلَ الرُّشْدِ فَاتُونِي^(٣)
أَلَا أَحْبَبُّكُمْ إِذْ لَمْ تَحْبُونِي
وَلَا دِمَائُكُمْ جَمْعًا تُرَوِّينِي
وَاللَّهُ يَجْزِيكُمْ عَنِّي ، وَيَجْزِينِي
وَدَى عَلَى مُثَبَّتٍ فِي الصَّدْرِ مَكْنُونٌ^(٤)
وَلَا أَلَيْنَ لِمَنْ لَا يَتَغْنَى لِيْنِي^(٥)

(١٥) عبيد بن الأبرص^(٦) :

قال من بآئيته المشهورة التي أولها :

أَفْقَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ فَالْقَطِيبَاتُ فَالذَّنُوبُ^(٧)

* * *

(١) يصف نفسه وآبائه بالعز والمنعة .

(٢) زيد على مائة : زيادة عليها .

(٣) أي فإن عرفتم سبيل الرشد فاذهبوا لوجهكم ، وإن فرغتم إلي رأيي أحببكم ونصحت لكم .

(٤) مكنون : مستور .

(٥) يقول ، إذا أكرهت على الشيء لم يكن عندي إلا الإباء له فلا أعطى على القسر شيئاً .

(٦) هو عبيد بن الأبرص الأسدي أحد فحول شعراء الجاهلية وقدمائهم ، وبآئيته التي منها هذه الأبيات من مجزوء البسيط ، وأكثر أبياتها مضطربة الوزن ولكن أغراضها ومعانيها شريفة .

(٧) ملحوب والقطيبات والذنوب : أسماء أماكن .

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يُؤُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يُؤُوبُ
أَعَاقِرُ مِثْلُ ذَاتِ وَلَدٍ أَوْ غَانِمٌ مِثْلُ مَنْ يَنْحِيبُ
مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِيمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَنْحِيبُ
سَاعِدُ بَارِضٍ إِنْ كُنْتَ فِيهَا وَلَا تَقُلْ : إِنِّي غَرِيبُ

(١٦) وَقَالَ الْأَفُوهُ الْأَوْدِيُّ ^(١) :

الْبَيْتُ لَا يُبْنَى إِلَّا لَهُ عَمَدٌ وَلَا عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادُ ^(٢)
فَإِنْ تَجَمَعَ أَوْتَادُ وَأَعْمِدَةٌ وَسَاكِنٌ بَلَّغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا ^(٣)
لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سَرَاةَ لَهُمْ وَلَا سَرَاةَ إِذَا جُهَا لَهُمْ سَادُوا
تُهْدَى الْأُمُورُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَاحَتْ فَإِنْ تَوَلَّى فَبِالْأَشْرَارِ تَنَقَّدَ
إِذَا تَوَلَّى سَرَاةَ النَّاسِ أَمْرَهُمْ نَمَّا عَلَى ذَاكَ أَمْرُ الْقَوْمِ فَازْدَادُوا

(١) هو سلامة بن عمرو الأودى أحد نخول شعراء الجاهلية وحكائها وسادتها وفرسانها .

(٢) هذا البيت والذي بعده تمثيل لمذهبه ورأيه في سياسة الناس وصلاح أمورهم إذا تولى حكمهم وقيادتهم سراتهم وذوو الأحساب والرأى فيهم فإدام هؤلاء بأيديهم الحل والعقد صلحت أمورهم وعظمت شؤونهم وبلغوا ما أرادوا ، فإذا تغلب الجهال بقوتهم عم الفساد .

(٣) كادوا هنا بمعنى أرادوا .

عصر صدر الإسلام وبنى أمية

(١) آيات من القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ^(٢) . الَّذِي ^(١)
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ^(٣) وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ^(٤) وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا ^(٥)
لَكُمْ ^(٦) فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ^(٧) .
تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(٨) .
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ ^(٩) وَاختِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ ^(١٠)

-
- (١) معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم
(٢) الجملة حال من الضمير في اعبدوا أى اعبدوا ربكم راجعين أن تتخبطوا في سلك المتقين .
(٣) كالفرش المبسوط .
(٤) كالقبة المضروبة عليكم .
(٥) الأنداد : جمع ند بكسر النون : المثل .
(٦) أى والحال أنكم من أهل العقل والمعرفة الذين لا يصدّقون صحة الشرك .
(٧) الأمة : الجماعة . والمراد هنا الأنبياء الماضون وأتباعهم الذين ينتسب إليهم المجادلون من الكفار ،
خلت : مضت — المعنى أن هؤلاء قوم لهم أعمالهم لا تفيدكم شيئاً كما أنكم لا تسألون عن سيئاتهم .
(٨) الاختلاف : التعاقب .
(٩) الفلك : السفينة للواحد والجمع .

بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يَعْقِلُونَ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
 الْعَذَابِ . إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ
 الْأَسْبَابُ . وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ
 اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِنُجْرَجِينَ مِنَ النَّارِ .

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

- (١) السماء : جهة العلو .
- (٢) البث : النشر والتفريق .
- (٣) تصريف الرياح : تدير مهامها وأحوالها .
- (٤) أشد حبا : لأنه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف غيرهم المترددن بين الأصنام ، أو الالاجئين الى الله حين الشدة فقط .
- (٥) جواب لو محذوف أى لندموا إذ يرون العذاب يوم القيامة ، وأجرى مجرى الماضى لتحقق الوقوع كقوله تعالى « ونادى أصحاب الجنة » . ومعنى ظلموا أنهم ظلموا أنفسهم باتخاذهم الأنداد .
- (٦) الأسباب : الصلات التى كانت بين التابع والمتبوع .
- (٧) كرة : أى عودة الى الحياة الدنيا .
- (٨) حسرات : ندامات ، المفرد حسرة .
- (٩) البر : كل فعل مرضى . والخطاب لأهل الكتاب الذين خاضوا فى أمر قبلة الصلاة حين حوالت من بيت المقدس الى الكعبة بمكة ويصح أن يكون الخطاب عاما .
- (١٠) أى أن البر الذى ينبغى أن يهتم به هو بر من آمن . (١١) المراد بالكتاب الكتب المنزلة .
- (١٢) أى مع حب المال . (١٣) يريد المحاويع منهم .

(١) ^(١) وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ .

(٥) وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ وَتُدْخُلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِنَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ
النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

(٧) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ
وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ . وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ
وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ . وَإِذَا قِيلَ لَهُ آتِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ
جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ . وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ

(١) ابن السبيل : المسافر .

(٢) أى فى تخليص الرقاب بفك الأسرى وعون المكاتبين .

(٣) البأساء : المصيبة فى المال . والضراء : المصيبة فى النفس . البأس : مجاهدة العدو .

(٤) صدقوا : اخلصوا للدين واتباع الحق وطلب البر . المتقون : المبتعدون عن الكفر وسائر الرذائل .

(٥) أى لا يأكل بعضكم مال بعض بوجه غير مباح .

(٦) تدلوا بها إلى الحكام : أى تلقوا بالحكومة فيها إليهم . بالإثم : أى بما يوجب إثمًا
كشهادة الزور واليمين الكاذبة . وأنتم تعلمون : بحالة حاله . وذلك أن عمل الذنب مع العلم به أقبح .

(٧) أى يحلف على إخلاصه . ألد الخصام : شديد العداوة والجدال للسلين .

(٨) تولى : أدبر وانصرف عنك أو إذا غلب وصار واليا . الحرث : الزرع . والنسل : الماشية .

(٩) أخذته بكذا : حملته عليه وألزمته إياه . والمعنى على ذلك أن الأنفة وحمية الجاهلية حملته على

الإثم الذى يؤمر بانقائه . فحسبه جهنم أى كفته جزاء وعذابا . وليئس المهاد : جواب قسم مقدر

والخصوص بالذم محذوف للعلم به . والمهاد : الفرائش ، أى ينس المهاد مهاده .

(١٠) يشترى نفسه : يبيعه ويذلها فى الجهاد مثلا . ابتغاء مرضاة الله : أى طلبا لرضاه . والله

وصوف بالعباد لإرشادهم الى مثل هذا الشراء ليكونوا مقررين فائزين .

وَمَوْفٍ بِالْعِبَادِ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً^(١) وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ^(٢) . فَإِذَا زُلْزِلْتُمْ^(٣) مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(٤) .

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى
أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ سَنَابِلَ سَجَّ سَنَابِلَ فِي كُلِّ
سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَسِعٌ عَلِيمٌ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى^(٥) لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتُزِيلُ الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ
وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُوَلِّجُ النَّهَارَ
فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ^(٦) وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ^(٧) .

(١) السلم بفتح السين وكسرها : الاستسلام والطاعة . (٢) مبين : ظاهر العداوة .

(٣) زلتم : حدثتم عن الدخول في السلم . والبيِّنات : الآيات والحجج الشاهدة على أنه الحق .

(٤) عزيز : لا يعجزه الانتقام . حكيم : عادل لا ينتقم إلا بحق .

(٥) كره لكم : شاق عليكم مكروه طبعاً .

(٦) أي مثل نفقتهم كمثل حبة الخ . والمراد أن الله يضاعف لهم الثواب على هذا الإفاق .

واسع : لا يضيق فضله . عليم : بنية المنفق وقيمة إفاقه .

(٧) المَن : أن يعتد الانسان بإحسانه على من أحسن إليه .

(٨) الملك هنا : كل شيء فنعناه عام وما بعده خاص .

(٩) لإبلاج الليل والنهار : لإدخال أحدهما في الآخر بالتعقيب أو الزيادة والقص .

(١٠) المراد بإخراج الحي من الميت وبالعكس إنشاء الحيوان من مواده وإمامته واستحاله إلى موات .

إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ^(١) أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ^(٢)
وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .

واعتصموا بحبلِ اللَّهِ جميعاً ^(٣) ولا تفرقوا واذكروا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً ^(٤)
قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ^(٥)
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ
بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

فَمَا رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ^(٦)
فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ ^(٧) فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ . إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ
مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ .

(١) يشترون : يستبدلون . عهد الله : الأيمان . أيمانهم : ما حلفوا به كقولهم لنؤمنن بالله
ولنصرنه . الثمن القليل : هو مناع الدنيا .

(٢) لا خلاق لهم : لا نصيب لهم من الخير والثواب . لا يزكّيهم : لا يثني عليهم .

(٣) اعتصموا : تمسكوا . حبل الله : دين الإسلام أو القرآن .

(٤) أى فى الجاهلية إذ كنتم تتقاتلون .

(٥) الشفا : الحرف . والمعنى : كنتم مشفين على الوقوع فى النار لكفركم فأنقذكم بالإسلام .

(٦) فبما رحمة : أى فبرحة وما زائدة للتأكيد . الفظ : سىء الخلق الجافى . غليظ القلب : قاسيه .

انفضوا من حولك : تفرقوا عنك .

(٧) عزمت : وطنت نفسك على شىء . بعد الشورى .

(١) وَلَيْخَشِ الَّذِينَ لَوْتَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا
(٢) قَوْلًا سَدِيدًا . إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَيَصِيلُونَ سَعِيرًا .

(٣) وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَخَبُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى شَيْءٍ حَسِيبًا .
(٤) وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا .
(٥) يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنْ
الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا . هَاتِمَ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ
اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا . (٦) وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ
ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا .



(٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَوَّةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ

(١) هذا أمر للأوصياء بخفاقة الله في أمر اليتامى وأن يفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذرايرهم
الضمايف بعد وفاتهم . والقول السديد يظهر في الإنصاف وحسن العشرة .

(٢) أى ما يجرى إلى النار . يصلون سعيرا : يدخلون نارا شديدة . (٣) يحاسبكم على التحية أيضا
كما يحاسبكم على غيرها . (٤) يختان نفسه : يخونها بالمعاصى . الأثيم : المنهمك في المعاصى .

(٥) يستخفون : يستترون . يبيتون : يدبرون زورا .

(٦) الوكيل : المحامى الدافع عنهم عذاب الله . (٧) يظلم نفسه بالشرك أو بذنب لا يتعداه ضرره .

(٨) الميسر : القمار مطلقا . الأنصاب : الأصنام نصبت للعبادة . الأزلام : جمع زلم وهو القدح . وذلك
أن العرب كانوا إذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرنى ربي . وعلى الآخر نهانى
وربي . والثالث غفل . فان خرج الأمر مضوا ، وان خرج الناهى تجنبوا ، وان خرج الغفل أجالوها ثانية .
ورجس : قدر تعافه العقول .

وَالْمَيْسِرَ وَيُصَدِّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ^(١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّما عَلَى رَسُولِنَا الْبُلْغُ الْمُبِينُ ^(٢) .



ولقد أرسلنا إلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ^(٣) ، فَلَوْلَا
إِذَا جَاءَهُمْ بِأُسْنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(٤) ،
فَلَمَّا تَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ^(٥) حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ
بَغْتَةً ^(٦) فَازْدَاهُمْ مِيبِلُسُونَ ، فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ^(٧) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرًا أَنْ تَتَّخِذَ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ^(٨) ،
وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ^(٩) ، فَلَمَّا جَنَّ ^(١٠)

(١) هذا الاستفهام إيدان بأن أمر المنع والتحذير بلغ الغاية ، وأن الأعداء قد انقطعت .

(٢) أى فان أعرضتم فلن تضروا الرسول بأعراضكم لأن عليه البلاغ وقد أداه .

(٣) أى فكفروا فأخذناهم الخ . البأساء : الشدة والفقر . الضراء : الضر والآفات . يتضرعون :
يتذللون ويتوبون .

(٤) معناه نفى تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم إليه .

(٥) أى لما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فتحننا عليهم أبواب النعم امتحنناهم بالشدة
والرخاء .

(٦) ميبلسون : منحسرون آيسون .

(٧) دابرهم : آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد ، (والحمد لله) على هلاكهم إذ هو نعمة للناس .

(٨) عازر : عطف بيان لأبيه .

(٩) ملكوت السموات : عجائبها وبدائعها . ليكون من الموقنين أى ليستدل ويستيقن .

(١٠) جن عليه الليل : ستره بظلامه . وهنا أراد سيدنا إبراهيم هداية قومه من طريق النظر

والاستدلال .

عليه السِّلُّ رَءَا كَوَكَبَا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ^(١) قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ . فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ^(٢)
بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ . فَلَمَّا رَءَا^(٣)
الشَّمْسَ بِارِزَّةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُقِيمُ إِنِّي بِرِيٍّ هُمَا تُشْرِكُونَ^(٤)
إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .
إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ، ذَلِكَمُ اللَّهُ^(٥)
فَعَّالٌ يُؤَفِّكُونَ . فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ^(٦)
الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا^(٧)
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا^(٨)
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ^(٩)
^(١٠)

(١) أَفَلَ النجم : غاب .

(٢) بَارِغًا : مبتدئًا في الطلوع .

(٣) أى من الأجرام السماوية المحدثة المحتاجة الى من يصرفها .

(٤) وَجَّهْتُ : توجهت بالإيمان والعبادة . فَطَرَ : خلق . حَنِيفًا : حال من التاء في وجهته .

والحنيف : المسلم .

(٥) فَالِقَهُ بالنبات والشجر الذي ينبت منه .

(٦) يُؤَفِّكُونَ : تنصرفون عنه الى غيره .

(٧) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ : شاق عمود الصباح عن ظلمة الليل . سَكَنًا : يسكن اليه التعب نهارًا مطمئنًا

اليه . حُسْبَانًا : أى على أدوار يحسب بها الوقت . وَهُوَ مُصَدَّرٌ حَسْبَ الْفَتْحِ . وَقِيلَ : جَمْعُ حَسَابٍ

كشباب وشبان . الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ : القادر والخبير بتدبيرهما حسب الأصلح .

(٨) فَصَّلْنَا الْآيَاتِ : بَيَّنَّاهَا فَصْلًا فَصْلًا .

(٩) نَفْسٍ وَاحِدَةٍ : هى آدم عليه السلام . مُسْتَقَرٌّ : فى الأصلاب أوفوق الأرض . مُسْتَوْدَعٌ :

فى الأرحام أوتحت الأرض .

(١٠) أى نبت كل صنف من النبات .

فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّتٍ
مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُسْتَمْتَةً وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ، انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ
إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا
أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا
مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ ^(٧) بِالْقِسْطِ
لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا
ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ، وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ
فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .

(١) الخضر : شئ . أخضر يخرج من الحبة منشعبا . الحب المتراكب : هو السنبل .

(٢) أى وأخرجنا من النخل نخلا من طلوعها قنوان ، وهى الأعذاق : جمع قنوكهصنوان جمع صنو .
دانية : قريبة التناول أو ملتفة متقاربة . وجنات : عطف على نبات كل شئ . ينعه : نضجه . الآيات :

العلامات والأدلة على وجود الخالق الحكيم .

(٣) أى وأحسنوا بهما إحسانا .

(٤) الإملاق : الفقر . ومن : للسيبية .

(٥) الفواحش : كبار الذنوب .

(٦) أى بالطريقة النافعة محافظة واستئارا . الأشد : جمع شدة كنعمة وأنعم . والمراد حتى يصير بالناس .

(٧) القسط : العدل والتسوية .

(٨) اعدلوا : قولوا الحق والعدل ولو على القريب .

(٩) صراط الله : شريعته . والمراد بالسبل : الأدبان المختلفة أو الأهواء الضالة .

(١) وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ .
وَإِذْ كُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ
(٢) وَأَيَّدَكُمْ بِنَصِيرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ .

آيات من القرآن الكريم جارية مجرى الأمثال

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ . (٣) أَلَنْ حَصْحَصَ الْحَقُّ . (٤) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
(٥) وَنَسِيَ خَلْقَهُ . ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ . (٦) قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ . (٧) إِنَّ مَوْعِدَهُمُ
الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ . (٨) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ . (٩) لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ
(١٠) وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ . (١١) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ . (١٢) وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا

- (١) أى اتقوا ذنبا يعمكم أثره : كإقرار الأشرار، وترك التناهى عن المنكرات، ومن أوجه إعراب لا تصيب أنها جواب الأمر على معنى إن أصابكم . ولذلك أكد الفعل .
- (٢) يمين الله عليهم بحمايتهم ونصرتهم حينما كانوا ضعافا أول الإسلام .
- (٣) تستعمل فى الحث على بذل النفس المحبوب .
- (٤) حصص : بان وظهر . تستعمل لظهور الأمر بعد خفائه أو الشك فيه .
- (٥) يقال للشخص ينظر الى وجه ضيف دون القوى المهم . وأصلها أن الإنسان يجب من البعث ناسيا أن الله الذى خلقه من التراب قادر على بعثه .
- (٦) يجابه بها من فرط فوق فى مغبة عمله .
- (٧) تستعمل فى اليأس من الرجوع فى الحكم أو العمل .
- (٨) فى قرب المنتظر .
- (٩) فى الحرمان .
- (١٠) للنص على أن لكل شئ غاية .
- (١١) مدبر الشر يقع فيه .
- (١٢) تستعمل الشاكلة فى دلالة العمل على طبيعة صاحبه .

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ^(١) . كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ^(٢) . مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ^(٣) . مَا عَلَى
 الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ^(٤) . هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ^(٥) . كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً ^(٦)
 كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ^(٧) . ءَالَتُنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ^(٨) . تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ^(٩) . وَلَا
 يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ^(١٠) . كُلُّ حَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ^(١١) . وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ^(١٢) .
 وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكُورُ ^(١٣) . لَا يَكُفُّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ^(١٤) . لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ ^(١٥)
 وَالطَّيِّبُ ^(١٦) . ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ^(١٧) . ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ^(١٨) . لِمِثْلِ هَذَا
 فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ^(١٩) . وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ^(٢٠) . فَاعْتَزِلُوا يَأُولِي الْأَبْصَارِ ^(٢١) .

- (١) في ظهور الخير من غير مظانه .
- (٢) تستعمل في تحمل الإنسان نتيجة عمله .
- (٣) في الرجل يقوم بواجبه لا يعنيه المجهود .
- (٤) للحسن يجود بما يشاء .
- (٥) في الخير جزاؤه الخير .
- (٦) الضعيف يفوز بالقوى .
- (٧) عدم فائدة التوبة بعد فوات الفرصة . والأصل تطيع الآن الخ .
- (٨) تستعمل للجماحة كالتنفقين وأهواؤهم مختلفة .
- (٩) يضرب للرجل يعرف الشيء أكثر من غيره .
- (١٠) تعصب الإنسان لما عنده .
- (١١) تضرب للقوم يفقدون خيرا لا يستحقونه .
- (١٢) إنكار الجليل . (١٣) الاكتفاء بقاية الجهد .
- (١٤) للفرق بين المنبأيات . (١٥) للشريع .
- (١٦) يضرب لاستضعاف المتكبر المتجاهل .
- (١٧) استكبار الشيء وتجييله .
- (١٨) للأشياء النادرة .
- (١٩) تستعمل في لفت النظر إلى مواطن العبرة والتبصر .

(ب) الشِّعر

(١) قال كعب بن زهير :

بانَتْ سَعَادُ فِقْلِي الْيَوْمَ مَتَبُولُ مَتَمَّ عِنْدَهَا لَمْ يُجَزَّ مَكْبُولُ (٢)
وما سَعَادُ غَدَاةَ الْبَيْنِ إِذْ بَرَزَتْ إِلَّا أَغْنَى غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ (٣)
تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولُ (٤)
شَجَّتْ بِذِي شَبَمٍ مِنْ مَاءٍ مَحْنِيَةٍ صَافٍ بِأَبْطَحِ أَضْحَى وَهُوَ مَشْمُولُ (٥)
تَنْفِي الرِّيحُ الْقَذَى عَنْهُ وَأَفْرَطَهُ مِنْ صَوْبِ غَادِيَةٍ بَيَضُ يَعَالِيلُ (٦)
وَيَلْمَهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ بِوَعْدِهَا وَلَوْ أَنَّ النَّصِيحَ مَقْبُولُ (٧)

(١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي . وقد نشأ كعب في أسرة شاعرة ذات خواص فنية متشابهة . وأسلم ومدح الرسول بهذه القصيدة التي تشرحها . ويعتد شعره من النوع القوى الجزل مع غرابة لفظ ، وجودة وصف ، ويقال إنه توفي سنة ٢٤ هـ .

(٢) بانَتْ : فارقت . والمتبول : الذي أسقمه الحب . ومكبول : مقيد .

(٣) الغزال الأغنى : الذي في صوته غنة ، وهي صوت محبوب . غضيض الطرف : أي في طرفها تكسر وفنور .
(٤) تجلّو : تكشف . والمراد بالعوارض هنا : الأسنان . ذى ظلم : أي ثغرى ظلم . والظلم : ماء الأسنان وبريقها . ومنهل معلول : أي مسق بالخمر مرة بعد أخرى .

(٥) شجّت : أي مزجت بالماء لتذهب سورتها . وبذى شيم أي بماء ذى شيم . والشيم : البرد . والمحنية : منعطف الوادى لأن ماءها يكون أصفى وأرق . والأبطح : مسيل فيه دقاق الحصى . والمشمول : الذي ضربته ريح الشمال حتى برد . أي كأن في ثغرها راحا مزجت بماء بارد نقي صاف .
(٦) القذى : ما يسقط في الماء . وأفرطه : أي ملأه . والصوب : المطر . والغادية : الغامة تأتي صباحا . واليعاليل : الجبال ، أي وملأ هذا الأبطح سيل آت من جبال بيض .

(٧) ويل أمها : تضاف كلمة ويل إلى أم وتركبان كأنهما كلمة واحدة وتستعمل في التعجب ، وفي رواية ابن هشام : فيألها ... والخلة هنا : الصديقة . أي ما أعجبها صديقة لو وفّت بما وعدت : وسمعت نصيحة النصاح لها في أمرى .

- لكنها خلةٌ قد سيطَ من ديمها
فما تقومُ على حالٍ تكون بها
ولا تمسكُ بالعهدِ الذي زعمتُ
كانت مواعيدُ عرقوب لها مثلاً
أرجو وأملُ أن تدنو مودتها
فلا يغرنك ما منت وما وعدتُ
أمت سعادُ بأرضٍ لا يبلغها
فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديلٌ^(١)
كما تلونُ في أثوابها الغول^(٢)
إلا كما يميسكُ الماءُ الغرايل
وما مواعيدُها إلا الأباطيل^(٣)
وما إخالُ لدينا منك تنويل^(٤)
إن الأمانى والأحلامَ تضليل
إلا العتاقُ النجياتُ المراسيل^(٥)

*
* *

- وقال كل خليلٍ كنت آمله
فقلتُ : خلوا سبيلي لا أبا لكم
كل ابنٍ أنثى وإن طالت سلامته
نبئتُ أن رسولَ الله أوعدني
فقد أتيتُ رسولَ الله معتذراً
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلةً أ
لا تأخذني بأقوال الوشاة ، ولم
لا الهينك إني عنك مشغول
فكل ما قدر الرحمنُ مفعول
يوماً على آلةٍ حذاء محمول
والعفو عند رسولِ الله مأمول^(٦)
والعذرُ عند رسولِ الله مقبول
قرآنٍ فيها مواعظٌ وتفصيل^(٧)
أذنب ، ولو كثرت في الأقاويل

(١) سيط : من ساط الماء ونحوه يسوطه : خلطه بغيره . والفجع : الإصابة بالمكروه . والولع : الكذب .
(٢) الغول : من خرافات العرب يزعمون أنها تترامى لهم في القلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق .
(٣) عرقوب : يضرب به المثل في خلف الوعد ، قيل أنه وعد أخاه ثمر نخلة ، وقال : انتنى إذا أطلع النخل ، فلما أطلع قال : إذا أبلح . فلما أبلح قال : إذا أزهى . فلما أزهى قال : إذا اربط . فلما اربط قال : إذا صار تمرًا . فلما صار تمرًا جده من الليل ولم يعطه شيئاً .

(٤) مفعول إخال الأول ضمير شأن مقدر . والمفعول الثاني جملة لدينا الخ .
(٥) لا يبلغها : أى لا يبلغها أياها إلا العتاق الخ . والعتاق : الأبل أو الخيل الكريمة . والنجيات : السريعات . والمراسيل : جمع مراسل ، وهو السريع .
(٦) أوعد : هدد .
(٧) نافلة القرآن : عطية القرآن . والتفصيل : التبيين .

- لقد أقوم مقامًا لو يقوم به يرى ويسمع ما قد أسمع الفيل (١)
 لظل ترعد من وجده بواده إن لم يكن من رسول الله تنويل (٢)
 ما زلت أقطع البداة مدرعًا جرح الظلام، وثوب الليل مسبول (٣)
 حتى وضعت يميني ما أنازعها في كف ذي تقايا قوله القيل (٤)
 فلهو أخوف عندي إذ أكلته وقيل : إنك منسوب ومسئول (٥)
 من ضيغم بضراء الأرض مخدرة في بطن عثر غيل دونه غيل (٦)
 يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما لحم من الناس معفور خراذيل (٧)
 إذا يساور قرنًا لا يحل له أن يترك القرن إلا وهو مغلول (٨)
 منه تظل حمير الجوا نافرة ولا تمشي بواديه الأراجيل (٩)

(١) أي لقد شهدت برؤية الرسول مشهدا عظيم الهيبة لو شهدته الفيل أو سمع الفيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد .

(٢) ظل ترعد ، جواب لو في البيت السابق . والبواد : جمع بادرة ، وهي هنا بين المنكب والعنق .

(٣) ادرع الظلام أي لبسه كأنه درع .

(٤) ما أنازعها : أي لا أجذبها . والقيل : أي القول الحق .

(٥) أخوف : أي أعظم مسبب للخوف . ومنسوب : أي مسئول عن نفسك . أي إن مقامى بين يدي رسول الله بعد أن قيل لي أنك تسأل عما نسب إليك من القبيح لأشد إخافة لي من ضيغم الخ

(٦) من ضيغم : متعلق بأخوف في البيت السابق . وضراء الأرض أي الأرض المستوية التي تأويها السباع وبها نبذ من الشجر . والمخدرة : مكان إقامة الأسد . وبطن عثر مأبدة . أي مخدرة غيل من بطن عثر دونه غيل . والغيل : الأجمة — بصفه بالمنة والتوحش .

(٧) بلحم : أي يطعم اللحم . معفور : أي مطلق في التراب . والخراذيل : القطع ، والمعنى يصبح الأسد فيطلب صيدا لولدين أكلهما من لحوم الناس المعفورة المقطعة .

(٨) يساور : يواكب . والقرن : المائل . ولا يحل : لا يسوغ . والمغلول : المقيد . ويراد به هنا لاستطاع المشم . وفي رواية محدود . وفي أخرى : مغلول .

(٩) الجحز : البر الواسع . والأراجيل : جمع الأرجال ، والأرجال جمع رجل ، اسم جمع لأرجل أي غير ركب .

- ولا يزال يُوَادِيهِ أَخُو ثِقَةٍ
إِنَّ الرُّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
مُضْرَجُ الْبَزِّ وَالذُّرْسَانُ مَأْكُولٌ^(١)
مُهَنَّدٌ مِنْ سَيْوِفِ اللَّهِ مَسْلُوكٌ
فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَرِيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
زَالُوا؛ فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلَا كُشْفٌ
عِنْدَ الْإِقَاءِ وَلَا مَيْلٌ مُعَاذِلٌ^(٢)
عِنْدَ الْإِقَاءِ وَلَا مَيْلٌ مُعَاذِلٌ^(٣)
ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلَ^(٤)
مِنْ نَسِجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَا سَرَابِيلٍ^(٥)
كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولٌ^(٦)
قَوْمًا، وَلَيْسُوا تَجَازِيْعًا إِذَا نِيلُوا^(٧)
وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلٌ^(٨)

- (١) البز : الثياب . والدرسان : أخلاق الثياب ، جمع دريس ؛ أى أن بوادى هذا الأسد تجد شجاعا كان يثق بنفسه فافترسه وأصبحت ثيابه خلقتا ممزقة .
(٢) زولوا : أى انتقلوا من مكة إلى المدينة .
(٣) النكس : الضعيف . والكشف : جمع أكشف وهو من لا ترس له . والميل : جمع أميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب . والمعازيل : جمع معزال وهو من لا سلاح له .
(٤) الزهر : البيض . وعرد : قر وأعرض . والتنايل : القصار .
(٥) شم العرائن : شم الأنوف ، أى أعزة . واللبوس : اللباس . والسرايل : الدروع ، أى لباسهم دروع من نسج داود .
(٦) بيض : صفة للسرايل . والسوايق الطوال . والقفعاء : نبات ينبت على الأرض تشبه به حلق الدروع .
(٧) المفاريح : جمع مفراح . والمجازيع : جمع مجراع .
(٨) التهليل : الجبن والفرار .

(٢) قالت قَتِيلَةُ بِنْتُ النَّضْرِ بنِ الْحَارِثِ تَبْكِي أَخَاهَا :

يا راجِئًا إِنِّ الْأَيْلَ مَظْنَةٌ	من صُبْحِ خَامِسَةٍ ، وَأَنْتَ مَوْفُقُ (٢)
أَبْلَغُ بِهَا مَيِّا بَارٌّ تَحِيَّةٌ	مَا إِنْ تَزَالُ بِهَا النِّجَابُ تَخْفِقُ (٣)
مِنِّي إِلَيْكَ ، وَعَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ	جَادَتْ بِوَإِكْفِهَا ، وَأُخْرَى تَخْفِقُ (٤)
هَلْ يَسْمَعُنِي النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ	أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّا لَا يَنْطِقُ (٥)
أَحْمَدُ يَا خَيْرَ ضَنْءٍ كَرِيمَةٍ	فِي قَوْمِهَا ، وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ (٦)
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ ؟ وَرُبَّمَا	مَنْ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيْظُ الْمُحْتَقُ (٧)
أَوْ كُنْتُ قَائِلَ فِدْيَةٍ فَلْيُتَفَقَّنْ	بِأَعَزِّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفَقُ (٨)

(١) قَتِيلَةُ بِنْتُ النَّضْرِ وَقِيلَ أَخْتُهُ نَشَأَتْ فِي قَوْمِهَا بَنَى عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ مِنْ قُرَيْشٍ . وَكَانَ أَخُوهَا أَوْ أَبُوهَا النَّضْرُ مَعَ قُرَيْشٍ عَلَى الرَّسُولِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ فَأَمَرَ الرَّسُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَتْلِهِ . وَتَرَى أَنْ شَعْرَهَا عَلَى قَتْلِهِ أَكْرَمَ شَعْرَ مُوتُورٍ وَأَعْفَى وَأَكْفَى وَأَحْلَى .

(٢) الْأَيْلُ : مَوْضِعٌ فِيهِ قَبْرُ النَّضْرِ ، تَقُولُ إِنْ الْأَيْلَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَهُ فِي صَبْحِ اللَّيْلِ الْخَامِسَةِ ، إِذَا وَفَقْتَ وَلَمْ يَعْثُكَ عَائِقُ .

(٣) النِّجَابُ : جَمْعُ نَجِيَّةٍ . وَهِيَ جِيَادُ الْإِبِلِ . وَخَفَقَانُ النِّجَابِ : شِدَّةُ اهْتِزَازِهَا ، وَإِنْ زَائِدَةٌ .

(٤) مَنَى مُتَعَلِّقٌ بِالْبَلْغِ ، وَالْمَسْفُوحَةُ : الْمَصْبُوبَةُ ، أَيْ بَلْغُهُ مِنْ رِسَالَةٍ ، وَإِذْكَرْلَهُ عِبْرَةٌ عَلَى فَقْدِهِ سَأَلَتْ ، وَعِبْرَةٌ أُخْرَى جُمِدَتْ ، وَأَخَذَ حَزْنُهَا بِالْحَلْقِ نَحْنَقَهُ .

(٥) أَمْ هُنَا لِلْإِضْرَابِ : أَيْ بَلْ كَيْفَ يَسْمَعُ الْخ .

(٦) الضَّنُّ : الْأَصْلُ ، وَالْوَلَدُ . وَالْكَرِيمَةُ : النَّجِيَّةُ . وَالْمُعْرِقُ : مَنْ لَهُ أَصُولٌ رَاسِحَةٌ فِي الْكُرْمِ الْمَعْنَى أَنَّ أَمْلَكَ شَرِيفَةً وَأَبَاكَ عَرِيقًا فِي الْحَجْدِ .

(٧) الْمَعْنَى إِذَا كُنْتُ كَذَلِكَ فَمَا كَانَ ضَرُّكَ لَوْ مَنَنْتَ عَلَى أَخِي وَأَطْلَقْتَهُ فَقَدْ يَغْفُو الْكَرِيمُ ، وَهُوَ مُنْظَرٌ عَلَى الْغَيْظِ وَالْحَقِّ .

(٨) أَيْ وَمَا ضَرُّكَ لَوْ قَبِلْتَ فِدْيَةً ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ أَنْفَقْنَا لِفِدْيَتِهِ أَعَزَّ وَأَعْلَى مَا نَمْلِكُ .

فالنضر أقرب من أسرت قرابة (١)
 وأحقهم إن كان عتق عتق (١)
 ظلت سيوف بني أبيه تنوشه (٢)
 لله أرحام هناك تشقق! (٢)
 صبرا يقاد إلى المنية متعبا (٣)
 رسف المقيد ، وهو عان موثق (٣)

(٣) قال أمية بن أبي الصلت يعتب على ابن له : (٤)
 غَدَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعُلتُكَ يَافِعًا (٥)
 تُعَلُّ بِمَا أُدْنِي إِلَيْكَ وَتُهَنِّلُ (٥)
 إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشَّكْوِ لَمْ أَتِ (٦)
 لِشَكْوَاكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلُّ (٦)
 كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دَوْنَكَ بِالَّذِي (٧)
 طَرِقتَ بِهِ دُونِي ، وَعَيْنِي تَهْمِلُ (٧)
 تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ ، وَإِنَّمَا (٨)
 لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ حَتْمٌ مُؤَجَّلُ (٨)
 فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي (٩)
 إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتُ فِيكَ أُؤَمِّلُ (٩)

(١) كان تامة : أى وأحقهم بأن يعتق إن حصل منك عتق وفكاك .

(٢) تنوشه : تتناوله ، ولله أرحام : تعجب أى لم يقتله أحد غير بني أبيه فعجبا من أرحام يقطعها أصحابها .

(٣) صبرا أى حبسا حتى يقتل ، والمعنى أنه يقاد يموت بعد الحبس وهو متعب يرصف رصف المقيد ، أى وهو أسير موثق .

(٤) هو عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي نشأ بالطائف جاهليا يلتمس المعارف الدينية متعبدا راجيا أن يكون نبي العرب ؛ حتى إذا كانت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم نفسها عليه ، وناضله مع أعدائه حتى مات بالطائف سنة ٥٩ هـ . ويمتاز شعره بالسهولة ، والدخيل من الألفاظ ، وتناول الأساطير ، والأموه الدينية مع المدح والحكمة وكان أكثر مدحه في عبد الله بن جدعان القرشي .

(٥) غذاه : قام بمؤنته ، وعاله : كفله وقام به ، واليافع : من قارب العشرين ، تعل : من العلل ، وهو الشرب الثاني . والنهل : الشرب الأول ، يريد أنه يسبغ عليه من نعمه مرة بعد مرة .

(٦) أتأمل : أتقلب على الملة وهى الجمر .

(٧) تهمل : أى يسيل منها الدمع .

(٨) للردي : الهلاك ، حتم أى لا مفر منه . مؤجل أى له وقت .

جعلت جزائي منك جبهةً وغلظة
كانك أنت المنعم المتفضل (١)
فليتك إذ لم ترع حقَّ أبوتي
فعلت كما الجار المجاور يفعل (٢)
وسميتني باسم المفيد رأيه
وفي رأيك التفنيذ لو كنت تعقل (٣)
تراه مُعْداً للخلاف كأنه
يردُّ على أهل الصواب مُوَكَّل (٤)

(٤) وقال كعب بن مالك : (٥)

عَجِبُ لَأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ قَادِرُ
عَلَى مَا أَرَادَ ، لَيْسَ لِلَّهِ قَاهِرُ
قَضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نُلَاقِيَ مَعْشَرًا
بَنَوْنَا ، وَسَبِيلُ الْبَغْيِ بِالنَّاسِ جَائِرُ
وَقَدْ حَشَدُوا ، وَاسْتَنْفَرُوا مِنْ يَلِيهِمْ
مَنْ النَّاسِ ، حَتَّى جَمَعَهُمْ مُتَكَاثِرُ
وَسَارَتْ إِلَيْنَا لَا تُحَاوِلُ غَيْرَنَا
بِاجْمَعِهَا : كَعْبٌ جَمِيعًا ، وَعَامِرُ
وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ ، وَالْأَوْسُ حَوْلَهُ ،
وَجَمْعُ بَنِي النَّجَارِ تَحْتَ لَوَائِهِ
لَهُ مَعْقِلٌ مِنْهُمْ عَزِيزٌ وَنَاصِرُ
فَلَمَّا لَقِينَاهُمْ ، وَكُلُّ مَجَاهِدُ
يَمْشُونَ فِي الْمَاضِي ، وَالنَّقْعُ نَائِرُ (٦)
لَأَصْحَابِهِ مُسْتَبِيلُ النَّفْسِ صَابِرُ

(١) الجبهة : مقابلة الانسان بما يكره .

(٢) أى ليتك إذا أبيت أن تعاملني معاملة الأب عاملني كما يعامل الجار جاره .

(٣) فته : نسبة الى سوء العقل أى وصفتني بسوء الرأى والغبابة ، ولو عقلت لعلمت أن التفند حقيق .

بأن ينسب اليك لا إلى . (٤) معداً : أى محضراً ومهيئاً ، أى أنه يهيئ الخلاف ، ويقابل به كل رأى كأنه كلف أن يفند آراء أهل الصواب .

(٥) هو كعب بن مالك الخزرجي من شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه نشأ في المدينة وأسلم ودافع أعداء الرسول عنه ، وروى عنه كثيرا من الأحاديث ثم كان عثمانيا يدعو الأنصار لنصر عثمان ، وتلقبه على شعره النزعة الدينية في أسلوب واضح متين .

(٦) الماضى هنا : السلاح من الحديد المجلوه ، والنقع : غبار الحرب .

- شَهِدْنَا أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ بِالْحَقِّ ظَاهِرٌ
 وَقَدْ عَمِرَتْ بَيْضٌ خِفَافٌ كَأَنَّهَا مَقَابِيسُ يُزْهِيَا لَعِينِكَ شَاهِرٌ^(١)
 بَيْنَ أَبَدْنَا جَمْعَهُمْ فَبَدَّدُوا وَكَانَ يُلَاقِي الْحَيْنَ مَنْ هُوَ فَاجِرٌ^(٢)
 فَكَبَّ أَبُو جَهْلٍ صَرِيحًا لَوَجْهِهِ وَعُتْبَةُ قَدْ غَادَرَتْهُ وَهُوَ عَائِرٌ^(٣)
 وَشَيْبَةُ وَالتَّيْمِيُّ غَادَرْنَ فِي الْوَعَى وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا بَذَى الْعَرْشِ كَافِرٌ
 فَأَمَسُوا وَقُودَ النَّارِ فِي مُسْتَقَرِّهَا وَكُلُّ كَفُورٍ فِي جَهَنَّمَ صَائِرٌ
 وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ قَالَ : أَقْبَلُوا فَوَلُّوا ، وَقَالُوا : إِنَّمَا أَنْتَ سَاحِرٌ
 لِأَمْرِ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَهْلِكَوا بِهِ وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَّهَ اللَّهُ زَاجِرٌ

(١) البيض الخفاف : السيوف ، والمقابيس : جمع مقباس ، وهو شعلة النار ، ويزهيا : يشعلها ، وشاهر السيف : رافعه .

(٢) الحين : الموت والهلاك .

(٣) كب : صرع والنون في غادرته للسيوف ، والعاثر يراد به المصروع .

(٤) حمه الله : قضاه ، زاجر راد .

(٥) قال مالكُ بنُ الرِّيبِ التَّمِيمِيُّ:

أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَّ لَيْلَةً يَحْتَبِ الغَضَى أَرْجَى القِلَاصِ التَّوَاجِيَا
 قَلَيْتَ الغَضَى لَمْ يَقْطَعْ الرِّكْبُ عَرْضَهُ وَلَيْتَ الغَضَى مَا شَى الرِّكَابَ لِيَالِيَا
 لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الغَضَى لَوْ دَنَا الغَضَى مَرَارٌ وَلَكِنَّ الغَضَى لَيْسَ دَانِيَا
 أَلَمْ تَرِنِي بِعُتِّ الضَّلَالَةِ بِالْهَدَى وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ أَبِي عَفَّانَ غَازِيَا (٢)
 دَعَانِي الْهَوَى مِنْ أَهْلِ أَوْدٍ وَصَحْبِي بِإِذَى الطَّبَسَيْنِ فَالْتَفْتُ وَرَائِيَا (٣)
 أَجَبْتُ الْهَوَى لَمَّا دَعَانِي بِزَفَرَةٍ تَقَنَعْتُ مِنْهَا أَنْ أَلَامَ رِدَائِيَا (٤)
 لَعَمْرِي لَنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي لَقَدْ كُنْتُ عَنْ أَبِي خُرَاسَانَ نَائِيَا (٥)
 فَتَنَّهُ دَرَى يَوْمَ أَنْرُكُ طَائِعَا يَنْبَى بِأَعْلَى الرَّقَّتَيْنِ وَمَالِيَا (٦)

(١) مالك بن الريب المازني التميمي شاعر فاتك لص نشأ في بادية بني تميم عند البصرة يقول الشعر الرفيق الجيد وينال الناس بالشرف يطلبه الولاة فيفرحون اتخذه معه سعيد بن عثمان بن عفان والى خراسان من قبل معاوية وعند قفولها من خراسان مرض مالك هذا فقال يذكر مرضه وغريته بهذه القصيدة . وشعر مالك كما ترى جيد متين حسن التعبير .

(٢) في جيش ابن عفان : هو سعيد بن عثمان بن عفان كان خرج معه لما ولي خراسان فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه فلدغته حية في داخله .

(٣) أود : موضع بالبادية من بلاد العرب . الطبسان : كورتان بخراسان ، أى دعاني الهوى وأنا في المكان ذي الطبسين .

(٤) أن ألام : أى مخافة أن ألام . وردائيا : مفعول تقنعت .

(٥) الهامة : الرأس .

(٦) لله درى : تركيب يقال في المدح والذم ، أى ما أنا فيه من الخير إنما هو من الله في أصل المعنى ، وأراد بهذا التركيب هنا التعجب من نفسه والتقريع لها . والرقتان : قرينان قرب البصرة .

ودرُ الظباءِ السانحاتِ عَشِيَّةً (١)
 ودُرُ كَبِيرَى اللّٰذِينَ كِلَاهُمَا
 ودُرُ الهوى من حيثُ يدعو صحابه
 تذكُرُ من يَبْكِي على فلم أجِدْ
 وأشقرَ خنْذِيذٍ يُحَرِّعُ عَنانَه
 يُخَبِّرُنِ أَنِي هَالِكٌ مِنْ وَرَائِيَا (٢)
 عَلَى شَفِيقٍ ناصحٍ لو نَهَانِيَا (٣)
 ودُرُ لِحَاجَاتِي ودُرُ انْتِهَائِيَا (٤)
 سِوَى السيفِ والرمحِ الرَّدِينِيَّ بَاكِيَا (٥)
 الى المَاءِ لم يَتْرِكْ لَهُ الدَّهْرُ سَاقِيَا (٥)

* * *

ولكنْ بِأَطْرَافِ السَّمِينَةِ نِسْوَةً
 صَرِيعٌ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ بَقْفَرَةٌ
 وَلَمَّا تَرَأَتْ عِنْدَ مَرَوْ مَنِيَّتِي
 أَقُولُ لِأَصْحَابِي : أَرْفَعُونِي لِأَتْنِي
 عَزِيزٌ عَلَيْهِنَّ الْعَشِيَّةَ مَا بِيَا (٦)
 يَسُوونَ قَبْرِي حَيْثُ حُمَّ قَضَائِيَا
 وَخَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَفَاتِيَا (٧)
 يَقْرَءُ لِعَيْنِي أَنْ سُهَيْلٌ بَدَا لِيَا (٨)
 بِرَابِيَةِ ؛ إِنِّي مُقِيمٌ لِيَالِيَا

(١) إما أنه يقصد بالظباء النساء من أهله ، وأنهن كن يتشاءمن من سفرته : وإما أنه يقصد الظباء الحقيقية وأنها وإن سنحت وجاءت من المياسر الى الميامن وهو ما كانت تقيم به العرب كانت خداعة في هذا وأنها في الحقيقة كانت نذير الشؤم والهلاك .

(٢) لو نهانيا : لو للتمنى . والضمير يعود للشفيق .

(٣) ودُرُ لِحَاجَاتِي يتكلم بأن مطامعه دفعته الى الهلاك وأن الموت كان انتهاء مطامعه .

(٤) الرديني منسوب الى ردينة ، وهي امرأة كانت تقوم الرماح ، أى لا أجِدُ من يبكي على في

الغربة إلا سيفي ورمحي .

(٥) وأشقر : أى وفرس أشقر . خنذيد : أى طويل صلب .

(٦) السمينة : موضع .

(٧) خل بها جسمي : اختل .

(٨) سهيل : نجم يكون في سمت بلاد اليمن .

أَقِيماً عَلَى الْيَوْمِ أَوْ بَعْضِ لَيْلَةٍ وَلَا تَعْجَلَانِي ؛ قَدْ تَبَيَّنَ مَا بِيَا
وَقُومَا إِذَا مَا اسْتُلِّ رُوحِي وَهَيْثَا لِي السَّدْرُ وَالْأَكْفَانُ ثُمَّ ابْكَا لِيَا^(١)
وُخْطَا بِأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ مَضْجَعِي وَرُدَا عَلَى عَيْنَيَّ فَضْلَ رَدَائِيَا
وَلَا تَحْسُدَانِي — بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا — مِنْ الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرَضِ أَنْ تُوسِعَا لِيَا
خُذَانِي بِخُزَانِي بِهَرْدَى إِلَيْكُمَا فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ صَعْبًا قِيَادِيَا
وَقَدْ كُنْتُ عَطَّافًا إِذَا الْخَيْلُ أُدْبِرَتْ سَرِيعًا إِلَى الْهَيْجَا إِلَى مَنْ دَعَانِيَا
وَقَدْ كُنْتُ مَحْمُودًا لَدَى الرَّادِ وَالْقِرَى وَعَنْ شَتَى ابْنِ الْعَمِّ وَالْجَارِ وَانِيَا
وَقَدْ كُنْتُ صَبَارًا عَلَى الْقِرْنِ فِي الْوَغَى ثَقِيلًا عَلَى الْأَعْدَاءِ عَضْبًا لِسَانِيَا^(٢)
وَطُورًا تَرَانِي فِي ظِلَالٍ وَمَجْمَعٍ وَطُورًا تَرَانِي وَالْعِتَاقُ رَكَايَا^(٣)
وَطُورًا تَرَانِي فِي رَحَى مُسْتَدِيرَةٍ تُحَرِّقُ أَطْرَافَ الرِّمَاحِ ثِيَابِيَا^(٤)
وَقُومَا عَلَى بِئْرِ الشُّبَيْكِ فَاسْمِعَا بِهَا الْوَحْشَ وَالْبَيْضَ الْحَسَانَ الرِّوَانِيَا^(٥)
بَأَنكُمَا خَلَفْتُمَانِي بِقَفْرِةٍ تَهِيلُ عَلَى الرِّيحِ فِيهَا السَّوَاقِيَا^(٦)
وَلَا تَنْسِيَا عَهْدِي خَلِيلِي إِنِّي تَقَطَّعُ أَوْصَالِي وَتَبْلَى عِظَامِيَا^(٧)

(١) الصدر : شجر النبق . والمراد هنا ورقه لأنه يغسل به الميت .

(٢) القرن : المثيل في الحرب . والعضب : السيف القاطع .

(٣) يصف نفسه في السلم بأنه كان متمتعاً بلذات العيش في ظلال نعيم ، وأنه كان صاحب رأى إذا لفت

المجامع ، ويصف نفسه في الحرب بأن مكانه متون الخيل . والعناق : جمع عنيق ، وهو الفرس الكريم .

(٤) أى في الحرب التي تدور رحاها .

(٥) الشبيك : موضع . والرواني : النواظر .

(٦) السواقي : جمع ساقية ، وهى الريح تحمل القبار .

(٧) الأوصال : المفاصل .

- قلن يعدم الوالون بيتا يجنني ولن يعدم الميراث مني المواليا (١)
 يقولون : لا تبعدا ! وهم يدفنوني وأين مكان البعد إلا مكاني (٢)
 غداة غد يالهف نفسي على غد إذا أدلجوا عني وخلقت ثاويا (٣)
 وأصبح مالي من طريف وتالد لغيري وكان المال بالأمس ماليا (٤)
 فياليت شعري هل تغيرت الرحي رحي المثل أو أضحت بفالج كما هيا (٥)
 إذا القوم حلوها جميعا وأنزلوا بها بقرا حم العيون سواجيا (٦)
 وعين وقد كان الظلام يجنني يسفن الخزامى نورها والأقاحيا (٧)
 وهل ترك العيس المراقيل بالضحا تعاليها، تعلو المتون الفياقيا (٨)
 إذا عصب الركان بين عنيزة وبولان عاجوا المبقيات المهاديا (٩)
 وباليات شعري هل بكت أم مالك كما كنت لو عالوا نعيك با كيا (١٠)

- (١) بيتا يجنني : قبرا يواريني . والموالي : الأقارب .
 (٢) بعد يبعد من باب فرح هلك ، وكان من عادة العرب عند دفن الميت أن يقولوا لا تبعد .
 (٣) غداة الظرف متعلق بيقولون ، أدلجوا : ساروا ليلا . وثاوي : مقيم .
 (٤) الطريف : المال المكتسب . والتالد : المال الموروث .
 (٥) رحي المثل بضم الميم . والمثل : موضع . وفالج : موضع .
 (٦) حلوها : أي نزلوا بها . حم : جمع حماء وهي السوداء . والسواجي : جمع ساجية وهي العين الساكنة ، وهي صفة حسن والظاهر أنه يقصد بالبقرة هنا النساء الحسنات وما في البيت بعده ترشيح .
 (٧) يجنني : يخفيها ، وساف يسوف : شم . والخزامى : نبت طيب الرائحة . والأقاحي : جمع أقحوان هو نبت زهره أبيض مفالج .
 (٨) العيس : الإبل . والمراقيل : جمع مرقال وهي السريعة . والتعالى : الارتفاع في السير . والمتون : الجهات المرتفعة . والفياقيا : جمع فيفاعة وهي الأرض الغليظة .
 (٩) عنيزة : مكان في وادي بطن فالج . المبقيات : التي يبقى جريها بعد انقطاع جري غيرها وكلاهما .
 (١٠) عالوا : رفعوا أي بالغوا . أي كما كنت با كيا عليك يا أم مالك لو بلغوني نعيك .

إذا مِت فاعتادى القبور فسلى على الرِّيم أُسْقِيت الغمام الغواديا (١)
 ترى جدًّا قد جرت الريح فوقه غباراً كلون القسطلاني هابيا (٢)
 رهينة أحجار وترب تضممت قوارتها منى العظام البواليا

* * *

أقلب طرفي فوق رحلى فلا أرى به من عيون المؤنسات مُراعيا
 وبالرمل منّا نسوة لو شهدتنى بكين وفدين الطبيب مداويا
 فمنهن أمي وابنتاها وخالتي وباكية أخرى تهيج البواكيا (٣)
 وما كان عهد الرمل منى وأهله ذميماً ، ولا بالرمل ودعت قاليا

(٦) وقال أعشى باهلة (٤) :

إني ألتني لسان ما أسرُّ بها من علولا عجب فيها ولا سخر (٥)
 جاءت مَرَجَّة قد كنت أحذرُها لو كان ينفعني الإشفاق والحذر (٦)

(١) الرِّيم : القبر . الغوادى : جمع غادية . السحابة الباكزة المطر .

(٢) القسطلاني : نسبة إلى القسطلان وهو غبار الحرب . هاب من هب الغبار إذا سطع أو اختلط بالتراب .

(٣) يريد زوجته .

(٤) هو عامر بن الحارث بن عوف بن معن شاعر مشهور كان له أخ من أمه يدعى المشتربن وهب

قتله بنو الحارث بن كعب في رجل منهم فرماه الأعشى بهذه الرائية .

(٥) لسان : أى رسالة . وعلو الشئ : أعلاه . ويريد هنا من بعد وهو هنا مبنى على الضم لأنه

ظرف مبهم قطع عن الإضافة . والسخر : الاستهزاء ، أى أن الخبر الذى وصل اليه من مكان بعيد خبر

لا عجب فيه ، لأنه كان ينتظر ، ولا استهزاء بصحة .

(٦) مرجة : الحديث المرحم : ما لا يوقف على حقيقته . والإشفاق : الخوف .

- تَأْتِي عَلَى النَّاسِ لَا تَلْوِي عَلَى أَحَدٍ حَتَّى أَتْنَا ، وَكَانَتْ دُونَنَا مُضَرُّ (١)
- إِذَا يُقَادُّ لَهَا ذِكْرُ أَكْذِبُهُ حَتَّى أَتْنَى بِهَا الْأَنْبَاءُ وَالْخَبَرُ (٢)
- فَبِتُّ مَكْتَبًا حَيْرَانَ أَنْدَبُهُ وَلَسْتُ أَدْفَعُ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ
- بِفَاشَتِ النَّفْسِ لَمَّا جَاءَ جَمْعُهُمْ وَرَاكِبٌ جَاءَ مِنْ تَثْلِيثٍ مُعْتَمِرُ (٣)
- إِنْ الذِّى جِئْتَ مِنْ تَثْلِيثٍ تَنْدَبُهُ مِنْهُ السَّهَّاحُ وَمِنْهُ الْجُودُ وَالْغَيْرُ (٤)
- تَتَعَى امْرَأً لَا تُغَبُّ الْحَى جَفْنَتُهُ إِذَا الْكُوكَبُ خَوَى نَوَّهَهَا الْمَطَرُ (٥)
- وَرَا حَتِ الشَّوْلُ مَغْبَرًا مَنَاكِبُهَا شُعْنًا تَغَيَّرَ مِنْهَا النَّى وَالْوَبَرُ (٦)
- وَأَجْحَرَ الْكَلْبَ مَبِيضُ الصَّقِيعِ بِهِ وَضَمَّتِ الْحَى مِنْ صُرَادِهِ الْجَحْرُ (٧)
- عَلَيْهِ أَوَّلُ زَادِ الْقَوْمِ قَدْ عَلِمُوا ثُمَّ الْمَطَى إِذَا مَا أَرْمَلُوا جُزْرُ (٨)

(١) لا تلوى على أحد : أى لا تتوقف ولا تنتظر . أى أن هذه الرسالة كانت تمر على الناس سريعاً حتى وصلت إلى وكان بيني وبينها قبائل مضر .

(٢) الأنباء : الأخبار . يريد كنت أ كذبها حتى تواترت الأنباء والأخبار .

(٣) جاشت : غلت واضطربت من الحزن . وتثليث : موضع . ومعتمر : معتم .

(٤) الغير : جمع غيرة ، وهى النخوة .

(٥) نعى الميت ينعا : أخبر بموته . أغبتهم : جاءتهم يوماً وتركهم يوماً . والجفنة : القصعة . وخوى الكوكب : لم يطر . والنوء : مظهر خاص فى الكواكب ينذر بالمطر . والمعنى أنه كان كريماً يرسل الجفان إلى الحى حتى فى أوقات الشدائد والجذب حينئذ يخلف المطر ما كانت تنذره علامات سقوطه .

(٦) الشول : جمع شائلة . وهى الناقة جف لبنها . والشعث : جمع شعناء وهى المغبرة الرأس المتلبدة الوبر . والنى : الشحم والسمن .

(٧) أجحرك الكلب : ألزمه جحره . والصقيع : ما يسقط بالليل كأنه ثلج . والصراد : السحاب شديد البرد ولا مطرفيه .

(٨) أرملا : قل زادهم ، والنصفت أيديهم بالرمل . والجزر : جمع جزور ، وهى الناقة التى تنحر . خبر الملقى .

- لا تَأْمَنُ الْبَازِلُ الْكُومَاءُ ضَرَبَتْهُ (١)
 قَدْ تَكْظِمُ الْبَزْلُ مِنْهُ حِينَ يَفْجُوها (٢)
 أَخْوَرُ غَائِبٍ يُعْطِيها وَيُسْأَلُها (٣)
 مَنْ لَيْسَ فِي خَيْرِهِ مَنْ يُكْذِرُهُ (٤)
 يَمْشِي بِيَدَاءٍ لَا يَمْشِي بِهَا أَحَدٌ (٥)
 كَأَنَّهُ بَعْدَ صَدَقِ الْقَوْمِ أَنْفَسَهُمْ (٦)
 وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا اسْتَنْظَرْتَهُ عَجَلٌ (٧)
 إِمَّا يُصِيبُهُ عَدُوٌّ فِي مُنَاوَاةٍ (٨)
 أَخْوَرُ حُرُوبٍ وَمَكْسَابٍ إِذَا عِيدُوا (٩)
 بِالْمَشْرِفِ إِذَا مَا أَخْرَوْتَ السَّفَرُ (١٠)
 حَتَّى تَقْطَعَ فِي أَعْنَاقِها الْحَرَرُ (١١)
 يَخْشَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النُّوْفَلُ الزُّفَرُ (١٢)
 عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا فِي صَفْوِهِ كَدْرٌ (١٣)
 وَلَا يُحْسِنُ خَلَا الْخَافِي بِهَا أَثَرُ (١٤)
 بِالْبَاسِ يَلْمَعُ مِنْ أَقْدَامِهِ الشَّرَرُ (١٥)
 وَلَيْسَ فِيهِ إِذَا يَأْسَرْتَهُ عَسَرُ (١٦)
 يَوْمًا فَقَدْ كَانَتْ يَسْتَعْلِي وَيَنْتَصِرُ (١٧)
 وَفِي الْخُفَافَةِ مِنْهُ الْجِدُّ وَالْحَذَرُ (١٨)

- (١) الْبَازِلُ : ما برز نابه من جمل أو ناقة ، وتكون سته إذا نحو تسع سنين . الْكُومَاءُ : الناقة الضخمة السنام . وَأَخْرَوْتَ السَّفَرُ : أي طالت مدته ، وبعدت طريقته .
- (٢) تَكْظِمُ : أي تحبس غيظها على مضض . وَيَفْجُوها : يجيئها بغاء وبغته . وَالْجَرَرُ : جمع جرة . وهي الكرش التي يضع فيها البعير طعامه ليأكله ثانية . يعني أنه لكثرة عادته بمقر الإبل إذا رآته كظمت وحبست جرها خوفا وهيبة حتى تكاد تقطع أعناقها .
- (٣) الرغائب : العطايا ، يعطيها ويسألها : أي مرة يعطى بلا سؤال ومرة بعد سؤال . وَالظُّلَامَةُ : ما يتظلم منه . والنوفل : الكثير العطاء . والزفر : السيد .
- (٤) اليداء : الفلاة . والخافي : الجنى ، يصفه بالجرأة وقوة القلب والعزيمة .
- (٥) صدق القوم أنفسهم : أي إجهادهم أنفسهم . والبأس : القوة ، يعني إذا جأراه وسابقه قوم فانك تراهم بعد أن أجهدوا أنفسهم ليلبغوا مدهاء قد خابوا ، وراه وقد لمع الشر من أقدامه لقوة عدوه .
- (٦) استنظرته : طلبت منه الانتظار . وبأسرته : لا ينته ولا طفته . والعسر : قلة السباحة وضيق الخلق .
- (٧) إِمَّا : هي إن الشرطية المدغمة في ما . والمناوأة : المعاداة .
- (٨) الجدد : الاجتهاد في الأمر .

- مَرْدَى حُرُوبٍ شَهَابٌ يَسْتَضَاءُ بِهِ كَمَا أَضَاءَ سَوَادَ الطُّخْيَةِ الْقَمَرُ (١)
- مُهْفَهْفٌ أَهْضَمُ الْكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ ، لَسِيرَ اللَّيْلِ مُحْتَقِرٌ (٢)
- ضَخْمٌ الدَّسِيعَةِ مِتْلَافٌ أَخُو ثِقَةٍ حَامِي الْحَقِيقَةِ مِنْهُ الْجُودُ وَالْفَخْرُ (٣)
- طَاوَى الْمَصِيرِ عَلَى الْعَزَاءِ مُنْجَرِدٌ بِالْقَوْمِ لَيْلَةٌ لَا مَاءٌ وَلَا شَجَرٌ (٤)
- لَا يَتَّارَى لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَعْضُ عَلَى شُرُوفِهِ الصَّفَرُ (٥)
- تَكْفِيهِ فَلَذَةُ لَحْمٍ إِنْ أَلَمَّ بِهَا مِنَ الشَّوَاءِ ، وَيُرْوَى شَرْبُهُ الْغَمَرُ (٦)
- لَا يَأْمَنُ النَّاسُ مُمْسَاهُ وَمُصْبَحُهُ فِي كُلِّ لَحْجٍ ، وَإِنْ لَمْ يَغْزِ يَنْتَظِرُ (٧)
- الْمَعِجَلُ الْقَوْمِ إِنْ تَغَلَّى مَرَا جِلْهُمُ قَبْلَ الصَّبَاحِ ، وَلَمَّا يُمْسَحِ الْبَصَرُ (٨)
- لَا يَغْمِزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا يَزَالُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَقْتَفِرُ (٩)

(١) المردى : الحجر الذي يرمى به أو الذي تكسره الصخور . والشهاب : شعلة من النار . والطخية : الظلمة .

(٢) المهفهف : الخفيف اللحم . أهضم الكشحين . أى ضامر الخصر . منخرق عنه القميص :

هذا كناية عن طول أسفاره .

(٣) الدسيع : العطية . والحقيقة : ما يحق على الرجل أن يمنعه ويدافع عنه كالشرف والعرض وغيرهما .

(٤) المصير : المعى ، وجمعه مصران . والعزاء : السنة الشديدة المجدة ، والمنجرد هنا : المسرع بالسير

يعنى أنه في السنة المجدة يطوى أحشاءه على الجوع ، ويسير بالقوم لمواطن القوت في ليلة لا ماء فيها ولا نبات .

(٥) يتأرى : ينجس وينتظر . والشرسوف : غضروف الضلع المشرفة على البطن . والصفر والصفار :

دوية تزعم العرب أنها في البطن تعض الضلوع عند الجوع .

(٦) الفلذة : القطعة الصغيرة . والشرب : أصله الشرب وسكنت الراء . وهو مصدر شرب بمعنى

عطش . والتمر : قذح صغير أو أصغر الأقداح .

(٧) أى أنه يخوف في كل الأوقات وأنه إذا لم يغز قوما انتظروا حملته في خوف .

(٨) أى أنه يدعو القوم إلى العجلة والإسراع إلى الغارة دون أن ينتظروا غليان قدورهم وذلك قبل

الفجر وقبل أن يمسح القوم أعينهم من آثار النوم .

(٩) الأين والنصب التعب . و يقتفر : يتبع ويحصى على أثره .

عِشْنَا بِهِ بُرْهَةً دَهْرًا فَوَدَّعْنَا كذلك الرُّمَحُ ذُو النَّصْلِينَ مِنْ كَبِيرِ
فَنِعَمَ مَا أَنْتَ عِنْدَ الْخَيْرِ يُسَالُّهُ ونعمَ ما أَنْتَ عِنْدَ الْبَاسِ تُخْتَضِرُ (١)
أَصَبْتَ فِي حَرَمٍ مِنَّا أَخًا ثِقَةً هِنْدَ بْنَ سَلَمَى ، فَلَا يَهْنَأُ لَكَ الظَّفَرُ !
فَإِنْ جَزَعْنَا فَإِنَّ الشَّرَّ أَجْزَعَنَا وَإِنْ صَبَرْنَا فَإِنَّا مَعَشَرُ صَبْرٍ (٢)

(٧) قَالَتِ الْخَنَسَاءُ (٣) تَرْتِي أَخَاهَا صَخْرًا :

مَا هَاجَ حُزْنُكَ ؟ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ أُمُّ ذَرَّقَتْ أَنْ خَلَتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّادُ (٤)
كَأَنَّ عَيْنِي لِدِكْرَاهُ إِذَا خَطَرْتُ قَيْضُ يَسِيلُ عَلَى الْخَدَيْنِ مِدْرَارُ (٥)
تَبْكِي لِصَخْرِهِ الْعَبْرَى وَقَدْ وَلِهْتُ وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ التُّرْبِ أَسْتَارُ (٦)
تَبْكِي خَنَاسُ فَمَا تَنْفَكُ مَا عَمَرْتُ لَهَا عَلَيْهِ رَنْيْنٌ ، وَهِيَ مِقْتَارُ (٧)

(١) البأس : الشدة ، وتختضر أى يطلب حضورك .

(٢) صبر : جمع صبور .

(٣) هى تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمى نشأت فى بيت مجد وسيادة فى الجاهلية تقول المقطوعات من الشعر فلما قتل أخوها صخر ومعاوية اشتد جزعها عليها حتى نبقت فى الرثاء . وتعد الخنساء على ترأس الشعراء العربيات لقوة شعرها مع جمال الأسلوب وسلاسته . وكانت وفاتها بالبادية فى خلافة معاوية سنة ٥٤٦ هـ .

(٤) ما : استفهامية . والعوار : رمد العين : وذرفت : فطرت قطرا متابعا . تقول : أى شئ هاج

حزرك أبك رمد ؟ أم سكبت الدموع لخلو الدار من أهلها ؟

(٥) كأن عيني أى دموع عيني . والفيض : المساء الكثير . والمدرار الغزير .

(٦) الضمير فى تبكى يعود على الخنساء . والعبرى : التى لا تحبف دموعها وعبراتها . والوله : شدة الجزع والأستار هنا : الأحجار والتراب يبال على الميت . وفولها من جديد التراب يدل على قرب موته ، وهذا يستلزم

شدة الجزع .

(٧) ما عمرت : أى مدة عمرها . والمقتار : التى أصابتها فترة أى ضعف .

- تبكى خُنَّاسٌ على صَخِيرٍ ، وَحَقَّ لَهَا (١) إِذْ رَأَى الدَّهْرُ ، إِنَّ الدَّهْرَ ضَرَّارٌ (١)
- لَا بُدَّ مِنْ مَيْتَةٍ فِي صَرْفِهَا غَيْرِ (٢) وَالدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ حَوْلٌ وَأَطْوَارٌ (٢)
- يَا صَخْرُ وِرَّادَ مَاءٍ قَدْ تَنَازَرَهُ (٣) أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وَرْدِهِ عَارٌ (٣)
- مَشَى السَّبْتَى إِلَى هَيْجَاءٍ مُضْلِعَةٍ (٤) لَهُ سَلَا حَانَ أَنْيَابٌ وَأَظْفَارٌ (٤)
- فَمَا عَجُولٌ عَلَى بَوِّ تُطِيفُ بِهِ (٥) لَهَا حَيْنَانِ إِصْغَارٍ وَإِكْبَارٍ (٥)
- تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا أَذْكَرَتْ (٦) فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ (٦)
- لَا تَسْمَنُ الدَّهْرَ فِي أَرْضٍ وَإِنْ رُبِعَتْ (٧) فَإِنَّمَا هِيَ تَحْنَانٌ وَتَسْجَارٌ (٧)
- يَوْمًا بِأَوْجَدَ مَنَى يَوْمَ فَارَقَنِي (٨) صَخْرٌ ، وَلِلدَّهْرِ إِحْلَاءٌ وَإِمْرَارٌ (٨)
- وَإِنَّ صَخْرًا لَكَافِينًا وَسَيِّدَنَا (٩) وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا نَشْتَوَ لَنَحَارُ (٩)

(١) رآها الدهر : أى رأت منه ما تكرهه .

(٢) فى صرفها : أى فى حدودها وتصرفها . وغير الدهر : أحداثه وأحواله . والحول : التحول والقلب . والأطوار : الأحوال .

(٣) تناذره أهل الموارد : أنذر بعضهم بعضاً ، وخوف بعضهم بعضاً عاقبة وروده . تقول : وردت بحوض المنية وقد خافه كل وارد ، على أنه ليس فى ورده من عار لأنه لا مفر منه .

(٤) السبتى : الجرى ، والنمر . والهيحاء : الحرب . والمضلة : الشديدة .

(٥) العجول من الإبل والنساء : التى يموت ولدها وهو صغير . والبو : جلد ولد الناقة محشوا يدهن منها قترأمة . والإصغار فى الحنين : خفض الصوت به . والاكبار : رفعه .

(٦) رتعت الناقة رعت ، أى أنها رعى مادامت ناسية ما أصاب ولدها حتى إذا ذكرته لم يقر لها قرار

من شدة الحزن .

(٧) ربعت : أصابها مطر الربيع ، أى تبقى هزيلة على مدى الأيام حتى لو كانت فى أرض معشبة أصابها

مطر الربيع لأنها دائماً فى حنين . والتسجار : مد الصوت بالحنين من سحر يسجر

(٨) بأوجد : خبر ما عجول قبل هذا البيت بيتين

(٩) نشتو أى ندخل فى الشتاء . وخصصته لأنه زمن الجذب والشدة

وان صخرًا لَمَقْدَامٍ إِذَا رَكَبُوا وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا جَاعُوا لَعْقَارُ (١)
 أَغْرُ أْبْلَجُ تَأْتُمُ الْهَدَاةَ بِهِ كَانَ عَنَّمُ فِي رَأْسِهِ نَارُ (٢)
 جَلْدُ جَيْلٍ الْمُحْيَا كَامِلٌ وَرِعٌ وَلِلْغُرُوبِ غَدَاةُ الرُّوْعِ مِسْعَارُ (٣)
 حَمَالُ الْوَيْةِ هَبَّاطُ أَوْدِيَةِ شَهَادُ أُنْدِيَةِ لِلْجَيْشِ جَرَّارُ (٤)
 فَبِتْ سَاهِرَةً لِلنَّجْمِ أَرْقُبُهُ حَتَّى أَتَى دُونَ غَوْرِ النَّجْمِ أُسْتَارُ (٥)
 لِيَكُمُ مَقْتَرٌ أَقْبَى حَرِيَّتَهُ دَهْرٌ ، وَحَالْفُهُ بُوْسٌ وَإِقْتَارُ (٦)
 وَرُقْفَةٌ حَارَّ هَادِيهِمْ بِمَهْلِكَةٍ كَانَ ظُلُمَتُهَا فِي الطُّخْيَةِ الْقَارُ (٧)
 لَا يَمْنَعُ الْقَوْمَ إِنْ سَالُوهُ خَلْعَتَهُ وَلَا يَحَاوِزُهُ بِاللَّيْلِ مُرَّارُ (٨)

(١) عقر الإبل : نحرها .

(٢) الأغر : الكريم الفعال والشريف . والأبلىج : البعيد ما بين الحاجبين . وهذا إما يمدح به الرجل .
 والعلم : الجبل . تصفه بأنه هادى الهداة وأنه في الشهرة والظهور أو في هداية الناس إلى الشرف والمجد
 كالجبل في قننه نار .

(٣) الجلد : الشديد القوى . والورع : المحتجب لما لا يعنيه . وفي رواية ذرع والذرع الحسن
 العشرة . والروع : الخوف والحرب . ومسعار : أى موقفه نار الحرب .

(٤) نصصفه بالشجاعة والسيادة ؛ فهو حامل اللواء في الحرب ، وهو لا يعتصم بالجبال خوفاً ، بل
 يهبط الوديان للقتال ، ثم أنه حكيم راجع الراى يشهد أندية عقلا ، القبيلة وأهل الراى فيها .

(٥) الغور : غروب النجم وسقوطه ؛ تريد بالنجم الثانى صخرًا أى حتى عجلت ظلمات القبور ، فنبئت
 صخرًا دون أن يبلغ من الحياة أمد أمثاله .

(٦) المقتر : الفقير . والحرية : ما يعيش الإنسان به من المال

(٧) المهلكة : مكان الهلاك . والطخية : الظلمة الشديدة .

(٨) المزار : جمع مار ، أى لو سئل توبه ما منعه ، ولا يبر بداره إنسان إلا أضافه .

(٨) قال حسان بن ثابت^(١) يذكر الحارث بن هشام وهزيمته
يوم بدر . وقد حسن إسلامه بعد ذلك واستشهد بأجنادين :
تَبَلَّتْ فُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةٌ تَسْقِي الضَّجِيعَ بَيَّارِدٍ بِسَامٍ^(٢)



يَا مَنْ لِعَاذِلَةٍ تَلُومُ سَفَاهَةً وَلَقَدْ عَصَيْتُ عَلَى الْهَوَى لُؤَامِي^(٣)
بَكَرْتُ عَلَى بُسْخَرَةٍ بَعْدَ الْكُرَى وَتَقَارُبٍ مِنْ حَادِثِ الْأَيَّامِ^(٤)
زَعَمْتَ بَانَ الْمَرْءِ يُكْرَبُ يَوْمَهُ عُدْمٌ لِمُعْتَكِرٍ مِنَ الْأَصْرَامِ^(٥)
إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي فَتَجَوَّيْتُ مَنَجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
تَرَكَ الْأَحِبَّةَ أَنْ يِقَاتِلَ عَنْهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامٍ^(٦)

(١) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري . نشأ جاهلياً تابعاً في الشعر بمدح المأذرة والفساسة ، وقد أسلم مع الأنصار بعد الهجرة ، وصار شاعر الرسول . محباً إليه وإلى خلقائه حتى مات في خلافة معاوية سنة ٤٥ هـ . ويتناول شعره المدح والهجاء والفخر بنفسه وبقومه . ويختلف أسلوبه الإسلامي عن الجاهلي بتأثير البيئة الجديدة فصار سهلاً مألوفاً بعد أن كان وعراً غريب الألفاظ

(٢) تبلة الحب : ذهب بقله وأسقمه . والخريدة : المرأة الحية الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت المسترة . والضجيع : المضاجع . والبارد : البسام : الفم العذب كثير الابتسام .
(٣) أي من يسعدني لدفع عاذلة . والسفاهة : الجهل ، مصدر سفه .
(٤) بكر ييكر إلى الشيء : عجل . والسحرة : قبيل الصبح . ويريد بالتقارب من حادث الأيام : الكبر والقرب من الموت .

(٥) يكر : يذني . والمعتكر : الجيش إذا اختلط رجاله . والأصرام : جمع صرم ، وهو : الصف والجماعة . يقول : إن العاذلة تدعى أن فناء قوم الرجل وأهله يذني أجله ؛ فهي تنفزه من الحرب وضوض غمارها .

(٦) الطمرة : القرمس الجواد المستعد للوثب ، أي نجا مسرعاً بفرسه متشبهاً برأسها وبلجامها فراراً من هول الحرب .

- تَذُرُ الْعَنَاجِيحَ الْجِيَادَ يَقْفَرَةَ ١
مَرَّ الدَّمُوكِ مُحْصِدٍ وَرِجَامٍ ١
مَلَأَتْ بِهِ الْفَرْجَيْنِ فَاَرَمَدَتْ بِهِ ٢
وَبَنُو أَبِيهِ وَرَهْطُهُ فِي مَعْرَكٍ ٢
طَحَنَتْهُمْ — وَاللَّهِ يُنْفِذُ أَمْرَهُ —
لَوْلَا إِلَهُهُ وَجَرِيهَا لَتَرَكْنَهُ ٣
مَنْ كُلِّ مَأْسُورٍ يَشُدُّ صِفَادَهُ ٤
وَمَجْدَلٍ لَا يَسْتَجِيبُ لِدَعْوَةٍ ٤
بِالْعَارِ وَالذِّلِّ الْمُبِينِ إِذَا رَأَوْا ٥
يَبْدَى أَغْرًا إِذَا انْتَمَى لَمْ يُخْزِهِ ٥
بِيضٌ إِذَا لَاقَتْ حَدِيدًا أَصْمَتَتْ ٦
كَالْبَرْقِ تَحْتَ ظِلَالٍ كُلِّ غَمَامٍ ٦

- (١) العناجيج : جياد الخيل . الدموك : البكرة يستقى بها على البئر ، والمحصد : حبل شديد القتل ، والرجام : حجر يربط في الدلو ليكون أسرع لها عند إدلائها .
(٢) ملأت ... الخ : المراد بالفرجين الفضاء بين يديها ورجليها . وأرمدت : صارت بلون الرماد لكثرة ما أصابها من غبار . ثوى : أقام .
(٣) الضمير في تركته للخيل ، وجزر السباع : أى طعمتها ويريد بالحوامى سنانك الخيل .
(٤) صقر : فاعل يشد ، وفيه تشبيه الرجل الشجاع بالصقر . والصفاد : ما يوثق به الأسير .
(٥) حذله صرعه على الجذالة : وهى الأرض ذات الرمل الرقيق أو عام . يقول إن هذا المجدل فارق الحياة ، فلا يستجيب لمن يدعوه حتى تزول الجبال .
(٦) بالعار : متعلق بمحذوف أى يشعرون .
(٧) الأغر : الكريم الفعال والشريف . ونسب القصار أى نسب قصار النسب ، يقولون فلان قصير النسب أى أبوه معروف إذا ذكره الابن كفاء عن ذكر الجد . والسميدع : السيد الكريم الشريف السخى الموطأ الأكتاف والشجاع والرجل الخفيف فى حاجته . بيدى متعلق بمحذوف حال من بيض .
(٨) بيض : خبر لمبتدأ محذوف أى سلاحه بيض ، وأصمتت بمعنى أسكتت لشدة هولها . ثم شبهها فى لمعانها بالبرق فى ظلمة الغمام .

وقال يمدح عمرًا بن الحارث الغساني وقومه :

- أَسَأَلْتُ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ بَيْنَ الْجَوَابِي فَالْبُضِيعِ قَحْوَلِ (١)
فَالْمَرْجَ مَرْجَ الصُّفَرَيْنِ فَجَاسِمِ فِدْيَارِ سَامِي دُرَّسًا ، لَمْ تُحْلَلِ (٢)
دِمَسُّ تَعَاقِبُهَا الرِّيَّاحُ دَوَارِسُ وَالْمُدْجَنَاتُ مِنَ السَّمَاءِ الْأَعْزَلِ (٣)
دَارُ الْقَوْمِ قَدْ أَرَاهُمْ مَرَّةً فَوْقَ الْأَعْزَةِ عِزُّهُمْ لَمْ يُنْقَلِ
لَهُ دُرٌّ عَصَابَةٌ نَادِمَتْهُمْ يَوْمًا بِجَلَّتْ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ (٤)
يَمْشُونَ فِي الْحُلَلِ الْمُضَاعِفِ نَسْجُهَا مَشَى الْجَمَالَ إِلَى الْجَمَالَ الْبُزْلِ (٥)
الضَّارِبُونَ الْكَبِشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ ضَرْبًا يَطِيحُ لَهُ بَنَانُ الْمَفْصِلِ (٦)
وَالْخَالِطُونَ فَقِيرَهُمْ بَغْنِيهِمْ وَالْمُنْعِمُونَ عَلَى الضَّعِيفِ الْمُرْمِلِ (٧)
أَوْلَادُ جَفَنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

- (١) رسم الدار : بقية آثارها . والجوابى والبضيع وحومل : مواضع .
(٢) مرج صفر وجاسم : موضعان بالشام . ودرسا : جمع دارسة ، وهى البالية . لم تحلل
أى لم ينزل أحد بها .
(٣) الدمن : جمع دمنة ، وهى آثار الدار . وتعاقبها الرياح أى تهب عليها آنا فأنا . ودوارس :
جمع دارسة . والمدجئات : السحب الكثيرة الأمطار .
(٤) جلق : دمشق .
(٥) الحلل : الدروع ، والمضاعف نسجها : التى نسجت حلقتين حلقتين . والبزل : جمع بازل ،
وهو ما برزت نابه من الإبل ، وذلك عند ما يبلغ التاسعة .
(٦) الكبش : سيد القوم وقائدهم . والبيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة تلبس على الرأس .
وقصد بقوله (ضربا يطيح له بنان المفصل) أن الضرب سريع والسيوف حاد حتى أنه يقطع أجزاء الجسم
الصغيرة فى سرعة .
(٧) المرميل : الذى فى زاده والنصق بالرمل . يصفهم بالجوود والرفق والتواضع .

- يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ بَرْدَى يَصْفَقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ (١)
- يَسْقُونَ دِرْيَاقَ الرَّحِيقِ ، وَلَمْ تَكُنْ تَدْعَى وَلَا تُدْهِمُ لَتَقْفِ الْحَنْظَلِ (٢)
- بَيْضُ الْوَجْهِ كَرِيْمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شَمُّ الْأَنْوِفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
- فَلَيْثُ أَزْمَانًا طَوِيلًا فِيهِمْ ثُمَّ أَدْرَكْتُ كَأَنِّي لَمْ أَفْعَلِ (٣)
- إِمَّا تَرَى رَأْسِي تَغْيِرَ لَوْنُهُ شَمَطًا ، فَأَصْبَحَ كَالثَغَامِ الْمُحْوِلِ (٤)
- وَلَقَدْ يَرَانِي مُوعِدِي كَأَنِّي فِي قَصْرِ دُومَةٍ أَوْ سِوَاهِ الْهَيْكَلِ (٥)
- وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ فِي حَانُوتِهَا صَهْبَاءَ صَافِيَةٍ كَطَعْمِ الْفُلْفُلِ (٦)
- يَسْمَعِي عَلَى يَكَايِسِهَا مُتَنْظِفٌ فَيَعْلُنِي مِنْهَا ، وَلَوْلَمْ أَنَّهُلِ (٧)

(١) البريص : موضع بدمشق . وبردَى : نهر دمشق الأعظم . وصفق الرجل الشراب : حوله مزوجاً من إماء إلى إماء ليصفو . والرحيق : الخمر أو أطيبها . والسلسل : العذب البارد ، أى أنهم يسقون من وفد عليهم ماء من النهر مزوجاً بالخمر العذب البارد المصفى .

(٢) الدرياق : لغة في الترياق وهو الخمر . والولائد : جمع وليدة ، وهى الصبية أو الأمة . تقف الحنظل : شقه ، ويكنى بأن إماءهم لا تشق الحنظل ليسارهم ولأنهم فى خصب .

(٣) طويلاً . صفة لمفعول مطلق أى لبنا طويلاً . وادركت : أى امنتعت عن النهي بئانه .

(٤) إماء : إن الشرطية المدغمة فى ما . والشمط : بياض الشعر يخالط سواده . والثغام : نبت بيض ورقه إذا يس وجواب الشرط محذوف أى فلا تجزعى .

(٥) أوعده : أنذره بالشر . وأصل موعدى موعدوى ، فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء . وقصر دومة : حصن . والهيكل : بيت لعبادة النصارى . يقصد أن أعداءه يرونه بعيداً عن أن ينالوه حتى كأنه فى الحصن .

(٦) الحانوت : الحانة .

(٧) المتنظف : لابس القُرط . وأعله : سقاه ثانياً . والنهل : من الأضداد يقع على الرى والعطش ، أى يسقبنى ثانية ، ولولم أظلم .

اب التي ناولتني فرددتها
 قُتِلَتْ - قُتِلَتْ - فَهَايَا لِمَ تُقْتَلُ (١)
 كَلَنَاهَا حَلْبُ الْعَصِيرِ فَعَاظَنِي
 بَزَجَاةٍ أَرْخَاهُمَا لِلْمَفْصِلِ (٢)
 يُزَجَّاجَةٌ رَقَصَتْ بِمَا فِي قَعْرِهَا
 رَقَصَ الْقَلُوصِ بِرَاكِبٍ مُسْتَعَجِلِ (٣)
 تَسِيَّ أَصِيلٌ فِي الْكَرَامِ وَمِذْوَدِي
 تَكْوِي مَوَاسِمُهُ جُنُوبَ الْمُصْطَلَى (٤)
 وَلَقَدْ تَقَلَّدْنَا الْعَشِيرَةَ أَمْرَهَا
 وَنَسُودُ يَوْمَ النَّائِبَاتِ وَنَعْتَلِي
 وَيَسُودُ سَيِّدُنَا حَاجِحَ سَادَةٍ (٥)
 وَمُحَاوِلُ الْأَمْرِ الْمَهْمِ خَطَابَةٌ
 فِيهِمْ ، وَنَفِصِلُ كُلِّ أَمْرٍ مُفْضَلُ (٦)
 وَتَزُورُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ رُكَّابُنَا
 وَمَتَى نُحْكَمْ فِي الْبَرِيَّةِ نَعْدِلُ (٧)
 وَقَالَ يَوْمَ فَتَحَ مَكَّةَ :

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ إِلَى عَذْرَاءَ مَتْرَئُهَا خَلَاءُ (٧)
 دِيَارٌ مِنْ بَنَى الْحَسْحَاسِ قَفَرٌ تَعْقِيهَا الرُّوَامِسُ وَالسَّمَاءُ (٨)
 وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنْيْسُ خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعْمٌ وَشَاءُ (٩)

- (١) قتل الشراب : مرجه بالماء ، وقتلت دعاء على الساقى ولم يقصد به الشرهنا .
- (٢) كلناهما : أى الخمر الصرف والمزوجة . فاسقنى أشدهما لإرخاء للفاصل ، وهى الخمر الصرف .
- (٣) معنى رقص الكأس بما فى قعرها : صعود الفقايع من أسفل الى أعلى لشدة ثوران الخمر فيها . والقلوص : الناقة .
- (٤) المذود : اللسان . والمواسم : جمع ميسم ، وهو آلة يكوى بها . والمصطفى : المستدفى . والكلام على التشبيه أى أن لسانه يشبه المكواة التى تكوى من تصيبه .
- (٥) سيد بحجاج : مسارع فى المكارم . سواء : وسط . المفصل كسجد : كل ملتحق عظيمين فى الجسد . يريد أنه يصيب شاكلة الصواب .
- (٦) المهم : المشكل .
- (٧) ذات الأصابع والجواء وعذراء مواضع بالشام .
- (٨) الروامس : الرياح التى تدفن الآثار ، والمراد بالسما الأمطار .
- (٩) النعم : الإبل والشاء ، أو خاص بالإبل .

فدع هذا ، وَلَكِنْ مَنْ لَطِيفٌ يُورِقُنِي إِذَا ذَهَبَ الْعِشَاءُ ؟ (١)

عِدْمَنَا خِلْنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا * * * تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ (٢)

يُسَارِينِ الْأَسِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ عَلَى أَكْثَافِهَا الْأَسْلُ الظَّاءُ (٣)

تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ تَلَطَّطُهُنَّ بِالْخُمْرِ النِّسَاءُ (٤)

فَإِذَا تُعْرَضُوا عَنَّا آعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَأَنْكَشَفَ الْغِطَاءُ (٥)

وَأِلَّا فَاصْبِرُوا لِحُلَادِ يَوْمٍ يَعِينُ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

وَقَالَ اللَّهُ : قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الْأَنْصَارُ عُرَضَتْهَا اللَّقَاءُ (٦)

لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَعَدَّةٌ قِتَالٌ أَوْ سَبَابٌ أَوْ هِجَاءٌ

فَنَحْكُمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الْبِدْمَاءُ (٧)

(١) العشاء من المغرب إلى العتمة ، والمعنى دع الحديث في الأطلال ، وأرشدني إلى من يدفع عني لطيف الخيال الذي يورقني إذا اشتدَّ ظلام الليل .

(٢) كداء : ثنية بالقرب من مكة ، وجملة عدمننا : دعائية .

(٣) المبارزة : المسابقة . والأسنة : جمع سنان ، وهو حديد الرمح ، والأسل : الرماح ، أى أن الخيل تسابق الأسنة التى يضمها الفرسان حذاء عنفها ظنا منها أن الأسنة تجرى معها شوطا ، ومصغيات : حال من الأسنة أى ما ثلاث للطن ، وظلما الرياح : شدة شغفها بالدم والقتال .

(٤) تمطرت الخيل : جاءت يسبق بعضها بعضا ، ولطمه : ضربه ، والخمر : جمع نهار ، وهو الثوب تغطى به المرأة رأسها . أى إن النساء يسحن بخمرهن على الخيل لما أصابها من الجهد . ولما غشيها من عرق وغبار .

(٥) فإذا : أصلها إن ما ، وهى إن الشرطية المدغمة فى ما الزائدة ، واعتمرنا : أدينا العمرة وهى زيارة البيت الحرام ، أى إن أعرضتم عنا تركنا الحرب وزرنا البيت وتم فتح مكة بلا قتال .

(٦) عرضتها : أى همتها وقوتها ، أى أن الأنصار قوتها فى اللقاء والقتال

(٧) حكم الفرس : جعل للجامة حكمة ، فأخضعه ، أى نخضع بشعرنا من هجانا ، ونقاتل بشجاعة حينما نخطط دماؤنا بدماء أعدائنا ، فنحن أقرباء اللسان والقلب .

وقال الله : قد أرسلت عبداً
شهدت به ، وقومى صدقوه ،
وجبريل أمين الله فينا ،
ألا أبلغ أبا سفيان عني
بأن سيوفنا تركك عبداً
هجوت محمداً ، فأجبت عنه
أتمجوه ، ولست له بكف ،
فمن يهجو رسول الله منكم
فإن أبي ووالده وعرضي
لحق القول إن نفع البلاء (١)
فقلتم : ما نجيب ، وما نشاء
وروح القدس ليس له كفاء (٢)
فأنت مجوف نخب هواء (٣)
وعبد الدار سادتها الإمام
وعند الله في ذاك الجزاء
فشركا لخير كما القداء
ويمدحه وينصره سواء
ليعرض محمد منكم وقاء

(٩) قال الخطيئة : (٤)

وطاوى ثلاث عاصب البطن مرمِل
أنحى جفوة فيه من الإنس وحشة
بيداء لم يعرف بها ساكن رَسَمَا (٥)
يرى البؤس فيها من شراسته نُعمَى (٦)

(١) البلاء : الاختبار مصدر بلاء يبلوه .

(٢) الكفاء : أى المكافى أى المساوى .

(٣) المجوف : من لا قلب له ، والنخب : الجبان ، والهواء : الفارغ .

(٤) أبو مليكة جردل الخطيئة العبسى ، نشأ معلول النسب قبيح الصورة ناقصاً على الناس هجاء . وهو جيد

الشعر مستوى الأسلوب يعد سيد المخضرمين فى الناحية الفنية وغلب عليه المدح والهجاء حتى مات سنة ٥٥٩ هـ .

(٥) الطاوى : لابس . ثلاث أى ليال ثلاث . عاصب البطن : معصوبه من شدة الجوع .

مرمل : فاقد الزاد فقير . بيدا : فلاة . الرمم : العلامة وما كان لاحقاً بالأرض من آثار الديار —
يذكر رجلاً بائساً فى مفازة مقفرة .

(٦) الشراسة : سوء الخلق والحال — يقول : إن سوء الحال بلغ به أن يعد البؤس نعمة .

وأفرد في شعب عجزوا إزاءها
حُفَاةَ عِراءَ ما اغتدوا خبز مَلَّةٍ
ورأى شَبَحًا وَسَطَ الظَّلَامِ قِراعَه
فقال: هيا رباه! ضيف ولا قِرى!
فقال ابنُه لما رآه بحيرة
ولا تَعْتذر بالعدم علّ الذي طرأ
قروى قليلاً، ثم أحجم برهةً،
فبينما هما عنت على البُعْدِ عانةً
عطاشاً يُريدُ الماءَ فانساب نحوها
فأمهلها حتى تروث عطاشها
نفرت نحو ص ذات بحيش سميّةٍ
فيا بشره إذ جرّها نحو قومه

ثلاثة أشباح تخالمهم بهم^(١)
ولا عرفوا للبرّ مذ خَلَقُوا طَعْمًا^(٢)
فلما رأى ضيفاً تَسْمَرُ وأهتأ^(٣)
بحقك، لا تحريمه تا الليلة اللحم^(٤)
أيا أبت أذبحني! ويسر لهم طعماً
يظن لنا مالا فيوسعنا ذمّا
وان هو لم يذبح قتاه فقد هما
قد انتظمت من خاف مسجلها نظماً^(٥)
على أنه منها إلى ديمها أظما
فأرسل فيها من يكاتبه سهماً^(٦)
قد اكنزت لحماً وقد طبقت شحماً^(٧)
ويا بشرهم لما رأوا كلمها يدمى^(٨)

(١) الأشباح : جمع شبح وهو الشخص . البهم : جمع بهمة أولاد البقر والمغز والضأن .

(٢) الملة : رماد التنور الحار وخبزها ما يخبز فيها ، يصف بؤس أهل هذا البيت .

(٣) راعه : أفزعه .

(٤) هيا حرف نداء . القرى : ما يقدم للضيف من طعام ونحوه . تا الليلة : أى هذه الليلة .

(٥) عنت : ظهرت واعترضت . والعانة : القطيع من حمر الوحش . المسجل : حمار الوحش يقود

القطيع أثناء السير إلى الماء أو غيره .

(٦) تروث : رويت بمعنى شربت .

(٧) نرت : سقطت صريعة . نحوص : سميّة . اكنزت : امتلأت . طبقت : تفتت

وعمها الشحم . (٨) الكام : الجرح .

وبأتوا إكراما قد قَضَوْا حقَ ضيفهم
وما غَرِمُوا غُرما ، وقد غَنِمُوا غَنما
وبات أبوهم من بشاشته أبا
لضيفهم والأُم من بشرها أُمّا
وقال يمدح بغِيض بن عامر :

ألا طَرَقْنَا بعد ما هَجَعُوا هِنْدُ
وَهِنْدُ أَتَى من دونها هِنْدُ
وَهِنْدُ أَتَى من دونها النَّأْيُ والبَعْدُ

وَهِنْدُ أَتَى من دونها ذُو غَوَارِبِ
يَقْمَصُ بالبُوصَى مَعْرُوفٌ وَرَدُ (٢)

وإنَّ التي نَكَبَتْها عن مَعاشِرِ
غَضابٍ على أن صَدَدَتْ كما صَدُّوا (٣)

أَتَتْ آلَ شَمَّاسٍ بن لَأيٍ وإِنما
أَتاهم بها الأحلامُ والحَسْبُ اليَدُ (٤)

فإنَّ الشَّقِيَّ من تُعَادَى صدورهم
وذو الجَدِّ من لَانُوا إليه ومن وُدُّوا (٥)

يسوسون أحلامًا بعيدًا أَنانُها
وإن غضبوا جاء الحَفِيظَةُ والجَدُّ (٦)

(١) يقول : ألا زارنا طيف خيال هند بعد أن هجعت الأعين ، وبعد أن سارت الإبل خمس ليال وظهر لنا نجد .

(٢) من معاني الغارب أنه أعلى كل شيء ، وذو الغوارب : البحر ، لأن أمواجه عالية . وقص البحر بالسقيفة : حركتها بموجه . والبوصى : ضرب من السفن . والمعروف : المتراكم الأمواج . والورد : الجري . أو الأحمر الضارب إلى الصفرة . يقول : إن بني وبين هند بحرا يقذف بالسفن ، متراكم الأمواج .
(٣) نكبتها أي نحيتها وأبعدتها . والضمير للدة والمعاشر آل الزبرقان بن بدر أي أن المدة التي عدلت بها عن قوم غضبوا على لأنى صددت عنهم كما صدوا عني .

(٤) جملة أتت خبر إن في البيت قبله . والأحلام : العقول . والحسب : الشرف . والعد : التقديم أو الكثير . أي جاء في هذه المدة الإشادة بأحلامهم وحسبهم

(٥) نسب العداوة إلى الصدور لأنها مكان الفيظ والعداوة . والجَدُّ : الحظ .

(٦) أي يحكمون الناس إذا رضوا بأحلام بعيدة النظر طويلة النأي . إذا غضبوا كانوا أهل حفيظة أي غيظ . وجد أي اجتهد وعجلة .

- أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ — لَا أَبَا لِأَيِّكُمْ — من اللوم أوسدوا المكان الذي سدوا (١)
- أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنى وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا (٢)
- وإن كانت النعمى عليهم جزوا بها وإن أنعموا لا كدروها ولا كدوا (٣)
- وإن قال مولاهم على جلّ حادثٍ من الدهر ردّوا بعض أحلامكم ردّوا (٤)
- وإن غاب عن لأيّ بغيضٍ كفّهم نواشيء لم تظّرر شواربهم مرّد (٥)
- وكيف ولم آئتهم خذلوكم على مفضّيح ، ولا أديمكم قدّوا (٦)
- مطاعين في الهيجا مكاشيف للدجى بنى لهم آبائهم ، وبنى الجدد (٧)
- فمن مبلغٍ لأيا بأن قد سعى لكم إلى السورة العليا أخ لكم جلد (٨)

- (١) لا أبا لأبيكم : شتم . والأصل أنهم لا يعرفون لهم آباء ينتسبون إليها عند المفارقة .
- (٢) البنى أو البنى بكسر الباء وضمتها والأول جمع بنية بكسر الباء . والثاني جمع بنية بضمها ، والمراد أنهم يحسنون عمل المكارم . وإن عقدوا شدوا أى وإن عقدوا العزيمة أو تفوها أو إن عقدوا على الحرب حنوا .
- (٣) أى كدوا من أعطوه بطلب الجزاء على النعمة .
- (٤) المولى : ابن العم أو الجار أو الخليف . على جلّ حادث أى عند الخطب العظيم أى إن استغاث بهم المولى في شأن أضربه واستشارهم أمدوه بالرأى السديد .
- (٥) لأى : عشيرة بغيض بن عامر . ونواشيء : جمع ناشئة يريد بهسم فتيان القبيلة . ولم تظّرر شواربهم : لم تظهر .
- (٦) المفضّح : الأمر تجاوز الحد في الشناعة . والأديم هنا : العرض . أى وكيف تعادونهم ولم يخذلوكم في خطب ملم ، ولم ينالوا من عرضكم .
- (٧) مطاعين ومكاشيف : جمع مطعان ومكشاف . والدجى : الليل يريد به ظلمة الخطوب . أى أنهم يكشفون ظلمة الليل بنار قراهم أو يبددون ظلمة الخطوب بشجاعتهم وحسن رأيهم .
- (٨) سورة المجّد : أثره وعلامته وارتفاعه . والجلد : القوى ، يتنى أن يبلغ إنسان لأيا بأن أخاهم سعى للجد حتى وصل إلى قته العليا .

- (١) جَرَى حِينَ جَارَى لَا يُسَارِ عَنَانَهُ عِنَانٌ وَلَا يَتَنَّى أَجَارِيَهُ الْجَهْدُ
(٢) رَأَى مَجْدَ أَقْوَامٍ أُضِيعَ فَخْتُهُمْ عَلَى مَجْدِهِمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ الْخِةُ
(٣) وَقَدْ لَا مَنَى أَفْنَاءُ سَعْدَ عَلَيْهِمْ وَمَا قَلْتُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتُ سَعْدَ

وقال يهجو الزُّبْرَقَانَ بن بدر :

- والله ما معشرٌ لاموا امرءًا جُنُبًا فِي آلِ لَأَيِّ بْنِ شَمَّاسٍ بِأَكْيَاسٍ (٤)
لَقَدْ مَرَّيْتُكُمْ لَوْ أَنَّ دِرَّتَكُمْ يَوْمًا يَجِيءُ بِهَا مَسِيحِي وَإِبْسَاسِي (٥)
وقد مدحتكم عمدًا لأرشدكم كَيْمَا يَكُونُ لَكُمْ مَتَحِي وَإِمْرَاسِي (٦)
وقد نظرتكم إيناءً صادرةً لِلْخَمْسِ طَال بِهَا حَوْذِي وَتَنَسَّاسِي (٧)

(١) لا يسارى عنانه عنان : أى لا يجاريه . والأجاري : جمع إجرية ، وهى : الجرى والجهد والطبيعة ، والكلام على التثنية أى أنه إذا سبق أحداً فى طريق المجد لم يسبقه أحد ، ولم يقمده به تعب أو لا يترك طبعه مهما يجده .

(٢) أى لما رأى أن المجد انما هو فى الجهد والاجتهاد فى الأمور .

(٣) الإفناء : جمع فناء : الجلاء .

(٤) الجنب هنا : القريب . فى آل لَأَيِّ أى فى مديح آل لَأَيِّ . وأَكْيَاس : جمع كيس ، وهو اللبيب الفطن والمراد بالمعشر الزُّبْرَقَان ورهطه .

(٥) أصل المرى : المسح على ضرع الناقة لتندّر . والإبسّاس : أن تدعو الناقة باسمها أو تلاطفها لتندّر . يريد أنه حاول تملقهم كثيراً فلم ينل منهم شيئاً .

(٦) المتح : أن يقف الرجل فوق البئر لي جذب الدلو ، والإمراس : وضع حبل البئر فى البكرة بعد أن انزل منها . يريد أنه تعمد أن يقصر عليهم جهوده ، ويختصمهم بمدحه ليرشدهم إلى ما غاب عنهم من أسباب المجد .

(٧) الإيناء : مصدر أَوْنَى بمعنى أتعب ، والصادرة : الآتية من الماء . والخمس من أظاء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى اليوم الرابع ، والحوذ مصدر حاذ الدابة ساقها سريعاً . والتنساس : مصدر نس الناقة من باب نصر وضرب : ساقها وزجرها . يقول انتظرت عطاءكم مجهداً لإجهاد ناقة أعيائها التعب فهى تساق وترجر .

- لما بدا لي منكم عيبٌ أنفيسكم (١) ولم يكن لجراحي منكم آسى
أجمعتُ يأساً مبيئاً من نوالكم ولا ترى طارداً للحرّ كالياس
ما كان ذنبٌ بغيضٌ أن رأى رجلاً (٢) ذا فاقة حل في مستوعير شاسي
جاراً ليقوم أطلالوا هوت متله وغادروه مقياً بين أرماس (٣)
ملأوا قراه ، وهرة كلابهم (٤) وجرحوه بأنياب وأضراس
لا ذنب لي اليوم إن كانت نفوسكم كفارك كرهت ثوبي والباسي (٥)
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي (٦)
وأبعث يساراً إلى وفير مذمة واحدج إليها بذى عركين أنكاس (٧)
ما كان ذنبى أن قلت معاولكم من آل لآى صفاة أصلها راسي

- (١) الآسى : الطيب . وفي رواية غيب أنفيسكم أى ما كان مستورا من بخلكم .
(٢) المستوعر : المكان الوعر . والشاسي بالهمز ومهل المكان الغليظ المرتفع . أى لم يكن ذنب
بغيب عند الزبرقان إلا أنه رأى رجلاً في مكان وعير قاحل فأعانه .
(٣) الهون : المذلة . والأرماس : القبور أى وتركه كاليت بين أموات القبور .
(٤) هرة الكلاب : نبحته . وهذا كناية عن أنه كان غريباً مضطهداً بينهم . وقوله (جرحوه) يريد
أن آل الزبرقان سبوه ونهشوا عرضه .
(٥) الفارك : المرأة تبغض زوجها . أى ليس الذنب ذنبى إذا كنتم تبغضون شعري أو مقامى فيكم
بخلا كما تبغض المرأة زوجها ، ونكره أن ترى ثوبه وأن تلبسه إياه .
(٦) الطاعم : المطعوم . والكاسي : المكسّر ، وهذا من أقذع الهجاء لأنه قام بحاجته فأصبح كالمرأة
(٧) يسار : اسم عبد للزبرقان . والوفير : السقاء الكامل لم ينقص من أديمه شيء . والمذمة : يريد
بها هنا الملوثة يقال : بئر ذمة أى قليلة الماء أو غزيرته : ضد . ووجدج البعير يحدجه : شد عليه الرحل
والعرك : انفتاق في إبط البعير ، والمراد أن هذا هو عملكم دون المكارم .

(١٠) قال الأخطل^(١) يمدح عبد الملك بن مروان ويهجو

قيساً وبني كليب من قصيدة أولها :

خَفَّ القَطِينُ فَرَاخُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا وَأَزَعَجْتَهُمْ نَوَى فِي صَرْفِهَا غَيْرُ^(٢)

فِي نَبْعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَعْصِبُونَ بِهَا مَا إِن يُوَازِي بِأَعْلَى نَبْتِهَا الشَّجَرُ^(٣)
حُشِدٌ عَلَى الْحَقِّ، عَنْ قَوْلِ الْخَنَازِرِ وَإِنْ أَلَمْتُ بِهِمْ مَكْرُوهَةً صَبَرُوا^(٤)
فَإِنْ تَدَجَّتْ عَلَى الْآفَاقِ مُظْلِمَةٌ كَانَتْ لَهُمْ مَخْرَجٌ مِنْهَا وَمُعْتَصِرٌ^(٥)
أَعْطَاهُمُ اللَّهُ جَدًّا يَنْصُرُونَ بِهِ لَا جَدًّا إِلَّا صَغِيرٌ بَعْدَ مُحْتَقِرٍ^(٦)
لَمْ يَأْشُرُوا فِيهِ، إِذْ كَانُوا مَوَالِيَهُ وَلَوْ يَكُونُ لِقَوْمٍ غَيْرِهِمْ أَشْرُوا^(٧)
شَمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَفَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا^(٨)

(١) هو أبو مالك غياث الأخطل النخعي. نشأ في قومه تغلب بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مضر طامة وقيس خاصة. ولما كان متصلاً بالخلفاء وبحروب قومه مع قيس صار يحمي مدح الملوك ووصف المعارك، وكذا انخر لمعاقرته إياها في وقت أجمع المسلمون فيه عن شربها، وكانت وفاته أول خلافة الوليد.

(٢) خف : أسرع. القطين : القطان، أي السكان والمعاشر. راح : ذهب في الرواح أي للمشي ضد بكر. أزعجتهم : أفلقتهم — نوى في صرفها ونوانها غير وأحداث.

(٣) النبعة هنا : الأصل يعصبون بها : يلزمونها. والحديث عن عبد الملك وقومه.

(٤) حشد : مجتمعون. الخنا : الفحش. ألت : نزلت. مكروهة : نازلة.

(٥) تدججت : أظلمت. معتصر : ملجأ، أي يستطيعون الخلاص من الأزمات.

(٦) الجد : البخت والإقبال.

(٧) بأشروا : يبطروا ويطغوا. مواله : أولياءه.

(٨) شمس : جمع شمس أي عسر شديد على عدوه — يستفاد لهم أي يذل ويخضع لهم العدو.

ثم : جمع حلم وهو الصبر والأناة. قدرُوا تمكنوا من العدو. والمعنى : أنهم يعفون إذا انتصروا.

لَا يَسْتَقِيلُ ذُوو الْأَضْغَانِ حَرْبَهُمْ
وَهُمُ الَّذِينَ يُبَارُونَ الرِّيَّاحَ إِذَا
بَنَى أُمَيَّةَ نِعْمَاكُمْ مَجَلَّةٌ
بَنَى أُمَيَّةَ إِنِّي نَاصِحٌ لَكُمْ
وَأَتَّخِذُوهُ عَدُوًّا، إِنَّ شَاهِدَهُ
إِنَّ الضَّعِيفَةَ تَلَقَّاهَا، وَإِنْ قَدِمَتْ
بَنَى أُمَيَّةَ قَدْ نَاضَتْ دُونَكُمْ
حَتَّى أَقْرُوا، وَهُمْ مِنِّي عَلَى مَضِضٍ،
وَلَا يَبِينُ فِي عِيدَانِهِمْ خَوْرٌ^(١)
قَلَّ الطَّعَامُ عَلَى الْعَافِينَ أَوْ قَتَرُوا^(٢)
تَمَّتْ، فَلَا مِثْلَ فِيهَا وَلَا كَدْرٌ^(٣)
فَلَا يَبِينُ فِيكُمْ آمِنًا زُفْرٌ^(٤)
وَمَا تَغِيبُ مِنْ أَخْلَاقِهِ دَعْرٌ^(٥)
كَالْعُرْيَانِ حِينَ تَمُوتُ يَتَشِيرُ^(٦)
أَبْنَاءَ قَوْمٍ هُمُ آوَاءُ، وَهُمْ نَصْرُوا^(٧)
وَالْقَوْلُ يَنْفُذُ مَا لَا تَنْفُذُ الْإِبْرُ^(٨)

(١) يستقل : يرحل . الأضغان : جمع ضغن ، أى حقد — فى عيدانهم أى فى أقسامهم —

خور ضعف .

(٢) يبارون الرياح : يسابقونها فى الإسراع الى الكرم . العافون : الذين يطلبون القوت .
قروا : افقروا ، وقل ما عندهم . يقول : إنهم يسرعون الى الكرم وقت الإحمال .

(٣) نعماكم : عطاياكم للناس . مجللة : عامة . المنة على الناس : ذكر المعروف الذى أسدى إليهم .

(٤) زفر بن الحارث بن كلاب الكلابي ، وكان زعيم قيس على تغلب وعلى أمية .

(٥) شاهده : ظاهره . دعر : فساد ، أى لا تغتروا بصلحه .

(٦) العر : الحرب . يقول : إن الحرب وإن كن فى الجسم لا بد أن يظهر ، فكذلك العداوة ،

وإن بعد عهدا .

(٧) ناضت دونكم : دافعت عنكم الأنصار الذين آووا الرسول بعد الهجرة ونصروه . والأخطل هو

الذى هجا الأنصار لما دعاه الى ذلك يزيد بن معاوية . واليه ينسب البيت المشهور :

ذهبت قریش بالمكارم والعلا
واللزم تحت عمام الأنصار

(٨) أقروا : سكنوا . مضض : وجع . نفذ القول : مضى وجرى ، يشبه الكلام بالإبر

فى الفاذا والآثر .

أُخِمَّتْ عَنْكُمْ بَنِي النَّجَارِ قَدْ عَلِمَتْ عَلَيَا مَعَدَّ، وَكَانُوا طَالَمَا هَدَرُوا (١)
 وَقَيْسٌ عَيْلَانٌ حَتَّى أَقْبَلُوا رَقَصًا فَبَايَعُوكَ جِهَارًا بَعْدَ مَا كَفَرُوا (٢)
 ضَجُّوا مِنَ الْحَرْبِ إِذْ عَضَّتْ غَوَارِبُهُمْ وَقَيْسٌ عَيْلَانٌ مِنْ أَخْلَاقِهَا الضُّجْرُ (٣)
 فَلَا هَدَى اللَّهُ قَيْسًا مِنْ ضَلَالَتِهَا وَلَا لَعًا لِبَنِي ذَكْوَانَ إِذْ عَثَرُوا (٤)
 مَا إِنَّ سَعْيَ مِنْهُمْ سَاعٍ لِيُذِرَكَا إِلَّا تَقَاصَرَ عَنَّا وَهُوَ مُنْبِرٌ (٥)
 وَلَمْ يَزَلْ يُسَلِّمُ أَمْرُ جَاهِلِيَّهَا حَتَّى تَعَايَا بِهَا الْإِيرَادُ وَالصَّدْرُ (٦)
 حَتَّى أَصَابَ سُلَيْمًا مِنْ عَدَاوَتِنَا إِحْدَى الدَّوَاهِي الَّتِي تُخْشَى وَتُنْتَظَرُ
 كَانُوا ذِيْىِى إِمَّةٍ حَتَّى إِذَا عَلِقَتْ بِهِمْ حَبَائِلُ لِلشَّيْطَانِ وَابْتَهَرُوا (٧)
 صُكُّوا عَلَى شَارِفٍ صَعْبٍ مَرَاكِبَهَا حَصَاءَ لَيْسَ لَهَا هُلْبٌ وَلَا وَبْرٌ (٨)

- (١) أُخِمَّتْ : أُسْكِتْ . بنو النجار : أخوال الرسول من الأنصار، منهم أم عبد المطلب . معد : جد الزارية . هدرُوا : افتخروا عليكم وهجوكم ، يقال هدر البعير إذا ردد صوته في حنجرته .
 (٢) قيس عيلان كانت مع ابن الزبير لما خرج على الأمويين بعد معارضة وقتل في عهد عبد الملك .
 وقصا مسرعين . كفروا خرجوا عليك .
 (٣) غوارب : جمع غارب وهو للبعير ما بين السنام والعنق (المعنى) أن الحرب آلتهم .
 (٤) لا لعالم : لا أقالمهم الله . يقال للعائر دعاء عليه . ويقال لعالم له أى أقال الله عثرته دعاء له .
 بنو ذكوان : قبيلة من سليم رهط عمير بن الحباب والنجاش السليمين ، وكانا قد خرجا على بنى أمية ، وحاربا تغلب قبيلة الأخطل .
 (٥) تقاصر : قصر وتأخر . أنهر الرجل : انقطع نفسه من الإعياء .
 (٦) سليم قبيلة عمير بن الحباب وهو المقصود هنا بقوله « جاهلها » . تعايأ بها : أعجزها .
 الإيراد : من ورود الماء والصدور عن الماء — يعنى أعجزها بتدبير الأمور .
 (٧) الإمّة : النعمة — علقت بهم الخ : ضلوا . ابتهروا : افتخروا بما ليس فيهم .
 (٨) صكوا على شارف ، أى حملوا على خطة . الناقة الشارف : الكبيرة المسنة . حصاء : لا وبر لها . الهلب : شعر الذنب .

فَأَصْبَحَتْ مِنْهُمْ سِنْجَارُ خَالِيَةٍ
كَرُّوا إِلَى حَرَّتِهِمْ يَوْمُومَهُمَا
إِذْ يَنْظُرُونَ وَهُمْ يَجْنُونَ حَنْظَلَهُمْ
وَلَا يَلَاقُونَ فَرَّاصًا إِلَى نَسَبِ
وَلَا الضُّبَابِ إِذَا اخْضَرَّتْ عَيْنُهُمْ
أَمَّا كَلِيبُ بْنُ يَرْبُوعٍ فَلَيْسَ لَهُمْ
وَقَدْ نُصِرَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِنَا
يَعْرِفُونَكَ رَأْسَ ابْنِ الْحُبَابِ، وَقَدْ

وَالْمَحَلِّيَّاتُ فَالْخَابُورُ فَالسَّرَرُ^(١)
كَأَنَّكَ إِلَى أَوْطَانِهَا الْبَقَرُ^(٢)
إِلَى الْقُرَاتِ . فَقُلْنَا : بَعْدَ مَا نَظَرُوا^(٣)
حَتَّى يُلَاقِيَ جَدَى الْفَرْقِدِ الْقَمَرُ^(٤)
وَلَا عُصْبِيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ بَشَرُ^(٥)
عِنْدَ التَّفَارُطِ إِيْرَادُ وَلَا صَدْرُ^(٦)
لَمَّا أَتَاكَ بَيْطُنِ الْغُوطَةِ الْخَبَرُ^(٧)
أَصْحَى وَلِلْسَيْفِ فِي خَيْشُومِهِ أَثَرُ^(٨)

(١) سنجار : قصبة كورة الفرج من تل أعفر . المحليات : بلدة صغيرة بين الموصل وسنجار .
الخابور : اسم نهرواد . السرر : أرض بالجزيرة كسائر المواضع المذكورة .

(٢) الحرة : موضع فيه حجارة سود نخرة كأنما أحرقتها النار وحرثهم بعالية نجد . كروا : رجعوا .

(٣) الحنظل : نبت مر . يقول : طمعوا فينا ، ويا بعد ما نظروا . وكانت تغلب قبيلة الأخطل
تقيم بالجزيرة في حوض القرات .

(٤) فراص بن معن بن سعد بن قيس من باهلة وبنو فراص ينتسبون إلى تغلب — جدى الفرقد نجم
إلى جنب القطب يدور مع بنات نعش تعرف به القبلة ، ولا يلتق مع القمر . يقول إنهم قصروا عن نسب
هؤلاء ، ولا يشبهونهم إلا في أنهم بشر .

(٥) الضباب من قيس عيلان ، عصبة بطن من سليم ، اخضرت : اسودت .

(٦) كليب بن يربوع : رهط جرير . التفارط : التقدم في طلب الماء . (المعنى) ليس لهم نصيب
في السبق إلى الخامد .

(٧) الغوطة : الكورة التي منها دمشق وهي إحدى منازله الدنيا الأربع : الصغد والأبلة وشعب بوان
والغوطة . وكانت دمشق عاصمة بني أمية — وكان رهط الأخطل مع الخليفة في الحروب الداخلية .

(٨) ابن الحباب هو عمير بن الحباب السلمي ، وقد قتل وحمل رأسه إلى قبائل غسان ، وكان يزدريهم .
الخيشوم : أنف .

وقال يفضل الفرزدق على جرير :

- بَكَرَ الْعَوَازِلُ يَتَدَرْنَ مَلَامَتِي وَالْعَالُونَ فَكُلُّهُمْ يَلْحَانِي ^(١)
 فِي أَنْ سَقَيْتَ بَشْرِبَةً مُقَدِّيةً صِرْفٍ مُشْعَشَعَةٍ بِمَاءِ سُحَّانٍ ^(٢)
 فَظَلَمْتُ أَسْقِي صَاحِبِي مِنْ بَرْدِهَا عَمْدًا لِأَرْوِيهِ كَمَا أَرْوَانِي
 وَذَكَرْتُ إِذْ جَرَّتِ الشَّمَالُ فِيهِ جَتٌ شَوْقًا لَنَا - رِيًّا وَأُمًّا أَبَانَ ^(٣)
 وَالْحَارِثِيَّةَ ؛ إِنِّي مُهْدٍ لَهَا مَدَحًا يُشَبِّهُنَّ كُلَّ مَكَانٍ ^(٤)
 لَا قِيَمَتَيْنِ يَجْمَعُ ۖ فَأَرَيْتَنِي صُورَ الْمَهَا بِزَخَارِفِ الْبُنْيَانِ ^(٥)
 وَمُحَوَّرَهِنَّ دِيَّاسِقٌ مِنْ فُضَّةٍ وَنَوَاهِدُ كُنُوعِ الرُّمَّانِ ^(٦)
 وَمُرْمَلُ الْحَنَاءِ يُصْبِحُ قَانِيًا كَدَمَ الذَّبِيحِ - بَارُوحٍ وَبَنَانٍ ^(٧)
 يَنْظُرْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ بِأَعْيُنٍ نُجْلٍ يَمْتَنُّ الْعَاشِقِينَ حَسَانٍ ^(٨)
 نَظَرًا مَخَالَسَةً وَهَنَّ صَوَائِدُ بِخَدُورِهِنَّ وَأَحْسَنَ الْأَلْوَانِ ^(٩)
 وَإِذَا رَأَى الشَّيْبَ لَمْ يَقْرَبْنَهُ وَالْغَانِيَاتُ عَنِ الْكَبِيرِ غَوَانِي
 يَقْطَعُنَ مِنْهُ حَبْلَ كُلِّ مَوَدَّةٍ جَهْلًا، وَهْنٌ إِلَى الشَّبَابِ رَوَانِي ^(١٠)

- (١) العواذل : جمع عاذلة ، اللائمة . يتدرون ملامتي : يسرعن إلى لومي . يلحاني : يعينني .
 (٢) مقذية : نظيفة ليس فيها قذى . صرف : نقية جيدة . مشعشة : ممزوجة . سُحَّان : ماء بارد ، وواد بالشام .
 (٣) ذكرت : تذكرت . الشمال : ريح تهب بين الشرق وبنات نعش . رياء وأم أبان : علمان لامرأتين أي ذكرت هؤلاء النسوة حين هبت الشمال . (٤) يشب الخ : يذكرن في كل مكان .
 (٥) المها : جمع مهاة ، البقرة الوحشية ، تشبه بها المرأة في جمال العينين . الصورة : الشكل . يعني أنهم يشبهن الصور التي تزين بها الأبنية .
 (٦) نحور جمع نحر : أعلى الصدر . دياسق : جمع ديسق ، وهو الصحن من الفضة ، يشبه محوورهن بالفضة صفاء وصقلا .
 (٧) مرمل الحناء : يقصد الحناء المرمل أي المزينة به المرأة يديها ورجليها . قانئا : شديد الحمرة . أروح : جمع راحة وهي باطن الكف دون الأصابع . البنان : أطراف الأصابع . المفرد بنانة . والمراد : أروجهن وبنانهن . (٨) خلل : جمع خللة ، الثقب . نجل : جمع نجلا ، الواسعة العين الحسنة .
 (٩) مخالسة : مسروقا بسرعة وختل . الخدور : جمع خدر السترا والبيت .
 (١٠) الجهل هنا : الحفاء . رواني : دائمات النظر ، المفرد رانية .

- إِى أُدِيمُ لَذَى الصَّفَاءِ مَوَدَّتِي وَإِذَا تَغَيَّرْتُ كُنْتُ ذَا أَلْوَانٍ (١)
وَأَصْدُ عَنْ صَرَمِ الصَّدِيقِ تَكْرُمًا حِينًا ، وَمَا دَهْنِي لَهُ يَهْوَانٍ (٢)
وَأَفَارِقُ الْخُلَّانَ عَنْ غَيْرِ الْقَلَى وَأُمِيتُ عِنْدِي السَّرَّ بِالْكَمَانِ (٣)
وَلَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى الْقَنْيَصِ بِنَهْدَةٍ عِنْدَ الْبَدِيهَةِ سَهْوَةَ الْقَذْفَانِ (٤)
تَقْقُضُ فِي أَثَرِ الْأَوَابِدِ مِثْلَ مَا تَقْقُضُ كَاسِرَةً مِنَ الْعُقْبَانِ (٥)



- مَا بَالُ قَوْمٍ لَا تَغِبُ أَذَانُهُمْ قُعْسُ الظُّهُورِ مِنَ الْحَيْنِ بِطَانٍ (٦)
هُمْ هَيَّجُوا حَرْبِي وَمَا لَهُمْ بِهَا لَوْ وَاجَهَتْهُمْ بِاللِّقَاءِ يَدَانٍ (٧)
حَرْبَ امْرِئٍ مَا إِنْ تَرِثُ سِلَاحُهُ أَبَدًا وَلَا يَفْتَرُّ بِالْحَدَثَانِ (٨)
قَبَّحَ إِلَهُهُ بَنَى كَلْبٍ لِنَهْمِهِمْ لَا يَحْفَظُونَ مُحَارِمَ الْجِيرَانِ (٩)

- (١) كنت ذا ألوان : أى تغيرت له كما تغير .
(٢) صرم : قطيعة وهجر . يقول : ما همى هوأله .
(٣) الخلان : جمع خليل ، الصديق . القلى : البغض . أميت السر : لا أبدية فكأنه ميت .
(٤) غدوت : بكرت . القنيص : المصيد . نهدة : فرس حسن جسم . عند البديهية للجرى حين تفجؤها به . السهوة : المواتية . القذفان : سرعة الركض . بصف فرس الصيد .
(٥) الأوابد : جمع أبدة وهى الوحش . كاسرة : منقضة . العقبان : جمع عقاب بضم العين ، طائر من الجوارح .
(٦) ما بالهم : أى ما حالهم وما حصل لهم . لا تغب : لا تنقطع . قعس الظهر : مفردة أقعس ، وهو من خرج صدره ودخل ظهره ، ضد الأحدب . الحين : وجع فى البطن . بطان : عظام البطون ، المفرد بطن وبطين .
(٧) ما لهم بها يدان : أى ليست لهم عليها قدرة . اللقاء : الحرب .
(٨) ترث : تبلى . الحدثان : النوايب . لا يفتتر بالحدثان : لا تأخذ النوايب على غرة لاستعدادها لها دائما .
(٩) بنو كليب : رهط جرير . محارم : جمع محرما ، ما لا يحل انتهاكه .

- وإذا تُؤدِّبَ للكارم والعُلا
لم يُندَبُوا لترادف الأعوان (١)
- أجرير إنك والذي تسمُوه
كأسيفَة نخرت بِحَدَجِ حَصان (٢)
- حملت لربَّتْها فلمَّا عُولِيَتْ
نسلت تُعارضها مع الأظعان (٣)
- أَتَعُدُّ مَأْتَرَةً لِغَيْرِكَ نخرها
وسنأؤها في سالف الأزمان (٤)
- تأج الملوك ونفخهم في دارم
أيامَ يربوع مع الرعيان (٥)
- متلفف في بُردة حَبَقِيَّة
بفساء بيتِ مَذَلَّةٍ وهوان (٦)
- يَغْدُو بَيْنِيهِ بِثَلَّةٍ مَذْمُومَةٍ
ويكون أكبرُهم رِبْقَانِ (٧)
- سَبِّقُوا أَبَاكَ بِكُلِّ مَجْمَعٍ تَلَعَةٍ
بالمجدِ عندَ مواقف الركبِانِ (٨)
- إِخْسَاءُ كُلِّيبُ، إِلَيْكَ، إِنْ مَجَاشِعًا
وأبا الفوارسِ نَهْشَلًا أخوان (٩)
- قومٌ إذا خَطَرْتُ عَلَيْكَ قُرُومَهُمْ
طرحوك بين كلال كل وجران (١٠)

- (١) تؤدب : نذب الناس ودعوا . الترادف هنا : التعاون . يقول : لا يصلحون للكارم والمعالى .
- (٢) تسموه : تتعلق به من مفاخر ليست لك . الأسيفَة : الأمة . الحدج : مركب النساء على البعير كالهودج . الحصان هنا : الحرّة ضدّ الأمة . يقول ان نخرت بما ليس لك كفخر الأمة بحدج سيدتها .
- (٣) أى حملت حدج سيدتها . عوليت : علت الحدج . نسلت : أسرعت . تعارضها أى تعدو حياها الأظعان : النساء فى الهودج .
- (٤) مأثرة : محمّدة ومفخرة . السناء : الشرف . سالف الأزمان : ماضيها . يقول له : تفخر بمأثر مضر وأنت من نخذ حقير هو يربوع لا مجده .
- (٥) دارم : رهط الفرزدق ، ويريد الأخطل تفضيله على جرير بهذا الشعر . الرعيان جمع راع : من يقوم على الماشية بخدمها .
- (٦) حبقية : نسبة الى صانع أو الى نوع من الغنم .
- (٧) الثلثة : الصوف أو جماعة الغنم . الربقان مثني ربق : حبل يشد في عنق البهم .
- (٨) الثلعة : ما علا من الأرض . عند مواقف الركبان : أى عند المفاخرة والتحاكم .
- (٩) إخسأ : ابتعد محتقرا . إليك : تنح وابعد . مجاشع : قبيلة الفرزدق . نهشل : قبيلة من تميم كمجاشع .
- (١٠) خطر الجمل بذنبه : رفعه مرة بعد أخرى . القروم : الفحول والأماجد جمع قرم . والكلال : جمع كلكل وهو الصدر . والجران : صفحة العنق . يقول : إن رجالهم يعلون عليك مفاخرة .

(١١) وقال الفرزدق يذكر تفضيل الاخطل إياه على الشعراء

ويمدح بني تغلب ويهجو جريرا :

يَابْنَ الْمِرَاغَةَ وَالْهَجَاءَ إِذَا تَقَّتْ أَعْنَاقُهُ وَتَمَاحَكَ الْخَصْمَانِ (٢)

يَا بْنَ الْمِرَاغَةِ أَنْ تَغْلِبَ وَأَنْتِ رَفَعُوا عَنَّا فَوْقَ كُلِّ عَنَانٍ (٣)

كَانَ الْمُهْذِلُ يَقُودُ كُلَّ طِمْرَةٍ دِهْمَاءَ مُقَرَّبَةٍ وَكُلَّ حِصَانٍ (٤)

يَصْهَلْنَ بِالنَّظَرِ الْبَعِيدِ كَأَنَّهَا إِرْنَانُهَا يَبْوَائِنَ الْأَشْطَانِ (٥)

يَقْطَعْنَ كُلَّ مَدًى بَعِيدٍ غَوْلُهُ خَبَبَ السَّبَاعِ يَقْدَنَ بِالْأَرْسَانِ (٦)

(١) الفرزدق هو أبو فراس همام بن غالب التميمي الدامي أحد غول الشعراء الأمويين . نشأ بالبصرة والبادية يروى الشعر ويمازج حتى نبغ فيه ، واتصل بولاية العراق يمدحهم ويهجوهم ، ورحل الى دمشق يمدح الخلفاء وينال جوائزهم . وله مع جرير نقائض تعد وثيقة تاريخية لمصرهما ولكثير من أيام العرب وأحوالهم في الجاهلية والإسلام . ويمتاز شعر الفرزدق بخشونة الألفاظ ووعورة المعاني والميل الى الفخر في هجائه والفحش في غزله وقد مات سنة ١١٩ هـ .

(٢) ابن المراغة : جرير . خبر الهجاء : متعلق إذا . أى حاصل وذائع إذا ... الخ أعناقه : جماعته أى يكون إذا تناشده القوم بعضهم على بعض . تماحك : تخاصم وتمازى .

(٣) تغلب من ربيعة : قوم الأخطل . العنان بالكسر : سير اللجام ، وبالفتح : الجانب وهو الأنسب هنا .

(٤) أى المهذيل بن هبيرة . الطمرة : الفرس الطويلة السريعة . الدهماء : السوداء . مقربة أى قريبة اليهم لكرمها ومصرعتها يعمدون اليها حين الفرز .

(٥) الصهيل : صوت الخيل . الإرنان : التصويت . البوائن : الآبار المفرد بيون وهى البئر التى يصيب حبلها نواحيها . الأشطان جمع شطن : الحبل . يقول : كأنها تصل من آبار بوائن لسعة أجوافها ومعنى يصهلن بالنظر البعيد أنها تصل إذا رأت شبحا من بعد لحدة نظرها ونشاطها .

(٦) كل مدى : كل غاية بعيدة . غوله : بعده . الخبيب للفرس : عدو فيه يقوم على رجله تارة وعلى يديه أخرى . الأرسان جمع رسن : الخيل ، يشبه الخيل بالسباع فى العدو .

- وَكأنَّ رَاياتِ الْهُذَيْلِ إِذَا بَدَتْ فَوْقَ الْخَيْسِ كَوَاسِرُ الْعِقبَانِ (١)
 وَرَدُّوا إِرَابَ بِمَحْفَلٍ مِنْ وَائِلٍ لِحَبِّ الْعِشَى ضُبَارِمِ الْأَرْكَانِ (٢)
 وَيَبِيتُ فِيهِ مِنَ الْخَافَةِ عَائِذَا أَلْفٌ عَلَيْهِ قَوَانِسُ الْأَبْدَانِ (٣)
 تَرَكُّوا لَتَغْلِبَ إِذْ رَأَوْا أَرْمَاحَهُمْ بِإِرَابِ كُلِّ لَيْمِيَّةٍ مِدرَانِ (٤)
 تَدْمِي — وَتَغْلِبُ يَمْنَعُونَ بَنَاتِهِمْ — أَقْدَامُهُنَّ حَجَارَةُ الصَّوَّانِ (٥)
 يَمْشِينَ فِي أَثَرِ الْهُذَيْلِ وَتَارَةً يَرْدَفُنَّ خَلْفَ أَوَانِحِ الرِّكْبَانِ (٦)
 لَوْلَا أَنَاتُهُمْ وَفَضْلُ حُلُومِهِمْ بَاعُوا أَبَاكَ بِأَوْكَيْسِ الْأَثْمَانِ (٧)
 وَالْحَوْفَزَانُ أَمِيرُهُمْ مُتَضَائِلٌ فِي جَمْعٍ تَغْلِبَ ضَارِبُ بَجْرَانِ (٨)

(١) الخيس : الجيش الضخم . كواسر العقبان : أى المنقضة من العقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح وهذا وصف لاسراع الخيل .

(٢) إراب : موضع ، وهو يوم بين بنى يربوع وبكر بن وائل يقودهم الهذيل هذا . الجحفل : الجيش الكثير الخيل . لجب العشى : كثير الأصوات بالعشى وقت النزول للعلف فالأصوات كثيرة . الضبارم : الغليظ . الأركان : النواحي ، فأركان هذا الجيش شديدة ضخمة .

(٣) عائذا : محتما . القوانس : أعلى البيض من الحديد ، المفرد : قونس . الأبدان : الدروع غير السوابغ . يقول : يناد بهذا الجيش جيش فيه ألف مسلحون .

(٤) مدران : كثيرة الوسخ . أى خلوا نساءهم وهربوا .

(٥) تدمي : تسيل دمها ، والفاعل حجارة ، وأقدامهن مفعوله . وذلك لأنهن يسقن حفاة .

(٦) يردفن : الردف الراكب خلف الراكب .

(٧) أوكس : أبجس .

(٨) يظهر معنى هذا البيت من أن الهذيل غزا بلاد سعد في تغلب وكذلك غزاها الحوفزان في بكر

ابن وائل فلما التقى الجيشان سار الحوفزان تحت لواء الهذيل . متضائل : متصاغر . الجران : مقدم عتق البعير ، وضرب بجرانه : برك .

أَحْبَبَنَ تَغْلِبَ إِذْ هَبَطَنَ بِإِلَادِهِمْ لَمَّا سَمِعَ وَكُنَّ غَيْرَ سَمَانٍ
يَمْشِينَ بِالْفَضَلَاتِ وَسَطَ شُرُوبِهِمْ يَتَّبَعْنَ كُلَّ عَقِيرَةٍ وَدُخَانٍ (١)
يَتَّبَاعُونَ إِذَا انْتَشَوْا بِبَنَاتِكُمْ عِنْدَ الْإِيَابِ بِأَوَكِيسِ الْأَثْمَانِ (٢)
وَأَسْأَلُ بِتَغْلِبَ كَيْفَ كَانَ قَدِيمُهَا وَقَدِيمُ قَوْمِكَ أَوَّلَ الْأَزْمَانِ
قَوْمٌ هُمُ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنُودَ عَمْرًا، وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى النُّعْمَانِ (٣)
قَتَلُوا الصَّنَائِعَ وَالْمُلُوكَ، وَأَوْقَدُوا نَارَيْنِ قَدْ عَلَتَا عَلَى النَّيْرَانِ (٤)
لَوْلَا فَوَارِسُ تَغْلِبَ ابْنَةِ وَائِلٍ نَزَلَ الْعَدُوُّ عَلَيْكَ كُلَّ مَكَانٍ
حَبَسُوا ابْنَ قَيْصَرَ وَابْتَنَوْا بِرِمَاحِهِمْ يَوْمَ الْكَلَابِ كَأَكْرَمِ الْبُنْيَانِ (٥)
إِنَّ الْأَرَاقِمَ لَنْ يَنَالَ قَدِيمُهَا كَلْبٌ عَوَى مُتَهَمٌ الْأَسْنَانِ (٦)
قَوْمٌ إِذَا وَزَنُوا بِقَوْمٍ فَضَّلُوا مِثْلَى مُوَازِينِهِمْ عَلَى الْمِيزَانِ

- (١) الفضلات : الخمر أى يسقين الرجال ويخدمهم . الشروب : القوم يشربون الخمر . يتبعن كل عقيمة : يتسمعن الغناء . دخان أى موضع الطبخ والشواء .
- (٢) انتشوا : سكروا .
- (٣) ابن هند عمرو بن هند : ملك الحيرة . يروون أن عمرو بن كلثوم التغلبي قتله في قصة مشهورة . قسطوا : جاروا . النعمان بن المنذر من ملوك الحيرة أيضا .
- (٤) صنائع الملوك : أنصارهم ، المفرد صنيعه . أوقدوا نارين : اشارة الى يوم نرازي لتغلب على كندة وعلى بكر بن وائل .

(٥) يوم الكلاب الأول حيث قتلوا شرخيل بن الحرث الكندي غم امرئ القيس .

(٦) الأراقم : حى من تغلب . متهم متكسر والمراد بالكلب جرير الذى يهجوهم .

وقال يمدح سعيد بن العاص بالمدينة وقد فر اليه لما طلبه زياد بالعراق بسبب

هجو الشائع :

وَكُورِمُ تَنْعِمُ الْأَضْيَافَ عَيْنًا وَتُصْبِحُ فِي مَبَارِكِهَا ثَقَالًا (١)
حُوسَاتِ الْعِشَاءِ خُبْعُنَاتٍ إِذَا النُّجَبَاءُ رَاوَحَتِ الشَّمَالَ (٢)
كَانَ فِصَالَهَا حَبَشُ جَعَادٍ تَحَالُ عَلَى مَبَارِكِهَا جُفَالًا (٣)
لَا كَلَفَ أُمُّهُ دَهْمَاءُ مِنْهَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ جَلَدٍ جَلَالًا (٤)
أَرَقْتُ فَلَمْ أَنْمَ لَيْلًا طَوِيلًا أَرَأَيْتَ هَلْ أَرَى النَّسْرَيْنِ زَالًا (٥)
فَأَرَقْنِي نَوَائِبُ مِنَ الْهُمُومِ عَلَى ، وَلَمْ يَكُنْ أَمْرِي عِيَالًا (٦)
وَكَانَ قَرَى الْهُمُومِ إِذَا اعْتَرَنِي زَمَاعًا لَا أُرِيدُ بِهِ بَدَالًا (٧)

(١) الكوم : الجمال ذات السنام الضخم ، الواحد أ كوم . تنعم : تقرو تسر . المبارك : جمع مبارك موضع البروك . ثقالا : ضخاما . كورم مبتدا بعد واورب ، خبره محذوف أى لهذا المدوح .

(٢) الحواسات بضم الحاء : الإبل المجتمعة والكثيرة الأكل . خبعنات : ضخام شديدا ، المفرد خبعنة . النجباء : ریح انحرفت عن مهاب الرياح . راوحت : عارضت . الشمال : ریح تهب ما بين مطلع الشمس وبنات نعل .

(٣) الفصال ، جمع فصيل : ولد الناقة اذا فصل عنها . الجعاد جمع جعد : عكس المسترسل (٤) الأكلف : الفحل المائل الى السواد . دهماء : سوداء الجلد : جلد البو . الجلال جمع جل : وهو لدابة كالثوب للإنسان .

(٥) أرقط : سهرت . النسران : كوكبان . يقال لأحدهما النسر الطائر ، وللآخر النسر الواقع يقول : أرى هل زال فيطلع الصباح ، وذلك بسبب همه .

(٦) أرقنى : أسهرنى . النوائب المصائب المفرد نائبة . عيالا جمع عيل ، أى ليس همى بسبب لبنائى الذين أعولهم .

(٧) قرى : اكرام . الزماع : المضاء والعزم . بدال : عوض .

- فَعَادَلْتُ الْمَسَالِكَ نَصَفَ حَوْلٍ وَحَوْلًا بَعْدَهُ حَتَّى أَحَالَ (١)
 فَقَالَ لِي الَّذِي يَعْنِيهِ شَأْنِي نَصِيحَةَ قَوْلِهِ سِرًّا وَقَالَا : (٢)
 عَلَيْكَ بَنِي أُمَيَّةَ ، فَاسْتَجِرْهُمْ وَخُذْ مِنْهُمْ لِمَا تَخْشَى حَبَالًا (٣)
 فَإِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ فِي قُرَيْشٍ بَنَوْا لِبُيُوتِهِمْ عَمَدًا طَوَالًا (٤)
 فَرَوَحْتُ الْقُلُوصَ إِلَى سَعِيدٍ إِذَا مَا الشَّاءَ فِي الْأُرْطَاةِ قَالَا (٥)
 تَتَخَطَّى الْحَرَّةَ الرَّجُلَاءُ لَيْلًا وَتَقَطَّعُ فِي مَخَارِمِهَا نِعَالًا (٦)
 حَلَفْتُ بِمَنْ أَتَى كَفَنِي حِرَاءٍ وَمَنْ وَافَى بِحُجَّتِهِ إِلَّا لَا (٧)
 إِذَا رَفَعُوا سَمِعْتَ لَهُمْ عَجِيجًا عَجِيجَ مُحَلٍّ نَعْمًا نِيَالًا (٨)
 وَمَنْ سَمَكَ السَّمَاءَ لَهُ فَقَامَتْ وَتَخَّرَ لَا بَيْنَ دَاوُدَ الشَّمَالَا (٩)

- (١) عادلت الخ : وازنت بين المسالك لا أدري لأيها أصير . أحال : انقضى الحول .
 (٢) يعنيه : يهيمه . شأني : أمري وحالي .
 (٢) عليك بني أمية : اقصدهم ، وسعيد بن العاص أموي . استجرتهم : استغث بهم . حبال جمع جبل : العهد والذمة .
 (٤) العمدة : جمع عمود ما يقوم عليه البيت ، والمراد أنهم بنوا مجدا وشرقا .
 (٥) روجت : سقت . القلوص من الإبل : الطويلة القوائم . الأرطاة : شجرة مرة تأكلها الإبل فضة . قال : نام في منتصف النهار . يعني شدة الحر .
 (٦) الحررة : الأرض ذات حجارة نخرة كأنها أحرقت بالنار . الرجلاء الخشنه يترجل فيها أو الكثرة الحجارة .
 المخارم : الطرق ، المقرد محرم . النعل هنا : طبق من جلد يوق به الخلف ، يصف وعورة الطريق .
 (٧) الكف : الظل أو الجانب . حراء : غار خارج مكة كان يلجئ فيه رسول الله ويتعبد قبل الرسالة ، وفيه نزل عليه الوحي لأول مرة . إلال : جبل يعرفات حيث يقف الحاج . والمعنى أنه الذي ظهر ظل دينه في مكة . يحلف بالنبي وبالحجيج .
 (٨) أي رفعوا أيديهم وأصواتهم بالتلبية . العجيج : رفع الصوت والصياح . المحلى هنا : مانع الإبل عن الماء . النعم : الإبل . النبال : العطاش ، واحدها : ناهل يشبه صوت الحاج بصوت المحلى ... الخ .
 (٩) سمك : رفع . ابن داود : هو سيدنا سليمان . الشمال : الريح . يشير إلى معجزة سليمان ونسخ الريح له . والشاعر يقسم بالله كما أقسم قبل بالرسول .

- وَمَنْ نَجَّى مِنَ الْغَمَرَاتِ نُوحًا وَأَرَسَى فِي مَوَاضِعِهَا الْجَبَالَ (١)
لَنْ عَافَيْتَنِي وَنَظَرْتَ حِلْمِي لَأَعْتَنَنَّ إِنِ الْحَدَثَانِ آلَا (٢)
إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنْكَ وَمِنْ زِيَادٍ وَلَمْ أَحْسَبْ دَمِي لَكُمْ حَلَالًا (٣)
وَأَكْنَى هَجُوتُ ، وَقَدْ هَجَّيْتَنِي مَعَاشِرُ قَدْ رَضَخْتُ لَهُمْ سِجَالًا (٤)
فَإِنْ يَكُنِ الْهَجَاءُ أَحَلَّ قَتْلِي فَقَدْ قُلْنَا لِشَاعِرِهِمْ وَقَالَ (٥)
وَإِنْ تَكُ فِي الْهَجَاءِ تُرِيدُ قَتْلِي فَلَمْ تُدْرِكْ لِمَتَّصِرٍ مَقَالًا (٦)
نَرَى الشَّمَّ الْجَحَاجِ مِنْ قُرَيْشٍ إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ عَالَا (٧)
بَنَى عَمَّ النَّبَى وَرَهْطَ عَمْرٍو وَعُثْمَانَ الَّذِينَ عَلَوْا فَعَالَا (٨)
قِيَامًا يَنْظُرُونَ إِلَى سَعِيدٍ كَأَنَّهُمْ يُرَوْنَ بِهِ هِلَالًا (٩)
خَمْرُوبٌ لِلْقَوَانِسِ غَيْرُ هَدٍّ إِذَا خَطَرَتْ مُسَوِّمَةٌ رَعَالًا (١٠)

- (١) الغمرات : جمع غمرة معظم البحر . نوح الرسول وفي عهده كان الطوفان .
(٢) عافيتني : دفعت عني البلاء والسوء وكان الشاعر فارا من زياد حاكم العراق . نظرت حلمي : راعيت عقلي وأناقي . اعتنن : اشتد وقوى . الحدثنان النواصب . آل : رجع .
(٣) زياد بن أبيه : والى العراق ، وقد طلب الفرزدق حين رفع أمره إليه لشدة هجائه ، ولكن الشاعر فر إلى سعيد هذا .
(٤) رَضَخْتُ لَهُمْ : أعطيتهم قليلا من هجائي . السجال جمع سجل : الدلو العظيمة . وقال الحرب بينهم بسجال أي تارة لهم وتارة عليهم .
(٥) قُلْنَا لِشَاعِرِهِمْ وَقَالَ أَيُّ تَهَاجِينَا ، فلم أقتل أنا دونه ؟
(٦) فِي الْهَجَاءِ أَي بِسَبِّهِ . ومعنى الشطر الثاني : فلم تسمع مقال المستجير . المتصير : المستظهر على عدوه .
(٧) الشَّمَّ جمع أشم وهو السيد العزيز . الجحاج جمع جهجج : السيد . عال : اشتد وتفاقم .
(٨) الرهط : قوم الرجل . الفعال : الفعل الحسن .
(٩) قِيَامًا : حال من مفعول نرى في البيت الذي قبل السابق ومعنى يرون به يرونه فالباء للتجريد .
(١٠) القوانس : أعلى البيض من الحديد ، المفرد قونس . الهد : الرجل الضعيف . المسومة : الخيل المعلة لكرمها . الرعال : جمع رعلة : القطعة من الخيل . يصفه بالشجاعة والإقدام .

وقال يهجو جريرا :

- إِنِّى الَّذِى سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
بَيْتًا بَنَاهُ لَنَا الْمَلِكُ ، وَمَا بَنَى
بَيْتًا زُرَّارَةً مُحْتَبٍ يَفْنَاهُ
يَلْجُونَ بَيْتَ مُجَاشِعٍ وَإِذَا احْتَبَوْا
لَا يَحْتَبِي يَفْنَاهُ بَيْتَكَ مِثْلَهُمْ
مِنْ عِزِّهِمْ وَحَجَرَتْ كَلْبٌ بَيْتَهَا
ضَرَبَتْ عَلَيْكَ الْعَنْكَبُوتُ بَنَسْجَهَا ،
أَيْنَ الَّذِينَ بِهِمْ تُسَامَى دَارِمًا
يَمْشُونَ فِي حَلْقِ الْحَدِيدِ كَمَا مَشَتْ
وَالْمَانِعُونَ إِذَا النَّسَاءُ تَرَادَفَتْ
- بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ (١)
حَكَمُ السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ (٢)
وَمُجَاشِعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ (٣)
بَرَزُوا كَأَنَّهُمْ الْجِبَالُ الْمُثَلُّ (٤)
أَبَدًا إِذَا عَدَّ الْفَعَالُ الْأَفْضَلُ (٥)
زَرْبًا كَأَنَّهُمْ لَدَيْهِ الْقُمَّلُ (٦)
وَقَضَى عَلَيْكَ بِهِ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ (٧)
أَمْ مَنْ إِلَى سَلَفِي طَهِيَّةٌ تَجْعَلُ (٨)
جَرْبُ الْجَمَالِ بِهَا الْكُحَيْلُ الْمُشْعَلُ (٩)
حَذَرَ السَّبَاءِ بِجَاهِلَا لَا تُرْجَلُ (١٠)

(١) سمك : رفع . الدعائم : جمع دعامة وهى عمود البيت . أعز : أقوى .

(٢) الملك : الله جل جلاله . حكم السماء : أى القوى المقنن . لا ينقل : لا يزول . يرد

بيت شرف وعز .

(٣) زرارة ومجاشع ونهشل : أولاد دارم جد عشيرة الفرزدق يفخر بهم على جرير .

(٤) يلجون : يدخلون . احتبوا : اشمئوا بالثوب . المثل : الراسيات ، جمع مائل .

(٥) فناء البيت : الساحة أمامه . الفعّال بفتح الفاء : الفعل الحسن والخطاب لجرير ، أى ليس

لك رجال أشرف كهؤلاء المعدودين تفاخرى بهم .

(٦) كلب : قوم جرير . حجرت : دخلت زربا كأنه الحجر . الزرب : حفرة تتخذ لحبس الجداء .

القمل : جمع قلة ، كالجرادة وأقل منها

(٧) يعنى أن بيت جرير فى الوهن والذل كبيت العنكبوت . والشطر الثانى إشارة إلى الآية الكريمة

”وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت“ .

(٨) تسامى : تفاخر . طهيسة : أم جماعة من قوم الفرزدق يفخر بهم على جرير . تجعل هنا :

معناها تقرن بهم وتباهى .

(٩) الحلق : جمع حلقة وهى الدرع . جرب الجمال : أى الجمال المصابة بداء الجرب . الكحيل :

القطران . المشعل : الكثير . يشبه الرجال فى عظمتهم ولون الحديد عليهم بالجمال المهنوء بالقطران

(١٠) ترادفت : ركب بعضهن خلف بعض . السباء : الأسرى فى الغارات . لا ترجل : لا توضع على

الرجال للعجلة . يقول : إن قومي يمنعون حرمهم إذا كانت الغارات وفرعت النساء فركبت الجمال أعزاه .

- يَجْمِي إِذَا اخْتَرَطَ السُّيُوفُ نِسَاءَنَا ضَرْبٌ تَخْرُلُهُ السَّوَادُ أَرْعُلُ (١)
- وَمَعْصَبٌ بِالسَّاجِ يَخْفِقُ فَوْقَهُ نَحْرُ الْمَلُوكِ لَهُ نَحِيسٌ جَحْفَلُ (٢)
- مَلِكٌ تَسُوقُ لَهُ الرِّمَاحُ أَكْفَنًا مِنْهُ تَعْلُ صُدُورُهُنَّ وَتَهْلُ (٣)
- قَدْ مَاتَ فِي أَسْلَاتِنَا أَوْ عَضَّه عَضْبٌ بِرَوْنَقِهِ الْمَلُوكُ تَقْتُلُ (٤)
- وَلَنَا قَرَّاسِيَّةٌ تَظَلُّ خَوَاضِعًا مِنْهُ مَخَافَتُهُ الْقُرُومُ الْبَزَلُ (٥)
- مُتَخَمِّطٌ قَطِمَ لَهُ عَادِيَّةٌ فِيهَا الْفَرَاقِدُ وَالسَّمَاءُ الْأَعَزَلُ (٦)
- ضَخْمُ الْمَنَاكِبِ تَحْتَ شَجَرِ شُثُونِهِ نَابٌ إِذَا ضَغَمَ الْفُحُولَةُ مِقْصَلُ (٧)
- وَإِذَا دَعَوْتُ بَنِي فَقِيهِمْ جَاءَنِي مَجْرَلُهُ الْعَدَدُ الَّذِي لَا يُعْدَلُ (٨)

(١) اخترط : سل . تخر : تسقط . أرعل : مسترخ مائل وهو صفة لضرب . وإنما يريد أنه يحيل ما قطع فيسترخي .

(٢) معصب : متوج ، والوار واورب . وما بعدها : مبتدأ ، وقد مات : خبره — يعني حسان وقابوس ابني المنذر . نحر الملوك : الرايات . النحيس : الجيش الضخم . الجحفل : الكثير الخيل .

(٣) منه : أى من الملك — تعل وتهل من الدم ، والإنهال : الطعن الأول ، والعلل : الطعن الثاني .

(٤) الأسلات : الرماح ، المفرد أسلة . العضب : السيف القاطع . رونقه : فرنده وجوهره .

(٥) القراسية : الضخم الغليظ من الإبل . يقول : لنا عز قدیم شبه بالفحل وهو القراسية .

القروم : جمع قرم ، وهو السيد أو الفحل الكريم . البزل : جمع بازل ، وهو الذى نبت نابه .

(٦) متخبط : متغضب فى كبر . قطم : هاجم . نادية أولية قديمة ، وأصل الفرق قد نجم يهتدى به

والسماك الأعزل يكون فى نوء المطر ، أى لنا عز وشرف عال كمكان النجوم التى لا تنال ، بعضنا يقنذى به والبعض كريم يستقى منه .

(٧) الشجر : مجتمع الخمين . الشثون : ملتقى قبائل الرأس ، الواحد شأن . ضغم : عض .

مقصل : قاطع .

(٨) فقيم من دارم : عشيرة الشاعر . الحيز : الجيش الكثير العدد — لا يعدل : ليس له عدل من

غيره أى نظير .

- وَإِذَا الرِّبَاقُ جَاءَنِي دَفَّاعُهَا (١)
هَذَا فِي عَدَوِيَّتِي جُرْثُومَةُ (٢)
وَإِذَا الْبَرَاجِمُ بِالْقُرُومِ تَخَاطَرُوا (٣)
وَإِذَا بَدَخْتُ وَرَأَيْتِي يَمْشِي بِهَا (٤)
الْأَكْثَرُونَ إِذَا يُعَدُّ حَصَاهُمْ (٥)
وَزَحَلْتُ عَنْ عَتَبِ الطَّرِيقِ وَلَمْ تَجِدْ (٦)
إِنَّ الزَّحَامَ لَغَيْرِكُمْ فَتَحِينُوا (٧)
حُلِّلَ الْمُلُوكُ لِبَاسُنَا فِي أَهْلِنَا (٨)

(١) الرباع : جمع ربيعة وهي ربيعة الكبرى والصغرى والوسطى . الدفاع : دفاع السيل حين يكثر ويمتد . شبه كثرة الرجال بالسيل حين يدفع .

(٢) العدوية : فكية بنت مالك من زيد مناة نسب إليها بنوها . الجرثومة . الأصل والتراب يجتمع في أصل الشجرة فيرتفع على ما حوله . صعب مناكبها : يعني نواحيها . نياف طويلة مشرقة . عيطل : طويلة .

(٣) البراجم في الأصل : ربوس الأشاجع التي هي أصول الأصابع ، والمراد هنا : بنو سخطلة ابن مالك ، وهم نخبة تبرزوا على سائر إخوانهم . القروم : القحول . تخاطروا كما تخطر القحول بأذانها إذا تهتد بعضها بعضا . الأغلب : الغليظ العنق .

(٤) بدخت : نفرت في كبر . والأسماء المذكورة في البيت من بني دارم .

(٥) حصاهم : عددهم . الأؤل يعني من الآباء والأجداد أو من المساعي والأفعال .

(٦) زحلت : تخبث ، وانخطاب بلرير . العتب : الغاظ في ارتفاع أي عن وضع الطريق . المنقلب : الطريق في الجبل . يقول إذا سلكتنا تخبث لنا ، وسد عليك الطريق ، فلم تدر أين تسير ، وتضع قدميك .

(٧) ورد العشي : وورد الماء ليلا . يقول إنكم لضعفكم ومهانتكم لا قبل لكم بالزحام بل تشربون من فضل غيركم .

(٨) الحلة : إزار ورداء . السابغات : الدروع . الوغى : الحرب . تشربل : تنقص . فهم

في السلم ملوك ، وفي الحرب ليوث .

- أَحْلَامُنَا تَرْتُبُ الْجِبَالَ رَزَانَةً وَتَخَالِفُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجْهَلُ (١)
فَادْفَعْ بِكَفِّكَ إِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا تَهْلَانِ ذَا الْهَضْبَاتِ، هَلْ يَتَحَلَّلُ (٢)
وَأَنَا ابْنُ حَنْظَلَةَ الْأَغَرِّ وَإِنِّي فِي آلِ ضَبَّةَ لِلْمُعِمْ الْخُيُولُ (٣)
فَرَعَانٍ قَدْ بَلَغَ السَّمَاءَ ذُرَاهُمَا وَإِلَيْهِمَا مِنْ كُلِّ خَوْفٍ يُعْقَلُ (٤)
فَلَيْنِ نَخَرْتُ بِهِمْ لِمَنْ لِقْدِيمِهِمْ أَعْلُو الْحُزُونِ بِهِ، وَلَا أَتَسَهَّلُ (٥)
زَيْدُ الْفَوَارِسِ، وَابْنُ زَيْدٍ مِنْهُمْ وَأَبُو قَيْصَةَ، وَالرَّيْسُ الْأَوَّلُ (٦)
أَوْصَى عَشِيَّةَ حِينَ فَارَقَ رَهْطَهُ عِنْدَ الشَّهَادَةِ فِي الصَّحِيفَةِ دَغْفَلُ (٧)
أَنَّ ابْنَ ضَبَّةَ كَانَ خَيْرًا وَالِدًا وَأَتَمُّ فِي حَسَبِ الْكِرَامِ وَأَفْضَلُ (٨)
يَمِّنُ يَكُونُ بَنُو كَلِيبَ رَهْطُهُ أَوْ مَنْ يَكُونُ إِلَيْهِمْ يَتَخَوَّلُ (٩)

- (١) الأحلام : جمع حلم الصبر والأناة أو العقل وضده الجهل والسفه . رزانة : وقارا .
(٢) تهلان : جبل عظيم بنجد . الهضبات : جمع هضبة الجبل الصغير . هل يتحلل : أى هل يزول ويتحرك ؟ فكذلك عزنا .
(٣) حنظلة : هو ابن مالك بن زيد من رهط الشاعر وأمه من ضبة . الأغر : المشهور بالعز والشرف .
المع الخول : الكريم الأعمام والأحوال .
(٤) ذروة كل شئ : أعلاه . يعقل : يلجأ . أى يلجأ إليهما الناس عند الخواوف
(٥) الحزون : ما غلظ من الأرض ، مفردة حزن . السهل : ماسهل ولان . إن نخره بهؤلاء . يسمو به
(٦) زيد الفوارس : هو زيد بن حصين مسمى بذلك لأنه والى بين سبعة فوارس في نأر أبيه
حصين . وابنه هو الحصين بن زيد . وأبو قيصه خوار بن عمرو منهم أيضا . والرئيس الأول لمحم بن
سويط من سعد بن ضبة .
(٧) رهط الرجل : قومه الأدنون . دغفل : هو ابن حنظلة النسابة من وائل . وهو فاعل أوصى .
(٨) بنو ضبة . رهط الشاعر لأمه . الحسب : مفاتر الآباء .
(٩) بنو كليب : رهط جرير . يتخول : من الخولة ، أى يدعيهم أحوالا . فهو في هذه الأبيات
يفضل نفسه نسبيا وحسبا على جرير .

- وَهُمْ عَلَى ابْنِ مُزَيْقِيَاءَ تَنَازَلُوا وَالخَيْلُ بَيْنَ عَجَاجَتَيْهَا الْقَسْطَلُ (١)
- وَهُمُ الَّذِينَ عَلَى الْأَمِيلِ تَدَارَكُوا نَعْمًا يُسْأَلُ إِلَى الرَّئِيسِ وَيُعْكَلُ (٢)
- وَمُحَرَّقًا صَفَدُوا إِلَيْهِ يَمِينَهُ بِصِفَادٍ مُقْتَسِرٍ أَخُوهُ مُكَبَّلُ (٣)
- مَلِكًا يَوْمَ بُزَاخَةٍ قَتَلُوهُمَا وَكِلَاهُمَا تَاجٌ عَلَيْهِ مُكَلَّلُ (٤)
- وَهُمُ الَّذِينَ عَلَوْا عُمَارَةَ ضَرْبَةٍ فَوَهَاةَ فَوْقَ شُثُونِهِ لَا تُوصَلُ (٥)
- وَهُمْ إِذَا اقْتَسِمَ الْأَكَابِرُ رَدَّهُمْ وَإِيفَ لِضْبَةٍ ، وَالرَّكَابُ تُسَلَّلُ (٦)
- جَارٌ إِذَا غَدَرَ اللَّثَامُ وَقَى بِهِ حَسْبُ وَدَعْوَةٌ مَاجِدٍ لَا يُجْدَلُ (٧)
- وَعَشِيَّةَ الْجَمَلِ الْجَلَّلِ ضَارَبُوا ضَرْبًا شُثُونُ فَرَاشِهِ تَنْزِيلُ (٨)

(١) ابن مزريقاء هو الحارث عمرو بن عامر قتله أحد بنى ضبة ، وابناء : محرق وزباد قتلها زيد الفوارس ، تنازلوا : نزلوا في ساحة القتال فضاربوا . العجاجتان : منى عجاجة : الدخان والغبار . القسطل : الغبار . والمقصود أن الغبار نثر بين الجيشين المتحاربين .

(٢) الأميل : رمل يعرض ويستطيل مسيرة يوم أو يومين ؛ وهو كذلك اسم يوم لبنى ضبة على بنى شيبان . وذلك أن بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني أغار على بنى ضبة ، فاستاق ألف بعير لما لك بن المتفق رئيس بنى ضبة ، فتداركت ضبة الخيل وردت النعم . يشل : يطرد . يعكل : يرد ويحبس .

(٣) محرق : سبق ذكره . صفدوا : جمعوا ، أي أسروه ، واستوثقوا منه . الصفاد : القيد أو الحديد الذي قيد فيه . أخوه : صاحبه أي صاحب هذا الصفاد مقتسر ومغتصب .

(٤) بزاخة : وقعة لضبة على غسان . والمملكان محرق وزباد كما سبق . مكمل : معقود فوق رأسه .

(٥) عمارة بن زياد العبسي قتله شرحاف الضبي يوم أعيار . فوها : واسعة ذات فم واسع . الشثون : ملتقى قبائل الرأس ، الواحد شأن ، ومن الشثون تجري الدموع . لا توصل : لا تلتم .

(٦) اقتسم الأكابر : أسروا وتوزعوا . والأكابر شيبان وعامر وجليحة من بنى تميم الله بن ثعلبة ، أجارهم بدر بن حراء الضبي ، فوفى لهم . تسلل : تطرد .

(٧) جار : يعني بدر بن حراء الضبي . المساجد جيرانه من بنى تميم الله الذين التجأ إليهم في إحدى السنين ، فوفوا له .

(٨) الجمل : وقعة الجمل مع السيدة عائشة وقتل من بنى ضبة كثير . الفراش : جمع فراشة كل رقيق من العظم أو الحديد . تنزيل : تنفترق .

* * *

- يَا بْنَ الْمَرَاةِ أَيْنَ خُلِّكَ إِنِّي خَالِي حَبِيشُ ذُو الْفَعَالِ الْأَفْضَلُ ^(١)
 خَالِي الَّذِي غَضَبَ الْمُلُوكَ تُقُوسَهُمْ وَإِلَيْهِ كَانَ حِبَاءُ جَفْنَةٍ يُنْقَلُ ^(٢)
 إِنَّا لَنَضْرِبُ رَأْسَ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَأَبُوكَ خَلَفَ أَتَانَهُ يَتَقَمَّلُ ^(٣)
 وَشَغِلْتَ عَنْ حَسَبِ الْكِرَامِ وَمَا بَنَوْا إِنَّ اللَّئِيمَ عَنِ الْمَكَارِمِ يُشْغَلُ ^(٤)
 إِنَّ الَّتِي فُقِّتَتْ بِهَا أَبْصَارُكُمْ وَهِيَ الَّتِي دَمَغَتْ أَبَاكَ الْفَيْصَلُ ^(٥)

وقال يصف ذئبا صادفه في أثناء سفره فأطعمه من زاده :

- وَأُطْلِسَ عَسَالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبًا دَعَوْتُ بَنَارِي مَوْهِنًا فَأَتَانِي ^(٦)
 فَلَمَّا دَنَا قُلْتُ : آدُنْ دُونَكَ ، إِنِّي وَإِيَّاكَ فِي زَادِي لِمُشْتَرِكَيْنِ ^(٧)

(١) ابن المراغة : جرير . حبش : من ضبة أسر عمرو بن الحارث الفسائي ، فجزأ نصيبه ، واشترط عليه أن يبعث إليه كل سنة بحباء حتى يموت .

(٢) الحباء : العطية ، والمراد هنا الضريبة . جفنة من آباء الغساسنة إليه ينسبون ، ويسمون آل جفنة ملوك الشام في الجاهلية .

(٣) الرأس : الرئيس . الأتان : الحمار . يتقمل : يكثر قله .

(٤) اللئيم : الدنيء . الأصل والبخل .

(٥) دمغت : أي بلغت دماغه . الفَيْصَل : مقطع الحق فيما بيننا وبينكم . وهذه القصيدة كانت تسمى الفَيْصَل .

(٦) الأطلس : أغبر اللون . عسال : مضطرب في مشيه . موهنا : نحو متصف الليل .

(٧) آدن : اقرب . دونك : أمامك .

- فَيْتُ أَقْدُ الزَّادَ بَيْنِي وَيَبْنِيهِ
عَلَى ضَوْءِ نَارٍ مَرَّةً وَدُخَانٍ (١)
- فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكْشَرُ ضَاحِكًا ،
وَقَائِمٌ سَيْفِي مِنْ يَدِي بِمَكَانٍ : (٢)
- تَعَشَّ ، فَإِنِّ وَأَنْفَتْنِي لَا تُخَوِّنِي
نَكُنْ مِثْلَ مَنْ (يَاذِبُ) يَصْطَحِبَانِ (٣)
- وَأَنْتَ أَمْرُؤُ يَا ذَبُّ وَالْغَدْرُ كُنْتُمَا
أُخْيَيْنِ كَأَنَّا أَرْضَعَا يِلْبَانِ (٤)
- وَلَوْ غَيْرَنَا نَبِهْتَ تَلْتِمِسُ الْقِرَى
أَتَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شِبَاةٍ سِنَانٍ (٥)
- وَكُلُّ رَفِيقٍ كُلِّ رَحْلٍ — وَإِنْ هُمَا
تَعَاطَى الْقَنَا قَوْمَاهُمَا — أَخَوَانِ (٦)
- فَهَلْ يَرْجِعَنَّ اللَّهُ نَفْسًا تَشْعَبَتْ
عَلَى أَثَرِ الْغَادِينَ كُلِّ مَكَانٍ (٧)
- فَأَصْبَحْتُ لَا أَدْرِي أَتَبِعُ ظَاعِنًا
أَمْ الشُّوقُ مِنِّي لِلْقَيْمِ دَعَانِي (٨)
- وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا تَوَلَّى بِشِيقَةٍ
مِنَ الْقَلْبِ فَالْعَيْنَانِ تَبْتَدِرَانِ (٩)

(١) أقد : أقطع .

(٢) تكشر : كشف عن أسنانه ، قائم السيف : مقبضه .

(٣) وأنفتني : عاهدتني .

(٤) أخيان : أخوان زويمان .

(٥) شباة سنان : طرف الرمح .

(٦) تعاطى القنا قوماهما : أى تحارب أهلها . أخوان : خبر كل .

(٧) تشعبت : توزعت فى كل مكان من الهموم . الغادون : الميتون يشير الى بنيه المتوفين .

(٨) ظاعنا : راحلا الى القبر . المقيم : الباقي على قيد الحياة — يصف اضطراب نفسه بين

الحزن والحذب .

(٩) تولى بشيقة : أخذ ناحية من قلبه ، فشغلها . تبتدران الدمع : تدمعان .

(١٢) وقال جرير يرثي^(١) زوجه خالدة بنت سعد :

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَهَا جَنَى اسْتِعْبَارُ وَلُزْتُ قَبْرَكَ ، وَالْحَبِيبُ يُزَارُ^(٢)
 وَلَقَدْ نَظَرْتُ ، وَمَا تَمَتُّعُ نَظَرَةٍ فِي اللَّحْدِ حَيْثُ تَمَكَّنَ الْأَحْفَارُ^(٣)
 وَهَمَّتْ قَلْبِي إِذْ عَلَتْنِي كَبْرَةٌ وَذَوُّو التَّمَائِمِ مِنْ بَنِيكَ صِغَارُ^(٤)
 أَرَعَى النُّجُومَ ، وَقَدْ مَضَتْ غَوْرِيَّةٌ عَصَبُ النُّجُومِ كَأَنَّهَا صَوَارُ^(٥)
 نِعَمَ الْقَرَيْنِ ، وَكُنْتُ عِلْقَ مَضْنَةٍ وَأَرَى بِنَعْفٍ بَلِيَّةَ الْأَجَارُ^(٦)
 عَمَرْتُ مُكْرَمَةَ الْمَسَاكِ ، وَفَارَقْتُ مَا مَسَّهَا صَافٍ وَلَا إِقْتَارُ^(٧)
 فَسَقَى صَدَى جَدَثٍ بِرُقَّةٍ ضَا حَكِ هَزِمَ أَجَشُّ وَدَيْمَةٌ مِندَرَارُ^(٨)

(١) ينتسب أبو حذرة جرير بن عطية بن الخطفي الى يربوع من تميم كما ينتسب الفرزدق الى دارم من تميم كذلك . وقد ولد باليمامة ونشأ في البادية بأخذ الشعر عن أسرته وغيرها ويتكسب به لدى الخلفاء والولاة حتى اشتبك مع الفرزدق في التهاجي والسباب لعوامل سياسية واجتماعية . ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ٥١٠ هـ .

(٢) استعبار : حزن ودمع .

(٣) الأحفار : جمع حفر البئر المتسعة ، وهو هنا القبر .

(٤) وهمت : حيرت من الحزن . كبرة : كبر وضعف . التمايم : جمع تيمة ، وهي العوذة تعلق

على الصبي خوف الحسد .

(٥) أرعى النجوم : أراقبها . غورية : غائبة . عصب : جماعات . الصوار : القطيع من بقر الوحش .

(٦) القرين : الزوج والصديق أي أنت . العلق : النفيس أو الجراب . المضنة : ما يضمن به .

نعف بلية : مكان قبرها .

(٧) عمرت : عاشت . المساك : الإمساك . والمراد البقاء مع زوجها . الصلاف : مجاوزة قدر

الظرف والادعاء تكبرا . إقتار : بخل .

(٨) الصدى هنا : جثمان الميت . جدث : قبر ، برقة ضاحك : موضع . والبرقة في الأصل

الأرض الغليظة . عزم سحاب راعد ، أجش : غليظ الصوت ، ديمة : مطر يدوم في سكون . مدرار :

- مُتَرَاكِمٌ زَجَلٌ يُضِيءُ وَمِضُّهُ (١)
 كَالْبُلْقَى تَحْتَ بَطُونِهَا الْأَمَّهَارُ (١)
 كَانَتْ مَكْرَمَةَ الْعَشِيرِ وَلَمْ يَكُنْ (٢)
 يَخْشَى غَوَائِلَ أُمِّ حَزْرَةَ جَارُ (٢)
 وَلَقَدْ أَرَاكَ كُسَيْتٍ أَجْمَلَ مَنْظَرِ (٣)
 وَمَعَ الْجَمَالِ مَكِينَةً وَوَقَارُ (٣)
 وَالرِّيحُ طَيِّبَةٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا (٤)
 وَالْعِرْضُ لَا دَنْسٌ وَلَا خَوَّارُ (٤)
 وَإِذَا سَرَيْتُ رَأَيْتُ نَارَكَ نَوَّرَتْ (٥)
 وَجْهَهَا أَغْرَ يَزِينُهُ الْإِسْفَارُ (٥)
 صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُخَيَّرُوا (٦)
 وَالصَّالِحُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ (٦)
 وَعَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ رَبِّكَ كُلِّهَا (٧)
 نَصَبَ الْجَجِيجِ مُلَبِّدِينَ وَغَارُوا (٧)
 يَا نَظْرَةً لَكَ يَوْمَ هَاجَتْ عَبْرَةٌ (٨)
 مِنْ أُمِّ حَزْرَةَ بِالثَّمِيرَةِ دَارُ (٨)
 تُحْيِي الرِّوَامِسَ رَبْعَهَا فَتُجِدُّهُ (٩)
 بَعْدَ الْيَلَى، وَثُمَّتُهُ الْأَمْطَارُ (٩)
 وَكَانَتْ مَتَرَلَةً لَهَا يُجْلَاجِلِ (١٠)
 وَحَى الزَّبُورِ مُجِدُّهُ الْأَحْبَارُ (١٠)

(١) زجل : رفع صوته . البلق : جمع أبلق فرس في لونه سواد وبياض . أمهار : جمع مهر .

(٢) الغوائل : مفردة غائلة وهي الشر والفساد والداهية .

(٣) الوقار : الزناة .

(٤) خوار : مريب .

(٥) سریت : مرت ليلا . أغر : حسن له غرة . الإسفار : كشف الوجه .

(٦) الأبرار : جمع بار الصالح أو كثير الإحسان .

(٧) نصب : جد وتعيب . الججيج : جمع حاج . ملبدین : محرمين ومتخذين صفحا ليتبد شعهم .

غاروا : نزلوا الغور .

(٨) عبرة : دمة . الثميرة : جبل أو هضبة بين نجد والبصرة .

(٩) الروامس : الرياح الدوافع للآثار . الربيع : الدار . نجد : تجدد .

(١٠) جلاجل : موضع أو جبل بالدهناء . الوحي : المكتوب أو الرسالة . الزبور : الكتاب ،

وغلّب على مزامير دارد . الأحبار : جمع حبر : العالم الصالح والرئيس الديني .

لا تُكْثِرَنَّ إِذَا جَعَلْتَ تَلُومُنِي لَا يَذْهَبَنَّ بِحِلْمِكَ الْإِكْثَارُ (١)
كَانَ الْخَلِيطُ هُمَّ الْخَلِيطِ فَأَصْبَحُوا مُتَبَدِّلِينَ وَبِالدِّيَارِ دِيَارُ (٢)
لَا يُلَبِثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكُرُّ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ (٣)

وقال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته السالفة التي مطلعها

إن الذي سمك السماء :

لَمِنَ الدِّيَارِ كَأَنَّهَا لَمْ تُحْلَلِ بَيْنَ الْكَيْسِ وَبَيْنَ طَلْحِ الْأَعْزَلِ (٤)
وَلَقَدْ أَرَى بِكَ، وَالْحَدِيدُ إِلَى يَلَى، مَوْتَ الْهَوَى وَشِفَاءَ عَيْنِ الْمُجْتَلِ (٥)
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِمِثْلِ عَيْنِي مُغْزِلِ قَطَعْتَ حِبَالَهَا بِأَعْلَى يَلِيلِ (٦)
وَإِذَا التَّمَسْتَ نَوَاهَا بَخِلْتُ بِهِ وَإِذَا عَرَضْتَ بِوُدِّهَا لَمْ تَجْهَلِ
وَلَقَدْ ذَكَّرْتُكَ، وَالْمِطِيُّ خَوَاضِعُ، وَكَأَنَّكَ قَطَا فَلَاحِةً مَجْهَلِ (٧)

(١) الحلم : الصبر والأناة والعقل .

(٢) الخليط : الصحاب . متبدلين : متغيرين . وبالديار الخ مسافرين الى ديار أخرى .

(٣) لا يلبث ... لا يمهلهم حتى يفرقهم . القرناء : جمع قرين العشير أو المصاحب .

(٤) الكئاس : موضع من بلاد غنى . طلح : شجر . الأعزل : واد لكليب . كأنها لم تحلل :
أى قد درست كأنها لم تكن مسكونة .

(٥) المجتلى : الناظر ، أى تجابك فكان الهوى مستترا ، فلما تفرقنا ظهرت آثاره بسبب الفراق .

(٦) المغزل : طيبة ذات غزال . حباتها : مصيدها . يليل : موضع قرب وادى الصفراء
بين الحرمين .

(٧) خواضع : مجدة فى السير . قطا : طير . فلاة : صحراء واسعة مجهل : مفازة لا يهتدى فيها .

- يَسْقِينِ بِالْأَدْمَى فِرَاحَ تَنُوفَةٍ زُغْبًا حَوَاجِبُهُنَّ حُمَرَ الْحَوَصِلِ (١)
- يَا أُمَّ نَاجِيَةَ ! السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ! قَبْلَ الرُّوَاكِ وَقَبْلَ عَذْلِ الْعُدْلِ (٢)
- وَإِذَا غَدَوْتَ فَبَاكَرْتُكَ تَحِيَّةً مَبَقَّتْ سُرُوحَ الشَّاحِجَاتِ الْجُجَلِ (٣)
- لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ آخِرَ عَهْدِكُمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلِ (٤)
- أَوْ كُنْتُ أَرْهَبُ وَشَكَّ بَيْنَ عَاجِلِ لَقِينْتُ أَوْ لَسَّالْتُ مَا لَمْ يُسَالِ (٥)
- أَعَدَدْتُ لِلشُّعْرَاءِ سَمًّا نَاقِعًا فَسَقَيْتُ آخِرَهُمْ بِكَأْسِ الْأَوَّلِ (٦)
- لَمَّا وَضَعْتُ عَلَى الْفَرَزْدَقِ مِيسَمًا وَضَعًا الْبَعِيثُ جَدَعْتُ أَنْفَ الْأَخْطَلِ (٧)
- أَخْرَى الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ مُجَاشِعًا وَبَنَى بِنَاءَكَ فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ (٨)
- بَتًّا يَحْمَمُ قَيْنَكُمْ بِفِنَائِهِ دَنَسًا مَقَاعِدُهُ خَيْثَ الْمَدْخَلِ (٩)
- وَلَقَدْ بَنَيْتُ أَخْسَ بَيْتٍ يُبْتَنِي فَهَدَمْتُ بَيْتَكُمْ يَمْنَلِي يَذْبُلُ (١٠)

(١) الأدمى : موضع . تنوفة : بركة لا ماء فيها ولا أنيس . زغبا : قليلة الريش . والحوصل أول ما يبدو من الشعر أو الريش .

(٢) الرواح : الذهاب عشية . وربما كان الأولى يا آل ناجية .

(٣) الشاحجات : الغربان تشجع في صباحها . الججل : تحجل في مشيها .

(٤) عهدكم : لقائكم .

(٥) وشك : قرب . قنعت بالقليل من الود دون الطمع ويعد الأمل الذي قضى عليه الفراق .

(٦) ناقعا : قاتلا (هجا مرا) .

(٧) الميسم : المكوى ، يريد الشعر . ضعا : تذلل . جدع الأنف : قطعه .

(٨) سمك : رفع . مجاشع : قوم الفرزدق . الحضيض : أسفل الجبل .

(٩) يحمم : يذخن فيه فيسوده . القين : الحداد ، يرى الفرزدق بأن قومه حدادون .

(١٠) يذبُل : جبل مشهور بجبل يشبه به مجده .

- أَتَى بَنَى لِي فِي الْمَكَارِمِ أَوَّلِي وَتَفَخَّتْ كِيرَكَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ (١)
- أَعْيَنَكَ مَأْتَرَةَ الْقِيُونِ مُجَاشِع فَانْظُرْ لَعَلَّكَ تَدْعِي مِنْ نَهْشَلِ (٢)
- وَأَمْدَحَ سَرَاةَ بَنِي فُقَيْمٍ إِنَّهُمْ قَتَلُوا أَبَاكَ وَثَأْرُهُ لَمْ يُقْتَلِ (٣)
- وَدَعِ الْبَرَاجِمَ إِنْ شَرِبَكَ فِيهِمْ مَرُّ مَذَاقَتِهِ كَطَعِمِ الْحَنْظَلِ (٤)
- إِنِّي أَنْصَبْتُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى اخْتَطَفْتُكَ يَا فَرَزْدُقُ مِنْ عَلِي (٥)
- مِنْ بَعْدِ صَعَكَّتِي الْبَيْعِثَ كَأَنَّهُ نَحْرَبُ تَنْفَجَ مِنْ حِذَارِ الْأَجْدَلِ (٦)
- وَلَقَدْ وَسَمْتُكَ يَا بَعِيثُ بِمِيسَمِي وَضَعَا الْفَرَزْدُقُ تَحْتَ حَدِّ الْكَلْكَلِ (٧)
- أَتَى إِلَى جَبَلِي تَمِيمَ مَعْقِلِي وَمَحَلُّ بَيْتِي فِي الْيَفَاعِ الْأَطْوَلِ (٨)
- أَحْلَامُنَا تَزِينُ الْجِبَالَ رَزَانَةً وَيَفُوقُ جَاهِلُنَا فِعَالَ الْجُهْلِ (٩)
- فَارْجِعْ إِلَى حَكَمَى قُرَيْشٍ ؛ إِنَّهُمْ أَهْلُ النَّبُوءَةِ وَالْكِتَابِ الْمُتَزَلِّ (١٠)

- (١) أَوَّلِي : آبَائِي . (٢) مَأْتَرَةُ : مَكْرَمَةٌ ، أَمِي لَا تَفْرُكُ فِي مُجَاشِع . تَدْعِي : تَغْسِبُ .
نَهْشَلُ وَمُجَاشِعُ : أَخْوَانُ مِنْ تَمِيمِ .
- (٣) مَرَاةٌ : جَمْعُ مَرَى وَهُوَ الشَّرِيفُ . بَنُو فُقَيْمٍ : مِنْ دَارِمٍ ، النَّارُ : الْقَاتِلُ ، وَكَانَ ذِكْرَانُ
الْفُقَيْمِيِّ سَبَبَ مَوْتِ أَبِي الْفَرَزْدُقِ ، وَقَدْ عَقَرَ بَعِيرِي أُمَّهُ وَأَخْتَهُ جَعْنَى فِي قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ .
- (٤) الْبَرَاجِمُ : قَوْمٌ مِنْ أَوْلَادِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكٍ كَمَا سَبَقَ . الشَّرْبُ : هُنَا الْحِظُّ وَالنَّصِيبُ .
- (٥) عَلٍ : أَعْلَى .
- (٦) الصَّكُّ : الضَّرْبُ الشَّدِيدُ . الْخَرْبُ : ذِكْرُ الْخَبَارِ طَائِرُ كَالِدِيكَ . تَنْفَجُ : نَفْسُ رِيثِهِ
خَوْفًا . الْأَجْدَلُ : الصَّقَرُ .
- (٧) الْكَلْكَلُ : الصَّدْرُ . الْحَدُّ : الصَّلَابَةُ .
- (٨) الْمَعْقِلُ : الْمَلْجَأُ أَوِ الْجَبَلُ الْمُرْتَفِعُ ، وَالْمَرَادُ الشَّرْفُ . الْيَفَاعُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ .
- (٩) الْجَاهِلُ : السَّفِيهُ .
- (١٠) حَكَمَى قُرَيْشٍ : هَاهُنَا وَعِيدُ مَنْافٍ .

- فَاسْأَلْ إِذَا خَرَجَ الْخِدَامُ وَأُحِشَتْ (١)
وَالْحِلَّ تَنْحِطُ بِالْكَاةِ ، وَقَدْ رَأَوْا
أَبْنَوْ طُهْيَةَ يَعْدِلُونَ فَوَارِسِي
وَإِذَا غَضِبْتُ رَمَى وَرَائِي بِالْحَصَى
عَمَرُو وَسَعْدُ يَا فَرَزْدُقُ فِيهِمْ
كَانَ الْفَرَزْدُقُ إِذْ يَعُودُ بِحَالِهِ
وَأَخْفَرُ يَضْبَةُ إِنَّ أَمَّكَ مِنْهُمْ
وَقَضَتْ لَنَا مُضَرٌّ عَلَيْكَ بِفَضْلِنَا
إِنْ الذِّى سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا
أُبْلَغُ بَنَى وَقَبَانٌ أَنَّ حُلُومَهُمْ
- حَرْبٌ تُضَرَّمُ كَالْحَرِيقِ الْمُشْتَعِلِ (١)
لَمَعَ الرِّيْثَةِ فِي النَّيَافِ الْعَيْطَلِ (٢)
وَبُنُو خَضَافٍ ، وَذَاكَ مَا لَمْ يُعَدِّلِ (٣)
أَبْنَاءُ جَنْدَلَتِي نَكِيرُ الْجَنْدَلِ (٤)
زُهْرُ النُّجُومِ وَبَازِيخَاتُ الْأَجْبَلِ (٥)
مِثْلُ الذَّلِيلِ يَعُودُ تَحْتَ الْقَرْمَلِ (٦)
لَيْسَ ابْنُ ضَبَّةٍ بِالْمُعَمِّ الْمُخَوَّلِ (٧)
وَقَضَتْ رَبِيعَةً بِالْقَضَاءِ الْقَيْصَلِ (٨)
عِزًّا عَلَاكَ فَمَا لَهُ مِنْ مَتَقَلِ (٩)
خَفَّتْ ، فَلَا يَزُونُ حَبَّةَ نَحْدَلِ (١٠)

- (١) الخدام : الفرسان المحجل ، يعنى فى الغارة . أحشيت : أوقدت . تضرم : تشتعل .
(٢) تنحط : تصوت من الإعياء والتعب . الكاكة : جمع كى : المدجج بالسلاح . الريثة : طليعة الجيش . النياف : الطويل من الإبل . العيطل : الطويل العنق .
(٣) طهية : أم جماعة من تميم مجاشع ونهشل ودارم . خضاف : هم بنو مجاشع .
(٤) الحصى : العدد الكثير . جندلة : بنت تميم الأدرم ، وهى أم يربوع فوم جرير .
(٥) عمرو وسعد : حليفا عشيرة جرير . زهر النجوم : النايون . بازخ : عظيم . الأجبل : جمع جبل ، والمراد عظام الرجال .
(٦) يعود : يحتفى . القرملة : شجر ضعيف بلا شوك ، ومنه المثل ذليل عاذ بقرملة .
(٧) ضبة : من طابحة أخوال الفرزدق . المعم : الكريم الأغنام ، والنحول : كريم الأخوال .
(٨) ربيعة ومضر : شعبا عذنان العظيمان . القيصل : الفاصل بين الحق والباطل .
(٩) متقل : منحول وانتقال .
(١٠) وقبان : لقب مجاشع ، معناه الحق . حلوم : جمع حلم : الغفل والزناة .

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

- أَتَصْحُو ، أَمْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحٍ عِشْيَةٌ هُمْ صَحْبُكَ بِالرَّوَّاحِ ^(١)
تَقُولُ الْعَاذِلَاتُ : عَلَاكَ شَيْبٌ ! أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مِرَاحِي ؟ ^(٢)
يُكَلِّفُنِي فُؤَادِي مِنْ هَوَاهُ ظِعَائِنَ يَحْتَزَعْنَ عَلَى رِمَاحِ ^(٣)
ظِعَائِنَ لَمْ يَدُبَّ مَعَ النَّصَارَى وَلَا يَدْرِيْنَ مَا سَمَّكَ الْقُرَاحِ ^(٤)
فَبَعْضُ الْمَاءِ مَاءُ رَبَابٍ مُزْنٍ وَبَعْضُ الْمَاءِ مِنْ سَبَخٍ مِلَاحِ ^(٥)
سَيَكْفِيكَ الْعَوَاذِلَ أَرْحَبِي هِجَانُ اللَّوْنِ كَالْفَرْدِ الْإِيَّاحِ ^(٦)
يَعِزُّ عَلَى الطَّرِيقِ يَمْنَعِيكَ كَمَا ابْتَرَكَ الْخَلِيعُ عَلَى الْقِيَّاحِ ^(٧)

(١) تصحو : تترك الباطل . الرواح : الذهاب عشية . ويصح أن تكون أم بمعنى بل أى للإضراب .

(٢) المراح : الاختيال والتبختر .

(٣) الظعائن جمع طعينة : المرأة فى الهودج ، يجتزعن بقدود كالرماح .

(٤) القراح : قرية بين النهر ، وربما كانت للنصارى .

(٥) الرباب جمع ربابة : السحابة البيضاء . المزن البرد أو السحاب ذو الماء . السبخ مفردة صبخة : أرض ذات نر وملح . ملاح : مالحة .

(٦) يكفيك : يكف عنك . أرحبى : جعل منسوب الى أرحب بطن من همدان . هجان : أبيض كريم . الفرد : الثور المنفرد ، واللياح : الأبيض ، أى سأستريح من العواذل بهذا الجبل أركبه الى الخليفة .

(٧) يعز : يشند . ابتك : حنا للركب . الخليع : المقامر . القداح جمع قدح : سهم الميسر .

- تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ : رَأَيْتُ الْوَارِدِينَ ذَوِي امْتِنَاحٍ (١)
تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاعِغَةٌ بَيْنَهَا بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشَّمِّ الْقَرَّاحِ (٢)
سَأَمَّنَاحُ الْبَحُورَ بِخَنِينِي أَذَاةَ اللَّوْمِ وَانْتَظَرِي امْتِنَاحِي (٣)
ثِقِي يَا لِلَّهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ
أَغْنِنِي — يَا فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي — بِسَيْبٍ مِنْكَ ؛ إِنَّكَ ذُو ارْتِنَاحِ (٤)
فَلَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُ عَلَى حَقًّا زِيَارَتِي الْخَلِيفَةَ وَامْتِنَاحِي
سَأَشْكُرُ أَنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيْشِي وَأَنْبَتَ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي (٥)
أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحِ (٦)
وَقَوْمٍ قَدْ سَمَوْتَ لَهُمْ فِدَانُوَا بُدْهُمْ فِي مُلْكَمِيَّةٍ رَدَاحِ (٧)
أَجَبْتَ حَيَّ تِهَامَةَ بَعْدَ نَجْدٍ وَمَا شَيْءٌ حَمَيْتَ مُسْتَبَاحِ (٨)

(١) أم حزره : زوج جرير . امتناح : عطاء .

(٢) تعلل : تشغل وتلهي . ساعغة : جائعة . الشيم : البارد من الماء . القراح الصافي .

(٣) امتناح الماء : استنفاه واستخرجه من البئر ، والمراد العطاء الذي يناله من عبد الملك بن مروان المشبه بالبحر عطاء .

(٤) السيب : العطاء . ذوارتناح أي الى الكرم .

(٥) القوادم جمع قادمة : الريش في مقدم الجناح وهي كبار الريش وضدها الخوافي . والمراد إن أمرزتنى .

(٦) المطايا : جمع مطبة . الراح جمع راحة : بطن الكف .

(٧) سموت لهم : خربت اليهم محاربا . دانوا : خضعوا . دم : خيل سود ، الواحد أدهم .
المليلة : الكثيرة المجتمعة . رداح : كنيبة ثقيلة .

(٨) أجبت : حلت . الحمى : ما ينحبه الإنسان ويمنعه إشارة الى حروبه في بلاد العرب .

لَكُمْ شُمُ الْجِبَالِ مِنَ الرُّوَايِ وَأَعْظُمُ سَبِيلُ مُعْتَلَجِ الْبَطَاحِ (١)
 دَعَوَاتُ الْمَلْحَدِينَ أَبَا خُبَيْبٍ جَمَاحًا هَلْ شُفِيتَ مِنَ الْجَمَلِ (٢)
 فَقَدْ وَجَدُوا الْخَلِيفَةَ هَبْرَزِيًّا أَلْفَ الْعِصِ لَيْسَ مِنَ النُّوَاحِ (٣)
 فَمَا شَجَرَاتُ عَيْصِكَ فِي قُرَيْشٍ يَعْشَاتُ الْقُرُوعُ وَلَا ضَوَاحِ (٤)
 رَأَى النَّاسُ الْبَصِيرَةَ فَاسْتَقَامُوا وَبَيَّنَّتِ الْمَرَاضُ مِنَ الصِّحَاحِ (٥)

(١٣) وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ الرُّقَيَّاتِ يَمْدَحُ

عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ :

لَمْ يَصْخُحْ هَذَا الْفَوَادُ مِنْ طَرِيهِ وَمِثْلِهِ فِي الْهَوَى وَفِي لَعِبِهِ (٧)
 أَهْلًا وَسَهْلًا بَيْنَ أَتَاكَ مِنَ الرَّقَى قَةٍ يَسْرَى إِلَيْكَ فِي سُبْحِهِ (٨)

(١) شُمُ الْجِبَالِ : أعاليها . اعتلجت الأرض : طال نباتها ، والأمواج : النطمت . البطاح : جمع بطحاء مسيل واسع فيه حصى دقيق . يشير إلى عظم سلطانه .
 (٢) الملحد : المائل عن الدين الطاعن فيه . أبو خبيب عبد الله بن الزبير الخارج على بني أمية . جمَاحًا : نافرين . والاستفهام تقريرى .
 (٣) هبرزيا : أسدا . والهبرزي : الأسوار من أساور الفرس . ألف : كثير ملفف . العيص : الشجر الكثير أو الأصل . النواحي : البعداء . والمعنى أنهم وجدوك ذا بأس كريم الأصل .
 (٤) عشات القروع : ثلمات أصول نباتها . ضواح : مات ظلها لعدم الورق .
 (٥) البصيرة أيضا : العبد . والفطنة . وبينت : تبينت الأمراض جمع مريض : الباطل والمعوج ، ضده الصحيح .

(٦) عبيد الله بن قيس الرقيات القرشي من شعراء الغزل والسياسة نشأ في قريش حريصا على سيادتهم نافعا على بني أمية اعتزازهم باليمن متصرا لابن الزبير ، حتى إذا قتل واستقر الحكم لأمويين اطمأن إليهم وكان أول أمره مطاردة من الخلفاء ينتقل محتفيا بين الكوفة والمدينة حتى نال الأمان ولزم عبيد العزيز ابن مروان وإلى مصر إلى أن مات سنة ٧٥ هـ . وابن الرقيات سهل الشعر رقيق المعاني ولا سيما في الغزل والرناء . وقد يرجع ذلك إلى مزاجه الصافي وإلى الموضوعات التي يعالجها .

(٧) يصحو : يفيق . الطرب : الاهتزاز فرحا . يصف فواده بالعشق والهيام
 (٨) الرقة : بلدة على الفرات . وأخرى غربي بغداد وغيرها . السحب : جمع سحاب فلاة من قرنفل وغيره . والخطاب في البيت لنفسه أو لفواده ملتفتا إليه . ومن أتاه من الرقة هو طيف الحبيب .

- بَاتَتْ بِحُلُوانٍ تَبْتَغِيكَ كَمَا أَرْسَلَ أَهْلُ الْوَلِيدِ فِي طَلْبِهِ (١)
 فَذَلَّهَا الْحُبُّ فَاشْتَفَيْتَ كَمَا تَشْفِي دِمَاءَ الْمُلُوكِ مِنْ كَلْبِهِ (٢)
 سَقِيَا لِحُلُوانِ ذِي الْكُرُومِ وَمَا صُنِّفَ مِنْ تَيْسِهِ وَمِنْ عَنَبِهِ
 نَحْلُ مَوَاقِيرُ بِالْفَيْءِ مِنَ الْإِلَ بَرِّي غُلْبٌ يَهْتَزُّ فِي شَرَبِهِ (٣)
 أَسْوَدُ سُكَّانِهِ الْحَمَامِ فَمَا تَنَفَّكَ غِرْبَانُهُ عَلَى رُطْبِهِ
 لَتَهْنِيهِ مِصْرُ وَالْعِرَاقُ وَمَا بِالشَّامِ مِنْ بَزْهِ وَمِنْ ذَهَبِهِ (٤)
 فِيهِمْ بَهَاءٌ إِذَا أَتَيْتُهُمْ وَنَائِلٌ لَا يَغِيضُ مِنْ حَلَبِهِ (٥)
 أَثْنِ عَلَى الطَّيِّبِ ابْنَ لَيْلٍ إِذَا أَثْنَيْتَ فِي دِينِهِ وَفِي حَسَبِهِ (٦)
 مِنْ يَصْدُقُ الْوَعْدَ وَالْقِتَالَ وَيُنْجِ شَيْءَ اللَّهِ فِي حَائِمِهِ وَفِي غَضَبِهِ (٧)
 وَمَنْ تُفِيضُ الْإِنْدَى يَدَاهُ وَمَنْ يَنْتَهَبُ الْحَمْدَ عِنْدَ مُنْتَهَاهِ (٨)
 أُمَّكَ بَيْضَاءُ مِنْ قُضَاعَةٍ فِي الْإِلَ بَيْتِ الذِّي يُسْتَظَلُّ فِي طُنْبِهِ (٩)

- (١) حلوان مصر هي المرادة هنا . تبغيك : تطلبك . الوليد : الصبي .
 (٢) الكلب : داء عضه الكلب يشفي بدماء الملوك في زعمهم .
 (٣) مواقير : جمع موفر . النخلة الثقيلة الحمل . البري : التمر . غلب جمع غلباء : الحديقة المتكاثفة .
 الشرب حوض صغير حول النخلة يسع ربيها .
 (٤) تهني : تسره . البر : الثياب ؛ من الكنان والقطن .
 (٥) بهاء : حسن وظرف . نائل : عطاء . يغيض : ينقص . حلب : لبن محلوب أو استخراج ما في الضرع . والمراد العطاء الدائم .
 (٦) ابن ليل : المددوح . الحسب : الشرف .
 (٧) يصدق القتال : يظهر بسالة فيه . (٨) ينتهب الحمد : يسبق إليه .
 (٩) قبيلة عظيمة تنسب إلى الحظان أحيانا وإلى عدنان أخرى . الطنب : حبل يشد به مرادق البيت والمراد يحتمى به .

- وَأَنْتَ فِي الْجَوْهَرِ الْمَهْدَّبِ مِنْ عَبْدٍ مُنَافٍ، يَدَاكَ فِي سَبَبِهِ (١)
يَخْلُفُكَ الْيَيْضُ مِنْ بَيْنِكَ كَمَا يُخَلِّفُ عَوْدُ النَّضَارِ فِي شُعْبِهِ (٢)
لَيْسُوا مِنَ الْخُرُوعِ الضَّعِيفِ كَمَا جَلَّتْ صُقُورُ الصُّلَيْبِ مِنْ حَدَبِهِ (٣)
نَحْنُ عَلَى بَيْعَةِ الرُّسُولِ وَمَا أُعْطِيَ مِنْ عُجْمِهِ وَمِنْ عَرَبِيهِ (٤)
بِهَا نُصِرْنَا عَلَى الْعَدُوِّ وَنَزَّ عَنِ الْغَيْبِ فِي نَأْيِهِ وَفِي قُرْبِهِ (٥)
نَأْتِي إِذَا مَا دَعَوْتَ فِي الْخَلْقِ إِلَى مَا ذِي أَبْدَانِهِ وَفِي جَبِيهِ (٦)
نُهْدِي رِعَالًا أَمَامَ أَرْعَنَ لَا يُعْرِفُ وَجْهَ الْبَلْقَاءِ فِي لَجْبِهِ (٧)
فِيهِمْ كُرْبٌ يَقُودُ حَمِيرًا لَا يَعْدِلُ أَهْلُ الْقَضَاءِ عَنْ خُطْبِهِ (٨)
وَعَارِضٌ كَالْجِبَالِ مِنْ مُضَرٍّ لَا حَمْرَاءَ يَشْفِي ذَا الْعُرِّ مِنْ جَرِيهِ (٩)
وَابْنَا نِزَارٍ إِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لَمْ يَتْرُكَا هَارِبًا عَلَى هَرَبِهِ (١٠)

- (١) الجوهر : الطبيعة والجلبة . عبد مناف أصل بنى أمية . السبب : الحبل .
(٢) النضار : الأثل أو الطويل المستقيم الفصون . الشعب : الفصون .
(٣) الخروع : نبت معروف يعظم قرب المياه . الصايب : الجبل . حدبه : أعلاه .
نظرت : أى ليسوا مستضعفين فيستألم قوى . بل هم كالجبل تنظر من قمته الطيور .
(٤) ما أعطى : أى على العهد الذى عاهد به جميع الناس عليه .
(٥) نزعى الغيب : نحفظ العهد .
(٦) الخلق : جمع حلقه وهى الدرع . الماذى : الدرع اللينة أو السلاح كله . الجبب جمع جبة : وهى من السنان ما دخل فيه الرمح .
(٧) رعال جمع رعلة : القطعة من الخيل أو البقر . الأرعن : الجيش الكثيف . البلقاء : بلد بالشام . والمراد أننا نجيب دعوتك لنا بجيش ضخم يساعذك .
(٨) كريب : يطلق على جماعة من الأشراف والعلماء والمقصود واحد بعينه .
(٩) العارض : الجيش . مضر الحمراء : هو مضر بن نزار أبو قبيلة عدنانية تعرف به . العرب : الحرب والمراد الزينج .
(١٠) ابنا نزار ربيعة ومضر .

وقال من قصيدة يمدح مصعب بن الزبير ويفتخر بقريش :
 حبذا العيش حين قومي جميع لم تفرق أمورها الأهواء
 قبل أن تطمع القبائل في ملء مك قريش وتشمّت الأعداء
 أيها المشتبهى فناء قريش يسه الله عمرها والفناء
 إن تودّع من البلاد قريش لا يكن بعدهم لحي بقاء (١)
 لو تقف وتترك الناس كانوا غم الذئب غاب عنها الرعاء (٢)
 هل ترى من محال غير أن الـ له يبقى وتذهب الأشياء
 يأمل الناس في غد رغب الدهر مر، ألا في غد يكون القضاء (٣)
 لم نزل آمين يحسدنا النا س ويحري لنا بذلك الرعاء (٤)
 فرضينا ، قت يدائك غمنا لا تميّن غيرك الأدواء
 لو بكت هذه السماء على قوم م كرام بكت علينا السماء

* * *

إنما مصعب شهاب من اللـ به تجلت عن وجهه الظلماء (٥)
 ملكه ملك قوة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء
 يبقى الله في الأمور وقد أفـ ملح من كان همه الإبقاء

* * *

عين فابكي على قريش وهل ير جع ما فات إن بكيت البكاء

(١) تودع : نهلك . البلاء : الغم والوهن .

(٢) تقف : تذهب . الرعاء : جمع راع . يقول لو ذهبت قريش كان الناس كالغنم تكون طامعة الذئب اذا تركها الرعاة .

(٣) رغب الدهر : رغبته . (٤) الرعاء : الخير .

(٥) الشهاب : الكوكب . تجلت : انكشفت .

- معشر حتفهم سيوف بني العـ (١)
 تلات يخشون أن يضيع اللواء (١)
 ترك الرأس كالنغامة منى (٢)
 نجات تسرى بها الأنباء (٢)
 مثل وقع القدم حل بنا فالند (٣)
 ما س مما أصابنا أخلاء (٣)
 ليس لله حرمة مثل بيت (٤)
 نحن محجابه عليه الملاء (٤)
 خصه الله بالكرامة فالبا (٥)
 دون والعا كفون فيه سواء (٥)
 حرقه رجال لحم وعك (٦)
 وجذام وحمير وصداء (٦)
 فبنينا بعد ما حرقوه (٧)
 فاستوى السمك واستقل البناء (٧)
 كيف نومي على الفراش ولما (٨)
 يشمل الشام غارة شعواء (٨)
 تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي (٩)
 عن براها العقيلة العذراء (٩)

- (١) الخف : الموت . بنو العلات : الأقارب . والأصل فيهم بنو أمهات شتى من أب واحد .
 يقول : إن قريشا منقسمة على أنفسها في سبيل الملك ، فن هلك منها فيبدي بنيا .
 (٢) النغامة : شجرة بيضاء الزهر ، أى أشيب . تسرى : تسير ليلا .
 (٣) أخلاء جمع خلو : أى خال أى ليس عليهم وزر فيا نحن فيه من شقاق .
 (٤) الحرمة : المهابة والذمة وما لا يحل انتهاكه . الملاء جمع ملاة : الريغة والثوب يلبس
 على الأنفاذ .

- (٥) العاكف : المقيم في المسجد . البادى : من هو خارجه ، والمراد من في مكة وخارجها .
 (٦) لحم وجذام وصداء وحمير من اليمن وعك من نزار .
 (٧) السمك : السقف والقامة من كل شىء طويل متخني . استقل : ارتفع .
 (٨) غارة شعواء : حملة متفرقة ، يقصد حرب الأمويين وكانت دمشق الشام حاضرتهم .
 (٩) تذهل : تنسى . البرى : حلقات السوار والقرط والخلخال ، المفردة . العقيلة : الكريمة
 المخدرة من النساء . العذراء : البكر . ولا تسفر البكر إلا وقت الهول والفرع .

أَنَا عَنْكُمْ بَنِي أُمَيَّةَ مُزَوِّ
رًا، وَأَنْتُمْ فِي نَفْسِي الْأَعْدَاءُ (١)
إِنْ قَتَلْتُ بِالطَّفِّ قَدْ أَوْجَعْتَنِي
كَانَ مِنْكُمْ لَنْ قُتِلْتُمْ شَقَاءُ (٢)

وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

عَادَ لَهُ مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرَبِ
قَعِينُهُ بِالْذُّمُّوعِ تَشْيِكُ (٣)
كُوفِيَّةٌ نَازِحٌ مَحَلَّتَهَا
لَا أُمُّ دَارُهَا وَلَا صَقَبُ (٤)
وَاللَّهِ مَا إِنْ صَبَتْ إِلَيَّ، وَلَا
يَعْلَمُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَبَبُ (٥)
إِلَّا الَّذِي أَوْرَثَتْ كَثِيرَةً فِي آلِ
قَلْبٍ، وَلِلَّحَبِّ سَوْرَةٌ عَجَبُ (٦)
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْقَوَانِي قَمَا
يُضَيِّجُنَ إِلَّا لَهْنٌ مُطَلَبُ (٧)
أَبْصَرَنَ شَيْبًا عَلَا الذُّوَابَةَ فِي الرَّ
أَسِ حَدِيثًا كَأَنَّهُ الْعَطَبُ (٨)
فَهِنَّ يُنَكِّرْنَ مَا رَأَيْنَ، وَلَا
يُعْرِفُ لِي فِي لِدَائِي اللَّعِبُ (٩)
مَا ضَرَّهَا لَوْ غَدَا بِحَاجَتِنَا
غَادٍ كَرِيمٌ أَوْ زَائِرٌ جُنُبُ (١٠)

(١) مزور : مائل و كاره .

(٢) الطف : موضع قرب مكة دار فيه القتال بين بني أمية والزييريين . و ترى في الآيات حذبه على فريش عامة وكرهه بني أمية وذلك قبل استقرار الحكومة فيهم .

(٣) كثيرة : امرأة آوت الشاعر بالكوفة حين أهدر الخليفة دمه . تشيك : تسيل .

(٤) نازح محلها : بعيد منزلها . أم : قرية . صقب : مجاورة .

(٥) صبت : حنت . سبب : صلة .

(٦) سورة : حدة . (٧) مطلب : مطلب وحاجة .

(٨) الذوابة : الناصية : شعر مقدم الرأس . العطب : الهلاك .

(٩) ينكرن : يعين . لدائي : أقراني ، جمع لدة .

(١٠) غاد : مبكر . جنب : غريب أو صاحب سفر — يريد ما يضرها لو زدها .

لم يأت عن ربيعة وأجشمه آل حُب فأمسى وقلبه وصب (١)
يا حبذا يثرب ولذتها من قبل أن يهلكوا ويحتربوا (٢)
وقبل أن يخرج الذين لهم فيها السناء العظيم والحسب (٣)
بغت عليهم بها عشيروهم فعوجلوا بالجزاء واطلبوا (٤)

(١٤) قطري بن الفجاءة (٥)

قال في الحماسة :

لا يركن أحد إلى الإجمام يوم الوغى متخوفاً للجمام (٦)
فلقد أراني للرماح دريئة من عن يميني مرةً وأماي (٧)
حتى خضبت بما تحدر من دمي أكناف سرجي أو عنان لجأمي (٨)

(١) ربيعة : تهمة . أجشمه : كلفه النصب . وصب : مريض .

(٢) يثرب : المدينة . يحتربوا : يتحاربوا ، والضمير يعود على حزب ابن الزبير والذين حاربهم من الأمويين ، وكان الشاعر زبيرياً أكثر حياته .

(٣) السناء : الرفعة . الحسب : الشرف .

(٤) بغت : عدت . اطلبوا : أخذوا .

(٥) هو قطري بن الفجاءة المازني من زعماء الخوارج الشعراء والخطباء ، قضى مدة طويلة في حروب مع الأمويين حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ .

(٦) الإجمام : التراجع . الوغى : الحرب . الجمام : الموت .

(٧) الدريئة : الحلقة يتعلم الطعن والرمي عليها .

(٨) تحدر : سال . أكناف : جمع كنف : الحانب . العنان : سير الجمام .

ثم أَنصَرَفْتُ، وَقَدْ أَصَبْتُ وَلَمْ أَصِبْ جَذَعُ الْبَصِيرَةِ قَارِحَ الْإِقْدَامِ (١)
وقال :

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعًا مِنْ الْأَبْطَالِ : وَيَحْكُ ! كُنْ تُرَاعِي (٢)
فَإِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ بَقَاءَ يَوْمٍ عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَمْ تُطَاعِي (٣)
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فَمَا نِيْلُ الْخَالِدِ بِمُسْتَطَاعِ (٤)
وَلَا تُؤُوبُ الْبَقَاءِ بِشُؤْبِ عِزٍّ فَيُطَوَّى عَنْ أَخَى الْخَنْعِ الْيَرَاعِ (٥)
سَبِيلُ الْمَوْتِ غَايَةُ كُلِّ حَيٍّ قَدَاعِيهِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ دَاعِ (٦)
وَمَنْ لَا يُعْتَبِطُ بِسَامٍ وَيَهْرَمُ وَتُسَلِّمُهُ الْمُنُونُ إِلَى انْقِطَاعِ (٧)
وَمَا لِلرَّءِ خَيْرٌ فِي حَيَاةٍ إِذَا مَا عُدَّ مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ (٨)

(١) جذع : شاب . البصيرة : العقل والفطنة والحجة . القارح من ذى الخافر : ماشق نابه وطلع ، والمراد القوى .

(٢) لها : لنفسه . طارت شعاعا : تبددت من الخوف . ويحك ! : رحمة لك منصوبة باضمار فعل . تراعى : تفرعى .

(٣) الأجل : غاية العمر .

(٤) مجال الموت : ميدانه .

(٥) الخنع : اللين ، وبالضم الذل . اليراع : الجبان .

(٦) داعى الموت : سببه من فناء العمر .

(٧) يعتبط : يموت شابا . تسلم : تترك .

(٨) سقط المتاع : رديته .

(١٥) وقال عمران بن حطان^(١) أحد شعراء الخوارج يخاطب روح بن زنباع لمساعدته لمقاتلة عبد الملك بن مروان، فارتحل تاركاً له هذه الأبيات:

يا رَوْحُ كمْ مِنْ أَخِي مَثْوَى نَزَلْتُ بِهِ	قَدْ ظَنَّ ظَنُّكَ مِنْ نَحْمٍ وَغَسَّانٍ ^(٢)
حَتَّى إِذَا خَفَّتْهُ فَارَقْتُ مَنْزِلَهُ	مِنْ بَعْدِ مَا قِيلَ: عِمْرَانُ بْنُ حِطَّانٍ! ^(٣)
قَدْ كُنْتُ جَارَكَ حَوْلًا مَا تُرَوِّعُنِي	فِيهِ رَوَائِعُ مِنْ إِنْسٍ وَمِنْ جَانٍ ^(٤)
حَتَّى أُرِدْتَ بِي الْعُظْمَى فَأَدْرَكْنِي	مَا أَدْرَكَ النَّاسَ مِنْ خَوْفِ ابْنِ مَرْوَانَ ^(٥)
فَاعْذِرْ أَخَاكَ (ابْنَ زَنْبَاعِ) فَإِنَّ لَهُ	فِي النَّائِبَاتِ خُطُوبًا ذَاتَ أَلْوَانٍ ^(٦)
يَوْمًا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمِينٍ	وَإِنْ لَقَيْتُ مَعَدِّيَا فَعَدْنَانِي ^(٧)
لَوْ كُنْتُ مُسْتَغْفِرًا يَوْمًا لَطَاغِيَةٍ	كُنْتُ الْمَقْدَمَ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي ^(٨)
لَكِنْ أَبْتُ لِي آيَاتُ مُطَهَّرَةٍ	عِنْدَ الْوِلَايَةِ فِي طَهٍّ وَعِمْرَانٍ ^(٩)

(١) نشأ عمران بن حطان السدوسي بالبصرة حيث تعلم وتأدب، وأصبح شاعراً مجيداً صادقاً في شعره ديناً ورعاً. ثم اعتنق مذهب الشيعة من الخوارج فطارده الحكام. وأخذ ينتقل بين العراق والشام وعمان متخفياً حتى مات بالكوفة سنة ٥٨٩ هـ. ولشعره منزلة سامية لصدق الشعور وحسن الأداء وقوة العقيدة.

(٢) المثنوى: منزل الضيافة. أخو: صاحب. ظن ظنك: رأى في رأيك من أنى رجل هين. نحم: وغسان من الين من كهلان.

(٣) أى من بعد ما عرفته حقيقى تركته.

(٤) تروعى: تفرغنى.

(٥) العظمى: لقاء عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى. وكان حرباً على الخوارج.

(٦) الخطوب: جمع خطب، الأمر العظيم.

(٧) يمان: أى أنا يمان أنتسب الى الين. وكان عمران أثناء هربه ينتسب لمن ينزل به بما يلائمه.

(٨) الطاغية: الجبار.

(٩) أبْتُ: منعنى الاستغفار لك. آيات جمع آية: كلام من القرآن منفصل بفواصل لفظية. الولاية: السياسة. طه وعمران: سورتان فى القرآن. وكان الخوارج يعتقدون أن غيرهم على ضلال.

وقال يخاطب زفر بن الحارث الكلابي ، وكان قد نزل به بعد روح بن زنباع
مُخفياً نسيبه ؛ فلما حاول زفر معرفته هرب وخلف له رُقعة فيها :

إِن الَّتِي أَصْبَحْتَ يَعِيَا بِهَا زُفَرٌ أَعَيْتَ عِيَاءَ عَلَى رَوْحِ بْنِ زَنْبَاعٍ ^(١)
مَا زَالَ يَسْأَلُنِي حَوْلًا لِأَخْبَرِهِ وَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَخْدُوعٍ وَخَدَاعٍ ^(٢)
حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ عَنِّي وَسَائِلُهُ كَفَّ السُّؤَالَ وَلَمْ يُوَلِّعْ بِإِهْلَاعٍ ^(٣)
فَاكْفُفْ كَمَا كَفَّ عَنِّي إِتْنَى رَجُلٍ : إِقَامَ صَمِيمٍ ، وَإِمَا فَقَعَّةُ الْقَاعِ ^(٤)
وَكَفُفْ لِسَانَكَ عَنْ لَوْمِي وَمَسْأَلَتِي مَاذَا تُرِيدُ إِلَى شَيْخٍ لَأَوْزَاعٍ ! ^(٥)
أَمَّا الصَّلَاةُ فَإِنِّي غَيْرُ تَارِكِهَا كُلُّ امْرِئٍ لِلَّذِي يُعْنَى بِهِ سَاعٍ ^(٦)
أَكْرَمَ بِرَوْحِ بْنِ زَنْبَاعٍ وَأُسْرَتِهِ قَوْمٌ دَعَا أَوْلِيَهُمْ لِلْعُلَا دَاعٍ ^(٧)
جَاوَزْتُهُمْ سَنَةً فِيمَا أُسْرُ بِهِ عِرضِي صَحِيحٌ وَتَوَمِي غَيْرُ تَهْجَاعٍ ^(٨)
فَاعْمَلْ ؛ فَإِنَّكَ مَنْعِي بِوَاحِدَةٍ حَسْبُ اللَّبِيبِ بِهَذَا الشَّيْبِ مِنْ نَاعٍ ^(٩)

(١) يعيا بها : يعجز عنها . أعيت عليه : أعجزته . والمراد معرفة ذاته .

(٢) مخدوع : مصدق ما أقول . خداع : ما كرمحتال .

(٣) الوسائل جمع وسيلة : السبب . يولع بالشئ : يحبه ويتعلق به جدا . إهلاعي : إفراعي .

(٤) صميم : خالص النسب الى قومه . الفقعة : الكمأة البيضاء لا عروق لها ولا أغصان . القاع : أرض سهلة . فقعة القاع : لا أصل له .

(٥) الأوزاع : الجماعات . ووطن من همدان .

(٦) يعني به : يهتم به .

(٧) أوليهم جمع أول : أي آبائهم ، فهم أمجاد .

(٨) فيما أسره به : من الأتس والكرم . تهجاع : نوم خفيف .

(٩) منعي : مخبر بوقايتك . حسب : يكفى . ناع : مخبر . هذا : فاعل . الشيب : بدل .

وقال يرثي أبا بلال مرداس بن أدية من الخوارج :

لقد زاد الحياة إلى بغضًا وجبًا للخروج أبو بلال (١)
أحاذر أن أموت على فراشي وأرجو الموت تحت ذرا العوالى (٢)
ولو أنى علمت بأن حنفي تحتف أبي بلال لم أبال (٣)
فمن يك همه الدنيا فاني لها والله رب البيت قالي (٤)

وقال فيه أيضا :

يا عين بكى لمرداس ومصرعه يارب مرداس أجعلني كمرداس (٥)
تركتني هائما أبكى لمرزتي في منزل موحش من بعد إيناس (٦)
أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس (٧)

(١) الخروج : الانضمام الى الخوارج في القتال .

(٢) ذرا : ظل . العوالى : جمع عالية ، أعلى القناة .

(٣) الحنف : الموت .

(٤) قال : كاره .

(٥) المصرع : الطرح على الأرض ، يقصد قتله .

(٦) هائما : حائرا . المرزنة : المصيبة العظيمة .

(٧) أنكرت النسي : أبغضته لأنه تغير الى حال سيئة .

إِذَا شَرِبْتَ بِكَأْسٍ دَارَ أَقْلَمَا . عَلَى الْقُرُونِ فَذَاقُوا جُرْعَةَ الْكَأْسِ (١)
فَكُلُّ مَنْ لَمْ يَذُقْهَا شَارِبٌ عِجْلًا . مِنْهَا بِأَنْفَاسٍ وَرِدٍ بَعْدَ أَنْفَاسٍ (٢)

(١٦) قَالَ الطَّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ مِنَ الْخَوَارِجِ : (٣)

وَإِنِّي لَمُقْتَسِدٌ جَوَادِي وَقَازِفٌ . بِهِ وَيَتَقَسَّى الْعَامَ إِحْدَى الْمَقَازِفِ (٤)
لَا كَيْسَبَ مَالًا أَوْ أَوْلَ إِلَى غِنَى . مِنْ اللَّهِ يَكْفِينِي عُدَاةَ الْخَلَائِفِ (٥)
فِيَارَبِّ إِنِّ حَانَتْ وَفَاتِي فَلَا تَكُنْ . عَلَى شَرْجَعٍ يُعَلَى بِخُضْرِ الْمَطَارِفِ (٦)
وَلَكِنْ قَبْرِي بَطْنُ نَسْرِ مَقِيلِهِ . يَجُودُ السَّمَاءِ فِي نُسُورِ عَوَاصِفِ (٧)
وَأُمْسِي شَهِيدًا ثَاوِيًّا فِي عِصَابَةٍ . يُصَابُونَ فِي فَجٍّ مِنَ الْأَرْضِ خَائِفِ (٨)

(١) جرعة : بركة . إما مركبة من أن الشرطية وما الزائدة ، واليت التالى دليل الجواب
أى فلا تحزن .

(٢) أنفاس : جمع نفس . الورد : الماء الذى يورد والمقصود الموت .

(٣) الطرماح بن حكيم الطائي شاعى النشأة يجيد الفخر والمدح ، ورد الكوفة فى جيوش الشام ،
واتصل بأحد الشراة من الخوارج ، فدعاه هذا الى مذهبه حتى اعتنقه أشد اعتقاد وأصححه ومات خارجيا
سنة ٥١٠ هـ .

(٤) مقتاد : قائد . قاذف : رام . المقاذف : الأماكن البعيدة .

(٥) أءول : أصير ، عداة : جمع عاد وهو العدو . الخلائف : جمع خليفة . وكان خلفاء بني أمية
حربا على الخوارج .

(٦) حانت : قربت . الشرجع : المرير أو النعش . المطارف : جمع مطرف : رداء من خز مربع
ذو أعلام .

(٧) مقيله : موضع قبلكه . عكفت الطير حول القنيل : استدارت .

(٨) ثاويا : مقيا . العصابة : الجماعة من الرجال أو الخيل أو الطير . الفج : الطريق الواسع بين
جبلين . خائف : واق أو مخوف .

(١٧) قال الكُميت في بني هاشم : (١)

طَرِبْتُ وما شوقاً الى البيضِ أطربُ ولا لَعَباً متى وذو الشَّيبِ يَلْعَبُ ؟ (٢)
 ولم يُلْهِني دارٌ ولا رَسْمٌ مَنزِلٍ ولم يَتَطَرَّبْنِي بَنَاتُ مُحَضَّبٍ (٣)
 ولا أنا مِن يَزْجُر الطيرَ همُّه : أصاح غُرَابٍ أم تَعَرَّضُ لَعَلِّ (٤)
 ولا السانِحَاتُ البارِحَاتُ عَشِيَّةً أَمَّ سَلِيمُ الْقَرْنِ أم مَرَّ أَعْضَبُ (٥)
 ولكن إلى أهل الفضائل والنهى وخير بني حَوَاءَ، والخير يُطَلَّبُ (٦)
 إلى النَّفَرِ البيضِ الذين يُحِبُّهم إلى الله فيما نَالَنِي أَتَقَرَّبُ (٧)
 بَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النِّبِيِّ ؛ فَإِنِّي بِهِمْ وَلَهُمْ أَرْضِي مَرَاراً وَأَغْضَبُ (٨)

(١) كان الكُميت بن زيد الأسدي شاعراً خطيباً نشأ في الكوفة وتآذب على علمائها وأخذ عن الأعراب وعالج الشعر حتى نبه شأنه واتصل بالولاة والهاشميين يمدحهم وينال جوائزهم . وقد لقي في سبيل مذهبه النجى والعدواني بلاء كثيراً وتوفي سنة ١٢٦ هـ . وتلمح في شعر الكُميت آثار الحفظ الكثير لأشعار سابقيه مع سبك حسن وإخلاص لرأيه حتى أثار الفتنه بين عدنان وقحطان وفتح للشبيعة طريق مناظرة خصومهم بالشعر كما ترى ذلك في هذه القصيدة التي تشرحها .

(٢) البيض : جمع بيضاء يريد النساء . اللعب : العبث .

(٣) رسم : أثر . يتطربني : يحملي على الطرب .

(٤) الزجر : الاستدلال بأصوات الحيوان وحركاته وأحواله على الحوادث المستقبلية .

(٥) السانحات جمع سانح : الطير يمر من اليسار الى اليمين وهذا فال حسن عند العرب . البارحات :

عكس السانحات . الأعضب : المسكور القرن . يقول فما سبق : ليست تعينني هذه الأمور التي تشغل الناس والشعراء وإنما همي أهل الفضائل الخ .

(٦) النهى جمع نهية : العقل .

(٧) البيض : المشهورون من الأشراف .

(٨) الرهط : القوم والقبيلة .

خَفَضْتُ لَهُمْ مِنِّي جَنَاحِي مَوَدَّةً ۖ إِلَى كَنَفٍ عِظْفَاهُ أَهْلٌ وَمَرْحَبٌ^(١)
وَكُنْتُ لَهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَا ۖ يَجْنَأُ عَلَيَّ أَنِّي أَذْمُ وَأُقْصَبُ^(٢)
وَأُرْمَى وَأَرْمِي بِالْعَدَاوَةِ أَهْلَهَا ۖ وَإِنِّي لَأُودَىٰ فِيهِمْ وَأُؤْنَبُ
فَمَا سَاءَ نِي قَوْلَ أَمْرِي ذِي عَدَاوَةٍ ۖ يَعُورَاءَ فِيهِمْ يَجْتَدِينِي فَأُجَذَبُ^(٣)
فَقُلْ لِلَّذِي فِي ظِلِّ عَمِيَاءَ جَوْنَةٌ ۖ تَرَى الْجَوْرَ عَدْلًا أَيْنَ (لَا أَيْنَ) تَذْهَبُ^(٤)
بَأَيِّ كِتَابٍ أَمْ بِأَيَّةِ سُنَّةٍ ۖ تَرَى حُبَّهُمْ عَارًا عَلَيَّ وَتَحْسِبُ؟^(٥)

يُشِيرُونَ بِالْأَيْدِي إِلَى وَقُولُهُمْ ۖ أَلَا خَابَ هَذَا ، وَالْمَشِيرُونَ أَخِيْبٌ
فَطَائِفَةٌ قَدْ كَفَرْتَنِي بِحُبِّكُمْ ۖ وَلَا عَيْبٌ هَاتِيكَ الَّتِي هِيَ أَعْيَبُ
فَمَا سَاءَ نِي تَكْفِيرَ هَاتِيكَ مِنْهُمْ ۖ عَلَى حُبِّكُمْ بَلْ يَسْخَرُونَ وَأَعْجَبُ^(٦)
وَقَالُوا ۖ تُرَابِي هَوَاهُ وَرَأَيْهِ ۖ بِذَلِكَ أَدْعَىٰ فِيهِمْ وَأُلْقَبُ^(٧)
عَلَى ذَاكَ إِجْرِي بَأَيِّ ، فَيَكُمُ ضَرِيْقِي وَلَوْ جَمَعُوا طَرًّا عَلَيَّ وَأَجْلَبُوا^(٨)

(١) الكنف : الجانب والظل . عطفاه : جانبه ، أى أهل لى مرحبون بي .

(٢) المجن : الترس وما يتق به . أقصب : أشتم .

(٣) العوراء : الكلمة أو الفعلة القبيحة . يجتديني : يطلب منى اتباعه .

(٤) عمياء : ضلالة . جونة : سوداء .

(٥) كتاب : قرآن . سنة : كلام الرسول ، والمراد بأى حق .

(٦) الخب : الخبث .

(٧) ترابى نسبة الى على بن أبى طالب الملقب بأبى تراب .

(٨) اجرى بى : خلقى . طبعنى : ضربنى . أجابوا : جمعوا الجوع أو توعدوا بالشر .

وأَحْمَلُ أَحْقَادَ الْأَقَارِبِ فِيكُمْ وَيُنْصَبُ لِي فِي الْأَبْعَدِينَ فَأَنْصَبُ^(١)
يَخْتَلِمُكُمْ غَضَبًا تَجُوزُ أُمُورُهُمْ فَلَمْ أَرْغَضْ بِهَا مِثْلَهُ يُتَغَضَّبُ^(٢)
بِحَقِّكُمْ أَمْسَتْ قُرَيْشٌ تَقُودُنَا وَبِالْقَدِّ مِنْهَا وَالرَدِيفِينَ تَرْكَبُ^(٣)
إِذَا انْضَعُونَا كَارِهِينَ لِبَيْعَةٍ أَنَاخُوا لِأُخْرَى وَالْأَزِمَةَ تُجَذَّبُ^(٤)
رِدَافًا عَلَيْنَا لَمْ يُسِيمُوا رَعِيَّةً وَهُمْ أَنْ يَمْتَرُوهَا فَيَحْلُبُوا^(٥)
لَيَنْتَجُوها فِتْنَةً بَعْدَ فِتْنَةٍ فَيَفْتَعِلُوا أَفْلَاءَهَا ثُمَّ يَرْكَبُوا^(٦)
أَقَارِبُنَا الْأَدْنَوْنَ مِنْكُمْ لِعِلَّةٍ وَسَاسْتُنَا مِنْهُمْ ضِبَاعٌ وَأَذُوبٌ^(٧)
لَنَا قَائِدٌ مِنْهُمْ عَنِيفٌ وَسَائِقٌ يَقَحْمُنَا تِلْكَ الْجَرَائِمُ مُتَعِبٌ^(٨)

(١) نصب له : عاداه وحاربه .

(٢) الخاتم : ما يَحْتَمُّ به الملك أو سواه . تجوز : تسير وتنفذ . يتغضب : يغضب . يقول : إنهم يحكمون الناس بحكم الذي استلبوه .

(٣) الفخذ : الفرد وأول سهام الميسر . الرديفان : مثني رديف وهو كل ما تبع شيئاً أو الراكب خلف الراكب . والمعنى أنها تحكم مطمئنة وإن كانت دخيلة في الحكم بلا حق .

(٤) انضعونا : حكمونا وأصله انضع البعير خفض رأسه ليضع قدمه على عنقه فيركب . أناخوا لأخرى : دبروا لمسألة أخرى . الأزمة : جمع زمام . والمعنى والأمر تسير .

(٥) ردافا : متابعين . يسيم الماشية : يخرجها إلى المرعى . يمتري الناقة : يمسح ضرعها للدر . والمعنى أنهم (بنو أمية) يحكمون الناس لينعموا بخيرات الملك دون أن يعنوا بصالح الرعية .

(٦) نتج الفرس : غنى بها حتى تضع . افلا : جمع فلو : الجحش أو المهر الصغير . افعل : اختلق . والمعنى أنهم يدبرون الفتن ليحكموا .

(٧) أذوب جمع ذئب .

(٨) يقحم الفرس راكبه : يرميه على وجهه . وقحه في الأمر : أدخله فيه من غير روية . الجرائم جمع جرثومة . وهي الأصل أو قرية النمل . متعب : صفة سائق (الخليفة) .

وقالوا : ورثناها أبانا وأمنّا ، وما ورثتهم ذلك أم ولا أب ! (١)
 يرون لهم حقاً على الناس واجباً سفاهاً ، وحق الهاشميين أوجب (٢)

(١٨) قال جميل بن معمر : (٣)

ألا ليت أيام الصفاء جديداً ودعراً تولى يا بُشَيَّ يعود
 فنغنى كما نكون وأنتم صديق وإذ ما تبذلن زهيداً (٤)
 وما أنسى الأشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوى أمصر تريد؟ (٥)
 ولا قولها : لولا العيون التي ترى أيتك ، فاعذرني . فذلك جدود ! (٦)
 خليلي ما أخفي من الوجد ظاهر دمعي بما أخفي الغداة شهيداً (٧)
 ألا قد أرى والله أن رب عبدة إذا الدار شطت بيننا ستريد (٨)

(١) ورثناها : أي الخلافة . (٢) سفاهاً : جهلاً وباطلاً .

(٣) يعد جميل بن عبد الله بن معمر العذري مثال الغزل البدوي العفيف ، نشأ في البادية وأحب ابنة عمه
 شينة ، وعرف بها ، وقال فيها شعراً كثيراً يدل على شعور صادق وحب عفيف طاهر . وقد لقي في سبيل
 حبه العنت والتقى حتى بلغ إلى مصر أيام ولاية عبد العزيز بن مروان حيث مات سنة ٥٨٢ هـ وشعره جميل حسن
 الأسلوب يجمع بين السهولة والرصانة ويعتد النقاد في البادية نظير عمر بن أبي ربيعة في الحاضرة وكلاهما حجازي
 خصصا لسرايل متقاربة .

(٤) نفى : ققيم . نكون : نوجد . ما تبذلن : أي ما تبذلين من الوصل .

(٥) م الأشياء : من الأشياء . النضو : المهزول من الحيوان : يريد ناقته . يقول مهما أنسى من شيء
 قلت أنسى قولها لي وقد قربت ناقتي أتريد مصر .

(٦) الجدود جمع جد بالفتح : وهو أبو الأب تدعوله بالسلامة وتفتديه بالأهل .

(٧) الوجد : الحب الشديد . الغداة : ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(٨) العبرة : الدمعة أو الحزن من غير بكاء . شطت : بعدت . أي سيكثر بكائي إذا اترقنا .

ستزيد خبر عبدة والجملة خبر أن المخففة .

- إِذَا قُلْتُ : مَا بِي يَا بُنَيَّةُ قَاتِلِي
وَأَنْ قُلْتُ : رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعِشْ بِهِ
فَلَا أَنَا مُرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا
جَزَتْكَ الْجَوَازِي يَا بُنَيَّةَ مَلَامَةً
وَقُلْتُ لَهَا : بَنِي وَبَيْنَكَ فَأَعْلَمِي
وَقَدْ كَانَ حُبِّكُمْ طَرِيفًا وَتَالِدًا
وَأَنْ عَرَوْضَ الْوَصْلِ بَنِي وَبَيْنَهَا
فَأَقْنَيْتُ عَيْشِي بِأَنْتَظَارِي نَوَالَهَا
- مِنْ الْحُبِّ ! قَالَتْ : ثَابِتٌ وَيَزِيدُ ! (١)
مَعَ النَّاسِ ، قَالَتْ : ذَاكَ مِنْكَ بَعِيدُ
وَلَا حُبَّهَا فِيمَا يَبِيدُ يَبِيدُ (٢)
إِذَا مَا خَلِيلٌ بَانَ وَهُوَ حَمِيدُ ! (٣)
مِنْ اللَّهِ مِيثَاقٌ لَهُ وَعَهْدُ
وَمَا الْحُبُّ إِلَّا طَارِيفٌ وَثَلِيدُ (٤)
وَأَنْ سَهْلَتَهُ بِالْمُنَى لَصَعُودُ (٥)
وَأَبْلَيْتُ ذَاكَ الدَّهْرَ وَهُوَ جَدِيدُ



- أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً
وَهَلْ أَهْبِطَنَ أَرْضًا تَظَلُّ رِيَاحُهَا
- بَوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذَا لَسَعِيدُ (٦)
لَهَا بِالثَّنَايَا الْقَاوِيَاتِ وَئِيدُ (٧)

- (١) أي إذا قلت لها إن الحب سيقْتَلِي قالت : إنه باق ، وسيزيد أيضا .
(٢) أي فلم أنل ما طلبت من بعض عقلى ولا الحب ببنى لأستريح .
(٣) الجوازي : جمع جازية وهي المكافئة . يقول : إذا جوزى الأحبة بالثناء عليهم وقت الفراق فليس لك في نفسى إلا العتب واللوم والبيت في الأصل جملة دعائية .
(٤) الطريف : الجديد ، وضده التليد .
(٥) العروض : الطريق في عرض الجبل . صعود : مرتفع . والمعنى أن الوصل صعب المنال مهما تسهله بالوعود .
(٦) وادى القرى : بالحجاز شمالى المدينة . ليت شعرى : أى ليتنى أعرف ، جواب هذا الاستفهام المذكور بعد . يتمنى المبيت بهذا الوادى حيث كان يقيم الأحبة .
(٧) الثنايا جمع ثنية : وهى طريق في الجبل أو الجبل نفسه . القاويات : الخاليات . ويئيد : صوت شديد . أى هل أحيانا ثانية في تلك الأرض الخالية التى تعزف فيها الرياح حيث كنت أعيش ناعما بالهوى العذرى .

- وهل ألقين سعدى من الدهر مرة (١) وما رث من حبل الصفاء جديد (١)
وقد تلتقي الأهواء من بعد ياسة وقد تطلب الحاجات وهى بعيد
وهل أزجرن حرفاً علاة شملة (٢) بتحرق تباريها سواهم سود (٢)
على ظهر مرهوب كأن نُسوزهُ إذا جاز هلاك الطريق رقود (٣)
سبتنى يعنى جؤذرٍ وسطَ ررب سبتر كفاثور اللين وجيد (٤)
فمن يعطى فى الدنيا قرينا كمثليها فذلك فى عيش الحياة رشيد (٥)
يموت الهوى منى إذا ما لقيتها ويمحا إذا فارقتها قيود
يقولون : جاهد يا جميل بغزوة وأى جهاد غيرهن أريد
لكل حديث بينهن بشاشة وكل قيل بينهن شهيد (٦)
ومن كان فى حبي بشينة يمتري فبرقاء ذى ضال على شهيد (٧)
الم تعلمى يا أم ذى الودع أننى أضحك ذكراكم وأنت صلود (٨)

(١) رث : بلى . ما مبتدأ خبره جديد .

(٢) أزجر الناقة : أصبح بها لتسرع . الحرف : الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة . العلاة : الناقة الطويلة . والشملة : السريعة . الحرق : الفقر والأرض الواسعة تتحرق فيها الرياح . تباريها : تسابقها . سواهم : جمع ساهمة وهى الناقة الضامرة .

(٣) مرهوب : طريق مخوف . نسوز جمع نسر : المكان المرتفع . رقود : نيام . هلاك الطريق : الذين ضلوه . رقود خبر كان . (٤) سبتنى : أسرتنى . الجؤذر : ولد البقرة الوحشية . الررب : القطيع من بقر الوحش . الفاثور : الطست والطفنة . اللين : الفضة . الجيد : العنق وهو بالرفع على أنه مبتدأ خبره (لها) محذوف .

(٥) القرين : الصاحب ، والزوج . رشيد : موفق . (٦) بشاشة : سرور وبهجة . (٧) يمتري ، يشك . البرقاء : أرض غليظة ذات حجارة ورمل وطين أو كل شئ فيه سواد ورياض . وبرقاء ذى ضال إحدى برق بلاد العرب ، يتخذ من موافقه فيها شاهداً على حبه الشديد .

(٨) ذو الودع : طفلها يعلق عليه الودع وقاية ، وهو محاذ صغير أبيض معروف . صلود : بخيلة .

(١٩) وقال عمر بن أبي ربيعة : (١)

- قال لي صاحبي ليعلم ما بي : أُحِبُّ الْقَتُولَ أُخْتُ الرَّبَابِ؟ (٢)
 قلت : وجدى بها كوجدك بالعد : ب إذا ما مُنِعْتَ طَعْمَ الشَّرَابِ (٣)
 من رسولى الى الثريا بأتى : ضقت ذرعا بهجرها؟ والكتاب! (٤)
 أزهدت أم نوفل إذ دعته : مُهْجَتِي ، ما لِقَاتِلِي من مَتَابِ (٥)
 حين قالت لها : أجيبي ! فقالت : من دعانى ؟ قالت : أبو الخطاب (٦)
 فأجبت عند الدعاء كما لب : بى رجال يرجون حسن الثواب (٧)
 أبرزوها مثل المهاة تهادى : بَيْنَ نَحْمِيسَ كَوَاعِبِ أَرَابِ (٨)

(١) ولد أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة القرشي بالمدينة في بيت ترف ومجد متأثرا بالطبيعة الحجازية الرفيقة وبعوامل سياسية واقتصادية أنضجت الغزل والغناء بالحجاز . فكان عمر غزلا زعيم الغزلين جميعا .
 يمتاز شعره بسلاسة الأسلوب والافتنان في الغزل ولا سيما نوعه القصصى الذى تناول به نساء الأشراف في مواسم الحج وغيره حتى تأذى به الناس ونفاه عمر بن عبد العزيز لذلك . وكانت وفاته سنة ٩٣ هـ .
 (٢) القتل : القاتلة . الرباب : جمع ربابة : وهى السحابة البيضاء ، وبها سميت المرأة .

(٣) كوجدك بالعذب الخ : أى كشوقك الى الماء العذب حين تعطش جدا .

(٤) الثريا بنت على : إحدى صواحب الشاعر . ضقت ذرعا بهجرها : لا أحتمله . والكتاب : آيقسم به .

(٥) أزهدت : أهلك . مهجتي : روحى . (٦) أبو الخطاب : كنية الشاعر .

(٧) أى أجابت إجابة الحاج يبنى الجزاء الجميل .

(٨) المهاة : البقرة الوحشية . تهادى : تمشى متمايلة . الكواعب جمع كاعب : وهى الفتاة الناهدة

الذى . أتراب : جمع ترب ، وهو من ولد معك ، فهو فى سنك .

- وهي مَكْنُونَةٌ تَحْيِرُ مِنْهَا (١) في أديم الخدين ماءُ الشباب (١)
 دُمِيَّةٌ عِنْدَ رَاهِبٍ ذِي اجْتِهَادٍ صَوْرُوهَا فِي جَانِبِ الْمَحْرَابِ (٢)
 ثُمَّ قَالُوا : تُحِبُّهَا ؟ قُلْتُ بَهْرًا ! عَدَدَ النِّجَمِ وَالْحَصَى وَالْتُّرَابِ ! (٣)
 حِينَ سَبَّ الْقَتُولَ وَالْجِدَّ مِنْهَا حُسْنُ لَوْنٍ يَرِفُّ كَالزَّرِيَابِ (٤)
 أَذْكَرْتَنِي مِنْ بَهْجَةِ الشَّمْسِ لَمَّا طَلَعَتْ مِنْ دُجْنَةٍ وَسَحَابِ (٥)
 فَأَرْجَحْتَنِي فِي حُسْنِ خَلْقِي عَمِيمٍ تَهَادَى فِي مَشْيِهَا كَالْحُبَابِ (٦)
 غَضَبْتَنِي بِمَجَاجَةِ الْمِسْكِ عَقْلِي فَسَلُّوْهَا مَاذَا أَحَلَّ اغْتِصَابِي (٧)
 قَلَدُوْهَا مِنَ الْقَرَنْفُلِ وَالْدَرِّ رَسَخَابًا وَاهَا لَهْ مِنْ سِخَابِ (٨)

وقال :

- أَلَمْ تَسْأَلِ الْأَطْلَالَ وَالْمُتَرَبِّعَا بِيْطْنِ حَلِيَّاتِ دَوَارِسَ بَلْقَعَا (٩)
 إِلَى الشَّرَى مِنْ وَادِي الْمَغْمَسِ بَدَّلْتُ مَعَالِمَهُ وَبَلَا وَنَكَبَاءَ زَعْرَعَا (١٠)

- (١) مَكْنُونَةٌ : مصونة مستورة : تحير : اجتمع وتردد . أديم الخدين : بياضهما أو صفحتهما . ماء : الشباب : رونقه وبهجته . (٢) الدُمِيَّةُ : الصورة البدئية . الراهب : المقطع للعبادة . المحراب : القبلة أو صدر البيت . (٣) بهرا : حبا قويا . (٤) شبا : زاد في حسنها ، وأظهر جمالا . يرف : يلع . الزرياب : الذهب . (٥) البهجة : الحسن . الدجنة : الطلعة . (٦) أرجحت : مالت واهتزت : عميم : تام . الحبة : تنهادى : تمايل . (٧) مجاجة المسك : ينتشر منها أريج . (٨) السخاب : قلادة من قرنفل وغيره . القرنفل : نبات طيب الرائحة . واهاله : عجا من حسنه على جيدها . (٩) الأطلال جمع طلل : وهو الشاخص من آثار انهيار . المتربع : مكان إقامة الريح . بطن حليات : موضع يظهر أنه قرب مكة . دوارس جمع دارس : أي زائل . بلقعا : قفرا . دوارس بلقعا : حالان من الأطلال والمتربع . (١٠) الشرى : النخيل . المغمس : موضع بطريق الطائف . معالنه : معاهده جمع معلم . الوبل : المطر الشديد . النكباء : ريح انحرقت عن مهب الرياح . زعرعا : شديدة . يقول : تلك الأطلال بناحية هذا الوادي الذي بدلت بمعاله أقطار ورياح .

فِيخَلْنَ أَوْ يُخَيَّرْنَ بِالْعِلْمِ بَعْدَ مَا
يَهْنَدُ وَأَتْرَابَ لَهْنَدٍ إِذِ الْهَوَى
وَإِذْ نَحْنُ مِثْلُ الْمَاءِ كَانَ مَزَاجُهُ
وَإِذْ لَا نَطِيعُ الْعَاذِلِينَ وَلَا نَرَى
تَنَوُّعَيْنِ حَتَّى عَاوَدَ الْقَلْبَ سَقَمُهُ
فَقُلْتُ لِمَطْرِيهِرٍ بِالْحُسَيْنِ : إِنَّمَا
وَأَشْرَيْتَ فَاسْتَشْرَى وَإِنْ كَانَ قَدْ صَحَا
وَهَيَّجَتْ قَلْبًا كَانَ قَدْ وَدَّعَ الصَّبَا
لَنْ كَانَ مَا حَدَّثْتَ حَقًّا فَمَا أَرَى
فَقَالَ : تَعَالَ أَنْظُرْ . فَقُلْتُ : وَكَيْفَ بِي
نَكَانَ قُوَادًا كَانَ قَدَمًا مُفَجَّعًا (١)
بَجَمِيعٍ وَإِذْ لَمْ تَخْشَ أَنْ يَتَصَدَّعَا (٢)
كَمَا صَفَّقَ السَّاقِي الرَّحِيقَ الْمَشْعَشَعَا (٣)
لَوَاشٍ لَدَيْنَا يَطْلُبُ الصَّرْمَ مَطْمَعَا (٤)
وَحَتَّى تَذَكَّرْتُ الْحَدِيثَ الْمَوْدَعَا (٥)
ضَرَرْتَ ، فَهَلْ تَسْطِيعُ نَفْعًا فَتَنْفَعَا ؟ (٦)
قُوَادُّ بِأَمْثَالِ الْمَهَا كَانَ مُوزَعَا (٧)
وَأَشْيَاعُهُ ، فَاشْفَعْ عَسَى أَنْ تُشَفِّعَا (٨)
كَمِثْلِ الْأُلَى أَطْرَيْتَ فِي النَّاسِ أَرْبَعَا (٩)
أَخَافُ مُقَامَا أَنْ يَشِيعَ فَيَشْتَعَا ؟ (١٠)

(١) نكأ الجرح : قشره قبل برئه فندى . مفجعا : موجعا يهند وأترابها .

(٢) جميع : مجتمع . يتصدع : ينفترق .

(٣) مزاجه : ما يمزج به . صفق : حول الشراب ممزوجا من إناء الى آخر ليصفو . الرحيق : الخمر أو أفضاها . المشعشع : الممزوج . يقول : كنا ممتزجين امتزاج الماء بالخمر في الشدة والصفاء .

(٤) العاذلون جمع عاذل : وهو اللائم . الواشي : الغمام . الصرم : القطيعة .

(٥) تنوعتن : توووففن . أى أن كلا وصفنا لصاحبها ما تراه فيها من المحاسن . سقم القلب :

مرضه من الحب المودع : الماضى .

(٦) المطرى : المادح المبالغ . ضررت : باذكاه الغرام فى نفسى . النفع هنا : صلته بهن .

(٧) أشريت قوادى : حركته الى الهوى فتحرك . صحا : ترك الباطل . موزعا : مولعا .

(٨) الصبا : جهلة الفتوة . الأشباع : جمع شبة بالكسر وهى الفرقة . تشفع : تقبل شفاعتك

فبصلتنى .

(٩) أربع نسوة : أى لا أجد فى الناس أربع نسوة كاللواتى وصفت جمالا .

(١٠) مقاما : إقامة معهن . يشيع : يضح .

فَقَالَ : اكْتَفِلْ ، ثُمَّ التَّمْ ، فَأَتِ بَاغِيَا فَلَمَّا تَوَاقَفْنَا ، وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ
فَإِنِّي سَأَخْفِي الْعَيْنَ عَنْكَ فَلَا تُرَى تَبَاهُنَ بِالْعِرْفَانِ لَمَّا عَرَفَنِي
فَأَقْبَلْتُ أَهْوَى مِثْلَ مَا قَالَ صَاحِبِي وَقَرَّبَنَ أَسْبَابَ الْهَوَى لِمُتَيِّمٍ
وَجُوهُ زَهَاهَا الْحَسَنُ أَنْ تَتَّقِنَا (٣) فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْأَحَادِيثَ قُلْنَ لِي :
وَقُلْنَ : امْرُؤٌ بَاغٍ أَكَلٌ وَأَوْضَحَا (٤) فَيَلَامِيسَ أَرْسَلْنَا بِذَلِكَ خَالِدًا
يَقِيسُ ذِرَاعَا كَلَّمَا قِسْنَ إَصْبَعَا (٥) فَمَا جِئْتَنَا إِلَّا عَلَى وَفْقٍ مَوْعِدٍ
أَخِيفَتْ عَلَيْنَا أَنْ نُفَرِّقَ وَنُخْذَعَا ؟ (٦) عَلَى مَلَأٍ مِنَّا خَرَجْنَا لَهُ مَعَا (٨)
إِلَيْكَ ، وَبَيْنَا لَهُ الشَّانَ أَجْمَعَا (٧)

(١) اكنفل : استتر بالكفل وهو في الأصل كساء يدار حول سنام البعير . التَّم : اتخذ اللثام : وهو ما كان على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاب . باغيا : طالبا . تتوزع : تتحشم .

(٢) أهوى : أسرع . أزجى : أسوق . القعود من الإبل : ما يقتعده الراعي في كل حاجة . الموقع : الذي ظهرت به آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه .

(٣) تواقفنا : تقابلنا . زهاها الحسن : استخفها الجمال . أن تتقن : أن تلبس القناع فأسفرت معجبة بجمالها .

(٤) تباهن : ادعين البله ، وهو الغفلة . العرفان : المعرفة . باغ : طالب . أكل : أعيأ وتعب . أوضع : حل ناقته على السير السريع .

(٥) المتيم : الذي دلهه الحب .

(٦) تنازعنا : تبادلنا .

(٧) الشان أجمعا : الأمر جميعه أى رسمنا له الخطة

(٨) الوفى : المطابقة . الملاء : الجماعة .

رَأَيْنَا خَلَاءَ مِنْ عُيُونٍ وَمَجْلَسًا
وَقُلْنَ : كَرِيمٌ نَالَ وَصَلَ كَرَامِ
دَمِيتُ الرُّبَا سَهْلَ الْمَحَلَّةِ مُمْرِعًا^(١)
فُحِّقْ لَهُ فِي الْيَوْمِ أَنْ يَمْتَعًا

وقال :

لَيْتَ هَذَا أَنْجَزْتَنَا مَا تَعِدُ
وَاسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً
زَعَمُوهَا سَأَلْتُ جَارَتَهَا ،
أَكَمَا يَنْعَتْنِي تُبْصِرْنِي ؟
فَتَضَاحَكْنَ ، وَقَدْ قُأْنَ لَهَا :
حَسَدًا حُمْلَهُ مِنْ شَأْنِهَا
وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا نَحْجِدُ^(٢)
إِنَّمَا الْعَاجِزُ مِنْ لَا يَسْتَبِدُّ
وَتَعَرَّتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَبْتَرِدُ :^(٣)
عَمْرُكُنَّ اللَّهُ ! أَمْ لَا يَقْصِدُ !^(٤)
حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدَّ !^(٥)
وَقَدِيمًا كَانَ فِي النَّاسِ الْحَسَدُ

(١) الدميت : اللبن ذو الرمل . الربا : جمع ربوة ، وهى ما ارتفع من الأرض . مريع : مخصب .

(٢) أنجزتنا ما تعد : وف بوعدها . مما نوجد : أى من الوجد .

(٣) تبترد : قصب الماء البارد على رأسها .

(٤) ينعتنى : يصفى . عمركن الله : أى أذكركن الله . يقصد : يعتدل ، فلا يبالغ .

(٥) أى أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس .

- غَادَةً تَفْتَرُ عَنْ أَشْنَبِهَا حِينَ تَجْلُوهُ أَقَاحٍ أَوْ بَرْدٍ ^(١)
وَلَهَا عَيْنَانِ فِي طَرْفَيْهِمَا حَوْرٌ مِنْهَا، وَفِي الْجِيدِ غَيْدٍ ^(٢)
قُلْتُ : مَنْ أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا مَنْ شَفَةُ الْوَجْدِ، وَأَبْلَاهُ الْكَمَدُ ^(٣)
نَحْنُ أَهْلُ الْخَيْفِ مِنْ أَهْلِ مَنَى مَا لِمَقْتُولٍ قَتْلَانُهُ قَوْدٌ ^(٤)
قُلْتُ : أَهْلًا ! أَتُمْ بُغَيْتُنَا ، فَتَسْمِينَ ! فَقَالَتْ : أَنَا هِنْدُ ! ^(٥)
إِنَّمَا ضَلَّ قَلْبِي فَأَحْتَوَى صَعْدَةً فِي سَابِرِي تَطَّرِدُ ^(٦)
إِنَّمَا أَهْلُكَ جِيرَانُ لَنَا إِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ شَيْءٌ أَحَدُ ^(٧)
حَدَّثُونَا أَنَّهَا لِي نَفَثَتْ عَقْدًا ، يَا حَبْدًا تِلْكَ الْعُقْدُ ! ^(٨)
كُتِبَا قُلْتُ : مَتَى مِيعَادُنَا ؟ ضَحِكْتَ هِنْدُ ، وَقَالَتْ : بَعْدَ غَدِ !

(١) الغادة : المرأة اللينة . تفتّر : تظهر . الأشنب : الashab : الفم في أسنانه ماء ورقة وعذوبة . تجلوه : تكشفه . الأقاح : جمع أخوان وهو البابونج البري من نبات الربيع له نوراً بيض . البرد : ماء الغمام يسقط جامداً .

(٢) الحور : شدة سواد العين مع شدة بياضها . الجيد : العنق . غيد : نعومة .

(٣) شفه الوجد : أهزله الحب . الكمد : الحزن الشديد .

(٤) الخيف : ناحية من منى عند مكة . القود : القصاص .

(٥) بغيتنا : مطلبنا .

(٦) ضال : صار ضالاً لا يهتدى . احتوى : اشتمل . الصعدة : القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج

الى متف ، شبه بها محبوبته في اعتدال قدها . السابري : الثوب الرقيق الجيد . تطرد : تمشي مستقيمة .

(٧) شيء . أحد : أى شيء . واحد .

(٨) نفثت عقداً : سحرتنى ، والنفث : النسخ ، والعقد تكون من خيوط وينفث فيها قصد

السحر .

(٢٠) قال كثير عزة (١) :

خَلِيلِي هَذَا رُبُّ عَزَّةٍ فَاعْقِلَا قَلُوصِيكَا ثُمَّ ابْكَا حَيْثُ حَلَّتْ (٢)
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَ عَزَّةٍ مَا الْهَوَى وَلَا مُوجِعَاتِ الْحَزَنِ حَتَّى تَوَلَّيْتُ
فَقَدْ حَلَقْتُ جَهْدًا بِمَا نَحَرْتُ لَهُ قُرَيْشٌ غَدَاةَ الْمَازِمِينَ وَصَلَّتْ (٣)
أُنَادِيكَ مَا جِجَ الْجِجِجُ وَكَبَّرْتُ يَفِيفًا غَزَالَ رُقْفَةٍ وَأَهْلَتْ (٤)
وَكُنْتُ بَقِيعَ الْحَبْلِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا تَكَادِرَةٌ نَذْرًا فَأَوْفْتُ وَحَلَّتْ (٥)

(١) لم يكن لكثير بن عبد الرحمن من المكاة في الشرف والشعر الغزلي ما كان بلجمل أو عمر أو سواهما من الغزلين ؛ فقد كان فيما يظهر دعيا في الحب غير مرغوب فيه لقبح صورته وهوان شخصيته فوق ثقافته السيانية وتردده بين الشيعة وبني أمية ، أخذ يشهر بعزة بنت حميد الضمرى حتى عرف بها وكانت وفاة سنة ٥١٠ هـ . وما بقي من شعر كثير يدل على أسلوب جيد وصنعة حسنة وإن كان لا يبلغ في صدق الشعور مبلغ أضرابه الغزلين .

(٢) الربع : الدار . عقل البعير : شدّ وظيفه إلى ذراعه (قيده) . القلوص : الناقة الشابة أو الطويلة . القوائم . يدعو صاحبيه المزعومين إلى المكث عند ربيع صاحبه والبكاء عنده وفاقا لها .
(٣) الجهد : الطاقة . حلفت جهدا : بالغت في العزم . نحرت : ذبحت الضحايا . المأزم ، ويقال المأزمان : مضيق بين جمع وعرفة وآخرين مكة ومنى . والمعنى أقسمت بالله لتقطعني .
(٤) أناديك : أجالسك من النادي والندى وهما المجلس كما في الأمالى . الجيجج : جمع جيج وهو قاصد مكة للنسك . فيفاء الغزال : مكان بمكة لا ماء فيه . الرقفة : مثلثة الزاء : الأصحاب . أهلت : رفعت أصواتها بالتلبية والدعاء .

(٥) الحبل : الوصل . أوفت النذر : أدته ولم تقدر . حلت : خرجت من عهده لما أوفته .

- فَقُلْتُ لَهَا : يَا عَمْرُؤُ كُلِّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِنْتُ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ (١)
وَلَمْ يَلْقَ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُبِّ مِيعَةً تَعْمُ وَلَا غَمَاءَ إِلَّا تَجَلَّتْ (٢)
كَأَنِّي أَنَادِي صَخْرَةً حِينَ أَعْرَضْتُ مِنَ الصَّمِّ لَوْ تَمَشَّى بِهَا الْعُصْمُ زَلَّتْ (٣)
صَفُوحًا فَمَا تَلْقَاكَ إِلَّا بِخَيْلَةٍ فَمِنْ مَلٍّ مِنْهَا ذَلِكَ الْوَصْلَ مَلَّتْ (٤)
أَبَاحَتْ حِمِّي لَمْ يَرَعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حَلَّتْ (٥)
فَلَيْتَ قَلُوصِي عِنْدَ عَزَّةٍ قُيِّدَتْ بِجَبَلٍ ضَعِيفٍ عُرٌّ مِنْهَا فَضَلَّتْ (٦)
وَعُودِرٍ فِي الْحَيِّ الْمَقِيمِينَ رَحْلَهَا وَكَانَتْ لَهَا بَاغٌ سِوَايَ فَبَلَّتْ (٧)
وَكُنْتُ كَذِي رَجُلَيْنِ رَجُلٍ صَحِيحَةٍ وَرَجُلٍ رَمَى فِيهَا الزَّمَانَ فَشَلَّتْ (٨)
وَكُنْتُ كَذَاتِ الظَّلَعِ لَمَّا تَحَامَلْتُ عَلَى ظَلْعِهَا بِمَسَدِ الْعِثَارِ اسْتَقَلَّتْ (٩)

- (١) وطنت : مهدت وأعدت . ذلت : سهلت ولانت .
(٢) الميعة : الشدة وأول الشيء وأصله . الغماء : الكرب تجلت : انكشفت وزالت .
(٣) الصم : جمع أصم : الصلب . العصم : جمع أعصم وهو الوعل في ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحر . زلت : زلقت يقول : لما أعرضت عني لا تجيب ندائي كافي أدعو صخرة صلبة عظيمة ملساء لا تستقر عليها الوعول .
(٤) الصفوح : المرأة المعرضة الهاجرة . بخيلة بالوصل : لا تبذله .
(٥) الحمى : ما يحجى ويدفع عنه والمراد قلب الشاعر الذي احتلته . برعاه الناس بدخلون إلى . التلاع : جمع تلعة وهي الأرض المرتفعة أو المنخفضة ، ويريد أنها ملكت عليه نفسه بالحُب حين لم يستطع ذلك سواها .
(٦) عر منها : قطع .
(٧) رحل الناقة : ما يوضع على ظهرها كالسرج . باغ : طالب . بلت : نجت وذهبت .
(٨) رمى فيها الزمان : أصابها بالتلف . شلت : قطعت أو ييست .
(٩) الظلع : العيب والغمز في المشى . تحاملت على ظلعها : تكلفت الناقة السير على رغمها . استقلت : استقام مشيا . يمتنى لو أتيح له ما يعطل سفره فيبقى مع عزة .

- أُرِيدُ الثَّوَاءَ عِنْدَهَا ، وَأُظْهِرُهَا إِذَا مَا أَطْلُنَا عِنْدَهَا الْمَكْثَ مَلَّتْ (١)
- فَمَا أَنْصَفْتُ : أَمَا النِّسَاءَ فَبَغَّضْتُ إِلَيَّ ، وَأَتَا بِالنِّوَالِ فَضَنَّتْ (٢)
- فَإِنْ تَكُنِ الْعُتْبَى فَاهْلًا وَمَرْحَبًا ! وَحَقَّتْ لَهَا الْعُتْبَى لَدَيْنَا وَقَلَّتْ (٣)
- وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى فَإِنَّ وَرَاءَنَا مَنَادِحَ لَوْ سَارَتْ بِهَا الْعَيْسُ كَلَّتْ (٤)
- خَلِيلَ إِنِّ الْحَاجِيَّةَ طَلَّحْتُ قَلُوصِيكَمَا وَنَاقِي قَدْ أَكَلْتُ (٥)
- فَوَاللَّهِ ثُمَّ اللَّهُ مَا حَلَّ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا مِنْ خُلَّةٍ حَيْثُ حَلَّتْ
- وَمَا مَرَّ مِنْ يَوْمٍ عَلَى كَيَوْمِهَا وَإِنْ عَظُمَتْ أَيَّامُ أُخْرَى وَجَلَّتْ
- وَأُضْحِثُ بِأَعْلَى شَاهِقٍ مِنْ فُؤَادِهِ فَلَا الْقَلْبَ يَسْلَاهَا وَلَا الْعَيْنُ مَلَّتْ (٦)
- فَيَا عَجَبًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اعْتَرَفَهُ وَلِلنَّفْسِ لَمَّا وَطَّئَتْ كَيْفَ ذَلَّتْ (٧)
- وَأِنِّي وَتَهْيَامِي بِعِزَّةٍ بَعْدَ مَا تَخَلَّيْتُ مِمَّا بَيْنَنَا وَتَخَلَّتْ (٨)
- لَكَ لِمُرْتَجِي ظِلِّ الْغَمَامَةِ كَلَّمَا تَبَوَّأَ مِنْهَا لِلْقَيْلِ اضْضَحَلَّتْ (٩)

- (١) الثَّوَاءُ : الإقامة . (٢) ضَنَّتْ : بَخَلَّتْ .
- (٣) الْعُتْبَى : الإِعْتَابُ ، يُقَالُ عَاتَبَنِي فَلَانُ فَأَعْتَبْتَهُ إِذَا نَزَعْتَ عَمَّا عَاتَبَنِي عَلَيْهِ . أَيْ إِذَا عَدَلْتَ عَنِ الْقِطْعَةِ وَالصَّدِّ سِرْرًا وَأَعْتَبْنَاهَا كَذَلِكَ . قُلْتُ : أَيْ هِيَ شَيْءٌ قَلِيلٌ مُخْتَمَلٌ .
- (٤) الْأُخْرَى : يَقْصُدُ الْقِطْعَةَ وَالْهَجَرَ . الْمَنَادِحُ : الْوَاسِعَةُ الْبَعِيدَةُ مِنَ الْأَرْضِ . الْعَيْسُ : الْإِبِلُ الْبَيْضُ يَخَالِطُ بَيَاضَهَا شُقْرَةَ . كَلَّتْ : أَعْيَتْ مِنَ السَّيْرِ .
- (٥) طَلَّحْتُ : أَكَلْتُ وَأَتَعَبْتُ . وَالْحَاجِيَّةُ : لَعْلَهُ لَقَبُ عِزَّةٍ .
- (٦) الشَّاهِقُ : الْمُرْتَفِعُ مِنَ الْجِبَالِ وَالْأَبْنِيَةِ وَغَيْرِهَا .
- (٧) اعْتَرَفَهُ : صَبَرَهُ . يَرِيدُ قُوَّةَ صَبْرِهِ عَلَى أَهْوَالِ الْحُبِّ . وَخُضُوعَ نَفْسِهِ لَوِيْلَاتِهِ .
- (٨) التَّهْيَامُ : كَالْجَنُّونِ مِنَ الْعَشْقِ . تَخَلَّيْتُ مِنَ الشَّيْءِ : تَرَكْتُهُ .
- (٩) الْغَمَامَةُ : السَّحَابَةُ أَوِ الْيَضَاءُ خَاصَّةً . تَبَوَّأَ الْمَكَانَ : نَزَلَ فِيهِ . الْمَقِيلُ : النَّوْمُ نِصْفَ النَّهَارِ . تَخَلَّتْ : انْقَشَعَتْ . يُشَبَّهُ تَعَلُّقَهُ بِعِزَّةٍ بَعْدَ الْقِطْعَةِ بِاللَّاحِظِ إِلَى ظِلِّ سَحَابَةٍ ، وَوَجْهَ الشَّيْءِ الطَّمَعِ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ .

كأني وإياها سحابةٌ مُحمِلٌ رجاها فلما جاوزته استهلت (١)
فإن سأل الواشون : فيم هجرتها فقل : نفسٌ حرّسُلت فقتلت !

(ج) النثر

(١) من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتب الى هرقل ملك الروم :

من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى .
أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرّتين . فإن
تولّيت فإن عليك إثم الأريسيين^(٢) . ويأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم
ألا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن
تولّوا فقلوا أشهدوا بأننا مسلمون .

وكتب في صلح الحديبية بينه وبين قريش :^(٣)

بِسْمِكَ اللَّهُمَّ ، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، سهيل بن عمرو ؛ اصطلاحاً على
وضع الحرب عى الناس عشر سنين ، يأمن فيهنّ الناس ويكف بعضهم عن بعض
على أن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع

(١) المحل : المجذب بعوزه المطر . جاوزته : بددت عنه . استهلت : أمطرت .

(٢) الأريسيون : الفلاحون والعمال لأنهم تبع لساداتهم وكبرائهم .

(٣) الحديبية : قرية صغيرة بينها وبين مكة مرحلة نزل بها النبي عليه السلام سنة ست للهجرة قاصداً
مكة لزيارة الكعبة معتمراً فأرادت قريش منعه الدخول مخافة العار وبعد تراسل بينهما تصالحا على ما في هذه
الصحيفة .

محمد لم يردوه عليه ، وأن بيننا عيبةً مكفوفةً^(١) ، وأنه لا إسلال ولا إغلال^(٢) ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وأنت ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة ، فإذا كان عام قابل خرجنا عنها فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، وإن معك سلاح الرّاكب والسيف في الركب ؛ فلا تدخلها بغير هذا .

خطبته يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة ثم قال :

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، صدق الله وعده ، ونصر عبده وهزم
الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين^(٤) .
إلا سداة البيت وسقاية الحاج^(٥) ، ألا وقيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا فيه الدية
مغلظة فيها أربعون خلفه^(٦) ، في بطونها أولادها . يا معشر قريش إن الله قد أذهب
عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم وآدم خلق من تراب . ثم تلا
هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ .

(١) العيبة : موضع السر أو الخريطة لللابس والمراد الأمن .

(٢) الإسلال : السرقة الخفية والرشوة . الإغلال : الخيانة .

(٣) ما وعدهم به من فتح مكة وهزيمة الأحزاب أعدائه .

(٤) المأثرة : الجليل . الدم : القتل .

(٥) سداة الكعبة : خدمتها . سقاية الحاج وسداة الكعبة : كانا من عمل الهاشميين منذ الجاهلية .

(٦) الخلفة : الناقة الحامل . (٧) نخوة الجاهلية : جهالتها وسفوها .

يا معشر قريش ! ما ترون أنى فاعل بكم ؟

قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم .

قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ^(١) .

ومن خطبته في حجة الوداع ^(٢)

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ،
ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أوصيكم
عباد الله بتقوى الله ، وأحسبكم على طاعته ، وأستفتح بالذي هو خير « أما بعد » أيها
الناس اسمعوا مني أيين لكم ، فإنني لا أدري لعل لا ألقاكم بعد عامي هذا ، في موقي
هذا . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ^(٣) إلى أن تلقوا ربكم ، تحريم يومكم
هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! فمن كانت عنده
أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها . وإن رباً الجاهلية موضوع ^(٤) ، وإن أول رباً أبدأ به
ربا عمى العباس بن عبد المطلب . وإن دماء الجاهلية موضوعة ؛ وإن أول دم
أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن ماثر الجاهلية موضوعة

(١) الطلقاء : جمع طليق ، وهو الرجل الذي يؤسره ثم يخلي عنه .

(٢) آخر حجة له .

(٣) حرام سفك الدماء وأغتصاب الأموال .

(٤) موضوع : ساقط لا حساب عليه .

غير السّدانة والسّقاية . والعمدُ قودٌ^(١) ، وشبهُ العمد ما قُتِلَ بالعصا والحجر ، وفيه مائةٌ بعيرٌ ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية . أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبدَ في أرضكم هذه ؛ ولكنه قد رضى أن يطاعَ فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم .

أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقًا . ولكم عليهن حقٌ . لكم عليهن ألا يوطئنَ فرشكم غيركم ، ولا يدخلنَ أحدًا بيوتهنَّ إلا بإذنكم ، ولا يأتينَ بفاحشةٍ ؛ فإن فعلنَ فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهنَّ^(٢) وتهجروهنَّ في المضاجع وتضربوهنَّ ضربًا غير مبرحٍ^(٣) ؛ فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهنَّ وكسوتهنَّ بالمعروف ؛ فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهنَّ خيرا ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ؛ فلا يحلُّ لامرئٍ مأل أخيه إلا عن طيب نفسٍ منه ، ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! فلا ترجعنَّ بعدى كفارًا يضربُ بعضكم رقابَ بعضٍ ؛ فإنى قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لم تضلُّوا بعده : كتاب الله . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله اتقاكم ، وليس لعربي على عجمي فضلٌ إلا بالتقوى . ألا هل بلغت ؟ اللهم اشهد ! قالوا : نعم ! قال فليبلغنَّ الشاهد الغائب . والسلام عليكم ورحمة الله !

(١) القود : القصاص . والمراد بالعمد : القتل عمدا .

(٢) المضل : التضيق .

(٣) الضرب المبرح : الشديد الأذى .

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام :

إِنْ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا ^(١) طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَلِيلَتِ الْمَاءُ ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ ^(٢) أَمْسَكَتِ الْمَاءَ ، فَفَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا ، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ ^(٣) مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْحَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا ؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ فِي دِينِ ^(٤) اللَّهِ تَعَالَى وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَعِلِمٌ وَعِلْمٌ ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا ، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسَلْتُ بِهِ .

إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ ^(٥) وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ تَقَعُ فِيهَا ، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبُهُنَّ فَيَقْتَحِمُنَّ فِيهَا ؛ فَأَنَا آخِذٌ بِمُحْجَزِكُمْ ^(٦) عَنِ النَّارِ ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا .

أَدَّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ أَنْتَمُكَ ؛ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ .

إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ^(٧) بِعِقَابٍ .

مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ ^(٨) قَدَّاعَى لَهُ سَائِرَ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَّى .

(١) أجادب : قيل جمع أجذب ، جمع جذب : القفر الصماء . (٢) القَيْحَانُ جمع قاع : أرض مهلهة مطمئنة انفسرحت عنها الجبال . (٣) ذلك إشارة إلى المثل الأول : الطائفة الطيبة . (٤) إشارة إلى المثل الأخير . (٥) استوقد : أشعل . (٦) اقتحم في الشيء . (٧) دخل فيه من غير روية . (٨) المحجز : جمع حجرة : معقد الأزار . (٩) يدل هذا الحديث على قيمة التناهي عن الشر في الجماعات والشعوب . (٩) دعا بعضها بعضا لمشاركته في الألم .

أَنْصُرَ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا : قِيلَ : أَنْصُرْهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا ، فَكَيْفَ أَنْصُرْهُ ظَالِمًا ؟ قَالَ : تَحْجِزُهُ عَنِ الظُّلْمِ ، فَإِنْ ذَلِكَ نَصْرُهُ .

مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَبِضَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ مِنْ يَكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ .
مَنْ يَرُدُّ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يَفْقَهُهُ فِي الدِّينِ .

نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مِنْهُ شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ ، قُرْبٌ مُبْلَغٍ أَوْ عَمَى مِنْ سَامِعٍ .
وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ مِنْهُ الْقَوْمَ فَيَكْذِبَ وَيُلُّ لَهُ ، وَيُلُّ لَهُ !

لَا يَكُنْ أَحَدُكُمْ إِمْعَةً : يَقُولُ : أَنَا مَعَ النَّاسِ ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنْتُ ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَسَأْتُ ، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا ، وَإِنْ أَسَاءُوا أَنْ تَجْتَنِبُوا إِسَاءَتَهُمْ .

لَا يَأْمُرُ أَحَدُكُمْ (٣) حَتَّى يَحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يَحِبُّ لِنَفْسِهِ .

الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ (٤) ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمَنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ .

مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ (٥) .

(١) وَيْلٌ لَهُ : أَيْ شَرُّ أَوْ هَلَاكٌ يَحِلُّ بِهِ ، تَسْتَعْمَلُ فِي التَّهْوِيلِ وَالْإِنْذَارِ .

(٢) الْإِمْعَةُ : الْمُرْتَدُّ لَا يَثْبُتُ عَلَى رَأْيٍ ، كَمَا يَفْسِرُ ذَلِكَ سَائِرُ الْحَدِيثِ .

(٣) أَيْ لَا يَكُلُّ إِيمَانَ الشَّخْصِ إِلَّا بِذَلِكَ .

(٤) أَيْ مِنْ شَرْقُولِهِ وَعَمَلِهِ .

(٥) أَيْ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ عَلَى الْمَعْرُوفِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْهِ لِأَنَّ النَّاسَ وَسِيلَةُ الْخَيْرِ إِلَيْهِ .

لأَحْسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ : رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا ،
ورَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا ، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَاكَتِهِ فِي الْحَقِّ .

يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيُسَبُّ فِيهِ اثْنَتَانِ : الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ وَالْحِرْصُ عَلَى الْعُمُرِ .
إِنَّ مِنْ أَحْبَبِكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا ، وَإِنْ
أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرَاوُونَ وَالتَّشَدُّقُونَ ^(١) وَالتَّفْهِيْقُونَ
قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَا الْمُتَفْهِقُونَ ؟ قَالَ : الْمُتَكَبِّرُونَ .

كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ،
وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ . وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ ،
وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْحَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ .

بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ ، فَوَجَدَ بَرًّا فَتَزَلَّ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ
خَرَجَ ، وَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ ^(٢) يَا كُلُّ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ! فَقَالَ الرَّجُلُ : لَقَدْ بَلَغَ
هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي . فَزَلَّ الْبَرُّ ، فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ
أَمْسَكَ بِفِيهِ حَتَّى يَرْقَى ، فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ !

مَنْ يُحَرِّمِ الرِّفْقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ .

خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى . وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ .

إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً ^(٣) فَلَا يَتَنَاجَى ^(٤) اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ .

(١) الثَّرَارُ : الَّذِي يَكْثُرُ الْكَلَامُ تَكَلُّفًا وَمَجَاوِزًا وَخُرُوجًا عَنِ الْحَقِّ ، الْمُتَشَدِّقُ : الَّذِي يُلَوِّ

شَدَقَهُ نَعْظًا .

(٢) يَلْهَثُ : يَخْرُجُ لِسَانُهُ مِنَ النَّفْسِ الشَّدِيدِ عَطَشًا أَوْ إِعْيَاءً .

(٣) أَيْ الْجَمْعُ أَوِ الْجُلُوسُ . (٤) يَتَنَاجَى : يَتَسَارَّ .

القضاة ثلاثة : واحد في الجنة ، واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق ففضى به ، ورجل عرف الحق وجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار .

لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحِبَّهُ ، ثُمَّ يَأْتِيَ الْجَبَلَ ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعُهَا خَيْرَ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ : أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ .

(٢) نموذج من كلام أبي بكر الصديق ^(١)

لما توفى الرسول عليه السلام واضطرب الناس خطبهم فقال :

أيها الناس : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، وإن الله قد تقدم إليكم في أمره ^(٢) فلا تدعوه جزعاً ، وإن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أذكر . يا أيها الذين آمنوا كونوا قزامين بالقسط ^(٣) ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ، ولا يفتننكم عن دينكم فعاجلوه بالذي تعجزونه ولا تستنظروه ^(٤) فيلحق بكم .

(١) هو عبد الله بن أبي نخافة القرشي نشأ عالماً كريماً حليماً ، وكان أسبق الرجال سلاماً وأشدهم بلاءاً في نصرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولى شئون المسلمين بعد رسول الله فباسمهم بحكمة ولين حتى توفى سنة ١٢ هـ .

(٢) أظهركم على نهايته بوفاته فلا تعرضوا عن قضاء الله جزعاً .

(٣) القسط : العدل .

(٤) لا تستنظروه : أى لا تتأولوا عليه بل عاجلوه باعتزام الخير وإيقاظه .

خطبة له أخرى

وقد جاء مال من البحرَيْنِ ساوَى فيه بين الناس فغضب الأنصار (١) .

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال :
يا معشر الأنصار ، إن شئتم أن تقولوا : إنا آويناكم في ظلالنا ، وشأطرناكم
في أموالنا ، ونصرناكم بأنفسنا — قلتم ، وإن لكم من الفضل مالا يحصيه الأسد
وإن طال به الأمد ، فنحن وأنتم كما قال طفيل الغنوي (٢) :

بحرى الله عنا جعفرًا حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلت (٣)
أبوا أن يمسكونا ، ولو أنبأنا تلاقى الذي يلقون منا ملأت
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفأت وأظلت

خطبته يوم السقيفة (٤)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :
أيها الناس : نحن المهاجرون ، أول الناس إسلامًا ، وأكرمهم أحسابًا (٥)
وأوسطهم دارًا ، وأحسبهم وجوهًا ، وأكثر الناس ولادة في العرب ، وأمسبهم
رحمًا برسول الله

(١) الأنصار : الذين نصروا الرسول بعد الهجرة إلى المدينة وأكثرهم من الأوس والخزرج ،
فقال لهم المهاجرون الذين يتحدث أبو بكر بلسانهم .

(٢) شاعر جاهلي من قيس .

(٣) كناية عن الحاجة وسوء الحال .

(٤) يوم السقيفة : يوم اجتماع العرب في سقيفة بني ساعدة عقب وفاة الرسول عليه السلام للنظر
فيمن يخلفه ، وتنافس في ذلك المهاجرون والأنصار .

(٥) الحسب : مفاخر الآباء .

صلى الله عليه وسلم . أَسَلَمْنَا قَبْلَكُمْ ، وَقَدَّمْنَا فِي الْقُرْآنِ عَلَيْكُمْ ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ) فَنَحْنُ
الْمُهَاجِرُونَ ، وَأَنْتُمْ الْأَنْصَارُ ، إِخْوَانُنَا فِي الدِّينِ وَشُرَكَائُنَا فِي الْفَيْءِ ^(١) وَأَنْصَارُنَا عَلَى الْعَدُوِّ .
أَوَيْتُمْ وَوَأَسَيْتُمْ . فَخَزَاكُمْ اللَّهُ خَيْرًا ! فَنَحْنُ الْأَمْراءُ وَأَنْتُمْ الْوُزراءُ . لَا تَدِينُ الْعَرَبُ
إِلَّا هَذَا الْحَيَّ مِنْ قُرَيْشٍ ؛ فَلَا تَنْفَسُوا عَلَى إِخْوَانِكُمُ الْمُهَاجِرِينَ ^(٢) مَا مَنَحَهُمُ اللَّهُ
من فضله .

وصيته عند وفاته لعمر بن الخطاب

إِنِّي مُسْتَخْلِفُكَ مِنْ بَعْدِي وَمَوْصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ . إِنْ لِلَّهِ عَمَلًا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ
بِالنَّهَارِ ، وَعَمَلًا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ . وَإِنَّهُ لَا يَقْبَلُ ^(٣) نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ ؛
فَإِنَّمَا ثَقَلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا وَثِقَلِهِ
عَلَيْهِمْ ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا ، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ
مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ وَخِفَّتِهِ عَلَيْهِمْ ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعُ
فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا . إِنْ اللَّهُ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ
وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ ؛ فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتُ : إِنِّي أَخَافُ إِلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ
أَهْلَ النَّارِ فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَأِ أَعْمَالِهِمْ وَلَمْ يَذْكُرْ حَسَنَاتِهِمْ ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتُ : إِنِّي لَا أَرْجُو
إِلَّا أَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ ، وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ مَعَ آيَةِ الْعَذَابِ لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاغِبًا ،

(١) الْفَيْءُ : الْغَنِيمَةُ وَالْخِرَاجُ .

(٢) لَا تَنْفَسُوا عَلَيْهِمْ : لَا تَحْسُدُوهُمْ .

(٣) النَّافِلَةُ : السَّنةُ الَّتِي لَا يُلْزَمُ أَدَاؤها بَلْ يَشْتَحِبُ . وَالْفَرِيضَةُ : مَا يُلْزَمُ أَدَاؤها مِنْ أُمُورِ الدِّينِ .

ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يُلقى بيده إلى التهلكة^(١) ، فإذا حفظت وصيتي فلا
يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَهُوَ آتِيكَ ، وَإِنْ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ
أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَلَسْتُ بِمُعْجِزِ اللَّهِ .

ودخل عليه عبد الرحمن بن عوف في علته التي مات فيها فقال له أراك بارئاً
يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

أَمَّا إِنِّي عَلَى ذَلِكَ لِشَدِيدِ الْوَجَعِ ، وَلِمَا لَقِيتُ مِنْكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ أَشَدُّ عَلَى
مَنْ وَجَعِي . إِنِّي وَلَيْتَ أُمُورَكُمْ خَيْرَكُمْ فِي نَفْسِي ، فَكَلِّكُمْ وَرِمَ أَنْفَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ
الْأَمْرُ مِنْ دُونِهِ . وَاللَّهِ لَتَتَّخِذَنَّ نَضَائِدَ الدِّيَابِاجِ وَتُسْتَوِّرَ الْحَرِيرَ ، وَلَتَأْلَمَنَّ النَّوْمَ عَلَى
الْبُصُوفِ الْأَذْرَبِيِّ كَمَا يَأْلَمُ أَحَدُكُمْ النَّوْمَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ
يَقْدَمَ أَحَدُكُمْ فَتَضْرِبَ عُنُقَهُ فِي غَيْرِ حَدٍّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَخْوُضَ غَمَرَاتِ الدُّنْيَا .
يَا هَادِيَ الطَّرِيقِ جَرَتْ . إِنَّمَا هُوَ وَاللَّهُ الْفَجْرُ أَوْ الْبَجَرُ .

(١) التهلكة : الهلاك .

(٢) يريد أن العمل بالوصية يجعل الموت أحب إليه كما أن تضييعها يبغضه في الموت مع أنه حتم .

(٣) ذلك إشارة إلى البرء من المرض . (٤) اللام للتوكيد وما موصولة مبتدأ خبره أشد .

(٥) ورم أنفه : أى امتلاء غيظاً ، وذكر الأنف . لتأثره بالفضب ، كما يقال شخ بأنفه للتكبر ،

أى رفع رأسه . (٦) النضائد : الوسائد ، المفرد نضيدة ، والمراد ما نضد في البيت من أثاث .

الديباج : الثوب سداه ولحمته من حرير ، والمراد الحرير . (٧) الأذربي : نسبة إلى أذربيجان .

(٨) الحسك : الشوك . السعدان : نبت كثير الحسك . (٩) غمرات الدنيا : شئونها

التي تحير الناس . (١٠) جرت : حدثت عن جادة الصواب .

(١١) يقول : إن انتظرت حتى يضى لك الفجر الطريق أبصرت قصدك ، وإن سلكت الظلمات

وقعت في المكروه . وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا . البجر : الشر والهداية .

(٣) نبذة من كلام عائشة^(١)

قالت على قبر أبيها :

نَصَرَ اللَّهُ يَا أَبَتِ وَجْهَكَ^(٢) وَشَكَرَكَ صَاحِبَ سَعِيكَ ، فَلَقَدْ كُنْتَ لِلدُّنْيَا مُذِلًّا
بِإِدْبَارِكَ عَنْهَا ، وَلِلْآخِرَةِ مُعِزًّا بِإِقْبَالِكَ عَلَيْهَا ، وَلَئِنْ كَانَ أَعْظَمَ الْمَصَائِبِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِزْوُوكَ ، وَأَكْبَرَ الْأَحْدَاثِ بَعْدَهُ فَقَدْ كُنْتَ — إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ عِزٌّ وَجَلٌّ
لِعِبْدِنَا بِالصَّبْرِ عَنْكَ حُسْنَ الْغَوْضِ مِنْكَ ، وَأَنَا مُسْتَنْجِزَةٌ^(٣) مِنَ اللَّهِ مَوْعِدَهُ مِنْكَ بِالصَّبْرِ
عَنْكَ ، وَمُسْتَعِينَةٌ كَثْرَةَ الْاسْتِغْفَارِ لَكَ . فَسَلَامُ اللَّهِ عَلَيْكَ تَوَدِّعَ غَيْرِ قَالِيَةِ حَيَاتِكَ^(٤) ،
وَلَا زَارِيَةٍ غَلَى الْقَضَاءِ فِيكَ .

(٤) من آثار عمر بن الخطاب^(٥)

رسالته في القضاء إلى أبي موسى الأشعري^(٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ : سَلَامٌ
عَلَيْكَ ، أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ . فَافْهَمْ إِذَا أَدُلِّيَ إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ

(١) هي السيدة عائشة بنت أبي بكر وزوج الرسول عليه السلام تزوجها صغيرة ، فنشأت راوية للحديث عالمة بالدين متأدبة بالأدب العالي . وقد كان لها في الأحداث السياسية بعد وفاة الرسول مواقف مشهورة . (٢) نصر وجهك . جعله ناضرا ، أى حسنا جميلا ، كناية عن حسن المثوبة .

(٣) إن : شرطية . أى إن عظم رزؤك وفقدك فإن كتاب الله الخ .

(٤) مستنجزة : طالبة الانجاز والوفاء . (٥) قالية : كارهة . زارية : عاتبة أو عاتبة .

(٦) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشي ولد في الجاهلية وربى فيها وعرف بالشجاعة والحزم والسيادة وقد هداه الله إلى الاسلام بعد عداوة قوية ، فكان من أعظم أنصاره . فلما ولي الخلافة بعد أبي بكر قام بأعبائها خير قيام حتى قتل غيلة سنة ٢٣ هـ . وبعد عمر بن الخطاب من أبلغ الناس وأقواهم أسلوبا وأقدمهم للشعر وأرواهم له .

(٧) من رجال المسلمين الأعلام ، ولى قضاء البصرة حين بعث إليه عمر بهذه الرسالة . وله معروف في مسألة التحكيم بين على ومعاوية . (٨) أى تقدم اليه المتقاضون بحجتهم .

لا يَنْفَعُ تَكْلِمُ بِحَقِّ لَا تَفَادَ لَهُ . ^(١) آسَ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَعَدْلِكَ وَمَجْلِسِكَ ، حَتَّى
 لَا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فِي حَيْفِكَ ، وَلَا يَيْئَسُ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ . ^(٢) الْبَيِّنَةُ عَلَى مَنْ ادَّعَى ،
 وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ . وَالصُّلَحُ جَائِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صَلَاحًا أَحَلَّ حَرَامًا أَوْ حَرَّمَ
 حَلَالًا . لَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضَيْتَهُ الْيَوْمَ ، فَرَاغَتْ فِيهِ عَقْلُكَ ، وَهُدِيتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ
 أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ ، وَمَرَاجِعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ .
 الْفَهْمُ الْفَهْمُ فِيمَا تَلْجُلِجُ فِي صَدْرِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ . ^(٣) ثُمَّ أَعْرِفِ الْأَشْبَاهَ
 وَالْأَمْثَالَ ؛ فَيَقِسْ الْأُمُورَ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَاعْمِدْ إِلَى أَقْرَبِهَا إِلَى اللَّهِ ، وَأَشْبِهِهَا بِالْحَقِّ .
 وَاجْعَلْ لِمَنْ ادَّعَى حَقًّا غَائِبًا أَوْ بَيِّنَةً أَمْدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ ، فَإِذَا أَحْضَرَ بَيِّنَتَهُ أَخَذَتْ لَهُ
 بِحَقِّهِ ، وَإِلَّا اسْتَحَالَتْ عَلَيْهِ الْقَضِيَّةُ ؛ فَإِنَّهُ أَنْتَهَى لِلشَّكِّ وَأَجَلَى لِلْعَمَى . الْمُسَاهُونَ عُدُولٌ
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا مَجْلُودًا فِي حَدٍّ أَوْ مُجَرَّبًا عَلَيْهِ شَهَادَةُ زُورٍ أَوْ ظَنِينًا فِي وَلَائٍ
 أَوْ تَسَبٍّ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَوَلَّى مِنْكُمْ السَّرَائِرَ وَدَرَأَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْإِيمَانِ . ^(٤) وَإِيَّاكَ وَالْقَلَقَ
 وَالضُّجْرَ وَالتَّأَدَّى بِالْخُصُومِ وَالتَّنَكُّرَ عِنْدَ الْخُصُومَاتِ ؛ فَإِنَّ الْحَقَّ فِي مَوَاطِنِ الْحَقِّ ^(٥)
 يُعْظِمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ وَيُحْسِنُ بِهِ الذَّنْحَ ؛ فَمَنْ صَحَّتْ نَيْتُهُ وَأَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ
 وَتِلْجُلِجُ .

(١) آسَ بَيْنَ النَّاسِ : سَوَّيْتُهُمْ .

(٢) الْحَيْفُ : الْمِيلُ أَوْ مِيلُكَ مَعَهُ لِشَرْفِهِ .

(٣) تَلْجُلِجُ : تَرَدَّدُ حَتَّى كَانَ مَوْضِعَ حَيْرَةٍ .

(٤) الْكِتَابُ : الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالسُّنَّةُ مَا أَنْزَلَ مِنَ النَّبِيِّ مِنْ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ نَفَرٍ .

(٥) ظَنِينٌ : مَتَّحٌ أَوْ يَتَسَبَّبُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ يَدْعَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ ، فَلَيْسَ أَهْلًا لِلشَّهَادَةِ .

(٦) دَرَأَ : دَفَعَ يَرِيدُ مَنَعَ الْحُدُودَ .

(٧) الْقَلَقُ وَالضُّجْرُ : ضَيْقُ الصَّدْرِ وَقِلَّةُ الصَّبْرِ .

وبين الناس . ومن تَخَلَّقَ للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شأنه الله ، فما ظنك^(٢)
بثواب عند الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام .^(٣)

وكتب الى أبي عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما اليه ينصحانه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة عامر بن الجراح ومُعَاذِ بْنِ جَبَل ، سلام عليكما
فاني أحمد الله الذي لا إله إلا هو (أما بعد) فقد جاءني كتابكما ترعمان أنه بلغكما أنني
وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها يجلس^(٤) بين يدي الصديق والعدو والشريف
والوضيع ، وكتبتما أن انظر كيف أنت يا عمر عند ذلك ، وإنه لا حول ولا قوة لعمر
عند ذلك إلا بالله . وكتبتما تحذرانى ما حذرت به الأمم قبلنا ، وقديما كان اختلاف^(٥)
الليل والنهار بأجال الناس يقربان كل بعيد ويُلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، ويأتیان بكل
مَوْعُودٍ ، حتى يصير الناس الى منازلهم من الجنة أو النار ، ثم توفى كل نفس بما كسبت
إن الله سريع الحساب . كتبتما ترعمان أن أمر هذه الأمة ، يرجع فى آخر زمانها أن
يكون إخوان العلانية أعداء السريرة ولستم بذلك . وليس هذا ذلك الزمان ،
ولكن زمان ذلك حين تظهر الرغبة والرغبة ، فتكون رغبة بعض الناس الى بعض

(١) أى أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته .

(٢) شانه : ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه .

(٣) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله فى الدنيا ورحمته فى الآخرة .

(٤) الأحمر كناية عن العجم ، والأسود كناية عن العرب والمراد جميع المسلمين .

(٥) اختلافهما بأجال الناس الخ : تعاقبهما على قضاء الأعمار .

إصلاح دينهم ورهبة بعض الناس إصلاح دنياهم . وَكَتَبْتُمَا تُعَوِّدَانِي بِاللَّهِ أَنْ أُنْزِلَ
كِتَابًا مِنِّي سِوَى الْمَنْزِلِ الَّذِي نَزَلَ مِنْ قُلُوبِكَا . وَأَنَا كَتَبْتُمَا نَصِيحَةً لِي . وَقَدْ صَدَقْتُمَا .
فَتَعَهَّدَانِي مِنْكَا بِكِتَابٍ ؛ فَلَا غِنَى بِي عَنْكَا . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَا !

(٥) من خطب عثمان بن عفان :

إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةً . وَإِنْ لِكُلِّ نِعْمَةٍ عَآهَةٌ . وَإِنْ آفَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَعَآهَةٌ
هَذِهِ النِّعْمَةُ عَيَابُونَ ظَنَّانُونَ ؛ يَظْهَرُونَ لَكُمْ مَا تَحِبُّونَ ، وَيُسْرُونَ مَا تَكْرَهُونَ ، يَقُولُونَ
لَكُمْ وَتَقُولُونَ ، طَعَامٌ مِثْلُ النَّعَامِ^(٢) ، يَتَّبِعُونَ أَوَّلَ نَاعِقٍ ، أَحَبُّ مَوَارِدِهِمُ إِلَيْهِمُ النَّازِحُ^(٣) .
لَقَدْ أَقْرَرْتُمُ لَابْنَ الْخَطَّابِ بِأَكْثَرِ مَا نَقَمْتُمْ عَلَيَّ^(٤) ، وَلَكِنَّهُ وَقَعَكُمْ وَقَعَكُمْ وَزَجَرَكُمْ زَجَرَ
النِّعَامِ الْمُخْزَمَةِ ؛ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَقْرَبُ نَاصِرًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ، وَأَقْمِنُ إِنْ قُلْتُ هَلُمَّ ! أَنْ تَجَابَ
دَعْوَتِي مِنْ عُمَرَ . هَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ حُقُوقِكُمْ شَيْئًا ؟ فَمَا لِي لَا أَفْعَلُ فِي الْحَقِّ مَا أَشَاءُ ؟
إِذَا فَلِمَ كُنْتُ إِمَامًا ؟

(١) هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان الأموي القرشي . ولد في الجاهلية وسبق إلى الإسلام ، وأبلى
في نصرته . ثم ولي الخلافة بعد عمر بطريق الانتخاب الشورى . وبعد مدة ثار عليه أعراب من مصر والعراق
بمحبة إيثارة أفراربه . وحاصروه في داره بالمدينة وقتلوه سنة ٣٥ هـ . وكان من أبلغ الناس وأوجزهم لفظًا
وأسلمهم أسلوبًا بحكم نشأته القرشية ودراسة القرآن الكريم .

(٢) الطعام : أراذل الناس للواحد والجمع .

(٣) النازح : الناضب من زحمت البرقلى ماؤها أو تقيد ومن معانيها البعيد جدا .

(٤) وقم : فهرم .

كتابهُ الى عليّ يستنجد به حين أحيط به :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فقد بلغ السيلُ الزُّبى^(١)، وجاوز الحزامُ الطُّبَّينَ^(٢)، وطمع فيّ من لا يدفعُ
عن نفسه، ولم يغلبك مثلُ مُغَلَّب^(٣). فأقبل إلى صديقاً كنت أو عدواً .

فإن كنتُ ما كُؤلاً فكُنْ خيراً آكلٍ وإلا فادرَكْنِي ولما أُمزِقَ

(٦) بلغ عليّ بن أبي طالب^(٤) أن خيلاً لمعاوية وردت الأنبار،

فقتلوا عاملاً له يقال له حسان بن حسان ،

نخرج مُغَضِّباً وخطب الناس :

أما بعد، فإن الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة، فتحه اللهُ لخاصّةِ أوليائه وهو لباسُ
التقوى ودرعُ الله الحَصِينَةُ وَجَّتُهُ الْوَثِيقَةُ^(٥)، فمن تركه رغبةً عنه ألبسه اللهُ ثوبَ
الذُّلِّ، وشِمْلَهُ البلاءِ، ودَيْثَ الصَّغَارِ^(٦) والقِماءِ، وضربَ على قلبه بالأَسَدَادِ، وأدبَلْ

(١) الزبي : جمع زبيبة : مصيدة الأسد وتكون في قلة أورابية أو هضبة . والتركيب كناية عن
بلوغ الشدة أقصاها كما يصل السيل الزبيبة .

(٢) الطبيان منى طبي والجمع أطباء : مواضع الاخلاف (حملات الضرع) ومجاورة الحزام الطبيين
كناية عن الإشراف على الهلاك . (٣) المغلب : الضعيف الذي يغلب كثيراً ، فإذا قدر عليك

لا يرجع عنك . وهذا معنى ولم يغلبك مثل مغلب .

(٤) ولد علي بن أبي طالب قبيل الاسلام ونشأ في بيت مجد وشرف وكان أول من أسلم من الصبيان
ثم صاحب الدولة الاسلامية في أوليتها مجاهداً وناصرها بعد وفاة الرسول حتى اذا قتل عثمان وبايعه أهل
الحجاز قام في وجهه معاوية ينازعه الخلافة وكانت بينهما فتن وحروب ومكاتبات الى أن قتل علي غيلة
سنة ٤٠ هـ بمسجد الكوفة وكانت هذه الحياة العنيفة سبب نبوغه في الخطابة وتملكه زمام البلاغة التي تنطق
بها آثاره الصريحة . (٥) الجنة : الوقاية . (٦) ديث : ذلل . والقِماء : الذل والمهانة .

الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النصف^(٢) . ألا وإني قد دعوتكم
إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم : اغزؤهم قبل
أن يغزؤكم^(٣) ، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا^(٤) . فتواكلتم وتخاذلتم^(٥)
حتى شئت الغارات عليكم، ومليكت عليكم الأوطان^(٦) . وهذا أخو غامد قد
وردت خيله الأنبار^(٧) ، وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن
مساحلها^(٨) . ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى
المعاهدة^(٩) ، فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها وريعاتها^(١٠) ، ما تمنع عنه إلا بالاسترجاع^(١١)
والاسترحام^(١٢) . ثم أنصرفوا وإفرين^(١٣) ، ما نال رجلاً منهم كلم^(١٤) ، ولا أريق لهم دم،
فلو أن امرأةً مسلمة ماتت من بعد هذا أسفاً ما كانت به ملوماً، بل كان به عندي

(١) أى صارت الدولة للحق بدله .

(٢) النصف : العدل .

(٣) عقر الدار : وسطها وأصلها .

(٤) نواكلتم : انكل كل على الآخر . وتخاذلتم : خذل كل صاحبه .

(٥) هو سفيان بن عوف بعته معارضة مغيرة على العراق .

(٦) الأنبار : بلدة على الشاطئ الشرقى للفرات .

(٧) المساح : جمع مسلحة ، وهى الثغر حيث طروق الأعداء .

(٨) الحجل : الخلخال .

(٩) القلب : السوار .

(١٠) الرعات : جمع رعة بالفتح ونحوك : الفرط .

(١١) الاسترجاع : قول (إنا لله وإنا إليه راجعون) .

(١٢) أى لم ينل أحد منهم فى مال أو بدن .

(١٣) الكلم : الجرح .

جديرا . فيأعجبا والله يُميت القلب وَيَجْلِبُ^(١) الهم : اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم
وتفرقكم عن حَقِّكم ، فُقِّبَحا لكم وترحا حين صرتم غرضاً يُرْمَى ، يُغار عليكم ولا تُغيرون ،
وتَغزُونَ ولا تَغزُونَ . وَيُعْصَى^(٢) الله وترضون ، فإذا أمرتكم بالسير اليهم في أيام الحرِّ
قام : هذه حمارة القيظ ، أمهلنا ينسلخ^(٣) عنا الحر . وإذا أمرتكم بالسير اليهم في الشتاء
قلتم : هذه صبارة^(٤) القر ، أمهلنا ينسلخ عنا البرد . كل هذا فراراً من الحر والقر
فأنتم والله من السيف أقر . يا أشباه الرجال ، ولا رجال ! حلوم الأطفال ، وعقول
رَبَّاتِ^(٥) الحجال . لوددت أني لم أركم ولم أعرفكم ! معرفة والله جرئت ندماً ، وأعقبت
سَدماً^(٦) . قاتلكم الله ! لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدري غيظاً ، وجرعتموني نغب^(٧)
التهمام أنفاساً ، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان ، حتى لقد قالت قريش :
إن ابن أبي طالب رجل شجاع ، ولكن لا علم له بالحرب ، لله أبوهم ! وهل أحد
منهم أشد لها مراساً وأقدم فيها مقاماً مني ؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين
وهأنذا قد ذرفت^(٨) على الستين ، ولكن لا رأي لمن لا يطاع^(٩) .

(١) الترح بالتحريك : الهم أو الفقر .

(٢) حمارة القيظ : شدة الحر .

(٣) ينسلخ : يخف ويسكن .

(٤) أي شدة البرد .

(٥) ربات الحجال : النساء . والحجال جمع حجلة : القبة ، وموضع يزين بالسنور للعروس .

(٦) السدم : الهم أو مع أسف وغبط .

(٧) النغب : جمع نغبة : الجرعة . التهمام : الهم .

(٨) ذرفت : زدت .

(٩) أي لا ينفع رأي للذي لا يسمع له .

وخطب في استنفار الناس إلى أهل الشام فقال :

أَفَّ لَكُمْ ! لقد سَمَّتُ عَتَابَكُمْ ، أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ الْآخِرَةِ عَوَضًا ،
وَبِالذُّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا . وَإِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوَّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنْ
الْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ ، وَمِنَ الذَّهْوِ فِي سَكْرَةٍ . يَرْتَجِعُ عَلَيْكُمْ حِوَارِي فَتَعْمَهُونَ ^(١) ،
فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ ^(٢) فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ مَا أَنْتُمْ لِي بِثَقَّةٍ سَجِيسَ ^(٣) اللَّيَالِي وَلَا
زَوَافِرُ ^(٤) عَزَّيْفَتَقَرُّ إِلَيْكُمْ ، وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا كِلَابِلٌ ضَلَّ رِعَاقُهَا ، فَكَلَّمَا جَمَعْتَ مِنْ
جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرٍ ، لَيْتَسَ لِعِمْرَانَ سَعْرُ ^(٥) نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ . تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ
وَتُنْقَضُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ ، لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ . غَلِبَ
وَاللَّهُ الْمُتَخَاذِلُونَ . وَآيِمُ اللَّهِ إِنِّي لَا أَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمَسَ الْوَعْيُ ^(٦) وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ
قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَنْ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ ^(٧) . وَاللَّهُ إِنْ أَمْرًا يَمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ
نَفْسِهِ ، يَغْرُقُ لَحْمَهُ ^(٨) وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ ، وَيَفْرِى جِلْدَهُ — لِعَظِيمِ عَجْزِهِ ، ضَعِيفِ
مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ ^(٩) . أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ ، فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ
أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبَ بِالْمَشْرِفَةِ يَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الْهَامِ ^(١٠) ، وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ
وَالْأَقْدَامُ ، وَيَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ . أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا ، وَلَكُمْ عَلَى
حَقٍّ ، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ ، وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ ^(١١) عَلَيْكُمْ ، وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْ لَا تَجْهَلُوا
وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْمَلُوا ، وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ ، وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ ،
وَالْمَغِيبِ وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ ، وَالطَّاعَةُ حِينَ أَمْرُكُمْ .

- (١) يرتج عليكم : يغلق فلا تهتدون لفهمه . حوارى : محاورى .
(٢) مألوسة : مغلوبة . (٣) سيجيس الليالى : طول الليالى ، أى أبدا .
(٤) الزوافر : جمع زافرة : عشيرة الرجل أو دكن البناء .
(٥) السعرها : الوقود من سعر النار أو قدها .
(٦) حمس الوعى : اشتدت الحرب . استحر : بلغ غاية شدته .
(٧) أى انفراجا لا يلتئم . (٨) أى يأكل لحمه لا يبقى منه شيئا على العظم : ويفرى : يمزق .
(٩) جوانح الصدر : ضلوعه ، والمراد القلب .
(١٠) المشرفية : السيوف تنسب إلى قرى تدنو من الريف مشارف الشام . الهام : الروس ،
جمع هامة . وفراشها : عظامها الرقيقة . (١١) الفئ : الخراج وما يجويه بيت المال .

(١) وكتب الى معاوية جوابا عن كتاب منه :

أَمَّا طَلَبُكَ إِلَى الشَّامِ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسٍ . وَأَمَّا قَوْلُكَ
 إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتْ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ ، ^(٢) أَلَا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ
 فَإِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ . وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتُ
 بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مَنِّي عَلَى الْيَقِينِ ، وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ
 الْعِرَاقِ عَلَى الْآخِرَةِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنْفٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَلَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةٌ
 كَهَاشِمٍ ، وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَلَا أَبُو سَفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ . وَلَا الْمُهَاجِرُ
 كَالطَّلِيقِ ، ^(٤) وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ ^(٥) ، وَلَا الْمُحَقِّقُ كَالْمُبْطِلِ ، وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ ^(٦) ، وَلِبَيْسَ
 الْخَلْفِ يَتَّبِعُ سَلَفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ . وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النَّبُوَّةِ الَّتِي أَذَلَّلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ
 وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ . وَلَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا أَسْلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ
 طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَكُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً ^(٧) وَإِمَّا رَهْبَةً ، عَلَى حِينِ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ
 بِسَبْقِهِمْ وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ ، فَلَا تَجْعَلْ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيبًا
 وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا .

(١) كتب معاوية الى علي يطلب منه أن يترك له الشام ويدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم
 الحروب ويخوفه ويذكر له أنهما من شجرة واحدة فأجابه على بهذا الكتاب .

(٢) حشاشات : جمع حشاشة : بقية الروح .

(٣) حرب : جد معاوية ، وعبد المطلب : جد علي .

(٤) الطليق : من أسرف أطلق باليمن عليه أو الفدية . ومن ذلك معاوية وأبوه .

(٥) الصريح : صحيح النسب في ذوى الحسب . واللصيق : من ينتمى إليهم وهو أجنبي .

(٦) المدغل : المفسد .

(٧) أي رغبة في خير أو خوفا من شر ، أي غير مخلصين

(٧) خطبة معاوية حين قدم المدينة عام الجماعة ^(١)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فإنى والله ما وليتها بحجة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتي ؛ ولكن جالدينكم ^(٢)
 بسيفي هذا مجالدة ^(٣) . ولقد رُضت لكم نفسى على عمل ابن أبي حُفافة ^(٤) ، وأردتها على
 عمل عمر فنفرت من ذلك نفاراً شديداً ، وأردتها على سُنَيَّات عثمان فأبَتْ على .
 فسلكت بها طريقاً الى ولكم فيه منفعة ^(٥) ، مؤاكلة حسنة ومشاربة جميلة . فإن لم
 تجدوني خيركم فإنى خير لكم ولاية . والله لا أحمل السيف على من لا سيف له .
 وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفي به القائل بلسانه فقد جعلت ذلك له دبر أذنى ^(٦)
 وتحت قدمي . وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه . فإن أناكم مني
 خير فاقبلوه ؛ فإن السبل إذا جاء أثرى ^(٧) ، وإن قل أغنى . ولماكم والفتنة فإنها تُفسدُ
 المعيشة وتكدر النعمة .

(١) هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأموي القرشي ولد لإبان ظهور الاسلام وورث من أهله
 حصاة وحسن حيلة . كان يتطلع الى الملك فلما مات عثمان ، وكان هو على الشام نازع عليا الخلافة . وكانت
 بينهما أحداث وقتن استعان معاوية فيها بدهائه حتى اذا قتل على وخلفه الحسن وشغب عليه جنده صالح الحسن
 ابن علي معاوية عام ٤١ هـ . وقد سمي عام الجماعة ، وبذلك قامت الدولة لأمية على يد معاوية وكان
 معاوية بليغا وإن كان لا يبلغ شأواً على ومات سنة ٦٠ هـ .

(٢) أى الخلافة .

(٣) جالدينكم : ضاربينكم .

(٤) ذلتها ومررتها .

(٥) هو أبو بكر أول الخلفاء .

(٦) دبر أذنى : خلفها ، أى أثره .

(٧) أثرى الناس : جعلهم أثرياء . وأعناهم جمعهم مكثفين لا يحتاجون

(٨) خطبة زياد البتراء بالبصرة حين قدم واليا عليها

من قبل معاوية

أما بعد، فإن الجهالة الجَهْلَاءَ^(٢) . والضلالة العمياء^(٣) ، والغى المؤفى بأهله على النار، ما فيه سُفهاؤكم ويشتمل عليه حُماؤكم^(٤) ، من الأمور العظام، ينبت فيها الصغير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته، والعذاب العظيم لأهل معصيته، في الزمن السرمدي^(٥) الذي لا يزول. أ تكونون كمن طرقت عينيه الدنيا، وسدت مسامعه الشهوات^(٦) ، واختار الفانية على الباقية، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تسبقوا إليه، من ترككم الضعيف يُقهر ويؤخذ ماله. ما هذه المواخير المنصوبة^(٧) ، والضعيفة المسلوكة في النهار المبصر، والعدد غير قليل؟ ألم يكن منكم نهاية تمنع الغواة عن

(١) ينتسب زياد ابن أبيه الى أبي سفيان . ولد في السنة الأولى للهجرة . وكان منذ صغره ذكيا هماما شديد الرأي ولى بعض الأعمال فكان مثال الصرامة واليكاسة . ثم استلحقه معاوية أخاله بعد مقتل علي . وبقى من رجال الدولة المعدودين حتى مات سنة ٥٣ هـ . وتدل خطبة زياد على شخصية عنيفة في الدين والسياسة ، تعدد حلقة الاتصال بين عمر بن الخطاب والحجاج ويعتمد في تأثيره الخطابى على الارهاب والوعيد في أسلوب جزل . وقالوا : انما سميت خطبته هذه البتراء لعدم بدئها بحمد الله وقيل غير ذلك .

(٢) جهالة جهلاء : شديدة مثل ليلة ليلاء

(٣) الضلالة العمياء : التى لا هدى معها .

(٤) السفية : سبي الخلق وضده الخليم .

(٥) السرمدي : الدائم .

(٦) كناية عن تمكن الشهوات من نفوسهم وانصرفهم الى متاع الدنيا .

(٧) المواخير : جمع ما خور : بيت الرية والفحش .

دَلِجَ اللَّيْلَ وَغَارَةَ النَّهَارَ، قَرَّبْتُمُ الْقَرَابَةَ، وَبَاعَدْتُمُ الدِّينَ، تَعْتَذِرُونَ بِغَيْرِ الْعُذْرِ، وَتَغْضُونَ^(١)
 عَلَى الْمُخْتَلِسِ، كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ يَذُبُّ عَنْ سَفِيهِهِ، صَنِيعَ مَنْ لَا يَخَافُ عَاقِبَةً، وَلَا يَرْجُو^(٢)
 مَعَادًا، مَا أَنْتُمْ بِالْحُلَمَاءِ، وَلَقَدْ اتَّبَعْتُمُ السَّفَهَاءَ فَلَمْ يَزَلْ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنْ قِيَامِكُمْ دُونِهِمْ^(٣)
 حَتَّى اتَّهَكُوا حُرْمَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ أَطْرَقُوا وَرَاءَكُمْ كُنُوسًا فِي مَكَانِ الرِّيبِ^(٤) . حَرَامٌ عَلَى^(٥)
 الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى أُسَوِّيَهَا بِالْأَرْضِ هَدْمًا وَإِحْرَاقًا . إِنِّي رَأَيْتُ آخِرَ هَذَا الْأَمْرِ
 لَا يَصْلُحُ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهُ : لَيْنٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ، وَشِدَّةٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ . وَإِنِّي أَقْسِمُ^(٦)
 بِاللَّهِ لَا أَخْذَنَّا الْوَلِيَّ بِالْمَوْلَى، وَالْمُقِيمَ بِالظَّالِمِ، وَالْمُقِيلَ بِالْمُذِيرِ، وَالْمُطِيعَ بِالْعَاصِي، وَالصَّحِيحَ
 بِالسَّقِيمِ، حَتَّى يَلْقَى الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ فَيَقُولَ : ابْنُ سَعْدٍ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيدٌ أَوْ تَسْتَقِيمُ^(٧)
 قَنَاتُكُمْ ! إِنَّ كَذِبَةَ الْأَمِيرِ بِلِقَاءِ مَشْهُورَةٍ، فَإِذَا تَعَلَّقْتُمْ عَلَى بَكْذِبَةٍ فَقَدْ حَلَّتْ لَكُمْ مَعْصِيَتِي،
 فَإِذَا سَمِعْتُمُوهَا مِنِّي فَاعْتَمِزُوهَا فِيَّ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ عِنْدِي أَمْثَالَهَا . مَنْ نُقِبَ مِنْكُمْ عَلَيْهِ^(٨)
 فَأَنَا ضَامِنٌ لِمَا ذَهَبَ مِنْ مَالِهِ . فَيَأْيَى وَدَجَّ اللَّيْلُ، فَإِنِّي لَا أُوتَى بِمُدْلِجٍ إِلَّا سَفَكْتُ
 دَمَهُ، وَقَدْ أَجَلَّسْتُكُمْ فِي ذَلِكَ بِمَقْدَارِ مَا يَأْتِي الْخَبْرُ الْكُوفَةَ وَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ . وَإِيَايَ وَدَعَوَى
 الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا بِهَا إِلَّا قَطَعْتُ لِسَانَهُ . وَقَدْ أَحَدْتُمْ أَحَدَانَا لَمْ تَكُنْ؛

(١) دَلِجَ اللَّيْلَ : السَّيْرُ فِيهِ . وَالْمُرَادُ التَّلَصُّصُ وَالْفَتْكَ .

(٢) قِيَامِكُمْ دُونِهِمْ : دَفَاعُكُمْ عَنْهُمْ .

(٣) الْكُنُوسُ : جَمْعُ كَانَسٍ، وَهُوَ الظُّلُمَةُ يَدْخُلُ فِي كَنَاسِهِ أَيْ مَأْوَاهُ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ عَكَفُوا عَلَى الْمَعَاصِي .

(٤) الْوَلِيَّ : السَّيِّدَ . وَالْمَوْلَى : الْعَبْدَ . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَأْخُذُ السَّيِّدَ بِذَنْبِ عَبْدِهِ . وَكَذَا الْبَاقِي .

(٥) مَثَلُ يَضْرِبُ لَتَتَابِعِ الشَّرَّ . وَأَصْلُهُ أَنَّ أَخَوَيْنِ خَرَجَا فِي طَلَبِ إِبْلِ لَهَا فَرَجَعَ سَعْدٌ وَلَمْ يَرْجِعْ سَعِيدٌ .

(٦) الْمُرَادُ حَتَّى تَسْتَقِيمُوا . وَشَبَّهَهُمُ بِالْقَنَازَةِ وَهِيَ عُودُ الرِّيحِ .

(٧) اغْتَمَزُوهَا فِي : عَدَّوْهَا مِنْ عِيُونِي .

(٨) دَعَوَى الْجَاهِلِيَّةِ : كَنَازَةُ عَنِ النَّاصِرِ بِتَأْثِيرِ الْعَصْبِيَّةِ سَفَهًا وَجَهَالَةً، وَأَصْلُهَا يَا فَلَانُ اسْتَغَاثَ .

وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبةً، فمن غرق قومًا أغرقناه، ومن أحرق قومًا أحرقناه،
ومن نقب بيتًا نقبنا عن قلبه، ومن نبش قبرًا دفناه فيه حيًّا . فكفُّوا عنِّي أيديكم
والسنتكم أ كُفِّ عنكم يدي ولساني . ولا تظهر من أحدكم ريبةً بخلاف ما عليه
عامتكم إلا ضربت عنقه . وقد كانت بيني وبين أقوامٍ إحن^(١)، فجعلتُ ذلك دبرًا ذني^(٢)
وتحت قدمي . فمن كان منكم محسنًا فليزدد إحسانًا، ومن كان منكم مُسيئًا فليترع عن
إساءته . إني لو علمتُ أن أحدكم قد قتله السُّل من بغضي لم أكشف له قناعًا، ولم أهتك
له سترًا حتى يسدي لي صفحته^(٣)؛ فإذا فعل ذلك لم أنظره . فاستأنفوا أموركم،
وأعينوا على أنفسكم؛ فربَّ مبتئسٍ يقْدومنا سيسر ومسرورٍ يقْدومنا سيبتئس . أيها
الناس ! أنا أصبحنا لكم ساسةً ، وعنكم ذادة^(٤) : نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا،
ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنا^(٥)؛ فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا، ولكم علينا
العدل فيما ولينا؛ فاستوجبوا عدلنا وفيانا بمناصحتكم لنا . واعلموا أني مهما قصرت
عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجياً عن طالب حاجة منكم؛ ولو أتاني طارقاً
بليل، ولا حائساً عطاءً ولا رزقاً عن إبانته^(٦)، ولا مجمرًا لكم بعثًا . فادعوا الله بالصالح
لائمتكم؛ فإنهم ساستكم المؤدِّبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون، ومتى يصلحوا

(١) الإحن : جمع إحنة : الحقد .

(٢) أي خلفها : والمراد أي طرحت ذلك .

(٣) صفحة الرجل : عرض وجهه . والمراد حتى يجهر بالعداوة .

(٤) ذادة : حماة، جمع ذائد أي مدافع .

(٥) الفيء : مال الخراج أو الغنيمة و يطلق على الظل كناية عن الحى .

(٦) إبان الشيء : أوانه .

(٧) تجير الجند أو البعث حبسهم في أرض العدو .

تَصْلَحُوا . وَلَا تُشْرَبُوا قُلُوبَكُمْ بِغَضَمِهِمْ فَيَشْتَدَ لَكُمْ غَيْظُكُمْ ، وَيَطْشُوا لَكُمْ حُرُونَكُمْ ،
وَلَا تُذَرِكُوا حَاجَتَكُمْ ، مَعَ أَنَّهُ لَوْ اسْتَجِيبَ لَكُمْ فِيهِمْ لَكَانَ شَرًّا لَكُمْ ^(١) . أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ
يُعِينَ كُلًّا عَلَى كُلِّ . وَإِذَا رَأَيْتُمْ نِيَّ أُنْفِذُ فِيكُمْ الْأَمْرَ فَأَنْفِذُوهُ عَلَى أَذْلَالِهِ ^(٢) . وَأَيُّمُ اللَّهُ إِنْ
لِي فِيكُمْ لَصَرَعِي كَثِيرَةٌ ، فَلْيَحْذَرِ كُلُّ أَمْرِي مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرَعَايَ .

(٩) خطبة عبد الله بن الزبير بعد أن قُتِلَ أَخُوهُ مُصْعَب ^(٣)

الحمد لله الذي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَمُلْكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يُعْزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَذِلُّ مَنْ
يَشَاءُ . أَلَا إِنَّهُ لَمْ يَذِلَّ وَاللَّهُ مَنْ كَانَ الْحَقُّ مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ مُفْرَدًا ضَعِيفًا ، وَلَمْ يَعْزْ
مَنْ كَانَ الْبَاطِلُ مَعَهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْعُدَّةِ وَالْعَدَدِ وَالْكَثْرَةِ . إِنَّهُ قَدْ أَتَانَا خَبَرٌ مِنَ الْعِرَاقِ
بِلَيْدِ الْغَدِيرِ وَالشَّقَاقِ ، فَسَاءَنَا وَسَرْنَا : أَتَانَا أَنَّ مُصْعَبًا قُتِلَ ، وَرَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَغْفِرَتُهُ ،
فَمَا الَّذِي أَحْرَزْنَا مِنْ ذَلِكَ فَإِنْ لِفِرَاقِ الْحَمِيمِ لَذَّةٌ يَمِجُّهَا حَيْمُهُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ ،
ثُمَّ يَرْعَوِي ^(٤) بَعْدَ دُورِ الرَّأْيِ وَالِدِينِ إِلَى تَحْمِيلِ الصَّبْرِ ، وَأَمَّا الَّذِي سَرْنَا مِنْهُ فَإِنَّا قَدْ عَلِمْنَا
أَنْ قَتَلَهُ شَهَادَةٌ لَهُ وَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَاعِلٌ ذَلِكَ لَنَا وَلَهُ ذَخِيرَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . إِنْ أَهْلَ

(١) أى لو دعوتهم عليهم فهلكوا لا تجدون عوضا عنهم .

(٢) أى على طريقه ووجهه .

(٣) هو عبد الله بن الزبير بن العوام يكنى أبا بكر وأبا حبيب . ولد بعد الهجرة بقليل ، وكان نبجاءا سلا
خرج على بنى أمية وطلب لنفسه الخلافة . واستمر تسع سنين استولى فيها على الحجاز والعراق واليمن ومصر
واستمر يناجز جيوش الدولة حتى أرسل إليه عبد الملك بن مروان الحجاج فحاصره بمكة مدة حتى قتل ابن
الزبير سنة ٧٤ هـ . وكان مصعب أخوه وأبيا على العراق من قبله حتى دهمته جيوش عبد الملك وقتلته نحو

السنة الثانية والسبعين للهجرة .

(٤) يرعوى : يرجع .

العِراقِ أسلموه ، وباعوه بأقل ثمن . لقد قُتِلَ أبوه وعمه وأخوه وكانوا خيار
الصالحين . إنا والله ما نموت حتف أنوفنا^(١) ، ما نموت إلا قتلا ، قعصا بالرماح وتحت^(٢)
طلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قتل منهم رجل في جاهلية
ولا إسلام قط . وإنما الدنيا غارية^(٣) من الملك القهار الذى لا يزول سلطانه ،
ولا يبدؤ ملكه ، فإن تُقبِل الدنيا على لا أخذها أخذ الأشر البطر^(٤) ، وإن تدبر عنى^(٥)
لا أبك عليها بكاء الحريف الميهين .

(١٠) خطبة لقطري بن الفجاءة^(٦)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد ، فإني أحذركم الدنيا فإنها حلوة خضرة ، حفت بالشهوات ، وراقت بالقليل^(٧)
وتحبيبت بالعاجلة ، وحليت بالآمال ، وتزيتت بالغرور . لا تدوم حبرتها^(٨) ، ولا تؤمن^(٩)
بفتحها ، غرارة ضرارة ، خيانة غدارة ، وحائلة زائلة ، ونافذة بائدة ، أكالة غوالة .

(١) مات حتف أنفه : على فراشه .

(٢) قعصه بالرمح : قتله فى مكانه .

(٣) أى شئ . مستعار .

(٤) بطر بالنعمة : طغى بها . والأشر : المرح .

(٥) انخرف : فاسد العقل . والميهين : الذليل الوضع .

(٦) قطري بن الفجاءة المازنى خطيب شاعر من أبطال الخوارج وقادتهم وبلغاتهم . خرج زمن

بنى أمية ، ودعا لنفسه بالخلافة عشرين سنة حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ . وقد ترجنا له فى قسم شعراء السياسة .

(٧) راقت العين بقله متاعها ، وتحبيبت الى النفوس بكونها عاجلة ليست آجلة كالأخرى .

(٨) حبرتها : نعمتها . (٩) حائلة : متغيرة .

(١١) خطبة للحجاج حين ولي العراق

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني (٢)

يا أهل الكوفة ! إني لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها .
وكأني أنظر إلى الدماء بين العمام واللحم .

ثم قال :

هذا أوان الشد فاشتدى زيم قد لفها الليل بسواق حطم (٤)
ليس براعي إبل ولا غنم ولا يجزار على ظهر وضم (٥)

ثم قال :

قد لفها الليل بعصلي أزوع خراج من الدوى (٦)

مهاجر ليس بأعرابي

(١) يعد الحجاج بن يوسف النقفى ثالث ثلاثة طبعوا الخطابة الإسلامية طابعا خاصا في عهدها الأول، أولهم على بن أبي طالب، وثانيهم زياد . وقد شب الحجاج شجاعا داهية عنيفا . وحكما مستبدا . خدم بني أمية ولا سيما عبد الملك في توطيد الملك وإسكان الثورات حتى مات سنة ٩٥ هـ . وتدل خطبته على خواصه النفسية ومذهبه في السياسة والحكم، وأسلوبه الفني الذي يعتمد على الإرهاب وعلى التفخيم اللفظي وبهذه الخاصة الأخيرة يمتاز عن زياد كما يمتاز بنفس جاهلية عنيفة .

(٢) ابن جلا : أى ابن رجل جلا الأمور وكشف الصعاب . الثنايا جمع ثنية : وهى الطريق فى الجبل أو الجبل نفسه ، والمراد : القادر الشجاع .

(٣) أينعت : أدركت ونضجت .

(٤) زيم : اسم فرس أرناقة . ولفها : جمعها . والحطم الذى لا يبق من السير شيئا .

(٥) الوضم : ما يقطع عليه اللحم .

(٦) العصلي : الشديد . والأزوع : الذكي . والدوى : الصحراء المتسعة . والمراد الخراج من

كل غنم شديدة .

وقال :

قد شمرت عن ساقها فشُدوا وجدت الحربُ بكم فشدوا (١)
والقوسُ فيها وترٌ عرُد مثلُ ذراعِ البكرِ أو أشد (٢)
لا بدُّ مما ليس منه بدُّ (٣)

إني والله يا أهل العراق ما يقعُّ لي بالشَّنان (٤) ، ولا يُغمزُ جانبي كتغماز الثَّين .
واقعدُ فُيرتُ عن ذكاء (٥) ، وفُتشتُ عن تجربة . وإن أمير المؤمنين — أطال الله
بقائه — نثرَ كُائنته بين يديه (٦) ، فعجمَ عيدانها ، فوجدني أمرها عوداً ، وأصلبها مكسراً (٧) ،
فرماكم بي ؛ لأنكم طالما أوضعتم في الفتن (٨) ، واضطجعتم في مراقِد الضلال . والله
لأخر منكم حزم السَّامة (٩) ، ولا ضير بكم ضرب غرائب الإبل (١٠) ؛ فإنكم لكأهل قرية كانت
أمنية مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس

(١) شمر عن ساقه : اهتم وجد ؛ كناية عن قيامها .

(٢) عرُد : شديد . البكر : الفتى من الإبل .

(٣) أى لا بد من وقوع المحتم .

(٤) الشَّنان جمع شن : وهو الجلد اليابس إذا وقع أى ضرب نقرت الإبل منه ، يضرب ذلك مثلاً
لنفسه أى أنه لا يرهبه وعيد أو تخويف .

(٥) فزال دابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سنها . وفزع عن الأمر : بحث عنه . والمراد أن الخليفة
اختاره حاكماً لحدة ذكائه وصحة تجاربه .

(٦) الكُانة : جعبة السهام . وعجم عيدانها : عضها لينظر أيها أصلب . وهذا وما بعده كناية عن أنه
اختبر أعوانه فوجدني أصلح لحكمكم . (٧) أى أقواها .

(٨) أى أسرعت في الشر .

(٩) السَّامة : نوع من الشجر تعصب أغصانه وتخيبط بالعصى لسقوط الورق وهشم العيدان .

(١٠) وهي تضرب عند الحرب أو الخوض .

الجُوع والخوف بما كانوا يصنعون . وإني والله ما أقول إلا وقيتُ ، ولا أهُمُّ إلا
أَمْضيتُ ، ولا أخلقُ إلا فَرَيْتُ ^(١) . وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعْطِيَاتِكُمْ ،
وأن أوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة ^(٢) . وإني أقسم بالله لا أجِدُ
رجلا تحلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه .

(١٢) من رسالة عبد الحميد بن يحيى ^(٤) التي أوصى فيها الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد — حَفِظَكُمُ اللَّهُ يَا أَهْلَ صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ وَحَاطَكُمُ وَوَفَّقَكُمُ وَأَرْشَدَكُم — فَإِنَّ
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ النَّاسَ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ،
وَمِنْ بَعْدِ الْمُلُوكِ الْمَكْرُمِينَ أَصْنَافًا ، وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سُوءًا ، وَصَرَّفَهُمْ فِي صُنُوفِ
الصِّنَاعَاتِ وَضُرُوبِ الْمَحَاوِلَاتِ ، إِلَى أَسْبَابِ مَعَاشِهِمْ ، وَأَبْوَابِ أَرْزَاقِهِمْ ، لِجَعْلِكُمْ
مَعَشَرَ الْكُتَّابِ فِي أَشْرَفِ الْجِهَاتِ أَهْلَ الْأَدَبِ وَالْمُرُوءَاتِ وَالْعِلْمِ وَالرِّزَاةِ ، بِكُمْ تَنْظِمُ
لِلخَلَافَةِ مَحَاسِنُهَا ، وَتُسَاقِمُ أُمُورُهَا ، وَبِنَصَائِحِكُمْ يُصْلِحُ اللَّهُ لِلخَلْقِ سُلْطَانَهُمْ ، وَتَعْمُرُ

(٢) فريته : قطعت .

(١) أقدر .

(٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري قائد أموى ولد بالبصرة ونشأ فيها وظهر

أمره بمقاتلة الخوارج . وقد ولاه الحجاج خراسان وبها مات سنة ٨٢ هـ .

(٤) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامري نشأ بالأنبار من أرض العراق وشب معلم صبيان ثم صاحب

مروان بن محمد مدة ولايته أرمنية ثم مدة خلافته واستمر وفياله في محبته حتى قتل سنة ١٣٢ هـ . وبعد

عبد الحميد شيخ كتاب الرسائل فله الفضل في تسليس أسلوها وحسن تقسيمها ، وجعلها واضحة طبعية لا يجاريه

في ذلك أحد وله رسائل طوال ، منها رسالته إلى الكتاب التي نورد هنا قسمها منها .

بَلَدَانَهُمْ . لَا يَسْتَغْنِي الْمَلِكُ عَنْكُمْ ، وَلَا يُوجَدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ ؛ فَمَوْقِعُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْقِعُ
 أَسْمَاعِهِمْ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ ، وَأَبْصَارِهِمُ الَّتِي بِهَا يُبْصِرُونَ ، وَأَلْسِنَتُهُمُ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُونَ ،
 وَأَيْدِيهِمُ الَّتِي بِهَا يَبْطِشُونَ ^(١) . فَاَمْتَعَكُمْ اللَّهُ بِمَا خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ ، وَلَا تَزَعْ
 عَنْكُمْ ، مَا أَضْفَاهُ ^(٢) مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَاتِ كُلِّهَا أَحْوَجَ
 إِلَى اجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْمَحْمُودَةِ وَخِصَالِ الْفَضْلِ الْمَذْكُورَةِ الْمَعْدُودَةِ مِنْكُمْ ، أَيْهَا
 الْكُتَّابُ : إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ صِفَتِكُمْ ، فَإِنَّ الْكَاتِبَ يَحْتَاجُ
 فِي نَفْسِهِ وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَثِقُ بِهِ فِي مُهِمَّاتِ أُمُورِهِ أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا فِي مَوْضِعِ
 الْحِلْمِ ، فَهِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ ، مِقْدَامًا فِي مَوْضِعِ الْإِقْدَامِ ، مُحْجَمًا فِي مَوْضِعِ الْإِحْجَامِ ،
 مُؤَثِّرًا لِلْعَفَافِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ ، كَثُومًا لِلْأَسْرَارِ ، وَفِيًّا عِنْدَ الشَّدَائِدِ عَالِمًا بِمَا
 يَأْتِي مِنَ النَّوَازِلِ ، يَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا وَالطَّوَارِقَ فِي أَمَاكِئِهَا ، قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ
 فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ فَأَحْكَمَهُ ، وَإِنْ لَمْ يُنْحِكِهِ أَخَذَ مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا يُكْتَفَى بِهِ ، يَعْرِفُ
 بَغَرِيزَةَ عَقْلِهِ وَحُسْنَ أَدَبِهِ وَفَضْلَ تَجَرُّبَتِهِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ قَبْلَ وَرُودِهِ ، وَعَاقِبَةَ مَا يَصْدُرُّ
 عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ ، فَيَعِدُّ لِكُلِّ أَمْرِ عُدَّتَهُ وَعَتَادَهُ ، وَيُهَيِّئُ لِكُلِّ وَجْهِ هَيْئَتَهُ وَعَادَتَهُ .
 فَتَنَافَسُوا يَا مَعْشَرَ الْكُتَّابِ فِي صُنُوفِ الْآدَابِ ، وَتَفَهَّمُوا فِي الدِّينِ وَابْدَعُوا بِعِلْمِ كِتَابِ
 اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفَرَائِضِ ، ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ ، فَإِنَّهَا نِقَافُ أَلْسِنَتِكُمْ ، ثُمَّ أَجِيدُوا الْخَطَّ فَإِنَّهُ
 حَلِيَّةُ كُتُبِكُمْ ، وَارْوُوا الْأَشْعَارَ ، وَاعْرِفُوا غَرِيبَهَا وَمَعَانِيَهَا وَأَيَّامَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَأَحَادِيثَهَا
 وَسِيرَهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَسْمُو إِلَيْهِ هِمَمُكُمْ . وَلَا تُضَيِّعُوا النَّظَرَ

(١) يبطش : يفتك ويعمل .

(٢) أضفاه : أسبغه .

فِي الْحِسَابِ ؛ فَإِنَّهُ قَوَامُ كُتَابِ الْخَرَاجِ . وَارْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطَامِعِ سَنِيهَا وَدَنِيهَا
وَسَفْسَافِ الْأُمُورِ وَمَحَاقِرِهَا ؛ فَإِنَّهَا مَذَلَّةٌ لِلرَّقَابِ مَفْسَدَةٌ لِلْكَتَابِ . وَزَهْوٌ صَنَاعَتِكُمْ
عَنِ الدَّنَاءَةِ وَارْبُتُّوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالنِّيمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ الْجَهَالَاتِ . وَإِيَّاكُمْ
وَالْكِبَرَ وَالشُّخْفَ وَالْعَظَمَةَ ؛ فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ مُجْتَلِبَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْنَةٍ . وَتَحَابُّوا فِي اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ فِي صَنَاعَتِكُمْ وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ أَلْيَقُ لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنُّبْلِ مِنْ
سَلَفِكُمْ .

(د) طائفة من أمثال العرب ^(١)

في جاهليتها وإسلامها

إِنَّ الْعَصَا مِنَ الْعُصْيَةِ ^(٢) — إِنْ الْعَوَانَ لَا تُعَلِّمُ الْخُمَرَةَ ^(٣) — إِنَّكَ لَتُكْثِرُ الْحَزَّ
وَتُخْطِئُ الْمَفْصِلَ ^(٤) — أَوَّلُ الشَّجَرَةِ النَّوْأَةُ ^(٥) — إِنَّكَ رِيَّانٌ فَلَا تَعْجَلْ بِشُرْبِكَ ^(٦)
أَبْرَمًا قُرُونًا ^(٧) — أَحْشَفًا وَسُوءَ كَيْلَةٍ ^(٨) — الْحَقُّ أَبْلَجُ وَالْبَاطِلُ بَلَجٌ ^(٩) —

(١) الأمثال : جمع مثل وهو قول مأثور يمتاز بحسن التعبير وإصابة المعنى وإتقان التشبيه وحسن الإيجاز . وللتل مورد أى أصل قيل فيه ، ومضرب ، أى موضع استعمال ، فالغرض منه تشبيه الحال الثانية بالأولى .

(٢) يضرب للشيء يشبه أصله .

(٣) العوان : التى سبق لها زوج ، والخمرة كيفية لبس الخمار (الطرحة) . يضرب للرجل العالم بالأمر المحرب له .

(٤) يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد . الحز : القطع ، والمفصل : ملئق كل عظمين فى الجسد حيث يكون القطع .

(٥) يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير .

(٦) يضرب لمن أشرف على إدراك بغيته فيؤمر بالرفق .

(٧) البرم : الرجل الذى لا يدخل مع القوم فى الميسر لخبلة . والقرون : الذى يقرن بين الشئين يأخذهما معا . يضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين .

(٨) الحشف : أردأ التمر : والكيل : طريقة الكيل . مضربه لمن يظلم من وجهين .

(٩) معناه أن الحق واضح بين ليس فيه حيرة .

أَمْكَراً وَأَنْتَ فِي الْحَدِيدِ ^(١) — إِنَّ الْمُنْبِتَ لَا أَرْضاً قَطَعَ وَلَا ظَهراً أَبْقَى ^(٢) —
 إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ ^(٣) — أَنْ تَرِدَ الْمَاءَ بِمَاءٍ أُكْسِ ^(٤) — إِنَّ غَدَاً
 لِنَظَرِهِ قَرِيبٌ ^(٥) — إِنَّ أَخَاكَ مَنْ آسَاكَ ^(٦) — يَدَاكَ أَوْ كَتَا وَفُوكَ نَفَخَ ^(٧)
 يَصْبِحُ ظَمَانٌ وَفِي الْبَحْرِ فَمُهُ ^(٨) .

بَلَغَ السَّيْلُ الزَّبِيَّ ^(٩) — بَيْنَهُمْ عَطَرٌ مَنْشَمٌ ^(١٠) ، تَجْوَعُ الْحَرَّةُ وَلَا تَأْكُلُ بِشَدِيمِهَا ^(١١) — تَنْجِي
 عَنْ مَجْهُولِهِ مَرَاتَهُ ^(١٢) — تَرَى الْفَتَيَانَ كَالنَّخْلِ ، وَمَا يُدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ ^(١٣) — ثَارَ حَايِلُهُمْ عَلَى

-
- (١) يضرب لمن أراد المكر وهو مقهور .
 (٢) المنبت : المنقطع عن أصحابه في السفر بسبب جهاده دابته ، الظهر : الدابة . يضرب لمن يبالغ في طاب الشيء بافراط حتى يعجز عنه قيضه .
 (٣) يضرب للكلمة تجلب الشر .
 (٤) يضرب في عدم التفريط فيما تملك اتكالا على الموهوم .
 (٥) يضرب في قرب المأمول .
 (٦) يضرب للصديق المخلص .
 (٧) أراد رجل عبور النهر على زق فنفخ فيه فلم يحكمه ، فلهما توسط النهر خرج منه الهواء ففرق ، فاستغاث برجل ؛ فقال له هذا المثل ، يضرب لمن يجنى على نفسه الحين .
 (٨) يضرب لمن يعاشر بخيلاً مثيراً .
 (٩) الزبي : جمع زبية ، وهي مصيدة الأسد تكون في قلال الجبال اذا بلغها السيل كان مجحفاً — يضرب لبلوغ الأمر أشده .
 (١٠) يضرب في الشر العظيم ، ومنشم : عطرة كانت تطيب المخاربين من طيها فيفنون في الحرب . فكان يقال أشام من عطر منشم .
 (١١) أى لا تكون ظئراً ، وان آذاها الجوع : يضرب لمن يصوف نفسه عن خسيس المكاسب .
 (١٢) أى منظره يخبر عن مخبره (حقيقته) .
 (١٣) يضرب لروعة المظهر مع سوء المخبر .

(١) نَابِلُهُمْ — جَعَجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْنًا — جَرَى الْمَذِيكَاتِ غِلَابٌ — جَوَّعَ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ —
 حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ — حَدَوِ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ — حَرَّكَ لَهَا حَوَارَهَا تَحْنٌ — صَارَ الزَّجُّ قُدَّامَ
 السَّنَانِ — عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرَى — عِنْدَ النَّطَاجِ يُغْلَبُ الْكَبِشُ الْأَجَمُ —
 عِنْدَ جَهَنَّمَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ — فِي بَيْتِهِ يُؤْفَى الْحَكْمُ — قَبْلَ الرَّمَاءِ تُمْلَأُ الْكَثَائِنُ — كَانَ
 كُرَاعًا فَصَارَ ذِرَاعًا — كَلَامٌ كَالْعَسَلِ وَفِعْلٌ كَالْأَسَلِ — كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا —
 كُلُّ قَتَاةٍ بِأَيِّهَا مُعْجَبَةٌ .

- (١) الخابل : صاحب الحيلة . والنايل : صاحب النبل ، أى اختلط أمرهم . يضرب فى فساد ذات
 البين وتاريخ الشر فى القوم .
- (٢) يضرب لمن يعد ولا يفى ، أو للظهور الغلاب ليس وراءه نفع . والجمععة : صوت الطحن .
- (٣) المذكية من الخيل : التى مضت ستة أو ستان على قروحها . والغلاب : المغالبة . يضرب لمن
 يفوز على أقرانه فى الفضل .
- (٤) مثل يضرب فى اللثام وكيف بما ملون .
- (٥) معناه : أنه اختبر الدهر شطرى خبره وشره ، فصرف ما فيه .
- (٦) أى مثلاً بمثل ، يضرب فى التسوية بين الشئين .
- (٧) الحوار : ولد الناقة . والمعنى ذكره بعض أشجانه يهيج له . قاله عمسرون العاص لمعاوية حين
 أراد أن يستفز أهل الشام ، أى أرهم دم عثمان على قيضه ليفزعوا إلى الحرب .
- (٨) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح ، ويقال له السنان . يضرب فى سبق المتأخر المتقدم من غير
 أهلية لذلك .
- (٩) يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة . والسرى : السريلاً .
- (١٠) الأجم : الذى لا قرن له . يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له .
- (١١) يضرب للرجل يعرف الشئ على حقيقته .
- (١٢) يضرب للرجل تذهب إليه الحاجتك .
- (١٣) أى تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه : والكثائن : جمع كنانة : خريطة السهام .
- (١٤) يضرب للدليل الضعيف صار عزيزاً قوياً . والكرع : مستدق الساق .
- (١٥) يضرب فى اختلاف القول والعمل . والأسل : الرماح .
- (١٦) الفرا : الحمار الوحش . يضرب لمن يفضل أقرانه .
- (١٧) يضرب فى إعجاب الرجل بما يخصه من عمل أو عشيرة .

أبيات تجرى مجرى الأمثال

فإنَّكَ لم يُفخَرْ عَلَيْكَ كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب (١)

*
*

وهل يُنبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل (٢)

*
*

ولست بمستبق أخا لا تلمه على شعث أى الرجال المهذب (٣)

*
*

حنانيك بعض الشر أهون من بعض (٤)

*
*

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والحنأ أصبت حكماً أو أصابك جاهل (٥)

(١) المغلب : الضعيف الذى يغلب دائماً ، فإذا قدر عليك لا يتركك (لاعمري القيس) .

(٢) الخطي : الرمح نسبة الى الخط فى البحرين . الوشيح : شجر الرماح ، المفرد وشيجه أى لا ينبت القنأه الا شجرها ولا تغرس النخل الا بحيث تنبت وتصلح ، والمراد أنه لا يلد الكرام الا الكرام (لزهير) .

(٣) تلمه : تصلحه . والشعث : الفساد ، والمهذب : المنق من العيوب . (المعنى) ليس رجل مبرء من العيب ، فإذا قطعت لإخوانك بذنب لم يبق لك أخ . (للناطقة الديباني) .

(٤) لطرفة ، وصدرة : أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا . الحنان : الرحمة ، والثنية هنا لقصد الدوام مثل لبيك وسعديك أى رحمة بعد رحمة . والأكثر اضافتها الى ضمير المخاطب .

(٥) الجهل : السفه والشراسة ، والحنأ : الفحش ، ومعنى الشطر الآخر أنك تؤذى كريماً أو يؤذيك جاهل مثلك ، وكلاهما شر .

تم طبع هذا الكتاب في يوم ٢١ من شعبان
سنة ١٣٦٣ (١٠ من أغسطس سنة ١٩٤٤) م
مدير المطبعة الأميرية

محمد كبرى